

مجلة

دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

رئيس التحرير : أ.د. رفاه جاسم حمادي

مدير التحرير : أ.م.د. عادل شابث جابر

اعضاء هيئة التحرير

أ.د. أحمد مالك الفتیان	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. حميد أحمد التميمي	كلية الآداب / جامعة البصرة
أ.د. طالب منعم الشمري	كلية التربية / جامعة واسط
أ.د. هديب حياوي	كلية الآداب / جامعة بابل
أ.د. عادل تقي البلداوي	كلية التربية / جامعة المستنصرية
أ.د. علي ياسين الجبوري	كلية الآثار / جامعة الموصل
أ.د. خليل علي مراد	كلية الآداب / جامعة صلاح الدين

مجلة دراسات في التاريخ والآثار - جامعة بغداد - كلية الآداب - بغداد

ملحق العدد (54) حيزان لسنة 2016

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (765) لسنة 2002

التصحيح اللغوي م.م. عبد الخالق حسن

الاشراف المالي : انتصار حميد مجيد

ISSN:2075-3047

الترقيم الدولي :

البريد الالكتروني : jasha@coat.uobaghdad.edu.iq

شروط النشر في المجلة

1. أن يكون متسماً بالجدة والموضوعية ويدخل ضمن الاختصاصات التي تختص بها المجلة .
2. اعتماد الأسلوب العلمي في كتابة الموضوع سواء بما يتعلق بالهوامش أو الأمانة العلمية.
3. سلامة البحث من الأخطاء اللغوية والمطبعية وخاضعاً للتقويم العلمي .
4. أن تكون طباعة الهوامش في نهاية البحث .
5. أن يكون حجم البحث معقولاً ولا يتجاوز الخمسين صفحة .
6. أن لا يكون البحث مستقلاً من رسالة أو أطروحة جامعية لغير طلبة الدراسات العليا .
7. يقدم الباحث نسخة مطبوعة مع قرص مدمج للمادة المقدمة للنشر مع مبلغ خمسين ألف دينار للباحثين داخل العراق ومائة دولار للباحثين من خارج العراق.
8. يفضل أن يحتفظ الباحث بنسخة أخرى من القرص المدمج .
9. يفضل أن ينتهي البحث بخلاصة باللغة الانكليزية .
10. المجلة غير مسؤولة عن إرجاع البحوث المنسوخة أو الأقراص المدمجة .

ومحتويات ملحق العدد 54

ت	البحث	الباحث	الصفحة
1	العوامل المؤثرة في تطور الفكر التاريخي الأندلسي	أ. د صباح إبراهيم الشبخلي عامر ممدوح خيرو	63-1
2	احوال المكتبات الاسلامية طبقاً لمؤلفات كوركييس عواد	أ.د.ليث شاكر محمود جاسم يوسف الكناني	86-64
3	الأهمية التاريخية والسياسية لحوض الراين	أ.م.د. شيماء عبد الله طالب المكصوسي نهلة شاكر سالم	112-87
4	العلاقات الدينية والثقافية والتجارية بين العراق وأفغانستان (1933 - 1945)	أ.د.سنان صادق حسين الزيدي جنان مهدي جاسم الشمري	140-113
5	دور علماء أسيوط في الحركة الفكرية في العصر المملوكي	أ.م.د.أنيسة محمد جاسم محمود محمد حسين التميمي	170-141
6	سيرة الامام علي بن محمد الهادي عليه السلام في مصنفات ابن تيمية	أ.د. سامي حمود الحاج جاسم علي ابراهيم عبيد الجميلي الموسوي	189-171
7	طبغات الاختتام الاسطوانية على النصوص المسمارية الاقتصادية غير المنشورة من نهاية الالف الثالث قبل الميلاد	أ.د. نوال احمد المتولي أفراح جاسم أحمد	208-190
8	ظهور الدعوة الإسماعيلية في اليمن	أحمد زاجي شدهان الزيدي	233-209
9	مدخل الى الصيغة السببية في اللغتين الاكدية والعربية	أ.م. د. سجي مؤيد عبداللطيف عبدالله علي محمد التميم	255-234
10	مدارس الشرطة في الدولة العثمانية مدرسة الشرطة في بغداد 1911 – 1917 أنموذجاً	د. عمر إبراهيم الشلال	294-256
11	التنسيق الأردني العربي تجاه القضية الفلسطينية 1980-1986	أ.د.إبراهيم خلف العبيدي م.م.دحام فرحان عبد الحميد	326-295
12	الدبلوماسية اليابانية تجاه الصين وكوريا قبل عصر إيدو	أ.د.محمود عبد الواحد محمود أفراح محمد علي	352-327
13	دور رودولفو غراتسياني في تعزيز النفوذ الايطالي في طرابلس الغرب 1922 - 1928	أ. د. حسن علي سبتي الفتلاوي م. م. حاتم كريم عبد الرضا جاسم	392-354
14	نشوء وتطور الحركة النقابية العمالية في السودان حتى عام 1956	بان علي حمد سلمان	415-393

447-416	أ.د. ناجي حسن الموسوي كلارا عزيز فرنسيس إسحاق	15	العوامل المؤثرة في تطوير مهنة الطب في العصر الفاطمي
501-448	أ.م.د. محمود تركي اللهيبي عبير غني كاظم الخفاجي	16	المؤسسات العلمية في العراق ومصر (247 – 334هـ)
541-502	أ . م . د . نوال ناظم محمود اوس محمد عبدالرحيم	17	دخول المغول الوافدية إلى مصر
573-542	أ.م. د. سميرة عبد الرزاق عبد الله ضحى عادل سلمان	18	فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة (2 حزيران 1943 حتى 8 تشرين الأول 1944).
601-574	انتصار ناجي الزنكي	19	أهمية المياه في العراق القديم وسبل معالجتها حتى عام 539 ق. م

**العوامل المؤثرة
في تطور الفكر التاريخي الأندلسي**

**أ. د صباح إبراهيم الشخلي
عامر ممدوح خيرو**

العوامل المؤثرة في تطور الفكر التاريخي الأندلسي

أ. د. صباح إبراهيم الشخيلي
عامر ممدوح خيرو

المدخل

تحقق التطور المهم للفكر التاريخي الأندلسي وسط بيئة علمية متميزة ، وجو ثقافي مشحون بالإبداع ، انتقل بالبلاد وعلمائها من حال إلى آخر بشكل مثير للعجب .

وبين الملحوظة المهمة التي أشرها صاعد الأندلسي (ت ٤٦٢ هـ / 1070 م) وذكرناها سابقاً من جهة ، والمقري (ت ١٠٤١ هـ / 1632م) من جهة أخرى ، بون شاسع واختلاف كبير ، ويعزز القول بأن ما حصل في الأندلس جهد أصيل يحسب للعرب المسلمين الذين ما إن وطئوا تلك الأرض القصية واستقرت دولتهم فيها ، حتى أحدثوا تغييراً واسعاً على مجمل الحياة الثقافية هناك .

فبحسب صاعد ((كانت الأندلس قبل ذلك في الزمان القديم خالية من العلم لم يشتهر عند أهلها أحد بالاعتناء به إلا إنه يوجد فيها طلسمات قديمة في مواضع مختلفة ...))^(١) ، محدداً انطلاقة العلوم هناك بوسط المائة الثالثة من تاريخ الهجرة وذلك في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام^(٢) (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ / ٨٥٢ . ٨٨٦ م) في الأندلس إذ تحرك أفراد من الناس الى طلب العلوم ولم يزلوا يظهرون ظهوراً غير شائع إلى قريب وسط المائة الرابعة^(٣) .

أما صاحب نفح الطيب ، فهو ينقل لنا صورة مختلفة لما غدت عليه الأندلس بعد ذلك على يد المسلمين ، فهم في ميدان العلوم ((أحرص الناس على التميز ، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ، ويربأ بنفسه أن يرى فارغاً

عالة على الناس ، لأن هذا عندهم في نهاية القبح ، والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة ، يشار إليه ويحال عليه ، وينبه قدره وذكره عند الناس ، ويكرم في جوار أو ابتياع حاجة ، وما أشبه... فالعالم منهم بارع لأنه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه ، وينفق من عنده حتى يعلم ، وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء ، إلا الفلسفة والتجيم (٤) ، وربما في الاستثناء المطلق للفلسفة فيه نظر إذ التراث الأندلسي في هذا الباب كان متميزاً كذلك ولا ننسى الإشارة إلى ابن رشد فهو فقط يكفي .

إن القول بحصول تطور مؤثر في الفكر التاريخي الأندلسي متلائم بشكل وثيق بوجود مجموعة من العوامل التي كان لها الدور الفاعل في حصوله ، هذه العوامل كانت قد آنت ثمارها بشكل تراكمي منذ بدايات التدوين التاريخي حتى وصوله إلى ما يمكن تسميته بذروة التطور فيه خلال القرن الخامس الهجري .

ويمكننا تلمس هذه العوامل في أربعة محاور رئيسة تضم تحتها جملة

مسائل، وهي كالاتي :

أولاً : البيئة المنتجة

ونقصد بها الظروف المحيطة بالحركة الثقافية المتنامية والتي أدت إليها ، من استقرار سياسي ، ودعم رسمي من قبل الحكام الأندلسيين ، وتوفر الكتب والمكتبات ، والتراكم المعرفي الذي تحصل عبر قرون العطاء والتميز (٥) ، فالواقع السياسي المستقر، والرخاء الاقتصادي المشجع ، ووجود الدولة الراعية لهذا العمل ، تعد من المحفزات الأساسية للإبداع ، دون أن ننكر أثر المحنة في تفجير مكانه كما حصل في عصريّ الفتنة والطوائف كما سنرى ، أو وجود تأثير للعوامل الشخصية الذاتية ، وفي هذا الإطار يمكننا التعامل مع ما أثاره أحد المحدثين حين تساءل : هل ابرزت الحركة الثقافية والفكرية العامة في الأندلس المفكرين الأندلسيين البارزين في القرن الهجري الخامس ، ولماذا لم يكن ابن عبد البر مؤرخاً في مستوى ابن حيان أو لماذا أنتج ابن حزم وليس ابن بشكوال أول كتاب في مقارنة الأديان من نوعه في التاريخ

البشري ؟ خالصاً إلى القول بأن تأثير الحركة الشمولية والبيئية الاجتماعية لا ينقص من قيمة المساهمة الشخصية لعلماء القرن الخامس الهجري ومفكره بحيث اعترف بعقريتهم كل من اهتم بفكرهم وتعمق في دراستهم وفي فهمهم ^(٦) .

ولقد كانت العقود الأولى من الوجود في الأندلس ضعيفة التأثير في هذا المجال ، وذلك لأنها كانت ممهدة لما بعدها ومثلت مرحلة انتقالية ، ولأن الخلافات المبكرة كانت أدعى لاجداث حالة من عدم الاستقرار التي تنعكس بدورها على العملية الثقافية برمتها ، إذ دب الخلاف سريعاً بين عناصر الفاتحين ، ومرت أوقات على اهل الأندلس بعد ذلك ((لا يجمعهم وال)) ^(٧) .

وقد نبه لتأثيرات هذه النزاعات المبكرة مقارناً بقيام دولة الأمويين ابن سعيد المغربي ^(٨) (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) فيما ينقله عنه المقري (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)، إذ يقول إن ((اختلاف الولاة داع للاضطراب ، وعدم تأتّل الأحوال ... ولما صارت الأندلس لبني أمية وتوارثوا ممالكها وانقاد إليهم كل أبي فيها وأطاعهم كل عصي عظمت دولة الأندلس وكبرت الهمم وترتبت الأحوال ... وكانت قواعدهم إظهار الهيبة وتمكن الناموس من قلوب العالم ، ومراعاة أحوال الشرع في كل الأمور ، وتعظيم العلماء ، والعمل بأقوالهم ، وإحضارهم في مجالسهم واستشارتهم ... وأنهم كانوا في نهاية من الانقياد للحق ، لهم أو عليهم ، وبذلك انضبط لهم أمر الجزيرة)) ^(٩) .

وقد تستحضر الذاكرة التاريخية مع هذا النص الثورات الكثيرة التي واجهها الأمويون ، وعدم انضباط أمر الأندلس لسلطتهم في جميع الأحيان ، وهذا القول صحيح ، ولكن مقارنة عصر الأمويين بغيرهم ، يرجح كفتهم دون شك ، كما إن زعماءهم (وفيهم القوي والضعيف) كانوا متميزين مقارنة بمن خلفهم من زعماء الفتنة والطوائف ، وكانت هذه المقارنة على ما يبدو حاضرة في مدونات المؤرخين الأندلسيين بشكل شبه كامل.

إن استتباب الأمور للأمويين بعد جهد واسع لتوحيد معظم الأراضي الأندلسية تحت سلطة واحدة ، انعكس إيجاباً على مجمل الحركة الفكرية ومنها التاريخية ، فضلاً

عن الدور الكبير الذي حققه الداخل ومن جاء بعده في تحقيق الاستقرار السياسي ، تمتعت الأندلس بالرخاء الاقتصادي الذي كان مؤثراً دون شك على الحياة فيها ، فقد كانت الجباية ((بالأندلس أيام عبد الرحمن الأوسط ^(١٠) ألف ألف دينار في السنة ، وكانت قبل ذلك لا تزيد على ستمائة ألف)) ^(١١) . أما جباية الأندلس في مدة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م - ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) فقد بلغت ((خمسة آلاف ألف دينار ، وأربع مئة ألف وثمانين ألفاً ، ومن السوق والمستخلص سبع مئة ألف دينار وخمسة وستون ألفاً)) ^(١٢) .

((وكانت جبايتها أيام هشام بن الحكم قبل الفتنة أربعة آلاف ألف دينار بجميع القبالات .. ويكون ذلك بالذهب ألف ألف مثقال وثلثمائة ألف مثقال ، وكانت أيام الحكم المستنصر ٣٥٠ هـ / ٩٦١ - ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م الضعف من ذلك الخراج)) ^(١٣).

لقد كان لهذا الرخاء الاقتصادي انعكاسات علمية وفكرية دون شك كانت تبعاً للاستقرار النفسي الذي تحقق ، فقد ظهر المجتمع الأندلسي بصفة المقبل على التعلم واكتساب المعارف المختلفة ، وذلك لم يكن إلا نتيجة طبيعية للتراكم المعرفي الثر والواسع الذي ظهرت به الأندلس طيلة القرون الثلاثة الأولى من تاريخها الإسلامي .

وفي مقدمة ما يرتبط بهذا الجانب التشجيع والدعم الكبير الذي قدمه الأمويون من امراء وخلفاء للحركة العلمية ، وذلك تأسيساً على الصفات التي تحلوا بها من حب العلم والمعرفة ، وإمداد العلماء بكل ما يحتاجون من جو علمي ودعم مادي حتى يحققوا أهدافهم المطلوبة منهم .

لقد تميز الحكام الأمويين في الجوانب العلمية والفكرية ومنها الاهتمام بالعلم والعلماء ، وإنشاء المكتبات وجمع الكتب ، وعقد المجالس العلمية والمناظرات ، فضلاً عن الرسائل التي كانوا يوجهونها لجهات مختلفة والتي مثلت نماذجاً لثقافتهم وقدرتهم في المخاطبة وتميزهم ^(١٤) .

كما اتسم عدد مهم من الحكام الأمويين بدءاً بالأمير عبد الرحمن الداخل بتلك الصفات ، وكان مما سجله المؤرخون شهادات مهمة وموثقة دلت على مدى اهتمام هؤلاء الحكام بالعلم ودعمهم للعلماء، فكان ((الامام عبد الرحمن فصيحاً ، بليغاً ، حسن التوقيع ، جيد الفصول ، مطبوع الشعر ، من أهل العلم))^(١٥) ، وكان ((الداخل كثيراً ما يسأل عن ابنه سليمان وهشام ، فيذكر له أن هشاماً إذا حضر مجلساً امتلأ أدباً وتاريخاً وذكر لأمر الحرب وموقف الأبطال وما أشبه ذلك ، وإذا حضر سليمان مجلساً امتلأ سخفاً وهذياناً فيكبر هشام في عينه بمقدار ما يصغر سليمان))^(١٦) ، و((كان عصر الحكم . الرضي . قبل وثوب أهل حضرته به ، من اوثق أعصار الخلفاء المروانيين وأنبهها ، فيه ظهر العلماء والشعراء والبلغاء والأدباء))^(١٧) ((وكان . الأمير محمد بن عبد الرحمن . محباً للعلوم ، مؤثراً لأهل الحديث ، عارفاً حسن السيرة ، ولما دخل الأندلس أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد بكتاب (مصنف) أبي بكر بن أبي شيبة ، وقرأ عليه ، أنكر جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف واستشنعوه ، وبسطوا العامة عليه ومنعوه من قراءته ، إلى أن اتصل ذلك بالأمير محمد فاستحضره وإياهم ، واستحضر الكتاب كله ، وجعل يتصفحه جزءاً جزءاً إلى أن أتى على آخره ، وقد ظنوا أنه يوافقهم في الإنكار عليه ، ثم قال لخازن الكتب : هذا كتاب لا تستغني حزاننا عنه ، فأنظر في نسخه لنا ، ثم قال لبقني بن مخلد : انشر علمك ، وارو ما عندك من الحديث ، واجلس للناس حتى ينتفعوا بك أو كما قال ، ونهاهم أن يتعرضوا له))^(١٨) .

اما ابنه الأمير عبد الله بن محمد ، فقد ((كان اديباً ، شاعراً ، بليغاً ، بصيراً باللغة والغريب وأيام العرب))^(١٩) .

وكان عبد الرحمن الأوسط ((عالماً بعلوم الشريعة والفلسفة ، وكانت أيامه أيام هدوء وسكون ، وكثرت الأموال عنده ، واتخذ القصور والمنتزهات))^(٢٠) .

إن التمتع بتلك الصفات التي كان عليها هؤلاء الأمراء الأمويين تدلنا دون أدنى ريب على أن احتضانهم لحركة العلم والثقافة والإبداع المعرفي بكافة فنونه

وأشكاله كان امراً طبيعياً ، وانعكاس واقعي لشخصياتهم ، وإن كان دعم هؤلاء في فترة تأسيس العلوم والمعارف الأندلسية ، فإن ذلك الاحتضان المبكر ساهم بخلق جو من الإقبال على العلم والتعلم ، وفتح هؤلاء الحكام أبواب التنافس في طلب العلم وتحصيل صنوفه المختلفة وفي مقدمتها التاريخ .

ولعل النقلة الكبرى كانت قد تحققت في حقبة الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م - ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) وولده الحكم المستنصر (٣٥٠ هـ / ٩٦١ م - ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م) إذ عم الاستقرار السياسي ، وهو الدعامة الأساسية للنمو الحضاري وازدهاره ، وتوفرت عوامل التطور والإبداع بشكل غير مسبوق .

لقد أقبل الناصر يشجع العلماء ويتبناهم ، بل ويستقطب المشهورين منهم من أقطار العالم الإسلامي الأخرى ، وكان حريصاً أن تضم الأندلس كل صاحب علم ومعرفة متميزة ، ثم انه كان من حظ المجتمع الأندلسي أن يلي الناصر خليفة عالم هو الحكم المستنصر ديدنه الاهتمام بالعلم ، هذه الشخصية العلمية كانت عامل دفع وتشجيع للنهضة الثقافية الأندلسية^(٢١) .

ولم يختلف الخليفة عبد الرحمن الناصر عن سابقيه من أمراء الأمويين في محبة العلم ، ودعم الثقافة على اختلاف أشكالها وصنوفها ، فقد كان ((على علاء جانبه واستيلاء هيئته يرتاح للشعر ، وينبسط إلى أهله ، ويراجع من خاطبه به من خاصته))^(٢٢) .

أما الحكم المستنصر فكان عهده مطبوعاً بحب العلم والحرص على التأليف وجلب الكتب واقتنائها وإنشاء المكتبات ، إذ انتدب ((الى العناية بالعلوم والى ايثار اهلها واستجلب من بغداد ومصر وغيرهما من ديار المشرق عيون التواليف الجليلة والمصنفات الغربية في العلوم القديمة والحديثة وجمع منها في بقية ايام أبيه ثم في مدة ملكه من بعده ما كاد يضاهي ما جمعته ملوك بني العباس في الازمان الطويلة وتهاياً له ذلك لفرط محبته للعلم وبُعد همته في اكتساب الفضائل وسمو نفسه إلى التشبه بأهل

الحكمة من الملوك فكثر تحرك الناس في زمانه إلى قراءة كتب الأوائل وتعلم مذهبهم))^(٢٣) .

لقد انطوت شخصية الحكم المستنصر على جملة من الصفات المهمة ، فقد كان ((حسن السيرة ، جامعاً للعلوم ، محباً لها مكرماً لأهلها ، وجمع من الكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله هنالك ، وذلك بإرساله عنها إلى الأقطار ، واشترائه لها بأغلى الأثمان ، ونفق ذلك عليه فحمل إليه ...))^(٢٤) ، كما كان ((من أشد الناس صباغة بالعلوم لاسيما بالأخبار والمقالات))^(٢٥) .

وبصور ابن حيان القرطبي الأجواء التي عاشتها الأندلس زمن الحكم المستنصر ، فيقول في نص ننقله على الرغم من طوله لأهميته : ((لم يسمع في الإسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين وإيثارها والتهمم بها . أفاء على العلم ، ونوه بأهله ، ورغب الناس في طلبه ، ووصلت عطاياه وصلاته إلى فقهاء الأمصار النائية عنه ... وبعث إلى أبي الفرج الأصبهاني القرشي المرواني ألف دينار عيناً ذهباً ، وخاطبه يلتبس منه نسخة من كتابه الذي ألفه في الاغاني ، وما لاحد مثله ووصل بذلك المال رحمه .. فأرسل اليه منه نسخة حسنة منقحة قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق ، أو ينسخه أحد منهم ، وألف له أيضاً أنساب قومه بني أمية موشحة بمناقبهم وأسماء رجالهم ، فأحسن فيه جداً ، وخذلهم مجداً ... وكان له وراقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف ، ورجال يوجههم إلى الآفاق عنها .. وكان مع هذا كثير التهمم بكتبه والتصحيح لها والمطالعة لفوائدها ، وقلما تجد كتاباً كان في خزانته إلا وله فيه قراءة ونظر من أي فن كان من فنون العلم : يقرؤه ويكتب فيه بخطه . إما في أوله أو آخره أو في تضاعيفه . نسب المؤلف ومولده ووفاته والتعريف به ، ويذكر انساب الرواة له ، ويأتي من ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلا عنده لكثرة مطالعته وعنايته بهذا الفن ، وكان موثقاً به مأموناً عليه ، صار كل ما كتبه حجة عند شيوخ الأندلسيين وأئمتهم ينقلونه من خطه ويحاضرون به ... وقال أبو محمد بن حزم ... اتصلت ولايته خمسة عشر عاماً في هدوء وعلو ، وكان رفيقاً بالرعية ، محباً في العلم ،

ملأ الأندلس بجميع كتب العلوم ، وأخبرني تليد الفتى . وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس . أن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، في كل فهرسة خمسون ورقة ، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط)) (٢٦).
و يقول ابن عذاري : ((ومن مستحسنات أفعاله وطيبات أعماله اتخاذه المؤدبين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوالي المسجد الجامع وبكل رضى من أرباض قرطبة ، وأجرى عليهم المرتبات ، وعهد إليهم في الاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله العظيم ، وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتباً منها حوالي المسجد الجامع ثلاثة ، وباقيها في كل روض من أرباض المدينة ..)) (٢٧).

والروايات والشواهد تترى حول الحركة العلمية زمن الحكم ، حتى إننا لنجد أن تأليف الكتب ، وجمعها كان يتم بطلب مباشر منه وتحت إشرافه (٢٨) ، فهذا محمد بن يحيى بن مفرج القاضي ((جمع مسند حديث قاسم بن أصبغ للحكم المستنصر)) (٢٩)، إما محمد بن أبي الحسين فقد ((كان في أيام الحكم المستنصر بالله أثيراً بالعلم عنده ، وقد أمره الحكم بمقابلة كتاب العين للخليل مع أبي علي البغدادي)) (٣٠) ، و ((محمد بن يوسف ، أبو عبد الله التاريخي الوراق ، ألف بالأندلس للحكم المستنصر كتاباً ضخماً في مسالك إفريقية وممالكها)) (٣١) ، بل جعل التأليف في بعض الأحيان مقابل الإعفاء من الخروج للغزو (٣٢) .

وتتجمع لدينا الكثير من الإشارات المهمة حول طبيعة الحكم المستنصر وتشجيعه للعلوم ، وعلاقته الوثيقة بعلماء الأندلس (٣٣) ، وحثهم على تأليف الكتب في الاختصاصات المختلفة (٣٤)، ومنهم : ((احمد بن سعيد بن مقدس .. كان نحوياً لغوياً ضابطاً للكتب ، نسخ للمستنصر بالله رحمه الله كثيراً)) (٣٥) ، و ((خالد بن سعد من أهل قرطبة ... وسمعت بعض اصحاب خالد يقول : إن أمير المؤمنين المستنصر بالله كان يقول : إذا فاخرنا أهل المشرق ببحيى بن معين ، فاخرناهم بخالد بن سعيد ، ولخالد بن سعد كتاب في رجال الأندلس ألفه للمستنصر بالله رحمه الله)) (٣٦) ، و ((اسحاق بن سلمة بن وليد بن بدر بن أسد بن مهلهل بن ثعلبة بن مودعة بن قطيعة

القيني ... جمع كتاباً في اخبار الأندلس أمره بجمعه المستنصر بالله رحمه الله ((^(٣٧))) ،
و((محمد بن تملّيح ... وكانت له منزلة من المستنصر بالله))^(٣٨) .

كما تتكرر عبارة ((وجدته بخط المستنصر)) و((قرأته من خط المستنصر))
في كتب التراجم^(٣٩) ، وهي تدل بشكل جلي وواضح على إسهام هذا الخليفة العالم في
تطوير ودعم حركة الثقافة والمعرفة الأندلسية ، ناهيك عن الممارسة الكتابية المباشرة ،
فيقول ابن الفريسي : ((وقرأت في كتاب دفعه إلى أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم ،
كان فيه إلحاق بخط أمير المؤمنين المستنصر بالله رحمه الله ، فيه ذكر القضاة
بالأندلس))^(٤٠) .

ويتضح من هذه النصوص :

١. اهتمام الحكم المستنصر بالعلوم والمؤلفات ، ليس جمعاً فحسب وإنما قراءة
وتفقهاً وعلماً .
 ٢. تشجيع حركة نسخ الكتب ومن ثم اتساع آفاق المعرفة .
 ٣. استقدام العلماء ورعايتهم .
 ٤. الحث على التعلم من خلال رعاية الدولة لتعليم الصغار والإنفاق عليهم.
ولذلك انتجت كل تلك الخطوات والسياسات واقعاً علمياً متميزاً يشار إليه
بالبنان .
- ولما جاء الحاجب المنصور بن أبي عامر (٣٢٧ هـ - ٣٩٢ هـ / ٩٤٠ .
١٠٠٢ م) مضت هذه الحركة مع تحديد مساراتها بصورة تتوافق مع شخصية المنصور
وأهدافه ، فالرغبة لاحتلال مكانة متقدمة من قبل الحاجب ، وحالة التنافس مع الآخرين
، ساهمت في استمرار حالة الرعاية لبعض العلوم والمعارف التي تقرب عن طريقها إلى
الفقهاء ، فضلاً عن استقطاب الشعراء ، إذ كان لهم ديوان يرزقون منه على
مراتبهم^(٤١) .

وفي هذا الصدد يثار موضوع احراق كتب الفلسفة ، إذ يعقب صاعد الأندلسي
على ذلك بالقول : ((وفعل ذلك - أي المنصور - تحبباً إلى عوام الأندلس وتقبيحاً

لمذهب الخليفة الحكم عندهم إذ كانت تلك العلوم مهجورة عند أسلافهم مذمومة بالسنة رؤسائهم ، وكان كل من قرأها متهماً عندهم بالخروج من الملة ومظنون به الإلحاد في الشريعة فسكن أكثر من كان تحرك للحكمة عند ذلك وخملت نفوسهم وتسترخوا بما كان عندهم من تلك العلوم ...))^(٤٢) .

والمهم أن الحضارة في الأندلس ارتقت بسبب هذه التراكمات - مع خصوصياتها - ارتقاءً رائعاً ونافست الحضارة الإسلامية فيها حضارة الإسلام في المشرق ، لذلك لا غرابة أن انتشرت المكتبات والكتب في جميع أنحاء البلاد وكثر عشاقها وكثر التأليف والمؤلفون ، وكاد جميع أهل الأندلس أن يكونوا ملمين بالقراءة والكتابة في الوقت الذي كانت فيه أوروبا النصرانية - بجميع رجالها ذوي المكانة الرفيعة عدا القسس - في حالة من الجهالة طخياء^(٤٣) ، كما يعلق بروفنسال : ((لم تكن تأثيرات اسبانيا المسيحية على اسبانيا العربية .. تقارن ولو من بعيد ، بتأثيرات اسبانيا العربية ... إن الإشعاع الذي كانت تعكسه قرطبة على المسيحية الغربية لا يمارى فيه))^(٤٤) .

وعلى الرغم من الانهيار الحاد الذي صاحب الفتنة والغاء الخلافة الأموية (وهو أمر له جانبان إيجابي وسلبي) فإن توالي حكام الطوائف على الامساك بزمام الأمور في عدة أماكن من الأندلس أثرى الحركة العلمية ومنحها زخماً جديداً في ظاهرة لا زالت مثار إعجاب المؤرخين .

((إنه مما يلفت النظر حقاً أن ممالك الطوائف ، كانت خلال هذا الانحلال الشامل تبدو في أثواب لامعة زاهية ، وإذا لم يكن يسودها النظام والاستقرار دائماً فقد كانت في الفترات القليلة التي تجانب فيها الحرب الأهلية ، تتمتع بقسط لا بأس به من الرخاء ، وتغمرها الحركة والنشاط ، وكان ملوك الطوائف بالرغم من طغيانهم المطبق ، ومن الصفات المثيرة التي كان يتصف بها الكثير منهم ، من حماة العلوم والآداب ، وإنها لظاهرة من أبرز ظواهر عصر الطوائف ، ان يكون معظم الملوك والرؤساء من اكابر الأدباء والشعراء والعلماء ، وأن تكون قصورهم منتديات زاهرة ، ومجامع حقة للعلوم والآداب والفنون ، وأن يحفل هذا العصر بجمهرة كبيرة من العلماء والكتاب

والشعراء الممتازين ، ومنهم بعض قادة الفكر الأندلسي والفكر الإسلامي بصفة عامة))^(٤٥) .

تشير الروايات التاريخية إلى إن ملوك الطوائف ((صاروا يتبسطون للخاصة وكثير من العامة ويظهرون مداراة الجند وعوام البلاد ، وكان أكثرهم يحاضر العلماء والأدباء ، ويحب أن يشهر ذلك عند مباريه في الرياضة))^(٤٦) ، كما يورد المقري نصاً مهماً ضمن رسالة الشقندي في فضل الأندلس حين يتحدث عن ملوك الطوائف ، فلما ((تفرقوا في البلاد ، كان في تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد ، إذ نفقوا سوق العلوم ، وتباروا في المثوبة على المنثور والمنظوم ، فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول : العالم الفلاني عند الملك الفلاني ، والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني ، ، وليس منهم إلا من بذل وسعه في المكارم ، ونهت الأمداح من مآثره ما ليس طول الدهر بنائم))^(٤٧) .

لقد أدى المستوى الثقافي لعدد من ملوك الطوائف في الأندلس إلى إنعاش هذه الحركة لأن ملوك الطوائف كثيراً ما كانوا يشجعون المثقفين الأندلسيين البارزين مادياً ومعنوياً ، كما كان من آثار ازدهار الحركة الفكرية في عصر الطوائف ، ذبوع المكتبات العامة والخاصة ذبوعاً يلفت النظر ، ذلك أن كل مدينة أندلسية غدت عاصمة لمملكة كبيرة أو صغيرة ، وكان امراء الطوائف يتنافسون في اقتناء الكتب النفيسة والنادرة ، وقد كانت تنهال على شبه الجزيرة من سائر أنحاء العالم الاسلامي^(٤٨) .

ولدينا شواهد مهمة تؤكد توجه بعضهم نحو الاهتمام بالشعر ورعاية الشعراء أو دعم علماء مختصين في علوم أخرى ، ومن تلك :

فقد ((كان ذو الوزارتين القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عبّاد^(٤٩) المتغلب على أشبيلية ممن له في العلم والأدب باع ، ولذوي المعارف عنده بها سوق وارتفاع ، وكان يشارك الشعراء والبلغاء في صنعة الشعر وحوك البلاغة ، بسطاً لهم ، وإقامة لهمهمهم ، ولما كان في طبعه من ذلك أيضاً))^(٥٠) .

و((قال ابن حيان : وكان عباد أوتي أيضاً من جمال الصورة ... ونظر مع ذلك في الأدب ، قبل ميل الهوى به إلى طلب السلطان ، أدنى نظر بأذكي طبع ... وقرض قطع من الشعر ذات طلاوة ، في معان أمدته فيها الطبيعية ، وبلغ فيها الإرادة ، واكتتبها ... قال ابن بسام : وكان المعتضد - كما وصف - ينفث بأبيات من الشعر فيما يعنّ له من أمر ، ورأيت ابن أخيه إسماعيل قد جمع شعر عمه هذا في ديوان ((^(٥١) . ومنهم ((المظفر أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الأقطس^(٥٢) ، أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع ، وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق ، المترجم بـ " التذكرة " والمشتهر اسمه أيضاً بـ " كتاب المظفر " في خمسين مجلدة ، يشتمل على علوم وفنون من مغازٍ وسير ، ومثل وخبر ، وجميع ما يختص به علم الأدب ، أبقاه في الناس خالداً ، وليس بمعدود في الشعراء والكتاب فأفرد له فصلاً من هذا الكتاب ، ولو كان مجموعنا هذا في طبقات العلماء لكان قطب أفاقه ، وغاية طلقه ((^(٥٣) .

((ومن ملوك الطوائف بالأندلس بنو هود ملوك سرقسطة وما إليها ، ومن أشهرهم المقنتر بالله ، وابنه يوسف المؤتمن ، وكان المؤتمن قائماً على العلوم الرياضية، وله فيها تأليف ، ومنها كتاب الاستكمال والمناظر ((^(٥٤) .

كما إن زعماء الطوائف عمدوا إلى استقطاب العلماء إلى جانبهم وتقديم الرعاية والدعم لهم ، ولعل هذا النص يكشف لنا هذا الأمر بشكل جلي ((إليه . مجاهد العامري^(٥٥) . كانت هجرة أولي البقية ، وذوي الحرية ، من هذه الطبقة الأدبية القرطبية، للين جنبه ، وذكاء شهابه ، نسخت من كتاب أبي مروان بن حيان ، قال : كان مجاهد فتى امراء دهره ، واديب ملوك عصره ، لمشاركته في علم اللسان ، ونفوذه في علم القرآن ، عني بذلك من صباه وابتداء حاله ، إلى حين اكتهاله ، ولم يشغله عن التزويد عظيم ما مارسه من الحروب براً وبحراً ، حتى صار في المعرفة نسيج وحده ، وجمع من دفاتر العلوم خزائن جمة ، وكانت دولته أكثر الدول خاصة ، وأسراها صحابة ، لانتحاله العلم والفهم ، فأُمَّه جملة العلماء ، وأنسوا بمكانه ، وخيموا في ظل

سلطانه ، واجتمع عنده من طبقات علماء قرطبة وغيرها جملة وافرة ، وحلبة ظاهرة.))^(٥٦) .

ومن الملفت أن بعض العلماء ظلوا يحتفظون وعلى الرغم من قربهم من زعماء الطوائف بمواقفهم المبدئية التي لم تتأثر لا رغباً ولا رهباً ، من هؤلاء تمام بن غالب بن عمرو المعروف بابن التيانى ((إن الأمير أبا الجيش مجاهد بن عبد الله العامري وجه إلى امام بن غالب أيام غلبته على مرسية - وأبو غالب ساكن بها - ألف دينار أندلسية ، على أن يزيد في ترجمة هذا الكتاب مما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد ، فردّ الدنانير وأبى ذلك ، ولم يفتح في هذا باباً البتة ، وقال : والله لو بذلت لي الدنيا على ذلك ما فعلت ، ولا استجزت الكذب ، فإني لم اجمعه له خاصة لكن لكل طالب عامة))^(٥٧) .

والملاحظة أعلاه لا تنفي أن ظاهرة التقرب من زعماء الطوائف اكتست ببعض المظاهر السلبية من المدح وكسب الأموال عن طريقه ، ولذلك لم تلك غريبة تلك العلاقة بين الطوائف والشعر .

ولعل أوضح ما يمكن أن يقال عن وجود حركة علمية نشيطة خلال عصر الطوائف ، وجود علماء بارزين في شتى صنوف العلوم والمعرفة ، فمنهم : الشعراء : أبو عبد الله محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز ، وأبو الفضل جعفر بن شرف القيرواني ، وأبو حفص بن الشهيد ، والوزير الشاعر عبد المجيد بن عبدون ، وأبو عامر احمد بن شهيد ، وأحمد بن رشيق ، وأبو حفص أحمد بن برد^(٥٨) . ومن البارزين في العلوم الدينية شيخ القراء أبو عمرو الداني ، وأبو محمد علي بن حزم ، وأبو الوليد سليمان بن خلف الباجي ، ومن علماء اللغة أبو الحسن علي بن سيده ، ومن المؤرخين ابن حيان ، وابن حزم ، وابن عبد البر ، وفي الجغرافية أبو عبيد البكري^(٥٩) .

ومن المشهورين في العلوم الصرفة علماء كثر ، ومنهم الطبيب أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الذهبي^(٦٠) ، وفي الرياضيات والفلك ابو اسحاق بن ابراهيم

بن يحيى الزرقالي صاحب الجداول الفلكية الشهيرة ، وأبو القاسم أصبغ بن السمع
الغرناطي وكان بارعاً في الهندسة والفلك ، واشتهر أبو عبد الله بن أحمد السرقسطي
بعلم الاعداد والهندسة والنجوم^(٦١).

كما برز أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عمر بن الصفار ، واستقر بمدينة
دانية قاعدة الأمير مجاهد العامري^(٦٢) ، وأبو الحكم عمرو بن أحمد بن علي
الكرماني، استوطن مدينة سرقسطة ، وأبي مسلم عمر بن أحمد بن خلدون الحضرمي ،
من أشرف أهل أشبيلية ، مشهوراً بعلم الهندسة والنجوم والطب ، وتوفي سنة
٤٤٩هـ^(٦٣)، والوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن واد اللخمي وأهتم بمطالعة كتب
الطب والفلسفة ، كان في الحياة سنة ٤٦٠ هـ^(٦٤) ، وأبي محمد عبد الله بن محمد
الأزدي ويعرف بابن الذهبي ، أحد المعتمدين بصناعة الطب ، ومطالعة كتب الفلسفة ،
وكان مهتماً بصناعة الكيمياء ، توفي سنة ٤٥٠ هـ^(٦٥) ، وأبي بكر يحيى بن أحمد
ويعرف بابن الخياط ، برع في الهندسة وعلم العدد ، واتصل بزمان الفتنة بسليمان
المستعين بالله ، وزمن الطوائف بالمأمون يحيى بن اسماعيل بن ذي النون ، توفي
بطليلة سنة ٤٤٠ هـ^(٦٦) ، واسحق بن قسطار ، وكان يهودياً ، وخدم الموفق مجاهداً
العامري وابنه إقبال الدولة علياً ، كان بصيراً بأصول الطب ، مشاركاً في علم المنطق،
مشفراً على آراء الفلاسفة ، توفي بطليلة سنة ٤٤٨ هـ^(٦٧) ، وابن بكلاش وكان
يهودياً اتصل بدولة بني هود^(٦٨) ، وغيرهم .

أما التاريخ ، فتحفظ لنا كتب التراجم بمعلومات عن مؤرخين عاشوا في عهد
الطوائف فضلاً عن المؤرخين الثلاثة الكبار الذين خصصنا الحديث عنه (ابن حيان
وابن حزم وابن عبد البر) ، كتب هؤلاء مؤلفاتهم وتواريخهم وفي جزء منها لزعمائه ،
ومنهم :

صالح بن سيد ، و ((كان ادبياً تاريخياً ، وله تاريخ سماه وسطى السلوك ذكر فيه بناء
المعتمد محمد بن عباد الحصن الزاهر))^(٦٩) ، ومنهم ابن علقمة محمد بن الخلف بن
الحسن الصدي (ت ٥٠٩ هـ / ١١١٦ م) وهو ((من اهل بلنسية وصاحب تاريخها

... وألف تاريخاً في تغلب الروم على بلنسية قبل الخمسمائة سماه بالبيان الواضح في العلم الفادح ((^(٧٠)).

وذكر ابن قاسم الشلبي (عاش بين القرنين الخامس والسادس الهجري) وله تاريخ مجموع في أخبار المعتمد بن عباد أشاد به ابن الأبار واعتمد روايته بخصوص بعض الأخبار كونه ((أمتن علماً بها ، واحسن سرداً لها))^(٧١) ، وكذلك احمد بن محمد بن زيدون المخزومي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) ((وكان من أكابر بيتات قرطبة حسباً ونباهة وجلالة في العلم وضبطاً وحقاً وإتقاناً ، ذا معرفة بالأدب والتواريخ))^(٧٢) ، وكان لعمره المديد واطلاعه الواسع على تاريخ بني أمية في الأندلس أثر في اندفاعه لتسجيل اخبارهم وسير ملوكهم وأعيانهم فأملى على أخيه المسمى زيدون كتاباً في أمراء بني أمية وبني هاشم سلك فيه مسلك المسعودي في كتابه التعيين في خلفاء المشرق وسمى مصنفة التبيين في خلفاء بني أمية بالأندلس^(٧٣) .

وأبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي الرشاطي (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) الفقيه النسابة ، و((كانت له عناية كثيرة بالحديث والرجال ، والرواة والتواريخ ، وله كتاب حسن سماه كتاب اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار ، أخذ الناس عنه واحسن فيه وجمع وما أقصر ، وهو على أسلوب كتاب أبي سعد بن السمعاني الحافظ الذي سماه بالأنساب))^(٧٤) ، كتاب غريب ، كثير الفوائد جامع^(٧٥) .

ثم لا ننسى دور المكتبات المهمة ، ورعايتها ، والشغف العارم باقتناء المؤلفات مثل استمراراً لتطورها وكان العصر الأموي في الأندلس خير محطة له ، وفي هذا الصدد يقول ابن اللبانة واصفاً شرف الدولة بن المعتمد بن عباد بأنه كان ((حريص على طلب الأدب ، مسارع في اقتناء الكتب ، مثابر على نسخ الدواوين ، مفتاح فيها من خطه زهر الرياحين))^(٧٦) .

لا بل وصلت الهمة إلى مصادرة الكتب من اصحابها ، فمن العلماء عبد الله بن حيان الأرنيشي ، نزيل بلنسية ((وكانت له همة عالية في اقتناء الكتب وجمعها ،

ذكر ابن علقمة في تاريخه : أن ابن ذي النون ، صاحب بلنسية ، اخذ كتب الأرنيشي من داره ، وسيقه إلى قصره ذلك مائة عدل ، وثلاثة وأربعون عدلاً من أعدال الحماليين ، يقدر كل عدل منها بعشرة أرباع ، وقيل : إنه كان قد اخفى منها نحو الثلث ((^(٧٧)).

ولا بد لنا من وقفة أخيرة عند جانب مهم ، فوجود هذا التعاطي الإيجابي مع الجانب العلمي ، هل يعدّ تزكية لزعماء الطوائف ؟ أبداً ، ولكن لا يمكن انكار مساهمة بعضهم في دفع عجلة العطاء والابداع إلى الإمام ، ودون أن نغفل أنهم بنوا منجزهم هذا على تراكمات عهد متطور ، واستكملوا عمل من سبقهم ، مثلما ان عدداً من العلماء عاشوا خلال الحقبين واستمروا في عطاءهم .

والمهم لدينا هنا أن تجمع كل تلك العوامل ، من حكام متميزين ، وعلماء كبار ، وبيئة مستقرة محفزة على التعلم والتعاطي مع صنوف المعرفة ، ومكتبات تزود الطلبة والعلماء بكل ما هو مطلوب من معلومات ، أن كل ذلك شكل تراكماً مهماً ، وبيئة منتجة للتطور الفكري الذي أصاب الكثير من العلوم وفي مقدمتها كتابة التاريخ .

ثانياً :التأثير الإسلامي

ارتبط تطور الفكر التاريخي لدى المسلمين بعامل مهم كان له الأثر البالغ في تكوين المؤرخين المعرفي والثقافي ، ألا وهو تأثير الإسلام على هذا الجانب ، والدفعات المهمة التي حققها في هذا المجال .

ومع أن عصر العرب قبل الإسلام شهد أشكالاً من الروايات التاريخية ، واهتماماً بالأيام والأنساب ، إلا إنها ظلت ثقافة شفوية ، خالية من أي نظرة تاريخية ، ومجموعة معارف لم ترق إلى مصاف العلوم ذات القواعد والأسس الثابتة والمدونة كما حصل بظهور الإسلام^(٧٨).

ومن بين الإشارات الكثيرة التي زخر بها القرآن الكريم وحملت لمحات تاريخية مهمة ، يمكننا الوقوف عند آيتين :

إذ يقول جل وعلا : ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ ^(٧٩) ، ويقول تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ^(٨٠) ، وفي الحقيقة ان هاتين الآيتين مثلتا محور النظرة القرآنية لعلم التاريخ ، وهو ما يهمننا بالدرجة الأساس ، ناهيك عن النظرة القرآنية لحركته مما ليس هناك مجال لبحثها هنا ، فالحياة فكرتها تداول مستمر ، وانتقالات متعددة من ((فرح وغم ، وصحة وسقم ، وغنى وفقر ، والدولة : الكرة)) ^(٨١) ((ويعني بقوله نداولها بين الناس نجعلها دولاً بين الناس مصرفة ، ويعني ب الناس المسلمين والمشركين)) ^(٨٢) .

((والمعنى أن أيام الدنيا هي دول بين الناس فيوم لهؤلاء ويوم لهؤلاء)) ^(٨٣) .
أما الآية الثانية ، فتجعلنا قبالة دعوة وحث واضح ومباشر للاستفادة من التاريخ الذي يقدمه القرآن الكريم بصورة القصص ، مما يوقفنا على ((خبر المرسلين مع قومهم وكيف نجينا المؤمنين وأهلكنا الكافرين (عبرة لأولى الألباب) وهي العقول)) ^(٨٤) ، والعبرة هي ((الموعظة .. والعبرة الحالة التي يتوصل بها الإنسان من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد)) ^(٨٥) ، مثلما إنها ((فكرة وتذكرة وعظة)) ^(٨٦) .
والرسالة ((للمشركين من قريش من قوم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، لقد كان لكم أيها القوم في قصصهم عبرة لو اعتبرتم به أن الذي فعل ذلك بيوسف وإخوته، لا يتعذر عليه فعل مثله بمحمد صلى الله عليه وسلم فيخرجه من بين أظهركم ، ثم يظهره عليكم ، ويمكن له في البلاد ، ويؤيده بالجند والرجال من الأتباع والأصحاب ، وإن مرت به شدائد وأتت دونه الأيام والليالي والدهور والأزمان)) ^(٨٧) .
إن الوقوف عند هذه الأقوال يجعلنا ندرك أبعاد النقلة الكبيرة التي حققها الإسلام في تطور الفكر التاريخي ، وذلك من خلال :

١ . الاهتمام البالغ بالتاريخ ، وآية ذلك المساحة الواسعة التي تضمنها القرآن الكريم لقصصه وحوادثه .

٢. التاريخ فرصة للإطلاع على مجريات الأحداث ، وذلك الإطلاع مرتبط بشكل أساسي بـ (العبرة) منها وهي غايته الأساسية .

٣. إن فكرة التاريخ إنما تقوم على أساس فكرة التداول ، والتقلب في الأحداث والأحوال .

لقد كانت الإشارات التي تضمنها القرآن الكريم بخصوص التاريخ مهمة جداً ، وعاملاً دافعاً للمسلمين كي ينتبهوا إلى هذا الفرع المعرفي المهم ، وثمة حقيقة أساسية تبرز واضحة في القرآن الكريم ، تلك هي أن مساحة كبيرة في سوره وآياته قد خصصت (للمسالة التاريخية) التي تأخذ أبعاداً واتجاهات مختلفة وتندرج بين العرض المباشر والسرد القصصي (الواقعي) لتجارب عدد من الجماعات البشرية ، وبين استخلاص يتميز بالتركيز والكثافة للسنن التاريخية التي تحكم حركة الجماعات عبر الزمان والمكان (٨٨) .

إن القرآن الكريم يقدم أصول منهج متكامل في التعامل مع التاريخ البشري والانتقال بهذا التعامل من محاولة العرض والتجميع فحسب ، إلى محاولة استخلاص القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية . التاريخية (٨٩) .

وهذا الفهم والتصور لم يكن غائباً عن علماء الأندلس حتى ولو بصورته العامة وهم يتقدمون نحو خوض غمار هذا العلم ، ذلك أن أغلب المؤرخين البارزين الذين ظهروا إنما كانوا يحملون إلى جانب تخصصهم التاريخي ملكة علمية شرعية كانت هي الأساس في بعض الأحيان ، فعبد الملك بن حبيب كان كما قدمنا حافظاً للفقهاء (٩٠) وعالم الأندلس ، وكان رأساً في مذهب مالك (٩١) ، مثلما رأينا لدى العلامة ابن حزم الأندلسي الذي غدا زعيماً للمذهب الظاهري وكان محدثاً مرموقاً تتلمذ على يدي مجموعة من شيوخ عصره البارزين ((حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه ، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة)) (٩٢) ، أما ابن عبد البر فهو ((فقيه حافظ مكثّر ، عالم بالقراءات وبالخلاف في الفقه ، ويعلم الحديث والرجال)) (٩٣) وغيره كثير .

كما إن طريقة التعليم في الأندلس كانت تعزز الارتباط بكتاب الله العظيم ، فهم كما يقول ابن خلدون في مقدمته : ((مذهبهم تعليم القرآن .. وهذا الذي يراعونه في التعليم ، إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسه ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلاً في التعليم)) (٩٤) .

وانعكست هذه الثقافة الشرعية فضلاً عن الاهتمام بعلم التاريخ وتطوير المدارك الخاصة ، وتأسيس المعرفة التاريخية على ضوءها في مدونات المؤرخين الأندلسيين الذين كانوا وهو يكتبون يشعرون ويشعرون بأنهم داخل هذه الدائرة ولم يخرجوا منها . فلما يخصص ابن عبد البر حديثه عن مكانة العلوم ومراتبها يجعل هدفه متماشياً مع الغاية الشرعية من العلوم ، ويقول مخاطباً من سألته التأليف : ((فأجبتك إلى ما رغبت، وسارعت فيما طلبت رجاء عظيم الثواب ، وطمعاً في الزلفى يوم المآب ، ولما أخذ الله تعالى على المسئول العالم بما سئل عنه من بيان ما طلب ، وترك الكتمان لما علمه ، قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ (٩٥))) (٩٦) .

وبلاحظ أنه يجعل السلسلة مترابطة بين معرفة كتابة الله ، والسنة النبوية ، وتاريخ الصحابة ، فيقول ((إن أولى ما نظر فيه الطالب ، وعني به العالم - بعد كتاب الله عز وجل - سنن رسول صلى الله عليه وسلم ، فهي المبينة لمراد الله عز وجل من مجملات كتابة ... ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها ، والمؤدية إلى حفظها ، معرفة الذين نقلوها عن نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ، إلى الناس كافة ، وحفظوها عليه ، وبلغوها عنه ، وهم صحابته الحواريون الذين وعوها وادوها ناصحين محسنين ، حتى كمل بما نقلوه الدين ، وتبنت بهم حجة الله تعالى على المسلمين ، فهم خير القرون ، وخير أمة اخرجت للناس ..)) (٩٧)

ولا يختلف ابن حزم ، وهو الفقيه الظاهري والعالم الشرعي ، في تبيان سبب التأليف في باب النسب ، وهو شكل من أشكال التدوين التاريخي ، إذ يربط بينها وبين الدوافع الشرعية ، فيقول ((فأما الغرض من علم النسب فهو ان يعلم المرء ان محمداً - صلى

الله عليه وسلم - الذي بعثه الله تعالى إلى الجن والإنس بدين الإسلام ، هو محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي ، الذي كان بمكة ورحل منها إلى المدينة .. ومن الفرض في علم النسب ان يعلم المرء أن الخلافة لا تجوز إلا في ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ... الخ)) (٩٨) .

ويذكر ابن بشكوال (٩٩) (ت ٥٧٨هـ/١١٨٣م) : ((إليه عز وجهه ، نتضرع في أن يجعلنا ممن تعلم العلم لوجهه ، وعني به في ذاته ، فإنه على ذلك ، وعلى كل شيء قدير)) (١٠٠) ، فالعلم وطلبه ، ومضامينه لا تخرج كلها عن الإطار الإسلامي .
اما ابن خلدون ، صاحب النظرية المهمة في فهم التاريخ ، فتبدو المعرفة الشرعية التي لم يكن بعيداً عنها مطبوعة في تدوينه ، ابتداءً من المقدمة وخلال كتابه العبر ، فيقول رابطاً بشكل بديع بين المعاني القرآنية وبين ما تشكل لديه من فهم لعلم التاريخ ، فيقول :

((الحمد لله الذي له العزة والجبروت .. انشأنا من الأرض نسماً ، واستعمرنا فيها أجيالاً وأممًا ، ويسر لنا منها أرزاقاً وقسماً ، تكفينا الأرحام والبيوت ، ويكفلنا الرزق والقوت ، وتبلينا الأيام والوقوت ، وتعتورنا الآجال التي خط علينا كتابها الموقوت ، وله البقاء والثبوت ، وهو الحي الذي لا يموت ...)) (١٠١) ، فكأنه هنا اختصر حركة التاريخ الإنساني برمتها بهذه الأسطر بين الولادة والممات ، بين انبعاث الدول وهرمها واحتضارها ثم الممات والاندثار .

وهو يفتتح تاريخه معبراً عن هذا الفهم بالقول : ((اعلم أن الله سبحانه وتعالى اعتمر هذا العالم بخلقه وكرم بني آدم باستخلافهم في أرضه ، وبثهم في نواحيها لتمام حكمته ، وخالف بين أممهم واجيالهم إظهاراً لآياته ، فيتعارفون بالأنساب ، ويختلفون باللغات والألوان ، ويتميزون بالسير والمذاهب والأخلاق ، ويفترقون بالنحل والأديان والأقاليم والجهات)) (١٠٢) ، ونحن إن استحضرننا من جديد الآيتين اللتين تكلمنا عنهما لوجدنا ابن خلدون والآخرين لا يخرجون عن دائرتها ، ويعبرون عن فهمهم لها (١٠٣) .

لقد أسهم القرآن الكريم عبر حثه على دراسة التاريخ ابتداءً في إيجاد نزوع لدى الكثيرين للتخصص بهذا الميدان ، ليس هذا فحسب وإنما تمثل الفكر التاريخي القرآني إن صح القول في كتاباتهم التي جاءت زاخرة بالاستشهادات القرآنية ، كما نجد وعياً واضحاً بالآيات القرآنية التي تتحدث عن العلية والتداول الحضاري ، كما سنرى مثلاً لدى ابن حيان الذي يختم فصول مؤلفاته أو يعقب على الأحداث الجسام بذكر الآيات الكريمات ذات العلاقة بها ، أو لسان الدين بن الخطيب إذ يخصص في مقدمة كتابيه الاحاطة واللحمة البدرية فقرات للحديث عن التداول والتعليل مرتكزاً على آيات الكتاب الكريم ، مما يعزز القول بوجود هذا التأثير البالغ على مسيرة تطور الفكر التاريخي في الأندلس .

ثالثاً : التأثير المشرقي وحركة الترجمة

ارتبطت حركة التأليف التاريخي في الأندلس منذ نشأتها بالشرق ، اهتماماً وتأثراً وإنتاجاً ، لذا جاء الاسهام في مراحل الأولى حاملاً هذه السمات المشرقية بما لم يمنح النتاج الأندلسي خصوصيته المنشودة ، وهو ما ظهر واضحاً في المؤلف المنسوب لعبد الملك بن حبيب والذي عرضناه في المبحث الأول من هذه الدراسة .

لم يكن هذا التأثير غريباً إذا ما وضعنا نصب أعيننا الرحلات العلمية الأندلسية المستمرة والمتوجهة إلى بلدان المشرق وفي مقدمتها بغداد عاصمة الخلافة العباسية والتي تميزت بعلاقاتها مع الأندلس ولاسيما في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ، فقد رحل الأندلسيون عن بلدانهم ، وضربوا في طول البلاد الإسلامية وعرضها طلباً للمعرفة ورغبة منهم في سعة الرواية ، ضاربين أروع الأمثلة في طول الغياب وتحمل الغربة عن بلادهم من أجل العلم ، ولجأوا لتخفيف عبء الرحلات الفردية ومساقها إلى الرحلة الجماعية .

إن قراءة كتب التراجم الأندلسية توقفنا على صور عديدة ونماذج بديعة لتلك الرحلات التي وصلت مدد بعضها إلى إثني عشر عاماً مثلما كانت رحلة داود بن

هذيل الطليطلي (ت ٣١٥ هـ)^(١٠٤) او أربعة اعوام وأربعة أشهر كما هو حال محمد بن قاسم القرطبي (ت ٣٢٧ هـ)^(١٠٥) وأربعين شهراً مثل منذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م)^(١٠٦) ، وبقي عبد الملك بن العاصي (ت ٣٣٠ هـ / ٩٤٢ م) بضعة عشر عاماً^(١٠٧) ، ورحل خلف بن قاسم الأزدي (ت ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م) وتردد نحو خمس عشر سنة^(١٠٨) ، وبقي عيسى بن اسحق بالمشرق أربعاً وعشرين سنة^(١٠٩) ، والنماذج كثيرة يوثقها لنا المقري في نفح الطيب حيث خصص صفحات عديدة في ترجمة من هاجر من الأندلس إلى المشرق منذ فتحها إلى عصره ، وبما يقرب من ٣٠٥ ترجمة عكست بشكل واضح وبارز الحركة الدائبة التي كانت عليها الأندلس في توجهها نحو المشرق وعملية تحصيل العلوم والمعرفة التي تواصلت دون انقطاع^(١١٠).

ولا أدل على هذا التأثير من استمرار الوفادة المشرقية إلى الأندلس في زمن الطوائف وعلى الرغم من سوء الأوضاع ، فابن بسام جعل القسم الرابع من ذخيرته في ذكر الكتاب الوزراء والأعيان الادباء والشعراء ، الوافدين على جزيرة الأندلس ، والطارئين عليها ، من أول المائة الخامسة من الهجرة إلى سنة اثنتين وخمسمائة ، وبينه بافتخار إلى إن هذه الطائفة لم يسمُ إلا بالأندلس ذكرهم ، ولا طار إلا بمدح ملوكنا شعرهم^(١١١) ، وغني عن القول أن تخصيص قسم خاص لهؤلاء دليل كثرة واستمرارية ، وتمازج ثقافي لم يكن علم التاريخ دون شك بعيد عنه .

ولعل واحدة من جوانب هذا الموضوع التي تهمننا هنا الكتب والمؤلفات التي ادخلها الأندلسيون إلى بلادهم ونقلوها من المشرق ، وهي متنوعة نقطف منها نماذج فحسب .

فمن كتب السيرة ، ادخلوا مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تأليف موسى بن عقبة (ت ١٤١ هـ / ٧٥٦ م) وكتاب سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمحمد بن إسحاق المطلبي (ت ١٥١ هـ / ٧٦٨) رواه بالأندلس كل من إبراهيم بن حسين بن خالد (ت ٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م) ، والسير لسعيد بن يحيى الأموي

(ت ٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م) ، سيرة رسول الله ومغازيه لمحمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢١ م) ^(١١٢) .

ومن كتب التاريخ العام ، التاريخ لخليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠ هـ / ٨٤٥ م) في عشرة أجزاء، انفرد بإدخاله إلى الأندلس بقي بن مخلد (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) ثم رواه عنه عبد الله بن يونس القبري (ت ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م) وغيره كتاب التاريخ لأبي بكر بن محمد بن علي بن مروان البغدادي وهو في ستة أجزاء رواه أحمد بن سعيد بن حزم المنتجيلي (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) كتاب التاريخ لأبي زرعة عبد الرحمن بن صفوان الدمشقي (ت ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م) في خمسة أجزاء روي من قبل خلف بن قاسم المعروف بابن الدباغ (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م) ، وكتب التاريخ لأحمد بن زهير بن أبي خيثمة (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) رواها قاسم بن أصبغ البلياني (ت ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م) الذي يعد من أشهر الأندلسيين الذين تلقوا العلم على ابن أبي خيثمة، وقد لاقت كتبه اهتماما كبيرا من الأندلسيين، وأقبل الناس على من أدخلها إلى الأندلس ولابن خيثمة كتاب في التاريخ بلغت أجزاءه مئة مجلد ^(١١٣) .

ومن كتب سير الخلفاء ، كتاب الخلفاء للمدائني ، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله ، وسيرة عمر بن عبد العزيز . رضي الله عنه . وزهده في خمسة أجزاء لأحمد بن إبراهيم الدروقي (ت ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م) ^(١١٤) ، وكتب أخرى تتعلق بأحداث وقعت بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - كالردة، والفتوح والغزوات ببلاد الشام، والعراق وفارس ومصر والمغرب، ومن هذه الكتب كتاب الردة والفتوح لمحمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م)، وكتاب الدار ومقتل عثمان لعمر بن شيبه النمري البصري (ت ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م) في سبعة أجزاء ، وكتاب فتوح الشام لأبي إسماعيل محمد بن عبد الله الأسدي (ت بعد ١٩٠ هـ / ٥٠٥ م) ، وكتاب فتوح مصر وإفريقيا لابن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م) ، كما يذكر ابن خير كتابين كان مخصصين للحروب (الفتن) والجهاد ^(١١٥) .

واهتم الأندلسيون بتاريخ المدن والبلدان ومن الكتب التي أدخلوها بعد سماعهم إياها في المشرق فضائل مكة وفضائل الكعبة لأبي الحسن محمد بن نافع الخزاعي ، وتاريخ مصر لمؤلفه ابن الحسن أحمد بن أبي موسى بن يونس الصدي (ت ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م) ، وكتاب أخبار مكة أعزها الله وفضائلها لأبي الوليد محمد بن الوليد الأزرق في ثلاثة عشر جزءا ، وكتاب أخبار بيت المقدس تأليف أبي العباس أحمد بن خلف بن محمد السبجي^(١١٦) ، كما أدخل الأندلسيون كتب النسب واهتموا بكتاب النسب لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م) ، وكذلك كتاب النسب للزبير بن بكار الأسدي (ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م)^(١١٧) .

ناهيك عن ادخال أعداد كبيرة من كتب تراجم الرجال على أيدي الطلاب العائدين من المشرق ومن أوائلها: كتاب خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) في الطبقات على يد بقي بن مخلد (ت ٢٧٦ هـ / ٨٥٩ م) ، وكتاب المولد والوفاة لأبي بشر الدولابي (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م) ، وكتاب الكامل في معرفة الرجال لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥ هـ / ٩٧٦ م) ، وكتاب معجم الصحابة لعبد الباقي بن قانع القاضي البغدادي (ت ٣٥١ هـ / ٩٦٣ م) ، وكتاب الضعفاء والمتروكين لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي (ت ٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م) ، وكتاب الأسماء والكنى لأبي محمد عبد الله بن علي بن الجارود (ت ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م)^(١١٨) .

كما كان للوجه الثاني من الرحلة والتي كانت من المشرق إلى الأندلس إسهاماً في نقل المعرفة المشرقية وبثها في الأندلس بواسطة علماء مشهورين في مختلف المعارف بما فيها التاريخ، فقد دخلها جماعة ممن لهم اهتمام بالأخبار، فكان محمد بن الحسين التميمي قد دخل الأندلس سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م) حافظاً للأخبار عالماً بالأنساب ، وقد رحل أحمد بن الفضل بن العباس البهراني الدينوري إلى الأندلس سنة (٣٤١ هـ / ٩٥٢ م)، بعد أن لقي محمد بن جرير الطبري وخدمه وتحقق به وسمع منه مصنفاته وأدخلها معه ، ودخل الأندلس أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشيباني، وله

تأليف: منها لقيط المرجان ، وهو أكبر من عيون الأخبار ، وحدث إبراهيم بن بكر الموصلي بعد قدومه للأندلس واستقراره بمدينة اشبيلية بكتاب الضعفاء والمتروكين لأبي الفتح محمد بن الحسين بن أحمد الأزدي الموصلي ^(١١٩).

وتوقفنا كتب التراجم على نماذج كثيرة لعلماء رحلوا في طلب العلم إلى العراق ومصر ومكة وغيرها ، وعادوا ومعهم علم المشرق وفي مختلف التخصصات التي عدت غريبة عن الأرض الأندلسية وقتذاك ، ومنهم :

((احمد بن خالد بن عبد الله بن قبيل بن يبقى (ت ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م) وأدخل الأندلس كتباً غريبة تفرد بروايتها ، فسمعها الناس منه قديماً وحديثاً)) ^(١٢٠).

و ((فرح بن سلام ، من أهل قرطبة .. كان معتنياً بالأخبار والأشعار والآداب ، وكان يتطبب ، ورحل إلى المشرق ، ودخل العراق ، فلقى عمرو بن بحر الجاحظ ، وأخذ منه كتاب البيان والتبيين وغير ذلك من مكتوباته ، وأدخلها الأندلس رواية عنه)) ^(١٢١) ، و ((أحمد بن محمد بن هارون البغدادي .. أدخل الأندلس بعض كتب أبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، رواية عن أبنه أبي جعفر ، وبعض كتب عمرو بن بحر الجاحظ رواية)) ^(١٢٢).

وأيوب بن سليمان بن حكم بن بلকাশ ت ٣٢٦ هـ / ٩٣٨ م ((ادخل كثيراً من كتب العراقيين)) ^(١٢٣) ((وكان مما أنفرد به بقي بن مخلد ولم يدخله سواه : مصنف أبي بكر بن أبي شيبة رحمه الله بتمامه وكتاب الفقه لمحمد بن ادريس الشافعي الكبير بكماله ، وكتاب التاريخ لخليفة بن خياط وكتابه في الطبقات وكتاب سير عمر بن عبد العزيز رحمه الله للدورقي)) ^(١٢٤).

وابن يحيى العوفي ت ٣٠٢ هـ ((وعني بجمع الحديث واللغة هو وأبوه ، فأدخلا الأندلس علماً كثيراً ، ويقال : إنهما أول من أدخل إلينا كتاب العين)) ^(١٢٥).

ولعل مما يرتبط بهذا الجانب حركة الترجمة وتأثيرها على تطور الفكر التاريخي لدى أهل الأندلس ، وإنما ذكرناه هنا مرتبطاً بالتأثير المشرقي كون الترجمة أُنعت وتطورت في بغداد وآتت ثمارها عبر بيت الحكمة ، إذ استطاع المسلمون ومن خلال

تلك الحركة والمثابرة التي امتدت إلى منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي أن يقفوا على تراث اليونان والفرس والهنود وغيرهم من أصحاب الحضارات العريقة^(١٢٦).

وعلى الرغم من كون انطلاقة الترجمة بشكلها المنظم حدثت بعد تأسيس بيت الحكمة في بغداد ، لكن نصوصاً مهمة وردت لنا تشير إلى إن الاهتمام بهذا الأمر ، بدأ منذ عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ، ثم هارون الرشيد ، ووصلت الترجمة ذروة نشاطها في زمن الخليفة المأمون^(١٢٧) ، فابن المقفع (ت ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م) ((كان احد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي مضطلعاً باللغتين فصيح بهما ، وقد نقل عدة كتب من كتب الفرس ...))^(١٢٨) ، والبطريق ((كان في أيام المنصور ، وأمره بنقل أشياء من الكتب القديمة ، وله نقل كثير جيد))^(١٢٩) ، وأبو سهل الفضل بن نوبخت ((كان في خزانة الحكمة لهارون الرشيد ، ولهذا الرجل نقل من الفارسي إلى العربي ، ومعه في علمه على كتب الفرس ..))^(١٣٠) ، و((علان الوراق .. ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة))^(١٣١).

كما كانت خزانة المأمون عامرة بالكتب ، على اختلاف أنواعها ، ناهيك عن اتساع حركة النسخ بشكل ملفت ، ولعل واحدة من وسائل الحصول على الكتب إنها جاءت نتيجة للعلاقات مع الروم ، إذ ((ان المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات ، وقد استظهر عليه المامون ، فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم ، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع ، فاخرج المأمون لذلك جماعة ... فأخذوا مما وجدوا مما اختاروا ... فحاثوهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والارثماتيقي (علم العدد) والطب))^(١٣٢).

ومنهم الحجاج بن مطر ، ((نقل للمأمون ، ومن نقله كتاب أقليدس .. كان من متوسط النقل ، وهو إلى الجودة أميل))^(١٣٣) ، و((علي بن يحيى المعروف بابن

المنجم أحد كتاب المأمون وكان نديماً له ، وعنده فضل ، ومال إلى الطب فنقلوا له كتباً كثيرة)) (١٣٤) .

ولو التفتنا إلى انعكاسات تأثير الترجمة على الحركة العلمية ، لوجدناها واسعة الأثر متمثلة بإقبال العلماء في مختلف صنوفهم على الكتب والمؤلفات العلمية الأخرى، ومن هؤلاء الأطباء ، إذ خصص ابن أبي أصيبعة (١٣٥) (٥٩٦هـ/١٢٠٠م - ٦٦٨هـ/١٢٧٠م) باباً كاملاً من كتابه في ذكر ((طبقات الأطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي ، وذكر الذين نقلوا لهم)) ومنهم ((جورجس : وهو أول من ابتدأ في نقل الكتب الطبية إلى اللسان العربي ، عندما استدعاه المنصور ، وكان كثير الإحسان إليه)) (١٣٦) .

و تادرس الأسقف و ((كان أسقفاً في الكرخ ببغداد ، وكان حريصاً على طلب الكتب متقرباً إلى قلوب نقلتها ، فحصل منها شيئاً كثيراً ، وصنف له قوم من الأطباء النصارى كتباً لها قدر وجعلوها باسمه)) (١٣٧) .

ومن الأسماء التي تخصصت بهذا الشأن عيسى بن يونس الكاتب الحاسب وكان ((من جملة الفضلاء بالعراق ، وكان كثير العناية بتحصيل الكتب القديمة والعلوم اليونانية)) ومحمد بن عبد الملك الزيات ((وكان يقارب عطاؤه للنقلة والنساخ في كل شهر ألفي دينار ، ونقل باسمه كتب عدة)) (١٣٨) .

وعلى الرغم من أننا لا نملك تحديداً لبداية هذا النشاط المعرفي المهم ، إلا أننا نظن ظناً أن ما عرفه القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي من نشاط للمترجمين انتهت إلينا بعض آثاره لا يؤلف البواكير الأولى لهذه الحركة ، ونظن كذلك أنه كان مسبقاً بمبادرات وجهود لعلنا أن نستطيع استخلاص بعض سماتها من خلال ما ترويه المصادر من أخبار عن دخول الترجمات المشرقية إلى الأندلس واحتفاء الناس بها من جهة ، وانتفاعهم ببعض ما كان وقع لهم من التراث اللاتيني في الطب والفلك وغيرهما من جهة ثانية .

ويمكن القول بأن معرفة الأندلس بآثار الترجمة ابتدأت في وسط المائة الثالثة من تاريخ الهجرة ، وذلك ((إنه لما كان وسط المائة الثالثة من تاريخ الهجرة ، وذلك في أيام الأمير الخامس من ملوك بني أمية وهو محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بالأندلس تحرك أفراد من الناس إلى طلب العلوم ، ولم يزلوا يظهرون ظهوراً غير شائع إلى قريب وسط المائة الرابعة ..))^(١٣٩) ، و((لما مضى صدر من المائة الرابعة انتدب الأمير الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ، وذلك في أيام أبيه إلى العناية بالعلوم وإلى الثبار أهلها واستجلب من بغداد ومصر وغيرهما من ديار المشرق عيون التواليف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة وجمع منها في بقية أيام أبيه ثم في مدة ملكه من بعده ما كاد يضاهي ما جمعه ملوك بني العباس في الأزمان الطويلة ، وتهايا له ذلك لفرط محبته للعلم وبُعد همته في اكتشاف الفضائل وسمو نفسه إلى التشبه بأهل الحكمة من الملوك فكثرت تحرك الناس في زمانه إلى قراءة كتب الأوائل وتعلم مذاهبهم))^(١٤٠) .

ولا نستبعد أن يكون هؤلاء جميعاً (المرتحلين للمشرق ولالأندلس) حملوا معهم فيما حملوا من المؤلفات والنصانيف كتب الأوائل المترجمة في الفلك والحساب والهندسة، والطب وعلوم أخرى^(١٤١) .

إن التمازج المعرفي بين علوم المشرق ، والأمم الأخرى ، ومعرفة الأندلسيين التي كانت قد بدأت تتكون للتو ، مثل حالة من الإثراء المهم متعدد المشارب والأمزجة، فبلغت معارف المسلمين شأواً رفيعاً من النضج والاستواء والاستيعاب تمثل فيما تم وضعه أصلاً منها أو فيما نقل إليها من اللغات الأخرى يونانية ، وسريانية وفارسية وهندية وغيرها ، فأتيح لها ، أي معارف المسلمين ، أن تجمع بين تراث لها أصيل ، وتراث لغيرها من الأمم في العلم والفكر وفن القول وسعته اللغة العربية ترجمة ، وشرحاً، وتنقيحاً ، وتهذيباً ، وقد نهضت الأندلس بدور بالغ الأهمية في القيام على تلك المعارف خير قيام من جميع ، وشرح ، وترجمة^(١٤٢) .

وبدل نص مهم في ترجمة ابن باجة^(١٤٣) (٤٨٧ هـ / ١٠٩٥ - ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م) على انتشار كتب الأمم الأخرى في شتى المعارف ، ومنها الفلسفة ، إذ يقول : ((هذا مجموعة ما قيد من أقوال أبي بكر بن الصائغ رحمه الله في العلوم الفلسفية ، وكان ذا ثقابة الذهن ، ولطف الغوص على تلك المعاني الشريفة الدقيقة أعجوبة دهره ، ونادرة الفلك في زمانه ، فإن هذه الكتب كانت متداولة بالأندلس ، من زمان الحكم مستجلبها ومستجلب غرائب ما صنف بالمشرق ، ونقل من كتب الأوائل وغيرها ، نصر الله وجهه وتردد النظر فيها))^(١٤٤).

أما نصيب التاريخ من الكتب المترجمة التي وصلت إلى الأندلس ، فتذهب المصادر أنه أهدى للخليفة الناصر كتاب في التاريخ وعنوانه (كتب التاريخ السبعة في الرد على الوثنيين) ومؤلفه هو باولوس أوريسسيوس أو هروشيئ في نطق الأندلسيين ، وهو مؤرخ اسباني عاش في القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد ، والكتاب في تاريخ الروم ضمنه صاحبه (أخبار الدهور وقصص الملوك الأول وفوائد عظيمة) ومثل هذه المزايا العلمية في الكتاب إلى توافر العارفين يومئذ في قرطبة باللغة المكتوب بها وهي اللاتينية ، كانت حرية بأن تحمل القائمين على حركة التأليف والترجمة بإعداد ترجمة عربية لكتاب هروشيئ يرجح أنها تمت على أيام ولاية الحكم المستنصر للعهد أي قبل ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م .

أما المؤلفات التاريخية التي ترجمت إلى العربية فمنها كتاب التاريخ لهروشيئ (عاش بين القرنين ٤ و ٥ للميلاد) وكتاب لسان ازيدور الإشبيلي يتناول فيه تاريخ القوط ، ويرى حسين مؤنس أن أحمد الرازي استفاد من هذه الترجمة في وضع مقدمة جغرافية لمؤلفه الثاني كما فعل هيروشيئ ، ومن بعده سار الكثير من مؤرخي الأندلس على هذه القاعدة حيث كانوا يبدأون مؤلفاتهم التاريخية بالوصف الجغرافي أي وصف الميدان قبل ذكر الوقائع ، فأصبحوا جغرافيين ومؤرخين في آن واحد^(١٤٥) .

وثمة شواهد أخرى من كتب التاريخ الأندلسي تشير إلى اطلاع المؤرخين على كتب الأمم الأخرى ، ومنها ما سجله ابن عذاري المراكشي بقوله ((وجدت في بعض

كتب العجم أن آخر ملوك الأندلس كان يسمى وخشتنش ((^(١٤٦))) (وفي كتب العجم أن رذريق هذا لم يكن من بيت المملكة)) (^(١٤٧)) ، و ((قال مؤلف كتاب بهجة النفس : ورأيت في بعض كتب العجم أن المسلمين انتهبوا إلى مدينة لوطون قاعدة الإفرنج ، ولم يسبق لأهل الإسلام شيء لم يتغلبوا عليه مما وراء ذلك إلا جبال قرقوشة وجبال بنبلونة، وصخرة جليقية)) (^(١٤٨)) ، مما ينبىء عن انتشار لهذه الكتب ومعرفة المؤرخين الأندلسيين والمغاربة بها .

ويقول العذري متحدثاً عن أشبيلية ((ذكر بعض الكتب المؤرخة للأخبار القديمة أن أشبان بن طيطش من نسل طوبال كان احد الأملاك الأشبانيين خص بملك أثر الدنيا ، وأن بدء ظهوره كان من أشبيلية ، فغلظ أمره وبعد إسمه ، وتمكن في كل ناحية سلطانه)) (^(١٤٩)) .

ونلمح معرفة كذلك وإشارات لبعض المؤرخين ومنهم اشيزر ، فقد ((وولي امر القوط بعد ملوك منهم ششغوط في سنة خمسين وستمئة من تاريخ الصفر . وهو الذي ضم اليهود إلى دين النصرى قسراً ، وكان بصيراً بالكلام ، عارفاً بالكتاب ، وكان عصره عصر علوم وأهله أهل تهمة ، وفي أيامه كان اشيزر العالم بعلم الكتاب)) (^(١٥٠)) . وعلى الرغم من ضالة العناوين التاريخية التي تمت ترجمتها ، إلا أننا نعتقد أن حركة الترجمة لم ينحصر في إثراء عناوين الكتب التاريخية في مكتبات الأندلسيين العامة فحسب ، وإنما في إحداث تحفيزاً للفكر ، ومنح العقل المسلم في تلك الأرض آفاقاً أفاد منها في تأسيس المعرفة التاريخية التي أخذت حيزها الكبير والمتطور فيما بعد .

رابعاً : التراجع السياسي

لا يمكن التعامل مع النص التاريخي . في أي وقت أو زمان . بمعزل عن العصر الذي كتبه فيه مؤلفه ، ذلك إنه يمثل حالته وقت كتابته ، ويعكس الجو الذي يحيط به على مستوى الصور التي يرسخها أو التعابير التي يستعملها .

وهو ما حصل في الأندلس ، حين وقعت الفتنة القرطبية الحادة ، هزت الأرض الأندلسية بما حملته من ظواهر لم تألفها ، وحوادث مزقت نسيجها السياسي عبر الغاء الخلافة الأموية بشكل رسمي ، وتأثر كافة جوانب الحياة الأندلسية بما حصل حتى المكتبات التي كانت مصدر فخر واعتزاز كبيرين ، إذ ((بيع ما كان بقصر قرطبة من ذخائر ملوك الجماعة من الكتب وسائر المتاع فبيع ذلك بأوكس ثمن واتفه قيمة))^(١٥١). ويكفي أن نقف عند نص مؤثر ومهم لابن حزم الأندلسي لنذكر أي انتكاسة حاقت بأرض الأندلس وقتئذ ، إذ يقول : ((وقفت على اطلال منازلنا .. ومنازل البرابر المستباحة عند معاودة قرطبة ، فرأيتها قد محت رسومها ، وطمست أعلامها ، وخفيت معاهدها ، وغيرها البلى ، فصارت صحاري مجدبة بعد العمران ، وفيافي موحشة بعد الأنس ، وآكاماً مشوهة بعد الحسن ، وخرائب مفزعة بعد الأمن ، ومآوي للذئاب ، وملاعب للجان ، ومغاني للغيلان ، ومكان للوحوش ، ومخابيء للصوص ، بعد غنيانها برجال كالسيوف ، وفرسان كالليوث ..))^(١٥٢) .

وتعرضت مكتبات أخرى للنهب ، مثل ما حدث لمكتبة القاضي ابن الفرضي^(١٥٣) صاحب كتاب تاريخ علماء الأندلس فقد كان محبا لجمع الكتب حتى صار أجمعهم في البلد ، و قد تأثرت حلقات الدرس كذلك بإعصار الفتنة، حيث أعريت سقائف دور علمهم و تعطل صبيانهم^(١٥٤).

إن دراسة أثر الفتنة الأندلسية يكشف عن أذى كبيراً لحق بشريحة العلماء ، تمثل ذلك بصورة مختلفة ، إذ كانت السلامة من أحداثها أمراً من الندرة والغربة بحيث يستحق التسجيل كما يرد في ذلك في نص مهم ، إذ يقول ابن بشكوال : ((حمام بن احمد بن عبد الله بن محمد بن اكر ، لا ادري أحداً سلم من الفتنة سلامته ، مع طول مدته فيها))^(١٥٥) ، لذا أثر الكثير من العلماء والأدباء الرحيل والابتعاد عن ميدان الصراع طلباً للأمان ، وتفرغاً للبحث العلمي ، والشواهد على ذلك كثيرة^(١٥٦) .

لقد توزع العلماء بين من لقي حتفه في الصراعات العنيفة الدائرة آنذاك ، أو السجن والملاحقة والنفي ، ولحق الفقر والحاجة بنفر آخر ، ولم تذكر المصادر إلا

عدداً قليلاً من الأدباء ممن تخلص من هذا الضيق ، ووجد له مكاناً بديلاً ، حتى ضافت قرطبة بأهلها وعلمائها بل والوافدين عليها (١٥٧) .

ناهيك عن التأثير الاقتصادي الكبير على المجتمع الأندلسي ، إذ أفرزت الفتنة حالات تضرر الموارد الاقتصادية جراء النهب، فصارت المدن أكثر ازدحاماً، فانتشرت ظواهر قلة الغذاء و غلاء الأسعار مما أدى إلى حدوث مجاعات بين الحين والآخر ، و لم تكن هذه الظواهر حكراً على قرطبة بل شملت مدناً كثيرة منها مالقة ، البيرة ، جيان (١٥٨) .

ولا نجد لهذه السنوات العvisية في تاريخ الأندلس من أثر إيجابي إلا في ناحيتين ، الأولى تخص حركة الثقافة عامة ، إذ كان لبيع مكتبات قرطبة أثره الإيجابي في تسهيل نشر العلم والأدب في مدن الأندلس المختلفة ، حيث عثر طلاب العلم فيها على كتب لم يكونوا يحصلون عليها ، فكان ذلك من العوامل المهمة التي ادت إلى إنتعاش الحركة العلمية في الأندلس .

وبوقفنا هذا النص الذي عرضنا جزءاً منه سابقاً ، كيف أن حركة بيع الكتب أعادة انتشار كتباً كانت محجوبة عن الناس ، فيقول صاعد :

((اضطرت الفتنة إلى بيع ما كان بقصر قرطبة من ذخائر ملوك الجماعة من الكتب وسائر المتاع فبيع ذلك باوكس ثمن وأتفه قيمة وانتشرت تلك الكتب بأقطار الأندلس ووجد في خلالها أعلاق من العلوم القديمة كانت أفلتت من أيدي الممتحنين بحركة الحكم أيام المنصور بن أبي عامر وأظهر أيضاً كل من كان عنده من الرعية شيء منها ما كان لديه منها . فلم تزل الرغبة ترتفع من حين في طلب العمل القديم شيئاً فشيئاً ، وقواعد الطوائف تتمصر قليلاً قليلاً إلى وقتنا هذا فالحال بحمد الله أفضل ما كانت بالأندلس في إباحة تلك العلوم والإعراض عن تحجر طلبها إلى ان زهد الملوك في هذه العلوم وغيرها)) (١٥٩) .

أما الجانب الثاني ، فهو يخص موضوعنا الأساس الذي يدور حول الاهتمام بالجانب التعليلي من حركة التاريخ ، فما حصل من الأحداث الجسام والخطوب العظام

انعكست بشكل طبيعي على المؤرخ الأندلسي الذي أخذ ينحو في التاريخ منحىً فلسفياً عميقاً ليتعرف على علل الحوادث وأسباب قيام الدول وعلل سقوطها ومظاهر العمران وأصول الاجتماع ونحو ذلك ^(١٦٠)، كما ظهر في نموذج ابن خلدون بشكل متأخر ونراه قد سبق بآخرين قدموا فهماً مقارباً ولو في مجال التطبيق أكثر من التنظير كما سنرى .

لقد كانت أحداث الفتنة المحرك المهم الذي أثار الفكر التاريخي الأندلسي ودفعه للبحث عن العلية والسببية فيما حصل ، والمقارنة بين عهد مضى مضى وآخر يعيشه يتسم بالسلبية والسوداوية .

وجملة القول أنه إذا كان تأثير المشرق (رحلة متبادلة ، وكتباً تمت مطالعتها)، وأثر الإسلام (من خلال آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة) وترجمة بعض الآثار الأجنبية حينذاك قد أحدث نوعاً من التمازج والتحفيز الواضح في تطور الفكر التاريخي كما رأينا ، فإن أحداث الفتنة القرطبية وما تلاها من تطورات جسيمة كانت كفيلة بأن تعيد الهزة في نفوس المؤرخين الأندلسيين ، وأن يظهر لدينا نزوع نحو التعليل والتحليل والتفسير لما حصل دون الاكتفاء بتدوينه ، ليشكل ذلك كله استجابة متلائمة مع عظم التحدي الذي واجهته الأندلس وقتها .

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

المصادر الأولية

ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م)

- الحلة السيرة ، تحقيق حسين مؤنس ، ط ٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٥ .

- التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق : عبد السلام الهراس ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٥ .

ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي (ت ٦٦٨ هـ)

عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، بيروت : دار ومكتبة الحياة ، د. ت .

ابن بسام الشنتريني ، ابو الحسن علي ، (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م)
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٩٧ .

ابن بشكوال ، ابو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م)
الصلة ، تحقيق شريف أبو العلا العدوي ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٨ .

البغدادي ، علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم الشهير بالخازن (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤١ م)

تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، ضبطه وصح
عبد السلام محمد علي شاهين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٤ .

التنبكتي ، احمد بابا (ت ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٣ م)

نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، طرابلس ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ،
١٩٨٩ .

الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٦ هـ / ١٠٠٦ م)
الصاحح ، ط ٣ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٤ .
ابن حبيب ، عبد الملك (ت ٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م)

كتاب التاريخ ، نشره عبد الغني مستو ، بيروت ، المكتبة العصرية ،
٢٠٠٨ .

إبن حزم الأندلسي ، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م)
- رسائل ابن حزم الأندلسي ، تحقيق إحسان عباس ، ط ٢ ، بيروت ،
المؤسسة العربية للدراسات ، ١٩٨٧ .

- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٤، دار المعارف
القاهرة، ١٩٧٧ .

الحميدي ، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت ٤٨٨ هـ /
١٠٩٥ م)

جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، القاهرة : الدار المصرية للتأليف
والترجمة ، ١٩٦٦ .

أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م)

تفسير البحر المحيط ، دراسة وتحقيق عادل احمد عبد الموجود وعلي
محمد معوض ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣ .

ابن حيان القرطبي ، حيان بن خلف (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م)

- المقتبس ، اعتنى بنشره ب . شاميتا ، مدريد ، ١٩٧٩

- السفر الثاني من كتاب المقتبس ، تحقيق محمود علي مكي ، الرياض ،
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ٢٠٠٣

- المقتبس في أنباء أهل الأندلس ، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣.

- المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، بيروت ، دار الثقافة ، د. ت .

- المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، شرح صلاح الدين الهواري ، بيروت ، المكتب المصرية ، ٢٠٠٦.

الخشني ، محمد بن الحارث (ت ٣٦١ هـ / ٩٧١ م)

أخبار الفقهاء والمحدثين ، نشر تحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا (مدير : المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، معهد التعاون مع العالم العربي ، ١٩٩٨ ،

ابن الخطيب ، لسان الدين (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م)

- الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، ط ٢ ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٣ .

- اعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام (الجزء الخاص بالأندلس)، تحقيق ليفي بروفنسال، ط ٢، دار المكشوف، بيروت ١٩٥٦ .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م)

- مقدمة ابن خلدون ، تح عبد السلام الشداوي ، الدار البيضاء ، بيت الفنون والعلوم والآداب ، ٢٠٠٥ .

- العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكار ، بيروت ، دار الفكر ، ٢٠٠٠ .

ابن خلكان ،أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ ١٢٨٢ م)

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح إحسان عباس ، بيروت ، دار
صادر، د.ت

خياط ، ابو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري ، (ت ٢٤٠ هـ /
٨٥٤ م)

- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، ط ٢ ،
الرياض ، دار طيبة ، ١٩٨٥ .
- الطبقات ، الرياض ، ١٩٨٢ .

ابن خير الاشبيلي ، أبو بكر محمد بن خير بن خليفة (ت ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م)
فهرسة ابن خير الأشبيلي ، وضع حواشيه محمد فؤاد منصور ، بيروت
، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٩ .

الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م)
- تذكرة الحفاظ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د.ت .
- سير أعلام النبلاء ، رتبته حسان عبد المنان ، بيروت ، بيت الأفكار
الدولية ، ٢٠٠٤ .

الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤ هـ / ١٣٩٢ م)
البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ،
دار التراث ، د.ت .

السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م)
الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، تحقيق صالح أحمد العلي ،
بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٦ .

ابن سعيد المغربي ، أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م)
المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، ط ٤ ، القاهرة ،
دار المعارف ، د.ت .

الشوكاني : محمد بن علي (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م)

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، مطبعة السعادة ، القاهرة
١٣٤٨ هـ .

صاعد الأندلسي ، أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م)

طبقات الأمم ، نشره وذيل حواشيه الأب لويس شيخو اليسوعي ، بيروت
: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، ١٩١٢ .

الضبي ، ابو جعفر احمد بن يحيى بن احمد ابن عميرة (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م)

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ،
القاهرة ، دار الكتاب المصري ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ،
١٩٨٩ .

الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م)

- تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، هذبه
وحققه : معروف ، بشار عواد ، الحرساني ، عصام فارس ، بيروت
، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٤ .

ابن عبد البر ، ابو يوسف عمر (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م)

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، بيروت ، دار الفكر ، ٢٠٠٦ .
- جامع بيان العلم وفضله ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري ، دار ابن
الجوزي ، د. ت .

ابن عذاري ، ابو عبد الله محمد (ت بعد ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م)

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج ، س ،
كولان ، وليفي بروفنسال ، ط ٣ ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٨٣ .
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين) ، تحقيق
محمد ابراهيم الكتاني وآخرون ، (بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،
المغرب ، دار الثقافة ، ١٩٨٥)

العذري ، أحمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م)

نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ،
والبستان في غرائب البلدان ، والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق عبد
العزیز الأهواني ، مدريد ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية ، د.ت .

العسقلاني : ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م)

- أنباء الغمر بأبناء العمر ، تح : محمد عبد المعين خان ، مطبعة دائرة
المعارف العثمانية حيدر أباد الدكن ، الهند ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٩٣ .

ابن عطية أبو محمد عبد الحق المحاربي الأندلسي (ت ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م)

فهرس ابن عطية ، تحقيق محمد أبو الأجنان ، محمد الزاهي ، ط ٢ ،
بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٣

ابن العماد الحنبلي ، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي الدمشقي (ت ١٠٨٩ هـ /
١٦٧٨ م)

شذرات الذهب في أخبار من ذهب . تحقيق محمود الارناؤوط ، دمشق ،
بيروت ، دار ابن كثير ، ١٩٨٨ .

الغساني ، محمد عبد الوهاب (١١١٩ هـ / ١٧٠٧ م)

رحلة الوزير في افتكالك الأسير ، حرره وقدم له نوري الجراح ، الإمارات
العربية المتحدة ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢ .

أبن فرحون ، إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري (ت ٧٩٩ هـ /
١٣٩٧ م)

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تح : مأمون بن
محيي الدين الجنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٦ .

ابن الفرضي ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣ هـ /
١٠١٢ م)

تاريخ علماء الأندلس ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ،

١٩٦٦.

الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٥ م)

القاموس المحيط ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨.

ابن القاضي ، أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٢٥ هـ /

١٦١٦ م)

جذوة الاقتباس في من حل من الاعلام بمدينة فاس ، فاس ، ١٨٩٢ م .

القاضي عياض ، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ، (ت

٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م)

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق محمد

سالم هاشم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨.

القرطبي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر (ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٣ م)

الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، تحقيق

عبد الله بن عبد المحسن التركي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٦ .

ابن القوطية ، ابو بكر محمد بن عمر القرطبي (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م)

تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط ٢ ، القاهرة ، دار

الكتاب المصري ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٩.

الكافيجي ، محي الدين (ت ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م)

المختصر في علم التاريخ ، تحقيق محمد كمال عز الدين ، بيروت ،

عالم الكتب ، ١٩٩٠.

الكتبي ، محمد بن شاعر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاعر بن هارون (ت ٧٦٤ هـ

/ ١٣٦٣ م)

فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت

، ١٩٧٤ .

ابن كثير الدمشقي ، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)

تفسير القرآن العظيم ، وضع حواشيه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨ .

أبن الكردبوس ، أبو مروان عبد الملك التوزري (ت ٥٧٦ هـ / ١١٨٣ م)
الاكتفاء في اخبار الخلفاء ، تحقيق صالح بن عبد الله الغامدي ، المدينة المنورة ، ٢٠٠٨ .

مجهول ، مؤلف

أخبار مجموعة ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط ٢ ، القاهرة ، دار الكتاب المصري ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٩ .

مجهول ، مؤلف

تاريخ الأندلس ، تحقيق عبد القادر بوباية ، ط ٢ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٩ .

المراكشي ، أبو محمد عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٥٠ م)
المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، د. د. ت .

المراكشي ، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي (ت ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م)

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، د. د. ت .

المصعب الزبيري ، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن (ت ٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م)
نسب قریش ، تحقيق ليفي بروفنسال ، ط ٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٦ .

المقري ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى التلمساني (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)

- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تحقيق سعيد احمد أعراب
وعبد السلام الهراس ، المغرب ، الامارات العربية المتحدة ، ١٩٨٠ .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ،
بيروت ، دار صادر ، ١٩٨٨ .

ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١م)
لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، د. ت .
النباهي ، أبو الحسن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي (ت ٧٩٣ هـ /
١٣٩٠م)

تاريخ قضاة الأندلس المسمى المرقبة والعليا فيمن يستحق القضاء
والفتيا ، لجنة إحياء التراث العربي ، منشورات دار الآفاق الجديد ، ط
٥ ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن اسحاق الوراق البغدادي (ت ٤٣٨ هـ / ١٠٤٧ م)
الفهرست ، تح رضا ، تجدد ، د. ت .

المراجع الثانوية

اتكن ، هيو ج

دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية ، ترجمة محمود زايد ، بيروت ،
دار العلم للملايين ، د.ت .

اسماعيل ، محمود

سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ، ، ط ٤ ، القاهرة ، بيروت ، لندن ، سينا
للنشر ، الانتشار العربي ، ٢٠٠٠ .

امين ، احمد

ظهر الاسلام ، القاهرة ، شركة نوابغ الفكر ، ٢٠٠٩ .

بالنثيا ، آنخل جنثالث

تاريخ الفكر الأندلسي ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت

بروفنسال ، ليفي

حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط ، بيروت ، دار ومكتبة

الحياة ، د. ت .

بروكلمان ، كارل

تاريخ الأدب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار ، ط ٥ ، القاهرة : دار

المعارف ، د. ت.

بني ياسين ، يوسف أحمد يوسف

علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، أريد ، مؤسسة

حمادة للدراسات الجامعية ، الدمام ، مكتبة المتنبي ، ٢٠٠٢ .

بويكا ، ك

المصادر التاريخية العربية في الأندلس ، ترجمة نايف أبو كرم ، دمشق ،

دار علاء الدين ، ١٩٩٩ .

تضغوت ، محمد

نحو تحديث دراسة التاريخ الإسلامي ، القاهرة ، رؤية للنشر والتوزيع ،

٢٠٠٤ .

جاسم ، ليث سعود

ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ ، ط ٢ ، القاهرة ، دار الوفاء ،

١٩٨٨ .

جب ، هاملتون

علم التاريخ ، تر إبراهيم خورشيد وآخرون ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ،
١٩٨١.

الحجي ، عبد الرحمن علي

- أندلسيات ، بيروت ، دار الارشاد ، ١٩٦٩ .
- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، دمشق ،
بيروت ، دار القلم ، ١٩٧٦ .
- الكتب والمكتبات في الأندلس ، أبو ظبي ، المجمع الثقافي ، ٢٠٠٧ .

حسان ، حسان محمد

ابن حزم ومنهجه ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د. ت .

خطاب ، محمود شيت

قادة فتح الأندلس ، بيروت ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق : منار للنشر
والتوزيع ، ٢٠٠٣ .

خليفة ، حاجي

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، بيروت ، دار احياء التراث
العربي ، د. ت .

خليل ، عماد الدين

التفسير الإسلامي للتاريخ ، ط ٤ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٨ .

الدوري ، عبد العزيز

نشأة علم التاريخ عند العرب ، الإمارات العربية المتحدة ، مركز زايد
للتراث والتاريخ ، د. ت .

دوزي: رينهارت

المسلمون في الأندلس ، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ، الهيئة المصرية
العامة للكتاب ، ١٩٩٤ .

رستم ، أسد

مصطلح التاريخ ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٢ .

روزنثال ، فرانز

علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح أحمد العلي ، ط ٢ ، بيروت ،

مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٣ .

الزركلي ، خير الدين

الأعلام ، ط ١٥ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ٢٠٠٢ .

زناتي ، أنور محمود

العلم والتعليم في الأندلس ، مؤسسة النور للأبداء ، ٢٠٠٨ .

السامرائي ، خليل إبراهيم وآخرون

تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ،

٢٠٠٠ .

السلمي ، محمد بن صامل

منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريبه ، القاهرة ، دار الوفاء للطباعة

والنشر والتوزيع ، د. ت .

الشافعي ، حامد

الكتب والمكتبات في الأندلس ، القاهرة ، دار قباء للطباعة والنشر ،

١٩٩٨ .

الشيخ ، رأفت غنيمي

فلسفة التاريخ ، القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٨٨ .

طه ، عبد الواحد ذنون

نشأة التدوين التاريخ العربي في الأندلس ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ،

١٩٨٨ .

الطبيبي ، أمين توفيق

دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، بيروت ، الدار العربية
للكتاب ، د.ت.

العبادي ، أحمد مختار

- في تاريخ المغرب والأندلس ، الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ،
د.ت .

عباس ، احسان

تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ، عمان ، دار
الشروق ، ١٩٩٧ .

ابن عبود ، أمحمد

جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري ، تطوان ، مطبعة
النور ، ١٩٨٧ .

عثمان ، حسن

منهج البحث التاريخي ، ط ٨ ، القاهرة ، دار المعارف ، د.ت.

عنان، محمد عبد الله

- تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ط ٢ القاهرة ، مؤسسة الخانجي ،
١٩٧٠ .

- دولة الإسلام في الأندلس ، ط ٤ ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٩٧ .

عويس ، عبد الحليم

- ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ، ط ٢ ،
القاهرة ، الزهراء للإعلام العربي ، ١٩٨٨ .

- تفسير التاريخ علم إسلامي ، القاهرة ، دار الوفاء ، ١٩٩٨ .

غومس ، إميليو غارسية

الشعر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، ط ٢ ، القاهرة ، مكتبة النهضة
المصرية ، ١٩٥٦ .

فروخ ، عمر

تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، ط ٤ ، بيروت ، دار العلم
للملايين ، ١٩٨٣ .

كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يولويانوفتش

تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، القاهرة
، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٣ .

محمود ، حربي ، حلاق ، حسان

العلوم عند العرب ، بيروت ، دار النهضة العربي ، د.ت .

مؤنس ، حسين

- التاريخ والمؤرخون ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٤ .

- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، ط ٢ ، القاهرة : مكتبة مدبولي
، ١٩٨٦ .

- الحضارة ، ط ٢ ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ٢٣٧ ، ١٩٩٨ .

هرنشو ، ج

علم التاريخ ، ترجمة عبد الحميد العبادي ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر ، ١٩٤٤ .

هورس ، جوزف

قيمة التاريخ ، ترجمة نسيم نصر ، ط ٣ ، بيروت ، باريس ، منشورات
عويدات ، سلسلة زدني علماً ، ١٩٨٦ .

هونكة ، زيغريد

شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ،
ط ٩ ، بيروت ، دار الآفاق الجديد ، ١٩٩١ .

وات ، مونتغمري

في تاريخ اسبانية الإسلامية ، ترجمة محمد رضا المصري ، ط ٢ ، بيروت
، شركة المطبوعات ، ١٩٩٨ .

الوراكلي ، حسن

ياقوتة الأندلس ، دراسات في التراث الأندلسي ، بيروت ، دار الغرب
الإسلامي ، ١٩٩٤ .

الدوريات

ابن ثقفان ، عبد الله بن علي

ظاهرة الانتماء في الأدب الأندلسي ، بحث منشور ضمن ندوة (الأندلس
قرون من التقلبات والعطاء) ، الرياض ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ،
١٩٩٦ .

الحجي ، عبد الرحمن علي

ابن حيان القرطبي مؤلفاته ومنهجيته ، بحث منشور في مجلة المناهل
، العدد ٢٩ (الرباط : مارس ، ١٩٨٤)

حسين ، كريم عجيل

التمهيد للتدوين التاريخي في الأندلس حتى نهاية القرن الثاني الهجري ،
مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، المجلد ١٤ ، العدد ١١ ، كانون
الأول ٢٠٠٧

ابن عبود ، امحمد

- ابن الخطيب مؤرخاً للأندلس في عهد دول الطوائف ، مجلة دعوة الحق،
العدد ٢٥٩، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، أكتوبر ١٩٨٦ .
- الهوية الثقافية الأندلسية من خلال رسالة ابن حزم في فضل الأندلس ،
بحث منشور ضمن أعمال ندوة (التراث الحضاري المشترك بين اسبانيا
والمغرب) ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، ١٩٩٢ .

الدباغ ، عبد الوهاب خليل

أثر الفتنة في الحركة العلمية في قرطبة ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، العدد ٢٥. ٢٦ ، تموز ، ١٩٩٩ .

شلبي ، عمر راجح

أساطير الفتح الإسلامي في الأندلس ، مجلة جامعة الخليل للبحوث ، المجلد الثالث ، العدد الأول ، ٢٠٠٧

الطالبي ، محمد

التاريخ ومشاكل اليوم والغد ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الخامس ، العدد الأول ، ١٩٧٤ .

العبادي ، أحمد مختار

من التراث العربي الاسباني نماذج لاهم المصادر العربية والموارد الاسبانية التي تأثر بها ، مجلد ٨ ، العدد ١ ، مجلة عالم الفكر وزارة الاعلام في الكويت، ابريل / مايو / يونيو، ١٩٧٧

عمار ، علاوة

الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط ، مجلة التاريخ العربي ، العدد ٣٢ ، خريف ٢٠٠٤ .

الفاسي ، عبد الرحمن

أبو محمد بن حزم في تاريخياته بحضور ظاهريته ويقظة عقلانيته ، بحث منشور ضمن ندوة (التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب) ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، ١٩٩٢ .

الرسائل والاطاريح

البشري ، سعد عبد الله

الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (٣١٦ . ٤٢٢ هـ) ، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، ١٩٩٧ .

بولعراس ، خميسي

الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الحاج لخضر كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الجزائر ، ٢٠٠٧ .

زيان ، علي

المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، ٢٠١١ . ٢٠١٠ .

السوالمه ، عبد الله بن مرحول

الاستغناء في معرفة المشهور من حملة العلم بالكنى لابن عبد البر أبو يوسف عمر ، تحقيق ، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة ، ١٩٨٤

الكلوت ، يوسف شحدة

الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي ، عصر ملوك الطوائف ، د. م ، ٢٠١٠ .

ابو ندى ، محمود محمد

الدور الجهادي للعلماء في الأندلس ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، غزة، الجامعة الإسلامية ، ٢٠٠٦ .

Pedro Chalmeta

Historiografia medieval hispana : Arabica , Al – Andalus , vol. XXXVII,1972 .

Scales , Peter . C

The Fall of the Caliphate of Cordoba , Berbers & Andalusis in Conflict , leiden ; new York ,1994 .

الهوامش:

(١) طبقات الأمم ، ص٦٢ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن (٢٠٧ هـ/٨٢٣ م – ٢٧٣ هـ/٨٨٦ م) خامس أمراء الدولة الأموية في الأندلس ، حكمها لخمس وثلاثين عامًا، قضاها في مقاومة الثورات والاضطرابات المتلاحقة في عهده ، كما كان محبًا للعلماء ولللأدب جامعاً حوله صفوة الشعراء والعلماء ، ووصف بالحلم والعفة وحسن الأدب ، ينظر عنه : ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ١١٩ . ١٢٠ ؛ المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٥٠ . ٣٥٢

(٣) طبقات الأمم ، ص٦٤ .

(٤) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٢٠ . ٢٢١ .

(٥) ابن عبود ، جوانب من الواقع الأندلسي ، ص ٢١٨ .

(٦) ابن عبود ، جوانب من الواقع الأندلسي ، ص ٢٢٣

- (٧) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٥ .
- (٨) هو علي بن موسى بن محمد العنسي ، ولد في قلعة يحصب ما بين سنتي ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ - ٦١٠ هـ / ١٢١٤ ودرس اللغة والشعر ، وكانت له رحلات متعددة إلى المشرق معاصراً للأحداث الخطيرة التي كان العالم الإسلامي يمر بها وقتذاك ، وصف بأنه (علم أهله ، ودره قومه ، المصنف الأديب ، الرحال ، الطرفة ، الإخباري ، العجيب الشأن في التجول في الأوطان ، ومداخلة الأعيان ، والتمتع بالخزاين العلمية ، وتقييد الفوائد المشرقية والمغربية) كانت وفاته عام ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م ، من مؤلفاته بالمشاركة مع أسرته إتمام كتاب المغرب في حلى المغرب ، والمشرق في حلى المشرق ، القدر المعلى في التاريخ المعلى وغيرها ، ينظر : ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ١٧٨ ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج ٤ ، ص ١٥٢ - ١٥٨ ؛ ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ . ٢٦٣ .
- (٩) نفح الطيب ، ج ١ . ص ٢١٣ . ٢١٤ .
- (١٠) هو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ، تولى الحكم بعد أبيه وعرف باسم عبد الرحمن الأوسط (فهو الأوسط بين عبد الرحمن الداخل وعبد الرحمن الناصر) ، امتد حكمه من سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م . ٢٣٨ هـ / ٢٨٥ م وكان حسن السيرة ، هادئ الطباع ، محباً للعلم ، محباً للناس ، عادلاً في الرعية بخلاف أبيه ، جواداً فاضلاً ، له نظر في العلوم العقلية ، وهو أول من ضرب الدراهم بالأندلس ، وبنى سور إشبيلية ، وأمر بالزيادة في جامع قرطبة ، وكانت له نشاطات خارجية مهمة ومؤثرة ، توفي عام ٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م ، عنه ينظر : مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٢٢ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٨١ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٨ ، ص ٢٦١ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٤٧
- (١١) المقري ، المصدر نفسه ، ص ٢١١ .
- (١٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢ ، ص ٢٢٢٩ .
- (١٣) العذري ، نصوص عن الأندلس ، ص ١٢١ ، وحول خراج بعض الكور زمن الخليفة الناصر والحكم المستنصر تنظر الصفحات ١٠٩ ، ١١١ .
- (١٤) العنبي ، رجاء بنت هذال بن ثيان ، ثقافة حكام بني امية بالأندلس ، وآثارها في المجتمع الأندلسي (١٣٨ . ٤٢٢ هـ) ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية (١٤٣٠ هـ) ، ص ١٥٧ . ٢٤٢ ؛ ص ٢١٥ .

- (١٥) الحميدي ، جذوة المقتبس ص ٩ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ص ٣٢ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٥٨ ، ص ٦٠ .
- (١٦) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٣٤ .
- (١٧) ابن حيان ، المقتبس ، السفر الثاني ، ص ٢٣١ .
- (١٨) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ١١ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ١١٩ .
- (١٩) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ١٢٠ .
- (٢٠) المقرئ ، نفح الطيب ، ص ٣٤٧ .
- (٢١) حول الشواهد التاريخية لحكم الناصر والمستنصر ينظر : ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ص ٣٦١ ، ج ٢ ، ص ١٢ ، ١٣٤ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ج ٢ ، ص ٢٤٠ ، ٢٤٩ .
- (٢٢) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ١٩٩ .
- (٢٣) صاعد الأندلسي ، طبقات الأمم ، ص ٦٥ . ٦٦ .
- (٢٤) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ١٦ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ص ٤٠ .
- (٢٥) ابن حزم ، نقط العروس ، رسائل ابن حزم ، ج ٢ ، ص ٧٥ .
- (٢٦) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ١٠٠ ؛ ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٠١ .
- ٢٠٣ ؛ وفي المغرب في حلى المغرب : ((وحكى ابن حيان : أن عدد الكتب التي كانت فهارس بأسماء الكتب التي اجتمعت في خزائنه أربعة وأربعون ، في كل فهرست منها عشرون ورقة)) ينظر : ج ١ ، ١٨٦ .
- (٢٧) البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ .
- (٢٨) ويروي ابن الأبار نقلاً عن ابن حيان إنه ((كان اخوه عبد الله - المعروف بالولد - على مثل هذه الحال من المحبة في العلم والعلماء والرواية ، وتوفي في حياة أبيه مقتولاً فتصيرت كتبه إلى أخيه الحكم)) ينظر : الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٠١ .
- (٢٩) الضبي ، بغية الملتمس ، ج ١ ، ص ٩٩ .
- (٣٠) المصدر نفسه ، ص ٧١ .
- (٣١) المصدر نفسه ، ص ١٨٢ .
- (٣٢) المصدر نفسه ، ص ٤٣١ .
- (٣٣) صاعد الأندلسي ، طبقات الأمم ، ص ٦٨ .

- (٣٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ج ٢ ، ص ٧٩ ، ٩١ ، ٩٤ ، ١٠٦ ؛ هذا فضلاً عن تشجيع نسخ الكتب إذ ((كان له وراقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التوليف ، ورجال يوجههم إلى الآفاق عنها ، ومن وراقيه ببغداد محمد بن طرخان ، ومن أهل المشرق والأندلس جماعة)) ابن الأثير ، الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ؛ وعن الاهتمام بالكتب ومكتبات الأندلس وعناية الحكام بها ينظر : الحجي ، عبد الرحمن علي ، الكتب والمكتبات في الأندلس ، (أبو ظبي : المجمع الثقافي ، ٢٠٠٧) ، ص ١٠٢ . ١١٥ .
- (٣٥) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ج ٢ ، ص ٩٦
- (٣٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ١٨٩ - ١٩١
- (٣٧) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ ؛
- (٣٨) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٩٦
- (٣٩) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٥ ، ١٧٨ ، ٢١١ ، ٣٠٧ ، ٣١٢ ، ٣٤١ ، ٣٦٥ ، ٤١١ ، ٤١٩ ؛ ج ٢ ، ص ٢٠ ، ص ٥٢ ، ١٨٧ ؛ ابن حزم الأندلسي ، جمهرة انساب العرب ، ص ٨٨ ، ٣١٠ ، ٣٩٩ ، ٤٠٨ ، ٤٢٤
- (٤٠) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ، ص ١٦٩ ، ص ٢٤٥ .
- (٤١) بغية الملتبس ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ؛ وينظر كذلك : ص ٣٣٣ ، ٤١٤ .
- (٤٢) طبقات الأمم ، ص ٦٦ .
- (٤٣) دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ج ٢ ، ص ٦٧ ، والطخياء الشديدة الظلمة .
- (٤٤) حضارة العرب في الأندلس ، ص ٨٣ . ٨٤
- (٤٥) عنان ، دول الطوائف ، ص ٤٢٣ ؛ ويرى شوقي ضيف إن الثقافة في الأندلس لقبت في عصر الطوائف كثيراً من الحرية والتشجيع ، ولكنها لم ترزق كثيراً من الاتساع ، فالثقافة تحتاج إلى زمن تتضح فيه شيئاً فشيئاً بخلاف الحضارة التي يمكن أن تستبحر في الزمن القصير بعامل النقل والتقليد ، ينظر : تاريخ الأدب العربي ، ص ٣٩٢
- (٤٦) ابن سعيد نقلاً عن المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢١٥ .
- (٤٧) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٩٠
- (٤٨) عنان ، دول الطوائف ، ص ٤٣٦ .
- (٤٩) أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عبّاد ، مؤسس سلاسة بني عبّاد في الأندلس، وأول حكامهم في إشبيلية ، وقد برع أبوه أبو الوليد إسماعيل في علوم الفقه، فتولّى قضاء إشبيلية، وهي المهنة التي ورثها ابنه أبو القاسم محمد، فتولّى قضاء المدينة لفترة من الزمن، وقد عرف بثرائه

- الكبير ، وبالجزم والقوة، وكانت إشبيلية قوية في عهده، وقد توفي في عام ٤٣٣ هـ (١٠٤٢م)،
فورث ابنه المعتضد الحكم عنه ، عنه ينظر : ابن الأبار ، ج ٢ ، ص ٣٧ ؛ ابن عذاري ،
البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٣١٤ . ٣١٥ .
- (٥٠) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ١٣ ؛ وينظر كذلك : الضبي ، بغية الملتبس ، ج ١
، ص ١٥٥ ،
- (٥١) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٢ ، م ١ ، ص ٢٨ . ٢٩ .
- (٥٢) هو المظفر سيف الدولة أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الأفتطس، خلف
والده على حكم بطليوس سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٦ م ، فعمل على توطيد ملكه وإقرار النظام في
أنحائه ، وكانت المعارك بينه وبين مملكة أشبيلية عنيفة ، كما كانت سجلاً بين الطرفين، وكاد
كل منهما يُفني الآخر، لولا تدخل الوزير أبي الحزم جهور وابنه أبي الوليد بن جهور صاحب
قُرطُبة ، اجبر على دفع الجزية للنصارى كان أديب ملوك عصره، شغوفاً بالعلم والثقافة
ومجالسة العلماء، وشراء الكتب وجمعها، وظلّ كذلك حتى وافته المنية سنة (٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م)
، ينظر ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٩٧ ؛ ابن عذاري: البيان المغرب ج ٣ ، ص
٢٨٣ . ٢٣٩ ؛ وابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ١٨٤ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون
ج ٤ ، ص ١٦٠ .
- (٥٣) مجهول ، مؤلف ، تاريخ الأندلس ، تحقيق عبد القادر بوباية ، ط ٢ ، (بيروت : دار
الكتب العلمية ، ٢٠٠٩) ، ص ٢٥٤ ؛ ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٢ ، م ٢ ، ص ٦٤٠ .
- (٥٤) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٤١
- (٥٥) مجاهد بن عبد الله بن علي العامري أبو الجيش مولى عبد الرحمن الناصر بن المنصور بن
أبي عامر ، كان محباً للعلماء غلب على دانيه واستقر فيها (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م)
للتفاصيل ينظر : ابن خاقان ، ابو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الأشبيلي (ت
٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م) قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، تح : حسين يوسف خريوش ، (عمان
: مكتبة المنار ، ١٩٨٩) ، ٢٩١ . ٢٩٢ ؛ عبد الواحد المراكشي ، أبو محمد بن علي (ت
٦٤٧ هـ / ١٢٥٠ م) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح : محمد سعيد العريان ، (القاهرة : د. ت) ، ٧٤ الضبي ، بغية الملتبس ، ج ٢ ، ص ٦٣٣ ؛ ، لسان الدين بن
الخطيب : أعمال الأعلام ، ٢١٨ ، الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، ط ١٥ ، (بيروت : دار
العلم للملايين ، ٢٠٠٢) ، ج ٦ ، ص ١٦٢ .

- (٥٦) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٣ ، م ١ ، ص ٢٢ . ٢٣ ؛ وينظر كذلك : الضبي ، بغية الملتمس ، ج ١ ، ص ٥٤٥ .
- (٥٧) الضبي ، بغية الملتمس ، ج ١ ، ص ٣٠٩ .
- (٥٨) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٩٢ ، ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٣٦ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ١٣٦ .
- (٥٩) الحميدي ، جذوة ، ترجمة رقم ٨٧٤ ؛ وكذلك للاستزادة عن نماذج العلماء : عباس ، احسان ، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ، (عمان : دار الشروق ، ١٩٩٧) ؛ عنان ، دول الطوائف ، ص ٤٣٠ .
- (٦٠) صاعد ، طبقات ، ص ١٠٩ .
- (٦١) المصدر نفسه ، ص ٩٤ ؛ عنان ، دول الطوائف ، ص ٤٣٥ .
- (٦٢) ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخرجي (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، بيروت : دار ومكتبة الحياة ، د. ت) ، ص ٤٨٤ .
- (٦٣) المصدر نفسه ، ص ٤٨٤
- (٦٤) المصدر نفسه ، ص ٤٩٦
- (٦٥) المصدر نفسه ، ص ٤٩٧
- (٦٦) المصدر نفسه ، ص ٤٩٧ . ٤٩٨ .
- (٦٧) المصدر نفسه ، ص ٤٩٨ .
- (٦٨) المصدر نفسه ، ص ٥٠١ .
- (٦٩) ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م) ، التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق : عبد السلام الهراس ، (بيروت : دار الفكر ، ١٩٩٥) ، ج ٢ ، ص ٢٢١ ؛ المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الرابع ، ص ١٣٢ . ١٣٣ .
- (٧٠) ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ، ج ١ ، ص ٣٣٥ ؛ المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر السادس ، ص ١٨٤ .
- (٧١) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ١٣٦ .
- (٧٢) المراكشي ، الذيل والتكملة ، السفر الأول ، ص ٣٦٨ . ٣٦٩ .
- (٧٣) المصدر السابق ، البشري ، الحياة العلمية ، ٤٧٥ .
- (٧٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ١٠٦ . ١٠٧ .

- (٧٥) الضبي ، بغية الملتمس ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ .
- (٧٦) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٩٦ .
- (٧٧) الضبي ، بغية الملتمس ، ج ٢ ، ص ٤٤٥ .
- (٧٨) عن التاريخ قبل الإسلام ينظر العرض المهم في الدوري ، عبد العزيز ، نشأة علم التاريخ عند العرب (الإمارات العربية المتحدة : مركز زايد للتراث والتاريخ ، د. ت) ص ١٥ . ٢٠
- (٧٩) سورة آل عمران الآية ١٤٠
- (٨٠) سورة يوسف الآية ١١١
- (٨١) القرطبي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر (ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٣ م) ، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٦) ، ج ٥ ، ص ٣٣٥ .
- (٨٢) الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م) ، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، هذبه وحققه : بشار عواد معروف وعصام فارس الحرساني (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٤) ، ج ٢ ، ص ٣٣٤ .
- (٨٣) البغدادي ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن (ت ٧٢٥ هـ) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، ضبطه وصحح عبد السلام محمد علي شاهين (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٤) ، ج ١ ، ص ٣٠١ .
- (٨٤) ابن كثير الدمشقي ، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) ، تفسير القرآن العظيم ، وضع حواشيه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨) ، ج ٤ ، ص ٣٦٦ .
- (٨٥) الخازن ، لباب التأويل ، ج ٢ ، ص ٥٦١ .
- (٨٦) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ ، ص ٤٧٤ .
- (٨٧) الطبري ، جامع البيان ، ج ٤ ، ص ٣٩٨ .
- (٨٨) خليل ، عماد الدين خليل ، التفسير الإسلامي للتاريخ ، ط ٤ (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٨) ص ٥ .
- (٨٩) المرجع نفسه ، ص ٨ ، ٩ .
- (٩٠) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٢٧٠ .
- (٩١) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج ٢ ، ص ٥٧٣ ؛ وعن مكانته ينظر كذلك : القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج ١ ، ص ٣٨٢ . ٣٨٥ ؛ السيوطي ، بغية الوعاة ، ص ١٠٩ .

- (٩٢) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٣٠٨ ؛ ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ص ٥٨ . ٥٩ .
- (٩٣) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٣٦٧ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، ص ١١٢٨ .
- (٩٤) المقدمة ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ .
- (٩٥) سورة آل عمران ، الآية ١٨٧
- (٩٦) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ، ص ٢
- (٩٧) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج ١ ، ص ٧ . .
- (٩٨) جمهرة أنساب العرب ، ص ٢ .
- (٩٩) هو أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال الأنصاري القرطبي ، محدث الأندلس ، وحافظها في عصره ومؤرخها ومسندها ، ولد سنة ٤٩٤ هـ / ١١٠١ م ، كانت له رحلات زادت من علمه ومعارفه ، من أشهر مصنفاته : الصلة في علماء الأندلس ، غوامض الأسماء المبهمة ، كتاب معرفة العلماء الأفاضل ، توفي عام ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م ، للاستزادة ينظر : الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج ٤ ، ص ١٣٣٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣١٢ .
- (١٠٠) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ص ٢٧ .
- (١٠١) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ١ ، ص ٨٠ .
- (١٠٢) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر و من عاصره من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكار ، (بيروت : دار الفكر ، ٢٠٠٠) ، ج ١ ، ص ٣ .
- (١٠٣) ومن المتأخرين المقري ، إذ تبدو مقدمته في نفح الطيب كلها إشارات لهذا التأثير الإسلامي الذي لا نبالغ إن قلنا أنه يبدو متداخل في الصياغات والعبارات كافة ، فيقول : أحمد من عَرَف من حلى المصار ، وعلى الأعيان ، على تداول الأعصار ، وتداول الأحيان ، ما فيه ذكرى لأولي الأبصار ، وإرشادٌ إلى معرفة الديان ، واعتبار بأخبار راع وصفها او راق...فسبحانه من إله انفرد بوجوب القدم والبقا ، واختص بفضله من شاء فارتقى ، وعم تعالى ذوي السعادة والشقا بالحدوث والفنا ...) وتلك معاني تاريخية إسلامية واضحة ومتميزة ، ينظر : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٠١ .
- (١٠٤) الخشني ، محمد بن الحارث (ت ٣٦١ هـ / ٩٧١ م) ، أخبار الفقهاء والمحدثين ، نشر تحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا (مدريد : المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، معهد التعاون مع العالم العربي ، ١٩٩٨) ، ص ٨٨ . ٨٩ .

- (١٠٥) المصدر نفسه ، ص ١٧١ ؛ ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ج ٢ ، ص ٤٨ .
- (١٠٦) ابن الفرضي ، تاريخ العلماء ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .
- (١٠٧) القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٤٣٦ .
- (١٠٨) ابن الفرضي ، تاريخ العلماء ، ج ١ ، ص ٦٦٣ .
- (١٠٩) الخشني ، أخبار الفقهاء ، ص ٢٧٣ ؛ وعن موضوع الرحلات الأندلسية إلى المشرق ، ينظر : بني ياسين ، علم التاريخ ، ص ٣٤ . ٦٥ فيه عرض مفصل ودقيق لطبيعتها والكتب التي ادخلت للأندلس من خلالها .
- (١١٠) ينظر ج ٢ منه .
- (١١١) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٨٠٧ .
- (١١٢) ابن خير الاشبيلي ، أبو بكر محمد بن خير بن خليفة (ت ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م) فهرسة ابن خير الأشبيلي ، وضع حواشيه محمد فؤاد منصور ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٩) ، ج ١ ، ص ٢٨٠ ، ص ٤٥٧ . ٤٥٩ .
- (١١٣) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٨٣ ؛ ابن خير الاشبيلي ، فهرسة ابن خير ، ج ١ ، ص ٢٨٠ . ٢٨١ ، ص ٢٥١ . ٢٥٢ .
- (١١٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٨٠ ، ص ٤٣٧ ؛ ابن خير ، الفهرست ، ج ١ ، ص ٢٩٢ .
- (١١٥) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٨٣ ، ص ١٢٤ ؛ ابن خير ، الفهرست ، ج ١ ، ص ٢٩٢ .
- (١١٦) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٣٧ ، ص ٣ ؛ ابن خير ، الفهرست ، ج ١ ، ص ٣٥٢ . ٣٥٣ ؛ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .
- (١١٧) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ١٢٧ . ١٢٨ ؛ ابن خير ، الفهرست ، ج ١ ، ص ٢٩٣ . ٢٩٤ .
- (١١٨) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٨٣ ، ص ٤٤٥ ؛ ابن خير ، الفهرست ، ج ١ ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٣ ، ٢٧٥ .
- (١١٩) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٦١ ، ٣٨٧ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٢٢٣ . ٢٢٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٣٤ .
- (١٢٠) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ج ١ ، ص ١٠٣ .
- (١٢١) المصدر نفسه ، ص ٤٥١ .

- (١٢٢) المصدر نفسه ، ص ١١٠ .
- (١٢٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .
- (١٢٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ١٤٥ .
- (١٢٥) المصدر نفسه ، ص ٤٦٣ .
- (١٢٦) حول بدايات الترجمة ومراحل تطورها في العصر العباسي ، ينظر : احمد ، احمد عبد الرزاق ، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، العلوم العقلية (القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٩١) ص ١٢ . ١٨ ؛ محمود ، حربي ، حلاق ، حسان ، العلوم عند العرب (بيروت : دار النهضة العربي ، د.ت) ص ٢٣٩ . ٢٦٣ .
- (١٢٧) هو عبد الله بن هارون الرشيد بن المهدي ابن أبي جعفر المنصور العباسي ، ولد سنة (١٧٠ هـ / ٧٧٦ م) في اليوم الذي ولي أبوه ، وكان يكنى أبا العباس في أيام الرشيد وكان في خلافته يكنى بابي جعفر تفاؤلاً بكنية المنصور والرشيد في طول العمر ، ولله أبوه العهد وعمره (١٣) سنة بعد أخيه الأمين وضمه إلى جعفر بن يحيى وولاية خراسان وما يتصل بها من همدان ، وكان المأمون يعنى بالعلم قبل ولايته كثيراً حتى جعل لنفسه مجلس النظر ، وهو أول من استخرج كتب الفلاسفة اليونان من جزيرة قبرص ، ببيع المأمون بالخلافة العامة بعد قتل أخيه الأمين سنة (١٩٨ هـ / ٨١٣ م) واستمر خليفة إلى إن توفي سنة (٢١٨ هـ / ٨٣٢ م) فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ينظر : المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) ، مروج الذهب ومعادن الجواهر ، (بيروت : المكتبة العصرية ، ٢٠٠٥) ، ج ٣ ، ص ٤١٦ ؛ خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٣ ، ص ٥٠٥ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٧٠ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٨ ، ص ٣٥٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٣٠١ .
- (١٢٨) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٣٢ .
- (١٢٩) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص ٢٨٢ .
- (١٣٠) المصدر نفسه ، ص ٣٣٣ .
- (١٣١) الحموي ، ياقوت (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) معجم الأدباء ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تحقيق : احسان عباس (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٣) ج ٤ ، ص ١٦٣١ .
- (١٣٢) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٠٤ ؛ ويراجع كذلك : ص ٢٤ ، ١١٨ .
- (١٣٣) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص ٢٨٠ .

(١٣٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨٣.

(١٣٥) هو موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة الحكيم الخرجي، والذي يكنى بأبي العباس، ويلقب بابن أبي أصيبعة، وقد اكتسب هذا اللقب عن جده الحكيم الذي كان يعمل في بلاط الناصر صلاح الدين، وُلِدَ في دمشق نحو سنة (٥٩٦هـ/١٢٠٠م)، اشتهرت أسرته بالعلم والأدب، وكان لها صلاتها الجيدة بالملوك في الشام ومصر، فتوافرت له أسباب التحصيل، فدرس الأدب والحكمة والعلوم على مشاهير عصره من العلماء في كل من دمشق والقاهرة، وتلقَّى الطب عن والده الذي كان طبيباً يعالج الرمد في دمشق، وعلى يد عمِّه الذي كان عالماً في العلوم الطبية، مؤلفه ذائع الصيت (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) خَلَدَ ذِكْرُه في بين الأطباء ، توفي في جبل صرخد إحدى مدن جبل حوران سنة (٦٦٨هـ/١٢٧٠م) ، يراجع عنه ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٢٧ ؛ حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج ٢ ، ص ١١٨٥ .

(١٣٦) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص ٢٧٩.

(١٣٧) المصدر نفسه ، ص ٢٨٣

(١٣٨) المصدر نفسه ، ص ٢٨٤ ؛ وللوقوف على نماذج أخرى ، تراجع : ص ٤٨٣ ، ص ٤٩٢ .

(١٣٩) صاعد الأندلسي ، طبقات الأمم ، ص ٦٤.

(١٤٠) صاعد الأندلسي ، طبقات الأمم ، ص ٦٥ . ٦٦ .

(١٤١) حسن الوراكلي ، ياقوتة الأندلس ، دراسات في التراث الأندلسي ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٤) ص ٢١ .

(١٤٢) المرجع نفسه ، ص ١٣ . ١٤ .

(١٤٣) هو أبو بكر محمد بن يحيى الصائغ ، ولد سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٥ م نشأ في سرقسطة، وتعلَّم فيها مختلف العلوم والآداب، فكان متميزاً في العربية، حافظاً للقرآن، فاضلاً في صناعة الطب، متقناً للموسيقى ، رياضياً فلكياً دقيقاً، وله شعر في رصد دقيق يحسب فيه للكسوف والكسوف ، عاش في دولة المرابطين، واتَّهم بالزندقة والإلحاد، فأمر الأمير بقتله، وعاش حياته مضطرباً مهتداً، لكن ذلك لم يمنعه من نشر أفكاره الفلسفية في الطبيعيات والمنطق ، من مؤلفاته كلام على شيء من كتاب الأدوية المفردة لجالينوس ، واختصار الحاوي للرازي ، توفي سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م ، ينظر عنه : ابن خاقان ، ابو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الأشبيلي (ت ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م) ، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، تحقيق حسين يوسف خريوش ،

- (عمان : مكتبة المنار ، ١٩٨٩) ص ٣٤٦ ؛ ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء، ص: ٥١٥
- ؛ ابن سعيد ، المغرب ج ٢ ، ص ١١٩ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج ٧ ، ص ٢٩ . ١٧ .
- (١٤٤) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص ٥١٥ .
- (١٤٥) مؤنس ، الجغرافية والجغرافيين ، ص ٢١٨ ؛ ذنون ، نشأة تدوين ، ص ٢٥ ؛ ويشكك احد الباحثين بهذا الرأي لأن الكثير من التواريخ الأندلسية كتبت قبل أن يقف أصحابها على مؤلفات هيرودوت ، ينظر : اسماعيل ، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ، طور الازدهار ، ص ٨٣ .
- (١٤٦) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢ .
- (١٤٧) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣ .
- (١٤٨) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣ .
- (١٤٩) ترصيع الأخبار ، ٩٧ .
- (١٥٠) العذري ، ترصيع الأخبار ، ٩٨ ؛ واشيدز الوارد ذكره هو الأشقف الاشبيلي المشهور المتوفي سنة ٦٣٦ م ، وتاريخه عن القوط كان مصدراً للمؤرخين المسلمين هو وتاريخ هرثيوس ، يراجع : المصدر نفسه ، من هامش المحقق ، ص ١٧٤ .
- (١٥١) صاعد الأندلسي ، طبقات الامم ص ٦٧ .
- (١٥٢) الرسائل ، ج ١ ، ص ٣١١ .
- (١٥٣) هو ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي القرطبي ، المعروف بابن الفرضي ، ولد سنة ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م ، لم ينحدر من عائلة علمية معروفة ، نهل مختلف العلوم والمعارف على يد علماء الأندلس والمشرق ، وصفه ابن حيان بأنه الفقيه الراوية الأديب الفصيح ، من مؤلفاته مصنفه الشهير تاريخ علماء الأندلس ، وكتاب في أخبار شعراء الأندلس ، والمؤتلف والمختلف ، وكتباً أخرى ، ولم يبق إلا الأول منها ، قتل يوم دخول البربر قرطبة عام ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م ، في ترجمته يراجع : الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٥٣٧ ؛ الضبي ، بغية الملتبس ، ص ٨٨٨ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ١٠٥ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، ص ١٠٧٦ ؛ سير أعلام النبلاء ، ج ١٧ ، ص ١٧٧ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .
- (١٥٤) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٤ .
- (١٥٥) الصلة ، ج ١ ، ص ٢٥١ .
- (١٥٦) الدباغ ، عبد الوهاب خليل ، ((أثر الفتنة في الحركة العلمية في قرطبة)) ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، العدد ٢٥ . ٢٦ ، تموز ، ١٩٩٩ ، ص ١٠٣ . ١١١ .

- (١٥٧) نجد عرضاً واسعاً ومهماً لآحوال العلماء في هذه السنوات لدى : ابن بسام ، الذخيرة ، ق ١ م ١ ، ص ٦٣ . ٦٤ ، ص ١٨٣ ، ق ٣ م ١ ، ص ١٤ ، ص ٢٣ ؛ ق ٤ م ١ ، ص ٥٤ . ٥٥ ، ص ١٢٥ ؛ ابن بشكوال ، الصلة ، ج ١ ، ص ٥٩ ، ٧١ ، ٨٦ ، ١٠٢ ، ١١١ ، ٢٣٣ ، ٢٦٠ ، ٢٨١ . ٢٨٢ ، ٢٩٦ . ٢٩٧ ، ٣٣٣ ، ٣٤٣ ، ٣٦٤ ، ٣٩١ . ٣٩٥ ؛ ج ٢ ، ص ٧١٧ ، ٧١٩ ، ٧٣٧ ؛ ج ٣ ، ص ٨٥٩ ، ٨٧٢ ، ٩٣٧ ؛ المراكشي ، المعجب ، ص ٨٩ ؛ ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص ٤٩١ . ٤٩٢ .
- (١٥٨) ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٠٧ ، ١٠٦ ، ابن خلدون ، العبر ، ص ٩٩٦ ؛ وعن مظاهر الفتنة وتأثيراتها يراجع : بولعراس ، خميسي ، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة الحاج لخضر كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، (الجزائر : ٢٠٠٧) ، ص ٢٠ . ٣١ .
- (١٥٩) طبقات الأمم ، ص ٦٧ .
- (١٦٠) هرنشو ، ج ، علم التاريخ ، ترجمة عبد الحميد العبادي ، (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٤) ص ٤٢ .

**احوال المكتبات الاسلامية طبقاً
لمؤلفات كوركيس عواد**

**أ.د. ليث شاكر محمود
جاسم يوسف الكناني**

احوال المكتبات الاسلامية طبقاً لمؤلفات كوركيس عواد

أ.د. ليث شاكر محمود

جاسم يوسف الكناني

المقدمة

سنتطرق فيما يلي لموضوع مهم في التاريخ الاسلامي هو المكتبات او دور العلم او خزائن الكتب طبقاً لمؤلفات كوركيس حنا عواد ونحن لا نستطيع في تلك الوريقات ان نلم او نغطي جميع ما كتبه عواد في هذا الموضوع ولكن سناخذ بعض تلك المكتبات كنماذج لكتابات عواد ومن تلك المكاتب هي مكتبة الاسكندرية ومكتبة حنين بن اسحاق ومن مكاتب الخلفاء مكتبة الحكمة ببغداد ومن مكاتب الملوك و السلاطين مكتبة عضد الدولة البويهى ومن المكتبات العامة مكتبة المدرسة النظامية ومن المكتبات الخاصة مكتبة مكتبة بنى موسى بن شاكر . سنتكلم عن هذه المكتبات وعن المصادر التي اعتمدها المؤلف وسيعلق الباحث على بعضها مثل مكتبة الاسكندرية .

اولاً : مكتبة الاسكندرية تأسيسها وإحراقها

أ- سبب تأليف البحث

ارجع عواد "سبب تأليف هذا البحث رداً على اتهام احد ساسة الدول الغربية في اجتماعات هيئة الامم المتحدة في أواخر سنة ١٩٤٩ بان العرب هم من احرقوا مكتبة الاسكندرية حين فتحوا مصر في القرن السابع الميلادي"^(١). وقد تطرق المؤلف في بحثه الى بدايات "نشوء تلك المكتبة على يد بطليموس الاول اول ملوك البطالسة"^(٢) بمصر , وكان ذلك نحو (٣٠٠ قبل الميلاد) . وكان يرمي من انشائها الى نقل الثقافة اليونانية الى مصر "^(٣) . ثم تطورها في عهد بطليموس الثاني سنة (٢٨٥-٢٤٦ ق.م) وبطليموس الثالث (٢٤٦-٢٢١ ق.م) وقد وصف عواد المكتبة من حيث اعداد الكتب

التي كانت على شكل لفائف^(٤) Rool وليس كراسات Codex من البردي والرقوق بحيث " كل لفافة كانت تحوي كتاباً او اكثر والمكتبة تحوي اربعمائة الف (٤٠٠٠٠) لفافة متنوعة ونحو تسعين الف (٩٠٠٠٠) لفافة مفردة "^(٥).

٢- احراق مكتبة الاسكندرية

استدل المؤلف على ان احراق مكتبة الاسكندرية كان في ايام الملكة كليوباترا^(٦) التي حكمت مصر من سنة (٥١ - ٤٤ ق م) . " بسبب الحرب التي حدثت بين يوليوس قيصر ملك الروم عندما جاء فاتحاً للإسكندرية وبين الجيش المصري عام (٤٨ ق م) "^(٧).

واستند المؤلف فيما ذهب اليه الى ما ذكره بلوتارك^(٨) " ولم يكن بلوتارك أوحده المؤرخين الذين ذكروا هذا الحريق الماحق بل ايده غير واحد من الكتبة اليونان الاقدمين "^(٩) . والغريب ان كوركيس لم يذكر اسم المصدر لبلوتارك ولا اسماء الكتبة اليونانيين ولا مصادرهم بل جاء كلامه عاماً دون ذكر المصادر وهذا خلاف منهجيته في التأليف .

٣- اهم المصادر الاسلامية التي تشير الى ان حرق المكتبة على يد عمرو بن العاص .

اشار المؤلف الى مصادر اسلامية عدة تشير الى ان حرق المكتبة كان على يد عمرو بن العاص عند فتحه لمدينة الاسكندرية وهذه المصادر هي تأريخ عبد اللطيف البغدادي المتوفى (٦٢٩هـ/١٢٣١م)، واخبار الحكماء لجمال الدين علي بن يوسف القفطي المتوفى (٦٤٦هـ/١٢٤٨م)^(١٠) ، والنبراس في تاريخ الخلفاء بني العباس لابن دحية الكلبي المتوفى سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٥م)^(١١)، وتاريخ مختصر الدول لغريغوريوس أبي الفرج المالطي المعروف بابن العبري المتوفى سنة (٦٨٥هـ-/١٢٨٦م)^(١٢).

والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ويعرف (بخطط المقرئ) لتقي الدين المقرئ المتوفى سنة (٨٤٥هـ/١٤٤١م)^(١٣). ومختصر الرواية ان احد علماء الاسكندرية المعروف بـ (يحيى النحوي)^(١٤) واسمه باليونانية (فيليبونوس)^(١٥) كان مقرباً من عمرو بن العاص طلب منه كتب الحكمة في الخزائن الملكية في الاسكندرية فأبى عمرو إلا ان يخاطب الخليفة عمر بن الخطاب في كتاب فجاء رد كتاب الخليفة "وأما الكتب التي ذكرتها ، فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ، ففي كتاب الله عنها غنى ، وان كان فيها ما يخالف كتاب الله ، فلا حاجة اليها فتقدم بإعدامها"^(١٦) فشرع عمرو بن العاص في تفرقتها على حمامات الاسكندرية وإحراقها في مواقدها.

وهناك ملاحظة مهمة اشار اليها عواد وهي ان الرواية هذه في تاريخ مختصر الدول لابن العبري كانت موجودة في طبعة اكسفورد سنة (١٦٦٣م) إلا انها في طبعة الاب انطوان الصالحاني سنة (١٨٩٠) قد رفعت بالكامل وبعد بحث الباحث وجد ان هذه الرواية موجودة في الطبعة الثانية للأب الصالحاني سنة (١٩٩٤م)^(١٧).

د - اشكالات الباحث على المؤلف عواد

لقد اشار المؤلف الى ان مكتبة الاسكندرية قد حُرقت سنة ٤٨ ق.م ، بالاستناد لما جاء به " بلوتارك ، بل ايده غير واحد من الكتبة اليونان الأقدمين"^(١٨). إلا انه كما اشرنا سابقاً لم يذكر اسماء ومصادر هؤلاء المؤرخين .

يذكر عواد بان " يحيى النحوي كان قد توفي قبل فتح عمرو بن العاص الاسكندرية بـ (٤٣) سنة "^(١٩). وهنا ايضاً لم يذكر المؤلف اسم المصدر والمؤرخ الذي استند عليه { وبعد البحث في متون المصادر وجد الباحث ان هناك بعض المصادر تشير الى ان يحيى النحوي كان قد ادرك الاسلام في عهد عمرو بن العاص

فضلاً عن المصادر الاربعة التي ذكرناها سابقاً والتي تؤيد ادراك يحيى عهد عمرو بن العاص وإحراق المكتبة { ومن هذه النصوص ما ذكره ابن النديم في ترجمته ليحيى النحوي قال "وعاش الى ان فتحت مصر على يد عمرو بن العاص , فدخل اليه وأكرمه , ورأى له موضعاً وقد فسر كتب ارسطاليس" (٢٠) وأيضاً ما ذكره ابن ابي اصبيعة حيث قال "وعمر من هؤلاء الاسكندرانيين : يحيى النحوي الاسكندراني الاسكلاني حتى لحق أوائل الاسلام" (٢١) وقد اورد ايضاً " كان يحيى النحوي في ايام عمرو بن العاص" (٢٢) . بين عواد "انه لو كانت مكتبة الاسكندرية موجودة حين فتح العرب الاسكندرية لكان من اسهل الامور وأيسرها مثلاً نقل ما في مكتبتها من كتب وإنقاذها من ايدي الفاتحين" (٢٣) ورد الباحث هو انه لم يكن هناك ما يكفي من المراكب لنقل الناس فضلاً عن نقل الكتب التي كانت تكتب على لفائف البردي, قبل اكتشاف الورق فكانت كبيرة الحجم وثقيلة الوزن , وبعد رجوع الباحث الى بعض المصادر وجد هذه الرواية في اكثر من مصدر والتي تخالف رأي كوركيس وهي "وكان عدّة من بالإسكندرية من الروم منّي الف (٢٠٠٠٠٠) من الرجال , فلحق بأرض الروم اهل القوة , وركبوا السفن , وكان بها مائة مركب من المراكب الكبيرة فحمل فيها ثلاثون ألفاً مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والأهل , وبقي من بقي من الأسارى ممن بلغ الخراج , فاحصى يوماً ستمائة الف سوى النساء والصبيان" (٢٤) هذه الرواية تدحض بشكل كبير ما ذهب اليه عواد في حمل المكتبة ومن خلال تتبعنا لكوركيس في بحثه انه استخدام احدى طرق البحث التاريخي وهي الطريقة السوسيولوجية (٢٥) soeilogical approach ويبدو انه لم يكن موفقاً في استخدامها وذكر كوركيس " ان جانباً لا يستهان به من كتب مكتبة الاسكندرية كان مكتوباً على الرق أي الجلد , وهو مادة لا تصلح للوقود , فإذا استبعدنا هذا النوع من كتب

الرقوق فكيف يتصور المرء أن ما يبقى من سواها يكفي وقوداً لحمامات الاسكندرية^(٢٦).

والغريب في كلام المؤلف اعلاه كيف غاب عن ذهن المؤلف ان مصر انذاك كانت مشهورة بصناعة ورق (لفائف) البردي وهذه حقيقة اكدها الدكتور نبيل راغب بقوله " اذا انتقلنا من المستوى الثقافي الى المستوى المهني سنجد ان مكتبة الاسكندرية ومكتبات العالم الهيليني كانت في اشد الحاجة الى البردي المصري "^(٢٧) وأيضا "كان البردي المصري نتيجة خبرة علمية وعملية لا تقل عن ثلاثة آلاف عام بحيث ظلت أصول صناعة البردي على ما هي عليه بعد ذلك في الازمنة اليونانية والازمنة التالية"^(٢٨) كما اكدها السيد النشار بقوله : "فلم يكن ورق البردي مرتفع السعر في العصر الفرعوني ، ولكن على العكس تماماً فقد كانت هذه المادة منتشرة ومتوفرة بكثرة وفي كل مكان ، والأكثر من هذا كان كل انسان في مصر يستطيع صناعة ورق البردي في بيته ، لاسيما المادة الخام وهي نبات البردي كانت تنمو طبيعياً على أطراف المستنقعات في وادي النيل "^(٢٩) "وعلى اية حال كان الورق البردي هو المادة المسيطرة على عالم الكتابة في مصر القديمة ، وكان له الفضل الاكبر في حفظ التراث المصري القديم ، وكان احد مقومات الحضارة المصرية القديمة فضلاً عن دوره الأساسى في نقل الأدب العبري..فقد كتبت التوراة على ورق البردي وترجمت فيما يعرف بالترجمة السبعينية على ورق البردي ايضاً"^(٣٠) و ايضاً اشارة الى نفس المضمون الكاتب سفند دال في كتابه تاريخ الكتاب^(٣١) .

وبعد بحث الباحث تبين ان الكاتب جرجي زيدان يؤيد صحة رواية حرق المسلمين لمكتبة الاسكندرية ويسوق ادلة كثيرة منها قوله " ان حكاية احراق مكتبة الاسكندرية لم يختلقها ابو الفرج ابن العبري لتعصب ديني ، ولا دسها احد بعده ، هو نقلها عن ابن الففطي وهو قاضٍ من قضاة المسلمين عالم بالفقه والحديث وعلوم القرآن واللغة والنحو والأصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل وكان صدراً محتشماً جمع من الكتب ما لا يوصف ... ولم يكن يحب من الدنيا سواها ...وله مؤلفات عديدة

منها كتاب " تراجم الحكماء " و"كتاب اخبار مصر من ابتدائها الى ايام صلاح الدين"^(٣٢) في ستة مجلدات وان ابن القفطي وعبد اللطيف أخذوا عن مصدر ضائع"^(٣٣)، وأما خلو كتب الفتح من ذكر هذه الحادثة فلا بد له من سبب والغالب انهم ذكروها ثم حذفت بعد نضج التمدن الاسلامي واشتغال المسلمين بالعلم ومعرفتهم قدر الكتب ، فاستبعدوا حدوث ذلك في عصر الخلفاء الراشدين فحذفوها..وعلى اي حال فقد ترجح عندنا صدق رواية ابي الفرج "^(٣٤)

ثانياً : - مكتبة حنين بن إسحاق

تناول عواد في بحثه هذا شخصية مهمة في التاريخ الاسلامي والعربي " وهذا البحث قد القاه مؤرخنا بمناسبة مهرجان "افرام حنين " المنعقد في بغداد (اذار ١٩٧٤) والذي اقامه مجمع اللغة السريانية "^(٣٥) وتكمن اهمية البحث في التعرض لتلك الشخصية التي كان لها دورٌ بارزٌ وحضورٌ في اروقة قصور الخلفاء في عهد المأمون والمعتصم و المتوكل ، وقد عاش حنين في المرحلة الذهبية التي عاشتها الخلافة العباسية لاسيما في عهد المأمون الذي توجه بشكل ملفت للنظر في تشجيع التأليف والترجمة .

وقد عول كوركيس في بحثه على كتب مصادر السير والتراجم الاسلامية القديمة مثل ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء ، كما يروي حنين بن اسحاق "ان المأمون كان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربية مثلاً بمثل "^(٣٦) . وكذلك على جمال الدين القفطي في صدر كلامه عن حنين "انه كان فصيحاً في اللسان اليوناني وفي اللسان العربي ، بارعاً ، شاعراً ، خطيباً ، فصيحاً ، لسنأ "^(٣٧) اما كتب الادب الاسلامي فقد اعتمد على كتاب الفهرست لابن نديم حيث قال "ان بني المنجم وهم يعرفون ايضاً ببني موسى بن شاعر كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحاق ، وحبيش بن الحسن ، وثابت بن قرة ، وغيرهم في الشهر نحو خمسمائة دينار

لنقل والملازمة ^(٣٨) وكان حنين يتقن اربعاً من اللغات العظمى يوم ذاك وهي :
العربية والسريانية ، واليونانية ، والفارسية ، اتقاناً عجبياً وترجم كتباً كثيرة من اليونانية
الى السريانية والعربية ^(٣٩) وكانت له رحلات في طلب الكتب لغرض ترجمتها . قال
ابن ابي اصيبعة : "سافر حنين ابن اسحاق الى بلاد كثيرة ، ووصل الى اقصى بلاد
الروم لطلب الكتب التي قصد نقلها ^(٤٠) " وكان اسحاق بن حنين من كبار
الاطباء ^(٤١)

١ - محتويات المكتبة

" لقد وقف هذا العالم الجليل حنين بن اسحاق على الثقافات القديمة، ووضع
التصانيف العديدة في العربية والسريانية ، ونقل كتباً ورسائل جمة من اليونانية
والسريانية الى العربية ^(٤٢) لذا كانت مكتبته حافلة بالتراث العربي واليوناني والسرياني
والفارسي فكانت من ذخائر العلم وكنوزه التي يندر ان يوجد الدهر بنظائرها ^(٤٣) ومن
جملة ما كانت تزخر به من تصانيف الاغريق ، مؤلفات جالينوس .

وأشار المؤلف الى ما ذكره ابن ابي اصيبعة "ان حنين نقل لبختيشوع بن جبرائيل
كتباً كثيرة من كتب جالينوس الى اللغة السريانية والعربية ^(٤٤) " ونقل حنين لابن
ماسويه ^(٤٥) كتباً كثيرة ، وخصوصاً من كتب جالينوس بعضها الى السريانية ، وبعضها
الى العربية ، وكان حنين اعلم اهل زمانه باللغة السريانية والفارسية والدراية فيهما مما
لا يعرفه غيره من النقلة الذين كانوا في زمانه مع ما دأب عليه ايضاً في اتقان
العربية والاشتغال بها حتى صار من المتميزين فيها ^(٤٦) . ولعل مما اشتملت عليه
مكتبة حنين نسخة من كتاب (الفصول الحكيمة والنواد الطبية) التي كتب بها يوحنا بن
ماسويه الى تلميذه حنين بن اسحاق ، وتوجد نسخة خطية من هذا الكتاب في مكتبة
روضة احمد خيرى تاريخها (٩٩٣هـ/١٥٨٥م) ^(٤٧)

٢- ضياع المكتبة

لقد ذكر كوركيس في بحثه ان سبب ضياع وإتلاف مكتبة هذا العالم (حنين) هو ان الخليفة المتوكل سخط على حنين بسبب امتهانه صورة للعدراء مريم , مستندا في ذلك الى ما اورده ابن ابي اصيبعة وما ذكره حنين بن اسحاق نفسه " فحمل جميع ما كان لي - الكلام لحنين - من رحل وأثاث وكتب وما شاكل ذلك , وأمر بنقض منازل الى الماء "(٤٨) . " والواقع ان حنين ما تألم لشيء مما استصفاه الخليفة المتوكل من املكه ومقتنياته , تألمه لفقدان مكتبته وحرمانه منها "(٤٩) وقال حنين عن نفسه في رسالة بعث بها الى علي بن يحيى المنجم يذكر فيها ما نقله من كتب جالينوس قال : " بسبب فقدي جميع كتبي التي جمعتها كتابا كتابا , في دهري كله منذ اقبلت افهم من جميع ما حملته من البلدان , ثم فقدتها كلها جملة "(٥٠) ومما سلم الى يومنا هذا من مؤلفات حنين , ولعله كان في جملة ما تشتمل عليه مكتبته , نسخة عتيقة من كتابه (نوادير الحكماء) , يرجع تاريخ نسخها الى سنة (٢٤٩هـ / ٨٦٣م) . وقد كان حنين يوم ذلك حيا , هذه النسخة تحوزها المكتبة المركزية بجامعة طهران , ورقمها (٢١٦٥) وهي من الذخائر الاثرية التي لا تقدر بثمن "(٥١) ومن خلال تتبعنا لمنهج عواد في بحثه انه استخدام الطريقة الوصفية وهي من طرائق البحث التاريخي اما في تفسيره لبعض النصوص التاريخية فقد استعان بالطريقة التحليلية(٥٢) .

ثالثاً : خزائن الكتب القديمة في العراق

بحث كوركيس عواد في هذا الكتاب موضوعاً مهماً جداً في حضارة الدولة الاسلامية وهو (خزائن الكتب) او (دور العلم) او (المكتبات) كما يطلق عليها في عصرنا الحاضر ولقد صنف الخزائن الى صنفين الأول الخزائن العامة(٥٣) و الثاني : الخزائن الخاصة(٥٤) . وقبل دخول المؤلف في صميم الموضوع أورد مباحث تمهيدية عديدة تتعلق بأسباب تطور ونماء خزائن الكتب أو التي تؤدي الى ضمور أو اختفاء تلك الخزائن , والمباحث هي (الوراقة والوراقون)(٥٥) وهي تشمل النسخ وبيع الورق

وسائر ادوات الكتابة وتجليد الكتب وبيع الكتب وذلك من خلال النصوص التي اعتمدها المؤلف لبعض المؤرخين كابن النديم^(٥٦) في كتابه الفهرست الذي اعتمد طبعتين منه معا هما (طبعة فلوجل) و(الطبعة المصرية (١٩٢٩)) و اليعقوبي^(٥٧) ، وابن الجوزي^(٥٨) ، وياقوت الحموي^(٥٩) . و (وقف الكتب) من ذلك ما ذكره عن المذهب بن الدخوار الطبيب ، المتوفى (٦٢٨هـ/١٢٣٠م) فقد " كان فاضلاً حاذقاً بعلم الطب أستاذ عصره ، تقدم على جميع أطباء زمانه .. ووقف داره وكتبه على الاطباء " ^(٦٠) ، و(حرق الكتب) ومن ذلك ما حصل في سنة (٥١٥هـ/١١٢١م) من احتراق جامع اصفهان ، فقد " كان فيه من المصاحف الثمينة نحو خمسمائة (٥٠٠) مصحف من جملتها مصحف ذكر أنه بخط أبي بن كعب " ^(٦١) وأيضا ما أشار اليه ابن النديم ، ومما ورد في كتاب الى الخليفة القادر بالله ببغداد ، من السلطان محمود بن سبكتكين ، انه في سنة (٤٢٠هـ/١٠٢٩م) ،

حارب الباطنية والمعتزلة^(٦٢) والروافض فصلب منهم جماعة " وحول من الكتب خمسين حملاً ، ما خلا كتب المعتزلة والفلاسفة والروافض ، فأنها احترقت تحت جذوع المصلوبين " ^(٦٣) . وكذلك (غرق الكتب) ومن ذلك ما أورده ياقوت في ترجمة أبي عمرو الهروي ، المتوفى سنة (٢٥٥هـ/٨٦٨م) انه " اتصل بيعقوب بن الليث الأمير ، فخرج معه الى نواحي فارس ، وحمل معه كتاب الجيم^(٦٤) فطغى الماء من النهروان على معسكر يعقوب ، فغرق الكتاب فيما غرق من المتاع " ^(٦٥) . وأيضا ما أورده بعض المؤرخين في ترجمة أبي بكر بن جعفر القطيعي المتوفى سنة (٣٨٦هـ/٩٧٨م) انه " لما غرقت القطيعة^(٦٦) بالماء الأسود غرقت بعضُ كتبه ، فاستحدث عوضها " ^(٦٧) .

ومن المباحث التمهيدية ايضاً (دفن الكتب) ومن ذلك ما أورده ابن الجوزي " وفي الناس من غلب عليه قصر الأمل وذكر الآخرة حتى دفن كتب العلم . وهذا الفعل عندي من اعظم الخطأ وان كان منقولاً عن جماعة من الكبار " ^(٦٨) . وأيضا (غسل الكتابة والكتب) وهو اسلوب آخر من أساليب إبادة الكتب واتلافها ومن ذلك ما

أشار إليه ابن حجر العسقلاني أنّ صدر الدين بن الوكيل ، المتوفى سنة (٧١٦هـ/١٣١٦م) كان "إذا مرض غسل ما نظمه من الشعر" (٦٩) فكان منظوماته أشعرته بأنها تنافي المطالب الدينية ، وتحول بينه وبين رضا الله عنه " (٧٠) . وأيضاً ما ذكره ابن حجر العسقلاني عن علي بن الحسين بن عبد الله بن الجابي المتوفى سنة (٧٠١هـ/١٣٠١م) من انه " قد أغري بالكيماء وحصل فيها كتباً كثيراً جداً ، وكان يزعم أنها صحت معه . قال بن الجزري :كان صاحبي وكان يعرف الكيماء معرفة تامة ولما مات ، توجه الشيخ تقي الدين ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) فاشتري منها جملة وغسلها في الحال ، وقال : هذه كتب كان الناس يضلون بها وتضيع أموالهم ، فافتديتهم بما بذلته في ثمنها " (٧١)

عندما تطرق كوركيس عواد لموضوع الخزائن كان سبيله في هذا الكتاب أن يصف ما أتيح له الوقوف على خبره وصفته من الخزائن على أوثق المصادر التاريخية بحيث انه لم يرو خبراً أو أورد كلاماً إلا دعمه بالمصادر والمراجع المعتبرة وكانت للمراجع الاجنبية حصة كبيرة في كتابه هذا وقد اعتمد المؤلف على كتب الأدب الإسلامي القديم مثل كتاب الفهرست لابن النديم ومعجم الادباء لياقوت الحموي وصبح الاعشى للقلقشندي وغيرها وأيضاً على كتب البلدان مثل البلدان لليعقوبي ومعجم البلدان لياقوت الحموي وآثار البلاد للقزويني وعلى كتب السير والتراجم مثل كتاب الانساب للسمعاني وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ووفيات الاعيان لابن خلكان والمنتظم لابن الجوزي وغيرها وقد قسم المؤلف كتابه على اربعة ابواب الباب الأول المباحث التمهيدية والباب الثاني خزائن الكتب في العراق قبل الميلاد وفيه اربع عشرة (١٤) خزانة والباب الثالث خزائن الكتب في العراق بعد الميلاد وفيه عشرة (١٠) خزائن وهذان البابان خارج نطاق دراستنا الاسلامية والباب الرابع خزائن الكتب في العراق خلال العصر الإسلامي وفيه مائة وأربعة (١٠٤) خزانات مقسمة مابين خزائن الخلفاء والملوك والسلطين والوزراء والخزائن العامة والخاصة وسوف نأخذ بعض

أنواع هذه الخزائن الإسلامية أمثلة لكي نبتعد عن الاطالة لغزارة الخزائن ، ثم لمعرفة منهجية المؤلف وأسلوبه ومن هذه الخزائن •

أ- خزائن الخلفاء

• خزانة الحكمة ببغداد

ذكر عواد ان "لهذه الخزانة ذكراً مشتتاً في كثير من المراجع العربية قديمها وحديثها • وقد عرفت في بعضها باسم (بيت الحكمة)^(٧٢) وفي بعضها الآخر باسم (دار الحكمة) فالخزانة والبيت والدار يراد بها هاهنا المحل التي تجمع فيها الكتب وتتضد بنظام معلوم ليطالع فيها ويستفاد من علومها "^(٧٣) واستطاع عواد بتتبعه مصادر الأدب الإسلامي القديمة والحديثة ان يجمع ويلم بعض شتات هذه الخزانة معتمداً كتاب الفهرست لابن النديم ومعجم البلدان للحموي وإخبار العلماء للقفطي وعيون الانباء لابن ابي اصيبعة و كتب التراجم مثل وفيات الاعيان لابن خلكان وفوات الوفيات لابن شاکر الكتبي وهذه بعض النصوص التي جمعها المؤلف لهذه الخزانة . كان البدء بتأسيس هذه الخزانة في عهد الخليفة هارون الرشيد على ما يؤخذ من اقوال ثقات المؤرخين . فقد ذكر ابن النديم في ترجمة "ابي سهل الفضل بن نوبخت "^(٧٤) انه " كان في خزانة الحكمة لهارون الرشيد "^(٧٥) . وأشار في ترجمة (علّان الشعبي) إلا انه "كان منقطعاً الى البرامكة , وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة "^(٧٦) وفي وفيات الاعيان وفوات الوفيات في ترجمة (سهل بن هارون)^(٧٧) ان المأمون جعله كاتباً على خزانة الحكمة وهي كتب الفلاسفة التي نقلت للمأمون من جزيرة قبرص^(٧٨) . وذلك ان المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة ارسل اليه يطلب خزانة كتب اليونان... فأرسلها اليه واغتنبط بها المأمون , وجعل سهل بن هارون خازناً لها "^(٧٩) ونوّه كوركيس الى ان هذه الكتب التي نقلت الى بغداد لم تكن

إلا جانباً عن تلك الخزانة اليونانية العظمى ، التي جمعت في ايام الاغريق وجعلت في القسطنطينية ^(٨٠) ورواية نقل المأمون الكتب من قبرص ذكرها القفطي ^(٨١) بوجه يختلف كثيراً عن هذه الرواية وقد ذكر كوركيس ان هذه "المكتبة ضمت كتباً مؤلفة بلغات مختلفة ، فكان فيها اسفار باليونانية والفارسية والآرامية والهندية والقبطية ، فضلاً عن العربية وهذا قلّ ان اتفق وجوده في خزانة اخرى عتيقة ^(٨٢) ، كما اشار صاعد الاندلسي ، ان عمر بن الفرضان الطبري "وهو احد رؤساء الترجمة في ايام المأمون قد ترجم كتباً كثيرة في علم حركات النجوم و احكامها وانها كانت في هذه الخزانة ^(٨٣) ، وكان لهذه الخزانة من يُعنى بتجليد كتبها فقد ذكر ابن النديم بقوله انه " كان يجلد في خزانة الحكمة للمأمون شفة المقرض العجيفي ، وأبو عيسى بن شيروان ، ودميانة الاعسر ... ^(٨٤) . لقد سطع نور هذه الخزانة في ايام المأمون . وكان عهد هذا الخليفة عهداً ذهبياً في حياة الدولة العباسية ثم خبا ذلك النور من بعدها فصرنا نلتبس اخبارها في بطون الكتب ، فاذا نحن لانجد ما يشفي الغليل ^(٨٥) .

ب- خزائن الملوك والسلطين

• خزانة عضد الدولة البويهى ^(٨٦)

لم يستند المؤلف عواد في ذكره لهذه الخزانة إلا الى ثلاثة مصادر فقط وهي الكامل في التاريخ لابن الاثير وذيل تجارب الامم للوزير ابي شجاع الروادري وكتاب البلدان احسن التقاسيم للبشاري المقدسي وقد وصف عضد الدولة بأنه "كان محباً للعلوم وأهلها مقرباً لهم محسناً اليهم وكان يجلس معهم يعارضهم في المسائل ، قصده العلماء من كل بلد وصنفوا له الكتب ، منها : الايضاح في النحو ، والحجة في القراءات ، والملكي في الطب ، والتاجي في التاريخ الى غير ذلك ^(٨٧) فقد كانت علاقته بالعلماء والأدباء في غاية التقدير والاهتمام وقد أوجز الثعالبي ذلك بالعبارة

المشهورة عنه ، في ان عضد الدولة كان "يؤثر مجالسة الادباء على منادمة الامراء"^(٨٨) . وقد نوه عواد الى ان عضد الدولة قد جمع لنفسه خزانة كتب كبيرة كان جعلها أولاً في قصره بشيراز ولكنها نقلت فيما بعد الى بغداد "^(٨٩) وقد ذكرها المقدسي وقال "قرأت في كتاب خزانة عضد الدولة ..."^(٩٠) وقد وصفها المقدسي لأنه دخل فيها وشاهدها واستفاد من بعض كتبها فقال "خزانة الكتب ، حجرة على حدة ، عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد ، ولم يبق كتاب صنف الى وقته من انواع العلوم كلها إلا وحصله فيها وهي ازج طويل في صفة كبيرة ، فيها خزائن من كل وجه ، وقد ألصق الى جميع حيطان الأزج والخزائن بيوتاً طولها قامة في عرض ثلاثة اذرع من الخشب المزوّق ، عليها ابواب تتحدر من فوق والدفاتر منصدة على الرفوف ، لكل نوع بيوت وفهرستات فيها اسامي الكتب ، لا يدخلها إلا وجيه "^(٩١)

ج- خزائن الكتب العامة

• خزانة المدرسة النظامية ببغداد

المدرسة النظامية من اشهر مدارس بغداد واجلها شأنًا وأقدمها عهداً. كان نظام الملك^(٩٢)، المتوفى سنة (٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) قد بدأ بعمارتها سنة (٤٥٧هـ / ١٠٦٤م) وفرغ منها سنة (٤٥٩هـ / ١٠٦٦م)^(٩٣) . استطاع كوركيس عواد ان يلم شتات هذه الخزانة من خلال النصوص المتناثرة في امهات مصادر الادب الاسلامي ومصادر التاريخ الاسلامي العام ومن كتب السير والرحالة القديمة حيث ذكرت "ومما اشتملت عليه هذه المدرسة ، دار كتب حافلة بأصناف المؤلفات التي كانت تتوارد اليها بالشراء والإهداء والوقف "^(٩٤) . فمن اوقف كتبه على هذه الخزانة ، المؤرخ البغدادي الشهير محب الدين بن النجار ، المتوفى (٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) "صاحب ذيل تاريخ بغداد " وقد استند عواد في ذلك الى ما ذكره ابن كثير ان ابن النجار "وقف خزانتي من الكتب النظامية تساوي الف دينار فأمضى ذلك الخليفة المستعصم "^(٩٥) وأيضاً ما أورده ابن

الاثير حول الخزانة في حوادث سنة (٥١٠ هـ / ١١١٦ م) . "واحتترقت خزانة الكتب النظامية وسلمت الكتب , لان الفقهاء لما احسوا بالنار نقلوها " (٩٦). وساق ابن الاثير في حوادث سنة (٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) "فيها امر الخليفة الناصر لدين الله , بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة النظامية ببغداد ونقل اليها من الكتب النفيسة ألوفاً لا يوجد مثلها" (٩٧) وتوصل عواد إلى ان هذه الكتب المهداة من الناصر لدين الله هي من الخزانة الخاصة بالخليفة وذلك عن طريق ما اورده القفطي في ترجمة ابي الرشيد مبثر بن احمد الحاسب الملقب بالبرهان , المتوفي سنة (٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) قال بحقه انه " تميز في ايام الناصر لدين الله ابي العباس احمد وقرب منه , واعتمد في اختيار الكتب التي وقفها بالرباط الخاتوني السلجوقي والمدرسة النظامية , ودار المسناة , فانه ادخله الى خزائن الكتب بالدار الخليفية وأفردوه لاختيارها " (٩٨). وأشار عواد "وقد حوت خزانة المدرسة النظامية كل طريف ونفيس من امهات الكتب واعلاق المخطوطات " (٩٩) "وكان لهذه الخزانة النفيسة , خزنة ومشرفون يتولون امرها والنظر في شؤونها , ولهم من مغلات وقوف المدرسة قسط لقاء عملهم " (١٠٠) وقد استطاع كوركيس ان يجمع ستة (٦) اسماء من خزنة النظامية من خلال المصادر الاسلامية منهم "يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بستان ابو زكريا الخطيب التبريزي المتوفى (٥٠٢ هـ / ١٠٠٨ م) " (١٠١) وعبد القادر بن داود بن ابي نصر الواسطي المعروف بالمحب المتوفى سنة (٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م) (١٠٢) وقد شرط نظام الملك في كتاب شرط المدرسة "انها وقف على اصحاب الشافعي اصلاً وفرعاً وكذلك الاملاك الموقف عليها ان يكون شرط فيها ان يكون على اصحاب الشافعي اصلاً وفرعاً وكذلك شرط المدرس الذي يكون بها و الواعظ الذي يعظ بها ومتولي الكتب " (١٠٣).

د - الخزائن الخاصة

• خزانة بني موسى بن شاكر

بني شاكر هم ثلاثة أخوة (محمد ، وأحمد ، والحسن)^(١٠٤) . وقد اشتهروا في علم الهندسة والحيل والفلك . وكان أبوهم موسى بن شاكر من منجمي المأمون وقد عول كوركيس على بعض المصادر التاريخية والأدبية الإسلامية في جمع نصوص تلك الخزانة حيث ذكر ابن النديم والقفطي عن ابناء موسى قولهم "ممن تنهى في طلب العلوم القديمة ، وبذل فيها الرغائب واتعبوا فيها نفوسهم ، و انفذوا الى بلد الروم من اخراجها اليهم ، فأحضروا النقلة من الاصقاع والأماكن بالبذل السني ، فأظهروا عجائب الحكمة"^(١٠٥) . وذكر القفطي ايضاً " وممن عُنِي بإخراج الكتب في بلاد الروم ، محمد واحمد والحسن بنو موسى بن شاكر المنجم ، وبذلوا في ذلك الرغائب واحضروا الغرائب منها ، في الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب وغيرها"^(١٠٦) . ونوه ابن ابي اصيبعة الى محمد بن موسى بقوله "وهو احد بني موسى بن شاكر الحساب المشهورين بالفضل والعلم والتصنيف في العلوم الرياضية وكان محمد هذا من ابر الناس بحنين بن اسحاق وقد نقل له حنين كثيراً من الكتب الطبية"^(١٠٧) وأشار ابن القفطي الى محمد بن موسى بقوله "جمع كتب النجوم والهندسة والعدد والمنطق وكان حريصاً عليها"^(١٠٨) . وذكر القفطي في موضع اخر "ان بني المنجم كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحاق وحبيش بن الحسن وثابت بن القرة ، في الشهر خمسمائة دينار ، للنقل والترجمة والملازمة"^(١٠٩) وبذلك فان بني موسى ، قد حصلوا من الكتب انفسها واعزها وجوداً وبذلهم المال بيد سخية واستهانتهم به في سبيل الكتب مكنهم ان يحرزوا خزانة عظيمة الشأن^(١١٠)

مؤلفات كوركيس عواد في المكتبات

خزائن الكتب القديمة في العراق من اقدم العصور الى سنة ١٠٠٠ هجرية و خزائن كتب المتحف العراقي ، و خزائن كتب العراق قبل العصر الاسلامي ، و مكتبة المتحف العراقي في ماضيها وحاضرها
واقدم المطبوعات العربية في مكتبة المتحف العراقي ، و خزائن كتب العراق العامة في ايام العباسيين ، و مكتبة متحف الموصل ، و مدينة البصرة مكتباتها ومخطوطاتها، ومكتبة الاسكندرية تأسيسها وإحراقها ، و المكتبة العامة والخاصة في العراق ، ومكتبة حنين بن اسحاق

الهوامش:

- (١) عواد ، كوركيس ، مكتبة الاسكندرية تأسيسها وإحراقها ، (جمعية الخدمات الدينية والاجتماعية - بغداد ١٩٥٥)، ص ٥.
- (٢) البطالسة :- وهم الحكام اليونانيون الذين حكموا مصر بعد الاسكندر الاكبر ويعتبر مؤسس دولة البطالسة هو بطليموس الاول (سويتز) ودام حكمهم نحو ثلاثمائة عام (٣٣١ ق م - ٣٠ ق م) وهم يدعون باسم كلهم بطليموس وكان اخرهم بطليموس الثاني عشر بن الملكة كليوباترا وبمقتله انتهى حكم البطالسة على مصر وأصبحت مصر ولاية تابعة لروما . ينظر : وجدي ، محمد فريد ، دائرة معارف القرن العشرين ، (دار الفكر - بيروت د ت) ، ٨ ، صص ٢٠٣-٢٠٥ ؛ ينظر النشار ، السيد ، تاريخ الكتب والمكتبات في مصر القديمة ، نشر (دار الثقافة العلمية - الاسكندرية ١٩٩٩)، صص ١٠١ و ١٢٠ ؛ ينظر : علي ، زكي ، الاسكندرية في عهد البطالمة والرومان ، مط (دار المستقبل - مصر د. ت) ، ص ٣٩.
- (٣) عواد ، مكتبة الاسكندرية ، ص ٦.
- (٤) كانت اللفائف تصنع طويلة تلف عادة باسطوانة خشبية وكانت هذه اللفائف محدودة الطول اذ يبلغ طولها نحو خمسة وثلاثين قدماً أي ان اللفافة الواحدة تعادل نحو اربعين صفحة من الكتب الحديثة . ينظر : النشار ، تاريخ الكتب والمكتبات ، ص ١٠٧.
- (٥) عواد ، مكتبة الاسكندرية ، ص ٧ ؛ النشار ، تاريخ الكتب والمكتبات ، ص ١٠٦.
- (٦) كليوباترا :- هي ملكة مصر بنت الملك بطليموس الثاني عشر من دولة البطالسة اليونان التي حكمت مصر بعد الاسكندر الاكبر ولما حضرت ابائها الوفاة كان ابنه بطليموس الثالث عشر

قاصرا وكانت اخته كليوباترا تبلغ من العمر سبعة عشر عاما فعهد ابوها بإشرافها مع اخيها في الحكم فأقيم عليها ثلاثة أوصياء ولما كبر بطليموس الثالث عشر تزوج اخته كليوباترا واصبح ملكا على مصر عام سبعة وأربعين قبل الميلاد وصارت هي صاحبة النفوذ المطلق في مصر وقد قتلت نفسها سنة ثلاثين ق م بعد ان خسرت الحرب وأصبحت مصر تابعة لروما. ينظر : وجدي ،محمد فريد ،دائرة معارف القرن العشرين ،(دار الفكر -بيروت د ت) ، م ٨ ، صص٢٠٣-٢٠٥

(٧) ينظر: عواد ، مكتبة الاسكندرية ،ص٨؛ راجع: النشار ،تاريخ الكتب والمكتبات ،ص١٢١ .
(٨) بلوتارك:- هو كتب من كتاب اليونان.أرخ تراجم الرجال وغير ذلك من الموضوعات ، ولد سنة ٥٠ م ، مات نحو سنة ١٢٠ م .

(٩)عواد ، مكتبة الاسكندرية ،ص٨
(١٠) القفطي، اخبار الحكماء ، ط ، (ليسبك ١٩٠٣) ، صص٣٥٤-٣٦٥
(١١) بن دحية الكلبي، مجد الدين ،ابو الخطاب ، عمر (ت ٦٣٣هـ/١٢٣٥م) ، النبراس في تاريخ الخلفاء بني العباس ، تح عباس العزاوي ،(بغداد ١٩٤٦) ، ص١٢٩ .

(١٢) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٨٠ .
(١٣) المقرئزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ويعرف (بخطط المقرئزي)، تح محمد زينهم ومديحة الشراقوي ، مط (مكتبة مدبولي ،القاهرة ١٩٩٨)، ج ١ ، ص٤٤٧ .

(١٤) يحيى النحوي :- كان اسكندرياً يعتقد اعتقاد النصارى اليعقوبية ثم رجع عما يعتقد النصارى في التثليث . فاجتمع الاساقفة بمصر وسألوه الرجوع عما هو عليه . فلم يرجع فأسقطوه عن منزلته.وعاش الى ان فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية .وقربه عمرو لعلمه انظر:ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ، تصح الاب انطوان صالحاني في اليسوعي ، ط٢، مط (دار الرائد اللبناني ١٩٩٤) ، صص ١٧٥-١٧٦ .

(١٥) ألفرد ، بتلر ، فتح العرب لمصر، تر محمد فريد ، ط٢، مط (مكتبة مدبولي القاهرة ١٩٩٦) ، ص٤٢١ .

(١٦) القفطي ،اخبار الحكماء ، ط (ليسبك ١٩٠٣)، ص٣٥٤ ؛ ابن دحية الكلبي، النبراس ،ص١٢٩؛ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ، ص ١٧٦ ؛ المقرئزي ، الخطط ،ج١، ص٤٤٧ ؛ بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص٤١٩ .

(١٧) ابن العبري ،تاريخ مختصر الدول ،ط٢،مط(دار الرائد اللبناني -لبنان ١٩٩٤)، ص١٧٦ .
(١٨) عواد ،مكتبة الاسكندرية ، ص٨ .

- (١٩) المرجع نفسه، ص ١٣.
- (٢٠) ابن النديم، الفهرست، ج ٧، صص ٣١٤-٣١٥.
- (٢١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ١٥١.
- (٢٢) المصدر نفسه، ص ١٥٢.
- (٢٣) عواد، مكتبة الاسكندرية، ص ١٤.
- (٢٤) المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٤٦٧؛ السيوطي، جلال الدين، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح، محمد أبو الفضل، ط ١، (دار احياء الكتب العربية ١٩٦٧)، ج ١، ص ٧٢٢، ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م)، فتوح مصر والمغرب، تح عبد المنعم عامر، (الذخائر، القاهرة د.ت)، ج ١، ص ١٢١.
- (٢٥) الطريقة السوسيلولجية:- وهي تأخذ اسمها من العلم الذي تقترن به السوسولوجي او علم الاجتماع الذي استنبطه ابن خلدون وتهتم بدراسة المجتمع وتشكيلاته ومتابعة التغيرات التي تحصل فيه الذي هو محور اهتمام المؤرخ، انظر النقيب، المؤرخ، صص ١٤٥-١٤٨؛ أنظر مؤنس، حسين، تاريخ الكتابة التاريخية، ثر محمد عبد الرحمن، (الهيئة الدينية العامة للكتاب ١٩٨٧)، ج ٢، صص ٢٠٦-٢٠٧.
- (٢٦) عواد، مكتبة الاسكندرية، ص ١٤.
- (٢٧) راغب، نبيل، عصر الاسكندرية الذهبي، (الهيئة المصرية للكتاب، مصر ١٩٩٣)، ص ٦٠.
- (٢٨) المرجع نفسه، ص ٦٠.
- (٢٩) راجع: النشار، تاريخ الكتب والمكتبات، ص ٥١.
- (٣٠) المرجع نفسه، ص ٢٨.
- (٣١) سفند دال، تاريخ الكتاب، صص ٢-٤.
- (٣٢) الكتبي، فوات الوفيات، ج ٣، صص ١١٧-١١٨.
- (٣٣) ينظر: زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي، (دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت د.ت)، م ٢، صص ٤٥-٥٢.
- (٣٤) المرجع نفسه، ص ٥٠.
- (٣٥) الاضبارة الشخصية لكوركيس في المجمع العلمي العراقي، كتاب اداري ٣/٣٧٤ بتاريخ ١٩٧٤/٣/١٠.
- (٣٦) عيون الأنباء، ص ٢٦٠؛ عواد، مكتبة حنين بن اسحاق، مستل من كتاب مهرجان حنين (بغداد ١٩٧٤)، ص ٤٩٤.

(٣٧) اخبار العلماء , ص ١١٨ ؛ اذهبي , سير أعلام , ج٢, ص٤٩٢ ؛ عواد , مكتبة حنين , ص٤٩٢ .

(٣٨) الفهرست , ج٧, ص٣٠٤ ؛ عواد , مكتبة حنين , ص٤٩٢ .

(٣٩) عواد , مكتبة حنين بن اسحاق , ص ٤٩١ .

(٤٠) عيون الانباء , ص٢٦٠ .

(٤١) الذهبي , سير اعلام , ج١٢, ص٤٩٢ .

(٤٢) عواد , مكتبة حنين , ص٤٩٢ .

(٤٣) المرجع نفسه , ص٤٩٣ .

(٤٤) عيون الانباء , ص٢٠١ .

(٤٥) يوحنا بن ماسويه :- وهو نصراني سرياني من اطباء الخليفة الرشيد ولاء الرشيد ترجمة الكتب الطبية. وخدم الرشيد ومن بعده الى ايام المتوكل وكان معظماً ببغداد جليل القدر وله تصانيف جميلة وكان يعقد مجلساً للنظر ويجري فيه من كل نوع من العلوم . أنظر ابن العبري , غريفيوس ابي الفرج بن هارون , تاريخ مختصر الدول , تصحيح , انطون صالحاني , ط٢, مط(دار الرائد اللبناني , بيروت ١٩٩٤) , صص٢٢٧-٢٢٨ ..

(٤٦) ابن ابي اصيبعة , عيون الانباء , ص٢٥٩ .

(٤٧) النجار , عبد السلام محمد , مخطوطات مكتبة روضة خيري . (مجلة معهد المخطوطات العربية العدد ٦ , القاهرة ١٩٦٠م) , صص٦٢-٦٣ .

(٤٨) عيون الانباء , ص٢٦٨ ؛ عواد كوركيس , خزائن الكتب القديمة في العراق منذ اقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ هجرية , ط٢, مط(دار الرائد العربي - بيروت ١٩٨٦) , ص٢٠٣ .

(٤٩) عواد , مكتبة حنين , ص٤٩٥ .

(٥٠) اسحاق , حنين , العشر مقالات في العين , تح ماكس مايرهون , (القاهرة ١٩٢٨) , ص٢٦ .

(٥١) عواد , مكتبة حنين , ص٤٩٧ .

(٥٢) الطريقة التحليلية وهي الطريقة التي تعتمد مبدأ التحليل للنص الكتابي , انظر: النقيب , المؤرخ المبتدئ , صص١٤٢-١٤٣ .

(٥٣) الخزائن العامة :- وهي التي يباح غير واحد من الناس في الرجوع الى كتبها او النقل عنها كالخزائن التي في المدارس والديارات والجوامع والمساجد ودور العلم الاخرى . انظر: عواد , خزائن الكتب القديمة في العراق , , ص٦ .

- (٥٤) الخزائن الخاصة :- وهي التي يعنى بجمعها افراد من الناس رغبةً منهم في العلم او التشجيع على طلبه , وذلك كخزائن كتب الملوك و الامراء والوزراء والعلماء وغيرهم من صنوف الناس . انظر: عواد خزائن الكتب القديمة في العراق , ص٦.
- (٥٥) الوراقة :- بفتح الواو وتشديد الراء في اخرها القاف :- هذا اسم لمن يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها . وقد يقال لمن يبيع الورق , وهو الكاغد ببغداد , الوراق ايضاً , ورجل وراق وهو الذي يورق ويكتب (وحرفته الوراقة) بالكسر . ينظر: السمعاني , الانساب , ج٥ , ص٥٨٤ ؛ وينظر: ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج٥ , ص٣٧٠ ؛ وينظر : الزبيدي , تاج العروس , ج٧ , ص٨٦.
- (٥٦) الفهرست , ج١ , ص٢٢-٢٣.
- (٥٧) كتاب البلدان , ص١١٦.
- (٥٨) مناقب بغداد , ط(محمد بهجت الاثري - ١٣٤٢هـ) , ص٢٦.
- (٥٩) معجم البلدان , ج٥ , ص٣٧٠ .
- (٦٠) ابن تغري , النجوم الزاهرة , ج٦ , ص٢٤٧ .
- (٦١) ابن الجوزي , المنتظم , ج١٧ , ص١٤٩.
- (٦٢) المعتزلة :- فرقة اسلامية ظهرت ظهوراً واضحاً في بداية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وقد راج مذهب الاعتزال لما فيه من مظاهر البحث العقلي والاعتماد على اساليب المنطق والجدل فمالت اليه الطباع وكثر انصاره وأصبح المذهب السائد بين المتكلمين وان منشأ اسم المعتزلة يعود الى ان واصل بن عطاء مؤسس هذه الفرقة حين اختلف مع أستاذه الحسن البصري في مسألة الكبيرة أدلى برأيه واعتزل مجلسه هو وبعض من وافقه على ذلك الرأي , فقال الحسن البصري "اعتزل عنا واصل فسمي واصحابه بالمعتزلة " وقالوا بخلق القرآن وسميت بالمحنة واهم من روج لهذا المذهب من الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق . للتفاصيل انظر : النويختي , فرق الشيعة , ص٢٣ ؛ الشهرستاني , الملل والنحل , ج١ , صص٥٦-٥٨ ؛ المرتضى , احمد بن يحيى(ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م) , طبقات المعتزلة , تح , سوسة ديقشلد , ط٢ , (بيروت , ١٩٨٧م) , صص٢-٨ ؛ العرجي , احمد شوقي , المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية , (مصر ٢٠٠٠م) , صص١٩-٢١ ؛ الجبوري , حمد اسود علو , العلاقات بين العباسيين والسلطين السلاجقة(٤٤٧ - ٥٩٠هـ) , رسالة ماجستير , (كلية التربية , جامعة الموصل ١٩٩٤م) , ص٤ .

- (٦٣) ابن الجوزي ، المنتظم، ج ١٥ ، ص ١٩٦.
- (٦٤) كتاب الجيم :- هو الكتاب لأبي عمرو الهروي "وهو كتاب كبير رتبته على المعجم ، ابتداءً فيه بحرف الجيم لم يسبق الى مثله ، اودعه تفسير القرآن وغريب الحديث وكان ضئيلاً به ، فلم ينسخه احد واختزنه بعد وفاته بعض اقاربه فلم ينتفع به". ياقوت ، معجم البلدان ج ٤، صص ٢٦٢-٢٦٣.
- (٦٥) المصدر نفسه ، ج ٤، ص ٢٦٣.
- (٦٦) القطيعة :- وهي محلة في اعلى غربي بغداد . أنظر: الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ٤، ص ٧٣ . ؛ ابن الجوزي ، المنتظم، ج ١٤، ص ٢٦٠.
- (٦٧) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ٤، ص ٧٣ . ؛ ابن الجوزي ، المنتظم، ج ١٤، ص ٢٦١.
- (٦٨) صيد الخاطر ، (القاهرة - ١٩٢٧) ، ص ١٩٣.
- (٦٩) الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، (دار الجيل - بيروت ١٩٩٣) ، ج ٤ ، ص ١٢٠.
- (٧٠) عواد ، خزائن الكتب القديمة ، ص ٣٧.
- (٧١) ابن حجر الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٣٩ .
- (٧٢) امين ، احمد ، ضحى الاسلام ، ط(الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر ١٩٩٨)، ج ٢ ، صص ٦١-٦٢.
- (٧٣) عواد ، خزائن الكتب ، ص ١٠٥.
- (٧٤) ابو سهل الفضل بن نوبخت:- هو منجم فارسي الاصل ترجم بعض الكتب من الفارسية الى العربية ومعه في علمه على كتب الفرس . ينظر : الفهرست ، ج ٧، ص ٣٠٠ ؛ القفطي ، اخبار العلماء ، ص ٤٠٩.
- (٧٥) ابن النديم ، الفهرست ج ٧، ص ٣٣٣.
- (٧٦) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١١٨ .
- (٧٧) سهل بن هارون :- رجل فارسي الاصل اتصل بالمأمون فولاه خزانة الحكمة وكان ادبياً شاعراً يتعصب للعجم على العرب شديداً في ذلك وكان مشهوراً في البخل وله في ذلك اخبار كثيرة وله رسالة بمدح البخل توفي سنة (٢١٥هـ / ٨٣٠م). انظر: الجاحظ ، ابي عثمان عمرو بن بحر ، البخلاء ، فتح طه الحاجري ، ط(دار الكتاب المصري ١٩٤٨) ، صص ٢٤٦-٢٤٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢، ص ٢٦٩.
- (٧٨) قبرص : جزيرة بقرب طرسوس ، دورها مسيرة ستة عشر يوماً ، يجلب منها اللادن الجيد ولا يجمع في غيرها والذي يجمع يحمل الى ملك القسطنطينية لأنه يعادل العود الطيب وسائر ما

يجمع على وجه الارض هو الذي يستعمله الناس . والزاج القبرصي مشهور كثير المنافع ،
عزيز الوجود افضل الزاجات كلها . ينظر : القزويني ، اثار البلاد و اخبار العباد ،
ص ٢٤٠ .

(٧٩) زاده ، مفتاح السعادة ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

(٨٠) عواد خزائن الكتب ، ص ١٠٨ .

(٨١) اخبار الحكماء ، صص ٢٩-٣٠ .

(٨٢) عواد خزائن الكتب ، ص ١٠ .

(٨٣) الاندلسي ، القاضي ابي القاسم صاعد (ت ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م) ، طبقات الامم ، نشر وحواشي
الاب لويس شيخو اليسوعي ، مط(الكاثوليكية للإباء اليسوعيين - بيروت ١٩١٢) ، ص ٥٥ .

(٨٤) الفهرست ، ص ١٢ .

(٨٥) عواد خزائن الكتب ، ص ١٢ .

(٨٦) عضد الدولة البويهى :- هو ابو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة البويهى الذي دامت ولايته
بالعراق خمس سنين ونصف السنة وتوفي ببغداد سنة (٣٧٢هـ / ٩٨٢م) وكان شاعرا وعالماً
بالنحو ويتابع اعمال الفلاسفة وأحوالهم وقد افرد في داره لأهل الخصوص والحكماء من
الفلاسفة موضعاً يقرب من مجلسه ، وهي الحجرة التي يختص بها الحجاب أنظر مسكويه
تجارب الأمم ص ٨٤ ؛ أنظر سهل ، تاريخ العراق ، صص ١٢١-١٢٨ .

(٨٧) ابن الأثير الكامل ، ج ٩ ، ص ١٦ .؛ انظر : الوزير ابي شجاع ، الروذوروي ، ذيل كتاب تجارب
الامم ، ط(دار الكتب الاسلامي - القاهرة د.ت) ، ص ٢١ و ٦٨ .

(٨٨) يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، ط (دار الكتب العلمية - بيروت
٢٠٠٠) ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ .

(٨٩) عواد ، خزائن الكتب ، ص ١٢٦ .

(٩٠) احسن التقاسيم ، ص ١٣٣ و ٤٤٨ .

(٩١) المصدر نفسه ، ص ٤٤٩ .

(٩٢) نظام الملك :- هو ابو علي الحسن بن علي بن اسحاق الملقب بنظام الملك ولد سنة
(٤٠٨هـ / ١٠١٧م) في بنو قان احدى مدن طوس ولما صار الملك الى الب ارسلان اصبح
وزيراً له وهو اول من انشأ المدارس فاقتدى به الناس وقد قرب اليه ابو القاسم القشيري
صاحب الطريقة الصوفية وكان على المذهب الشافعي وقتل سنة (٤٨٥هـ / ١٠٩٢) للتفاصيل

- أنظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٦، صص ٣٠٢-٣٠٦؛ انظر ابن خلكان، وفيات الاعيان، م ٢، صص ١٢٨-١٣٢
- (٩٣) ابن الجوزي المنتظم، ج ١٦، ص ٣٠٤؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، م ٢، صص ١٢٨-١٣٢.
- (٩٤) عواد، خزائن الكتب، ص ١٤٦
- (٩٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، صص ٤٨٣-٢٨٤.
- (٩٦) ابن الاثير، الكامل، ج ٩، ص ١٦٦ .
- (٩٧) ابن الاثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢٢٩؛ ابن الاثير، البداية والنهاية، ج ١٦، ص ٢٥٩.
- (٩٨) القفطي اخبار الحكماء، ص ٢٦٩.
- (٩٩) عواد، خزائن الكتب، ص ١٤٧.
- (١٠٠) ابن الجوزي المنتظم، ج ١٦، ص ١٤٥.
- (١٠١) ياقوت، معجم الادباء، ج ٧، ص ٢٨٦؛ السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، بتح محمد ابو الفضل، (المكتبة العصرية - بيروت د.ت)، ج ٢، ص ٣٣٨.
- (١٠٢) السبكي، تاج الدين (ت ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م)، طبقات الشافعية الكبرى، بتح عبد الفتاح ومحمود محمد ط ١ (دار احياء الكتب العربية، بيروت د.ت)، ج ٨، ص ٢٩٧.
- (١٠٣) ابن الجوزي المنتظم، ج ١٦، ص ٣٠٤.
- (١٠٤) انظر: ابن النديم، الفهرست، ج ٧، ص ٣٣٠؛ انظر: صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص ٥٥؛ انظر: القفطي، اخبار الحكماء، صص ٣٠-٣١؛ انظر: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، صص ٢٦٤-٢٦٥.
- (١٠٥) ابن النديم، الفهرست، ج ٧، صص ٣٣١؛ القفطي، اخبار الحكماء، صص ٣١٥-٣١٦.
- (١٠٦) القفطي، اخبار الحكماء، ص ٣١.
- (١٠٧) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، بتح نزار رضا، ص ٢٨٣.
- (١٠٨) القفطي، اخبار الحكماء، ص ٤٤٢.
- (١٠٩) المصدر نفسه، صص ٣٠-٣١؛ ابن ابي اصبغة، عيون الانباء، ص ٢٨٣.
- (١١٠) عواد، خزائن الكتب القديمة، ص ٢١١.

**الأهمية التاريخية والسياسية
لحوض الراين**

أ.م.د. شيماء عبد الله طالب المكصوسي

ذهلة شاكر سالم

الجامعة المستنصرية

كلية التربية / قسم التاريخ

الأهمية التاريخية والسياسية لحوض الراين

أ.م.د. شيماء عبد الله طالب المكصوسي

نهلة شاكر سالم

ملخص

أن لنهر الراين أهمية كبيرة بسبب موقعه الجغرافي المميز الذي يطل على العديد من الدول الأوروبية لذلك شهدت الاراضي التي تقع على جانبي الكثير من الاحداث التاريخية المهمة والتي تم التطرق لها في هذا البحث منذ سكة القبائل الجرمانية اراضيه ثم اصبحت بعد ذلك من ضم اراضي الامبراطورية الرومانية المقدسة ، وقد شهد الراين العديد من الحروب بالاختصاص بين فرنسا والمانيا فاصبحت في مرات عدة تابعه اما لفرنسا او الى الالمانيا ويناقش هذا البحث التطورات التاريخية التي شهدها الراين حتى انتهاء الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨.

Abstract

That of the River Rhine great importance because of the unique geographical location which overlooks many of the European countries so has seen the lands on both sides a lot of historical events and important that been addressed in this research since inhabited by Germanic tribes territory then became then From within the territory of the Roman empire holy has Rhine has Seen many wars especially between France and Germany , This paper discusses these historical developments in the Rhine until the end of the first world war 1916.

يعد نهر الراين واحداً من أهم الأنهار في القارة الأوروبية ، اذ ينبع من الوديان الوعرة من جبال الألب ، ويخترق عدد من الدول الأوروبية، فبعد خروجه من وديان جبال الألب الوسطى من شرق سويسرا يقترب نهر الراين من الحدود الألمانية من بحيرة كونستانس (Constance) ^(١) (تقع اليوم بين المانيا وسويسرا والنمسا) ، ثم يضيق ويستمر في جريانه متجهاً غرباً لينتهي في خانق انكساري يمتد من الجنوب الى الشمال

حيث الراين الاوسط بين حافة الغابة السوداء^(٢) (Black Forests) شرقاً ومجموعة الجبال المنخفضة شرق فرنسا المسماة بالفوج (Vogest) غرباً، ويستمر بعد ذلك صوب الشمال الغربي مخترباً السهل الاوربي وتتصل به روافد عدة من اهمها نهر الماين (Main) على جانبه الايمن، وموسل (Mosel) على جانبه الايسر، ثم ينتهي الى بحر الشمال بدلتا كبيرة^(٣).

يدخل نهر الراين الى المانيا من مدينة بازل (Basle) ثم يدخل المانيا من مدينة ديسبورغ Duisbyrg الى الوادي العلوي في مدينة ماينز (Mainz) ومدينة بنجن (Bingen) ويتسع مجراه ليصبح صالحاً لملاحة السفن الكبيرة في مدينة مانهاين (Manh eim)، وهناك احواض عدة لروافد نهر الراين منها الى جهة اليمين نيكار (Nekar) والرور (Ruhr) وليبي (Lippe) وهي روافد صغيرة، والرافد الرئيسي موسل في الغرب الذي يوفر واحدة من الطرق السريعة بالنسبة لفرنسا^(٤).

جديراً بالذكر ان الراين اصبح منذ الف عام ميلادي تقريباً مسلكاً لحركة المرور النهري الرئيسية في اوربا من الشمال الى الجنوب وربط ايطاليا ودول البحر المتوسط مع هولندا وبريطانيا العظمى، كما ان الممرات الضيقة لنهر الراين عبر سلسلة جبال منخفضة في شمال بنجين كانت تشكل الطريق الافضل من جنوب الدوقيات الالمانية وسويسرا الى هولندا اذ شهدت هذه المنطقة تدفقاً طبيعياً لتجارة القوافل على طول هذا الطريق^(٥)، كما انه كان كما ذكرنا طريقاً مهماً للملاحة يصل الى موانئ عدة منها ميناء مانهايم، ثم تحسنت الملاحة فيه لتصل الى ميناء ستراسبورغ (Strasbourg) شرق فرنسا، والى كيل (kehl)^(٦).

تاريخياً شهد نهر الراين العديد من الاحداث والتغيرات الهامة ففي عام ٩م سحقت القبائل الجرمانية الفرق العسكرية الرومانية في غابة نويتوبورغ Nuremberg الواقعة في ما وراء نهر الراين، واضطر الرومان للبقاء في معاقلم على طول نهر الراين والدانوب، واسسوا مدناً وفرضوا مدنيتهم الرومانية على القبائل المجاورة^(٧)، ثم اصبح للراين اهمية بالنسبة للامبراطورية الرومانية المقدسة (٩٦٢-١٨٠٦) فدخل

الامبراطورية كانت مترابطة معاً بواسطة الطرق العسكرية الواسعة التي كانت آنذاك أساساً لنقل المعلومات من جميع انحاء الامبراطورية التي اعتبرت ان الحدود الطبيعية لها هي نهر الراين، لذلك سيطرت على الضفاف والاراضي التي تقع وراء النهر الذي اصبح بمثابة خطاً دفاعياً يقيها من هجمات القبائل الجرمانية^(٨)، لذلك بنى الأباطرة الرومان جداراً لتعيين الحدود على الضفة اليسرى للراين وجعلوا الغابة السوداء حدوداً لمقاومة الغزوات الجرمانية من هذا الجانب^(٩).

عام ٤٨١م اصبح كلوفس Clovis^(١٠) (٤٨١ - ٥١١) ملكاً على الفرنجة^(١١)، وقد تمكن من إخضاع القبائل الجرمانية التي كانت تحكم الراين^(١٢)، كما عمل على توسيع نفوذ الفرنجة في الجهات الشمالية من غاليا (فرنسا) ينتشرون منه ويضيفون اقليماً بعد الآخر دون ان يتخلوا عن مركزهم الاساسي في الراين^(١٣).

هذا وتمكن شارلمان Charlemagne^(١٤) الذي شن حرباً ضد جميع القوى المعاصرة له لتوسيع رقعة مملكته من ان يلحق بمملكته كل القبائل الساكنة في اراضي الراين وخضع له عدد من القبائل بارادتها ونتيجة لمشاريعه التوسعية في الجهات الشرقية نقل عاصمته من باريس الى اكسل لاشبيل (حالياً في بلجيكا)، فأصبحت اراضي الراين مركز الثقل السياسي في عهده^(١٥). خلف شارلمان بعد وفاته عام ٨١٤م ابنه لويس بايوس Louis le Pieux الذي لم يتمكن من حكم الامبراطورية بسبب ضعفه، وبعد وفاته عام ٨٤٠م قام ابناؤه بتقسيم المملكة فيما بينهم في معاهدة فردان Verdun التي تم التوقيع عليها عام ٨٤٤م وكان هذا التقسيم نواة مشروع قيام الدولة القومية في المانيا التي كانت جزءاً من امبراطورية الفرنجة العظيمة.

تم وفقاً لهذه المعاهدة منح لوثر الأول Lothar I (٧٩٥-٨٨٥ / ٨١٧-٨٥٥) الاقليم الاوسط من الامبراطورية بالاضافة لاييطاليا، وشريط طويل من الاراضي يمتد من البحر المتوسط باقصى شبه الجزيرة الايطالية حتى الاراضي المنخفضة (هولندا) على بحر الشمال، ومنح شارل الاصلع (٨٢٣-٨٧٧ / ٨٧٥-٨٧٧) الجزء الغربي من الامبراطورية الذي يشمل اجزاء كبيرة من بلاد الغال، اما لويس الثاني Louis II

(٨٧٧- ٨٧٩) فقد منح الجزء الشرقي من الامبراطورية ذات الصبغة الجرمانية الخالصة والذي عرف فيما بعد بالمانيا، ومن ضمنها الاراضي الواقعة على ضفتي نهر الراين^(١٦)، ولمعاهدة فردان اهمية خاصة في التاريخ الاوربي اذ انها ميزت بين الاقسام الشرقية والغربية للامبراطورية الكارولنجية^(١٧) فكانت الاولى نواة لالمانيا والثانية لفرنسا، وتعتبر تلك المعاهدة بداية الصراع التاريخي بين البلدين حول المنطقة الوسطى في الأراضي التي تقع على جانبي نهر الراين^(١٨).

كانت السلطة الحقيقية في الراين وبقية المدن الالمانية منذ نهاية القرن التاسع في يد حكام الدوقيات في سكسونيا وبافاريا واللورين وفرانكونيا، كما اضحى هؤلاء الدوقات ذوي نفوذ كبير وكان كل دوق هو الحاكم المطلق لدوقيته، وكانت لهم جيوشاً للدفاع او للهجوم على الاقاليم المجاورة والاستيلاء عليها^(١٩)، وشملت هذه الدوقيات شريطاً من الارض على الضفة اليمنى للراين، لذلك سعى الملوك لاضعاف هذه الدوقيات من خلال اضعاف الاستقلال لها والتبرعات للاساقفة ورؤساء الاديرة، ومنذ ذلك الحين اصبح للاساقفة في هذه المناطق مكانة الامراء^(٢٠).

عام ٩١٩م انتخب هنري الاول دوق سكسونيا ملكاً على الولايات الالمانية فقام باخضاع بقية الدوقيات الالمانية لسلطته واعترف به دوق بافاريا ثم دوق اللورين، وبذلك توحدت الولايات الالمانية تحت حكمه واصبحت تمتد من الراين غرباً الى جبال الهرتز شرقاً وبعد انهيار اسرة الهوهنشتاوفن (١١٥٢- ١٢٦٨) انتخب (دودولف الاول) Rudolf I (١٢١٨-١٢٩١ / ١٢٧٣- ١٢٩١) من سوابيا Swabia قيصرراً لألمانيا فتمكن من اعادة الامن لبلاده وقضى على سبعين حصناً للقراصنة في الراين، واكثر من ستين حصناً للقراصنة في اللورين، وكانت مدن الراين الكبيرة قد كونت منذ عام ١٢٥٤م اتحاداً لمقاومة اعمال القرصنة وتنظيم الحماية للتجارة^(٢١).

كان أمراً طبيعياً ان ترك الاوضاع السياسية المضطربة في أوروبا اثرها على مدن الراين، ففي القرن السابع عشر الذي شهد حرب الثلاثين^(٢٢) التي ادت الى نشر الخراب والدمار في الراين كما حدث في بقية المدن الالمانية، واغلقت هولندا الملاحقة في

شيلدت Sheldt، ووضعت رسوم ثقيلة على كل حركة عبر نهر الراين^(٢٣)، وقد انتهت هذه الحرب بصلح ويستفاليا^(٢٤)، وتمكنت فرنسا طبقاً لبنود هذا الصلح ان تضم الالزاس واللورين Alsace- Lorraine^(٢٥) الى اراضيها فذلك كان من الاهداف السياسية للويس الرابع عشر Louis XLV^(٢٦) (١٦٣٨ - ١٧١٥ / ١٦٤٣ - ١٧١٥) الذي طالما اعتبر الراين جزءاً من الحدود الطبيعية لفرنسا، الا انه لم يتمكن حتى من دمج الالزاس واللورين بمملكته على الرغم من ان القوات الفرنسية كانت قد سيطرت سابقاً لمدة طويلة عليها الا انها بقيت جزءاً من الامبراطورية الرومانية لذلك استمر لويس الرابع عشر بسعيه لتحقيق ذلك فسيطرت القوات الفرنسية عام ١٦٨١ على الالزاس كما احتلت ستراسبورغ Strasbourg، واراد استكمال هذه التوسعات فهاجمت الجيوش الفرنسية البلاتينات^(٢٧) وقامت بتدمير القرى والمزارع بعد ان عبرت بسهولة نهر الراين وعرفت هذه الحادثة بحرب البلاتين (١٦٨٨ - ١٦٩٧)، ثم حاول استكمال توسعاته بضم حوض الراين لذلك طالب بحق وراثة زوجة اخيه الثانية في البلاتينات بعد وفاة ناخبها، الا ان بريطانيا تمكنت بعد ان تولى الحكم فيها وليم اورانج William Orange (١٦٣٣ - ١٧٠٢ / ١٦٥ - ١٧٠٢) من تكوين تحالف كبير في ايلول ١٦٨٩م بعد اقناع حكام بافاريا وبرانندورغ Brandenburg بالاضافة الى السويد وهولندا وسكسونيا وفرانكفورت Frankfort والبلاتينات من اجل الحفاظ على صلح ويستفاليا، والحد من قوة فرنسا، وبعد انتهاء الحرب وهزيمة فرنسا عقدت معاهدة روزويك Ryswick عام ١٦٩٧ والتي تنازل بموجبها لويس الرابع عشر عن كل الاراضي التي استولى عليها باستثناء الالزاس وستراسبورغ ووافق ايضاً على الانسحاب من اللورين^(٢٨).

تجدر الاشارة هنا الى ان الراين في هذه المدة كان التنوع الديني والمذهبي احدى السمات له، فمجتمع الراين على الرغم من ان الغالبية من سكانه تدين بالمذهب الكاثوليكي^(٢٩)، الا انه ضم ايضاً اقلية بروتستانتية من الكالفنية^(٣٠) واللوثرية^(٣١)، كما كما قررت كل مدينة لنفسها العقيدة التي اعتمدتها، وتحسنت منذ عام ١٧٨٠ ظروف

البروتستانت واليهود في ماينز فحصل اليهود على الحقوق نفسها التي تمتع بها المسيحيون فيما يتعلق بالاجراءات القضائية، بالاضافة الى التسامح الديني آنذاك الذي تضمن السماح لاطفال اليهود في عام ١٧٨٤ بالانضمام الى المدارس المسيحية^(٣٢).

هذا وضعت المناطق المحيطة بالراين عام ١٧٨٩، والتي تتوزع بين عدد كبير من الدوقيات الصغيرة، تحت سيادة الحكم الكنسي، واصبحت من ممتلكات ابرشيات ماينز وكولونيا وترير Treir^(٣٣).

اما فيما يتعلق بالثورة الفرنسية وتأثيرها على الراين فقد كان لها اثارها السياسية على الراين حيث تم احتلال المدن الواقعة على ضفتيه بشكل متعاقب، ويمكن تقسيم احتلال فرنسا العسكري للراين الى اربعة مراحل الاولى من خريف ١٧٩٢ حتى ربيع ١٧٩٣، والثانية كانت الاحتلال للضفة اليسرى بأكملها في شتاء ١٧٩٤ - ١٧٩٥ باستثناء بعض المناطق في كولونيا، والثالثة من آذار ١٧٩٧ الى ايلول ١٧٩٧، اما الرابعة فكانت من تشرين الثاني ١٧٩٧ والتي انتهت باستيلاء نابليون بونابرت^(٣٤) Napoleon Bonaparte (١٧٦٩ - ١٨٢١ / ١٨٠٤ - ١٨١٤) على السلطة عام ١٨٠٤^(٣٥).

حاولت فرنسا استغلال شعارات الثورة كالحرية والعدالة فشجعت على انفصال اراضي الراين وضمها الى فرنسا واجريت في الضفة اليسرى لنهر الراين استفتاءات في المدن واستشارات في المجالس البلدية حول ذلك، وكما تم في ٢١ آذار ١٧٩٣ انعقاد المؤتمر الريناني وتم التصويت فيه على الانضمام الى فرنسا، الا ان هذا التصويت كان في الحقيقة عبارة عن تصويت اقلية ولم يتضمن تصويت جميع السكان، ومع بدء عام ١٧٩٤ بدأت فيها مرحلة جديدة ساد الاعتقاد فيها بنظرية الحدود الطبيعية التي كانت من المسلمات التاريخية التي بحثت في القرن الثامن عشر، والتي نصت على ان حدود فرنسا تقف عند الراين، وكان الزعيم الثوري الفرنسي وزعيم اليعاقبة في الجمعية الوطنية الفرنسية جورج دانتون George Danton (١٧٥٩ - ١٧٩٤) اول من قال بنظرية الحدود الطبيعية بصورة واضحة حين صرح في ٣١ كانون الثاني عام

١٧٩٣ في اجتماع للجمعية الوطنية الفرنسية قائلاً: (لقد عينت الطبيعة حدود الجمهورية الفرنسية وسنصل إليها في جهاتها الأربع من شمال الراين الى الالب الى المحيط والى جبال البيرنيه، فالى هذه النقاط يجب ان تنتهي حدود جمهوريتنا، وليس لأي دولة ان تمنعنا من الوصول اليها)^(٣٦).

اخذت فرنسا، من جانب آخر بتغذية الميول الانفصالية في الراين اذ شكلت في شتاء ١٧٩٤ - ١٧٩٥ نوادي جمهورية في المدن الكبرى في الراين Republic Rhihe، وهي حركة تعاون مع الفرنسيين قام بها الشباب المثقف وكان اكثرهم من الطبقة الوسطى في الراين الا ان هذه الحركة لم يكتب لها النجاح بسبب التأثير السلبي للاحتلال الفرنسي في الراين^(٣٧)، ففي عام ١٧٩٧، ذهب خمس اسداس عائدات الضرائب للجيش الفرنسي، كما ارسلت باريس لجنة خاصة لاستثمار الموارد الطبيعية لصالح فرنسا، وهدد الاحتلال الفرنسي التراث الثقافي للراين، ونهبت المباني الكنسية وحولت لمستودعات ومخيمات لاسرى الحرب، مع سوء تصرف الدوائر العسكرية كما تميزت معاملة الفرنسيين للمدنيين في الراين بالقسوة^(٣٨).

كان امراً طبيعياً ان تؤدي هذه السياسة الى ضعف حماس سكان الراين نحو فرنسا، ادرك الجنرال لازار هوش Lazare Hoch (١٧٦٨ - ١٧٩٧) القائد العام للجيش الفرنسية ذلك فانتهج سياسة تهدف للتقارب مع السكات ادت الى اعلان برنامج جمهورية الراين في شهر حزيران عام ١٧٩٧ الا ان النجاح لم يكتب لهذه الجمهورية بسبب وفاة الجنرال هوش آنذاك^(٣٩).

حدثت تغيرات مهمة في المدن الالمانية في عهد نابليون الاول، تمثل ذلك بعد تتويجه امبراطوراً عام ١٨٠٤، حين حاول احباط محاولة النمسا لتوحيد العالم الجرمانى ضد فرنسا، والقضاء على الامبراطورية الرومانية المقدسة، لذلك قام بإنشاء اتحاد الراين (Confederation of the Rhine)^(٤٠) في ١٢ تموز عام ١٨٠٦، وقد اشترك فيه ستة عشر اميراً من جنوب وغرب المانيا هذا الاتحاد ضم امراء اميراً من جنوب وغرب المانيا ووضع لاتحاد الراين دستوراً سمي دستور نابليون كونه حامى اتحاد الراين فهو

الذي يدير السياسة الخارجية آنذاك. وكذلك تم تشكيل الفرق العسكرية في الراين، ويتضح من ذلك بأن هذا الاتحاد كان بمثابة دولة المانية تمثل اشكال من اشكال الوحدة^(٤١)، كما اصبحت الاراضي الواقعة على جانبي نهر الراين تحت السيطرة الفرنسية الكاملة واستقر الجنود الفرنسيون في الكاتدرائيات والكنائس الشهيرة في الراين^(٤٢).

شهد عام ١٨١٥ انتهاء سلطة نابليون على فرنسا، وعقد مؤتمر فينا The congress of Vienna^(٤٣) وطبقاً لمعاهداته اعيدت الى بروسيا الاقاليم الممتدة على جانبي الراين في مملكة ويستفاليا السابقة، ومن مدن اخرى منها كليفن، كولون، اكس لاشيل، بون Bonn من اجل ايجاد بروسيا قوية تتمكن من صد أي هجوم فرنسي محتمل^(٤٤).

تجدر الإشارة هنا، الى ان أهمية الراين منذ بداية القرن التاسع عشر لم تكن السياسة فقط ليست من ناحية سياسية فقط، فقد شهدت اراضي الراين من الناحية الاقتصادية تقدماً كبيراً وكانت لها أهمية كبيرة لألمانيا خاصة بعد الثورة الصناعية^(٤٥)، إذ ادت دوراً مهماً في التنمية الاقتصادية لألمانيا، واصبحت احدى اهم مراكز الصناعة في العالم، كونها تحتوي على الحديد ومصانع الصلب ومصافي السكر، والمصانع النسيجية، والمصانع الكيميائية ايضاً، بالإضافة للخدمة الممتازة التي توفرها السكك الحديدية والنقل البحري عبر الراين وروافده، وكذلك المدن الصناعية التي سرعان ما تنامت على ضفتي النهر^(٤٦)، والتي ظهرت ما بين الراين ويستفاليا واصبحت من المدن الصناعية الغنية وتحولت فيما بعد الى اهم المدن الصناعية في ألمانيا^(٤٧)، ومن هذه المدن ايضاً مدينة كولونيا (Cologne) على الضفة اليسرى للراين، التي كانت مركز تجاري يخدم الصناعات كالفحم الذي يأتي من حوض الرور ويغذي الصناعات الاخرى على الضفة الغربية للراين، بالإضافة الى مدينة آخن التي تعد نقطة عبور رئيسية لأنظمة السكك الحديدية من شمال أوروبا الى برلين ومن بريطانيا وهولندا الى ايطاليا وفيينا، كما تعد مدينة ويستفاليا مركزاً للحديد والصلب ، وكذلك مدينة

فرانكفورت Frankfurt التي تعد مركزاً كبيراً للسكك الحديدية الألمانية ومن أكبر مدن حوض الراين الأعلى^(٤٨) كما أن الحياة الصناعية نشطت أيضاً في وديان السار Saar وميوز Meuse وسامبري Sambere، التي تحتوي على مناجم الفحم، وشكل الوادي الذي كونه الراين شبكة الطرق الأكثر أهمية بين وسط وشمال ألمانيا إلى الغرب من جبال هارتز Heart Mountain إذ أن الأراضي الألمانية تتصل من كل ناحية بالحدود الغربية لحوض الراين^(٤٩).

تمركز الجزء الأكبر من الصناعات التحويلية الأكثر أهمية في ألمانيا على ضفاف نهر الراين وروافده، والتي تنتشر في مدن عدة منها سكسونيا Saxony وبادن Baden وهيس Hesia وبافاريا Bavaria^(٥٠)، وتضم ضفاف الراين وتلاله أيضاً فيلات الرأسماليين من كولونيا وبقية المراكز الصناعية الكبيرة، وعدد من القلاع التي تعود تاريخياً إلى العصر الوسيط، منها قلعة ديز Diez وشيلوس Schiöss، ويتضح من كل ذلك بأن الأهمية الاقتصادية للراين كان لها دوراً أيضاً في توجه انظار فرنسا نحو السيطرة على جزء من الأراضي الواقعة على نهر الراين للاستفادة منها^(٥١).

حدثت عام ١٨٤٠ أزمة الراين، وكان السبب الرئيسي لحدوثها هو سياسة التوسع الفرنسي - البريطاني والتنافس حول مصالحهما في مصر مما كاد أن يؤدي إلى حرب في أوروبا بسبب المسألة الشرقية آنذاك فقد حاولت حكومة النمسا وبروسيا التوسط بين الحكومتان البريطانية^(٥٢) والفرنسية ونتيجة للخسارة الدبلوماسية لفرنسا وفشلها في الحصول على جزء من أراضي الامبراطورية العثمانية سعت للمطالبة بالتعويض عن ذلك في مكان آخر لذلك جدد وزير خارجيتها شارل تاليران Charles Talleyrand^(٥٣) (١٧٥٤ - ١٨٣٨) مدعوماً بالرأي العام الفرنسي ادعاءات فرنسا بأن الحدود الفرنسية تمتد إلى نهر الراين مطالباً بالصفة اليسرى له^(٥٤).

ادت المطالب الفرنسية إلى تنامي الشعور القومي في المدن الألمانية في الراين، وكان رد فعل سكان الدويلات الألمانية مباشراً من خلال رفض الرأي العام لها، خاصة وأن حدودها الغربية كانت خالية من السلاح ومن الحصون آنذاك، وهو ما أثار قلق

سكان هذه الاراضي، كان الرفض الالمانى يحمل بين طياته مؤشرات لنمو الروح القومية في الدويلات الالمانية والتي تم التعبير عنها بأوجه مختلفة لاسيما ضمن اطار حركة التأليف الموسيقي وكتابة الاغنية وخير مثال على هذا الرفض هي اغنية نيقولا بيكر Nikola Becker (الراين الالمانى) والتي انشئت من على فرانكفورت في ١٥ تشرين الاول عام ١٨٤٠ وسط حماس جماهيري كبير، أغنية شهيرة اخرى هي (حرس الراين) التي ألفها شنيكنبورغو ولحنها شارل غليوم والتي اصبحت فيما بعد اغنية للقومية الالمانية عام ١٨٧٠ ، وانتهت هذه الازمة بفشل فرنسا بالحصول على مطالبها، واصبحت ازمة الراين ١٨٤٠ نقطة انطلاق للتغيير لصالح بروسيا التي استفادت من المشاعر القومية المتنامية في الراين لتحقيق الوحدة الالمانية فيما بعد^(٥٥).

استمرت فرنسا في سياستها الرامية الى السيطرة على الراين في القرن التاسع عشر، إذ سعى نابليون الثالث Napoleon III^(٥٦) بعد معركة سادو Sadowa^(٥٧) للحصول على مكافأة بسبب وقوفه موقف الحياد في الحرب مطالباً منحه بعض الاراضي على ضفة الراين اليسرى ترصية له^(٥٨)، وكانت هذه الميول طبيعية كون الراين يؤمن لفرنسا حدوداً سياسية واستراتيجية وتحقيق لرغبة الفرنسية الرامية الى التوسع على طول نهر الراين^(٥٩) وكانت محاولته هذه ليكون منطقة عازلة بين فرنسا والمانيا امتداد للسياسة الفرنسية التقليدية بالتوسع على طول نهر الراين، الا ان ميوله واجهت رفضاً مباشراً وواضحاً من بروسيا، وانذره رئيس الوزراء البروسي اوتوفون بسمارك^(٦٠) Otto von Bismarck (١٨١٥-١٨٦٢/١٨٩٨ - ١٨٩٠) بأن أي تعديل من جهة حدود الراين معناه الحرب^(٦١)، كما حاول بسمارك استغلال اطماع نابليون الثالث فتمكن في عام ١٨٦٦ وخلال محاولته لتوحيد المانيا من اقناع دوقية بافاريا اهم المدن التي يقع جزء كبير من اراضيها على الراين لتوقيع معاهدة في ٢٢ آب ١٨٦٦ مع بروسيا بعد ان اوضح لها ان لنابليون الثالث اطماعاً في السيطرة على البلاتينات البافارية، وهي القسم الواقع من بافاريا على الضفة اليسرى لنهر الراين،

فكانت دوقية بافاريا مضطرة لذلك نظراً لحاجتها الى دعم دولة كبرى، والذي لم يكن بإمكانها الحصول عليه الا من بروسيا^(٦٢)،

بعد حرب السبعين^(٦٣) تمكن بسمارك من ضم مقاطعتي الألزاس واللورين الى الأراضي البروسية، كما ابلغ وزير الخارجية الفرنسي رداً على سياسة فرنسا تجاه الراين قائلاً: " ما كنتم لتنتزعوا عن انتزاع الراين منا، مع ان الراين لا يمثل حدودكم القومية، أما نحن فاننا نسترد اراضيها ونعتقد اننا بهذا نضمن السلم مستقبلاً " ^(٦٤).

في السياق ذاته علق الكاتب الالماني ادولف فاغنر Adolf Wagner عن عودة الألزاس لألمانيا بعد حرب السبعين قائلاً: " نحن الالمان كنا خبراء لمدة طويلة بالتنازل عن الألزاس، ونادراً ما نذكر الألزاس واللورين، بينما كانت فرنسا مختالة تصرخ بدون تردد لسلب الضفة اليسرى للراين الاعلى، اما نحن فنعتبر انها لنا بمشيئة الله " ولعل هذه المقولة هي خير دليل على التوجهات السياسية لبسمارك فيما بعد حرب السبعين وقناعته بحق الالمان في الاحتفاظ بالضفة اليسرى لنهر الراين كجزء من الأراضي الالمانية^(٦٥).

تعد المدة الواقعة ما بين عام ١٨٧٠ و ١٩١٤ مدة مهمة في تاريخ العلاقات الفرنسية - الالمانية وبالأخص فيما يتعلق بمسألة الألزاس واللورين، فلم يكن بمسارك يفكر مطلقاً باعادة الإقليمين لفرنسا، وظل يشكك بنواياها^(٦٦)، ومما زاد من قلقه النهضة الاقتصادية والعسكرية السريعة التي قامت في فرنسا، لذلك أخذ يلمح لفرنسا باحتلال تونس، ويقوي لديها النزعة الاستعمارية خارج اوربا ليضمن بذلك عدم عدوانها على المانيا لضم المقاطعتين^(٦٧)، كما شجع الحكومة الفرنسية لاتخاذ موقف حازم تجاه بريطانيا فيما يتعلق بالمسألة المصرية عام ١٨٨٤ هادفاً من ذلك تحويل انظار فرنسا عن الراين^(٦٨).

ازدادت أهمية الراين خلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) فبالإضافة لكونه بحد ذاته يعد حاجزاً طبيعياً، الا ان المانيا اهتمت بحدودها الغربية في الراين

فأنشأت الحصون على مدنه مثل ستراسبوت وماينس وكولونيا وآخن، معتبرة هذه الحصون من افضل دفاعاتها من جهة حدودها الغربية خلال الحرب^(٦٩).

أضافة الى ذلك، ان نهر الراين كان احد الطرق الرئيسية التي تؤدي الى قلب فرنسا عن طريق القواعد العسكرية الموجودة على ضفتيه، والسكك الحديدية التي تسهل نقل الامدادات والقوات الالمانية، بالاخص القاعدة الالمانية في مدينة كوبلنز على نهر الراين^(٧٠)، ونظراً للأهمية العسكرية والاقتصادية التي شكلتها مدن الراين خلال الحرب تم استهداف المراكز الصناعية فيه من اجل تكبيد المانيا اكبر الخسائر، ففي المدة الواقعة ما بين تشرين الاول ١٩١٧ - حزيران ١٩١٨ شتت مدنه حوالي ٥٧ هجوماً جويًا من سلاح الطيران الملكي البريطاني شمل هذا الهجوم مدن عدة منها كولونيا وشتوتغارت ومانهايم وماينز وكوبلنز ايضاً^(٧١).

من الجدير بالذكر أن فرنسا أبدت من جانبها، اهتماماً بالغاً بالضفة اليسرى للراين منذ الايام الاولى للحرب وشكل ذلك موضوعاً لاتفاق سري مع حكومة قيصر روسيا، ففي شباط عام ١٩١٧ قدمت فرنسا اقتراحاً لضم الراين بشكل صريح ومباشر، وكانت الكثير من المكاسب السياسية بالضم قد اعدت قبل المطالب الاخرى المتعلقة بالسيطرة العسكرية والاقتصادية ونص الاتفاق مع روسيا على الفصل التام للضفة اليسرى من نهر الراين واعتبارها دولة مستقلة ومحايدة تكون تحت الاحتلال الفرنسي^(٧٢).

في العام الاخير للحرب العالمية الأولى كانت مدن الراين ايضاً من اكثر المدن تضرراً خلال بدء معركة اميان Amien في ٨ آب ١٩١٨ حيث شن الحلفاء سلسلة من الهجمات ضد قوات المحور في الجبهة الغربية، حيث تمكنت القوات البريطانية والامريكية والفرنسية من مهاجمة القوات الالمانية المتواجدة على اراضي الراين واجبارها على الانسحاب من العديد من هذه المدن، وتعتبر هذه المعركة بداية لانتصارات لاحقة حققها الحلفاء^(٧٣).

لذلك كله أصبحت مسألة الراين إحدى أهم المسائل أهمية بالنسبة لفرنسا منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى، فقد كانت جزءاً من شروط الهدنة التي أنهت الحرب، ثم أصبحت بعد ذلك من القضايا الرئيسية التي تم التداول بشأنها خلال مفاوضات مؤتمر السلام، وهذا ما سيتضح في ثنايا المبحث الثاني.

Abstract

It becomes clear through the study that the policy which France has followed in post-World war I era to keep Germany weak to maintain the French security from the Germans was failure. Its strategy was defensive by depending on the construction of forts like Maginot Line on the German-French border which was not the right option to stop Germany from carrying out its aggressive policy towards France later.

Germany has violated the terms of Versailles Covenant as well as Locarno agreements is the best evidence of the failure of these treaties to keep peace in Europe, and the failure of the collective security policy adopted by Britain with the rest of the countries. These countries could make any movement to confront the Nazi threat, justifying it by the keeping of peace and the necessity of depending of the League of Nations to solve the problems. The league also proved its failure.

The political development which Europe has witnessed proved its failure in the 1930s, especially in the international crises like the Crisis of Abyssinia in encouraging Hitler to speed up his plan to enter the Rhine after he revealed the weak situation which both Britain and France adopted towards Italy and the collapse of Stresa Front. It becomes clear for him that these countries are not ready to face Germany militarily and would suffice to the Political response which was proved true later.

France has lost an opportunity to stop Germany by not taking a firm attitude towards it, and depended on British attitude. France could have reiterated to Germany without obtaining support of another country, because the French Army

outnumbered the German Army in weapons and soldiers. However, the French government preferred to ask the assistance of another country. In addition to that the negative impact of the French military institution. The leaders of the French military institution misled the public with the information because they thought France need another years to prepare for a war with Germany. Also, they stressed the government towards the improvement of the army and developing it.

The British insistence to follow the relaxing policy towards Germany during the crisis was because of its continuance not to enter in a war because of the internal and external political situation then. In addition to the weakening of Germany in a way that makes France appear as the strongest power in Europe.

The Rhine crisis revealed that failure of the alliance policy which franc and its allies followed, as Belgium declared its neutrality and withdrew from the treaty signed with France. This led to a strategic problem with France, in addition to the negative attitude adopted by Alliance and Italy during the crises.

The Rhine crisis affirmed the political position of Hitler both inside and outside Germany. The German support of the Nazi attitude was stronger because of the capability to arm the Rhine and construction to restore the glory of German as an effective state.

The negative attitudes taken by each of France and Britain and the alliance states in addition to Belgium encouraged Hitler to go on in carrying out the expansionist policy towards the East. He formed Rome-Berlin axis after occupying the Rhine. Europe had witnessed political crisis and events like the annexation of Austria, the Czechoslovakian crisis and the holding of Munich conference in 1938 as a result of the external aggressive policies followed by Hitler, and the disappointing attitude of the Great Powers which led to the break out of World War II.

الهوامش :

(¹)Mcmurry, Charles,A, Central Toplcs in Geogra: The Rhine, Chicago, A. Flanagan Company, 1909, P.3.

(^٢) الغابة السوداء: منطقة غابات جبلية تقع جنوب غرب المانيا على الحدود الفرنسية - السويسرية، في مدينة بادن فورتمبيرغ. تمتد حوالي ١٦٠ كم من الشمال الى الجنوب، تتميز بوجود البحيرات والشلالات والقرى الصغيرة، سميت بالسوداء لكثافة الاشجار والظلال مما يجعلها تنتشع بالسوداء للمزيد ينظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol2,2003,p.254.

(^٣) حسن، ابراهيم محمد، دراسات في جغرافيا اوربا وحوض البحر المتوسط، الاسكندرية، مركز الاسكندرية للكتاب، ١٩٩٩، د.ت، ص ٣٠.

(⁴) Mackinder, H.J, The Rhine, Toronto, Dodd, Mead Company, 1908, P44.

(⁵) Fleure, H.J, Treaty settlement of Europe: Some Geographic and Ethnographic Spects, New York, Oxford un press, 1921, P.24-25 .

(⁶) Mackurry, Op.Cit, P.38.

(^٧) الخوند، مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٢، بيروت، دار رواد النهضة، د.ت، ص ٢٠.

(⁸) Mackinder, Op,cit, p.19.

(⁹) Gould, Baring, The Rhine from Cleve to Mainz, London, Methuen and co, 1906, P.6

(^{١٠}) كلوفس: المؤسس الحقيقي لدولة الفرنجة، ولد عام ٤٦٦م، تولى العرش وهو في الخامسة عشر من عمره، عام ٤٩٦م اعتنق المسيحية بتأثير من زوجته كلوتيلدا فاصبح اول ملك جرمانى يعتنق الكاثوليكية، تمكن من توحيد القبائل الجرمانية، كانت من ضمن ممالكه الأربعة مملكة الفرنجة التي تمتد في الشمال الشرقي من فرنسا الى ما وراء نهر الراين. توفي عام ٥١١م. للمزيد ينظر: حاطوم، نور الدين، تاريخ العصر الوسيط في اوربا، ج١، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٢، ص ٧٩-٨٠.

(^{١١}) الفرنجة: من القبائل الجرمانية التي استوطنت الجهات الشمالية الشرقية من نهر الراين في منتصف القرن الثالث الميلادي، يبدأ تاريخ دولتهم عام ٤٦٣ وهو العام الذي استولى فيه ملكهم كلوديو على مدينة كولون واتخذوها عاصمة لهم، وتمكنوا بعد ذلك من مد نفوذهم على مدن الراين من مدينة اكسل لاشبيل Aachen (اخن) حتى ميتز. للمزيد ينظر: عمران، محمود سعيد، معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، د.ت، ص ٨٧.

- (^{١٢}) المصدر نفسه، ص ٨٩.
- (^{١٣}) براون، جفري، تاريخ اوربا الحديث، ترجمة: علي المزداوفي، ط١، بيروت، الاهلية للنشر، ٢٠٠٦، ص ١٠٤.
- (^{١٤}) شارلمان، ولد عام ٧٤٣م، يعد اعظم ملوك الفرنجة، نشأ نشأة الملوك مع اخيه كارلومان، بعد وفاة اخيه عام ٧٧١م تولى الحكم، في عام ٧٩٩ توج امبراطوراً في كنيسة القديس بطرس، لقب بملك الفرنجة، شن حروباً عديدة لنشر المسيحية، اصبح الراين في عهده مع روافده جزء من شبكة مواصلات لطرق التجارة التي تربط بين شمال امبراطورية وجنوبها، وبين شرقها وغربها، حكم ما يقارب (٤٣) عام توفي عام ٨١٤، ودفن في آخن (الالمانية حالياً). للمزيد ينظر: صبرة، عفاف سيد، الامبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شاركان، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٢، ص ٤٧- ص ٦٦.
- (^{١٥}) اينهارد، سيرة شارلمان، ترجمة وتقديم: عادل زيتون، ط١، دمشق، دار حساف للطباعة والنشر، ١٩٨٩، ص ٥٣-١٠٢.
- (^{١٦}) Marshall H.E, A history of Germany, London, Hodderamnd Stoughton, 1913,p.55.
- (^{١٧}) الامبراطورية الكارولنجية: هي امبراطورية الفرنجة تحت حكم الكارولينجيين بدأت منذ تتويج شارلمان امبراطوراً للامبراطورية الرومانية المقدسة عام ٧٩٩م وتمكن شارلمان في عهدها من مد املاك هذه الامبراطورية بعد انتصارات عديدة على منافسيه فبلغت الامبراطورية الكارولنجية اوج قوتها خلال حكمه.
- للمزيد ينظر: عمران، المصدر السابق، ص ٣٨- ص ٦٩.
- (^{١٨}) عمران، المصدر السابق، ص ١٠٨.
- (^{١٩}) الدسوقي، محمد كمال، تاريخ المانيا، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩، ص ٣٠- ص ٣١.
- (^{٢٠}) Gould, Op. cit, p.8.
- (^{٢١}) الدسوقي، المصدر السابق، ص ٣١- ٤٩.
- (^{٢٢}) حرب الثلاثين: بدأت عام ١٦١٨ وامتدت حتى عام ١٦٤٨ وهي حرب طاحنة شاركت فيها كل دول اوربا تقريباً، وحتى دول شمال اوربا بدأت في المانيا لاسباب دينية بسبب ثورة قام بها البروتستانت في بوهيميا ضد الحكم الكاثوليكي، بدأت كحرب اهلية بين ممتلكات الاسرة الحاكمة في النمسا، الا انها تحولت الى حرب المانية ثم الى حرب اوربية عامة. للمزيد ينظر: يحيى،

جلال، التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الاولى، الاسكندرية، المكتب الجامعي، د. ت، ص ١٧.

(²³) Edwih, J.Clapp, the Navigable Rhihe, New York, Hovghton Mifflin company, 1911, pp.4-5.

(²⁴) صلح وستفاليا: ابتدأت محادثات الصلح في عام ١٦٤٨م في مقاطعة وستفاليا الواقعة في حوض الراين، ازدحمت وستفاليا بمئات الدبلوماسيين والمفاوضين كما حضر مندوب عن البابا فيه، وكان مؤتمراً اوربيا يعد الأول من نوعه، ناقش امور عديدة منها القضايا الدينية والحدود، وتم فيه الاعتراف باستقلال سويسرا وهولندا، للمزيد ينظر: البطريق، عبد الحميد ونوار، عبد العزيز، التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا، بيروت، دار النهضة، د. ت، ص ١٧٩.

(²⁵) الالزاس واللورين: مقاطعتان في شمال شرق فرنسا، ارتبط اسمهما بعد ان ضمهما بسمارك للولايات الالمانية عام ١٨٧١، تقع المقاطعات على الضفة الغربية لنهر الراين، منحت عام ١٩١١ نوعاً من الحكم الذاتي، نجحت فرنسا بموجب معاهدة فرساي ١٩١٩ باستعادة المقاطعتان، عام ١٩٤٠ اصبحت جزءاً من اراضي المانيا، ثم حررت عام ١٩٤٥، للمزيد ينظر: بالمر، الآن، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩-١٩٤٥، ترجمة: سوسن فيصل السامر ويوسف محمد امين، مراجعة: محمد مظفر الادهمي، ج ١، بغداد، دار المأمون للنشر، ١٩٩٢، ص ٤٧.

(²⁶) لويس الرابع عشر: ملك فرنسا من اسرة ال بوربون، عرف بملك الشمس لاهتمامه بالادب والفن، كان من اقوى من حكم فرنسا في القرن السابع عشر، قام ببناء قصر فرساي، اعتمد السلطة المطلقة بحكمه، هو القائل (الدولة أنا)، شهد عهده العديد من الاحداث التاريخية المهمة كحروب الوراثة في الاراضي المنخفضة (١٦٦٧-١٧٧٨) وحرب الوراثة في اسبانيا (١٧٠١-١٧١٣)، سعى لتحقيق المكاسب الاقليمية لفرنسا منها ضم اراضي الراين لفرنسا، للمزيد ينظر:

The Encyclopedia Americana, Vol17, pp.773-774.

(²⁷) البلاتينات: تقع جنوب غرب المانيا، تشغل اكثر من ربع مساحة اراضي الراين، تم تقسيمها منذ العصور الوسطى حتى نهاية القرن الثامن عشر الى دول صغيرة وكبيرة، احتلت خلال حروب الثورة الفرنسية ١٧٩٤-١٨١٦، ثم اصبحت جزءاً من مملكة بافاريا، اكبر مدنها ماينس، ومن مدنها الاخرى كوبلنز، ترير، لودفيخشها فن، للمزيد ينظر: The New Encyclopedia Britannica

(²⁸) Shennah, J.H, Louis XIV, London, Routledge, 2005, pp.38-42.

(٢٩) الغالبية من سكان الراين يحتفون للمذهب الكاثوليكي وقد تأثر سكانه الاوضاع السياسية التي شهدتها الراين ففي القرن التاسع عشر سعى بسمارك لتعزيز الامبراطورية الالمانية لتكون بروسيا بروتستانتية لذلك اعتبر وجود الكاثوليك الذي يتركز في جنوب غرب الراين والذين كان ولاؤهم لروما خطر يحول دون تحقيق ذلك، لذلك عمل على اضعاف السلطة الدينية والسياسية الكاثوليكية في عدد من القوانين التي تساهم في ذلك، واصدرت الحكومة الالمانية قوانين عدة لذلك منها في عام ١٨٧٢ والتي عرفت فيما بعد بقوانين فولك نسبة لوزير الثقافة الروسي ادلبرت فولك Adalbert Falk وضعت بموجبها ادارة المدارس الكاثوليكية تحت اشراف الحكومة الالمانية ثم اصدرت بعدها قانون ايار الذي الحق المؤسسات التعليمية التابعة للكنيسة بالحكومة، وفي عام ١٧٨٦ اصدرت قوانين تضعف السلطة الكنسية منها قانون الزواج المدني الالزامي، كما كانت الاحتفالات الوطنية تقام في المناطق الكاثوليكية في الراين والتي يتم فيها عرض مظاهر القوة العسكرية كعيد سيدان Sedan الذي يتم فيه الاحتفال بذكرى الانتصار على فرنسا في حرب عام ١٨٧٠ الا ان حملته فشلت بسبب محاربة الكاثوليك لها واستقالة فولك، وما بين عامي ١٧٦٩ - ١٨٨٢ تم الغاء العديد من القوانين التي سنت لمكافحة الكاثوليكية، للمزيد ينظر: Abrams, Lynn, Bismarck and the German Empire 1871- 1918, London and New York, Taylor and Francis e- Library, 2006.

(٣٠) الكالفنية: تنسب هذه العقيدة لمؤسسها جون كالفن الذي ولد عام ١٥٥٩ في نويون شمال شرق فرنسا كان استاذ للقانون اصدر عام ١٥٣٩ كتابه (تعاليم الدين المسيحي) الذي تضمن مبادئ العقيدة الكالفنية، تميزت تعاليمه والنظام الكنيسي الذي اراد تطبيقه بالصرامة، توفي عام ١٥٦٤، للمزيد ينظر: عبد العزيز، عمر، دراسات في التاريخ الاوربي والامريكي، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢، ص١٨٨- ص١٨٩.

(٣١) اللوثرية: مؤسسها مارتن لوثر الذي ولد عام ١٤٨٣ في سكسونيا، التحق بجامعة ارفورت، اهتم بالدراسات الانسانية وقام بتدريس الفلسفة، درس القانون ثم ترك دراسته والتحق بالرهبة ١٥٠٦- ١٥٠٨، درس في جامعة وتبرغ لتسعة اعوام، عام ١٥١٥ توصل الى ان التبرير بالايمان أي ان الصلاة والصوم وعمل الخير هي الوسيلة التي يتقرب الانسان بها الى خالقه ليصل لرحمته، وذلك كان بداية نضاله ضد الكنيسة الكاثوليكية، عام ١٥١٧ احتج على بيع صكوك الغفران الذي اعتبره من شؤون الله، تضمنت مبادئه اخضاع رجال الدين للسلطة المدنية، قراءة الكتاب المقدس حق مشاع اباح الزواج للقسيسين، توفي عام ١٥٤٦. للمزيد ينظر: المقرحي، ميلاد،

تاريخ اوربا الحديث ١٤٥٣- ١٨٤٨، ط١، بنغازي، منشورات، جامعة قاريوس، ١٩٩٦، ص٨٦- ٨٨.

(³²) Rowe, Michael, From Reih to state: The Rhine land in the Revolutionary age 1780- 1830, New york, Cambrege un press, 2003, p.22.

(³³) Haskins , Charles . Homer and Howard , Robert , Spme Problems of the Peace Conference , New York , oxfordun Press, 1920, p.14.

(^{3٤}) نابليون بوناپرت: قائد عسكري فرنسي، ولد في جزيرة كولسيكا، قاد عام ١٧٩٨ الحملة الفرنسية على مصر، أصبح قنصلاً أولاً لفرنسا (١٧٩٩- ١٨٠٤) ومن ثم امبراطوراً (١٨٠٤- ١٨١٥) حقق العديد من الانتصارات لفرنسا، كما اخضع عدداً من الدول الاوربية لسيطرتها، قام بالاصلاحات في المجال الاداري والقضائي والاقتصادي لفرنسا، هزم عام ١٨١٣ في معركة الامم عام ١٨١٤، نفي لجزيرة البا، عاد عام ١٨١٥ الى باريس وخسر بعدها معركة واترلو ضد الحلفاء ثم نفي الى جزيرة هيلانة بعد تنازله عن السلطة، للمزيد ينظر: The New Encyclopedia Britanhca, Vol8, p.509

(³⁵) Rowe, Op. cit, p.53.

(^{3٦}) حاطوم، نور الدين، تاريخ الحركات القومية، ج١، ط٢، دمشق، دار الفكر، ١٩٧٩، ص١٠٤- ١٠٦.

(^{3٧}) حاطوم، المصدر السابق، ص١١٧- ١٩٨.

(³⁸) Rowe, Op. cit, p.56- 67.

(^{3٩}) حاطوم، المصدر السابق، ص١٢٠- ١٢٢.

(⁴⁰) Bideleux, Robert, and Jeries, Ian, A history of Eastern Europe crisis and change, Second, editioh, London and New York, Taylor and Francis, e :library, 2007, p.201..

(^{٤١}) حاطوم، المصدر السابق، ص١٧٨.

(⁴²) McMurry, Op.cit, p.44.

(^{٤٣}) مؤتمر فينا: عقد ما بين ايلول ١٨١٤ وحزيران ١٨١٥، حضره ممثلون عن اغلب الدول الاوربية، لتسوية القضايا الناشئة عن حروب الثورة الفرنسية والحروب النابليونية، وتفكيك الامبراطورية الرومانية المقدسة، كانت احدى نتائج هذا المؤتمر اعادة ترسيم للخارطة السياسية للدويلات الالمانية ووسط اوربا، من دول اوربا، حصلت بروسيا فيه على خمس اراضي سكسونيا واجزاء من وستفاليا وكذلك الضفة اليسرى لنهر الراين، وتم فيه الاتفاق على حرية الملاحة في الانهار والدولية والغاء تجارة الرقيق. للمزيد ينظر:الشويلي، زيدان، احسان هادي، مؤتمر فينا ١٨١٤- ١٨١٥، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، ابن رشيد، جامعة بغداد، ٢٠٠٤

(^{٤٤}) المصدر نفسه ، ص ٥٧.

(^{٤٥}) الثورة الصناعية: بدأت الثورة الصناعية (Industrial Revolution): بدأت الثورة الصناعية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وكانت عبارة عن سلسلة من التغيرات التي طرأت على الصناعة، إذ انها نقلت الحرفيين من الحرف الصناعية الموروثة الى اساليب واستخدامات جديدة في جميع نواحي المعيشة، كان للاله والماكنة دوراً كبيراً فيها، للمزيد ينظر: هيز ، كارلتون ج.ه ، الثورة الصناعية ونتائجها السياسية والاجتماعية، ترجمة احمد عبد الباقي ، ط٢ ، بغداد، منشورات مكتبة المثني ، ١٩٦٢ ، ص ١٥-٢٠.

(^{٤٦}) Haskihs, p.120.

(^{٤٧}) Retallack, James, Imperial Germany 1871- 1918, New York, Oxford un Press, 2008, p.78.

(^{٤٨}) Mackinder, Op. cit, pp.28- 293.

(^{٤٩}) Partsch, Joseph, Central Europe, New York, D. Appleton and Company, 1903, pp.85- 88.

(^{٥٠}) Barker, J.Ellis, Modern Germany, Edinburg, Ballantyne Press, 1909, pp.68-69.

(^{٥١}) Mackinder, Op. cit, p.266.

(^{٥٢}) Brophy, James: M, The Rhine crisis of 1840 and German Nationalism, The Journal of Modern History, Vol.85, No.1, Chicago un press, March2013, p.10.

(^{٥٣}) تاليران: سياسي ودبلوماسي، وقائد عسكري فرنسي، درس في جامعة السوربون، عين كاهناتص ثم رئيساً برساقنة، واسقفاً لمدينة اوتان، بعد سقوط سجن الباستيل عام ١٧٨٩ دخل السياسة عام ١٧٩٢ عين سفيراً في لندن، عام ١٧٩٦ عين وزيراً بالخارجية، عمل في عهد نابليون بونابرت ولويس الثامن عشر وشارل العاشر ولويس فيليب، للمزيد ينظر: The New Encyclopedia Britannica ,Vol.II,pp.521-522

(^{٥٤}) Brophy, Op. cit, p.1.

(^{٥٥}) حاطوم، نور الدين، تاريخ الحركات القومية في اوربا، ج٢، ط١، دمشق، دار الفكر، ١٩٦٩، ص ١٩٣-١٩٥.

(^{٥٦}) نابليون الثالث: هو شارل لويس نابليون بونابرت، ولد عام ١٨٠٨ في باريس وهو ابن اخ نابليون بونابرت، اصبح رئيساً لفرنسا ١٨٤٨-١٨٥٢، ثم اصبح امبراطوراً لفرنسا تحت اسم نابليون الثالث من ١٨٥٢-١٨٧٠، قضى شبابه في ايطاليا والمانيا وسويسرا، حاول عام ١٨٣٨ وعام ١٨٤٠ الاطاحة بحكم لويس فيليب، فر الى بريطانيا عام ١٨٤٦ بعد فشل محاولاته، رجع الى فرنسا بعد ثورة ١٨٤٨،

توقيع عام ١٨٧٣، للمزيد ينظر: الخزرجي، منتظر موسى محمد، نابليون الثالث وسياسته الخارجية تجاه أوروبا ١٨٥٠-١٨٧١، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٣.
(٥٧) سادوا: نشئت هذه المعركة في ٣ تموز عام ١٨٦٦ بين الامبراطورية النمساوية وحلفائها من جهة ومملكة بروسيا ومن حالفها من الألمان ومملكة إيطاليا من جهة أخرى كان سببها الرئيسي التنافس بين النمسا وبروسيا حول السيطرة على الدويلات الألمانية، ساعدت هذه الحرب بروسيا بتأمين موقعها الاستراتيجي من خلال التحالف مع إيطاليا، كان سبب انتصار بروسيا فيها التنظيم والتفوق العسكري لجيشها على النمسا، تدخل نابليون الثالث كوسيط لإيقاف الحرب التي أسفرت عن سيطرة بروسيا على الدويلات الألمانية.

للمزيد ينظر:

Goldstein, Erik, wars and peace Treaties 1861- 1919, New York, Taylor and Francise e- library, 2005, p.10.

(٥٨) رمضان، عبد العظيم، تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة، ج ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧، ص ١٣.

(٥٩) Bernstein, Paul, The Economic Aspect Napoleon III Rhine Policy, French historical Studies, Vol.1, 1960, p.335.

(٦٠) بسمارك: رجل دولة وسياسي بروسي، ولد في شونهاوزن في مقاطعة سكسونيا، كان والده مالكا زراعياً، وضابطاً في الجيش البروسي، درس الإعدادية في مدارس جراوس Graues وكلوستر Kloster، ثم التحق بجامعة جوتنجن Gottingen درس القانون وعلم السياسة فيها، عين عام ١٨٤٧ عضواً في مجلس الراين البروسي، كان من المناصرين للملكية والمناهضين للثورات الطبقيّة، عين عام ١٨٥٩ سفيراً لبروسيا في الامبراطورية الروسية، وعام ١٨٦٢ سفيراً لبلاده في باريس، شغل عام ١٨٦٢ منصب رئيس الوزراء ووزيراً للخارجية، استخدم الأساليب الدبلوماسية والعسكرية لتحقيق الوحدة الألمانية، تمكن في ٢٣ آب ١٨٦٦ من عقد معاهدة براغ، التي نصت على حل الاتحاد الجرمانى وخروج النمسا من الأسرة الألمانية، كما ضمت ألمانيا بموجبها مقاطعات شليسفك Schleswig وهلسين Holstein وفرانكفورت، شهد عهده أيضاً حرب السبعين عاماً عام ١٨٧٠ وانتصار بروسيا على فرنسا، منح عام ١٨٧١ لقب اميرفون بسمارك، عين في العام ذاته مستشاراً للامبراطورية الألمانية، عزل عن منصبه عام ١٨٧٣ ثم أعيد إليه، قدم استقالته عام ١٨٩٠ عن عمر يناهز الـ ٧٥ عاماً. للمزيد ينظر:

Kolb, Eberhard, Vismarck, 2 Auflage, Munchen, Verlag Bhibeck, 2014.

(٦١) رمضان، المصدر السابق، ص ١٣.

(٦٢) حاطوم، نور الدين، تاريخ الحركات القومية: يقظة القوميات الأوروبية، ج ٣، بيروت، دار الفكر الحديث، ١٩٦٩، ص ٩٢.

(^{٦٣}) حرب السبعين: نشبت هذه الحرب بسبب ترشيح الامير ليوبولد Lepold الالمانى من اسرة هوهنزولرين للعشر الالمانى والذي كان من العائلة الكاثوليكية البروسية الحاكمة فاثار احتمال اختياره ملكاً لاسبانيا قلق فرنسا من تطويقها من بروسيا وحلفاؤها وبسبب النشاط الدبلوماسي الفرنسي تم سحب الطلب. وقدم السفير الفرنسي طلباً الى ملك بروسيا فيلهلم الاول Wilhelm I بضمان عدم تجدد الترشيح الا ان الملك رفض ذلك فاستغل بسمارك ذلك باصدار نسخة من الطلب للصحافة لاثارة غضب الرأي العام البروسي والفرنسي عن طريق اعطاء الانطباع بأن كلا الجانبين تعرض للاهانة، ادى ذلك لاعلان فرنسا الحرب على بروسيا في ١٩ تموز ١٨٧٠ والتي انتهت بانتصار بروسيا، للمزيد ينظر:

Badsey, Stephen, The Franco- Prussian war, Oxford, osprey pybliaing, 2003.

(^{٦٤}) عبد العزيز، عمر، تاريخ اوربا الحديث والمعاصر ١٨١٥ - ١٩١٩، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠، ص ١٦٣ - ١٦٤.

(^{٦٥}) Wetzel, David, A-dual of nations: Germany, France and the diplomacy war of 1870- 1871, Wisconsin, Wisconsin un press, 2012, p.71.

(^{٦٦}) تعد المدة التي تلت حرب السبعين مرحلة مهمة لتشكل الاحداث في اوربا، فقد كانت الدول الاوربية الكبرى خلالها تحاول تكيف نفسها مع الاوضاع المتغيرة التي نتجت بعد حرب السبعين فحاول بسمارك الذي كان قلقاً من حرب انتقامية تقوم بها فرنسا ضد بروسيا تشكيل ائتلاف مع دول اوربا لعزلها، واصبحت هذه الفكرة الأساسية للسياسة الخارجية الالمانية منذ عام ١٨٧١، لذلك تم في ١٨٧٣ تشكيل عصبة الابطارة الثلاث بين كلاً من الامبراطورية الالمانية والامبراطورية الروسية والامبراطورية النمساوية- المجرية، وفي عام ١٨٧٩ عقد مع النمسا والمجر حلفاً آخر، كما تمكن عام ١٨٨٠ من عقد تحالف الابطارة الثلاث (الحلف الثلاثي) الذي ضم الامبراطوريات الالمانية والروسية والنمسا والمجر ايضاً، للمزيد ينظر: حزيم، حسن زغير، سياسة التحالفات الاوربية واثرها في العلاقات السياسية الاوربية ١٨٧٩ - ١٩٠٨، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٨، ص ٥ - ص ٧٥.

(^{٦٧}) السبكي، آمال، اوربا في القرن التاسع عشر فرنسا في مائة عام، ط ١، جدة، عالم المعرفة، ١٩٨٥، ص ٣٢٥.

(^{٦٨}) يحيى، المصدر السابق، ص ٤٧٥.

(^{٦٩}) Buchan, John, A history of the Great war, Vol I, New York, Houghton Mifflin company, 1923, p.106.

(^{٧٠}) Hayes, Carlton, A Brief History of the Great war, New York, The Macmillan Company, 1920, p.26.

- (⁷¹) Thmpson, Holland and Other, The Book of History the world Greatest war from the outbreak of the war to Treaty of Versailles, Vol XVII, London, The Educational Book co., 1921, pp. 926- 927.
- (⁷²) House, Edward Mandell and Seymour, Charles, what really happened at Paris: The story of the peace conference 1918- 1919, New York, Charles Scribner's Sons, 1921, pp.42-52.
- (⁷³) I bid, pp. 1207- 1213.

المصادر والمراجع
١- الموسوعات

- 2- The New Encyclopedia Britannica ,2003.
- 3- The Encyclopedia Americana, 1979.

٢- المصادر باللغة الانكليزية

- 1- Abrams, Lynn, Bismarck and the German Empire 1871- 1918, London and New York, Taylor and Francis e- Library, 2006.
- 2- Badsey, Stephen, The Franco- Prussian war, Oxford, osprey pybliahing, 2003.
- 3- Barker, J.Ellis, Modern Germany, Edinburg, Ballantyne Press, 1909.
- 4- Bernstein, Paul, The Economic Aspect Napoleon III Rhine Policy, French historical Studies, Vol.1, 1960.
- 5- Bideleux, Robert, and Jeries, Ian, A history of Eastern Europe crisis and change, Second, editioh, London and New York, Taylor and Francis, e :library, 2007.
- 6- Buchan, John, A history of the Great war, Vol I, New York, Houghton Mifflin company, 1923, p.106.
- 7- Edwih, J.Clapp, the Navigable Rhihe, New York, Hovghton Mifflin company, 1911.
- 8- Fleure, H.J, Treaty settlement of Europe: Some Geographic and Ethnographic Spects, New York, Oxford un press, 1921.
- 9- Goldstein, Erik, wars and peace Treaties 1861- 1919, New York, Taylor and Francise e- library, 2005.
- 10- Gould, Baring, The Rhine from Cleve to Mainz, London, Methuen and co, 1906.
- 11- House, Edward Mandell and Seymour, Charles, what really happened at Paris: The story of the peace conference 1918- 1919, New York, Charles Scribner's Sons, 1921.
- 12- Hayes, Carlton, A Brief History of the Great war, New York, The Macmillan Company, 1920.

- 13- Mackinder, H.J, The Rhine, Toronto, Dodd, Mead Company, 1908.
 - 14- Marshall H.E, A history of Germany, London, Hodder and Stoughton, 1913.
 - 15- McMurry, Charles, A, Central Topics in Geogra: The Rhine, Chicago, A. Flanagan Company, 1909,
 - 16- Partsch, Joseph, Central Europe, New York, D. Appleton and Company, 1903.
 - 17- Retallack, James, Imperial Germany 1871- 1918, New York, Oxford un Press, 2008.
 - 18- Rowe, Michael, From Reih to state: The Rhine land in the Revolutionary age 1780- 1830, New york, Cambrege un press, 2003.
 - 19- Shennah, J.H, Louis XIV, London, Routledge, 2005.
 - 20- Thmpson, Holland and Other, The Book of History the world Greatest war from the outbreak of the war to Treaty of Versailles, Vol XVII, London, The Educational Book co., 1921.
 - 21- Wetzal, David, A-dual of nations: Germany, France and the diplomacy war of 1870- 1871, Wisconsin, Wisconsin un press, 2012.
- ٣- المصادر باللغة الألمانية
- 1- Kolb, Eberhard, Vismarck, 2 Auflage, Munchen, Verlag Bhibeck, 2014.

٤- الكتب العربية والمعرية

- ١- البطريق، عبد الحميد ونوار، عبد العزيز، التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا، بيروت، دار النهضة، د. ت.
- ٢- الخوند، مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٢، بيروت، دار رواد النهضة، د. ت.
- ٣- الدسوقي، محمد كمال، تاريخ المانيا، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩.
- ٤- السبكي، آمال، اوربا في القرن التاسع عشر فرنسا في مائة عام، ط١، جدة، عالم المعرفة، ١٩٨٥.
- ٥- المقرحي، ميلاد، تاريخ اوربا الحديث ١٤٥٣- ١٨٤٨، ط١، بنغازي، منشورات، جامعة قاريوس، ١٩٩٦.
- ٦- اينهارد، سيرة شارلمان، ترجمة وتقديم: عادل زيتون، ط١، دمشق، دار حساف للطباعة والنشر، ١٩٨٩.
- ٧- براون، جفري، تاريخ اوربا الحديث، ترجمة: علي المزداوفي، ط١، بيروت، الاهلية للنشر، ٢٠٠٦.
- ٨- حاطوم، نور الدين، تاريخ العصر الوسيط في اوربا، ج١، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٢.

- ٩- _____، تاريخ الحركات القومية في اوربا، ج٢، ط١، دمشق، دار الفكر، ١٩٦٩.
- ١٠- _____، تاريخ الحركات القومية: يقظة القوميات الاوربية، ج٣، بيروت، دار الفكر الحديث، ١٩٦٩.
- ١١- حسن، ابراهيم محمد، دراسات في جغرافيا اوربا وحوض البحر المتوسط، الاسكندرية، مركز الاسكندرية للكتاب، ١٩٩٩.
- ١٢- رمضان، عبد العظيم، تاريخ اوربا والعالم في العصر الحديث من ظهور البرجوازية الاوربية الى الحرب الباردة، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.
- ١٣- سوسن فيصل السامر ويوسف محمد امين، مراجعة: محمد مظفر الادهمي، ج١، بغداد، دار المأمون للنشر، ١٩٩٢.
- ١٤- صبرة، عفاف سيد، الامبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شاركان، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٢.
- ١٥- عبد العزيز، عمر، دراسات في التاريخ الاوربي والامريكي، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢.
- ١٦- _____، تاريخ اوربا الحديث والمعاصر ١٨١٥-١٩١٩، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠.
- ١٧- عمران، محمود سعيد، معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، د.ت.
- ١٨-
- ١٩- هيز ، كارلتون ج.ه ، الثورة الصناعية ونتائجها السياسية والأجتماعية، ترجمة احمد عبد الباقي ، ط٢ ، بغداد، منشورات مكتبة المثنى ، ١٩٦٢.
- ٢٠- يحيى، جلال، التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الاولى، الاسكندرية، المكتب الجامعي، د.ت.

٤-الرسائل والأطاريح

- ١- الخزرجي، منتظر موسى محمد، نابليون الثالث وسياسته الخارجية تجاه اوربا ١٨٥٠-١٨٧١، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٣.

- ٢- الشويلي، زيدان احسان هادي، مؤتمر فينا ١٨١٤ - ١٨١٥، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٤.
- ٣- حزيم، حسن زغير، سياسة التحالفات الاوربية وأثرها في العلاقات السياسية الاوربية ١٨٧٩ - ١٩٠٨، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٨.

**العلاقات الدينية والثقافية والتجارية
بين العراق وأفغانستان
(١٩٣٣ - ١٩٤٥)**

**أ.د. سنان صادق حسين الزيدي
جنان مهدي جاسم الشمري
الجامعة المستنصرية / كلية التربية
قسم التاريخ**

العلاقات الدينية والثقافية والتجارية بين العراق وأفغانستان
(١٩٣٣ - ١٩٤٥)

أ.د. سنان صادق حسين الزيدي

جنان مهدي جاسم الشمري

المقدمة :

تعد العلاقات الدينية والثقافية والتجارية بين العراق وأفغانستان من أهم العوامل التي أسهمت في تطور العلاقات بين البلدين وفي مختلف مراحلها , فاحتلت الأماكن المقدسة في العراق أهمية كبيرة لدى المسلمين ومنهم الأفغان الذين توافدوا على العراق وبأعداد كبيرة وعلى مر السنين , كما كان لمدارسه وحوزته الدينية والعلمية أهمية كبيرة لطلاب العلم الذين توافدوا على مدنه . وشكل الموقع الجغرافي للعراق هو الآخر أهمية في التبادل التجاري بين البلدين والذي أسهم في التقارب بينهما وساهمت هذه العلاقات جميعها في التقارب السياسي وتنمية الصلات بين البلدين ليس فقط بين عامي ١٩٣٣ و ١٩٤٥ , وإنما على مر السنين.

Abstract

The religious, cultural and trade relations between Iraq and Afghanistan of the most important factors that contributed to the development of relations between the two countries in various stages, the holy places in Iraq occupied great importance to Muslims, including Afghans who flocked to Iraq in large numbers and over the years, as schools, religious, scientific, and possession of the importance of Great for science students who flocked to the cities. And shape of the geographical location of Iraq is also important in terms of trade between the two countries, which

contributed to the rapprochement contributed these relations in all political rapprochement and the development of links between the two countries, not only between the years 1933 and 1945, but over the years.

– العلاقات الدينية والثقافية والتجارية بين العراق وأفغانستان (١٩٣٣ - ١٩٤٥):

ظل مسلمو أفغانستان يرنون إلى العراق بوصفه بلداً مقدساً ، لأن ثراه يضم أجساداً طاهرة لائمة المسلمين والأولياء الصالحين وأقطاب التصوف الإسلامي . وعلى هذا الأساس استمر توافد الأفغان إلى العراق ، واستمرت زياراتهم إليه على مدى المدة التي نتناولها بالدراسة . شغلت المراكز المقدسة فيه أهمية كبيرة ، فكان لمدينة النجف الأشرف وكربلاء المقدسة وسامراء والكاظمية ومركدي الشيخ عبد القادر الكيلاني والإمام أبي حنيفة النعمان أهمية كبيرة لدى المسلمين الأفغان ، الذين كانوا من أوائل المسلمين الزائرين لهذه الأماكن ، فكان يتوافد على العراق سنوياً المئات منهم . ولم تقتصر هذه الأهمية على عامة الناس في أفغانستان ، بل حتى على المسؤولين الكبار الذين وفدوا إلى العراق ، فكان في مقدمة منهاج زيارتهم للعراق زيارة هذه الأماكن المقدسة ، كما اشرنا إلى ذلك آنفاً .

ولم يقتصر وجودهم للزيارة فحسب ، وإنما كان البعض منهم يقصدون العراق لتعلم اللغة العربية والاستزادة من علوم القرآن والفقه الإسلامي على أيدي كبار علماء الدين العراقيين ، وفي حوزاتهم " مدارسهم " العلمية المنتشرة في مدينتي النجف الاشرف وكربلاء وبقية المدن الدينية العراقية . ومما له مغزاه بهذا الشأن ، ما جاء في تقرير التفتيش الإداري للواء كربلاء في عام ١٩٣٦ من أن في قضاء النجف أعداداً كبيرة من الأجانب بلغ عددهم ما يقارب ١٠٦٣٥ ألف نسمة ، وإن أكثرهم من رعايا الحكومة الإيرانية وبعضهم من رعايا أفغانستان والهند . وأكد التقرير نفسه ، أن البعض من الأجانب من إيرانيين وأفغان وهنود هم طلاب علوم دينية وأكثرهم يمتحنون المهن المحلية^(١).

فضلا عما تقدم ، توافدت أعداد كثيرة من الأفغان على العراق ، الذي كان طريقاً لهم للتوجه إلى المملكة العربية السعودية لأداء فريضة الحج . وبتوجيه من الحكومة العراقية ، أولت الدوائر العراقية المختصة اهتماماً واضحاً ، بطرق الحج بين العراق والمملكة العربية السعودية ، مما سهل وصول الحجاج الأفغان ، وغيرهم ، إلى مكة خلال أربعة أو خمسة أيام قادمين من بغداد ، من دون أن يُستهدفوا أو يتعرضوا لمشكلات أو صعوبات ، والتقليل من النفقات المادية التي يصرفونها خلال تلك الرحلة^(٢).

وكان هذا سبباً في تزايد أعداد الحجاج الأفغان ، فقد قدم إلى بغداد ما يقارب ١٥٠ حاجاً أفغانياً في ٢١ كانون الأول عام ١٩٣٥ ، يرومون السفر إلى مكة المكرمة عن طريق النجف - المدينة المنورة ، وقد نشطت حركة الحجاج على هذا الطريق لسهولة^(٣) . ومما يجدر بالملاحظة ، إن وزير الحربية الأفغاني محمود خان ، وخلال زيارته للعراق في تشرين الأول عام ١٩٣٦ ، زار العتبات المقدسة في مدينتي النجف وكربلاء ، وبحسب صحيفة " البلاد " فان الضيف الأفغاني " درس طريق الحج البري الممتد من النجف الاشرف إلى المدينة المنورة " لتسهيل سفر الحجاج الأفغان إلى بيت الله الحرام^(٤) . فضلاً عن ذلك سلك الحجاج الأفغان طريقاً آخر للتوجه إلى بيت الله الحرام وهو طريق " الزبير - الرياض - المدينة " ، ونشرت صحيفة " الاستقلال " ، في عددها الصادر في ٦ كانون الثاني ١٩٣٦ أن عدد السيارات التي قامت بنقل الحجاج من البصرة إلى المملكة العربية السعودية من خلال هذا الطريق بلغ خمسين سيارة خلال مدة أسبوع واحد^(٥).

ونظراً للمعاناة التي كان يلقاها الحجاج من الطرق غير المعبدة والرملية ، فقد أولت الحكومة العراقية اهتماماً بتعبيد الطرق التي تمر عليها قوافل الحجاج في الأراضي العراقية . وقد انعكس هذا الواقع على ازدياد أعداد الحجاج الأفغان . فلا غرو والحالة هذه ، أن تولي صحيفة " الاستقلال " اهتماماً واضحاً بهم ، فقد ذكرت في ١٥ كانون الثاني ١٩٣٦ ، أن أعداد الحجاج الأفغان وغيرهم ، الذين يتأهبون بالسفر

لأداء فريضة الحج عن طريق العراق سالكين طريق " النجف - المدينة المنورة " سيزيد على عشرة آلاف حاج^(٦). كما تابعت الصحيفة نفسها , وصول ٤٠٠ حاج إلى مدينة النجف الاشرف , معظمهم من الأفغان , وأكدت الصحيفة في عدد آخر , أن مجموع الحجاج الذين سلكوا هذا الطريق قد بلغ ما يقارب ٨٠٠ حاج أغلبهم من الأفغان^(٧). وشهد عام ١٩٣٧ وصول ٩٣ حاجاً أفغانياً إلى البصرة من الهند على ظهر الباخرة " فاسنا " , وهذا ما أكدته صحيفة " العالم العربي " التي توقعت تدفق قوافل جديدة من الحجاج عن طريق العراق^(٨).

وبغية تسهيل وصول الحجاج الأفغان إلى العراق في طريقهم إلى المملكة العربية السعودية , نشطت شركات النقل البري في الهند , فقد قدم عبد المجيد الفاروقي , وهو من التجار المسلمين في الهند ومن الذين يتمتعون بشهرة واسعة في عالم التجارة , طلباً للحكومة العراقية عرض فيه , رغبته بالسماح له بنقل الحجاج من أفغانستان والهند وإيران عن طريق الحج البري وإن يمنح بعض الإعفاءات في هذا الشأن , وبحسب صحيفة " الأخبار " , وافقت الحكومة العراقية مبدئياً على هذا الطلب^(٩). ونظراً لازدياد أعداد الحجاج الذين سلكوا الطريق البري سنة بعد أخرى , دفع بالدوائر المختصة في العراق أن تُعير حركة الحجاج الأفغان وغيرهم , أهمية خاصة , بوصفها نشاطاً سياحياً بالإمكان الاستفادة منه لصالح الاقتصاد العراقي , فضلاً عن توثيق علاقات الشعبين العراقي والأفغاني , وعليه طلبت من الشركات المختصة تأمين سيارات ذات متانة , والاهتمام بالشؤون الصحية , ولاسيما تأسيس مستوصفات في نقاط معينة من الطريق , وتوفير المياه اللازمة , وغيرها من الأمور التي ساعدت على توجه المزيد من الحجاج عبر هذا الطريق^(١٠).

وفي المجال نفسه , أكدت الأخبار اللاحقة , التي نشرتها صحيفة " الرأي العام " في عددها الصادر ٢٩ كانون الأول ١٩٣٩ أن الحجاج الأفغان بدأوا يتوافدون على النجف , وإن أعداداً كبيرة منهم وصلوا إلى البصرة في طريقهم إلى المملكة العربية السعودية لأداء فريضة الحج^(١١).

وهكذا عاماً بعد عام ، وبسبب الطرق البرية الآمنة والتسهيلات المقدمة أصبح العراق ممراً لهؤلاء الحجاج سواء من الأفغان أم من غيرهم . وإثر انتشار مرضي الكوليرا " الهبضة " و "الجدي" في بعض مناطق أفغانستان في عام ١٩٤٠ فرضت الجهات الصحية العراقية تدابير صحية على القادمين من أفغانستان ، خشية تسرب انتقال عدوى هذا الوباء إلى العراق (١٢).

وينبغي أن نشير هنا إلى أن بعض الحجاج الأفغان لم يغادروا العراق ، واستوطنوا فيه، وكذلك الأفغان الذين توافدوا إلى الأماكن المقدسة ، ومنها ، مدن النجف والكاظمية وكربلاء وسامراء ، التي تعد مراكز كبرى للزيارة قصدوا الزوار الشيعة من كل مكان في العالم الإسلامي . فقد ذكر الباحث الأمريكي جورج هاريس (George L. Harris) الذي زار العراق وألف عنه كتاباً طبع عام ١٩٥٨ بعنوان " العراق ، سكانه ومجتمعه وحضارته " ، أن ما يقارب " ألف شيعي أفغاني يعيشون في المدينتين المقدستين الكاظمية والنجف" (١٣). وكان هناك العديد من الأفغان الذين عاشوا في بغداد وفي منطقة باب الشيخ ولهم مقبرة خاصة بهم فيها عرفت بمقبرة " الدراويش الأفغان " ، وأشارت الوثائق العراقية غير المنشورة ، إلى أن خلافاً حدث بين بعض أهالي باب الشيخ في عام ١٩٤٠ بشأن عائدية المقبرة دفع بعضهم إلى تقديم شكوى إلى رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني (١٤). وبناءً على التحقيق الشفوي الذي أمرت به مديرية الأوقاف ، وجه مدير منطقة أوقاف بغداد كتاباً إلى مديرية الأوقاف العامة بيّن فيه أن الأرض تعود للسيد أمين سرحان بسند الطابو الذي أرسلت نسخة منه إلى المديرية وطلب مدير أوقاف المنطقة " منطقة باب الشيخ " من مديرية الأوقاف العامة رأيها إذا كانت تستصوب الدخول في القضية كطرف ثالث أم لا استناداً إلى شهادة الشهود الذين يؤكدون أن الأرض هي مقبرة للدراويش الأفغان (١٥).

ومما جاء في المضبطة المرفوعة إلى رئيس الوزراء في ٢١ كانون الأول ١٩٤٠ :

"إننا الموقعين أدناه مختار واختيارية محلة باب الشيخ نشهد بناء على وقوفنا وإطلاعنا أن المقبرة الكائنة حوالي باب الشيخ المعروفة بمقبرة الدراويش الأفغانيين هي كيلانية الصرف وليس لأحد فيها أي تملك طابو أم غير ذلك ويوجد للمدعو أمين سرحان اغا قطعة ارض طابو هي خارج هذا الوقف مجاورة له وليس للمومى إليه أي تملك طابو أم عادي بهذه الأرض" (١٦). وقامت مديرية الأوقاف العامة بإجراء تحقيق حول ما جاء في المضبطة وتبين لها صحة ما جاء فيها , وقد أعلنت سكرتيرية مجلس الوزراء بذلك في كانون الثاني ١٩٤١ (١٧).

بقي أن نشير في هذا الجانب تحديدا إلى أعداد الأفغان الذين توافدوا على العراق خلال المدة بين عامي ١٩٢٧ و ١٩٤٥ ومن خلال الجدول الآتي (١٨):

الجدول رقم (١)

أعداد الأفغان الذين قدموا إلى العراق أو غادروا منه بالنسبة لمجموع الأجانب بين عامي ١٩٢٧ و ١٩٤٥.

السنة	القادمون إلى العراق		المغادرون منه	
	عدد الأفغان	المجموع الكلي للأجانب	عدد الأفغان	المجموع الكلي للأجانب
١٩٢٧-١٩٣٣	١١٨٧	٣٣٥٦٨	١١١٤	٣٤٠٩٤
١٩٣٤	٩٨١	٤٢٦٠٩	٦٧٧	٤٦٢٢٠
١٩٣٥	١٩١٩	٣٦٦٠١	١٨٩٣	٤٥٢٢٧
١٩٣٦	١٦٩٠	٣١٩٦٨	١٥٩٢	٣٣١٥٧
١٩٣٧	١٦٨٢	٣٧١٣٢	١٠٨٠	٣٦٣٨٢
١٩٣٨	١٨٧٥	٦٠٦٦٩	١٩٥٥	٥٥٣٨٩
١٩٣٩	٦٦٤	٣٠٥٠١	٧٧٨	٣٢٢٠٧
١٩٤٠	١٢٨	٣٢٤٨١	١٣٧	٣٢٢٣٧
١٩٤١	٤٣٠	٢٣٠٧٩	٢٨٨	١٥٦٦٤
١٩٤٢	٩٠	٣٠٥٢٧	١٠٥	٢٦١٦٥

العلاقات الدينية والثقافية والتجارية بين العراق وأفغانستان (١٩٣٣ - ١٩٤٥).....

٢٨١٤٥	٣٦	٣١٧٣٣	٤٤	١٩٤٣
٢٦٨٦٦	٢٦	٣١٤٧٢	٤٦	١٩٤٤
٢٨٣١٢	٩٨	٥٠٦٢٩	١٥٢	١٩٤٥
٤٤٠٠٦٥	٩٧٧٩	٤٧٢٩٦٩	١٠٨٨٨	المجموع الكلي

ويتضح من الجدول ، ازدياد أعداد الأفغان الذين قدموا إلى العراق . فقد بلغ عددهم عام ١٩٣٨ ما يقارب ١٨٧٥ شخصاً مما شكل زيادة مقدارها ٨٩٤ شخصاً عن عام ١٩٣٤ ، ويلاحظ في الجدول نفسه ، انخفاض أعدادهم خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، وعلى الرغم من ذلك فإن أعداداً كبيرة من الأفغان لم يغادروا العراق واستوطنوا فيه خلال المرحلة نفسها .

على مستوى آخر ، تفاعل العراق رسمياً وشعبياً ، بمرور رفات جمال الدين الأفغاني عبر الأراضي العراقية في عام ١٩٤٤ . فقد طلبت الحكومة الأفغانية من الحكومة التركية نقل جثمانه من قبره في استانبول إلى كابل (١٩) ، وبعد موافقة الحكومة التركية على ذلك ، طلبت الحكومة الأفغانية من الحكومة العراقية ، رسمياً ، السماح لها بنقل الرفات من تركيا إلى أفغانستان عبر العراق ، فوافق مجلس الوزراء العراقي في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٤ ، وأوعز إلى مديرية الأوقاف العامة لإبداء التسهيلات الممكنة في هذا الأمر (٢٠). يومها ، أولت صحيفة " البلاد " في عددها الصادر في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٤٤ اهتماماً ، ونشرت خبراً مفاده موافقة الحكومة العراقية على اجتياز رفات المصلح الكبير السيد جمال الدين الأفغاني الأراضي العراقية ، وتوقعت الصحيفة إقامة احتفال مهيب عند وصول الرفات إلى بغداد (٢١). وبناء على ذلك شكلت وزارة الداخلية ، بدورها ، هيئة للاحتفاء بالرفات أثناء مروره بالعراق ، وأعلنت وزارتي الخارجية والمعارف وسكرتيرية مجلس الوزراء في هذا الشأن (٢٢).

بدأت استعدادات وزارة المعارف مبكراً ، ودعت عمادتي كلية الحقوق ودار المعلمين العالية ، لتأمين حضور الطلاب في الوقت المعين لوصول الرفات (٢٣). كما ألف مدير

الأوقاف العام لجنة للإشراف على الاحتفاء بهذه المناسبة (٢٤). وتابعت الصحف العراقية , استعدادات وزارة المعارف للإحتفاء الذي سيقام بمناسبة مرور الرفات في قاعة مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني (٢٥). وفي الوقت نفسه , دعت وزارة المعارف عمادتي كلية الحقوق ودار المعلمين العالية لاتخاذ ما يلزم لتكريم الرفات وتأمين حضور الطلاب في الوقت المعين (٢٦). ويؤكد الباحث عبد المحسن القصاب , أن نبأ نقل رفات جمال الدين الأفغاني من استانبول إلى بلاد الأفغان عبر العراق , " مفاجأة غير منتظرة من الأمة العراقية " , فكانت " فرصة مناسبة لإظهار شعور العراقيين نحوه ونحو بلده الأفغان " وبما يعزز العلاقات الوطيدة بين بغداد وكابل (٢٧).

أكدت إحدى الوثائق العراقية غير المنشورة , أن الحكومة العراقية أوعزت أن تنظم الاحتفالات الشعبية تحت إشراف لجنة رئيسة ببغداد , أعلن عن تأليفها في اليوم الأول من كانون الأول ١٩٤٤ , واجتمعت اللجنة في وزارة الداخلية ووضعت منهاج الاحتفاء من دخول الرفات إلى مدينة الموصل وحتى خروجه من البصرة (٢٨).

وصل الرفات إلى مدينة الموصل يوم ١٠ كانون الأول قادماً من تركيا بقطار الشرق السريع وقد رافقه الوزير الأفغاني المفوض في العراق عبد الرحمن خان , وقد استقبلت الرفات " جماهير غفيرة " من أهالي الموصل (٢٩). وكان في مقدمتهم , خير الدين العمري رئيس بلدية الموصل الذي وضع أكليلا من الزهور على الصندوق الذي يحوي رفات الفقيد وألقى كلمة بالمناسبة , فأجابه الوزير الأفغاني بكلمة شكر فيها باسم الشعب الأفغاني شعور أبناء الموصل خاصة والعراق عامة " (٣٠). وصل رفات الأفغاني إلى بغداد في ١١ كانون الأول , ونقل بعدها إلى جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني (٣١). وقد انعكس ذلك في الصحف العراقية , فقد نشرت صحيفة " البلاد " في عددها الصادر في ١١ كانون الأول ١٩٤٤ تفاصيل دقيقة عن وصول الرفات من المحطة إلى الحضرة القادرية (٣٢). كما تلقت صحف أخرى , أخبار منهاج مديرية الأوقاف العامة والترتيبات اللازمة للإسهام في تشييع الرفات والحفاوة به (٣٣). ووجهت لجنة الاحتفاء بياناً , دعت فيه رئيس الوزراء والوزراء , وأعضاء مجلسي الأعيان

والنواب ، وأعضاء السلك السياسي الإسلامي ، والحكام والمحامين ، والصحفيين ، والعلماء ورجال الدين ، وأساتذة كلية الحقوق ودار المعلمين العالية ، ومن يرغب من غير هؤلاء بالحضور^(٣٤). كتبت صحيفة " النداء " بالمناسبة مقالاً في ١٦ كانون الأول جاء فيه : " زحفت العاصمة صباح أمس نحو الحضرة القادرية للاحتفاء برفات عظيم الشرق والإسلام السيد جمال الدين الأفغاني ، ... ولم يكن هذا الاجتماع الحافل حول رفات الفقيد بالشيء المصطنع ولم تكن عليه صبغة المجاملة الدبلوماسية بقدر ما كان اجتماعاً منبعثاً عن رغبة صادقة في أداء واجب الحفاوة برفات الراحل الذي تدارس تعاليمه العراقيون وتأثروها أسوة بالأمم الإسلامية والشرقية الأخرى " ^(٣٥). أما صحيفة " الرأي العام " فخصص عددها الصادر في ١٦ كانون الأول ١٩٤٤ لمراسم الاحتفاء ، ونشرت الكلمات التي أُلقيت عن جمال الدين الأفغاني ^(٣٦). وقد حضر الاحتفاء عدد من الوزراء العراقيين ، والوزير المفوض للمملكة العربية السعودية والقائم بأعمال المفوضية المصرية في العراق^(٣٧). وقد ألقى الشيخ جلال الحنفي^(٣٨) خطبة نيابة عن رجال الدين ، كما ألقى الشاعر محمد مهدي الجواهري قصيدة بهذه المناسبة^(٣٩). وفي الختام ألقى مدير الدعاية العام احمد زكي الخياط كلمة الختام في الاحتفاء بالفقيد^(٤٠). تم اختتام الحفل بكلمة ألقاها الوزير المفوض الأفغاني عبد الرحمن خان شكر فيها الحكومة العراقية لحفاوتها برفات الفقيد، وشكر الأمة العراقية لما أظهرت من اهتمام بحادث مرور رفات الفقيد ببلادها، وتمنى أن يكون هذا الحادث وسيلة لتنمية أفضل العلاقات بين الحكومتين وتوثيق أواصر المودة بين البلدين ، بعدها نقل الرفات إلى المطار المدني بجانب الكرخ إذ أعدت له طائرة خاصة لنقله إلى مدينة البصرة^(٤١). وقد جرى الاحتفال بالرفات بعد وصوله إلى مطار شط العرب ، بحضور عدد من المسؤولين العراقيين في اللواء ، وفي اليوم التالي غادرت الطائرة التي تقل الرفات والوزير الأفغاني إلى الهند ومن هناك إلى

أفغانستان^(٤٢). وقد استقبله في كابل ملك أفغانستان , ووزراؤه , ودفن الرفات في ضريح فخم يتوسط جامعة كابل^(٤٣).

انعكست آثار مرور رفات جمال الدين الأفغاني في الأراضي العراقية على مؤسسات الدولة العراقية , ومنها أمانة العاصمة , فقررت في جلستها المنعقدة في ١٠ كانون الأول ١٩٤٤ تسمية الشارع الذي يبتدئ من ساحة عنتره بن شداد وينتهي بالسدة الشرقية للمدينة والمحاذي لبناية نادي الاولمبي " النادي الرياضي الملكي العراقي " باسم شارع محمد جمال الدين الأفغاني^(٤٤). كما أصدر المحامي عبد المحسن القصاب كتاباً بعنوان " ذكرى الأفغاني في العراق " عام ١٩٤٥ , يقع هذا الكتاب في ١٥٦ صفحة حوت ترجمة مفصلة للسيد الأفغاني , وأكثر ما قيل وكتب عنه أثناء مرور رفاتهِ عبر العراق , واحتفاء الشعب العراقي به , وما نشرته الصحافة العراقية بهذه المناسبة^(٤٥).

وقد نال هذا الكتاب إعجاباً كبيراً في أفغانستان . فقد أشار الوزير المفوض العراقي في كابل خالد الزهاوي في تقرير المفوضية لشهر حزيران ١٩٤٥ , إلى أن الصحف المحلية نشرت ترجمة خلاصة كتاب " ذكرى الأفغاني في العراق " وأشادت ورحبت به , واثنت كثيراً على الشعب العراقي لما أبداه من شعور طيب وأخوي تجاه الشعب الأفغاني بمناسبة مرور رفات جمال الدين الأفغاني في العراق^(٤٦). وكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك كله على تطور التبادل التجاري بين بغداد وكابل في المرحلة نفسها .

يؤلف التبادل التجاري احد السمات المهمة والأساسية في العلاقات الاقتصادية بين العراق وأفغانستان خلال الإطار الزمني لهذه الدراسة . ومما كان يعطي للحكومة العراقية مجالاً أوسع في تنمية علاقاتها التجارية مع كابل , المصالح والعلاقات السياسية الحسنة التي ارتبطت بها مع دولة أفغانستان . فعلى الرغم من أن الموقع الجغرافي لأفغانستان قد أدى دوراً كبيراً في تحديد شركائها التجاريين , لأن أفغانستان دولة داخلية لا تملك منافذ على البحر وتتم تجارتها البحرية عن طريق ميناء كراچی في

باكستان , ما جعل علاقاتها التجارية تتسع مع الدول المجاورة لها كالاتحاد السوفيتي بالدرجة الأولى والهند وإيران , وقد خلقت صعوبات النقل عوائق أمام ازدهار العلاقات التجارية الأفغانية مع الدول الأخرى ومن بينها العراق بسبب ما تتركه كلفة النقل من أثر على أسعار السلع المصدرة والمستوردة^(٤٧). مع ذلك سعى العراق إلى تنمية علاقاته التجارية مع أفغانستان , إذ بدأت تؤثر خطوات متقدمة على طريق تطورها والارتقاء بها نحو الأفضل . وعليه لم يكن مجرد مصادفة أن رصدت المفوضية العراقية في كابل , المعوقات التي تواجهها حكومة كابل في التبادل التجاري مع دول العالم , وتحكم دول الجوار ولاسيما الهند التي عدتها المفوضية العراقية "بـ القابضة على زمام التجارة مع أفغانستان وباستطاعتها أن تنعشها أو تلحق بها ضرراً بليغاً كيفما شاءت" ^(٤٨). على الرغم من ذلك كله , شهدت العلاقات التجارية بين بغداد وكابل , تطوراً ملموساً , وإن كان بطيئاً - على الأقل في البداية - إذ فرض في جوانب تطور العلاقة , وضع العراق تحت الانتداب البريطاني نفسه عليها , فقد وضعت بريطانيا , جميع الوسائل المتاحة لها , للهيمنة على الاقتصاد العراقي , بما في ذلك التبادل التجاري مع أفغانستان , استناداً إلى النصوص الرسمية التي احتوتها لائحة الانتداب البريطاني^(٤٩), وبفضل ذلك استمرت بريطانيا تحتل المركز الأول في قائمة التبادل التجاري الاستيراد والصادرات حتى عام ١٩٣٩ وتليها اليابان والهند من الدول الآسيوية^(٥٠) .

اشتملت صادرات العراق , آنذاك , على المنتجات الزراعية والمواد الأولية من الحيوانات الحية , فكان اغلب صادراته من مواد الحبوب , والتمور , والصوف والجلود , والمواشي والخيول , والقطن والمصارين وعرق السوس والأسمك , والسمن^(٥١) , وكان الميزان التجاري العراقي في اقله سلبياً , بسبب زيادة أقيام الواردات العراقية على أقيام الصادرات واقتصار الأخيرة على التمور بأنواعها التي الفت المادة الأساسية والرئيسة في صادرات العراق قبل اكتشاف النفط فيه^(٥٢).

هذه العوامل كلها، وعوامل أخرى، جعلت التجارة بين العراق وأفغانستان محدودة جداً خلال هذه المرحلة، فالعوامل الجغرافية والاقتصادية كانت عاملاً عائقاً أمام تطور العلاقات التجارية، فالبعد الجغرافي وتخلف اقتصاديهما من ناحية، وكذلك تشابه المحصولات من ناحية أخرى، وتعدد وسائل النقل وارتفاع كلفتها، عوامل حالت دون قيام علاقات تجارية طبيعية ذات مستوى عال بين البلدين (٥٣).

فطبقاً للوثائق العراقية الرسمية المنشورة المختصة بتجارة العراق مع دول العالم، فقد وردت فيها أول إشارة إلى أنه في عام ١٩٣٧ بلغت قيمة صادرات العراق إلى أفغانستان ما يقارب ١٩ ألف دينار، في حين كانت وارداته منها لا تزيد على ٦ آلاف دينار في السنة

نفسها (٥٤). وشكلت التمر (٥٥) المادة الرئيسة في صادرات العراق إلى أفغانستان. مع ذلك عدت الحكومة الأفغانية آنذاك، التمر العراقية من المواد الكمالية، فضلاً عن مواد أخرى، وبذلك فرضت الحكومة الأفغانية رسوماً كمركية مرتفعة على التمر العراقية تراوحت بين ما نسبته ٣٥% إلى ٨٠% (٥٦) فضلاً عما تقدم فإن الطريق التجاري لنقل التمر العراقية، وغيرها من المواد المستوردة لأفغانستان، كانت تمر عبر باكستان إلى كراچی بالبواخر ومنها إلى مدينة بيشاور بالقطار ثم إلى أفغانستان بسيارات الحمل، وبذلك ترتفع أسعار المواد المستوردة لكثرة النفقات (٥٧).

وإسهاماً منه في تشجيع التبادل التجاري بين بغداد وكابل، سعى القائم بالأعمال العراقي في أفغانستان جميل الراوي إلى إقناع الحكومة العراقية بضرورة الأخذ بمقترحات عدة، من شأنها أن تعزز العلاقات التجارية بين البلدين. وطبقاً لما أوردته الوثائق العراقية غير المنشورة، فإن الوزير المفوض العراقي قد زار "معرض الأزياء" الذي أقيم في كابل في تموز ١٩٤١، واحتوى المعرض على أزياء للرجال والنساء منذ الأزمنة القديمة إلى يوم إقامة المعرض، فضلاً عن آثار إسلامية وعربية عدة، وتأسف الدبلوماسية العراقية لعدم اشتراك العراق بفعاليات المتحف، لكونه يعزز العلاقات بين

العلاقات الدينية والثقافية والتجارية بين العراق وأفغانستان (١٩٣٣ - ١٩٤٥).....

الشعبين . وبناء على ذلك اقترح الوزير المفوض العراقي في تقريره المرسل إلى وزارة الخارجية العراقية الأمور الآتية :

- ١- فتح سوق كبيرة للتمور العراقية في أفغانستان . وإرسال عدد من صناديق التمور لإهدائها إلى رجال الدين الأفغان الذين أقام معهم الوزير المفوض العراقي - علاقات طيبة .
 - ٢- دعا أصحاب معامل السكاير العراقية إلى إرسال نماذج من منتجاتهم إلى التجار الأفغان , للترويج عنها في أفغانستان , ومن ثم فتح سوق كبيرة لها .
 - ٣- إرسال نماذج من أقمشة المعامل الوطنية , إلى مستوردي الأقمشة الصوفية الأفغان من أجل إقناعهم بضرورة استيراد الأقمشة الصوفية العراقية بدلا من المستوردة من الهند والغالية الثمن , وهذا سيساعد على فتح سوق كبيرة في المستقبل .
 - ٤- دعا الحكومة العراقية إلى إرسال احد العراقيين من " الصابئة " المختصين بصناعة الفضة إلى كابل , لحاجة الحكومة الأفغانية ورغبتها الشديدة في صنع الفضة , بسبب عدم وجود أشخاص مهرة في هذه الصناعة , وشدد على أن ذلك سيؤدي إلى فتح مجالات جديدة بين البلدين (٥٨).
- ونتيجة لحاجة الأسواق الأفغانية للبضائع العراقية , وبحسب الوثائق العراقية نفسها , فقد ارتفعت صادرات العراق إلى أفغانستان إلى ما قيمته ٦٢٢ ألف دينار في عام ١٩٣٩ , وقد شكلت مادة التمور والحيوانات الحية أهم تلك الصادرات , وبذلك احتلت أفغانستان المرتبة ٧١ من مجموع ٧٣ دولة في قائمة صادرات العراق , بيد أن الصادرات العراقية , انخفضت إلى ما قيمته ٣٣ ألف دينار بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية , واستمر الحال على ما هو عليه حتى عام ١٩٤٥ (٥٩).
- أما واردات العراق من أفغانستان , فقد ارتفعت إلى ما قيمته ٢٣ ألف دينار عام ١٩٤٤ , وذلك بزيادة مقدارها ١٧ ألف دينار عن عام ١٩٣٧ , وشكلت الفواكه الصالحة للأكل أهم المواد المستوردة من أفغانستان التي ازداد توريدها إلى العراق , فارتفعت إلى ما قيمته ٣٥٩ ألف دينار في عام ١٩٤٥ , وبذلك احتلت أفغانستان

العلاقات الدينية والثقافية والتجارية بين العراق وأفغانستان (١٩٣٣ - ١٩٤٥).....

المرتبة ٤٤ من اصل ٥١ دولة في عام ١٩٤٤، والمرتبة ٤٦ من اصل ٥٦ دولة في عام ١٩٤٥، في قائمة استيرادات العراق الكلية (٦٠). ويوضح الجدول (٢) أقيام التبادل التجاري بين العراق وأفغانستان بآلاف الدنانير للسنوات (١٩٣٧ - ١٩٤٥) (٦١):

الجدول رقم (٢) حجم التبادل التجاري بين العراق وأفغانستان بين عامي

١٩٣٧ و١٩٤٥ بآلاف الدنانير .

التفاصيل	١٩٣٧	١٩٣٨	١٩٣٩	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣	١٩٤٤	١٩٤٥
صادرات العراق	١٩	-	٦٢٢	٣٣	-	-	-	-	-
واردات العراق	٦	-	-	-	-	-	-	٢٣	٣٥٩

وبنظرة سريعة على هذا الجدول، يمكن ملاحظة الميزان التجاري بين بغداد وكابل، كان لصالح العراق في الأعوام ١٩٣٧ و ١٩٣٩ و ١٩٤٠، في حين كان لصالح أفغانستان بين عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٥، بسبب توقف الصادرات العراقية إلى أفغانستان خلال سنوات الحرب العالمية الثانية (٦٢). وشكلت تجارة الترانسيت أهمية كبيرة في الدخل القومي للعراق. مع ذلك نجد أنها كانت محدودة مع أفغانستان خلال تلك المرحلة، فقد شكلت ما نسبته ٠,٠٧% في عام ١٩٣٨، ارتفعت إلى ما نسبته ٠,١٧% عام ١٩٣٩، من الأصل الكلي لتجارة الترانسيت العراقية (٦٣).

وفي مجال آخر، استطاع العراق، وبفضل موقعه الجغرافي في مجال المواصلات البريدية وأهميته، أن يكون الصلة الرابطة بين دول الشرق والغرب، ومن ثم كان له الدور البارز في التوسط في تبادل البريد الدولي (٦٤). وكان البريد المرسل إلى أفغانستان يصل إلى ميناء كراچي، ومنها إلى أفغانستان، وعندما حددت الحكومة العراقية أجره البريد الاعتيادية والجوية الموحدة على البطاقات الجوية المظروفة، وأجرة

العلاقات الدينية والثقافية والتجارية بين العراق وأفغانستان (١٩٣٣ - ١٩٤٥).....

البريد الجوي الإضافية على البطاقات البريدية والرسائل وسائر المواد إلى أماكن عدة للإرسال على متن الطائرات الفرنسية عام ١٩٣٧ ، جعلت الأجرة التي تؤخذ على البريد المتوجه إلى أفغانستان على النحو التالي ابتداءً من ١٨ حزيران عام ١٩٣٧ :

الأماكن المقصودة	الميناء الجوي	أجرة البريد الاعتيادية والجوية الموحدة على البطاقات الجوية المظروفة	أجرة البريد الجوي الإضافية على : البطاقات ، الرسائل ، سائر المواد
أفغانستان	كراچی	عن كل بطاقة مظروفة	عن وزن ١٠ غرامات أو جزء منه
		عن كل بطاقة	عن وزن ٥٠ غرامات أو جزء منه
		فلس ١٩	فلس ١٢
		فلس ٦	فلس ١٢

والجدير بالذكر ، إن الأجرة التي أخذت عن البريد المتوجه إلى أفغانستان احتلت المرتبة الثانية بعد أجرة بريد بوشهر وجاسك (٦٥). كما احتلت أفغانستان مكانة متقدمة بين الدول الوارد منها البريد عبر العراق في عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ ، فقد جاءت أفغانستان في المرتبة التاسعة من بين أربع عشرة دولة ورد منها البريد إلى العراق ، إذ بلغ عدد الأكياس الواردة إلى العراق ١٢٧ كيساً وبلغ وزنها ٤٩٠٠٠ غرام خلال هذه المرحلة (٦٦). كما ورد في دراسة جامعية متخصصة .

وفي واقع الحال ، كان بالإمكان أن تتطور العلاقات التجارية بين العراق وأفغانستان إلى مدى أبعد حتى من ذلك لولا بعض العوائق الجدية التي اعترضت طريقها ، والتي اشرنا إليها آنفاً ، على الرغم من تطور العلاقات الدبلوماسية والدينية بينهما . مع ذلك فإن وجود الرغبة الواضحة لدى المسؤولين في الحكومتين العراقية والأفغانية بتطوير علاقاتهما على الصعد كافة ، قد أسهم بشكل كبير في تقوية العلاقات بين بغداد وكابل بعد أن وضعت الحرب أوزارها .

المصادر :

الوثائق العراقية غير المنشورة .

- ملفات البلاط الملكي , رقم الملف ٤٩٩٠ / ٣١١ , عنوان الملف " استثمارات " .
- ملفات البلاط الملكي , رقم الملف ٧٤٦ / ٣١١ , عنوان الملف " المفوضية العراقية في طهران ١٩٤١-١٩٤٢ " .
- ملفات وزارة الداخلية , رقم الملف ٨٤١٨ / ٣٢٠٥٠ , عنوان الملف " تقارير " .
- ملفات الأوقاف , رقم الملف ٧١٣ / ٣٢١٦ , عنوان الملف " مقبرة الدراويش الأفغان " .
- ملفات الأوقاف , رقم الملف ٧٠٨ / ٣٢١٦ , عنوان الملف " نقل رفات جمال الدين الأفغاني " .

المطبوعات الحكومية :

- " الحكومة العراقية " , " وزارة الاقتصاد " , المجموعات الإحصائية السنوية العامة للسنوات ١٩٣٩ , ١٩٤٠ , ١٩٤١ , ١٩٤٢ , ١٩٤٣ , ١٩٤٤ , ١٩٤٦ , مطبعة الحكومة , بغداد , ١٩٤١ , ١٩٤٢ , ١٩٤٣ , ١٩٤٤ , ١٩٤٥ , ١٩٤٦ , ١٩٤٨ .
- " الحكومة العراقية " , " وزارة التخطيط " , دائرة الإحصاء المركزية قسم التجارة الخارجية , ملخص المجاميع الإحصائية للتجارة الخارجية من سنة ١٩٢٧ إلى سنة ١٩٦٠ , مطبعة الحكومة , بغداد , ١٩٦١ .
- " الحكومة العراقية " , " مصلحة التمور العراقية " , تقرير عام عن التمور العراقية , بغداد , ١٩٦٧ .

المصادر باللغة العربية .

- احمد رفيق البرقاوي , العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢-١٩٣٢ , دار الرشيد , بغداد , ١٩٨٠ .

العلاقات الدينية والثقافية والتجارية بين العراق وأفغانستان (١٩٣٣-١٩٤٥).....

- أكرم عبد الله صالح ، العلاقات العراقية الأفغانية ١٩٢١-١٩٨٤ ، الجامعة المستنصرية ، معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية سلسلة الدراسات الأفغانية رقم (١) ، بغداد ، ١٩٨٤ .
- جعفر الخليلي ، التمرور قديماً وحديثاً ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٦ .
- جعفر الخليلي ، موسوعة العتبات المقدسة ، قسم الكاظمين ، ج ١ ، ط ٢ ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٨٧ .
- حسان حلاق ، تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٠ .
- ز . ي . هرشلاغ ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط ، ترجمة مصطفى الحسيني ، دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٣ .
- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج ٦ ، ط ٧ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٨ .
- عبد المحسن القصاب ، ذكرى الأفغاني في العراق ، مطبعة الرشيد ، بغداد ، ١٩٤٥ .
- علي الوردي ، الفيلسوف الثائر السيد جمال الدين الأفغاني ، حققه وقدم له عبد الحسين الصالحي ، ط ١ ، مؤسسة البلاغ ، بيروت ، ٢٠٠٩ .
- محمد مهدي الجواهري ، ديوان الجواهري الأعمال الكاملة ١-٧ ، ط ٢ ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، ٢٠٠١ .
- محمود العبطة ، جمال الدين الأفغاني في بغداد ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧ .
- مظفر حسين جميل ، سياسة العراق التجارية ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
- هجير عدنان زكي ، العلاقات الاقتصادية العراقية - الأفغانية ، الجامعة المستنصرية معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية سلسلة الدراسات الأفغانية رقم (٥) ، بغداد ، ١٩٨٤ .

- George L. Harris , IRAQ its People its Society its Culture ,
New Havent ,USA , 1958 .

البحوث المنشورة .

- عبد الحميد العلوجي , السيد جمال الدين الأفغاني , " المورد " (مجلة) , بغداد ,
المجلد السابع , العدد الأول , ١٩٧٨ .

الرسائل والاطاريح .

- أنوار ناصر حسن , جلال الدين الحنفي وأثره الثقافي في المجتمع العراقي ١٩١٤-
٢٠٠٦ . دراسة تاريخية , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , جامعة
بغداد , ٢٠٠٩ .

- زينب عبد الحسن محمود الزهيري , تطور حركة التجارة في العراق للفترة (١٩٣٢-
١٩٣٩) دراسة تاريخية , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , الجامعة
المستنصرية , ٢٠٠٢ .

- صبا حسين مولى , تطور حركة التجارة في العراق ١٩١٤-١٩٣٢ . دراسة تاريخية,
رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , الجامعة المستنصرية , ٢٠٠١ .

- عبد العزيز محسن محمد الكعبي , تطور تجارة العراق الخارجية (١٩٣٩-
١٩٥٨) . دراسة تاريخية , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية , الجامعة
المستنصرية, ٢٠٠٦ .

- علي حمزة سلمان , تطور الخدمات البريدية في العراق ١٩٢١-١٩٤٥ . دراسة
تاريخية , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة بغداد , ١٩٩٠ .

الصحف العراقية .

- " الأخبار " , بغداد , ١٩٣٣ , ١٩٣٨ .
- " الاستقلال " , بغداد , ١٩٣٥ , ١٩٣٦ , ١٩٤٠ .
- " البلاد " , بغداد , ١٩٣٦ , ١٩٤٤ .
- " الرأي العام " , بغداد , ١٩٣٩ , ١٩٤٤ .
- " العالم العربي " , بغداد , ١٩٣٧ , ١٩٤٤ .
- " الوقائع العراقية " (جريدة رسمية) , بغداد , ١٩٣٧ .

المجلات .

- " الغري " , النجف , العدد ١٢ , ٨ مايس ١٩٤٥ .
- مجلة غرفة تجارة بغداد " , بغداد , العدد التاسع " السنة الثالثة " , تشرين الثاني ١٩٤٠ , والعدد الثاني " السنة الرابعة " , شباط ١٩٤١ , مطبعة المعارف , بغداد .

الهوامش :

- (١) د . ك . و . , وزارة الداخلية , رقم الملف ٨٤١٨ / ٣٢٠٥٠ , عنوان الملف " تقارير " , تقرير رئيس هيئة التفتيش للمنطقة الرابعة إلى وزارة الداخلية , بعنوان " تقديم تقرير تفتيش عن قضاء النجف " , المرقم ١١٩ , والمؤرخ ٣١ آب ١٩٣٦ , الوثيقة رقم ١٢ , ص ٦٠ .
- (٢) تنتظر : " الأخبار " (جريدة) , بغداد , العدد ٢٢٧ , ١٩ كانون الثاني ١٩٣٣ .
- (٣) " الاستقلال " (جريدة) , بغداد , العدد ٢٦٥٣ , ٢٢ كانون الأول ١٩٣٥ .
- (٤) " البلاد " , (جريدة) , بغداد , العدد ٧١١ , ١ تشرين الثاني ١٩٣٦ .
- (٥) " الاستقلال " , العدد ٢٦٦٤ , ٦ كانون الثاني ١٩٣٦ .
- (٦) " الاستقلال " , العدد ٢٦٧٢ , ١٥ كانون الثاني ١٩٣٦ .
- (٧) " الاستقلال " , العددان ٢٦٨٦ و ٢٧٠٨ , ٣١ كانون الثاني و ٢٦ شباط ١٩٣٦ .

- (٨) " العالم العربي " (جريدة) , بغداد , العدد , ٣٧٩٦ , ١٩ كانون الثاني ١٩٣٧ .
- (٩) " الأخبار " , العدد ٣ , ٢١ حزيران ١٩٣٨ .
- (١٠) " الأخبار " , العدد ١٢ , ١ تموز ١٩٣٨ .
- (١١) " الرأي العام " (جريدة) , بغداد , العددان ٢٦١ و ٢٨٤ , ٣ و ٢٩ كانون الأول ١٩٣٩ .
- (١٢) " الاستقلال " , العدد ٣٦٧٠ , ٢ حزيران ١٩٤٠ .
- (13) George L. Harris , IRAQ its People its Society its Culture , New Havent ,USA , 1958 , P . 45 ;
- جعفر الخليلي , موسوعة العتبات المقدسة ٩ , قسم الكاظمين , ج ١ , ط ٢ , منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات , بيروت , ١٩٨٧ , ص ٣١٦ .
- (١٤) د . ك . و . , ملفات الأوقاف , رقم الملف ٧١٣ / ٣٢١٦ , عنوان الملف " مقبرة الدراويش الأفغان " , مضبطة أهالي ومختارية باب الشيخ لحضرة صاحب الفخامة رئيس الوزراء , المرقمة ٥١ , والمؤرخة في ٢١ كانون الأول ١٩٤٠ , الوثيقة رقم ٣ , ص ٤ .
- (١٥) د . ك . و . , المصدر نفسه , الملف نفسه , كتاب مدير منطقة أوقاف بغداد المرسل إلى مديرية الأوقاف العامة , المرقم ٣٧٨٣ / ١٣٠ , والمؤرخ في ١ كانون الثاني ١٩٤١ , الوثيقة رقم ٢ , ص ٢ .
- (١٦) د . ك . و . , الملف نفسه , المصدر نفسه , مضبطة أهالي ومختارية باب الشيخ لرئيس الوزراء , المرقمة ٥١ , والمؤرخة في ١ كانون الثاني ١٩٤١ , الوثيقة رقم ٣ , ص ٤ .
- (١٧) د . ك . و . , المصدر نفسه , الملف نفسه , كتاب مدير الأوقاف العام إلى سكرتيرية مجلس الوزراء بعنوان مقبرة الدراويش , والمؤرخ في كانون الثاني ١٩٤١ , الوثيقة رقم ١ , ص ١ .

- (١٨) " وزارة الاقتصاد " , المجموعات الإحصائية السنوية العامة للسنوات ١٩٣٩ , ١٩٤٠ , ١٩٤١ , ١٩٤٢ , ١٩٤٣ , ١٩٤٤ , ١٩٤٦ , مطبعة الحكومة , بغداد , ص ص ١٢ , ٥٦ , ٥٤ , ٥٧ , ١١٤ , ١٦ , ١٦ .
- (١٩) دفن جمال الدين الأفغاني بعد وفاته عام ١٨٩٧ في استانبول , وبقي قبره مهملاً حتى عام ١٩٢٦ عندما شيده احد الاثرياء الأمريكيين وهو جارلس ريجارد كراين (Gharles Richard Crane) عام ١٩٢٦ . ينظر : محمود العبطة , جمال الدين الأفغاني في بغداد , دار الحرية للطباعة , بغداد , ١٩٧٧ , ص ٨ .
- (٢٠) د . ك . و . , ملفات الأوقاف , رقم الملف ٧٠٨ / ٣٢١٦ , عنوان الملف " نقل رفات جمال الدين الأفغاني " , كتاب السكرتير العام لمجلس الوزراء المرسل إلى مديرية الأوقاف العامة بعنوان نقل جثمان , المرقم ٤١٠٢ , والمؤرخ في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٤ , الوثيقة رقم ٢ , ص ٢ .
- (٢١) " البلاد " , العدد ٢٣٨٥ , ٢٣ تشرين الثاني ١٩٤٤ .
- (٢٢) د . ك . و . , ملفات الأوقاف , رقم الملف ٧٠٨ / ٣٢١٦ , عنوان الملف " نقل رفات جمال الدين الأفغاني " , كتاب وزير الداخلية المرسل إلى كل من وزارتي الخارجية والمعارف وسكرتيرية مجلس الوزراء بعنوان نقل رفات السيد جمال الدين الأفغاني , المرقم ٧٨٨١ , والمؤرخ في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٤ , الوثيقة رقم ٣ , ص ٣ .
- (٢٣) د . ك . و . , المصدر نفسه , الملف نفسه , كتاب وزير المعارف إلى عمادة كلية الحقوق وعمادة دار المعلمين العالية بعنوان تشييع رفات السيد جمال الدين الأفغاني , المرقم ٢٥٠٦١ , والمؤرخ في ٩ كانون الأول ١٩٤٤ , الوثيقة رقم ٤ , ص ٤ .

- (٢٤) د . ك . و . , المصدر نفسه , الملف نفسه , كتاب مدير الأوقاف العام إلى عمادة دار العلوم بعنوان رفات الأفغاني , المرقم ١٢٩٠٦ , والمؤرخ في ١٠ كانون الأول ١٩٤٤ , الوثيقة رقم ١ , ص ٢ .
- (٢٥) " الرأي العام " , العدد ١١٦٥ , ٥ كانون الأول ١٩٤٤ .
- (٢٦) " العالم العربي " , العدد ٥٢٤٩ , ١٠ كانون الأول ١٩٤٤ .
- (٢٧) عبد المحسن القصاب , ذكرى الأفغاني في العراق , مطبعة الرشيد , بغداد , ١٩٤٥ , ص ١٩ .
- (٢٨) د . ك . و . , ملفات الأوقاف , رقم الملف ٧٠٨ / ٣٢١٦ , عنوان الملف " نقل رفات جمال الدين الأفغاني " , منهاج الاحتفال الذي أعدته لجنة الاحتفاء , رقم الوثيقة ٥ , ص ص ٥-٦ ؛ " البلاد " , العدد ٢٣٨٨ , كانون الأول ١٩٤٤ .
- (٢٩) عبد المحسن القصاب , المصدر السابق , ص ص ٢٥-٢٨ , - عبد الرزاق الحسني , تاريخ الوزارات العراقية , ج ٦ , ط ٧ , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ١٩٨٨ , ٢٥٣ .
- (٣٠) عبد الحميد العلوجي , السيد جمال الدين الأفغاني , " المورد " (مجلة) , بغداد , المجلد السابع , العدد الأول , ١٩٧٨ , ص ٣٢٢ .
- (٣١) " الرأي العام " , العدد ١١٧٠ , ١١ كانون الأول ١٩٤٤ .
- (٣٢) " البلاد " , العدد ٢٣٩٦ , ١١ كانون الأول ١٩٤٤ .
- (٣٣) " العالم العربي " , العدد ٥٢٥١ , ١٣ كانون الأول ١٩٤٤ ؛ " البلاد " , العدد ٢٣٩٨ , ١٣ كانون الأول ١٩٤٤ .
- (٣٤) " البلاد " , العدد ٢٣٩٩ , ١٤ كانون الأول ١٩٤٤ .
- (٣٥) عبد المحسن القصاب , المصدر السابق , ص ٣٦ .
- (٣٦) " الرأي العام " , العدد ١١٧٥ , ١٦ كانون الأول ١٩٤٤ .

(٣٧) " الرأي العام " ، العدد ١١٧٥ ، ١٦ كانون الأول ١٩٤٤ ؛ عبد الحميد العلوجي ، المصدر السابق ، ص ٣٢٣ .

(٣٨) ولد في بغداد في عام ١٩١٤ ، تنقل في مدارس عدة للدراسة منها مدرسة التفيض والمأمونية ، درس بكلية الإمام الأعظم الدينية في جامع أبي حنيفة النعمان ، سافر إلى مصر عام ١٩٣٩ للدراسة في الأزهر لدراسة العلوم الشرعية إلا انه سرعان ما عاد إلى العراق في عام ١٩٤٠ ، وهو فقيه وعالم وكاتب وصحفي ومؤرخ ولغوي ، وفي عام ١٩٦٦ أوفدته الحكومة العراقية إلى الصين لتدريس اللغة العربية في جامعة بكين ، قدم برامج دينية وثقافية ، ودرس علم التجويد في معهد الفنون الموسيقية ، له العديد من المؤلفات منها في التاريخ والتشريع الإسلامي ككتاب " شخصية الرسول الأعظم قرآنياً " وغيرها ، توفي في عام ٢٠٠٦ . للتفصيل يمكن الرجوع إلى : أنوار ناصر حسن ، جلال الدين الحنفي وأثره الثقافي في المجتمع العراقي ١٩١٤ - ٢٠٠٦ . دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٩ .

(٣٩) ضمت القصيدة التي ألّفها الجواهري في الاحتفاء برفات جمال الدين الأفغاني ٧٤ بيتاً ينظر نص القصيدة في : " الرأي العام " ، العدد ١١٧٥ ، ١٦ كانون الأول ١٩٤٤ ؛ محمد مهدي الجواهري ، ديوان الجواهري الأعمال الكاملة ١ - ٧ ، ط ٢ ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، ٢٠٠١ ، ص ص ٤٢٩ - ٤٣٢ .

(٤٠) للتفصيل عن الكلمات التي أُلقيت بهذه المناسبة يمكن الرجوع إلى : " البلاد " ، العدد ٢٤٠٠ ، ١٥ كانون الأول ١٩٤٤ ؛ " الرأي العام " ، العدد ١١٧٥ ، ١٦ كانون الأول ١٩٤٤ .

(٤١) " الرأي العام " ، العددان ١١٧٤ و ١١٧٥ ، ١٥ و ١٦ كانون الأول ١٩٤٤ ؛ " البلاد " ، العدد ٢٤٠١ ، ١٧ كانون الأول ١٩٤٤ .

(٤٢) عبد المحسن القصاب ، المصدر السابق ، ص ٦٨-٧٠ ؛ عبد الحميد العلوجي ، المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ؛ محمود العبطة ، المصدر السابق ، ص ٩ .

(٤٣) علي الوردي ، الفيلسوف الثائر السيد جمال الدين الأفغاني ، حققه وقدم له عبد الحسين الصالحي ، ط ١ ، مؤسسة البلاغ ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ص ١٩٩ .

(٤٤) " البلاد " ، العدد ٢٣٩٩ ، ١٤ كانون الأول ١٩٤٤ ؛ " الرأي العام " ، العدد ١١٧٤ ، ١٥ كانون الأول ١٩٤٤ .

(٤٥) " الغري " (مجلة) ، النجف ، العدد ١٢ ، ٨ مايس ١٩٤٥ ، ص ٢١٧ .

(٤٦) د . ك . و ، الوحدة الوثائقية ، ملفات البلاط الملكي ، رقم الملف ٤٩٩٠ / ٣١١ ، عنوان الملف " استثمارات " ، كتاب تقرير المفوضية العراقية في كابل للنصف الثاني من شهر حزيران ١٩٤٥ ، بعنوان ذكرى الأفغاني في العراق ، الوثيقة رقم ٢٥ ، ص ٥٠ .

(٤٧) هجير عدنان زكي ، العلاقات الاقتصادية العراقية - الأفغانية ، الجامعة المستنصرية معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية سلسلة الدراسات الأفغانية رقم (٥) ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٢٠ ؛ حسان حلاق ، تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ص ١٤٩-١٥٤ .

(٤٩) كان العراق في عهد الانتداب ، وعملاً بمنطوق المادة الحادية عشرة من صك الانتداب والمادة السادسة عشرة من المعاهدة بينه وبين بريطانيا المعقودة في عام ١٩٢٢ ، مقيداً بأن يطبق دون تمييز أو استثناء معاملة أكثر البلدان حظوة على البضائع المستوردة من البلدان الداخلة في عصبة الأمم ، غير أن هذا القيد لم يسر على العلاقات التجارية بين العراق والبلدان العربية المجاورة التي كانت سابقاً جزءاً من الدولة العثمانية فكان يسمح للعراق _ إذا هو أراد ذلك _ أن

- يؤسس مع هذه البلدان علاقات كمركية خاصة ، حتى علاقات قائمة على تجارة حرة . وبعد أن نال العراق استقلاله عام ١٩٣٢ تعهد بإبقاء هذه الإمتيازات ، للبلدان الداخلة في عصبة الأمم وذلك لمدة عشر سنوات . والحقيقة أن العراق استمر يطبق ذلك على كل البلدان ولم يستفد إلا قليلاً من حقه في عقد اتفاقات خاصة مع البلدان العربية المجاورة . للتفصيل يمكن الرجوع في : مظفر حسين جميل ، سياسة العراق التجارية ، دار نهضة مصر، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ١٦٤-١٦ ؛ احمد رفيق البرقاوي ، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢-١٩٣٢ ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ص ٣٥-٦٦ .
- (٥٠) ز . ي . هرشلاغ ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط ، ترجمة مصطفى الحسيني ، دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ص ٣٢٤-٣٢٥ .
- (٥١) صبا حسين مولى ، تطور حركة التجارة في العراق ١٩١٤-١٩٣٢ . دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠١ ، ص ١٤٢ .
- (٥٢) زينب عبد الحسن محمود الزهيرى ، تطور حركة التجارة في العراق للفترة (١٩٣٢-١٩٣٩) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٢ ، ص ص ٥٠-٥١ .
- (٥٣) أكرم عبد الله صالح ، العلاقات العراقية الأفغانية ١٩٢١-١٩٨٤ ، الجامعة المستنصرية ، معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية سلسلة الدراسات الأفغانية رقم (١) ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ١٧ .
- (٥٤) " وزارة التخطيط " ، دائرة الإحصاء المركزية قسم التجارة الخارجية ، ملخص المجاميع الإحصائية للتجارة الخارجية من سنة ١٩٢٧ إلى سنة ١٩٦٠ ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص ص ٨٧-٩٠ و ٩٩-١٠٤ .

(٥٥) ينتج العراق أكثر من ٤٥٠ نوعاً من أجود أنواع التمور في العالم , غير أن الأنواع التجارية التي تصدر إلى خارج العراق اقتصرت على الحلوي والخضراوي والساير والزهدي وخلال البريم والجباب والديري , وهناك أنواع أخرى منها , الخستاي والاشرسي والبرحي وأنواع أخرى , اقتصر استهلاكها على أصحابها والهدايا , والتمور تنقسم من الناحية الفيزيائية على ثلاثة أقسام وهي تمور جافة " صلبة " وتمور نصف جافة " شبه صلبة " وتمور لينة . ويعد الزهدي من التمور نصف الجافة . للمزيد من التفصيل يمكن الرجوع في :
" الحكومة العراقية " , " مصلحة التمور العراقية " , تقرير عام عن التمور العراقية , بغداد , ١٩٦٧ , ص ص ٥٠ - ٥١ .

(٥٦) عدت الحكومة الأفغانية التمور من المواد الكمالية , كما منع استيراد ١٠٠ مادة من المواد الكمالية , ولم يصح هذا السهو على أساس أن التمور مادة غذائية إلا بعد مدة طويلة . ينظر : جعفر الخليلي , التمور قديماً وحديثاً , مطبعة المعارف , بغداد , ١٩٥٦ , ص ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٥٧) جعفر الخليلي , التمور قديماً وحديثاً , ص ٣٠٨ .

(٥٨) د . ك . و . , الوحدة الوثائقية , البلاط الملكي , رقم الملف ٧٤٦ / ٣١١ , عنوان الملف " المفوضية العراقية في طهران ١٩٤١-١٩٤٢ " , تقرير المفوضية الملكية العراقية في كابل لشهر تموز ١٩٤١ , بعنوان معرض أزياء " مقترحات " , الوثيقة رقم ٥٥ , ص ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٥٩) " وزارة التخطيط " , دائرة الإحصاء المركزية قسم التجارة الخارجية , ملخص المجاميع الإحصائية للتجارة الخارجية من سنة ١٩٢٧ إلى سنة ١٩٦٠ , مطبعة الحكومة , بغداد , ١٩٦١ , ص ص ٨٧ - ٩٠ و ٩٩ - ١٠٤ ؛ وزارة الاقتصاد , المجموعة الإحصائية السنوية العامة للسنوات ١٩٣٩ , ١٩٤٠ , ١٩٤١ ,

١٩٤٢ ، ١٩٤٣ ، ١٩٤٦ ، ص ص ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ،
١١٤ .

(٦٠) " وزارة التخطيط " ، المصدر نفسه ؛ وزارة الاقتصاد ، المجموعة الإحصائية
السنوية العامة لسنة ١٩٤٦ .

(٦١) " وزارة الاقتصاد " ، المجموعة الإحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٣٩ ، ص
ص ١٤٢ - ١٢٦ ؛ المصدر نفسه للسنوات ١٩٤٠ - ١٩٤٦ ؛ " مجلة غرفة
تجارة بغداد " (مجلة) ، بغداد ، العدد التاسع " السنة الثالثة " ، تشرين الثاني
١٩٤٠ ، ص ص ٨٣٩ - ٨٤٢ ، والعدد الثاني " السنة الرابعة " ، شباط ١٩٤١
، مطبعة المعارف ، بغداد ، ص ص ١٥٤ - ١٥٨ .

(٦٢) تجدر بالإشارة هنا إن دراستين أكاديميتين عراقيتين تخصصتا بدراسة تجارة العراق
الخارجية بين عامي ١٩٣٢ و ١٩٤٥ . لم تتطرق إلى تجارة العراق مع أفغانستان
ولم يرد اسمها ضمن الدول التي تعامل العراق معها . تنظر : زينب عبد
الحسن محمود الزهيري ، المصدر السابق ، ص ص ٤٢ - ١٤٨ ؛ عبد العزيز
محسن محمد الكعبي ، تطور تجارة العراق الخارجية (١٩٣٩ - ١٩٥٨) .
دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة
المستنصرية ، ٢٠٠٦ ، ص ص ١٥ - ٩٥ .

(٦٣) " وزارة الاقتصاد " ، المجموعات الإحصائية السنوية العامة للسنوات ١٩٣٩ ،
١٩٤٠ ، ١٩٤١ ، ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ ، ١٩٤٦ ، ص ص ١٢٧ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ،
١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٢٠ .

(٦٤) علي حمزة سلمان ، تطور الخدمات البريدية في العراق ١٩٢١ - ١٩٤٥ . دراسة
تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٠ ،
ص ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٦٥) " الوقائع العراقية " (جريدة رسمية) , بغداد , العدد ١٥٧٦ , ٢١ حزيران ١٩٣٧ .

(٦٦) علي حمزة سلمان , المصدر السابق , ص ص ١٤٤ - ١٤٥ .

**دور علماء أسيوط في الحركة الفكرية
في العصر المملوكي**

**أ.م.د. أنيسة محمد جاسم
محمود محمد حسين التميمي
جامعة بغداد/كلية الآداب
قسم التاريخ**

دور علماء أسيوط في الحركة الفكرية في العصر المملوكي

أ.م.د. أنيسة محمد جاسم

محمود محمد حسين التميمي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي محمد وعلى اله وصحبه الطاهرين .

أما بعد ، فان لقيام نشاط فكري ، لابد من توفر شروط معينة وتضافر عوامل مساعدة تقوم بتحديد مستوى هذا النشاط ومدى فعاليته ، ولعل النشاط الفكري هو من النشاطات التي تتأثر بجوانب الحياة الأخرى ، بل حتى الاتجاهات الفكرية الموجودة في أماكن قريبة من منطقة النشاط ، إذن الحركة الفكرية في أسيوط لم تكن بمعزل عن هذه المؤثرات سواء في البلاد المصرية بشكل عام أم في أسيوط بشكل خاص، الأمر الذي جعل لأسيوط خصوصية متميزة في ميدان الازدهار الفكري الذي شهدته ابان العصر المملوكي ، ومن ذلك ان مدينة أسيوط هي وريث لتراث عريق امتد من قبل دخول الإسلام إلى مصر ، فكانت من أهم مراكز الثقافة القبطية، ومن بعد ذلك وخلال العصور الإسلامية المختلفة أصبحت مركزاً للفكر الإسلامي ، وأصبح من أهلها علماء يشار إليهم بالبنان ، لذلك بلغت المدينة مرحلة متقدمة في الجانب الفكري ابان العصر المملوكي ، لاسيما بعد ما أصاب المراكز القبطية فيها من تدهور كبير واعتناق الكثير من الأقباط للإسلام^(١)، وما أدى إلى رواج الفكر الإسلامي، كما ان لاستيطان بعض الأسر العلمية القادمة من خارج مصر في مدينة أسيوط دور واضح في تقدم الحركة الفكرية، وخير مثل أسرة جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) التي يرجع أصلها إلى إحدى محلات بغداد^(٢).

ومن ابرز العوامل هو قيام العلماء والأشراف من أهل أسيوط ببناء مراكز التعليم من جوامع ومدارس وغيرها في أسيوط، عرفت هذه المراكز بأسماء مؤسسيها، فقام احد الأشراف ببناء مدرسة في أسيوط عرفت بالشريفية^(٣) كما يشير السيوطي إلى قيام احد أفراد عائلته ببناء مدرسة في أسيوط^(٤)، وكان لتلك المراكز الأثر الفاعل في رواج بضاعة العلم في أسيوط ، وفي تخريج كوكبة مميزة من حملة العلم الذين أسهموا في نشاط تيار المعرفة فيها، ولم يقتصر دور أعيان أسيوط على بناء مراكز علمية فيها فحسب بل والى غيرها من المدن، ومنها (جامع الأسيوطي)^(٥) الذي يعد من أهم جوامع القاهرة ، الذي نسب تأسيسه إلى شمس الدين الأسيوطي^(٦) (ت٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) من أهل أسيوط^(٧).

وهناك عوامل عديدة الأخرى ساعدت على تنامي الحركة الفكرية في أسيوط منها موقع مدينة أسيوط على طريق الحج الذي كان يسلكه الكثير من العلماء من بلاد مصر وبلاد المغرب، فضلاً عن قيام حملة العلم بداخل أسيوط بالتوجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، وحضور مجالس العلم التي تقام في مكة^(٨)، الأمر الذي سهل لهم الالتقاء بخيرة مشايخ أهل العلم في الحجاز والتتور بمجالس علمهم الأمر الذي صقل وهذب معرفتهم العلمية، كما طبيعة المجتمع المصري المتمثلة بتعظيم العامة لأهل العلم والعلماء وأهل التصوف إلى درجة التقديس لهم والتبرك بموتاهم وغير ذلك ، جعل العامة تغبط أهل العلم على مكانتهم مما كان له دافع معنوي كبير للعلماء وطلاب العلم واتسع إقبال الناس على أماكن التعلم^(٩)، وكان لإحياء الخلافة العباسية في مصر على يد المماليك سنة (٦٥٩هـ / ١٢٦١م) بعد سقوطها في بغداد (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) ، كان له الأثر الفعال في الازدهار الفكري الذي عم البلاد المصرية بشكل عام ، ومن بينها أسيوط ، وذلك لما تحظى به الخلافة من مكانة روحية بين جمهور المسلمين ، ولنا ان نتصور ذلك من خلال قول السيوطي : (واعلم أن مصر من حين صارت دار الخلافة عظم أمرها، وكثرت شعائر الإسلام فيها، وعلت فيها السنة، وعفت منها البدعة، وصارت محل سكن العلماء، ومحط رجال الفضلاء....)^(١٠)، ان النص

المتقدم يؤكد لنا النهضة العلمية التي شهدتها بلاد مصر لكون الخلافة العباسية أصبحت في ظهرانها ، وأسيوط كونها جزءاً من البلاد المصرية قد نالها نصيب من التقدم العلمي الذي شهدته مصر ، وتأثرت بتيار الحركة الفكرية الذي تصاعد أثره لوجود الخلافة ، وإن علوماً عديدة ، وعلماء عديدون ظهوروا خلال تلك الحقبة ، وكان لهم نصيبهم في تقدم أسيوط في ميدان الفكري .

وتجدر الإشارة إلى أن الهجوم المغولي على البلاد الإسلامية عام (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) حطم الكثير من تراث الأمة الإسلامية ونتاجها العلمي لقرون عديدة ، ما أثار الحمية لدى علماء مصر بصورة عامة للتصدي لهذا المخطط عن طريق بذل جهود استثنائية لإعادة ما يمكن إعادته من هذا الإرث الكبير لذلك برز خلال العصر المملوكي علماء تطرقوا لمختلف العلوم ، حتى عد نشاط حركة التأليف من السمات المميزة للحركة الفكرية في مصر^(١١)، وكان لأسيوط وعلمائها دور بارز بالمؤلفات المتنوعة التي اغنوا بها التراث الإنساني .

اهتمام علماء أسيوط بالعلوم الشرعية

وتعرف العلوم الشرعية بأنها: (العلوم الثقلية الوضعيّة وهي كلّها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعيّ ، ولا مجال فيها للعقل إلّا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول لأنّ الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تتدرج تحت النّقل الكلّي ... وأصل هذه العلوم الثقلية كلّها هي الشرعيّات من الكتاب والسنة التي هي مشرعة لنا من الله ورسوله)^(١٢)، ومن الواضح أن العلوم الدينية كانت الأكثر انتشاراً وازدهاراً في المجتمعات الإسلامية بشكل عام ومن بينها المجتمع الأسيوطي، ويمكن اعتبار أن هذه العلوم كانت تمثل أساساً لغيرها من العلوم ولنا أن نقف على العلوم الشرعية التي برزت في أسيوط إبان الحكم المملوكي ، وهي:

أولاً: تعلم علم القراءات

هو العلم الذي اختص بدراسة الاختلاف في الألفاظ القرآنية في كتابة الحروف وكيفيةها من حيث التخفيف، وتثقيل وغيرها ، كما يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريقة أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزوا كل وجه لناقله ، ويهدف إلى العصمة من الخطأ في اللفظ وصيانة القرآن من التحريف والتغيير ، لذلك يعد من اشرف العلوم الشرعية ^(١٣).

قد حاز هذا العلم على اهتمام كبير من الفقهاء والمفسرين وغيرهم في مختلف العصور لاسيما في العصر المملوكي، لان الاختلاف في اللفظ يؤدي إلى الاختلاف في المعنى وبدوره يؤدي إلى اختلاف الأحكام الشرعية المترتبة عليها ، وهناك قراءات عديدة اشتهرت منها سبع قراءات ، وهذا لا يعني ان القراءات الباقية غير جائز القراءة بها ^(١٤).

وكان لمدينة أسيوط الأثر الفاعل في علم القراءات من خلال علمائها الذين برزوا في هذا العلم وتصدوا لدراسته وتعلمه ، كما أنتجوا الكثير من المؤلفات في علم القراءات والتي أغنوا بها التراث الإسلامي ،ومن أبرز علماء أسيوط في علم القراءات :

سليمان بن أبي الطاهر بن أبي القاسم بن عبد الكريم البوتيجي (ت ٧١١هـ / ١٣١٢م) الذي كان من أبوتيج إحدى نواحي أسيوط ، ورغم انه كان ضريباً إلا انه عدّ من القراء المشهورين بالتجويد ، وكانت وفاته في أسيوط ^(١٥) ، ولم يقل عنه عز الدين محمد بن احمد بن إبراهيم بن يحيى الأسيوطي (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م) ، إذ قرأ القرآن على القراءات السبعة ، وتصدى عز الدين للإقراء وتدريس القراءات وتخرج على يديه جماعة ^(١٦)، وكان صلاح الدين محمد بن أبي بكر بن علي بن جلال الدولة السيوطي الشافعي (ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م)، ممن قرأ القرآن في محل مولده ونشأته أسيوط وذلك على يد علمائها، وكان شجي الصوت ، ثم انتقل إلى القاهرة وبرع في علوم عديدة وله عدد من المصنفات في مجالات عديدة ^(١٧) ، مما يبين لنا ان مقرئي أسيوط قد نقلوا علمهم إلى الحاضرة القاهرة فانتقل أثرهم العلمي إلى خارج حدود أسيوط .

ومنهم ابن النقيب محمد بن علي بن أبي بكر بن علي المحب الكناني السيوطي الشافعي (ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م) ، الذي رحل في طلب العلم إلى مكة ، فدرس القراءات على علمائها ودرّسها ، ثم عاد إلى أسيوط وبقي فيها إلى أن وافته المنية^(١٨) ، وبكفي أسيوط فخراً أنها أنجبت فطاحله العلماء ممن ذاع صيتهم في الآفاق سواء في علم القراءات أو غيره من العلوم ، وكان من المشاهير العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضير السيوطي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) ، صاحب التصانيف في مختلف العلوم^(١٩) ، أما في مجال علم القراءات فقد ذكر السيوطي أنه من العلوم التي أجادها ، وعلق بقوله : (ولم أخذها عن شيخ)^(٢٠) ، مما يدل أن تعلمه لعلم القراءات وتحصيله له كان بمجهود ذاتي من خلال المواكبة على البحث والدرس بنفسه دون تلقي هذا العلم من الآخرين ، وتمكن من تأليف مؤلفات عديدة في ميدان هذا العلم ومن أبرزها نذكر كتاب (الإتيقان في علوم القرآن) و(شرح الشاطبية)^(٢١) و(الألفية في القراءات العشر) وغيرها .^(٢٢)

ثانياً : العناية بعلم التفسير

وهو العلم المختص ببيان وتفصيل الكتاب ونقصد به القرآن ، فالتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل^(٢٣) ، وبما أن القرآن هو المصدر الرئيس للشرع وأصول الفقه ، لذلك يجب معرفة تأويله ووجوه الخطاب فيه والخصوص والعموم ، وهذا لا يمكن إلا من خلال علم التفسير^(٢٤) ، وذلك لإدراك ما في القرآن من بلاغة^(٢٥) .

وقد حظي هذا العلم باهتمام جمهور المسلمين ونبغ به علماء وصنفت فيه الكثير من الكتب والمصنفات ، لاسيما في مدينة أسيوط التي نبغ فيها مفسرون ومنهم نجم الدين القمولي (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م) ، قاضي أسيوط ، له مصنفات في هذا المجال منها كتاب (تكملة على تفسير الإمام فخر الدين) و(شرح الأسماء الحسنى)^(٢٦) .

أما جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) فقد كان له النصيب الأوفر في التأليف في ميدان علم التفسير فكان له عدد من المؤلفات في علم التفسير وأصوله

فضلاً عن عدد من التفاسير ومن أهمها (تفسير الجلالين) و(أصول التفسير) و(الإكليل في استنباط التنزيل) و(التحبير لعلم التفسير) و(ترجمان القرآن) وهو يعتمد على تفسير الراويات المسندة، و(متشابه القرآن) و(مفاتيح الغيب في التفسير) وغيرها^(٢٧). يتضح لنا من مؤلفات السيوطي دوره الرائد في إغناء المكتبة الإسلامية بمؤلفات علمية متنوعة أسهمت في كشف النقاب عن المعاني والدلالات الشرعية للكثير من السور القرآنية.

ثالثاً : التميز بعلم الحديث

ويعرف علم الحديث (أو الأثر) هو كل ما صدر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قول أو فعل أو إقرار وهو ما يعرف أيضاً بـ(السنة النبوية)، والتي تعد أحد أصول الدين ومصادر التشريع في أبواب الفقه، لهذا عرفت كتب الحديث بالسنن^(٢٨)، وقد عرف ابن خلدون علم الحديث مع ذكر ما يتضمنه بقوله : (إسناد السنّة إلى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق بأخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك) (٢٩).

وقد كان بمدينة أسيوط في عصر المماليك عدد من المحدثين والباحثين في علم الرجال وفي شرح الأحاديث وكتب الحديث، وألف في ذلك عدد من المؤلفات، ولنا أن نقف على أشهر علماء الحديث في أسيوط أبان عصر المماليك، ومنهم ست الشام بنت أبي صالح روضة بن علي بن الحسين بن روضة عرفت بـ(الشامية)، وكانت تقيم في أسيوط وهي من المحدثات فيها بل كانت تمنح الإجازات لبعض من سمع عنها، وهي بذلك رمز لدور المرأة في نشاط علم الحديث وانتشاره في أسيوط أبان عصر المماليك، ولم نقف على تاريخ وفاتها، غير أننا نستدل من تاريخ مولدها (٧٣٧هـ/١٣٣٧م) كما ذكره ابن حجر، أنها عاشت في منتصف القرن السابع الهجري^(٣٠)، أما شرف الدين عمر بن علي بن أبي بكر ابن شيخ الدولة الأسيوطي (ت ٧٦٩هـ/١٣٦٨م)، فكان من كبار رواة الحديث في أسيوط، وقد عرف بتفرده في

عصره برواية الحديث عن بعض مشايخه , ولد في أسيوط وتوفي بها^(٣١), وكان شهاب الدين احمد بن عبد الخالق الأسيوطي الشافعي (ت ٨٣٨هـ / ١٤٣٥م) , قد درس الحديث وتصدى لتدريسه في أسيوط والقاهرة, وسمع منه الفضلاء توفي بالقاهرة^(٣٢), كما كان مجد الدين إسماعيل بن عبد الخالق الأسيوطي المعروف بابن الشيخ (ت ٨٣٩هـ / ١٤٣٦م), من أهل الحديث وله حضور, وإجازة في ذلك^(٣٣), ومن محدثي أسيوط محمد بن محمد بن احمد ابن أبي الفضائل الأسيوطي الشافعي (ت ٨٤١هـ / ١٤٣٧م), درس في أسيوط ثم في القاهرة , وكان من أهل الحديث ويحضر مجلسه الفضلاء^(٣٤).
وقدر لعلماء أسيوط أن ينشروا علمهم في أنحاء خارج أسيوط ومن بينهم جمال الدين يوسف بن علي بن احمد بن قطب السيوطي الشافعي (ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م), نقيب القراء وابن نقيبهم , الذي كان ممن سمع الحديث وأصبح من المحدثين وله حضور, ورحل إلى مختلف البلدان لنشر علمه ومنها مكة وبيت المقدس والخليل والشام وغيرها^(٣٥) .
وبلغت مكانة علماء أسيوط حداً كبيراً , ومنها تولي منصب قاضي قضاة مصر , ونهل من علمهم السلاطين المماليك أنفسهم , ومن كان رائدا لهذا التوجه ولي الدين احمد بن شهاب الدين احمد بن عبد الخالق الأسيوطي (ت ٨٩١هـ / ١٤٨٤م), الذي درس عند العديد من العلماء في علوم عديدة , ومنها الحديث وأجازوا له كما انه تولى تدريسه في القاهرة , كما انه بعد توليه منصب قاضي القضاة مصر, كان يقرأ الحديث في مجلس خاص بالسلاطين في القلعة , وقد تولي مناصب عديدة منها التدريس والنظر في عدد من المدارس والإمامة في عدد من المساجد في القاهرة , والإفتاء في دار العدل وغير ذلك^(٣٦) .

ويعد جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) عالم عصره في علم الحديث , وعد نفسه انه متبحر فيه, ووصفه ابن آياس بالبارع في الحديث الشريف^(٣٧) , وقد روى السيوطي نفسه سبب انكبابه على تعلم الحديث قائلاً: (وقد كنت في مبادئ الطلب قرأت شيئاً في علم المنطق, ثم ألقى الله كراهته في قلبي . وسمعت أن أبي الصلاح أفتي بتحريمه فتركته لذلك, فعوضني الله تعالى عنه علم الحديث الذي هو أشرف

العلوم^(٣٨)، لذلك نرى انه اهتم بهذا العلم وكل ما يتصل به ، وقد تنوعت مؤلفاته في ميادين علم الحديث والتي منها في الرواية ومنها في علم رجال الحديث ودراسة السند وله ايضاً شروح على عدد من كتب الحديث المعروفة بالأسانيد، ومن ابرز هذه المؤلفات (جمع الجوامع ويعرف بالجامع الكبير) و (الجامع الصغير) و (إسعاف علم الرجال) و (الألفية وتسمى نظم الدرر في علم الأثر) و (توضيح المدرك في تصحيح المستدرك) وهو شرح على مستدرك الحاكم ، و (الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج) ، و (عقود الزبرجد على مسند الإمام احمد) وغير ذلك الكثير ، وهي تتراوح بين الكتاب الكبير المكون من مجلدات عديدة وبين الصغير^(٣٩). وبذلك يكون السيوطي قد خلف ثروة غنية في علم الحديث ، فضلاً عن تفسيره ، وهذا يمثل الذروة في العلم والخبرة في ميادينه ، وهذا دليل على بلوغ أعلى مراتب العلم التي حازها السيوطي .

رابعاً : التصدي لدراسة علم الفقه وأصوله

عرف الفقه بأنه علم معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين ، وهو علم الاستنباط للوصول إلى الأحكام الشرعية العملية من خلال أدلتها التفصيلية ، والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق بالحكم الشرعي ، ويعرف أهل هذا العلم بالفقهاء^(٤٠). ولنا ان نقف على ابرز الفقهاء في أسيوط ممن نشروا علمهم في أسيوط وفي خارجها ومنهم الفقيه الشافعي أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن أبي المجد الأسيوطي (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، وكان قد تولى الحكم في بعض البلدان من ديار مصر، ودرس بالقاهرة وتصدى للإفتاء بها ، ووصف بمعرفة المذهب وحسن الفتوى ، وكانت وفاته في القاهرة^(٤١) .

ومن الفقهاء البارزين الذين وفدوا إلى أسيوط واستقروا بها نذكر الفقيه ، نجم الدين الفتح بن موسى الجزيري الشافعي (ت ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م) الذي وصف بأنه كان من فضلاء زمانه ، وكان فقيهاً ، أصولياً ، سافر إلى من بلاد المغرب إلى بلدان عديدة

حتى قدم مصر واستوطن أسيوط إبان حكم المماليك , و يتولى قضاء أسيوط , كما درس بالمدرسة الفائزية في أسيوط , وقدر له الوفاة فيها ^(٤٢).

ومن الشخصيات تقي الدين يحيى بن عبد الرحيم ابن الأثير الارمنتي الشافعي (ت ٧٠٨هـ / ١٣٠٩م), وصفه الادفوي بقوله : (كان من الفقهاء الشافعية المشاركين وهو من بيت علم ورياسة , وجلالة ونفاسة , حكم وعدالة , وسيادة وأصالة) ^(٤٣) , درس بمدرسة أسيوط سنوات عديدة , حتى توفي فيها سنة ^(٤٤) , وكان أمين الدين محمد بن حمزة بن عبد المؤمن الاصفوني ^(٤٥) الشافعي (٧٢٢هـ / ١٣٢٢م), فقيهاً شافعيًا , أسيوطي المولد والنشأة , فدرس حتى أصبح فقيهاً فاضلاً , معيداً في مدرسة أسيوط , كما عهد إليه بالحكم في أنحاء عديدة تابعة لأسيوط وخارجة عنها , ومنها أبوتيج واسنا ^(٤٦).

ويبدو ان مدينة أسيوط مثلت ميداناً خصباً لتدريس علم الفقه على يد كبار الفقهاء, الأمر الذي كان له اثر في ظهور فقهاء أسيوطيين متميزين, كجمال الدين يوسف بن محمد بن ابي البركات السيوطي (٧٢٤هـ / ١٣٢٤م) الذي تفقه في مدينة أسيوط , وناب في الحكم في بغض نواحيها , وكان له دور رائد في نشر علمه في القاهرة وبها توفي ^(٤٧) , ولم يقل عنه أبو مدين شرف الدين شعيب بن يوسف بن محمد الأسيوطي (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٩م) , الذي تفقه على أبيه وعدد من العلماء وان تفقهه على يدي أبيه يدل على حرص الأسر الأسيوطية على سير أبنائها على مسلك أهل العلم, فأصبح من الفقهاء ^(٤٨).

وكان لسكان أسيوط لاسيما الأشراف دورهم الفاعل في ازدهار علم الفقه في أسيوط ومنهم الشريف زين الدين محمد بن أبي بكر بن علي بن محمود الجعفري الأسيوطي (ت ٧٨١هـ / ١٣٧٩م), الذي كان من فقهاء الشافعية , وتولى قضاء بلده (مدينة أسيوط), وحرص على بناء الشواخص العلمية فيها , ومنها المدرسة الشرفية التي نسبت إليه ^(٤٩) , ومن الراجح ان يكون لعلم الفقه النصيب الأوفر في التدريس في المدرسة الشرفية , كما ان أقرباءه كانوا ممن درس فيها ومنهم ابن عمه الشريف جلال

الدين بن شرف الدين عبد الوهاب الجعفري الأسيوطي ^(٥٠) (ت ٨٤٧هـ / ١٤٤٣م) ، وهذا يدل على دور الأسر العلمية في مسيرة نشر العلوم الدينية وخاصة الفقه .

ومن بين مشاهير الفقهاء الذين أنجبهم أسيوط نذكر أبو بكر كمال الدين بن محمد بن أبي بكر بن عثمان الخضير السيوطي الشافعي (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) ، وهو والد العالم الكبير جلال الدين السيوطي ، وقال عنه ولده السيوطي انه (ولد في أوائل القرن ^(٥١) بسيوط، واشتغل بها ثم قدم القاهرة بعد عشرين وثمانمائة؛ ولزم شيوخ العصر، ودأب إلى ان برع في الفقه والأصول والقراءات والحساب والنحو والتصريف والمعاني والبيان والمنطق وغير ذلك ، ولزم التدريس والإفتاء ^(٥٢)) ، وله مصنفات في علوم عديدة ، منها في هذا الباب ، حاشية على أدب القضاء للعزي ، وتولى التدريس في أسيوط والقاهرة ومنتفع به عدد من الفضلاء ، توفي في القاهرة ودفن فيها ^(٥٣) ، ويبدو ان ازدهار الحركة العلمية في القاهرة إبان العصر المملوكي كان عامل جذب لفقهاء أسيوط للخروج من نطاق أسيوط والمساهمة في تيار النهضة العلمية التي شهدتها مصر ، في حين نجد ان قسماً آخر من علماء أسيوط قصد جهة أخرى لطلب العلم ، متمثلة بمكة المكرمة ، مستفيدين من وجود عدد من العلماء فيها ، وهذا ما نحا نحوه ابن النقيب محمد بن علي بن أبي بكر الكناني السيوطي الشافعي (ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م) ، الذي برع في علوم عديدة منها الفقه ، واتجه إلى مكة ودرس هناك ، ثم عاد إلى أسيوط وبقي فيها حتى وفاته ^(٥٤) ، ومما يدل على التنوع المذهبي في أسيوط ، وعدم اقتصر الفقهاء فيها على المذهب الشافعي وحسب ، وجود الفقيه المالكي شمس الدين محمد بن قاسم بن محمد بن علي الأسيوطي الشاذلي (ت ٨٦٦هـ / ١٤٦٢م) ، الذي رحل منها إلى مكة وكان مقصد طلاب العلم فيها ، واخذ طريق الوعظ والتصوف في منهجه العلمي ^(٥٥) .

ومما ينبغي ذكره ان لفقهاء أسيوط دور تصنيف مؤلفات قيمة في علم الفقه ، ومنهم شمس الدين محمد بن احمد بن علي بن عبد الخالق السيوطي الشافعي (ت ٨٨٠هـ / ١٤٧٠م) المعروف بالمنهاجي ، الذي حرص على تعلم الفقه

والأصول في محل مولده أسيوط , وله مصنفات في الفقه, ومن أبرزها كتاب في الشروط سماه (جواهر العقود ومعين القضاة والشهود), وكتاب (هداية السالك إلى أوضح المسالك)^(٥٦).

وقد أثبت علماء أسيوط دورهم الريادي في علم الفقه واضطلاعهم به من خلال معينهم الذي لم ينضب في المؤلفات الفقهية , التي تنوعت في موضوعات عديدة في ميدان هذا العلم وتفرعاته, وكان الرائد في هذا المضمار العلامة جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م), بما ترك من ثروة علمية قيمة في ميدان علم الفقه , ومنها (الأشباه والنظائر) في فروع الشافعية, و(الحاوي للفتاوي), و(مختصر الروضة يسمى القنية), و(اللوامع والبقا في الجوامع والفوارق), و(نظم الروضة يسمى الخلاصة) وغيرها^(٥٧). فإن تلك المؤلفات أسهمت في إمطة اللثام عن الكثير من المسائل الفقهية المتعلقة بأحكام الشرع , الأمر الذي خلد ذكر السيوطي , وبلدته أسيوط في سفر التاريخ الخالد .

اضطلاع أسيوط بعلم اللغة العربية والتاريخ

أولاً : اللغة العربية والنحو

ويعرف علم اللغة العربية بأنه علم المعاني أو البحث عن معاني الكلمات لمعرفة مدلولاتها اللغوية ^(٥٨) , وبما أنها تميزت كونها مفتاحاً لبقية العلوم التي يكون محورها الكتاب والسنة كالتفسير والفقه وأصوله وعلوم الحديث , بل حتى علم التاريخ والأدب وغيرها, لذلك نرى ان هذا العلم قد تخصص فيه جماعة من أصحاب اللغة , ووضعوا فيه مصنفات , واهتم علماء في أسيوط بعلم اللغة بشكل كبير, ولعل سبب ذلك يكمن في دخول بعض المصطلحات التركيبية إلى اللغة العربية, ومن جانب آخر ان سكان أسيوط كان فيهم نسبة من الأقباط, وقد اسلم بعضهم وانكبوا على تعلم اللغة العربية, لذلك تصاعد هذا التيار خلال العصر المملوكي , فألفت المؤلفات في اللغة العربية , لاسيما علماء أسيوط .

ومن ابرز علماء أسيوط في اللغة العربية شمس الدين محمد بن الحسن الأسيوطي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، الذي كان ماهراً بالعربية وأجاد تعليمها ، وقد انتفع به جماعة ^(٥٩)، وقد سار احد أبنائه على خطاه وهو شمس الدين محمد بن شمس الدين، فبرع باللغة العربية، وتوفي في العام نفسه الذي توفي فيه أبوه، وهو (٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) ^(٦٠).

ويبدو ان لبعض علماء أسيوط الريادة في الاضطلاع بفنون متعددة من العلوم والمعارف الأمر الذي ميزهم على علماء عصرهم سواء من الأسيوطيين أم من غيرهم كالعالم جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) ، الذي كان موسوعة في علمه وحذق في مختلف العلوم ، ومنها اللغة العربية بمختلف أبوابها ومتعلقاتها ، ومن كتبه في علم اللغة كتاب (المزهر في اللغة) و(تعريف الأعجم بحروف المعجم) ، فضلاً عن كتب أخرى ^(٦١).

ولم يقتصر تميز علماء أسيوط إبان حكم المماليك بعلم العربية من حيث المعنى بل كان له حضور في فروع اللغة ، وما يتعلق بها ومن العلوم المرتبطة بها كعلم النحو الذي عرف بأنه علم إعراب أو وجوه العربية ، وسمي نحو لان (أبا الأسود الدؤلي) ^(٦٢) أول من وضعه وقال للناس : (انحوا نحوه) فسمي بذلك ^(٦٣).

وبرزت لعلماء أسيوط إبان حكم المماليك مساهماتهم الرائدة في مضمار هذا العلم ، ومن أشهر علماء اللغة نذكر قاضي أسيوط نور الدين الاسنوي (ت ٧٢١هـ / ١٣٢١م) ، الذي له مصنفات عديدة في النحو من أبرزها كتاب (شرح ألفية ابن مالك النحوية) ، كما انه قام بنثر قصيدة الألفية في كتاب آخر ^(٦٤)، ومن البارزين في هذا العلم قاضي أسيوط نجم الدين القمولي (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م) الذي برع في النحو ، وولي التدريس في المدرسة الفائزية بأسيوط ، وله فيه مصنفات منها (شرح الحاجبية) ، وهو شرح على مقدمة ابن الحاجب ^(٦٥) أو ما تعرف بالكافية ^(٦٦) .

وكانت لكمال الدين الأسيوطي (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) مصنفات في النحو منها :
(حاشية على شرح الألفية لابن المصنف)، و (حاشية على شرح العضد) كتب منها
يسيراً، وله مصنف في هذا المجال وهو (رسالة على إعراب قول المنهاج) ^(٦٧).
إلا أنه على ما يبدو أن ابنه العلامة جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)
قد فاقه في ميدان علم النحو ، ويتضح ذلك من خلال النتاج الفكرية الذي خلفه في هذا
العلم ، ومن أهم كتبه نحوية : (البهجة المضوية في شرح الألفية) وهي في شرح ألفية
ابن مالك النحوية ، و (الفريدة في النحو والتصريف والخط) ، و (المساعد العلية في
القواعد النحوية)، و (الاقتراح في أصول النحو وجدله)، و (شرح كافية ابن مالك)، و (در
التاج في إعراب مشكل المنهاج)، و (السيف الصقيل في حواشي ابن عقيل) وغير
ذلك ^(٦٨).

ثانياً: الشعر والأدب

الشعر هو منظوم القول، فهو القريض المحدود بعلامات لا يتجاوزها، وجمعه
أشعار ، وقائله شاعر لأنه يشعر مالا يشعر غيره ^(٦٩)، ان حركة الشعر في مصر كانت
مزدهرة ، وحظيت باهتمام السلاطين والأمراء وكان البذل والعطاء نصيب هؤلاء الشعراء
مقابل مدحهم الحكام، بل ان بعض الشعراء اتجه إلى مدح أعيان بعض البلدان طمع
في صلاتهم ^(٧٠).

ولنا ان نلمس سمات ومميزات النتاجات الأدبية لعلماء أسيوط فكان العالم الفتح بن
موسى نجم الدين الجزيري (ت ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م) ، الذي اشتهر بنظم الكتب والمصنفات
في قصائد، ربما تصل إلى آلاف الأبيات الشعرية، ليسهل على قرائها استيعابها، ومن
مؤلفاته في هذا المجال (نظم كتاب السيرة النبوية لابن هشام) على قافية رائية في
اثني عشر إلف بيت ، و (نظم كتاب المفصل للزمخشري) ، و (نظم كتاب الإشارات لابن
سينا) ^(٧١). وكان نظمه كما وصفه الذهبي بان له نظماً جيداً ^(٧٢).

وكان صلاح الدين الأسيوطي الحسني (ت ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م) الذي اختص بالأدب وألف الكثير فيه، وجمع ذلك في كتب على شكل مجاميع ، منها (رياض الألباب ومحاسن الآداب)، و(المرج النضر والأرج العطر) ، و(مطلب الأديب) ، وله إرجوزة في الخيل تصل إلى خمسمائة بيت ، و(نظم نخبة الفكر)، ويبدو ان صلاح الدين قد استفاد من مهنته، إذ كان يعمل في نسخ الكتب التي مكنته من الاطلاع على معلومات ومعارف متنوعة ، فضلاً عن أهميتها في إيراد مورد مادي يعتاش منه وهذا ما أشار إليه في نظمه قائلاً :

(كتابتي اشكرها فكم لها من عائدة
فرأس مالي أجرها واستزيد فائدة)^(٧٣)

وبينما اتخذ البعض طريقة أخرى للتكسب والعيش ، من خلال النظم الشعري والقصائد وجعلها ميداناً لرفع مستواهم المعيشي من خلال ما حصلوا عليه من مدح الأعيان بلاد الصعيد ، وهذا ما نحا نحوه عبد الرحمن بن احمد بن يوسف بن عبد الأعلى المارديني الشافعي (ت ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م)، الذي كان يعرف بنزيل أسيوط ، وحصل مقابل ذلك منهم على صلاتهم وهداياهم ، أصبحت توصف بالرواتب سنوية ، إلا انه بالغ في المدح ووصف بعضهم بالعظيم ، فأنكر عليه ذلك ، فرد على من أنكر عليه قائلاً:

(لقد كتب النبي إلى هرقل عظيم الروم أورده البخاري)^(٧٤)

وكان جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) رائداً بين علماء العصر في كل فن ولون، وبطبيعة الحال لابد ان يكون لنتاجه الأدبي حضور بين ما أنتجته مصر خلال عصر المماليك ، ومن مؤلفاته الأدبية نذكر كتاب (مقامات) في الأدب ، و(نزهة الجلساء في أشعار النساء) ، و(المحاضرات والمحاورات)، و(درر الكلم وغرر الحكم)، (ديوان شعر)، و(نور الحديقة من نظم القول) ، و(شرح بانئت سعاد)، و(قصيدة رائية)^(٧٥).

ثالثاً: العروض

العروض من عروض الشيء ، وهي فواصل أنصاف الشعر ، سميت عروضاً لأن الشعر يعرض عليها، فالنصف الأول عروض لأن الثاني يبنى على الأول. ^(٧٦) ولقد نشأ هذا العلم في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي على يد اللغوي صاحب علم العروض الخليل بن أحمد الفراهيدي ^(٧٧) (١٠٠-١٧٠هـ/٧١٨-٧٨٦م) ، ولم يسبقه إلى ذلك أحد ^(٧٨)

وقد ظهر أدباء كبار خلال العصر المملوكي، فكان لبعضهم اهتمام بعلم العروض ومن بينهم علماء أسيوط كنجم الدين جزيري (ت٦٦٣هـ/١٢٦٥م) الذي ألف منظومة في العروض، وكان مثار إعجاب العلماء أنفسهم ، ومنهم السيوطي الذي وصفه بـ(العارف بالعروض) ^(٧٩). قد تطرق العلماء في أسيوط إلى علم العروض ولكن ليس بمؤلفات مستقلة، بل في خضم مؤلفاتهم المتنوعة في ذلك العصر والتي مثلت موسوعات جامعة لكثير من العلوم، ومصادق ذلك مؤلفات السيوطي الأدبية التي تناول فيها أكثر من جانب وفن من فنون الأدب ^(٨٠).

رابعاً: الإنشاء

الإنشاء في اللغة : هو الإحداث حالاً بعد حال من غير احتذاء على مثال ^(٨١)، فالكلام سمي أما خبراً أو إنشاء، أما الخبر: هو ما احتمل الصدق والكذب لذاته ، والإنشاء: الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب ^(٨٢)، وكان هذا النوع من الأدب شائعاً في العصر المملوكي وأقدم العلماء على كتابة الخطب والكتب الرسمية، متبعين فيها الأسلوب البديعي المسجوع ، وتضمنين ذلك اقتباسات من الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة وغيرها ^(٨٣).

ومن أشهر من كان له توجه في هذا اللون الأدبي هو الكمال الأسيوطي (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، إذ ذكر ولده السيوطي انه كانت له اليد الطولى في الإنشاء ، قائلاً ما نصه: (وأقر له كل من رآه بالبراعة في الإنشاء، وأذعن له فيه أهل

عصره^(٨٤)، وكان يخطب بالجامع الطولوني في القاهرة خطباً من إنشائه، وله رسائل منها كتاب في التصريف، وآخر في التوقيع^(٨٥)، أما قاضي القضاة الولي الأسيوطي (٨٩١هـ/١٤٨٦م)، فقد يتولى الخطابة من إنشائه في مساجد عديدة في القاهرة، وشهد له بالبراعة في ذلك وأشار إليه بالبنان، وربما كانت السبب في رفع مكانته وترقيته في الوظائف حتى تولى القضاء^(٨٦)، وسجل للسيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، حضور في ميدان الإنشاء، رغم أن السيوطي أقر على نفسه أنه أقل مهارة في الإنشاء قياساً بغيره من الفنون، ولكن صدرت عنه رسائل ومقامات تدل على إمكانياته في هذا العلم^(٨٧)، لاسيما أنها احتوت على ثلاث وأربعين رسالة في مختلف المجالات، وديوان خطب، فضلاً عن كتاب المقامات وهو في الأدب^(٨٨).

خامساً : علم التاريخ

لقد انبرى العلماء إلى إعطاء تعريفات عديدة للتاريخ ومن بينهم ابن خلدون، الذي نوه إلى فضل هذا العلم قائلاً: (إن فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال، وتشد إليه الركاب والرحال، ... إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأولى، تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال،.... وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق..)^(٨٩).

وقد شهد علم التاريخ اهتماماً كبيراً من العرب والمسلمين على مر الأجيال، لارتباط ذلك بعقيدتهم وأخبار دينهم، فضلاً عن عناية العرب بقضية الأنساب والمفاخرة بالأجداد، وربما هذه الظاهرة تعاضمت بعد اختلاطهم بالأمم الأخرى، ونجد أن الاهتمام بهذا العلم ظاهرة بارزة خلال العصر المملوكي، فظهرت الموسوعات التاريخية الكبيرة، ومن بينها كتب التاريخ العام، وكتب التاريخ المحلي، فضلاً عن كتب التراجم والطبقات والأنساب^(٩٠)، وكان لأسيوط مكانها ودورها في إنتاج المؤلفات في علم التاريخ من خلال علمائها الأعلام، إذ لم يقتصر على تاريخ مصر فحسب، بل حظيت الأمصار

الأخرى بنصيب وافر من مؤلفاتهم وكان رائد هذا التوجه المنهاجي الأسيوطي (ت ٨٨٠هـ/١٤٧٥م)، الذي ألف في التواريخ المحلية ، فله كتاب عن تاريخ المسجد الأقصى وفصائله وسماه (إتحاف الأخصا بفصائل المسجد الأقصى) ، وكتاب (فصائل الشام) ، وكتاب عرف بـ(تحفة الظرفاء) (٩١).

ولم يقل عنه العلامة جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، الذي برع في جميع أقسام الكتابات التاريخية ، فقد كتب في تواريخ الأنبياء، ومن ذلك كتابه (أنباء الأذكىاء لحياة الأنبياء)، وكان للسيرة النبوية نصيب كبير من كتاباته، فقد ألف كتاب (الخصائص والمعجزات النبوية)، وكتاب (مسالك الحنفا في والدي المصطفى)، و (المقامة السندسية في النسبة المصطفوية)؛ أما في التاريخ العام فقد ألف كتاب (تاريخ الخلفاء) ترجم فيه للخلفاء والسلاطين من العهد الراشدي إلى عهد الأشرف قايتباي أي سنة إحدى وتسعمائة للهجرة ، وهو مرتب حسب السنين، ومن مؤلفاته كتاب (الشماريخ في علم التاريخ)، وفي التاريخ المحلي (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة) وهو في حوادث مصر من قديم الزمان حتى عصر المؤلف، وكتاب (تاريخ أسيوط) وهو كتاب مفقود، أما في مجال التراجم والطبقات فله (درر السحابة في من دخل مصر من الصحابة)، و (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة)، و (طبقات الحفاظ وطبقات المفسرين) و (المنجم في المعجم) ترجم فيه شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم، و (الدراري في أبناء السراي) وهو في أسماء أبناء الخلفاء المولودين من الجواري، أما في علم الأنساب فله كتاب (لب اللباب في تحرير الأنساب)، و (كشف النقاب عن الألقاب) (٩٢).

مما تقدم يبين لنا جهود علماء أسيوط في تطوير الحركة الفكرية، والتراث الإسلامي سواء داخل أسيوط التي نشأوا فيها وتربوا في أحضانها، بدعمهم العلمي بمختلف أشكاله ، أم خارج أسيوط التي نشروا بها آثارهم ومعارفهم ، بحيث خلدوا اسم تلك المدينة العريقة بآثارهم العلمي، وعلمهم الذي نشره حيث حلوا ونزلوا ، الأمر الذي عزز من قيمة ومكانة مدينتهم، فكانت مركز جذب لبعض حملة العلم الذين وفدوا إليها في

العصر المملوكي، ما أعطى خصوصية علمية لهذه المدينة ميزتها عن غيرها من مدن مصر خلال العصر المملوكي .

الخاتمة

احتلت مدينة أسيوط تاريخاً عريقاً ذلك أنها كانت محلاً لحضارات قديمة ، ومركزاً للأقباط فيما بعد ، ثم أنها أدت دوراً كبيراً في العصور الإسلامية المتعاقبة ، لاسيما في العصر المملوكي ، ومع كل ذلك لم تعط حقها في الكتابات التاريخية من المؤرخين المعاصرين لتلك الحقب التاريخية، لذلك حاولنا تسليط الضوء في هذه الدراسة على دور علمائها في الحركة الفكرية في العصر المملوكي ، وتبين لنا مما تقدم ان النشاط الفكري الذي تميزت به مصر ابان عصر المماليك لم يكن حكراً على القاهرة ، بل أصبحت بعض المدن مراكز للإشعاع الفكري ، فكانت مدينة أسيوط من ابرز المراكز الفكرية في بلاد الصعيد ، وأصبحت محط رحال الكثير من العلماء المتجهين إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، أو القاصدين إلى الجنوب حيث ازدهرت الحركة الفكرية هناك متمثلة بمدينة قوص ، فكانت حلقة وصل ما بين الحجاز من جهة وبين كل من القاهرة وبلاد المغرب من جهة أخرى ، وبين شمال (أسفل) البلاد المصرية بضمنها القاهرة وبين جنوبها (أعلاها) فتأثر الصعيد بعوامل النهضة التي شهدتها مصر بشكل عام .

ان ما نعرفه عن المراكز الفكرية في أسيوط قليل جداً لعدم تطرق المصادر إلى ذلك ، فقد كان في مدينة أسيوط والنواحي التابعة لها عدد من الكتاتيب والمساجد ومدارس، وهي لدراسة العلوم الدينية بدرجة أولى ، فضلاً عن علوم اللغة والأدب وغيرها . ولم تخل من الكنائس والأديرة التي كانت مراكز عبادة ومراكز علم للأقباط (النصارى) ، فكانت أسيوط محط رحال طلبة العلم الذين حلوا في رحابها لانتهاال العلوم والمعارف على يد علمائها ، وفي أهل مجالس علمهم ومراكز فكرهم التي حلت في تلك الأنحاء . هذا ولم يقتصر اثر أسيوط الفكري على من سكنها وحلّ بها بل أصبح علماء أسيوط محوراً فاعلاً لنشر علمهم خارج مصر في البلدان التي حلوا بها

سواء الشام والحجاز فكانوا مصدر إشعاع حضاري أفاد منه طلبة العلم وأكد دور هذه المدينة العريقة الفكري , بما أنتجوه والقوه من العلوم والمعارف المتنوعة التي اغنوا بها المكتبة الإسلامية , لاسيما في ميدان العلوم الشرعية التي احتلت بها أسيوط منصب السبق على الكثير من مصر ,سواء العلوم القراءات والتفسير والحديث والفقه وأصوله , أو في ميدان علوم اللغة العربية التي تألقت بها وذاع صيتها بما رقد به الفكر العربي من علماء ونتائج بعلوم اللغة العربية , وهذا فضلاً عن تميزها بعلم التاريخ الذي حاز على اهتمام علمائها بحثاً وتقصيأً وتخصصاً في حقوله المتنوعة .

Abstract

Asyut was considered one of the most outstanding intellectual centers not only in As-ssaeid but in Egypt in general . It became a destination of

Many scholars , and it influenced by the factors of rising that is in the middle of the country made the caravans of pilgrimage, mostly accompanied by scholars, passes through the city .

There were many elementary scholars and mosques in the city and in its districts .There were also corners and hospices , where Ibn -battota lodged in one of them when he visited the city . Asyut also included several schools such as :Al-faiziya ,and Al-sharifiya ,which were all devoted to sciences of religion ,firstly and to language and literature , secondly . It also included some churches and monasteries that were centers not only for worship but also

for scientific purposes for copts and Christians . Asyut had been a destination for students who came to learn from its scholars whom their intellectual product reached Al-sham and Al-hijaz and enriched the Islamic library with their products in the following fields : Quran interpretation , prophetic tradition , jurisprudence , sophism and language . More over that its fame in history which captured the concern of its scholars who kept searching and questing the various branches of history .

الهوامش

- (^١) المقرئزي ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي ، (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) ، ج ٤ ، ص ٤٢٠ .
- (^٢) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) ، ج ١ ، ص ٣٣٦ .
- (^٣) ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) ، أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق : حسن حبشي (القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م)، ج ١ ، ص ٢٠٧ .
- (^٤) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٣٦ .
- (^٥) يقع الجامع بطرف جزيرة الفيل مما يلي ناحية بولاق، كان موضعه في القديم غامرا بماء النيل، فلما انحسر الماء وعمرت ناحية بولاق، أنشأ هذا الجامع القاضي شمس الدين السيوطي ناظر بيت المال، وصلى فيه السلطان الملك المؤيد شيخ الجمعة في سنة (٨٢٣هـ / ١٤٢٠م) . (ينظر : المقرئزي ، الخطط ، ج ٤ ، ١٢١) .

- (٦) شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عمر السيوطي، وشغل منصب ناظر بيت المال، وكان من أصحاب الثروة . (ينظر: المقرئزي ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي ، (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م)، ج ٤ ، ص ٩٨) .
- (٧) ابن تغري بردي ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (القاهرة ، دار الكتب، بلا.ت)، ج ١٠ ، ص ٢٤٢ .
- (٨) ينظر: السخاوي ، أبو الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، (بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بلا.ت)، ج ٨ ، ص ٢٨٦ .
- (٩) حمودة ، طاهر سلمان ، جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره ، (بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩م) ، ص ٥٠ .
- (١٠) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٩٤ .
- (١١) ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط ، (بيروت ، دار ابن كثير، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) ، ج ٧ ، ص ٤٦٨ ؛ حمودة ، جلال الدين السيوطي ، ص ٧٦ .
- (١٢) ابن خلدون ، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة ، ط ٢ (بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ، ج ١ ، صص ٤٩٩-٥٥٠ .
- (١٣) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، الإتيقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤م) ، ج ١ ، ص ٢٧٣ .
- (١٤) السيوطي ، الاتقان ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .
- (١٥) ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، الدرر الكامنة الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان ، ط ٢

(حيدر آباد الدكن ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م)، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .

(^{١٦}) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٣٤ .

(^{١٧}) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٧ ، ص ١٧٨ .

(^{١٨}) المصدر نفسه ، ج ٨ ، ص ١٧٣ .

(^{١٩}) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٦٥ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ج ١ ، ص ٣٣٦ .

(^{٢٠}) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٣٩ .

(^{٢١}) وهي القصيدة المسماة بـ (حرز الأمان في القراءات) تشتمل على ١١٧٢ بيتاً وهي عمدة القراء ، وتعرف بالشاطبية نسبة إلى ناظمها أبو محمد القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الشاطبي (ت ٥٩٠هـ / ١١٩٤م) الْمُقَرَّرُ التَّحْوِي الضَّرِير ولد بشاطبة (في الأندلس) وتوفي بمصر وكان أمام القراء في عصره ، وعالماً بالحديث والتفسير واللغة، كان إذا قرئ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ، تصحح النسخ من حفظه. (ينظر : ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس ، (بيروت ، دار صادر ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، ج ٤ ، ص ٧١) .

(^{٢٢}) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٤٠ ؛ الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) ، الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط ١٥ (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م) ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ .

(^{٢٣}) ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١م) ، لسان العرب ، ط ٣ (بيروت ، دار صادر ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، ج ٥ ، ص ٥٥ .

(^{٢٤}) الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب البلخي (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م) ، مفاتيح العلوم ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، بلا. ت) ، ص ٢١ .

(^{٢٥}) الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الزمخشري) ط ٣ (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٧هـ) ، ج ١ ، ص ٢ .

(^{٢٦}) الادفوي ، أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب بن جعفر الشافعي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) ، الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ، (القاهرة ، مطبعة الجمالية ، ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م) ، ص ٦٤ .

- (٢٧) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٤٠ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ .
- (٢٨) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ٢١ .
- (٢٩) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٥٥٠ .
- (٣٠) الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .
- (٣١) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٢١٢ .
- (٣٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ٣٢٣ .
- (٣٣) ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٤ ، ص ٢٤ .
- (٣٤) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٩ ، ص ٣٧ .
- (٣٥) المصدر نفسه ، ج ١٠ ، ص ٣٢٤ .
- (٣٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٠ .
- (٣٧) ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ١٠ ، ص ٧٤ .
- (٣٨) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٣٩ .
- (٣٩) للاطلاع على مؤلفات السيوطي هذه والأخرى التي لم نذكرها (ينظر : السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٤٠ وما بعدها ؛ الكتاني ، محمد عَبْد الْحَيَّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي ، (ت ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م) ، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢ (بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) ، ص ١٠١٥ .
- (٤٠) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج ١ ، ص ٥٥٠ .
- (٤١) النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٤١ م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب (القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م) ، ج ٢٩ ، ص ٤٦٧ .
- (٤٢) السبكي ، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق :محمود محمد الطناحي وآخرون ، ط ٢ (القاهرة ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) ، ج ٨ ، ص ٣٤٨ .
- (٤٣) الادفوي ، الطالع السعيد ، ص ٤٠٨ .
- (٤٤) الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) ، أعيان العصر وأعوان النصر ، تحقيق : علي أبو زيد وآخرون ، (بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م) ، ج ٥ ، ص ٥٦٦ .

- (^{٤٥}) نسبة إلى اصفون قرية بالصعيد الأعلى على شاطئ غربي النيل. (ينظر: ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان ، (بيروت ، دار صادر ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م)، ج ١ ، ص ٢١٢).
- (^{٤٦}) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ١٧٢ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٥٧ .
- (^{٤٧}) الادفوي ، الطالع السعيد ، ص ٤٢٠ .
- (^{٤٨}) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٣٤٨ .
- (^{٤٩}) ابن حجر أنباء الغمر، ج ١ ، ص ٢٠٧ ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٨ ، ص ٤٦٩ .
- (^{٥٠}) ابن حجر، أنباء الغمر ، ج ٤ ، ص ٢٢٣ .
- (^{٥١}) يقصد به بداية القرن التاسع الهجري .
- (^{٥٢}) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت ، المكتبة العصرية)، ص ٤٧٢ .
- (^{٥٣}) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٤١ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٩ ، ص ٤١٥ .
- (^{٥٤}) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٨ ، ص ١٧٣ .
- (^{٥٥}) المصدر نفسه ، ج ٨ ، ص ٢٨٦ .
- (^{٥٦}) المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ١٣ ؛ حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بغداد، مكتبة المثنى ، ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م) ، ص ٦١٤ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج ٥ ، ص ٣٣٤ .
- (^{٥٧}) للمزيد ينظر : السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٤٢ .
- (^{٥٨}) الأزهرى ، أبو منصور محمد بن احمد (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) ، تهذيب اللغة ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، (بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م) ج ١ ، ص ٥ .
- (^{٥٩}) ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٩ ، ص ١١٧ .
- (^{٦٠}) ابن حجر ، انباء الغمر ، ج ٢ ، ص ٣٤٧ .
- (^{٦١}) للمزيد ينظر : السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .
- (^{٦٢}) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني ، من التابعين ، سكن البصرة ثم ولي عليها زمن خلافة الامام علي (عليه السلام) ، وتوفي فيها سنة تسع وستين للهجرة ، وله نظم جيد منه ما اصبح يجري مجرى الأمثال . (ينظر: ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي

- الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ج ٣، ص ١٠١ .
- (٦٣) الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٣ م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج ٦، ص ٢٥٠٣ .
- (٦٤) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٩، ص ٤٠٠ .
- (٦٥) وهي من تصنيف أبو عمرو عثمان بن عمر النحوي، المالكي، المعروف بابن الحاجب المتوفى سنة اثنتين وسبعين وستمائة، وتعتبر من أهم الكتب في النحو حيث وضعت عليها عدة شروح ولعلماء عدة . (ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ١٦٢) .
- (٦٦) أبن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج ١٤، ص ١٥١ .
- (٦٧) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٤١ .
- (٦٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٤٣ .
- (٦٩) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٤١٠ .
- (٧٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٤، ص ٦١ .
- (٧١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨، ص ٣٤٨؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج ٢، ص ٢٤٢ .
- (٧٢) الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط ٢ (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ج ٤٩، ص ١٥٤ .
- (٧٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٧، ص ١٧٩ .
- (٧٤) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٦١ .
- (٧٥) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٣٤٤ .
- (٧٦) الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١، ص ٢٩٥ .
- (٧٧) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي الفراهيدي البصري، العالم في علم النحو وصاحب علم العروض، ومن تلاميذ سيبويه والأصمعي، له مصنفات منها كتاب العين الذي يعد

- اول معجم لغوي في العربية , توفي سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م في البصرة . (ينظر : الخطيب البغدادي , المتفق والمفترق, تحقيق: محمد صادق آيدن الحامدي (دمشق , دار القادري للطباعة والنشر , والتوزيع , ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م) , ج٢ , ص ٨٦٧ .
- (^{٧٨}) الأزهرى , تهذيب اللغة , ج ١ , ص ١٠ .
- (^{٧٩}) السيوطي , بغية الوعاة , ج ٢ , ص ٢٤٢ .
- (^{٨٠}) للمزيد ينظر : السيوطي , حسن المحاضرة , ج ١ , ص ٣٤٤ .
- (^{٨١}) العسكري, أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م) , الفروق اللغوية , تحقيق: محمد إبراهيم سليم , (القاهرة , دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع , بلا. ت) , ص ١٣٤ .
- (^{٨٢}) عبد المنعم , محمود عبد الرحمن, معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية, (القاهرة , دار الفضيلة , بلا.ت), ص ٣١٠ .
- (^{٨٣}) حمودة , السيوطي عصره وحياته , ص ٨٧ .
- (^{٨٤}) السيوطي , حسن المحاضرة , ج ١ , ص ٤٤١ .
- (^{٨٥}) المصدر نفسه , ج ١ , ص ٤٤٢ .
- (^{٨٦}) السخاوي , الضوء اللامع , ج ١ , ص ٢١٢ .
- (^{٨٧}) سليم , محمود رزق, عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي , (القاهرة , مكتبة الآداب , بلا.ت), ج ٢ , ق ١ , ص ٣٨٠ .
- (^{٨٨}) السيوطي , حسن المحاضرة, ج ١ , ص ٣٤٤ .
- (^{٨٩}) ابن خلدون , تاريخ ابن خلدون , ص ٦ .
- (^{٩٠}) سليم , عصر سلاطين المماليك , ج ٢ , ق ١ , ص ٣٦٥ .
- (^{٩١}) السخاوي , الضوء اللامع , ج ٧ , ص ١٣ ؛ حاجي خليفة , كشف الظنون , ص ٦١٤ .
- (^{٩٢}) السيوطي , حسن المحاضرة , ج ١ , ص ٣٤٤ ؛ سليم , عصر سلاطين والمماليك , ج ٢ , ص ٣٦٥ .

المصادر الأولية :

- ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) .
- ١ - أسد الغابة في معرفة الصحابة ، (بيروت، دار الفكر ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).
- الادفوي ، أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).
- ٢ - الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ، (القاهرة ، مطبعة الجمالية ، ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م) .
- الأزهرى ، أبو منصور محمد بن احمد (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) .
- ٣ - تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ،(بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م).
- ابن تغري بردي ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف الحنفي(ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) .
- ٤ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (القاهرة ، دار الكتب، بلا .ت) .
- ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م).
- ٥ - إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق : حسن حبشي (القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).
- ٦ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان ، ط ٢ (حيدر آباد الدكن ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م).
- الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م) .
- ٧ - المتفق والمفترق، تحقيق: محمد صادق آيدن الحامدي (دمشق ، دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) .
- ابن خلدون ، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) .
- ٨ - تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة ، ط ٢(بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) .
- ٩ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس ، (بيروت ، دار صادر ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) .
- الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الكاتب البلخي (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م) .
- ١٠ - مفاتيح العلوم ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، (بيروت ، دار الكتاب العربي) .
- الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) .
- ١١ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط ٢ (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) .
- الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م) .
- ١٢ - الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ (بيروت ، دار المعرفة ، بلا ت) .
- السبكي ، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م) .
- ١٣ - طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود محمد الطناحي وآخرون ، ط ٢ (القاهرة ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) .
- السخاوي ، أبو الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) .
- ١٤ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، (بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة) .
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) .
- ١٥ - الاتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) .
- ١٦ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت ، المكتبة العصرية ، بلا. ت) .

- ١٧ - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) .
- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) .
- ١٨ - اعيان العصر واعوان النصر ، تحقيق : علي أبو زيد واخرون ، (بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م) .
- ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) .
- ١٩ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط ، (بيروت ، دار ابن كثير ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) .
- الفارابي ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٣م) .
- ٢٠ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) .
- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) .
- ٢١ - البداية والنهاية ، تحقيق: علي شيري، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م) .
- المقرئزي ، أبو العباس تقي الدين أحمد الحسيني العبيدي ، (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) .
- ٢٢ - السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م) .
- ٢٣ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م) .
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١م) .
- ٢٤ - لسان العرب ، ط ٣ (بيروت ، دار صادر ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م) .
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب القرشي البكري (ت ٧٣٣هـ/١٣٤١م) .

٢٥ - نهاية الأرب في فنون الأدب (القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) .

• ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م).

٢٦ - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف معجم الأدباء ، تحقيق: إحسان عباس ، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤ هـ/١٩٩٣م).

المراجع :

• حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م).

١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بغداد، مكتبة المثنى ، ١٣٦٠هـ/١٩٤١م)،

• حمودة ، طاهر سلمان .

٢- جلال الدين السيوطي عصره وحياته واثاره ، (بيروت ، المكتبة الاسلامي ، ١٤١٠هـ /١٩٨٩م).

• الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) .

٣- الاعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط ١٥ (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م) .

• سليم ، محمود رزق .

٤- عصر السلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي ، (القاهرة ، مكتبة الآداب ، بلا.ت) .

• عبد المنعم ، محمود عبد الرحمن .

٥- معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية، (القاهرة ، دار الفضيلة ، بلا.ت) .

سيرة الامام علي بن محمد الهادي عليه السلام
في مصنفات ابن تيمية

أ.د. سامي حمود الحاج جاسم
علي ابراهيم عبيد الجميلي الموسوي

الجامعة المستنصرية
كلية التربية / قسم التاريخ

سيرة الامام علي بن محمد الهادي في مصنفات ابن تيمية

أ.د. سامي حمود الحاج جاسم

علي ابراهيم عبيد الجميلي الموسوي (البصير)

In brief:-

We took in impressed search (memoir Al-Imam Ali Ibn Mohammed Al-Hadi(p.)

In classified Ibn Taamea)show system speech Al-Alam Ibn Al-Mutahr Al-Haly and Then reply Ibn Taamea to him , partition probably to reply for many part and Answer for another part , to show level deep enmity animosity converse Al-Raswal And then level slant about all Al-Moslems ,we discover many important production :

- 1-Attempt Ibn Taamea on take your expand legacy from enmity from through your contradiction and distortion the following data evenif that to singularity incluing throw the proposition advice .
- 2-Ibn Taamea go around on facts through the contradiction term and already caveat that when relation to Al-Alama Al- Hali when he mention the name administrate Baghdad Ishaq Ibn Ibrahim Al-Taai who link to yahea Ibn Harthma ibn Iaain who character Al-Mitawkil to taking hold of Al-imam , who is fellow traveler Al-Imam Al-Hadi (p.) ,we through that see the Al-Alama Al-Hali to mention that administrator Baghdad who Ishaq Ibn Ibrahim Al-Tahiry not Al-Taai
- 3-In all best the legacy Ibn Taamea is dangerous to must on all his moslem to bottom concerned on legacy and history Alislamy to take care from ,that his have liability on unity Al-moslimin and tenacity assembled from amount ,and from another a mount that his plain crevice and facile to take from enemies Alislam and bad messieurs .

المقدمة :-

لم تقتصر رغبة ابن تيمية الجانحة على توجيه التهم جزافاً والنقد افتراءً على شخصية معينة او طائفة او جماعة ، وانما كانت سعة قريحته في هذا المضمار واسعة جداً بحيث شملت كبار اعمدة الاسلام بما فيهم رسول الرحمة ﷺ وواله الاطهار ﷺ ، لذا لم يكن ولده الإمام علي بن محمد الهادي ﷺ بمنأى عن تلك العجلة الهادرة للتهم الباطلة والافتراءات الكاذبة التي انتهجها ابن تيمية اسلوباً له ضد كل ما هو حق وكل ما هو صحيح ، لذا ارتأينا تسليط الضوء على (سيرة الإمام علي بن محمد الهادي ﷺ في مصنفات ابن تيمية) اذ كان هذا عنواناً لبحثنا ، الذي اتبعنا في اسلوب مناقشتنا لأراء ابن تيمية طريقة رد ابن تيمية على ما جاء به العلامة ابن المطهر الحلي من سيرة الإمام ، اذ إن ابن تيمية كان في معرض الرد على كتاب العلامة الحلي (منهاج الكرامة في معرفة الامامة) وقد حاول الرد على كل ما فيه ، حيث اقم نفسه في مستنقع الجهالة والضلالة عندما اراد دحض ما نقل العلامة الحلي في هذا الكتاب من سيرة ال النبي العطرة واحدهم عاشر الائمة الإمام ابي الحسن علي بن محمد الهادي ﷺ ، فقد اتينا في هذا البحث برأي العلامة الحلي أولاً ، ومن ثم جننا برأي ابن تيمية على شكل فقرات اجبنا على كل منها بمعزل عن الاخرى وذلك لطول انتقاد ابن تيمية وتشعبه في عرض الاحداث .

قال ابن تيمية قال الرافضي " وكان ولده علي الهادي ويقال له العسكري لأن المتوكل أشخصه من المدينة إلى بغداد ثم منها إلى سر من رأى فأقام بموضع عندها يقال له العسكر ^(١) ثم انتقل إلى سر من رأى فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر وإنما أشخصه المتوكل لأنه كان يبغض علياً فبلغه مقام علي بالمدينة وميل الناس إليه فخاف منه فدعا يحيى بن هبيرة ^(٢) وأمره بإحضاره فضج أهل المدينة لذلك خوفاً عليه لأنه كان محسناً إليهم ملازماً للعبادة في المسجد فحلف يحيى أنه لا مكروه عليه ثم فتن منزله فلم يجد فيه سوى مصاحف وأدعية وكتب العلم فعظم في عينه وتولى خدمته بنفسه

فلما قدم بغداد بدأ بإسحاق بن إبراهيم الطائي (٣) والى بغداد فقال له يا يحيى هذا الرجل قد ولده رسول الله والمتوكل من تعلم فإن حرصته عليه قتله وكان رسول الله خصمك يوم القيامة فقال له يحيى والله ما وقعت منه إلا على خير قال فلما دخلت على المتوكل أخبرته بحسن سيرته وورعه وزهده فأكرمه المتوكل ثم مرض المتوكل فنذر إن عوفى تصدق بدراهم كثيرة فسأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم جوابا فبعث إلى علي الهادي فسأله فقال تصدق بثلاثة وثمانين درهما فسأله المتوكل عن السبب فقال لقوله تعالى ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كُتِبَتْكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَآرِحَبَتِهَا ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُدِيرِينَ ﴿٤﴾ وكانت الموطن سبعة وعشرين غزاة وبعث ستا وخمسين سرية قال المسعودي نمي إلى المتوكل بعلي بن محمد أن في منزله سلاحا من شيعة من أهل قم وأنه عازم على الملك فبعث إليه جماعة من الأتراك فهجموا داره ليلا فلم يجدوا فيها شيئا ووجدوه في بيت مغلق عليه وهو يقرأ وعليه مدرعه من صوف وهو جالس على الرمل والحصى متوجها إلى الله تعالى ينلو القرآن فحمل على حالته تلك إلى المتوكل فأدخل عليه وهو في مجلس الشراب والكأس في يد المتوكل فعظمه وأجلسه إلى جانبه وناولته الكأس فقال والله ما خامر لحمي ودمي قط فأعفني فأعفاه وقال له أسمعني صوتا فقال كم تركوا من جنات وعيون فقال أنشدني شعرا فقال إني قليل الرواية للشعر فقال لا بد من ذلك فأنشده

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم	غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم	وأسكنوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد دفنهم	أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة	من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم	تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما أكلوا دهرًا وما شربوا	فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

فبكى المتوكل حتى بليت دموعه لحيته " (٥)

اما جواب ابن تيمية فسوف نأتي به على شكل فقرات ثم نجيب على كل فقرة بمعزل عن الاخرى ، وذلك لتوسعة في بيانها ، ولكون إن ما فيها مهماً إن يذكر ، لذا فسوف لا نغترلها وانما نوردها نصاً كي يكون الاشكال والجواب عليه اقرب الى الازهان .

قال ابن تيمية **اولاً** " هذا الكلام من جنس ما قبله لم يذكر منقبة بحجة صحيحة بل ذكر ما يعلم العلماء أنه من الباطل " (٦) .

جوابنا

١- ان حكم ابن تيمية سابق الى النفي او التكذيب ما دام فيه اشارة الى فضل اهل البيت ، فكيف لا يوجد فيه منقبة والرواية تؤكد هذا حال الامام الهادي عندما حمل الى المتوكل العباسي ، حيث التهجد والعبادة بينما بينت ان خصمه المتوكل كان في غاية الاثم والمعصية ، اذ انه بين موائد الخمر وحوله كل يغضب الله سبحانه ويرضي الشيطان ، وهذا هو السبب الرئيسي لأنتفاخ اوداج ابن تيمية وفقدانه صوابه ورشده ان كان له ذلك ، فقد نقل ابن شاذان بأن المتوكل أطلق عليه بأنه محي السنة ومميت البدعة (٧) فكيف تصور هذه الرواية المتوكل امير المؤمنين بهذه الصورة التي تخجل اتباعه وانصاره والسائرين على نهجه في بغض ال الرسول ، فكما عاد المتوكل ابناء الرسول وانتقم منهم شر انتقام ولاحقهم تحت كل حجر ومدر ، وقد تجاهر في ترديه بحر الضلالة والفجور عندما امر بهدم قبر سيد الشهداء سبط رسول الله الامام الحسين واقامه المزارع عليه (٨) كما تجاهر في بغضه لسيد الاوصياء ونفس رسول الله امير المؤمنين حيث نصت مصادر التاريخ على ذلك ، اذ اشارت " وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب ولأهل بيته وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى عليا وأهله بأخذ المال والدم وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث (٩) وكان يشد على بطنه تحت ثيابه مخدة ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدي المتوكل والمغنون يغنون قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين يحكي بذلك عليا والمتوكل يشرب ويضحك " (١٠)

فكذلك سار اتباع المتوكل على اثره في طريق بغض اهل البيت وتكذيب فضائلهم والرد على مناقبهم ومحاربة فكرهم ونهجهم القويم .

٢- إن ما جاء به العلامة الحلي لم يكن قد انفرد به حتى يحكم ابن تيمية على بطلانه ، وإنما استفاضت المصادر بذكره ^(١١) ، وهذه الاستفاضة والشهرة دليلاً قاطعاً على حجيته وقوته وثبوت ما فيه من الكرامة لصالح الامام

٣- ان مثل هذه الرواية تبين مدى انحراف كل اعداء ال النبي ومن ضمنهم ابن تيمية اذ رفع لواء معاداتهم بدليل ما قدمنا من افكاره ، فأذا كانت هذه الرواية تبين ما كان عليه الامام الهادي من وضع الطاعة والعبادة فلا شك ان عدوه عكس ذلك تماماً ، وهذا يفصح ما ذهب اليه ابن تيمية في فكره ونهجه .

٤- كيف لا تظهر هذه الرواية مناقب الامام الهادي وهي تبين رفضه للجلوس في مجالس بهذا المستوى من الضلالة والانحراف ، بل انه لا يجامل طاغية عصره فيما القى عليه من القران الكريم ومن ثم الشعر حتى ذكره بما هو فيه من قريباً للشيطان وبعداً عن مرضاة الله سبحانه ، وان ذلك زائل عن قريب فما اسرع الرحيل ثم وصف له حال القبر وما يصير اليه الانسان هناك الى ان الان قلبه وعقله واسأل دموعه وهذه لوناً من الوان البراعة في التصوير لا يصل اليها الا من اوثق علاقته بربه وملئ نفسه وعقله طاعة وايمان اذ لا يرى الا بما يرضى الله سبحانه ، حيث انتهج طريق الحق والهدى وابتعد عن طريق الزيغ والضلالة .

ثانياً :- قال ابن تيمية " انه ذكر في الحكاية أن والي بغداد كان إسحاق بن إبراهيم الطائي وهذا من جهله فإن إسحاق بن إبراهيم هذا خزاعي معروف هو وأهل بيته كانوا من خزاعة فإنه إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب وابن عمه عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ^(١٢) أمير خراسان المشهور المعلومه سيرته وابن هذا محمد بن عبد الله بن طاهر كان نائباً على بغداد في خلافة المتوكل وغيره وهو الذي صلى على أحمد بن حنبل لما مات وإسحاق بن إبراهيم هذا كان نائباً لهم في إمارة المعتصم والوائق وبعض أيام المتوكل وهؤلاء كلهم من خزاعة ليسوا من طيء وهم أهل بيت مشهورون " ^(١٣) .

جوابنا

١- ان ابن تيمية يحاول تخطئة خصمه حتى وان كان بتحريف النصوص فاللفظ الموجود في منهاج الكرامة هو " اسحاق بن ابراهيم الطاهري " ^(١٤) وليس الطائي كما ذكر ابن تيمية ، وحتى ان كان ما ورد في كتاب الحلي الطائي فلا يستوجب مثل هذا الاطناب في الرد كما لا يستوجب رمي الخصم بالجهل لأنه لا علاقة له بالجهل ، اذ لم يخطأ في ايراد حكم معين او معلومة معينة ، وانما ان صح ورود مثل هذا اللفظ في نسخة ابن تيمية فلعل ذلك من التصحيف او حتى اذا افترضنا سهو قلم العلامة الحلي.

٢- ان ابن تيمية راح يستعرض تفاصيل عن اسحاق بن ابراهيم واحواله واسرته واحوالهم، فكان لزوماً عليه خلال ذلك الاستعراض ان يقول ولعل الحلي يريد ان يقول الطاهري فقال الطائي ، وذلك لأن عمه هو طاهر بن الحسين ، فيكون هذا ما يحسب له من الانصاف هذا ما لم يكن متعمداً في تحريف اللفظ كما ذكرت لأن لقب الطاهري لم ينفرد به العلامة الحلي فقط ، وانما كان من سبق العلامة الحلي قد لقبه بهذا ايضاً ^(١٥) وعليه فلم يكن هذا من تلقيب العلامة له حيث لم يكن يشتهر بغير ذلك ، بل ان ابن تيمية عندما قال الخزاعي انفرد بذلك ولم تذكره المصادر بهذا اللقب وأن كانت خزاعة قبيلته .

ثالثاً :- قال ابن تيمية " وأما الفتيا التي ذكرها من أن المتوكل نذر إن عوفي يتصدق بدراهم كثيرة وأنه سأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم جواباً وأن علي بن محمد أمره أن يتصدق بثلاثة وثمانين درهما لقوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة وأن المواطن كانت هذه الجملة فإن النبي غزا سبعا وعشرين غزاة وبعث ستاً وخمسين سرية فهذه الحكاية أيضاً تحكى عن علي بن موسى مع المأمون وهي دائرة بين أمرين إما أن تكون كذبا وإما أن تكون جهلا ممن أفتى بذلك فإن قول القائل له علي دراهم كثيرة أو والله لأعطين فلانا دراهم كثيرة أو لأتصدقن بدراهم كثيرة لا يحمل على ثلاث وثمانين عند أحد من علماء المسلمين والحجة المذكورة باطلة لوجوه :

أحدها : أن قول القائل إن المواطن كانت سبعا وعشرين غزاة وستا وخمسين سرية ليس بصحيح فإن النبي لم يغز سبعا وعشرين غزاة باتفاق أهل العلم بالسير بل أقل من ذلك" (١٦) .

جوابنا

١- ان ابن تيمية يريد ان يبين عمق معرفته بالتاريخ ، حتى وان كان على حساب تزيف الحقائق ، فأن ما اورد اهل السير والمغازي عن غزوات النبي كان بذلك العدد ، وكما يأتي :-

أ- قال الواقدي " كانت مغازي النبي التي غزا بنفسه سبعا وعشرين غزوة " (١٧) .

ب - قال ابن سعد " كانت مغازي رسول الله التي غزا بنفسه سبعا وعشرين غزوة" (١٨) .

ج - قال ابن عبد البر " ثم غزا رسول الله أهل الكفر من العرب وبعث إليهم السرايا وكانت غزواته بنفسه ستا وعشرين غزوة هذا أكثر ما قيل في ذلك " (١٩) .

د- قال ابن سيد الناس " كانت مغازي رسول الله التي غزا بنفسه سبعا وعشرين غزوة" (٢٠)

هـ - قال قطب الدين الراوندي " ذكر ان مغازي النبي التي غزا بنفسه سبعا وعشرين غزوة " (٢١) اوليس هؤلاء هم من اهل العلم بالسير ، ام ان هنالك غيرهم لم يهتد اليهم سوى ابن تيمية ؟ وبهذا يتضح عدم معرفة ابن تيمية بالتاريخ واحواله ، وحتى بسيرة النبي المباركة الذي ادعا هو واتباعه زيفاً احاطته بها .

قال ابن تيمية " الثاني أن هذه الاية نزلت يوم حنين والله قد أخبر بما كان قبل ذلك فيجب أن يكون ما تقدم قبل ذلك مواطن كثيرة وكان بعد يوم حنين غزوة الطائف وغزوة تبوك وكثير من السرايا كانت بعد يوم حنين كالسرايا التي كانت بعد فتح مكة " (٢٢) .

جوابنا

١- لقد ذكر ابن تيمية إن هذه الآية نزلت يوم حنين ، وما هو معلوم ان غزوة حنين كانت في السنة الثامنة من الهجرة ^(٢٣) اما الآية المباركة من سورة التوبة فقد نزلت في السنة التاسعة من الهجرة كما اكد على ذلك جملة من المفسرين ^(٢٤) .

٢- ان سياق الآية المباركة لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ يدل على انها نزلت بعد غزوة حنين لا يوم حنين حيث يخبر عن نصرته في ذلك اليوم ، وليس هنالك دليل على وقت نزول الآية على وجه دقيق حتى يستدل بها على ان بعض الغزوات كان بعد نزول الآية ، والذي يمكن ان يقال انه لم تنزل يوم حنين اي في السنة الثامنة وانما نزلت بعد هذه السنة عند نزول سورة التوبة، وهكذا يتضح عدم معرفة ابن تيمية بأحداث التاريخ والسير والمغازي ، وما اشكاله الا من اجل تكذيب حقيقة واضحة وضوح الشمس لا سبيل لأنكارها .

قال ابن تيمية الثالث : " أن الله لم ينصرهم في جميع المغازي بل يوم أحد تولوا وكان يوم بلاء وتحميص وكذلك يوم مؤتة وغيرها من السرايا لم يكونوا منصورين فيها فلو كان مجموع المغازي والسرايا ثلاثا وثمانين فإنهم لم ينصروا فيها كلها حتى يكون مجموع ما نصروا فيه ثلاثا وثمانين " ^(٢٥) .

جوابنا

١- ان مفاهيم النصر لا تقتصر على الانتصار العسكري في المعركة فحسب ، وانما للانتصار ابعاداً اخرى كثيرة منها معنوية واخرى روحية تتعلق بشد الانسان الى الله سبحانه وازدياد رغبته في الآخرة ، وهنالك غيرها من الابعاد قد لا تلوح نتائجها الا بعد مدة من الزمن ، اذ يعتقد العدو انه حقق غايته وبلغ مراده ، الا ان ذلك الانتصار الظاهري يكون وبالا عليه فيما بعد ، وواقعة الطف خير دليل على هذا ، اذ ان نشوة الانتصار لم يلتذ بها يزيد ومن خلاله بني امية الا اياماً قليلة ، ومن ثم تعاقبت عليهم الثورات كأنها قطع الغيوم يتلو بعضها بعضاً الى ان هلك يزيد ومضت دولتهم كأنها

طيف نائم ، وهكذا المعارك التي هزم فيها المسلمون على عهد الرسول الاعظم كمعركة احد اذ نزل فيها قوله تعالى ﴿ فَأَقْبَلُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلْ لَّمْ يَمَسَّ سُهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائِهِ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنَّا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٦﴾ فالذين مضوا الى الشهادة استقروا في رحمة الله ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴾ ﴿٢٧﴾ والذين صمدوا وصبروا اثنابهم الله على جهادهم وصبرهم ، والذين زاغت قلوبهم واقدامهم منهم من هداه الله فندم على فعله وتاب توبة نصوحة وبالتالي كانت له هذه الهزيمة درساً وعبرة عظيمة هذب من خلالها نفسه ووطنها على مراحل من الطاعة لم تكن لتبلغها دون هذا الدرس ، وهكذا فضل الله الذي تحدثت به الآية المباركة .

٢- ان اشكال ابن تيمية فيه من الطعن لمذاهب الجمهور ما لم يلتفت اليه ابن تيمية ، ولو انتبه الى ذلك لما اورد مثل هذا الاشكال وهو ان خسارة المسلمين كانت بسبب هروب قسماً من الصحابة اذ جاء في حقهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ﴿٢٨﴾ وبالتالي فأن هذا الهروب ان قبل فيه التوبة مرة ، فسوف لن تقبل التوبة ان تكرر اكثر من مرة وبالتالي فأن هروبهم في احد ومن ثم خبير قبل تسلم امير المؤمنين الراية وكذلك في حنين انما هو مطعن عظيم في نظرية عدالة الصحابة كلهم اذ يتبنى الجمهور هذه النظرية ويعتقد بعدالة جميع الصحابة ، وعليه فأن اشكاله هذا فيه اكثر من اشكال عليه وعلى معتقده وانتمائه .

قال ابن تيمية الرابع " اختصاص هذا القدر بذلك فإن لفظ الكثير لفظ عام يتناول الألف والألفين والألاف وإذا عم أنواعا من المقادير فتخصيص بعض المقادير دون بعض تُحْكَم " ﴿٢٩﴾ .

جوابنا

١- ان الامام انما ذكر هذا الرقم تحديداً اي الثالث والثمانين كي يبين به بداية نسبة الكثير ليس الا اذ لم يحدد المتوكل بعدم اعطاء اكثر من هذا المبلغ ، لأن الامام في جوابه هذا كان بصدد بيان حكماً عاماً لنسبة الكثير وقد حدد اوله وبدايته بهذا الرقم وجعله مفتوحاً لمن اراد ان يتصدق بأكثر من ذلك اذ قال للمتوكل: " وكلما زاد امير المؤمنين من فضل الخير كان انفع له " (٣٠) .

وبجواب الامام هذا اخرج الجواب عن تقيد شخصية السائل فجعله حكماً عاماً ، اذ قد يكون هنالك حالة مماثلة لها عند انساناً اخر ليس له من الطاقة المادية ما للخليفة ، لكن ابن تيمية اعترض على هذا لأنه يرى عكس ذلك تماماً حيث قال " والأرجح في مثل هذا أن يرجع إلى عرف المتكلم فما كان يسميه مثله كثيراً حمل مطلق كلامه على أقل محاملته والخليفة إذا قال دراهم كثيرة في نذر لم يكن عرفه في مثل هذا مائة درهم ونحوها بل هو مستقل هذا ولا يستكثره بل إذا حمل كلامه على مقدار الدية اثنا عشر ألف درهم كان هذا أولى من حمله على ما دون ذلك واللفظ يحتمل أكثر من ذلك لكن هذا مقدار النفس المسلمة في الشرع ولا يكون عوض المسلم إلا كثيراً والخليفة يحمل الكثير منه على ما لا يحمل الكثير من احاد العامة " (٣١) ! فهل هذا يعقل عن انسان يتبجح هو ومن بعده اتباعه بأدعاء العلم حيث يعتقد بأن لكل شخصاً حكماً خاصاً به يتعلق بمكانته ومقامه فإذا كان ثرياً فأن حكمه يختلف عما اذا كان فقيراً ، فبمثل هذا ابتلى الاسلام حتى بكى عليه اهله لكن لم ينفعهم البكاء اذ هنالك من يتبعه ويقتدي به اذ ان رأي ابن تيمية هذا اذا كان هو ما يعتقد به بعض المسلمون فيجب هنا والحال هذا ان يكون تكليف وواجب الغني لا يشبه ما دونه من الناس وايضاً واجب وتكليف العالم في العبادات والمعاملات لا يشبه ما دونه من الناس وهكذا يتضح مدى جهل ابن تيمية وانحرافه وفساد معتقده .

قال ابن تيمية " والحكاية التي ذكرها عن المسعودي منقطعة الإسناد وفي تاريخ المسعودي من الأكاذيب ما لا يحصيه إلا الله تعالى فكيف يوثق بحكاية منقطعة

الإسناد في كتاب قد عرف بكثرة الكذب مع أنه ليس فيها الفضيلة إلا ما يوجد في كثير من عامة المسلمين ويوجد فيهم ما هو أعظم منها " (٣٢) .

جوابنا

ان ادعائه بأن كتاب المسعودي فيه من الاكاذيب ما لا يحصيه الا الله هو ادعاء بلا دليل ، واذا كان دليله هو عدم وجود اسناد لهذه الرواية ، فإن هذا غير صحيح ، بل في منتهى الافتراء ، وذلك للأسباب الآتية :-

أ- ان المسعودي روى هذه الحكاية " عن أبو عبد الله محمد بن عرفة النحوي قال : حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال : قال المتوكل لأبي الحسن علي بن محمد بن علي ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : ما يقول ولد أبيك في العباس بن عبد المطلب ؟ قال : وما يقول ولد أبي يا أمير المؤمنين في رجل افترض الله طاعة بنبيه على خلقه وافترض طاعته على بنيه(٣٣)؟ فأمر له بمائة ألف درهم وقد كان سعي بأبي الحسن علي بن محمد إلى المتوكل ، وقيل له : إن في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته ، فوجه إليه ليلاً من الأتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممن في داره ، فوجده في بيت وحده مغلق عليه وعليه مدرعة من شَعَرٍ ، ولا بساط في البيت إلا الرمل والحصى وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجهاً إلى ربه يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد.... ثم قال له : يا أبا الحسن ، أعليك دينٌ ؟ قال : نعم أربعة آلاف دينار ، فأمر بدفعها إليه ، وردّه إلى منزله من ساعته مكرماً " (٣٤) وهذه هي الرواية المذكورة التي ادعى ابن تيمية انها منقطعة الاسناد .

اوليس هذا دليلاً واضحاً على تعدد تحريف ابن تيمية للحقائق وتزييفه للاحداث خصوصاً اذا علمنا ان رواة هذه الرواية هم من الثقات :

١- ابو عبد الله محمد بن عرفة له التصانيف الحسان في الآداب، وكان عالماً بارعاً(٣٥).

٢- محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الازدي البصري ابو العباس المبرد امام العربية ببغداد وصاحب تصانيف وكان فصيحاً بليغاً مفوهاً ثقة اخبارياً علامة (٣٦) .

ب - ان هذه الرواية ذكرها عدد من المؤرخون ولم يكذبها او يضعفها احداً منهم (٣٧) كما لم يطعن احد في المسعودي ولا في تاريخه بل نُقل عنه جملة من اصحاب التواريخ والتراجم في مواضع كثيرة من كتبهم ولم يشيروا الى انه قد عُرف بكثرة الكذب بل اتوا عليه بشتى عبارات التكريم والتبجيل (٣٨) كما زعم ابن تيمية ذلك .

٢- ان ما يؤكد صحة الخبر هو ان المبرد كان معاصراً للامام الهادي ، فقد ولد بالبصرة سنة (٢١٠هـ) وورد سامراء سنة (٢٤٦هـ) بطلب من المتوكل فحضر مجلسه ونال عطاياه ، ولما قتل المتوكل رحل الى بغداد وتوفي بها (٣٩) وقد اورد الذهبي خبره بشكل موجز اذ قال " قال المبرد : قال المتوكل لعلي بن محمد بن الرضا : ما يقول ولد أبيك في العباس ؟ قال : ما تقول يا أمير المؤمنين في رجل فرض الله طاعته على نبيه ، وذكر حكاية طويلة ، وبكى المتوكل وقال لينت منا قلباً قاسية يا ابا الحسن" (٤٠) .

وبهذا يكون قد توثق من عدة مؤرخون وخرج من عهدة المسعودي الى عهدة تلاميذ ابن تيمية كالذهبي وابن كثير ، فهل ان هذا يوثق الرواية في قاموس ابن تيمية ام انه يبقى مصراً على تكذيبها .

ان كل ما تقدم من الادلة واظهار الحقائق يؤكد جملة من الامور اهمها هو انحراف ابن تيمية وفساد معتقده وتطرف ارائه وتعده التضليل ، كما يؤكد ايضاً نهجه العدائي ضد ال الرسول ، اذ انه لا يتورع عن رفض وتكذيب اي رواية تظهر فضلهم ، حتى وان اجمع الجميع على صحتها ، وهذا النوع من التراث هو الذي اوصل الامة الى حالة الشتات والضياح والفرقة والعداء فيما بينها .

الخاتمة :-

اما اهم النتائج التي توصلنا اليها في نهاية بحثنا هذا فمنها :

- ١- محاولة ابن تيمية على امتداد تراثه النيل من خصومه من خلال تكذيبهم وتحريف ما جاءوا من الحقائق حتى وان ادى ذلك الى انفراده بما طرحه من اراء .
- ٢- التواء ابن تيمية على الحقائق من خلال تحريف النصوص وقد اتضح ذلك عندما نسب الى العلامة الحلي ذكر اسم والي بغداد اسحاق بن ابراهيم الطائي الذي وصل اليه يحيى بن هرثمة بن اعين الذي اشخصه المتوكل لأعتقال الامام ، حيث كان بصحبته الامام الهادي عليه السلام ، بينما نجد ان العلامة الحلي قد ذكر ان والي بغداد هو اسحاق بن ابراهيم الطاهري وليس الطائي .
- ٣- ان معظم تراث ابن تيمية له من الخطورة ما يجب على كل مسلم له ادنى اهتمام بالاطلاع على التراث والتاريخ الاسلامي ان يحذر منه غاية التحذير ، وذلك لما له من تبعات سيئة على وحدة المسلمين وتماسك مجتمعاتهم من جانب ، ومن جانب اخر لما له من ثغرة واضحة وسهلة الاستغلال من قبل اعداء الاسلام واصحاب الاغراض السيئة .

قائمة الهوامش :-

كون اننا قد اتينا بمعلومات الطباعة للمصادر المستخدمة في هذا البحث في قائمة الهوامش ، لذا استغنيا عن قائمة المصادر والمراجع .

١- عسكُر سامرا: قد تقدم ذكر سامرا بما فيه كفاية وهذا العسكر ينسب إلى المعتصم، وقد نسب إليه قوم من الأجلاء، منهم علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طلب يكنى أبا الحسن الهادي ولد بالمدينة ونقل إلى سامرا، وابنه الحسن بن علي ولد بالمدينة أيضاً ونقل إلى سامرا فسميا بالعسكريين لذلك فأما علي فمات في رجب سنة (٢٥٤هـ) ومقامه بسامرا عشرين سنة وأما الحسن فمات بسامرا أيضاً سنة ٢٦٠ ودُفنا بسامرا وقبورهما مشهورة هناك ولولدهما المنتظر هناك مشاهد معروفة . ينظر : الحموي ، ابو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي ، (ت : ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، ط ٢ ، دار صادر ، (بيروت - ١٤١٥هـ) ، ج ٣ ، ص ٢٢٨ .

٢- لم يأت في منهاج الكرامة لفظ (يحيى بن هبيرة) وإنما جاء لفظ يحيى بن هرثمة ، ولعل ذلك تصحيفاً أو سهواً ، اما يحيى فهو بن هرثمة بن أعين مولى عند المتوكل العباسي ، وقد أمره المتوكل بإشخاص الإمام الهادي من المدينة إلى سرّ من رأى وكان يرى رأي الحشوية ، ثم تشييع لما رأى من عليّ بن محمد ابن الرضا ما رأى وكان أبوه (هرثمة بن أعين) من قواد المأمون وفي خدمته وكان مشهوراً بالتشييع ومحباً لأهل البيت ومن أصحاب الرضا بل من خواصه وأصحاب سرّه وله روايات كثيرة عنه . ينظر : ابن الصباغ ، عليّ بن محمد بن أحمد المالكي المكي ، (ت : ٨٥٥هـ) ، الفصول المهمة في معرفة الاثمة ، تحقيق : سامي الغريزي ، ط ١ ، دار الحديث للطباعة والنشر ، (قم - ١٤٢٢هـ) ، ج ٢ ، ص ١٠٧٠ ؛ الكوراني ، علي محمد قاسم العاملي ، عصر الشيعة ، ط ١ ، ل.ن. ، (دم - ١٤٣٠هـ) ، ص ٦٧ .

٣- إسحاق بن إبراهيم الطاهري من الأمراء وقادة الجيش عند العباسيين وكان والي بغداد من قبل المتوكل ، والطاهري نسبة إلى طاهر بن الحسين ، وهو قائد جيش المأمون الذي دخل إلى بغداد وقتل أخاه الأمين . ينظر : ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ، (ت : ٧١١هـ) ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، تحقيق : روحية النحاس وآخرون ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، (دمشق - ١٤٠٢هـ) ، ج ٢ ، ص ٥٣ ؛ الكوراني ، عصر الشيعة ، ص ٦٩ .

٤- القرآن الكريم ، سورة التوبة ، آية ٢٥ .

سيرة الامام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في مصنفات ابن تيمية.....

- ٥- العلامة الحلي ، الحسن بن يوسف بن المطهر ، (ت : ٧٢٦هـ) ، منهاج الكرامة في معرفة الامامة ، تحقيق : عبد الرحيم مبارك ، ط ١ ، تاسوعاء ، (قم - ١٣٧٩هـ) ، ص ٦٢ .
- ٦- ابن تيمية ، ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، (ت : ٧٢٨هـ) ، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، ط ١ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية ، (د.م - ١٤٠٦هـ) ، ج ٤ ، ص ٧٥ .
- ٧- ابن شاذان الازدي ، ابو محمد الفضل بن شاذان بن الخليل النيسابوري ، (ت : ٢٦٠هـ) ، الايضاح ، تحقيق : السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث ، ل.ط ، مؤسسة انتشارات،(طهران - ١٣٦٣هـ)، ص ٧٤ .
- ٨- الطبري ، ابي جعفر محمد بن جرير ، (ت : ٣١٠هـ) ، تاريخ الامم والملوك تاريخ الطبري ، تحقيق وتصحيح : نخبة من العلماء الاجلاء ، ل.ط ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، (بيروت - د.ت) ، ج ٧ ، ص ٣٦٥ ؛ ابن مسكويه ، ابو علي الرازي ، (ت : ٤٢١هـ) ، تجارب الامم ، تحقيق : الدكتور أبو القاسم امامي ، ط ٢ ، دار سروش للطباعة والنشر ، (د.م - ١٣٧٩ش) ، ج ٤ ، ص ٢٩٩ ؛ ابن الجوزي ، ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، (ت : ٥٩٧هـ) ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ١٤١٢هـ) ، ج ١١ ، ص ٢٣٧ ؛ ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، (ت : ٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، ل.ط ، دار صادر ، (بيروت - ١٣٨٦هـ) ، ج ٧ ، ص ٥٥ .
- ٩- عبادة المخنث: كان صاحب نوادر ومجون، كان ببغداد، وتوفي في حدود الخمسين ومائتين أو بعدها دخل على المأمون فامتنحه بخلق القرآن فقال: يعظم الله أجرك، فقال: فيمن؟ فقال: في القرآن، فقال: القرآن يموت؟! فقال: أليس بمخلوق؟ وكان يريد بذلك التقرب من المأمون ، ويحكي أنه كان في مجلس أنس المتوكل ليلة قتل، فلما هجموا عليه بالسيوف وقتلوه، قام وزيره الفتح بن خاقان وألقى نفسه عليه وقال: يا أمير المؤمنين لا والله لا عشت بعدك، فقطعوه بالسيوف، فلما رأى ذلك عبادة انزوى وقال: يا أمير المؤمنين إلا أنا، إن لي بعدك أدواراً فضحكوا منه وتركوه . ينظر : الصفدي ، صلاح الدين بن ابيك بن عبد الله ، (ت : ٧٦٤هـ) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : ماهر جرار ، ل.ط ، مؤسسة النشرات الاسلامية ، (بيروت - ١٤١٧هـ) ، ج ٥ ، ص ٣٣٤ .
- ١٠- ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٧ ، ص ٥٥ ؛ ابي الفدا ، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ، (ت : ٧٣٢هـ) ، المختصر في تاريخ البشر تاريخ ابي الفداء ، ل.ط ، دار المعرفة ، (بيروت

سيرة الامام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في مصنفات ابن تيمية.....

- د.ت) ، ج ٢ ، ص ٣٨ ؛ النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، (ت : ٧٣٣هـ) ،
نهاية الارب في فنون الادب ، ل.ط ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، (القاهرة -
د.ت) ، ج ٢٢ ، ص ٢٨٢ ؛ القبانجي ، السيد حسن علي ، شرح رسالة الحقوق للامام زين
العابدين، ط٢، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، (قم - ١٤٠٦هـ)، ص ٣٩٩ .
- ١١- المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت : ٣٤٦هـ) ، مروج الذهب ومعادن
الجوهر ، ط٢ ، منشورات دار الهجرة ، (قم - ١٤٠٤هـ) ، ج ٤ ، ص ١١ ؛ الكراجكي ، ابي
الفتح محمد بن علي ، (ت : ٤٤٩هـ) ، كنز الفوائد ، ط٢ ، مكتبة المصطفوي ، (قم -
١٣٦٩ش) ، ص ١٥٩ ؛ ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر ،
(ت : ٦٨١هـ) ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، ل.ط ، دار
صادر ، (بيروت - د.ت) ، ج ٣ ، ص ٢٧٢ ؛ ابي الفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٤٤ ؛ الذهبي
، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن قايمار ، (ت : ٧٤٨هـ) ، تاريخ الاسلام ووفيات
المشاهير والاعلام ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمري ، ط٢ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت
- ١٤٠٩هـ) ، ج ١٨ ، ص ١٩٩ ؛ ابن كثير ، ابي الفداء الحافظ اسماعيل الدمشقي ، (ت :
٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية في التاريخ ، تحقيق : علي شيري ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ،
(بيروت - ١٤٠٨هـ) ، ج ١١ ، ص ٢٠ .
- ١٢- عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي، بالولاء، أبو العباس أمير
خراسان، من أشهر الولاة في العصر العباسي، أصله من (باذغيس) بخراسان، وكان جده الأعلى
(زريق) من موالي طلحة بن عبد الله (المعروف بطلحة الطلحات) وولي صاحب الترجمة إمرة
الشام مدة ولاء المأمون خراسان، وقد بنى مدينة الكوفني وهي بلدة صغيرة على ستة فراسخ من
أبيورد بخراسان بناها عندما كان أمير على خراسان في خلافة المأمون وظهرت كفاءته فكانت له
طبرستان وكرمان وخراسان والري والسواد وما يتصل بتلك الأطراف، واستمر إلى أن توفي
بنيسابور (وقيل: بمرور) وللمؤرخين إعجاب بأعماله وثناء عليه ، وكان عبد الله من أكثر الناس
بذلاً للمال، مع علم ومعرفة وتجربة، وللشعراء فيه مرث كثيرة ، توفي سنة (٢٣٠هـ) . ينظر :
الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، اشراف وتحقيق : شعيب الارناؤوط وحسين الاسد ، ل.ط ،
مؤسسة الرسالة ، (بيروت - ١٤١٣هـ) ، ج ١٩ ، ص ٢٨٥ ؛ الزركلي ، خير الدين بن محمود
بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، (ت: ١٣٩٦هـ) ، الاعلام ، ط١٥ ، دار العلم للملايين ،
(بيروت - ١٤٢٢هـ) ، ج ٤ ، ص ٩٣ .
- ١٣- ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج ٤ ، ص ٧٩ .

- ١٤- العلامة الحلي ، ص ٦٣ .
- ١٥- المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٨٥ ؛ التتوخي ، القاضي أبي علي المُحسن بن علي ، (ت : ٣٤٨هـ) ، الفرج بعد الشدة ، ط ٢ ، منشورات الشريف الرضي ، (قم - ١٣٦٤هـ) ، ج ١ ، ص ١٣٤ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ١ ، ص ١٧٠ ؛ الكوراني ، عصر الشيعة ، ص ٦٩ .
- ١٦- ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج ٤ ، ص ٨١ .
- ١٧- الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد ، (ت : ٢٠٧هـ) ، المغازي ، تحقيق : د. مارسدن جونس ، ل.ط ، داشن الاسلامي ، (د.ت - ١٤٠٥هـ) ، ج ١ ، ص ٧ .
- ١٨- ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع ابو عبد الله البصري الزهري ، (ت : ٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق : احسان عباس ، ط ١ ، دار صادر ، (بيروت - ١٩٦٨هـ) ، ج ٢ ، ص ٥ .
- ١٩- ابن عبد البر ، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي ، (ت : ٤٦٣هـ) ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط ١ ، دار الجيل ، (بيروت - ١٤١٢هـ) ، ج ١ ، ص ٤٣ .
- ٢٠- ابن سيد الناس ، محمد بن عبد الله بن يحيى ، (ت : ٧٣٤هـ) ، السيرة النبوية المسمى عيون الاثر في فنون المغازي والشمال والسير ، ل.ط ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، (بيروت - ١٤٠٦هـ) ، ج ١ ، ص ٢٩٤ .
- ٢١- قطب الدين الراوندي ، سعيد بن هبة الله ، (ت : ٥٧٣هـ) ، قصص الانبياء ، تحقيق : الميرزا غلام رضا عرفانيان البيدي الخراساني ، ط ١ ، مؤسسة الهادي ، (دم - ١٤١٨هـ) ، ص ٣٥٠ .
- ٢٢- ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج ٤ ، ص ٨١ .
- ٢٣- البيهقي ، ابي بكر احمد بن الحسين بن علي ، (ت : ٤٥٨هـ) ، معرفة السنن والآثار ، تحقيق : سيد كسروي حسن ، ل.ط ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - د.ت) ، ج ٦ ، ص ٥١٠ ؛ الزيلعي ، جمال الدين ابو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد ، (ت : ٧٦٢هـ) ، نصب الراية تخريج أحاديث الهداية ، تحقيق : أيمن صالح شعبان ، ط ١ ، دار الحديث ، (القاهرة - ١٤١٥هـ) ، ج ٤ ، ص ٢٨٩ .
- ٢٤- العياشي ، أبي النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي ، (ت : ٣٢٠هـ) ، التفسير ، تحقيق : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، ل.ط ، المكتبة العلمية الإسلامية ، (طهران - د.ت) ، ج ٢ ، ص ٧٣ ؛ ابن ابي زمنين ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المري (ت : ٣٩٩هـ) ، التفسير ، تحقيق : ابو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز ، ط ١ ،

سيرة الامام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) في مصنفات ابن تيمية.....

- الفاروق الحديثه ، (القاهرة - ١٤٢٣هـ) ، ج ٢ ، ص ١٩٣ ؛ العز بن عبد السلام ، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ، (ت : ٦٦٠هـ) ، التفسير ، تحقيق : الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي ، ط ١ ، دار ابن حزم ، (بيروت - ١٤١٦هـ) ، ج ٢ ، ص ٥ ؛ القرطبي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، (ت : ٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني ، ل.ط. ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت - د.ت) ، ج ٨ ، ص ٦١ ؛ الكاشاني ، فتح الله بن شكر الله الشريف ، (ت : ٩٨٨هـ) ، زبدة التفسير ، تحقيق ونشر : مؤسسة المعارف الإسلامية ، ط ١ ، (قم - ١٤٢٣هـ) ، ج ٣ ، ص ٧٤ .
- ٢٥- ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج ٤ ، ص ٨٢ .
- ٢٦- القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، آية ١٧٤ - ١٧٥ .
- ٢٧- القرآن الكريم ، سورة القمر ، آية ٥٥ .
- ٢٨- القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، آية ١٥٥ - ١٥٦ .
- ٢٩- ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج ٤ ، ص ٨٢ .
- ٣٠- الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي ، (ت : ٤٦٣هـ) ، تاريخ بغداد ، ل.ط. ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - د.ت) ، ج ١٢ ، ص ٥٧ ؛ السمعاني ، أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ، (ت : ٥٦٢هـ) ، الانساب ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، ط ١ ، دار الجنان ، (بيروت - ١٤٠٨هـ) ، ج ٤ ، ص ١٩٦ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٢ ، ص ٧٥ ؛ المرعشي ، السيد نور الله الحسيني المستري ، (ت : ١٤١١هـ) ، شرح احقاق الحق وازهاق الباطل ، تحقيق : السيد شهاب الدين المرعشي النجفي ، ل.ط. ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ، (قم - د.ت) ، ج ٣٣ ، ص ٨٨٠ .
- ٣١- ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج ٤ ، ص ٨٤ .
- ٣٢- ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج ٤ ، ص ٨٤ .
- ٣٣- ورد في بعض المصادر بلفظ " وما يقول ولد ابي يا امير المؤمنين في رجل افترض الله طاعة نبيه على خلقه وافترض طاعته على نبيه " . ينظر : الاربلي ، أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح ، (ت : ٦٩٣هـ) ، كشف الغمة في معرفة الائمة ، ط ٢ ، دار الاضواء ، (بيروت - ١٤٠٥هـ) ، ج ٣ ، ص ١٦٨ .
- ٣٤- المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٠ - ١١ .
- ٣٥- ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٤٧ .

- ٣٦- الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ٢ ، ص ١٦٩ .
- ٣٧- المسعودي ، مروج الذهب ج ٤ ، ص ١١ ؛ الكراجكي ، كنز الفوائد ، ص ١٥٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٢٧٢ ؛ ابي الفداء ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٤٤ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ١٨ ، ص ١٩٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٢٠ .
- ٣٨- الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ٦ ، ص ٢٦٣ ؛ السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين ، (ت : ٧٧١هـ) ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو ، ط ٢ ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د.م - ١٤١٣هـ) ، ج ٣ ، ص ٤٥٦ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج ٤ ، ص ٢٧٧ .
- ٣٩- ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٤ ، ص ٣١٣ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ٢ ، ص ١٩٩ ؛ ابن حجر العسقلاني ، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد، (ت : ٨٥٢هـ) ، لسان الميزان ، تحقيق : دائرة المعارف النظامية ، ط ٢ ، مؤسسة الاعلامي للمطبوعات ، (بيروت - ١٣٩٠هـ) ، ج ٣ ، ص ١٦٦ ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج ٧ ، ص ١٤٤ .
- ٤٠- الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ١٨ ، ص ١٩٩ .

**طبغات الاختام الاسطوانية
على النصوص المسماة الاقتصادية
غير المنشورة من نهاية الالف الثالث
قبل الميلاد**

**أ.د. نوال احمد المتولي
أفراح جاسم أحمد
جامعة بغداد / كلية الآداب
قسم الآثار**

طبغات الاختتام الاسطوانية على النصوص المسمارية الاقتصادية غير
المنشورة من نهاية الالف الثالث قبل الميلاد

أ.د. نوال احمد المتولي

أفراح جاسم أحمد

المقدمة

صناعة الاختتام^(١)، سواء المنبسطة ام الاسطوانية واحدة من الصناعات التي انفردت بها بلاد الرافدين من حيث القدم، وهي من اهم المقومات الحضارية ، الى جانب اختراع الكتابة (منتصف الالف الرابع قبل الميلاد)، فقد عرفت صناعة الاختتام فيها منذ زمن مبكر من تاريخها، وسبق وجودها اختراع الكتابة التي عرفت في منتصف الالف الرابع قبل الميلاد، وكان ذلك في نهاية العصور المعروفة بعصور قبل التاريخ، وعرف العصر الذي اخترعت فيه الكتابة "بالعصر الشبيه بالكتابي" علماً ان صناعة الاختتام المنبسطة سبقت الاختتام الاسطوانية في تاريخ وجودها وصناعتها^(٢).

عملت الاختتام من مواد عدة، إلاَّ إنَّ الاحجار كانت بالدرجة الاساس، فقد عملت الاختتام من احجار متنوعة منها الثمينة ومنها نصف الثمينة ومنها الاحجار الاعتيادية، ويتبع ذلك المنزلة الادارية والاجتماعية لصاحب الختم، فقد عملت الاختتام الملكية على سبيل المثال من حجر اللازورد مثلاً او من العقيق الاحمر او

المعرق او من حجر الديورايت وغيرها من الاحجار^(٣)، وعملت الاختتام للطبقات الادنى من احجار اخرى اقل قيمة وهكذا، وغلف البعض من الاختتام باطار من الذهب، وافضل مثال على ذلك ختم الحاكم مسكلام- دك الذي عثر عليه ضمن موجودات المقبرة الملكية في مدينة اور والعائدة الى عصر السلالات السومرية^(٤).

طبغات الاختتام الاسطوانية على النصوص المسمارية الاقتصادية غير المنشورة من نهاية الالف الثالث قبل الميلاد.....

اصبح الختم الاسطواني من المقتنيات الشخصية الضرورية للفرد في بلاد الرافدين، وهو يعبر عن شخصية وهوية الفرد الذي يحمله، وان فقدانه يعد مسألة قانونية لا بد من الاعلان عنها بشكل قانوني، لكي لا يتم استعماله من قبل شخص اخر^(٥). ويختلف الختم من شخص لآخر باختلاف نوع الحجر والمشهد المنفذ عليه، هذا فضلاً عن كونه من المقتنيات الشخصية للفرد يقوم مقام التوقيع في وقتنا الحاضر^(٦)، ولا يسعنا هنا الخوض في موضوع المشاهد لانه موضوع واسع وطويل، الا انه يمكن القول انها تنوعت بين المشاهد الهندسية والدينية ومشاهد صراع الحيوان مع الحيوان والانسان مع الحيوان^(٧)، ومنها ما تضمن مشاهد لقصص واساطير عرفت ادبيات بلاد الرافدين، ما يزيد من اهمية دراسة الاختام، فضلاً عن المشاهد الفنية المنفذة على قطعة الحجر، فقد اضاف الكاتب نصاً مسمارياً يذكر فيه اسم صاحب الختم ومهنته وبعض العبارات التكريسية اما للملوك او للحكام او للآلهة^(٨)، تلك الكتابات المقتضبة كان لها اهمية كبيرة وقيمة في التعريف ببعض المعلومات واسماء الاشخاص والملوك والحكام واسماء المهن والحرف، خلاصة القول ان اهمية الختم تكمن ليس فقط في المشاهد المنفذة انما تعد مصدراً هاماً في التعريف ببعض الجوانب الحضارية والدينية والاقتصادية وغيرها، فيما ورد عليها من كتابات وان كانت مقتضبة كما قلنا، وبعبارة اخرى باتت دراسة طبغات الاختام مسألة وموضوعاً هاماً لا بد من الاخذ به ومراعاته عند دراسة النصوص المسمارية^(٩).

لم تقتصر الكتابات على الاختام الاسطوانية على مرحلة او عصر من العصور الزمنية التي مرت بتاريخ بلاد الرافدين، انما نلاحظ ان الكتابات كانت مستمرة على مدى تلك العصور الزمنية وان اختلفت في طريقة تدوينها^(١٠)، ولا تخلو النصوص ذات المضامين الاقتصادية، بشكل خاص، من طبغات الاختام عليها، ومما تحمله من ذكر لأسماء اصحابها، ولا يقتصر الامر على ذكر الاسم فقط بل غالباً ما تذكر مهنة الشخص الوارد اسمه ايضاً، وبعض العبارات التكريسية مع ذكر لاسماء

طبغات الاختتام الاسطوانية على النصوص المسمارية الاقتصادية غير المنشورة من
نهاية الالف الثالث قبل الميلاد.....

ملوك او حكام او آلهة، ولم يقتصر حمل الختم على الرجال فقط بل عرفت بعض النساء بامتلاكها للختم ايضاً^(١١)، وبالنظر لما ورد من طبغات لاختتام اسطوانية على نصوص هذه الدراسة، لذا فقد ارتيأنا ان نخصص مبحثاً لها.

في ادناه جدول بارقام الرقم الطينية غير المنشورة (موضوع الرسالة) التي تحمل طبغات اختتام اسطوانية وهي:

رقم النص	رقم المتحف العراقي	ت
٢	٢٠٤١٩٥ م ع	١.
٤	٢١٢٣٧٥ م ع	٢.
٥	٢١٢٤٥٢ م ع	٣.
٧	٢٠٤٠٥٥ م ع	٤.
٨	٢٠٤٣٠٦ م ع	٥.
٩	٢٠٤١٦١ م ع	٦.
١٠	٢٠٤٤٦٦ م ع	٧.
١٧	٢١٢٧٨٥ م ع	٨.
١٨	٢٠٥٠٦٧ م ع	٩.
١٩	٢٠٤٨٣٥ م ع	١٠.
٢٠	٢٠٤٨٧١ م ع	١١.
٢١	٢٠٣٣٥٠ م ع	١٢.
٢٢	٢٠٤١٥٢ م ع	١٣.
٢٣	٢٠٤٨٤٣ م ع	١٤.
٢٤	٢١٢١٦٠ م ع	١٥.

٢٥	٢٠٤٠٣١ م ع	١٦.
٢٦	٢٠٤٢٨٧ م ع	١٧.
٢٧	٢٠٤٨٧٩ م ع	١٨.
٢٨	٢١٢٩٧٥ م ع	١٩.
٢٩	٢٠٤٣١٦ م ع	٢٠.
٣٠	٢١٢٧٣٩ م ع	٢١.

طبغات الاختتام الاسطوانية

من الملاحظ على طبغات الاختتام الاسطوانية التي وردتنا في نصوص الدراسة انها متداخلة مع كتابة النص احياناً فهذه تعد من مميزات طبغات الاختتام الاسطوانية من عصر اور الثالثة، فيصعب احياناً قراءة العلامات الواردة على الطبعة لتداخل العلامات مع النص الكتابي للرقيم ، ومن مميزات طبغات الاختتام على الرقم من هذه السلالة ان الطبعة تأتي متكررة على وجه الرقيم وقفاه، مما يساعد احياناً على قراءة النص الوارد على الطبعة فيما اذا كان الرقيم ناقصاً او فقد جزءاً منه او ان الطبعة في بعض الاماكن من الرقيم غير واضحة.

اما المشاهد الفنية المنفذة عليها فهي من المشاهد المعتادة لاختتام سلالة اور الثالثة وهي في الغالب مشاهد التقديم للاله او للملك المؤله من قبل اله او الهة وسيطه وهي في المعتاد الالهة لاما المعروفة انها الالهة الداعية التي تظهر دائماً وهي ترفع كلتا يديها للتوسل او للدعاء، كما لوحظ على اختتام الدراسة انها اما تتألف من عمود واحد او من عمودين، وفي هذه الحالة يكون بداية نص الختم باسم الملك والقابه ومن ثم اسم صاحب الختم ومهنته وفي احيان كثيرة يذكر اسم والده، وهذا النوع من الكتابات الواردة على الاختتام يعد من الكتابات الملكية او المكرسة للملك^(١٢).

فيما يأتي شرح للطبغات الواردة على النصوص موضوع الدراسة مع قراءات
النصوص الواردة عليها:

النص رقم ٢ (٢٠٤١٩٥ م ع)

وصف الطبعة:

مشهد الطبعة على نصنا هنا غير واضح، والواضح منها هو النص المسماري الذي
يتألف من اربعة اسطر، الا ان المشهد في النصوص المنشورة العائدة لسلالة اور
الثالثة^(١٣)، يشير الى ان الطبعة تتضمن مشهد تقديم للاله جالس على عرش وتظهر
امامه الالهة لاما الداعية، وهي ترتدي التاج المقرن وترفع يدها اليسرى امام وجهها
وتمسك بشخص اخر خلفها بيدها اليمنى، وعند ركبة الاله الجالس تظهر انية ذات
قاعدة ورقبة طويلة ولها مصب هي ما تسمى بانية السكب المقدس، وامام وجه الاله
الجالس يظهر شكل الهلال وقرص الشمس، وخلف الاله الجالس توجد كتابة مسمارية
مؤلفة من اربعة اسطر تتضمن الآتي :

ur-ib-gal	اور-اب-كال
dub-sar	الكاتب
Dumu ur-gi ₆ -par ₄	ابن اور-كي-بار
Guda ₄ d ^d inanna	كاهن الإلهة اينانا

ظهرت طبعة المدعو اور-اب-كال في نصوص ذات مضامين اقتصادية
تتعلق بمواد مختلفة، كالجعة والتمور والخبز والقصب والماشية وجلودها ، ومنها تتعلق
بعمال كوروش مؤرخة في السنة الاولى شو سين^(١٤)، وهذه النصوص مؤرخة بزمان
حكم الملك شو سين^(١٥). علماً ان هناك شخصية اخرى وردت بالاسم نفسه ونفس اسم

طبغات الاختام الاسطوانية على النصوص المسمارية الاقتصادية غير المنشورة من
نهاية الالف الثالث قبل الميلاد.....

الاب والمهنة، الا انه لم يذكر انها كاهن الالهة اينانا، ولا نستطيع ان نجزم انها الشخصية نفسها ام لا، وان النصوص التي ذكرتها او التي وردت طبعة الختم عليها مؤرخة في السنتين الاخيرتين من حكم شولكي (٤٧-٤٨) وجميع النصوص تتعلق بالقصب^(١٦).

اما بخصوص السطر الاخير، والمفردة (guda₄ or gudu₄) ^(١٧) فلها معان عدة منها: "طقس عقائدي"، ثياب من كتان للكهنة المسؤولين عن طعام الالهة"، وكذلك من معانيها هو "نوع من الكهنة من طبقة متدنية" (a low ranking priest)^(١٨) ،

النص رقم ٤ (٢١٢٣٧٥ م ع)
وصف الطبعة: غير واضحة

Ur-xx	اور-....
dub-sar	الكاتب
Dumu xxxx	ابن....

ما تبقى من الطبعة هو المقطع الاول من اسم صاحب الختم، ومهنته. والمفردة ابن.

النص رقم ٥ (٢١٢٤٥٢ م ع)
وصف الطبعة:

تمثل مشهد تقديم لاله جالس على عرش، وفي الغالب انه مشهد تقديم، الا ان بقية الطبعة غير واضحة، وخلف الاله الجالس كتابة مسمارية مؤلفة من سطرين على الاغلب؟

Lu ₂₂ -e ₂₂	لو - اي
dumu bi ₂₂ -du ₁₁ -ga	ابن بي - دك - كا

لم تشر طبغات الاختتام الواردة على الرقم الطينية من سلالة اور الثالثة الى اسم هذا الشخصية، ففي الغالب وردت صيغة مقاربة هو (lu₂₂-e₂₂-mahh) لو - اي - ماخ، وذكر بانه الكاتب ابن اور ليسى حاكم اوما^(١٩). الا ان طبغات الاختتام اشارت الى طبعة ختم والده المدعة بي - دوكا، وذكرت طبعته انه كاتب وابن "لا - أ - شا" (bi₂₂-du₁₁-ga dub-sar dumu la-a-šša₆)، وجاءت طبعة ختم على نصوص مسمارية مؤرخة بسنوات حكم شولكي وتحديدًا السنوات ما بعد السنة الاربعين من حكمه، ومن ثم سنوات حكم امارسين وشو سين ومضامين النصوص هي عمال الكوروش والقصب^(٢٠).

النص رقم ٧ (٢٠٤٠٥٥ م ع)
وصف الطبعة:

ur-d ^d š ^d ara ₂	اور - شارا
dub-sar	الكاتب
Dumu xxx	ابن.....

في الحقيقة ان هناك اكثر من شخصية وردت في نصوص سلالة اور الثالثة (ur-d^dš^dara₂₂) fhbsl ktsi ، ورد ذكرهم مع مهن عدة، كما ان طبغات الاختتام الاسطوانية التني وردتنا على الرقم الطينية اشارت كذلك الى اكثر من شخصية الا

ان اغلبهم ذكروا على انهم "كاتب"، ان التسمية اختلفت من حيث ذكر اسم الاب،
فذكر المدعو "اور-شارا ابن لوكال نيساك" (ur-dšara₂₂ dumu lugal-) و"اور شارا ابن نيكاركيدو" (ur-dšara₂₂ dumu nigar-ki-du)،
و"اور شارا ابن شيشكال" (ur-ššara₂₂ dumu ššešš-kal-la)، والمدعو
"اور شارا ابن اور اين..." (ur-dšara₂₂ dumu ur-en-x)، وكذلك "اورشارا
ابن اور نن..." (ur-dšara₂₂ dumu ur-nin-x)، و "اور شارا ابن اورنكال"
(ur-dšara₂₂ dumu ur-dnin-gal)، و "اور شارا ابن لوكال اتيدا" (ur-dšara₂₂ dumu lugal-iti-da)،
وكل المسميات التي ذكرناها وردت في نصوص
مؤرخة في السنوات الاخيرة من حكم شولكي ومن ثم سنوات حكم الملكين امارسين
وشوسين^(٢١). وعليه لا يمكننا الجزم هنا بشكل قاطع ابن من يكون اور شارا
المذكور هنا.

النص رقم ٨ (٢٠٤٣٠٦ م ع) و النص رقم ١٠ (٢٠٤٤٦٦ م ع)
وصف الطبعة:

E ₂₂ -gal-e-si	اي - كال - اي - اسي
dub-sar	الكاتب
dumu ur-ku ₃₃	ابن اور - كو

وردت شخصيتان بالاسم ذاته، احدهما يدعى "ايكال اسي الكاتب ابن لو-شارا"
(e₂₂-gal-e-si dub-sar dumu lu₂₂-dšara₂₂)^(٢٢)، والثاني هو
الشخصية التي وردت في نصنا هنا، والطبعة ذاتها التي وردت بهيئة اله جالس
على عرش وامامه رمزي القمر والشمس ويتقدم اليه شخص او الهة تسحب بيدها

طبغات الاختام الاسطوانية على النصوص المسمارية الاقتصادية غير المنشورة من نهاية الالف الثالث قبل الميلاد.....

شخص اخر، وهو من المشاهد المعتادة في طبغات اختام اور الثالثة، وخلف الاله الجالس عمود او سارية يظهر في اعلاها حيوان مجنح وخلف العمود تظهر كتابة مسمارية مؤلفة من ثلاثة اسطر تضمن السطر الاول اسم صاحب الختم والثاني مهنته اما السطر الثالث فكتب عليه اسم والده.

وردت هذه الطبعة على نصوص اقتصادية مؤرخة في السنة الاخيرة من حكم شولكي ومن ثم السنتان السادسة والسابعة من حكم امار سين والسنة الثانية من حكم شو سين والثالثة والرابعة والسابعة من حكمه تضمنت النصوص موضوعات تتعلق بالعمال ولاسيما عمال كوروش^(٢٣).

النص رقم ٩ (٢٠٤١٦١ م ع)
وصف الطبعة:

لم يتضح شيء من مشهد الطبعة الا النص الكتابي على الطبعة تألف من ثلاثة اسطر، تضمن اسم صاحب الختم واسم والده ومهنته، وهي كالآتي:

mu-ni	مو- ني
dumu a-a-kal-la	ابن أ-أ-كال-لا
guda ₄ d ^d nin-ur ₄ -ra ^(٢٤)	كاهن الالهة نن-اور-را

ظهرت هذه الطبعة على نصوص اقتصادية مؤرخة في سنوات حكم امارسين (السنوات ٧-٩) وشوسين (السنوات ١ و ٣-٤ و ٩) وابي سين (السنتان ١ و ٣)، اما مضامين النصوص التي ذكرته فتنضمن الجعة والقصب، وتشير طبغات الاختام على الرقم المنشورة الى ان مشهد الطبعة هو مشهد تقديم الى الاله الجالس ذو التاج المقرن^(٢٥).

النص رقم ١٧ (٢١٢٧٨٥ م ع)

وصف الطبعة:

ur-d ^d nin-tu	اور - نن - تو
dub-sar	الكاتب
dumu a-ab-ba-ni	ابن أ - أب - با - ني

وردت طبعة الختم على نصين احدهما بلا تاريخ والثاني مؤرخ في السنة الثانية من حكم شو سين، علما ان الطبعة الاولى غير كاملة ولا يعرف اسم والده لان الاسم مفقود بالكامل، اما الطبعة الثانية فقد ذكرت انه ابن أبا كاهن شبرا، وعلى ما يبدو هناك اختلاف بين هذه الطبعة والطبعة التي بين ايدينا، إذ إنَّ الطبعة المنشورة ذكرت ان اور - نننو هو ابن المدعو "أ - أ - با"، بينما ورد في نص طبعتنا انه ابن "أ - أ - با - ني"، ولم تذكر كاهن "شبرا" (ššabra) (٢٦).

النص رقم ١٨ (٢٠٥٠٦٧ م ع) و النص رقم ٢٨ (٢١٢٩٧٥ م ع)

وصف الطبعة:

لا يتضح وجود مشهد الطبعة باستثناء العلامات المسمارية التي تؤلف النص الكتابي على الطبعة والتي تداخلت مع النص الكتابي الوارد على الرقيم، ونص الطبعة مؤلف من عمودين ورد عليهما الآتي:

Col. I	Col. II
d ₅ ^d ₅ u-d ^d su'en	da-da-ga
lugal-kal-ga	Ensi ₂₂

طبغات الاختتام الاسطوانية على النصوص المسمارية الاقتصادية غير المنشورة من
نهاية الالف الثالث قبل الميلاد.....

lugal uri ^{ki} ₅ ^{ki} ₅ -ma	Umma ^{ki} _{ki}
lugal an-ub-/ Da-limmu-ba	Ir-zu

العمود الثاني	العمود الاول
دا - دا - كا	شو-سين
حاكم	الملك القوي
مدينة اوما	ملك اور
عبدك	ملك الجهات الاربعة

ذكرت نصوص اور الثالثة اكثر من شخصية باسم "داداكا" (da-ga-ga)،
إلاَّ إنَّ اهم تلك الشخصيات هو المعروف بانه حاكم مدينة اوما، وطبعة الختم هنا
هي من الاختتام الملكية المكرسة الى الملك شو سين، والمعروف ان له ختمان
الاول مسجل تحت اسم الملك شو سين والثاني ذكر فيه اسم الملك ابي سين،
والختمان تتالف من عمودين يرد في الاول اسم الملك والقابه، وفي العمود الثاني
اسم الشخصية ولقبه ويشير في السطر الاخير الى انه "خادم او عبد الملك"،
وتفسير وجود الختمين هو ان الختم الاول ذكر اسم شو سين وورد على نص
مؤرخ في السنة التسعة والاخيرة من حكمه، وعندما توفي شو سين وتسلم ابي سين
الحكم، اضطر الحاكم داداكا الى تغيير ختمه وكتابة اسم الملك الجديد عليه،
وظهر طبعة الختم على نصوص مؤرخة في السنة الثانية من حكم ابي سين^(٢٧).
ودادكا هذا هو ابن كودودو (gu-du-du) حاكم مدينة اوما^(٢٨).

النصوص من ١٩-٢٧

رقم النص ١٩ (٢٠٤٨٣٥ م.ع)

رقم النص ٢٠ (٢٠٤٨٧١ م.ع)

رقم النص ٢١ (٢٠٣٣٥٠ م.ع)

رقم النص ٢٢ (٢٠٤٧٥٢ م.ع)

رقم النص ٢٣ (٢٠٤٨٤٣ م.ع)

رقم النص ٢٤ (٢١٢١٦٠ م.ع)

رقم النص ٢٥ (٢٠٤٠٣١ م.ع)

رقم النص ٢٦ (٢٠٤٢٨٧ م.ع)

رقم النص ٢٧ (٢٠٤٨٧٩ م.ع)

وصف الطبعة:

مشهد لملك او حاكم جالس على عرش وامامه الالهة الداعية (في الغالب
الالهة لاما) وبينهما يتوسط في الالهة رمز اله القمر والشمس، وخلف الشخص
الجالس توجد سارية او عمود يعلوها صورة اسد، وخلف المشهد توجد كتابة مؤلفة
من عمود واحد بثلاثة اسطر، كتب في الاول اسم صاحب الختم وفي الثاني
مهنته، واسم والده في السطر الثالث، واسفل النص الكتابي توجد صورة اسدان
متقاطعان عند منطقة البطن، والنص المسماري هو:

ur-d ^{dx} šara ₂₂	اور - شارا
dub-sar	الكاتب
dumu lu ₅ -lu ₅ -ni	ابن لو - لو - ني

سبق القول ان هناك اكثر من شخصية بالاسم اور-شارا (ينظر النص ٢ و
٧)، الا انها ليست ذات الشخصية من خلال اسم الاب على الرغم من انهم ذكروا مع
مهنة الكاتب.

ظهرت هذه الطبعة في نصوص مؤرخة في السنتين الاخيريتين من حكم الملك
شولكي وسنوات حكم امار سين والسنوات الاربع الاولى من حكم شو سين في نصوص
التسلم التي تتعلق بالاشخاب والقصب والجلود، وفي نصنا هنا تظهر في نص مؤرخ
في السنة الرابعة من حكم ابي سين، وهذا يعني ان هذه الشخصية قد استمرت في
عملها حتى حكم اخر ملوك سلالة اور الثالثة فيما تسلم مواد مختلفة من اشخاص
عدة^(٢٩).

النص رقم ٢٨ (٢١٢٩٧٥ م ع) ينظر طبعة النص ١٨

النص رقم ٢٩ (٢٠٤٣١٦ م ع)
الطبعة :

على ما يبدو انه لا توجد اي دلالة لوجود مشهد نحت، فقط ظهرت الكتابة في
طبعة الختم على الرقيم وتتضمن ثلاثة اسطر ورد في الاول اسم صاحب الختم والثاني
مهنته واسم والده في الحقل الثالث، ومن خلال النصوص المسمارية وطبغات الاختام
الواردة عليها ظهر ان هناك اكثر من شخصية تحمل اسم "اور سين" ذكرت احيانا
مهنته واسم والده، وفي احيان اخرى ذكر اسم والد الشخصية فقط.

Ur-d ^d su'en	اور-سين
dub-sar	الكاتب
dumu lu ₂₂ - x	ابن لو-.....

اور سين من الاسماء التي تتواردت كثيراً في نصوص سلالة اور الثالثة،
بالرغم من ان غالبية الاسماء قد ذكرت مع مهنة الكاتب، وقد ذكرت شخصيات عدة
منهم:

اور سين ابن اور دينكيرا الكاتب (ur-d^dsu'en dumu ur-dingir-ra dub-
(sar

اور سين الكاتب ابن اور- اي نونا (ur-d^dsu'en dub-sar dumu ur-e₂₂-
(nun-na

اور سين الكاتب ابن اور- اي -اي (ur-d^dsu'en dub-sar dumu ur-e₁₁-
(e

اور سين ابن لو شارا المشرف على بيت الملكة (ur-d^dsu'en dumu lu₂₂-d^s
(šara₂₂ nu-banda₃ e₂-nin

اور سين الكاتب ابن نادي (ur-d^dsu'en dub-sar dumu na-di)

اور سين ابن كو... دو (ur-d^dsu'en dumu gu....- du)

اور سين الكاتب ابن شيش كالا (ur-d^dsu'en dub-sar dumu ššešš-kal-
(la

اور سين الكاتب ابن اور-باو (ur-d^dsu'en dub-sar dumu ur-d^dba-u₂₂)

اور سين ابن اور كيكير (ur-d^dsu'en dumu ur-gi^šgigir) (٣٠).

ذكرت اسماء تلك الشخصيات في نصوص مؤرخة بسنوات حكم شولكي (٣٤، ٣٦،
٤٨) وسنوات امارسين (٢ و ٣ و ٥ و ٦ و ٨ و ٩) وشوسين (١-٣، و ٦) (٣١).

اما الشخصية المذكورة هنا فمن المحتمل انها اور سين الكاتب ابن لو شارا الا
انه لم ترد في نص الطبعة انه المشرف، لذلك فاننا غير متاكدين تماماً، وربما تكون
هناك شخصية اخرى.

النص رقم ٣٠ (٢١٢٧٣٩ م ع)

وصف الطبعة: غير واضحة وما بقي منها هو الآتي:

ur-lu ₂ -	اور - لو -
	
dumu	ابن

الهوامش:

- (١) حول صناعة الختم والالات المستعملة في صناعته ومراحي صنعه ينظر:
ريا محسن عبد الرزاق، الكتابة على الاختتام الاسطوانية، رسالة ماجستير غير
منشورة، جامعة بغداد - كلية الاداب، ١٩٨٧، ص ٢٠ وما بعدها وكذلك ٢٦،
وعن كيفية تعديل الكتابة على الحجر بشكل عام وعلى الاختتام بشكل خاص
ينظر: الساعدي، محمد عيسى جعفر، اللقى الاثرية المكتوبة اكتشافها ومعالجتها
واهميتها في الدراسات الاثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية
الاداب، ٢٠١٥، ص ٥٧ وما بعدها و ٥٩ وما بعدها.
- (٢) ناجي، عادل، "الاختام الاسطوانية"، في موسوعة حضارة العراق، الجزء ٤، بغداد،
١٩٨٥، ص ٢٢٠
- (٣) الساعدي، محمد عيسى جعفر، المصدر السابق، ص ٤٨ وما بعدها
- (٤) باقر، طه، المصدر السابق، ١٩٨٦، ص ٢٧٧ وما بعدها
- (٥) Fadil A. Ali, "Blowing the Horn for Official Announcement",
Sumer-20, 1964, p. 66ff
- (٦) رشيد، صبحي انور، تاريخ الفن في العراق القديم، الجزء الاول، فن الاختتام
الاسطوانية، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٣

طبغات الاختام الاسطوانية على النصوص المسمارية الاقتصادية غير المنشورة من
نهاية الالف الثالث قبل الميلاد.....

(٧) رشيد، صبحي انور وحياة عبد علي ، الاختام الاكديّة في المتحف العراقي، بغداد، ١٩٨٢، ص ١٦

(٨) آل يونس، المصدر السابق، ١٩٨٧، ص ٢٧

(٩) المصدر نفسه، ، ص ٣٢ وما بعدها

(١٠) المصدر نفسه، ، ص ٨٣ وما بعدها

(١١) عثر في قبر الملكة السومرية بو-ابي على ثلاثة اختام اسطوانية مصنوعة من حجر اللزورد يحمل احد تلك الاختام اسمها ولقبها ، ينظر: عقراوي، ثلما ستيان ، المرأة ودورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، بغداد، ١٩٧٨، ص ٢١٩.

كما يشار الى ان لكل من سي-أ-تم و كوباتم و ابي سيمتي الزوجات الملكيات من سلالة اور الثالثة قد وردت اسمائهن على طبغات اختام اسطوانية كونهن يمتلكن اختام ويعملن في ادارة الشؤون الاقتصادية للدولة انذاك، ينظر

Steinkeller, P., "More on Ur III Royal Wives", ASJ-3, Hiroshima, Japan, 1981, p. 77ff

(١٢) آل يونس، المصدر السابق، ، ص ١٢١

13) Mayr, R., The Seal Impressions of Ur III Umma, p. 299

14) MVN 14: 520; SACT 2, 90

15) Mayr, op-cit, p. 299

16) Mayr, op-cit, p. 298

(١٧) في اللغة الاكديّة يعرف هذا النوع من الكهنة بـ (pašīšum) ينظر:

CDA, p. 269; Halloren, op-cit, p. 91

(١٨) حسين، ليث مجيد، الكاهن في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٩٩١، ص

19) Mayr, op-cit, p. 297

20) Mayr, op-cit, p. 225f

21) Mayr, op-cit, p. 477ff

٢٢) حول طبعة ختم هذه الشخصية والتي وردت على نص مؤرخ في سنة امارسين ٩
ينظر:

Tohru, G., Selected Neo-Sumerian Administrative Texts from the
British Museum, Japan, 1990, p. 168, No. 433

23) Mayr, op-cit, p. 478

٢٤) الالهة نن-اورا: هي الهة مدينة اوما، وعبدت فيها وفي المدن التابعة لمقاطعة
اوما، وعدت زوجة لاله شارا اله المدينة، ذكر اسمها في نصوص العصور السومرية
المبكرة ومن موقع ابو الصلابيخ، وذكرتها نصوص لكش ونصوص لوكال زاكيزي،
للمزيد ينظر:

A. Cavigneaux - M. Krebern timer, "Nin-ura", RIA-10, 2001, p. 510

25) Mayr. Op-cit, p. 380-f

26) Mayr, op-cit, p. 459

27) Mayr, op-cit, p. 233,

28) Frayne, RIME 3/2, p. xii

29) Mayr, op-cit, p. 474 ff

30) Limet, op-cit, p.1118; 559; Mayr, op-cit, p. 469ff

31) May, ibid

المصادر العربية :

- ١- الساعدي ، محمد عيسى جعفر ، اللغة الاثرية المكتوبة اكتشافها ومعالجتها وأهميتها في الدرات الآثارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠١٥.
- ٢- آل يونس، ريا محسن عبد الرزاق، الكتابة على الاختتام الاسطوانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٧.
- ٣- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١، ط ٢، بغداد، ١٩٧٣.
- ٤- حسين، ليث مجيد، الكاهن في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩١.
- ٥- رشيد ، صبحي أنور وحياء عبد علي، الاختام الأكدي في المتحف العراقي، بغداد، ١٩٨٢.
- ٦- رشيد، صبح أنور، تاريخ الفن في العراق القديم، ج ١، فن الاختتام الاسطوانية، بيروت، ١٩٦٩.
- ٧- ناجي ، عادل، "الاختام الاسطوانية" ، في موسوعة حضارة العراق ، ج ٤، بغداد، ١٩٨٥.

المصادر الاجنبية:

- 1- Fadil, A. Ali "Blowing the Horn For official Announcement", Summer – 20, 1964.
- 2- Steinkeller, P. "More on Ur 111 Royal Wives", ASJ – 3, Hiroshima, Japan , 1981.
- 3- Mayr, R, the Seal Impression of Ur 111 Umma.
- 4- Black, G, et –al, Aconcise Dictionary of AKKadian, Wiesbaden, (CDA), 1999.

- 5- Tohru, G, Selected Neo- Sumerian Administrative texts from the British museum, Japan, 1990.
- 6- A. Cavigneaux – M. K rebernik, "Nin- ura", RIA-10-2001.
- 7- Limet, H. L'anthropoymie Sumeriene dans les Documents de La 3 Dynastied' Ur, Paris, 1968.
- 8- Halloren, J.A. Sumerian Lexicon A Dictionary Guide to the Ancient Sumerian Languages, (SL) Los Angeles, 2006.
- 9- Yaldiz, F.A. et-al, Die Umma texts Aus Den Archaeologis – chen Museenzu Istanbul, Nr (1-600) MVN-14, Rome, 1988.
- 10- Sigrist, M., Sumerian Archival Texts, (SAT 11) CDL, Press, 2000.

**ظهور الدعوة الإسماعيلية
في اليمن**

أحمد زاجي شدهان الزيدي

**الجامعة المستنصرية
كلية التربية / قسم التاريخ**

ظهور الدعوة الإسماعيلية في اليمن

أحمد زاجي شدهان الزيدي

Abstract

This research involves the study of the roots of Shiism in Yemen since the beginning of the rise of Islam and the stages of the spread of Shiism in Yemen and the reasons for the spread of the call Ismailia in Yemen also includes a research presentation to the efforts of two preachers Ismailis and their role in the publication of the invitation Ismailia in Yemen and prepare preachers and send calls Bo Abdullah Shiite to Morocco to spread call there. The research also included a presentation of the most important events that led to the spread of the call Ismailia in Yemen, calling for efforts to Sulayhi who managed to establish a strong state included most of the land of Yemen announced the call Ismailia and loyalty to the .Fatimid caliphate

مقدمة

تعد اليمن من اهم معاقل الدعوة الاسماعيلية إذ شهدت اليمن احداثا تاريخية مهمة ارتبطت بظهور الدعوة الاسماعيلية يشكل علني من خلال جهود اثنين من الدعاة الاسماعيليين وهما منصور بن حوشب (ت ٣٠٢هـ) وعلي بن الفضل (ت ٣٠٢هـ)، اللذان تمكنا من تثبيت اقدامهما في اليمن والسيطرة على معظم انحاء اليمن وعلى الرغم من انفصال علي بن الفضل عن الدعوة الاسماعيلية وكحاولته اقامة دولته الخاصة الا ان الدعوة الاسماعيلية انتشرت في اليمن على يد منصور بن حوشب ،

وسنحاول في هذا البحث تسليط الضوء على جذور التشيع ومراحل تطور الدعوة الإسماعيلية في اليمن.

١- جذور التشيع في اليمن :

تعود جذور التشيع لآل البيت (عليهم السلام) في اليمن إلى عصر الرسالة ، فقد أرسل النبي محمد (ﷺ) الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في سنة ٩ هـ إلى أهل نجران^(١) لجمع الصدقات والجزية، وبعثه مرة أخرى في أواخر سنة ١٠ هـ يدعو الناس إلى الدخول في الاسلام وحمله كتاباً اليهم فخرجت إليه قبيلة همدان^(٢) فقرأه عليهم فاسلمت همدان كلها في ذلك اليوم ، ولما وصل الخبر إلى النبي (ﷺ) سجد شكراً لله سبحانه وتعالى وقال " السلام على همدان السلام على همدان"^(٣) وقبل عودته عمّر الامام علي (عليه السلام) مسجداً بصنعاء عرف باسمه^(٤).

وبعدها أي في نفس السنة أرسله النبي محمد (ﷺ) قاضياً ووضع يده الشريفة على صدر الامام علي (عليه السلام) قائلاً: "اللهم ثبت لسانه واهد قلبه ، وقال يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر "^(٥).

ذكر الجعدي^(٦) إنّ الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) دخل مدينة عدن أبين^(٧) وخطب فيها على المنبر خطبة بليغة قال فيها "...إن منكم من يبصر بالليل والنهار ومنكم من يبصر باحدهما دون الاخرى..."^(٨) ، ومما لاشك فيه ان اتصال الامام علي (عليه السلام) باهل اليمن جعلهم يتأثرون بما شاهدوه من سيرته وعمله ، ويرى الدكتور حسين فيض الله الهمداني ان انتشار التشيع في اليمن كان بفضل الامام علي (عليه السلام) قائلاً " كان له مريدون ومحبون من الصحابة في عهد الرسول (ﷺ) ، ولم يقتصر وجود هؤلاء على المدينة وحدها بل اخذ عددهم يزداد كلما اتسعت رقعة الاسلام وزاد عدد المسلمين وبخاصة في بلاد اليمن لأنها حظيت بإرسال الامام علي (عليه السلام) اليها في عهد الرسول (ﷺ) وزار أمير المؤمنين عليه السلام اليمن ثلاث مرات "^(٩). ونتيجة لذلك نجد أنّ بعض قبائل اليمن الكبرى مثل همدان والنخع^(١٠) بقيت موالية للامام علي (عليه السلام) ولعبت دوراً كبيراً في مساندته في معارك الجمل وصفين والنهروان ، واستوطنت اعداد

كبيرة من هذه القبائل في العراق وشاركت كقوة فاعلة في جيش الامام علي (عليه السلام) ، ففي معركة صفين لعبت همدان دورا كبيرا في قتال اهل الشام وترجيح كفة الامام علي (عليه السلام) ، فقد ذكر نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ) المنقري هجوم همدان على اهل الشام بقوله (١١) "وحطمتهم همدان حتى الحقوهم بمعاوية فقال :مالقيت من همدان ، وجزع جزعاً شديداً ، واسرع في فرسان أهل الشام القتل ، وجمع الإمام علي (عليه السلام) همدان فقال :يامعشر همدان ، انتم درعي ورمحي ،ياهمدان مانصرتم الا الله ولا أجبتم غيره، فقال سعيد بن قيس (١٢) :أجبنا الله وأجبناك ونصرنا نبي الله صلى الله عليه في قبره،وقاتلنا معك من ليس مثلك،فأرم بنا حيث أحببت".

وفي معركة صفين مدح الامام علي (عليه السلام) أهل همدان قائلاً:
دعوتُ، فلَبَّاني منَ القومِ عصبَةً فوارِسٌ من همدان غيرُ لُثامٍ
فوارِسٌ من همدان ليسوا بعزْلِ غداةَ الوغى من شاكِرٍ وشبامٍ
لهمدانٍ اخلاقٌ ودينٌ يزينهم وبأسٌ إذا لاقوا وحدُ خصامٍ
جزى الله همدانَ الجنانَ فإنها سمأُ العدى في كلِّ يومٍ زحامٍ
فلو كنتُ بواباً على بابِ جنَّةٍ لقلتُ لهمدان ادخلوا بسلامٍ (١٣)

واما قبيلة النخع فقد قاتلت مع الامام علي (عليه السلام) بقيادة زعيمها مالك الاشتر (١٤) الذي أبلى هو وقومه بلاءً حسناً في القتال في معارك الجمل وصفين والنهروان ،وبقي يقاتل حتى اللحظات الاخيرة في معركة صفين،وبقيت قبيلة النخع محافظة على ولائها لآل البيت (عليهم السلام) عبر مناصرة كل الانتفاضات التي قام بها العلويون أو أنصارهم (١٥) ، ونتيجة لهذه المواقف فقد عمل معاوية بن ابي سفيان على القضاء على المذهب الشيعي القوي في اليمن إذ أرسل قائده بسر بن أبي أرطاة (١٦) إلى اليمن وأمره بتعقب الشيعة والقضاء عليهم ،فدخل بسر إلى اليمن وكان واليها عبيد الله بن العباس (١٧) الذي لم يستطع مواجهة قوة الجيش الشامي فترك صنعاء (١٨) بعد أن استخلف عليها احد اصحابه فقام بسر بقتل الوالي وعدد كبير من الشيعة وقتل إبنه عبيد الله بن العباس وهما صغيران (١٩) وتتبع كل من يوالي آل البيت (عليهم السلام)

بالقتل والسجن حتى استتب له الامر , وعلى الرغم من شدة الاجراءات التي اتخذها الأمويون ومن بعدهم العباسيون في محاولتهم القضاء على التيار الموالي للعلويين إلا ان التشيع بقي في اليمن قوياً وأصبحت له قاعدة عريضة صارت فيما بعد ملاذاً للثائرين من آل البيت في العصر العباسي وبلغت أشدها في انتفاضتين علويتين الأولى هي انتفاضة إبراهيم بن الامام موسى الكاظم (عليه السلام) (٢٠) سنة ٢٠٠ هـ الذي خرج من مكة إلى اليمن في جماعة من اتباعه للسيطرة عليها , وعند وصوله إليها خرج الوالي العباسي (٢١) من اليمن مفضلاً عدم مواجهة إبراهيم الذي نجح في السيطرة على بلاد اليمن وحكمها , ولم يتمكن الخليفة المأمون من ارسال أي قوة عسكرية إلى اليمن للقضاء على هذه الانتفاضة بسبب بعد اليمن وكثرة الاضطرابات والانتفاضات التي عمت الدولة الاسلامية فاكتفى المأمون بتعيين وال جديد على اليمن هو محمد بن علي بن عيسى بن ماهان (٢٢) الذي تمكن فيما بعد من القضاء على انتفاضة إبراهيم (٢٣).

اما الانتفاضة الثانية فقد قامت في اليمن سنة ٢٠٧ هـ بقيادة ثائر علوي آخر هو عبد الرحمن بن احمد العلوي (٢٤) الذي دعا إلى الرضا من آل محمد ولكن الظروف لم تكن في صالح هذه الانتفاضة فانتهت بسرعة بعد وصول الجيش العباسي واضطرار الثائر العلوي إلى القبول بالامان الذي منح له , عندها قرر المأمون أن يرسل والياً جديداً إلى اليمن يعمل على منع أي حركة شيعية في المستقبل (٢٥) ووقع اختياره على محمد الزيايدي (٢٦) , الذي تمكن من توطيد الحكم العباسي في اليمن وتوارث أبناؤه من بعده حكم اليمن في شبه استقلال عن الخلافة وهو ماسمي بالدولة الزيايدية (٢٧) التي بدأ في عهدها انتشار المذهب الاسماعيلي في اليمن.

٢- قيام الدعوة الإسماعيلية في اليمن:

ظهرت الدعوة الإسماعيلية في اليمن في القرن الثالث الهجري على يد اثنين من الدعوة الاسماعيليين وهما منصور بن حوشب (ت ٣٠٢ هـ) وعلي بن الفضل (ت ٣٠٢ هـ), إذ تمكنا من تأسيس الكيان الاسماعيلي الاول في اليمن وانتقلا بالدعوة من طور الدعوة إلى طور الدولة السياسية وبناء المؤسسات على الرغم من انحراف علي بن الفضل عن

الدعوة الإسماعيلية وتتكبر للإمام الاسماعيلي وما رافق ذلك من أعمال وتحركات قام بها وكانت مثار جدل واختلاف بين المؤرخين ، وما وجه له من اتهامات بالخروج عن الدين وادعاء النبوة وتحليل المحرمات.^(٢٨)

لم تتفق المصادر التاريخية في كيفية اتصال بن حوشب وعلي بن الفضل بصاحب الدعوة الإسماعيلية حسب توجهات تلك المصادر فالمصادر المعادية للإسماعيلية تحاول ان تنسب بداية دخولهما في الدعوة الإسماعيلية إلى لقائهما مع عبد الله بن ميمون القداح^(٢٩) الذي تصر تلك المصادر على أنه من أصل يهودي وانه هو الذي ارسلهما إلى اليمن للدعوة إلى ولده عبد الله الذي انتحل النسب العلوي حسب تلك المصادر منطلقاً من مبدأ التشكيك بالنسب الفاطمي أما المصادر الإسماعيلية وبعض المصادر المعتدلة الاخرى فتذكر أن دخولهما في الدعوة الإسماعيلية كان من خلال لقائهما بالامام الاسماعيلي المستور الحسين بن احمد^(٣٠) ويبدو ان ملاحقة العباسيين لائمة الإسماعيلية دفعهم إلى تسمية انفسهم باسماء حركية كانوا يطلقونها على دعائهم ايضاً لتضليل العباسيين ولاخفاء حقيقة هويتهم مما أوقع الالتباس عند المؤرخين الذين كتبوا عنهم فجعلوا يخطون بين الائمة ودعائهم، وقد أشار إلى هذه المسألة الداعي الاسماعيلي إدريس عماد الدين بقوله^(٣١) "وكان الدعاة أيام الائمة المستورين منذ استتار الامام محمد بن اسماعيل (عليه السلام) يسمونهم بغير أسمائهم ، ويختلفون في الأسماء إخفاء لأمر الله ، وسترا لاوليائه لتغلب الاضداد ، وقوة اهل العناد ، ولذلك وقع الاختلاف في الائمة المستورين وكثر خوض الخائضين وقول القائلين "

وعلى العموم فان الاختلاف في رواية المصادر الإسماعيلية والمصادر المعادية لها يتركز في نسب بن حوشب وفي الشخصية التي التقاها هو وزميله علي بن الفضل ، فبالنسبة للداعي بن حوشب ، تؤكد المصادر الإسماعيلية^(٣٢) على انه كان امامياً اثنا عشرياً ممن يذهب إلى مذهب أصحاب الإمام محمد بن الحسن العسكري (عليه السلام) الامام الثاني عشر عند الاثني عشرية وان بن حوشب تحول إلى الإسماعيلية بعد غيبة الامام محمد بن الحسن (عليه السلام).

توجه الداعيان إلى اليمن فوصلا في أوائل سنة ٢٦٨هـ إلى مدينة تدعى غلافقة^(٣٣) ومن هناك افترقا فاخذ كل منهما طريقا واتفقا على ان يبقى الاتصال بينهما قائما، فتوجه علي بن الفضل إلى بلاد يافع الجبلية^(٣٤)، بينما توجه بن حوشب للبحث عن مدينة عدن لاعة^(٣٥) التي وجهه إليها الامام الاسماعيلي، وتروي لنا المصادر التاريخية^(٣٦) تفاصيل رحلة بن حوشب إذ توجه في اول الامر إلى مدينة عدن أبين بعد أن عجز عن العثور على مدينة عدن لاعة، وتكرر عند دخوله بزي تاجر يبيع القطن، وفي تلك المدينة التقى قوما من الشيعة يعرفون ببني موسى^(٣٧) تمكن بمساعدتهم من الاتصال بالشيعة في عدن لاعة^(٣٨)، ومن ثم المسير إليها والبدء بتنظيم أتباعه، إذ نزل في دار احد الدعاة الذين سبقوه ويدعى احمد بن عبد الله بن خليع^(٣٩) وكان اسعد بن ابي يعفر^(٤٠) قد حبسه بسبب نشاطه وبقي في الحبس حتى وفاته، ف تزوج ابن حوشب من ابنة هذا الداعي وتسلم سلاحاً كان قد أعده بن خليع^(٤١).

وجه بن حوشب جهوده نحو نشر الدعوة الإسماعيلية في اليمن متبعاً الارشادات التي زوده بها الامام الاسماعيلي، فظهر الزهد والتقفة في المذاهب وحرص على تكوين قاعدة من الاتباع يمكن الاعتماد عليها في نشر الدعوة الإسماعيلية حتى اصبح مسموع القول في ناحيته ومال اليه خلق كثير^(٤٢).

أدرك بن حوشب ضرورة بناء قاعدة حصينة ينطلق منها في تحركاته ويأمن من الاخطار التي تهدد دعوته فوق اختياره على موقع يدعى (عين محرم)^(٤٣)، وهو حصن قديم على جبل من جبال اليمن، فقام بن حوشب بترميمه وتحصينه ونقل اليه المؤن وصعد اليه مع خمسمائة من اصحابه مع عوائلهم^(٤٤)، وعندما اعترضت بعض القبائل على تحصنه في هذا الحصن فسر لهم ذلك بخوفه من السلطان ولكن تبريره لم يقنع تلك القبائل التي هاجمت بن حوشب واتباعه فهزمتها هزيمة منكرة، وتحول بن حوشب بعد أنتصاره على القبائل إلى مرحلة الدعوة العلنية للامام الاسماعيلي وجهاز اتباعه للقتال واتخذ الطبول والرايات^(٤٥) وسعى إلى الحصول على معقل اكثر حصانة له ولأتباعه فتمكن من السيطرة على جبل مسور^(٤٦) والحصن القائم عليه، ومن هذا

الحصن انطلقت حملاته العسكرية ضد القبائل المحيطة بجبل مسور والتي عارضت دعوته فسيطر على مناطق واسعة من الأراضي وبسط نفوذه عليها , وبذلك تحول من مرحلة الدعوة والنضال الفكري إلى مرحلة الحسم العسكري فأرسل في سنة ٢٩٦هـ إلى الامام الاسماعيلي عبد الله المهدي يبلغه باخبار انتصاراته^(٤٧) .

أما الداعي علي بن الفضل فانه بعدما فارق بن حوشب توجه إلى يافع وظهر النسك والورع واستطاع ان يستميل اليه سكان تلك المنطقة "ثم انهم قلده امرهم وجعلوا حكمهم اليه وسألوه ان ينزل معهم"^(٤٨) فنزل معهم وعمل على تكوين قوة عسكرية تمكنه من تحقيق طموحاته وسرعان ما سنحت له الفرصة عندما اختلف سلطان لحج^(٤٩) وأبين محمد بن ابي العلاء^(٥٠) مع كاتبه جعفر بن ابراهيم المناخي^(٥١) فسعى علي بن الفضل إلى كسب جعفر المناخي إلى جانبه وعقد معه حلفاً لقتال محمد بن ابي العلاء وحقق هذا الحلف النتائج التي كان يرجوها علي بن الفضل فقد قتل ابن ابي العلاء واستولى على خزائنه وعاد إلى يافع بعد أن اصبح قوة لا يستهان بها ولكن الأخير لم يوف بالالتزامات حلفه مع جعفر المناخي فهاجم المذيخرة^(٥٢) سنة ٢٩١هـ مستغلاً قيام حاكمها بقطع ثلثمائة يد من اهلها فसार اليها مدعياً انه خرج لنصرة اهلها^(٥٣) , وتمكن من دخول المذيخرة والسيطرة عليها بعد سلسلة من المعارك مع جيش جعفر المناخي انتهت بمقتل جعفر وتفرق جيشه , فاتخذ علي بن الفضل المذيخرة مقراً له وقاعدة لدولته^(٥٤) .

تحرك بن الفضل من المذيخرة للسيطرة على المدن الاخرى فسيطر على يحصب^(٥٥) وذمار^(٥٦) ومنها سار إلى صنعاء وذلك في محرم من عام ٢٩٣هـ التي كانت تحت حكم اسعد بن ابي يعفر ولم يتمكن حاكم صنعاء من مواجهة علي بن الفضل وجيشه فهرب تاركاً صنعاء لخصمه الذي دخلها سنة ٢٩٣هـ , ولم تثمر محاولات ابن ابي يعفر في استعادتها^(٥٧) .

بعد استقرار الأوضاع لصالح علي بن الفضل أكدت المصادر التاريخية^(٥٨) انه ادعى النبوة وإباح المحرمات وإباح لأصحابه شرب الخمر ، وتذكر هذه المصادر قصيدة قالها هو أو أحد أصحابه يقول فيها

خُذِي الدَفَّ يَاهُذِي والعبي وَغَنِّي هَزَارِيكَ ثُمَّ اطْرَبِي
تَوَلَّى نَبِيُّ بَنِي هَاشِمٍ وَهَذَا نَبِيُّ بَنِي يَعْرُبٍ
لِكُلِّ نَبِيٍّ مَضَى شِرْعَةٌ وَهَذِي شَرِيعَةُ هَذَا النَّبِيِّ
فَقَدْ حَطَّ عَنَا فُرُوضُ الصَّلَاةِ وَحَطَّ الصِّيَامَ وَلَمْ يَعْتَبِ
إِذَا النَّاسُ صَلُّوا فَلَا تَنْهَضِي وَإِنْ صَامُوا فَكُلِّي وَاشْرَبِي
وَلَا تَطْلُبِي السَّعْيَ عِنْدَ الصِّفَا وَلَا زُورَةَ الْقَبْرِ فِي يَثْرِبِ.

لقد كانت الروايات المتعلقة بمسألة ادعاء علي بن الفضل للنبوة وإباحته للمحرمات وشرب الخمر مثار جدل بين المؤرخين لاسيما في العصر الحديث ، إذ انبرى البعض منهم لنقد هذه الروايات وإنكارها على اعتبار أن الذين كتبوا عن بن الفضل هم أعداؤه من الإسماعيليين والزيدية ومصادر المذاهب الأخرى ، ومن الطبيعي أن يلجأ هؤلاء إلى التشهير بخصمهم ورميه بكل تهمة ، وليس هناك أخطر من تهمة الخروج من الدين .

ويرى المؤرخ اليمني محمد بن علي الأكوع محقق كتاب كشف أسرار الباطنية للحمادي اليماني أن انتصارات بن الفضل وسيطرته على مناطق واسعة من اليمن جعلته هدفاً لحرب عوان شنّها ضده خصومه "باللسان واللسان بالدعاية المسعورة التي شوهت سمعته وخلقت له جوا صالحاً لبث سموم أقاويل أعدائه ، وقد تكون كلها أو بعضها لا أصل له"^(٥٩) ، أما الدكتور أحمد عبد الله عارف فيرى أنه يجب أن تؤخذ روايات المصادر المعادية لابن الفضل ، لاسيما في الجانب الأخلاقي بحذر بسبب طبيعة المجتمع التي تستهجن هذه الأفعال^(٦٠).

ويرى الدكتور الهمداني أن المؤرخين بالغوا في نسبة إحلال المحارم وارتكاب الفواحش إلى علي بن الفضل دونما الإتيان بأدلة تثبت ذلك "ولانتصور أن المجتمع اليمني يقبل

رياسة بن الفضل لمدة عشرين سنة بل أكثر لو كان ارتكب في اواخر عهده مانسب اليه من الفواحش طوال هذه المدة يجوز انه بالغ في يمينته , وتطرف في قحطانيته حتى تعدى حدود الاسلام^(٦١).

وثمة رأي مقارب لرأي الهمداني , يرى ان علي بن الفضل تحول تفكيره من الإسماعيلية إلى دعوة تهدف إلى وحدة اليمن والقضاء على الدعوات المذهبية مما اثار عليه خصومه من الزيدية والإسماعيلية وغيرهم "فأثاروا ضده دعاية راجت بين الدهماء وامتدت إلى اليوم , وهي لا وجود لها ولا يقبلها الذوق"^(٦٢).

ونرى ان اختلاف المؤرخين في حقيقة ما نسب إلى علي بن الفضل من ارتكاب المحرمات وادعاء النبوة , ما بين اثبات ونفي لتلك الروايات يجعل من الصعب الحكم بحدوثها من عدمه , وعلى الأرجح ان اعداء علي بن الفضل قاموا بتضخيم بعض اعماله نكاية وتشهيرا به إلا ان ذلك لاينفي تجاوزه لبعض حدود الشريعة الاسلامية .

وبالعودة إلى تحركات علي بن الفضل العسكرية فانه بعد أن فرض سيطرته على صنعاء ومناطق واسعة من اليمن , دخل في صراع مع زميله في الدعوة الإسماعيلية الداعي بن حوشب لاسيما بعد أن تخلى بن الفضل عن الدعوة للإمام الاسماعيلي عبد الله المهدي وانضم اليه داعي الدعاة فيروز^(٦٣) الذي تخلف عن عبد الله المهدي وفر من مصر لينضم إلى علي بن الفضل ويقنعه بترك الدعوة للإمام الاسماعيلي , فكتب بن الفضل إلى بن حوشب يطلب منه الانضمام اليه ولكن الأخير رفض وارسل اليه يعاتبه على نكته لبيعة الامام الاسماعيلي , مذكراً اياه بالعهود التي قطعها له "كيف تخلع من لم تتل خيرا الا به وبركة الدعاء اليه , فما تذكر ما بينك وبينه من عهود وما اخذ علينا جميعا من الوصية على الاتفاق وعدم الافتراق"^(٦٤), ولكن علي بن الفضل لم يستمع إلى النصيحة ورد على بن حوشب بقوله "انما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسها"^(٦٥).

لجأ بن حوشب إلى مراسلة علي بن الفضل عدة مرات^(٦٦) محاولا تشيه عن التتكر للدعوة الإسماعيلية ولكم محاولاته لم تجد معه نفعا , بل زاد تعنته واصراره ولمس

بن حوشب هذا التعتت من بن الفضل , وادرك بحنكته ان الصراع بينهما سيتطور إلى صراع مسلح , وان خصمه سيهاجمه عاجلاً ام آجلاً لذلك فقد عمل على تحصين مقر دعوته في جبل مسور تحسباً لهجوم خصمه ولم يلبث بن الفضل ان جهز جيشه وسار لمحاصرة جبل مسور فحاصره سنة ٢٩٩هـ , ودارت بين الطرفين معارك كثيرة عجز فيها جيش علي بن الفضل عن تحطيم دفاعات بن حوشب واستمر الحصار لأكثر من ثمانية اشهر , فوقع الصلح بين الطرفين واشترط ابن الفضل ان يرسل بن حوشب احد ابنائه رهينة عنده فوافق بن حوشب وتم الصلح بينهما ورحل بن الفضل إلى المذيخرة . وبعد عام اعاد إلى بن حوشب ولده^(٦٧) .

تمكن بن الفضل من فرض سيطرته على مناطق واسعة وبقي يحكمها حتى مقتله مسموماً عام ٣٠٣هـ , وقد تعددت الروايات في ذلك^(٦٨) .

بعد مقتل علي بن الفضل حاول بن حوشب اعادة ترتيب امور الدعوة الإسماعيلية في اليمن من جديد وتنظيم صفوفها واستمر على هذا العمل حتى وفاته سنة ٣٠٣هـ^(٦٩) وقد اوصى قبل وفاته وبالتحديد سنة ٣٠٢هـ بان يكون تحديد من يخلفه بامر الدعوة في بلاد اليمن منوطاً بالخليفة الفاطمي عبد الله المهدي لكنه اكتفى بالاشارة إلى علو منزلة الداعي عبد الله بن عباس الشاوري^(٧٠) لديه وتفضيله على ولده ابي فارس الشاوري إلى الخليفة الفاطمي عبد الله المهدي يعلمه ب وفاة بن حوشب وفي ذات الوقت سافر ابو الحسن بن حوشب إلى المغرب للقاء الخليفة المهدي على أمل ان يعينه مكان والده في قيادة الدعوة في اليمن , الا ان الخليفة المهدي قرر تعيين عبد الله بن عباس الشاوري داعياً في اليمن واوكل اليه امور الدعوة , فعاد ابو الحسن إلى اليمن خائباً وشعر بالغبن إذ كان يرى نفسه أحق بأن يقوم مقام والده , وبعد عودته إلى اليمن عمل على تكوين قوة قبلية جديدة التفت حوله فقتل الداعي الشاوري وجمع الناس واعلن خروجه عن مذهب الإسماعيلية^(٧١) , ولم يكتف بذلك بل عمل على تتبع انصار الإسماعيلية وقتلهم والتكيل بهم رغم معارضة اخيه جعفر الذي حاول منعه ولكنه فشل في ذلك فرحل إلى المغرب واقام في ظل الخلافة الفاطمية^(٧٢) اما ابو الحسن فانه لم

يشفع له ما قام به من اعمال للقضاء على الدعوة الإسماعيلية في اليمن , إذ لم يلبث أنصاره الجدد ان دبروا ضده مؤامرة انتهت بقتله على يد نائبه على (عين محرم) وطرد اولاد منصور مع حريمهم من حصن مسور فوثبت عليهم القبائل وقتلتهم عن آخرهم وسببت نسائهم^(٧٣).

يرى احد الباحثين ان قرار المهدي بتعيين الشاوري واستبعاد ابي الحسن بن حوشب وحرمانه مما كان يعتقد حقا له , كان السبب الأساسي في انقلاب ابي الحسن على الفاطميين , ويعلل هذا الباحث قرار المهدي بخوفه من تأسيس حكم وراثي في اليمن قد ينفرد بحكم اليمن مستقبلا^(٧٤).

دخلت الدعوة الإسماعيلية بعد هذه الانتكاسة في دور السرية والكتمان , وعمل الدعاة الذين خلفوا الشاوري في زعامة الدعوة على الحفاظ على استمرار الدعوة في اليمن , وتنظيم أتباعهم , وتهيأت لهم الظروف المناسبة لذلك إذ سادت اليمن موجة من الصراعات بين الامراء المحليين مما خفف الضغط عن الاسماعيليين فضلا عن انتقال الخلافة الفاطمية من المغرب إلى مصر مما دفع بالدعاة إلى تكثيف نشاطهم في نشر المذهب الإسماعيلي وتجاوز الانتكاسة التي ألمت بالمذهب الاسماعيلي على يد أبي الحسن بن حوشب^(٧٥).

٣ - الدولة الصليحية في اليمن:

تعاقب على زعامة الدعوة عدد من الدعاة لم تزودنا المصادر التاريخية بمعلومات وافية عن حياتهم ومنهم (هارون بن محمد بن رحيم)^(٧٦) و(يوسف بن الأشج)^(٧٧) ثم آلت زعامة الدعوة فيما بعد إلى سليمان بن عبد الله بن عامر الزواحي^(٧٨) الذي نشط في بث الدعوة في اليمن , واستثمر ماتجمع لديه من اموال في خدمة هدفه , وكان يتردد على منزل القاضي الصليحي^(٧٩) فاتصل بأبن القاضي ويدعى علي بن محمد^(٨٠) وتولى تعليمه وكسبه إلى الدعوة الإسماعيلية "وكان الداعي سليمان بن عبد الله يتخيل في الصليحي علي بن محمد مخائل النجابة , ويرى منه

الفضائل التي تقضي له ان يفوق اقرانه واصحابه , فرقاه في علمه وأطلعه عليه لما رأى من فضله وفهمه وديانته وعبادته وزهده وطاعته^(٨١).

بعد أن احس سليمان الزواحي بدنو أجله إستخلف تلميذه علي بن محمد الصليحي وعهد اليه بقيادة الدعوة الإسماعيلية في اليمن ودفع اليه كتبه وامواله , فاخذ الصليحي على عاتقه النهوض بالدعوة الإسماعيلية في اليمن وعمل على نشرها بين القبائل متخذاً من جبل مسار^(٨٢) مقراً له , واعتمد الداعي علي الصليحي اسلوباً جديداً في نشر الدعوة الإسماعيلية , فقد عمل على استغلال موسم الحج لغرس مبادئ الدعوة الإسماعيلية في نفوس الناس , واخذ يحج بالناس خمسة عشر سنة^(٨٣) حتى انتشر ذكره بين الناس والتف حوله مجموعة من الرجال تدين له بالولاء ,وبعد موسم حج ٤٣٨هـ بايعه ستون رجلاً من قبيلة همدان على الموت أو الظفر لتتكون النواة الاولى لثورة الصليحي الذي بدأ يخطط للسيطرة على جبل مسار لكن قبل قيامه بهذه الخطوة ارسل إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي^(٨٤) طالباً منه الاذن باظهار الدعوة في اليمن فسمح له الخليفة بذلك^(٨٥) فارسل الصليحي إلى الاسماعيليين الموجودين في اماكن مختلفة من اليمن يحثهم على الوصول اليه في موعد حدده لهم في جمادى الاول من عام ٤٣٩هـ^(٨٦) فاستجابوا له تسعمائة وخمسون رجلاً فانطلق بهم إلى جبل مسار الا انه فوجئ بالقبائل التي حاصرته وطلبت منه ترك الحصن او المواجهة المسلحة الا ان الصليحي تمكن بدهائه من تفريق القبائل التي تركته وعادت ادراجها مما اتاح له تحصين معقله الجديد الذي اصبح مركزاً لنشاطه^(٨٧) .

على الرغم من دخول اعداد كبيرة من ابناء القبائل في الدعوة الا ان الصليحي اتخذ من السرية والكتمان اساساً لعمله تجنباً منه للوقوع في صراع مسلح مع القوى المحلية لاسيما الدولة النجاشية^(٨٨) في زبيد , وفضل الحفاظ على علاقات ودية معها بدلاً من الدخول في صراع مسلح قد يؤدي إلى انتكاس الدعوة الإسماعيلية قبل ان يستكمل بناء قوته العسكرية , وفي نفس الوقت العمل بسرية لاستغلال أية فرصة سانحة للقضاء على خصمه , ولم يلبث نجاح^(٨٩) ان اغتيل في مدينة زبيد

سنة ٤٥٢هـ^(٩٠) وتتهم بعض المصادر التاريخية الداعي علي بن محمد الصليحي بتدبير عملية اغتيال نجاح بالسم^(٩١).

بعد اغتيال نجاح أصبح المجال مفتوحاً امام الصليحي لتوسيع نفوذه فاستولى على زبيد واملاكها وماحوله , واصبح في موقع قوي فارسل في سنة ٤٥٣هـ إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي يطلب منه الاذن باعلان قيام الدولة الصليحية وارسل إلى الخليفة وفداً حمل معه هدايا جلييلة. فوافق الخليفة الفاطمي مما قوى من مركز الصليحي الذي تمكن من ضم معظم اراضي اليمن إلى دولته , وقضى على النفوذ العباسي في اليمن التي أصبحت الخطبة فيها للخليفة الفاطمي^(٩٢).

بعد أن استقرت الاوضاع لصالحه استدعى علي الصليحي امراء اليمن الذين أزال سلطانهم واسكنهم معه^(٩٣) , وحكم اليمن نائباً عن الخليفة الفاطمي , فاصبح محل ثقة الخليفة وتقديره , وأرسل علي الصليحي إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله يطلب منه الاذن بالسفر إلى القاهرة للقاءه فأذن له الخليفة , وفي سنة ٤٥٩هـ سار علي الصليحي إلى مكة لاداء فريضة الحج ومن ثم السفر إلى مصر بعد أنقضاء موسم الحج الا انه اغتيل في الطريق إلى مكة من قبل سعيد الأحوال^(٩٤) بن نجاح ثاراً لابييه^(٩٥).

تولى الملك المكرم بن علي الصليحي^(٩٦) حكم اليمن بعد مقتل والده وعهد اليه الخليفة المستنصر بالله الفاطمي بشؤون الدعوة فيها , وعمل المكرم على القضاء على عدوه سعيد بن نجاح فسار على رأس جيش كبير تمكن من خلاله من هزيمة سعيد وقتله وتخليص والدته السيدة أسماء بنت شهاب^(٩٧) من الأسر^(٩٨) والعودة إلى صنعاء ليعهد إلى زوجته السيدة الحرة أروى بنت احمد الصليحي^(٩٩) القيام بادارة الدولة بسبب مرضه , واثبتت الملكة الحرة مقدرة فائقة في ادارة الدولة وتنظيم شؤون الدعوة جعلتها محل ثقة الخليفة المستنصر الذي استجاب لطلبها بتعيين ولدها عبد المستنصر رغم صغر سنه ليخلف والده الذي توفي سنة ٤٨٤هـ^(١٠٠) , فاصبحت ادارة الدولة بيد الملكة الحرة التي بقيت على ولائها للفاطميين في زمن المستنصر وخلافة المستعلي^(١٠١) والأمر بأحكام

الله^(١٠٢) حتى مقتل الأخير عام ٥٢٤هـ وحدث الانشقاق الإسماعيلي الثاني^(١٠٣) إلى دعوة إسماعيلية طييبة تعترف بإمامة الطيب بن الأمر ودعوة حافضية مجيدية تعترف بإمامة الحافظ عبد المجيد^(١٠٤).

الهوامش:

- (١) . نجران بالفتح ثم السكون وآخره نون من مخاليف اليمن من ناحية مكة قالوا سمي بنجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان لأنه كان أول من عمرها ونزلها وهو المرعف وإنما صار إلى نجران لأنه رأى رؤيا فهايته فخرج رائدا حتى انتهى إلى واد فنزل به فسمي نجران، الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، (د/ت) ، ج ٥، ص ٢٦٦.
- (٢) . قبيلة من قبائل اليمن تنسب إلى همدان واسمه أوسلة بن مالك بن زيد بن ربيعة أوسلة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ينسب إليها خلق كثير من الشعراء والفرسان والعلماء ، ابن الاثير ، ابي الحسن علي بن ابي الكرم الجزري (ت ٦٣٠هـ)، اللباب في تهذيب الانساب ، دار صادر ، بيروت، ١٩٨٠، ج ٣، ص ٣٩١.
- (٣) . الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط ١، دار المعارف، مصر ، ١٩٦٢ ، ج ٣ ، ص ١٣١-١٣٢.
- (٤) . الجعدي ، عمر بن علي بن سمرة (ت حوالي ٥٨٦هـ) ، طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق : فؤاد سيد، ط ١ ، دار القلم، بيروت ، ١٩٥٧، ص ١٥-١٦.
- (٥) . المصدر نفسه، ص ١٦.
- (٦) . طبقات فقهاء اليمن، ص ١٦.
- (٧) . من اسماء مدينة عدن الساحلية سميت نسبة إلى أبين أحد ابناء عدنان ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤، ص ٨٩.
- (٨) . الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ص ١٦.
- (٩) . وحسن سليمان الجهني ، الصلحيون والحركة الفاطمية في اليمن من سنة ٢٦٨هـ إلى سنة ٦٢٦هـ ، ط ٣، منشورات المدينة، صنعاء ، ١٩٨٦م-١٤٠٧هـ ، ص ١٣.

(١٠) . وهي قبيلة من العرب نزلت الكوفة ومنها انتشر ذكرهم وينسبون إلى جسر (بالفتح) ابن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد، السمعاني ، أبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ) ، الانساب تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ج٥، ص٤٧٣.

(١١) . وقعة صفين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط١، دار الاندلس، بيروت ، (د/ت) ، ص٨-٩.

(١٢) سعيد بن قيس بن زيد من بني زيد بن مريب من همدان من سلالة ملوك همدان ، تابعي روى الحديث ، كان فارساً ومن الدهاة الاجواد ، كان من المقربين من الامام علي (عليه السلام) وقاتل معه في صفين وكان اليه امر همدان. ابن حبان، محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، الثقات ، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد ، ط١، دار الفكر ، بيروت، ١٩٧٥؛ الزركلي ، الاعلام ، ج٣، ص١٠٠.

(١٣). المنقري ، وقعة صفين ، ص٢٧٤.

(١٤) . هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن أشجع النخعي، كان أحد الفرسان المشهورين يوم الجمل وصفين وكان مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) مات بالقلزم مسموما سنة سبع وثلاثين من الهجرة سمه معاوية في العسل ولما بلغه الخبر قال "إن لله جنودا من العسل"، السمعاني ، الانساب ، ج٥، ص٤٧٦.

(١٥) . لعبت قبيلة النخع دوراً كبيراً في حركات المعارضة ضد الحكم الأموي ومن ابرز هذه الحركات هي ثورة المختار الثقفي التي تمكن من خلالها من السيطرة على الكوفة وملاحقة المشاركين في قتل الامام الحسين (عليه السلام) وقد كان لقبيلة النخع بقيادة زعيمها ابراهيم بن مالك بن الاشتر دور فاعل في هذه الثورة ينظر: بيضون، ابراهيم ، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك دراسة في تكون الاتجاهات السياسية في القرن الاول الهجري ، ط١، دار شهاب الدين ، قم ، ٢٠٠٦، ص٢٠٩-٢٠٢.

(١٦) . هو بسر بن أبي أرطاة عمير بن عويمر بن عمران بن الحليس بن نزار العامري القرشي ، من كبار قادة جيش معاوية بن ابي سفيان ، شهد معه صفين ووجهه إلى الحجاز واليمن سنة ٤٠ هـ وأمره بأن يتتبع أنصار علي (عليه السلام) ويوقع بهم ، فدخل اليمن وقتل ابني عبيد الله بن العباس وهما صغيرين ، خرف في اخر حياته ومات في ايام معاوية بن ابي سفيان. ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١ هـ)، تاريخ مدينة دمشق

وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق: محب الدين العمري، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م، ج١، ص ١٤٤-١٤٧.

(١٧). هو عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي أمه لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية يكنى أبا محمد رأى النبي صلى الله عليه وسلم وسمع منه وحفظ عنه وكان أصغر سناً من أخيه عبد الله بن عباس استعمله الامام علي (عليه السلام) على اليمن وأمره على الموسم فحج بالناس سنة ست وثلاثين وسنة سبع وثلاثين ورجع والياً على اليمن بعد هروب بسر بن أبي ارطاة فبقي فيها حتى استشهد الامام علي (عليه السلام). ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي ، ط١، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢، ج٣، ص ١٠٠٩.

(١٨). أكبر مدن اليمن وأقدمها تاريخاً، اتخذها ابرهة الحبشي عاصمة له في القرن الخامس الميلادي ، وكان عرب قبل الاسلام يسمونها (أزال) ويسميها اهل الشام (القصبه) ، يحيط بالمدينة سور له عشرة ابواب ومن ابرز معالمها قصر غمدان ، الهمداني ، الحسن بن احمد بن يعقوب (ت بعد ٣٤٤هـ)، صفة جزيرة العرب ، تحقيق: محمد بن علي الاكوع ، ط١، مكتبة الارشاد ، صنعاء ، ١٩٩٠، ص ١٠٢؛ المقحفي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ج١ ، ص ٩٢٠.

(١٩) ابن الاثير ، ج٣ ، ص ٢٥٠؛ الحمزي ، عماد الدين إدريس بن علي بن عبد الله (ت ٧١٤هـ) ، تاريخ اليمن من كتاب كنز الاخبار في السير والأخبار ، تحقيق: عبد المحسن مدعج المدعج، ط٢، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت ، ١٩٩٢م، ص ٢٩-٣٠؛ العرشي ، حسين بن احمد (ت ١٣١٨هـ) ، بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك او امام ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، (د/ت) ، ص ٨-٩.

(٢٠). ابراهيم بن الامام موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب - عليهم السلام - ثائر علوي ثار على المأمون العباسي واستولى على اليمن عام ٢٠٠هـ ، قال عنه الشيخ المفيد "وكان ابراهيم بن موسى شجاعاً كريماً وتولى الامرة على اليمن في ايام المأمون من قبل محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام. الطبري ، مصدر سابق ، ج٨، ص ٥٣٥-٥٣٦؛ الشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت ٤٢٣هـ)، الإرشاد ، ط٣، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٨٩م، ص ٣٠٣.

(٢١). كان والي المأمون على اليمن هو اسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص ٥٣٦.

(٢٢). ورد اسمه عند الطبري باسم حمدويه بن عيسى بن ماهان بينما ورد اسمه عند ابن عبد لمجيد

- باسم محمد بن علي بن عيسى بن ماهان، للمزيد ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٧٣؛ اليماني، تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد (٧٤٣هـ)، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق: مصطفى حجازي، ط ٢، دار الكلمة، صنعاء، ١٩٨٥، ص ٤٢.
- (٢٣) . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٨ ، ص ٥٣٦ : الليثي ، د. سميرة مختار ، جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول ، دار الكتاب الاسلامي ، ط ١ ، قم ، ٢٠٠٧ ، ص ٥٠٦ .
- (٢٤) . عبد الرحمن بن احمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) ثار في اليمن ضد العباسيين سنة ٢٠٧هـ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٨ ، ص ٥٩٣ .
- (٢٥) . الليثي ، جهاد الشيعة ، ص ٥٠٩ .
- (٢٦) . هو ابو عبد الله محمد بن زياد الاموي ، يرجع نسبه إلى زياد بن ابيه ، حمل إلى المأمون بعد أن وشي به فعفى عنه المأمون وولاه اليمن لمواجهة حركات المعارضة الشيعية فأسس مدينة زبيد واتخذها مقراً له وأسس الدولة الزيدية التي بقيت حتى سقطت وقامت على انقاضها دولة بني نجاح، للمزيد ينظر : الخزرجي ، ابي الحسن علي بن الحسن (ت ٨١٣هـ)، العقد الفاخر الحسن في طبقات اكابر اليمن ، تحقيق: العبادي ، عبدالله بن قايد واخرون ، ط ١ ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، (د/ت)، ج ٤، ص ١٩٠٣-١٩٠٥ .
- (٢٧) . دولة تنسب إلى ولد عبيد الله بن زياد بن ابيه ، قامت في اليمن بتشجيع من المأمون بعد أن وصلت اليه انباء انتشار التشيع في اليمن واتخذت هذه الدولة من مدينة زبيد عاصمة لها ، انتهى امر هذه الدولة عام ٤٠٢هـ، للمزيد ينظر ، المصدر نفسه ، ج ٤، ص ١٩٠٣-١٩٠٥ ؛ القصير ، سيف الدين ، ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن ، دار البناييع ، دمشق ، (د/ت)، ص ٢٢-٢٣ .
- (٢٨) . برهانپوري ، قطب الدين سليمان جي (ت ١٢٤١هـ-١٨٢٦م) ، منتزع الأخبار في اخبار الدعاة الاخيار ، تحقيق : سامر فاروق طرابلسي، ط ١ ، دار الغرب، بيروت ، ١٩٩٩ ، ص ٢٤ (مقدمة التحقيق) .
- (٢٩) . الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ)، سير اعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الارناؤوط، ط ٩، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤١٣هـ ، ج ١٥ ، ص ١٤٨ : ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ) ، تتمة المختصر في اخبار البشر المسمى تاريخ ابن الوردي ، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٦ ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .
- (٣٠) . الحسين بن احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) ، إدريس ، عماد الدين بن الحسن الأنفي الداعي (ت ٨٧٢هـ) ، عيون الأخبار وفنون الآثار ،

- تحقيق : مصطفى غالب , ط ١, دار الاندلس ببيروت , (د/ت) , ج ٤, ص ٣٩٥-٤٠٠.
- (٣١) . المصدر نفسه, ج ٤, ص ٣٩٣-٣٩٤.
- (٣٢) . المصدر نفسه, ج ٤, ص ٣٩٦؛ النعمان , افتتاح الدعوة, ص ٧.
- (٣٣) . غلافقة بالفتح , بلد على ساحل بحر اليمن مقابل زبيد وهي مرسى زبيد وبينها وبين زبيد خمسة عشر ميلاً ترفاً إليها سفن البحر القاصدة لزبيد , الحموي , معجم البلدان ج ٤, ص ٢٠٨.
- (٣٤) . منطقة جبلية وعرة ترتفع عن سطح البحر ٢٥٠٠ متر وهي اليوم مركز اداري من مديرية أب يقع على بعد نحو ميلين عن مدينة جبلة , المقحفي , معجم البلدان والقبائل , ج ٢, ص ١٨٩٤.
- (٣٥) . مدينة في جبل صبر من أعمال صنعاء إلى جانبها قرية لطيفة يقال لها عدن لاعة وليست عدن أبين الساحلية .. وهي أول موضع ظهرت فيه دعوة العلوية باليمن , الحموي , معجم البلدان ج ٤, ص ٨٩.
- (٣٦) . إدريس عماد الدين, عيون الأخبار , ج ٥ , ص ٣٧ , القاضي النعمان , رسالة افتتاح الدعوة , ص ١٤-١٥ ; الهمداني , الصليحيون والحركة الفاطمية , ص ٣٢-٣٣.
- (٣٧) . هم من سلالة موسى بن محمد بن الحسين بن الامام المتوكل اسماعيل بن الامام القاسم بن محمد الحسيني من احفاد الامام الحسن بن علي (عليه السلام), المقحفي , معجم البلدان والقبائل, ج ٢, ص ١٦٨٦-١٦٨٧.
- (٣٨) . إدريس عماد الدين , عيون الأخبار , ج ٥, ص ٣٦؛ القاضي النعمان, رسالة افتتاح الدعوة , ص ١٤.
- (٣٩) . احمد بن عبد الله بن خليف , من دعاة الإسماعيلية في اليمن , كان يبشر بقدوم المهدي ويقول: في هذا العام يدخل المنصور , واعد لنصرتة مالاً وسلاحاً فسمع به والي صنعاء فحبسه حتى توفي في الحبس . إدريس عماد الدين الانف (ت ٨٧٢هـ) , نزهة الأفكار وروضة الأخبار في ذكر من قام باليمن من الملوك الكبار والدعاة الاخيار , مخطوط في مكتبة جامعة محمد بن سعود برقم (٤١٧), ورقة ١٤.
- (٤٠) . ابو حسان اسعد بن ابي يعفر بن محمد بن يعفر الحوالي مؤسس الدولة الحوالية في اليمن , عرف عنه انه كان فارساً جواداً مهيباً عظيم الدهاء توفي عام ٣٣٢هـ, ابن الديبع , ابي الضياء عبد الرحمن بن علي (ت ٩٤٤هـ) , قررة العيون بأخبار اليمن الميمون, تحقيق: محمد بن علي الاكوع , ط ٢, صنعاء, ١٩٨٨, ص ١٤٢.
- (٤١) . إدريس عماد الدين, عيون الأخبار , ج ٥, ص ٣١-٣٧؛ القاضي النعمان, افتتاح الدعوة

- ص ١٥.
- (٤٢) . الجندي ,ابي عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٧٣٢هـ), السلوك في طبقات العلماء والملوك, تحقيق: محمد بن علي الاكوع, مكتبة الرشاد, ط ١, صنعاء, ١٩٩٩, ص ٢٠٣.
- (٤٣) . حصن تحت جبل مسور الواقع إلى الجنوب الشرقي لحجة بمسافة ١٧ أميال ,ابن الديبع, قرّة العيون, ص ١٣٤-١٣٥.
- (٤٤) . الجندي , السلوك , ص ٢٠٣.
- (٤٥) . الحمادي اليمني, كشف اسرار , ص ٩٠؛ الخزرجي , شمس الدين ابي الحسن علي بن الحسن بن ابي بكر (ت ٨١٢هـ) , العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك, مخطوطة مصورة نشرتها وزارة الثقافة والاعلام اليمنية , صنعاء, ١٩٨١, ورقى ٣٧ ؛ ابن الديبع , قرّة العيون, ص ١٣٥.
- (٤٦) . جبل مرتفع يعرف بمسور المنتاب يقع إلى الشمال من صنعاء, المقحفي, معجم البلدان والقبائل, ج ٢, ص ١١٥٢٤.
- (٤٧) . ابن الديبع , قرّة العيون , ص ١٣٧.
- (٤٨) . الحمادي , كشف اسرار, ص ٩٥.
- (٤٩) . صقع واسع مترامي الاطراف شمال مدينة عدن , تربته خصبة وتنتشر فيه المزارع والبساتين , سمي نسبة إلى لحج بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن ايمن بن الهيمس بن حمير بن سبأ . المقحفي ,معجم البلدان والقبائل , ج ٢, ص ١٣٦٧.
- (٥٠) . هو محمد بن ابي العلاء الأصبحي الحميري صاحب أبين, ابن الديبع , قرّة العيون , ص ١٣٨.
- (٥١) . جعفر بن ابراهيم بن محمد بن احمد المناخي نسبة إلى آل مناخ ينسب اليه مخلاف جعفر باليمن . الحميري , نشوان بن سعيد (ت ٥٧٢هـ), خلاصة السير الجامعة لعجائب اخبار الملوك التبابعة , تحقيق: علي بن اسماعيل واسماعيل بن احمد الجرافي , ط ٢, دار العودة , بيروت , ١٩٧٨م, ص ١٦٧؛ ابن الديبع , قرّة العيون, ص ١٩١.
- (٥٢) . بلدة مشهورة اختطت على سفح جبل ثوبان في العدين وكانت عاصمة المناخين في القرن الثالث الهجري وانتزعها منهم الداعي علي بن الفضل عام ٢٩٢هـ وجعلها مقراً لحكمه , المقحفي ,معجم البلدان والقبائل , ج ٢, ص ١٤٧٣.
- (٥٣) . ابن الديبع , قرّة العيون , ص ١٤٠.
- (٥٤) . الخزرجي , العسجد المسبوك , ورقة ٤٠؛ ابن الديبع , قرّة العيون, ص ١٣٩-١٤١.

- (٥٥) .مخلاف فيه قصر ريدان ويزعمون أنه لم يبن قط مثله وبينه وبين ذمار ثمانية فراسخ، الحموي بياقوت، معجم البلدان ج٥، ص٤٣١.
- (٥٦) .قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء والنسبة اليها ذماري، المصدر نفسه، ج٣، ص٧.
- (٥٧) . الحمادي ، كشف اسرار الباطنية، ص١٠٢.
- (٥٨) . إدريس، عماد الدين ، عيون الأخبار ، ج٥، ص٤٠؛ الحميري، نشوان (ت ٥٧٣هـ) ، الحور العين، تحقيق : كمال مصطفى ، دار أزال ، ط ٢، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٥٣؛ الجندي ، السلوك ، ج١، ص٢٠٥؛ اليماني بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، ص ٤٣.
- (٥٩) . ص ٩٤-٩٥ (هامش رقم ١)
- (٦٠) . عارف، احمد عبد الله مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية والسياسية في اليمن فيما بين القرن الثالث والخامس الهجري ، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩١، ص٩٨.
- (٦١) .الصلحيون والحركة الفاطمية ، ص ٤٣.
- (٦٢) الشماعي ، عبد الله بن عبد الوهاب ، اليمن الانسان والحضارة، ط ٣ ، منشورات المدينة، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ١٢٤ .
- (٦٣) .فيروز
- (٦٤) . الجندي ، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج١، ص٢٠٩.
- (٦٥) . الحمادي ، كشف اسرار الباطنية، ص١٠٥.
- (٦٦) . إدريس عماد الدين، عيون الأخبار، ج٥، ص٤٢.
- (٦٧) . الحمادي ، كشف اسرار الباطنية ، ص١٠٩.
- (٦٨) .فالحمادي اليماني ذهب إلى القول ان رجلا من اهل بغداد وهب نفسه لله وللإسلام وقال للامير اسعد بن ابي يعفر تعاهدني واعاهدك على قتل هذا القرمطي فعاهده على ذلك ، وكان البغدادي طبيباً حاذقاً فخرج إلى المذيخرة فكان مع كبار اهل دولة القرمطي يفتح لهم العروق ويسقيهم الدواء حتى وصفوه للقرمطي بالحقق بالطب وفتح العرق فامر بن الفضل الطبيب البغدادي بان يفصده فعمد البغدادي إلى السم فجعله على شعر رأسه فدخل على القرمطي وسلم عليه ثم اخرج المبضع ثم مصه ومسحه برأسه فعلق به من السم حاجته وخرج من ساعته فلما احس بن الفضل بالموت امر بقتل الطبيب ، اما الاهدل فقد قال "...قدم رجل غريب بغدادي ..وصحب اسعد وانس به فقال انه ارسله صاحب بغداد ليحتال في قتل بن الفضل " اما الداعي إدريس فقد قال ان المهدي عبد الله هو الذي ارسل رجلين لقتله بعد خروجه عن الدعوة الإسماعيلية . للمزيد ينظر :كشف اسرار الباطنية ، ص١١١-١١٢؛ تحفة

- الزمن في تاريخ سادات اليمن ,تحقيق :محمد عبد الله الحبشي, المجمع الثقافي , ابو ظبي , ٢٠٠٤م, ج١, ص١٤٩؛ عيون الأخبار ,ج٥, ص٤٣, نزهة الأفكار , ورقة ١٤؛ العامري ,محمد حسين ابراهيم , المذاهب الاسلامية واثرها في الحياة السياسية والاجتماعية في بلاد اليمن (١٣٢-١٣٦٩هـ/ ٧٤٩-١١٧٤م) اطروحة دكتوراه غير منشورة -الجامعة المستنصرية /كلية التربية لعام ٢٠١٥م, هامش رقم ٣ ص١٩٨.
- (٦٩) .الحمادي , كشف اسرار ,ص١١٦؛ الخزرجي ,العسجد المسبوك , ورقة ٤٤؛ ابن الديبع , قرّة العيون ,ص١٥٤.
- (٧٠) . هو عبد الله بن العباس ابو محمد الشاوري ,من الاعيان وكان خصيصاً بمنصور بن حوشب الذي ارسله إلى افريقية حاملاً هديته إلى المهدي , عهد اليه ابن حوشب بالقيام بالدعوة بعد وفاته ,بامخرمة , ابي محمد الطيب بن عبد الله بن احمد (ت٩٤٧هـ), قلادة النحر في وفيات اعيان العصر ,ط١, دار المنهاج , الرياض , ٢٠١١م, ج٣ , ص٧٨.
- (٧١) . الحمادي ,كشف اسرار , ص١١٧؛ الخزرجي , العسجد المسبوك, ورقة ٤٤؛ ابن الديبع , قرّة العيون , ص١٥٥.
- (٧٢) . إدريس عماد الدين , نزهة الأفكار ,ورقة ١٤-١٥.
- (٧٣) .الحمادي , كشف اسرار,ص١١٨؛ الخزرجي , العسجد المسبوك , ورقة ٤٤؛ ابن الديبع , قرّة العيون ,ص١٥٥؛ سرور ,محمد جمال الدين ,النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ,ط٢, دار الفكر العربي , القاهرة , ١٩٥٩ , ص٧٢-٧٣.
- (٧٤) .سليمان , معن ,العلاقات الخارجية للخلافة الفاطمية في المرحلتين المغربية والمصرية , اطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية الاداب , جامعة دمشق , ٢٠٠٦, ص١٦٣-١٦٤.
- (٧٥) . سليمان , معن ,العلاقات الخارجية,ص٢٨٧.
- (٧٦) .الداعي الاسماعيلي محمد بن هارون بن رحيمة من قدم من بني شاوّر تولى الدعوة في زمن الحاكم الفاطمي, إدريس عماد الدين , نزهة الأفكار ,ورقة ١٥.
- (٧٧) . الداعي الاسماعيلي يوسف بن احمد بن الأشج الحميري واصله من مدينة شبام حمير , المصدر نفسه , ورقة ١٥.
- (٧٨) .سليمان بن عبد الله بن عامر الزواحي , من اهم زعماء حمير في منطقة مغارب اليمن الاعلى مثل شبام وكوكبان والمناطق المجاورة لها , توفي عام ٤٢٩هـ , إدريس عماد الدين , عيون الأخبار ,ج٧, ص١٦٨.
- (٧٩) .القاضي محمد بن علي الصليحي كان سني المذهب وله سؤدد ورياسة وطاعة في رجال حراز

- وعدهم اربعون الفاً ، عمارة اليمني، تاريخ اليمن ، ص ٥.
- (٨٠) . أبو الحسن علي بن محمد بن علي الصليحي القائم باليمن كان أبوه محمد قاضيا باليمن سني المذهب وكان أهله وجماعته يطيعونه وكان الداعي سليمان بن عبد الله بن عامر الزواحي يلاطفه ويركب إليه لرياسته وسؤدده وصلاحه وعلمه فلم يزل عامر المذكور حتى استمال قلب ولده علي واعده لقيادة الدعوة من بعده واوصى له بكتبه وامواله فاستطاع علي الصليحي نشر الدعوة الإسماعيلية وتكوين دولة شملت معظم اليمن قتل علي الصليحي سنة ٤٧٣هـ. للمزيد ينظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٣، ص ٤١١-٤١٣.
- (٨١) . إدريس عماد الدين، نزهة الأفكار ، ورقة ١٥.
- (٨٢) . هو جبل عال شامخ من جبال مديرية مناخة في حراز وبعد اعلى جبال حراز ومن معاقها الحصينة وقمته واسعة فسيحة تشمل على مزارع وقرى وحصون نها عثارة وحصن وسل والمصنعة وبيت القانص. المقحفي ، معجم البلدان والقبائل، ج ٢، ص ١٥٠٨.
- (٨٣) . عمارة اليمني، تاريخ اليمن ، ص ٦٣؛ الديبع ، قرة العيون ، ص ١٧٤.
- (٨٤) . المستنصر بالله : ٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٤م : هو ابو تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بامر الله ... الملقب بالمستنصر بالله ولد سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م وبويع له بالخلافة سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م وتوفي سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م فكانت مدة خلافته ستين سنة واربعة اشهر للمزيد ينظر : ابن ظافر ، جمال الدين علي الازدي (ت : ٦٢٣هـ ، اخبار الدول المنقطعة (القسم الخاص بالفاطميين) ، تحقيق اندريه ، المعهد الفرنسي ، القاهرة - ١٩٧٢م ، ص ٦٧-٨١ ؛ ابن حماد ، ابو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت : ٦٢٦هـ). اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق جلول محمد البدوي ، الجزائر ، (د/ت)، ص ٧٠-٧٢ ؛ ، المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت : ٨٤٥هـ) ، اتعاظ ، ج ٢ ، ص ١٨٤-٣٣٤ ؛ ابن تغري بردي ، جمال الدين ابي المحاسن الاتاكي (ت : ٨٧٤هـ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، القاهرة - لا.ت.، ج ٥ ، ص ١-٢٤.
- (٨٥) . ابن خلدون ، العبر ، ج ٤، ص ٢١٤؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣، ص ٤١٢.
- (٨٦) . عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، ص ٥٠؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ١٧٤.
- (٨٧) . ابن الديبع ، قرة العيون، ص ١٧٤.
- (٨٨) . قامت هذه الدولة على انقاض الدولة الزيادية ، اسسها احد موالى الدولة الزيادية ويدعى نجاح وحافظ على علاقة شكلية بالخلافة العباسية ، سقطت عام ٥٥٤هـ. الخزرجي ، العقد

- الفاخر الحسن ، ج٤، ص٢٢٠٠-٢٢٠٣.
- (٨٩) . ابو سعيد نجاح بن عبد الله الجزلي مؤسس دولة بني نجاح، من موالى الدولة الزيدانية ، اقام دولته على انقاض الدولة الزيدانية وابقى على علاقاته الشكليه بالخلافة العباسية فخطب للخليفة العباسي ولقب بنصير الدين المؤيد ، قتله علي بن محمد الصليحي بالسّم. المصدر نفسه ، ج٤، ص٢٢٠٣.
- (٩٠) . الخزرجي ، العسجد المسبوك، ورقة ٥٧؛ يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (ت ١١٠٠هـ)، غاية الأمانى في أخبار القطر اليماني ، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور ومحمد مصطفى زيادة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، ج١، ص٢٥٣.
- (٩١) . الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ورقة ١٠٥ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون، ص١٧٦.
- (٩٢) . الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ورقة ٥٧؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص١٧٦ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الاماني ، ص٢٥٣.
- (٩٣) . ابن الديبع ، قرة العيون، ص١٧٧.
- (٩٤) . ابو الفتح سعيد بن نجاح ملك اليمن في عصره ، هرب مع اخوته بعد مقتل أبيه نجاح بالسّم علي يد علي الصليحي واختفى في مدينة زبيد ، بقي يعد العدة للانتقام لمقتل والده حتى سنحت له الفرصة عندما خرج علي الصليحي للحج سنة ٤٥٩هـ فأغار سعيد على معسكر الصليحي وقتله وسبى زوجته السيدة اسماء وعاد إلى زبيد، قتل سعيد الاحول بتدبير من الملكة الحرة اروي سنة ٤٨١هـ. ينظر : الخزرجي، العقد الفاخر، ج٢، ص٩٦٦-٩٧٢.
- (٩٥) . عمارة اليماني ، تاريخ اليمن، ص٦٨؛ يحيى بن الحسين ، غاية الاماني ، ص٢٥٧.
- (٩٦) . ابو علي احمد بن علي بن محمد الصليحي الهمداني ، سلطان اليمن ، أمه أسماء بنت شهاب الصليحية ، تولى الحكم بعد مقتل والده على يد سعيد الاحول بن نجاح ووقعت والدته أسماء في الأسر فسار المكرم إلى سعيد وتمكن من قتله وتخليص والدته من الأسر ومن ثم عاد إلى مقر حكمه ليفوض امور الدولة إلى زوجته الملكة الحرة بسبب مرضه ، توفي سنة ٤٨٤هـ وقيل ٤٨١هـ. ابن الديبع ، قرة العيون ، ص١٨٢-١٨٦.
- (٩٧) . أسماء بنت شهاب : تلقب بالحنة الصليحية من شهيرات النساء في اليمن اذ كان يخطب لها مع زوجها من على منابر اليمن ، رافقت زوجها إلى الحجاز في رحلته التي قتل فيها علي يد سعيد بن نجاح ووقعت أسماء في الأسر حتى تمكن ولدها المكرم من تخليصها من الاسر، توفيت عام ٤٦٧هـ . للمزيد ينظر : بامخرمة ، ابي عبد الله الطيب بن عبد الله بن احمد (ت ٩٤٧هـ) ، تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائها ، تحقيق : علي حسن علي الحلبي ، ط٢ ، دار

الجيل ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ١٩٣ ؛ الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، ط ١٥ ، دار العلم للملايين بيروت ، ٢٠٠٢ هـ ، ج ١ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ ؛ غالب ، د. مصطفى ، اعلام الإسماعيلية ، دار اليقظة العربية للتأليف والطباعة والنشر ببيروت ، ١٩٦٤ م. ، ص ١٢٣ .

(٩٨) عمارة اليمني، تاريخ اليمن ، ص ٧٢.

(٩٩) . أروى وقيل سيدة بنت احمد بن جعفر بن موسى الصليحي وامها الرراح بنت الفارع بن موسى ، ولدت سنة ٤٤٠ هـ وتولت أسماء بنت شهاب تربيته وزوجتها لولدها المكرم الذي حكم بعد مقتل والده وعهد بادارة الدولة لزوجته الحرة الملكة فقامت بادارة الدولة وتولت فيما بعد الدعوة إلى الامام الطيب بن الامر حتى وفاتها سنة ٥٣٢ هـ ، للمزيد ينظر: عمارة اليمني ، تاريخ اليمن ، ص ٣٨-٣٩.

(١٠٠) . يحيى بن الحسين ، غاية الاماني ، ص ٢٧٤.

(١٠١) . هو احمد ابن المستنصر بالله الفاطمي ببيع بالخلافة دون أخيه الأكبر نزار الذي ولاه أبوه عهده وشرع في آخر البيعة له في أثناء مرضه ، غير أن الوزير الأفضل ابن بدر الجمالي أخذ يماطل الخليفة المستنصر بالله حتى توفي سنة ٤٨٧ هـ فبايع للمستعلي وابعد نزار ، توفي المستعلي سنه ٤٩٥ هـ. ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج ١ ، ص ١٧٨-١٨٠.

(١٠٢) . الامر باحكام الله (٤٩٥-٥٢٤ هـ) هو ابو علي بن الخليفة المستعلي بالله ولقبه الامر باحكام الله ، ولد سنة ٤٩٠ هـ ، تولى الخلافة بعد موت ابيه سنة ٤٩٥ هـ وقتل سنة ٥٢٤ هـ فكانت مدة خلافته تسع وعشرين سنة وتسعة اشهر ، للمزيد ينظر : ابن حماد ، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص ٧٣-٧٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات ، ج ٤ ، ص ٣٨٤-٣٨٦ ؛ ابن شاکر الكتبي ، محمد بن احمد (ت : ٧٦٤ هـ) ، عيون التواريخ ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد، (د/ت) ، ج ١٢ ، ص ٢٠٧ ؛ اليافعي ، ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت : ٧٦٨ هـ/١٣٦٦ م) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يفيد من حوادث الزمان ، مؤسسة الاعلامي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٧٠ م. ، ج ٣ ، ص ٢٤٠.

(١٠٣) . الانقسام الاسماعيلي الاول انقسمت الإسماعيلية إلى نزارية ومستعلية، (النزارية) هي الفرقة أو الجماعة التي تقول باحقية نزار الابن الاكبر للخليفة المستنصر بالله بالخلافة بعد موت والده لكن الافضل بن بدر الجمالي قام بأقصاء وتولية اخيه الاصغر ابو القاسم احمد ولقبه المستعلي بالله سنة ٤٨٧ هـ/١٠٣٥ م ، لصغر سنه ولسهولة السيطرة عليه فضلا عن صلة القرى فيما بينهما فهو ابن اخت الافضل بن بدر الجمالي ففر نزار إلى الاسكندرية وتسمى

بالمصطفى لدين الله وقد سانداه أهلها وبايعوه بمساعدة ناصر الدولة افتكين ، لكن الأفضل استطاع القبض على نزار واتباعه فحبس نزار في القصر وبنى حائط عليه وقتل افتكين وكثير من جماعته ويذكر المؤرخون السبب في إقصاء نزار لأن نزار كان رجلاً كبيراً له حاشية كثيرة وأراد طفلاً صغيراً يسهل السيطرة عليه فضلاً عن الخلاف الدائم فيما بينهما ، وأما (المستعلية) هي الجماعة أو الفرقة التي تؤيد تولي المستعلي بالله الحكم بعد أبيه الخليفة المستنصر بالله ، للمزيد ينظر : ابن الصيرفي ، أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان (ت : ٥٤٢هـ) . الإشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق : أيمن فؤاد سيد ، القاهرة . (د/ت) ، ص ٥٩ ؛ ابن القلانسي ، أبو يعلى حمزة (ت : ٥٥٥هـ/١١٦٠م) ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق : أمدرود ، مطبعة الإباء السيويعيين ، بيروت - ١٩٠٩م ، هامش ص ١٢٨-١٢٩ ؛ ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، ص ٧٢ ؛ ابن خلكان ، وفیات ، ج ٢ ، ص ٤٥٠ ؛ المقريزي ، الاعتاض ، ج ٣ ، ص ١١-١٣ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج ٥ ، ص ١٤٢-١٤٣ ، الطيار ، هيفاء عاصم ، مدينة القاهرة خلال عصر الخلافة الفاطمية ٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١م دراسة في النظم السياسية والمعالم الحضارية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى الجامعة المستنصرية _ المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية - قسم الدراسات التاريخية ، ٢٠٠٥

(١٠٤) . هو أبو الميمون عبدالمجيد بن الأمير أبي القاسم محمد بن المستنصر ، بدء خلافته سنة ٥٢٦ هـ / ١١٢٠ م ومات سنة ٥٤٤ هـ . أبْنْ ظهيرة ، أبو أسحاق برهان الدين إبراهيم : (ت ٨٩١ هـ) ، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا ، مراجعة : محمد كامل المهندس ، دار الكتب ، ١٩٦٩ ، ص ٤٢ .

**مدخل الى الصيغة السببية في
اللغتين الاكدية والعربية**

**أ.م. د. سجي مؤيد عبداللطيف
عبدالله علي محمد التميم**

مدخل الى الصيغة السببية في اللغتين الاكديّة والعربية

أ.م. د. سجي مؤيد عبداللطيف

عبدالله علي محمد التميم

- مفهوم السببية:

أ- السبب لغةً:

هو مشتقٌ من الجذر (س، ب، ب)، وللسين والباء حدّين ، الأول يدل على القطع، ومن ذلك السَّبُّ بمعنى الخمار لأنّه مقطوعٌ من منسجةٍ، والسَّبُّ هو الشتم، ولا قطيعة اقطع من الشتم.

أمّا الثاني فيدل على وصل، وطول، وامتداد فالسَّبب الحبل ^(١)، والسبب اعتلاق قرابة ، والسبب: الطريق، وسَبَبْتُ للماء مجرى سَوِيَّتُهُ ، والأسباب الوصل ^(٢)، والسبب سبب الأمر الذي يوصل به، وكل فصلٍ يوصل بشيء فهو سبب ^(٣)، ومن المعنى الثاني جاء معنى السبب ليدل على ما يتوصل به إلى المقصود، ويكون طريقاً للوصول إلى الغرض. ^(٤)

ب- السبب اصطلاحاً:

هو التسبب في إحداث فعلٍ ما، وهو بذلك يأخذ معنى التعديّة ، بان تضمن الفعل معنى التصيير، فيصير فاعلاً لأصل الفعل في المعنى ^(٥)، ومعنى التعديّة جعل ما كان فاعلاً لفعل لازم مفعولاً لمعنى الجعل فاعلاً لأصل الحدث، فمعنى أذهبتُ زيداً جعلتُ زيداً ذاهباً ، فزيد مفعول لمعنى الجعل الذي أستفيد من الهمزة وهو فاعل لأصل الحدث وهو الذهاب ^(٦)، وهكذا لا يختلف المعنى الاصطلاحي للسببية عن معناه اللغوي الذي ذكرناه آنفاً، بل هو مستمد منه ، والرباط بينهما الوسيلة، أو الطريقة التي تؤدي إلى الغرض.

يرتبط مفهوم السببية في اللغات العاربة^(٧) بمعنى التعدية التي يُقصد بها جعل الفاعل سبباً، أو طريقاً يصل من خلاله تأثير الفعل إلى المفعول به، وذلك من خلال زيادة على أصل الفعل، أو تغيير في بناءه، أو تضعيف عينه، أو تضمينه معنى معين^(٨)، ولَمَّا كُنَّا نعتقد أنَّ التعدية في اللغة العربية أكثر ملائمة لمفهوم السببية في اللغة الاكدية، فقد رجحنا ان تكون الصيغة الأساس المقابلة لها في اللغة العربية هي صيغة (افْعَلْ)، فضلاً عن صيغ أخرى تتدرج تحت إطار الصيغة السببية في اللغة الاكدية^(٩) يقابلها بلا شك بعض صيغ الأفعال المزیدة في اللغة العربية بما يتوافق مع الميزان الصرفي^(١٠)، ويتفق مع المعنى الدلالي للسببية كصيغتي (اِفْتَعَلَ) و(اِسْتَفْعَلَ)، وصيغ أخرى تتوافق بالمعنى، وتختلف من حيث البناء الصرفي مثل (فَاعَلَ)، و(تَفَاعَلَ)، و(فَعَّلَ) نظراً لان هذه الصيغ تأخذ معاني التعدية، وإن كان ذلك من معانيها الثانوية، ناهيك عن بعض صيغ المشتقات التي تتضمن معنى السببية كاسم الفاعل، واسم المفعول.^(١١)

تسمية الصيغة في اللغة الاكدية

من المعروف لدى المتخصصين في مجال الدراسات المسمارية، واللغات القديمة ان اللغة الاكدية عدة صيغ فعلية منها المجرد، ومنها المزید كما ذكرنا سابقاً، والمزیدة منها أما ان تكون بالتضعيف، او بأصوات الزيادة التي حصرها المتخصصون في العربية بكلمة (سألتمونيها) ونرجح وجودها غالباً^(١٢) في اللغة الاكدية، إذ إنَّ صوت (Š) الشين في الاكدية صوت مزید، وانه ينقل معنى الفعل في صيغة (G) الى متعدٍ في صيغة (Š) كما في المثالين التاليين:

şēnum eqlam īkul	أَكَلْتُ الماشية الحقل

eqlam šēnī ušākīlu	أَأْكَلُوا الماشية الحقل (جعلوا الماشية تأكل الحقل)

ففي العبارة الاولى ورد الفعل الاكدية īkul من الصيغة البسيطة (G)، وهو فعل متعدي الى مفعول واحد ، اما في العبارة الثانية فقد ورد نفس الفعل بالصيغة السببية (المزيدة بال-Š) لذلك نجده اخذ معنى السببية، وتعدى الى مفعولين ^(١٣)، وبذلك يكون صوت (Š) مقابلاً لهمزة التعدية في اللغة العربية صرفياً ودلالياً.

لقد درجت غالبية اللغات العاربة على استعمال أصوات (الشين ، والهمزة ، والهاء، والسين) كأصوات مزيدة على بنية الفعل الذي يخرج معناه بعد زيادتها الى السببية، او التعدية، فقد استعملت الاكدية صوت الشين (Š) فيما استعملت العربية صوتي الهمزة ، والهاء بالتناوب للدلالة على التعدية فيقال: أَرَقْتُ الماءَ، وهرَقْتُ الماءَ ، وانما كانت الهاء هنا بدلاً من الهمزة في أَرَقَ ^(١٤)، واستعملت العبرية الهاء لمثل هذا البناء نحو : هِيَعَشِيرَ بِمَعْنَى أَغْنَى، وتتطابق الكنعانية ، والارامية مع العبرية في استعمال الهاء للسببية فكلمة (هخبا) الكنعانية تعني أخبأ، و(هنبق) الارامية تعني أخرج، اما السريانية فقد استعملت صوت السين للدلالة على السببية نحو: سَحَلَبَ بِمَعْنَى أَبْدَلَ. ^(١٥)

ان امكانية ابدال اصوات (الهمزة ، والهاء، والسين، والشين) بين بنات اللغات العاربة واستعمالها لغرض واحد متأصلة في تلك اللغات، فأداة الشرط الاكدية šumma بمعنى (إذا) تقابلها (إن) الشرطية في العربية ، و(هم) في العبرية، فضلاً عن ضمائر الغائب التي تبدأ في الاكدية بصوت الشين نحو: (šū, šī, šunu, šina) في الاكدية تقابلها (هو، هي، هم ،هن) في العربية

(١٦) كما نلاحظ إمكانية تبادل هذه الاصوات في نطاق اللغة الواحدة كما في قول العرب: أراق، و هراق، و تسعس، وتشعشع (١٧) أضف الى ذلك فقد تشاركت العربية، والاكدية في توظيف صوتي الزيادة (الهمزة في العربية، والـ Š الاكدية) لإنتاج صيغة باوزان متعددة ذات وظائف مختلفة، ضمن وحدة بنائية متطابقة شكلاً، ومختلفة مضموناً، إذ أن الصيغ المزیدة بالهمزة في العربية، والـ Š في الاكدية تؤدي معاني متعددة غير السببية، ومن ذلك مثلاً ورود اسم التفضيل في العربية على وزن (أفعل) التي للتفضيل اي بزيادة الهمزة على اول الثلاثي المجرد نحو: أرى من الثلاثي رَی، ومن ذلك قوله تعالى(ان تكون امة هي اری من امة) (١٨) أي أزیّد وأعظم.

وفي الاكدية يصاغ اسم التفضيل من الثلاثي على وزن šuprus نحو:

أعظم الاله الايككي	šurbû ^d lgigi

ف šurbu من المصدر rabû بمعنى عَظُمَ أو رَبَى.

وكذلك:

إختيار حجر اثن من حجر	NA ₄ ni-siq-tú NA ₄ šu-qu-ra-tú

أو تكون متضمنة الإشارة الى اسم الفاعل ومن ذلك في العربية قوله عز وجل(ريكم اعلم بكم) (١٩) وفي الاكدية يرد مثل هذا الاستعمال في نحو:

الاله مردوخ اعلم بالحمة	^d Marduk šu-tur uz-ni

وتقدير الكلام عالمٌ بالحكمة

كما قد تكون متضمنة لمعنى الصفة المشبهة، ومنه في العربية قول الله تعالى(وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه) (٢٠) اي هو عليه هين لانه لا يُقال: شيء اهون من شيء، كذلك القول في الاذان(الله اكبر) فتاويله الله كبير، وقد ورد ما يطابق هذا في الاكدية وفق الاتي:

قدره اعظم	Šu-tur la-a-an-šu

ومعناه عظيم.

وخلاصة القول ان المسألة ليست باختلاف الاصوات انما باتفاق الوظائف التي تؤديها الاوزان الواردة بشكل واحد معتمدة بالاساس على صوت الزيادة؛ فالعربية اعتمدت الهمزة، والاكديّة اعتمدت الـŠ، وبذلك يمكننا القول بأن صوت الزيادة الهمزة العربية يطابق صوت الزيادة الـŠ الاكديّة من الناحية الوظيفية. (٢١)

وبناءً على ماسبق فاننا نرجح ان تكون التسمية الدقيقة لصيغة (Š) في اللغة الاكديّة (الصيغة المزيّدة بالـŠ)، وتطرد تسمية الصيغ الثانويّة من هذه الصيغة فتكون الصيغة الثانويّة الاولى (الصيغة المزيّدة بالـŠt)، والصيغة الثانويّة الثانية (الصيغة المزيّدة بالـŠtn)، وبهذا تكون الصيغ السببية صيغاً مزيّدة بصوت واحد ، او صوتين، او ثلاثة اصوات، وذلك تبعاً لعدد اصوات الزيادة التي تظهر فيها، وقد رجحنا انّ الصيغ السببية الاكديّة تقابل الصيغ (أَفْعَلْ، إِفْتَعَلْ، إِسْتَفْعَلْ) في اللغة العربية من الناحيتين الصرفية، والدلالية مع وجود بعض الاختلافات اليسيرة، وربما تطابقت من حيث المعنى - بغض النظر عن توافق البناء الصرفي - مع بعض الصيغ المتعدية (السببية) في اللغة العربية كصيغ (فَاعَلَ، تَفَاعَلَ، وَقَعَلَ، وَتَفَعَّلَ)، وهذا ما يحتاج الى دراسات مستقبلية لإثباته.

الصيغ الفعلية السببية في اللغة العربية

الصيغة هي الخلقة أو الهيئة^(٢٢)، والصيغة هي تهيئة شيء على مثال مستقيم^(٢٣)، واصل الكلمة بالواو (صوغ) إلا أنها قلبت ياءً مكسورة^(٢٤)، والصيغة الصرفية هي قالب الذي تصاغ الكلمات على قياسه، وهي مبنى فرعياً من مبنى التقسيم اسماً كان، او صفةً، او فعلاً، وكل واحدة من هذه الفروع تعبر عن معنى فرعي منبثق عمّا يفيد المبنى الاكبر من معنى

تقسيمي عام كالاسمية، والوصفية، والفعلية، ومعلوم ان لكل من الاسماء، والصفات، والافعال صيغاً خاصة^(٢٥)، وتنقسم الصيغ التي يأتي عليها الفعل في اللغة العربية من حيث التجرد، والزيادة تبعاً لنوعي الفعل مجرداً، او مزيداً الى نوعين هما صيغ مجردة، واخرى مزيدة، وتعرف الأفعال المجردة (بانها ما تجردت من اصوات الزيادة)، ومعنى ذلك ان أصواتها أصيلة لا يمكن الاستغناء عنها، ولا يسقط صوتٌ منها عند تصريفها الا لعلّة نحو: كتب، أخذ، عدّ، وأكثر ما يكون عليه المجرد رباعياً.

أما الأفعال المزيدة او (المزيد فيها) فهي (ما زيد فيها صوت او أكثر من أصوات الزيادة على أصواتها الأصلية نحو: أكرم، ناضل، انتصر)، واكثر ما ينتهي في الزيادة الى ستة، ولا يتجاوزها الا بصوت التنفيس (السين)، و تاء التأنيث، او نون التوكيد^(٢٦)، ولا يعدل عن الصيغة المجردة الى المزيدة إلا إذا أتت بمعنى جديد لم يكن قبل الزيادة^(٢٧)، على ان ذلك ليس مطرداً ولا مطلقاً.^(٢٨)

ان المعاني التي تتحقق بهذه الزيادة منها ما يكون شائعاً كالتعديّة بالهمزة، والتكثير، والمبالغة بالتضعيف، والطلب بالهمزة، والسين، والتاء، والمشاركة بالهمزة، والتاء وغيرها من المعاني.^(٢٩)

ان الزيادة التي تعتري الصيغ الفعلية نوعان : نوع يكون بتكرار صوت من اصول الفعل، وتسمى عند ذاك صيغة مضَعَّفة، وجميع اصوات الزيادة تقبل التضعيف الا صوت الالف.

أما النوع الثاني فيكون بزيادة صوت، او اكثر من اصوات الزيادة التي جمعها الصرفيون بقولهم "سألتمونيها"^(٣٠)، ولا يراد باصوات الزيادة انها لا تأتي في اللفظ إلا زائدة بل ان الزيادة بغير التكرار لا تكون إلا منها، وقد تكون جميع اصول اللفظ منها^(٣١)، وربما كانت اصوات الزيادة من الاهمية لدرجة ان بعض اللغويين أوصلوها لأكثر من مئة وثلاثون تركيباً

الغاية منها بلا شك تسهيل حفظها^(٣٢)، والراجح عندنا ان معنى الصيغ السببية في اللغة الاكديّة يقابل في اللغة العربية كل ما اخذ معنى التعدية من الصيغ المزيّدة بغض النظر عن المعاني الاخرى التي تختص بها كل صيغة على حدى على ان ابلغ الصيغ العربية في تادية معنى السببية هي صيغة (أَفْعَلْ)، ولما كان الفعل المزيّد في اللغة العربية نوعان مزيّد ثلاثي، ومزيّد رباعي نجد ان الصيغة السببية في اللغة العربية تظهر في صيغ فعلية محدّدة^(٣٣) يمكن إجمالها بالآتي:

١. الفعل الثلاثي المزيّد بصوت واحد هو همزة التعدية في صيغة (أَفْعَلْ) نحو: أَجْلَسْتُهُ، وَأَخْرَجْتُهُ.
٢. الفعل الثلاثي المزيّد بصوت واحد وهو تضعيف عينه في صيغة (فَعَّلَ) نحو: فَرَّحْتُهُ اي جعلته فرحاً
٣. الفعل الثلاثي المزيّد بصوت واحد وهو الألف بين فاء الفعل وعينه في صيغة (فَاعَلَ) نحو : عافاك الله بمعنى أعفاك.
٤. الفعل الثلاثي المزيّد بصوتين همزة في اوله، وتاء بعد عينه في صيغة (إِفْتَعَلَ) نحو: إِرْتَجَلَ الخُطْبَةَ.^(٣٤)
٥. الفعل الثلاثي المزيّد بصوتين تاء في اوله، والـف بعد عينه في صيغة (تَفَاعَلَ) نحو: تَخَاطَأَ بمعنى أخطأ
٦. الفعل الثلاثي المزيّد بثلاثة أصوات همزة، وسين، وتاء في اوله في صيغة (إِسْتَفْعَلَ) نحو إِسْتَخْلَفَ لأهله بمعنى أخلف.^(٣٥)
٧. الفعل الثلاثي المزيّد بثلاثة اصوات تاء في اوله، وتضعيف عينه في صيغة (تَفَعَّلَ) نحو: تَعَلَّمَ.

اما المزيّد الرباعي فلم نجد فيه مايدل على السببية ، إذ اقتصرت معانيه على المطاوعة، والمبالغة.^(٣٦)

اصوات الزيادة وأثرها في تشكيل الصيغة

يُعنى بالزيادة ان يضاف الى أصوات الكلمة الأصلية صوت، او أكثر لغرض لفظي، او معنوي، وغالباً فان كل زيادة في المبنى تقابلها زيادة في المعنى^(٣٧)، وقد اعتمد الصرفيون العرب على الجذر الثلاثي للمفردات ميزاناً لمعرفة المجرد من المزيد، لأن المفردات الثلاثية عندهم اكثر من غيرها.^(٣٨)

تعد أصوات الزيادة من وسائل اغناء اللغة التي رصدها الصرفيون وحددوا دلالاتها وفق الصيغ التي ترد فيها، وهي ضابط من ضوابط الصياغة في باب الدلالة ، وتكون على الأصل المجرد للكلمة، ومن هنا تقسم الزيادة الى قسمين :

الاول: زيادة الثلاثي وتكون بصوت او صوتين او ثلاثة أصوات

الثاني: زيادة الرباعي وتكون بصوت واحد او صوتين.^(٣٩)

إن لأصوات الزيادة اثرٌ كبير في تشكيل الصيغ الفعلية، والاسمية التي تتضمن مفهوم السببية، كما ان كل صوت من تلك الاصوات يؤثر بطبيعة الحال على معنى المفردة من خلال التأثير في بنيتها، إذ يتوسع استعمال السببية في اللغات العاربة الى اكثر من معنى واحد، وقولنا سببية لانه يعد المعنى الاساس لهذه الصيغة فضلاً عن استعمالها لمعنى الشدة ، والمبالغة، والمشاركة (بان يقوم شخص ما بعمل فعل مرتبط بشخص اخر)، كما انها تستعمل للدلالة على المساعدة ، وتحمل كذلك المعنى التبادلي (بان يقوم شخص ما بتسييب عمل يقوم به شخص اخر مقابل له)^(٤٠)، وقد رجح الباحثون بان اللغات العاربة تصوغ السببية بمعناها الرئيس باصوات معينة هي (الشين) في الاكدية نحو: ušapris. بمعنى (أفرز) اي تسبب في الفرز، و(الهمزة) في العربية نحو: (أخرج) اي تسبب في الخروج، و(الهاء) في

العبرية نحو (هيعاشير) بمعنى اغنى، و (السين) في السريانية نحو: (سبرك) بمعنى ابرك اي تسبب في بروكه^(٤١)، ويحدث ان تتبادل هذه الاصوات بين اللغات العاربة فضلاً عن تبادل بعضها مع البعض الاخر في نطاق اللغة الواحدة كما في العربية أراق الماء، وهراق الماء بذات المعنى.^(٤٢) وقد استعملت الاوغاريتية اصوات (الهمزة، والهاء، والشين) لتأدية معنى السببية^(٤٣)، واذا كان بعض المشتغلين بالدراسات اللغوية المقارنة قد عَدُّوا صوت (الهمزة) صوتاً أصيلاً في اللغات العاربة، وذهبوا الى ان صعوبة الصوت قد دفعت كثيراً من تلك اللغات ومنذ زمن قديم الى إجراء كثير من التحولات على هذا الصوت إلا ان العربية الفصحى عندما تشكلت اختارت الهمزة مظهراً قوياً فصيحاً من مظاهرها المهمة، واستعملتها استعمالاً دقيقاً في تشكيل صيغة (أَفْعَل) على انها انضج الوسائل التي توصل الصيغة الى معنى السببية، وتقلها من اللزوم الى التعدي^(٤٤)، فاننا نرجح ان يكون صوت الشين في الاكدية اكثر بلاغة من أصوات الزيادة الاخرى الموجودة في اللغات العاربة فقد شغل مكان غير واحد منها، وبهذا يعد صوت الشين احد اهم العناصر التي يتركب بمعيتها هيكل، او بنيان اللغة الاكدية، ونعتقد ان هذا الصوت من الأصوات الأصلية في اللغة الاكدية، وليس ذلك بدعاً من القول بقدر ما هو راجع الى فكرة راسخة في أذهاننا بيد ان هذا الصوت لم يختف من بنيان اللغة الاكدية في مرحلة تدوينها بنظام الكتابة المسمارية المبتدع أصلاً لتدوين لغة بعيدة عنها من ناحية القرابة اللغوية، والذي يظهر جلياً ان صوت الشين صوتاً أصيلاً في تكوين البنية الصوتية للغة السومرية، وبالتالي فانه لم يتأثر بنظام الكتابة المسمارية، ولم تجرِ عليه اي تعديلات مثلما أجريت على الأصوات الحلقية على سبيل المثال^(٤٥)، ولعلنا لا نبالي ان هذا الصوت (š) اي صوت الشين، يعود الى مراحل سحيقة في القدم إذ أنه صوت متأصل في اللغة الاكدية، وذلك للأسباب التالية:

١. ان صوت الشين في الاكديّة نتج عن صوت الشين الأصلية الموروثة في اللغة العاربة الام .

٢. ان صوت الشين في الاكديّة نتج عن صوت الشين الناتجة عن تحول السين الجنبية ، وهي التي تعبر عن ما يسمى بال(السامخ)في العبرية .

٣. في الاكديّة مصدر ثالث لصوت الشين وهي الناتجة عن تحول الثاء الموجودة في العاربة الام نحو كلمة ثوم ، وفي الاكديّة (šum) بذات المعنى (٤٦)

ونخلص مما سبق الى نتيجة مفادها (ان ما كان لا يحتاج لغيره لتوضيح صيغة ما ، كان من الأوّل أن يكون أصلاً ، وأكثر بلاغةً مما يحتاج إلى غيره لتوضيح معنى من المعاني)

العلاقة السببية في الصيغ المتعدية بين الاكديّة والعربية

ثمة علاقة تمازجية تربط الصيغ المتضمنة معنى السببية في الاكديّة ، والعربية فمن حيث البناء الصرفي فان أصوات الزيادة تدخل على المفردات فتغير بناءها ، وينتج من ذلك غالباً تغير في المعنى الدلالي لتلك الصيغ سواء اكانت اسمية ، ام وصفية ، ام فعلية ، ومن جانب آخر نجد ان الصيغ التي تآثرت بنيوياً بأصوات الزيادة قد اشتركت معنوياً في الدلالة ، فقد جاء معنى السببية في كل ما اخذ مفهوم التعدية من الصيغ الصرفية سواء تعدى بهمزة التعدية ، او الف المفاعلة ، او التضعيف ، او التضمين المعنوي ، او بزيادة الهمزة ، والسين ، والتاء... الخ من الصيغ الفعلية ، وما جاء بمعنى السببية من الصيغ الاسمية ، وتأسيساً على ما سبق يمكن اجمال الصيغ السببية في اللغة العربية بالأوزان الآتية:

(أَفْعَلْ،فَعَّلْ،فَاعَلْ،تَفَاعَلَ،إِفْتَعَلَ،تَفَعَّلَ،إِسْتَفْعَلَ،مُفَعَّلٌ،مُفَعَّلٌ).^(٤٧) اما في اللغة الاكدية فهو كل صيغة دخل عليها أصوات (Š) أو (Št) أو (Štn) كأصوات زيادة ،وتضمنت معنى السببية، أو التعدية.^(٤٨)

السببية بين التعدي واللزوم

عرفنا فيما سبق ان التعدية، او مفهوم السببية يعني التسبب في احداث ذلك الفعل المشتق من الأصل المجرد ، وان من أساسياته دخول الهمزة في العربية كما في صيغة (أَفْعَلْ)، ودخول الشين في الاكدية كما في صيغة (ušapris) بمعنى (أَفْرَزَ)، إذ تدخل هذه الزوائد على الفعل المجرد فتتقل معناه من فعل لازم الى متعدي ، ومن متعدي الى مفعول واحد الى متعدي الى مفعولين ، ومن متعدي الى مفعولين الى متعدي الى ثلاثة مفاعيل^(٤٩) ، إلا ان همزة التعدية في العربية ،والشين "š" السببية في الاكدية قد تعمل خلافاً لما سبق فتحول الصيغة من التعدي الى اللزوم، وذلك في الاحوال التي يبقى الحدث فيها ملازماً للفاعل كما في العربية (أَعْرَضَ) اي ظهر وبان، وفي الاكدية (šulburu) بمعنى أهرم اي كَبُرَ وشَاخَ^(٥٠).

الاستنتاجات:

- ١- يرتبط مفهوم السببية في اللغات العاربة بمعنى التعدية التي يُقصد بها جعل الفاعل سبباً، أو طريقاً يصل من خلاله تأثير الفعل إلى المفعول به، وذلك من خلال زيادة على أصل الفعل، أو تغيير في بناءه، أو تضعيف عينه، أو تضمينه معنى معين .
- ٢- لقد درجت غالبية اللغات العاربة على استعمال أصوات (الشين ، والهمزة ،والهاء، والسين) كأصوات مزيدة على بنية الفعل الذي يخرج معناه بعد زيادتها الى السببية، او

التعدية، فقد استعملت الاكدية صوت الشين(Š) فيما استعملت العربية صوتي الهمزة ،والهاء بالتناوب للدلالة على التعدية

٣- ان امكانية ابدال اصوات (الهمزة ، والهاء ، والسين ، والشين) بين بنات اللغات العاربة واستعمالها لغرض واحد متأصلة في تلك اللغات، فأداة الشرط الاكدية šumma بمعنى (إذا) تقابلها (إن)الشرطية في العربية ، و(هم) في العبرية، فضلاً عن ضمائر الغائب التي تبدأ في الاكدية بصوت الشين فيما تبدأ في العربية بصوت الهاء . نحو: (šu,ši,šunu,šina) في الاكدية تقابلها (هو،هي،هم،هن)في العربية .

٤- تشاركت العربية ،والاكدية في توظيف صَوْتِي الزيادة (الهمزة في العربية، وال Š في الاكدية)لإنتاج صيغ باوزان متعددة ذات وظائف مختلفة، ضمن وحدة بنائية متطابقة شكلاً، ومختلفة مضموناً، إذ أن الصيغ المزیدة بالهمزة في العربية ،والŠ في الاكدية تؤدي معاني متعددة غير السببية، ومن ذلك مثلاً اسم التفضيل الذي يرد في العربية على وزن (أَفْعَلْ) ،وفي الاكدية على وزن (šuprus) ، وخلاصة القول ان المسألة ليست باختلاف الاصوات انما باتفاق الوظائف التي تؤديها الاوزان الواردة بشكل واحد معتمدة بالاساس على صوت الزيادة ؛ فالعربية اعتمدت الهمزة، والاكدية اعتمدت الŠ، وبذلك يمكننا القول بأن صوت الزيادة الهمزة العربية يطابق صوت الزيادة الŠ الاكدية من الناحية الوظيفية.

٥- إن لأصوات الزيادة اثر كبير في تشكيل الصيغ الفعلية، والاسمية التي تتضمن مفهوم السببية ،كما ان كل صوت من تلك الاصوات يؤثر بطبيعة الحال على معنى المفردة من خلال التأثير في بنيتها، إذ يتوسع استعمال السببية في اللغات العاربة الى اكثر من معنى واحد.

٦- نرجح ان يكون صوت الشين في الاكدية اكثر بلاغة من أصوات الزيادة الاخرى الموجودة في اللغات العاربة فقد شغل مكان غير واحد منها ، وبهذا يعد صوت الشين احد اهم العناصر التي يتركب بمعيتها هيكل، او بنیان اللغة الاكدية ، ونعتقد ان هذا الصوت من الأصوات الأصلية في اللغة الاكدية.

٧- بالرغم من ان الوظيفة الاساس لهمزة التعدي في العربية ،والشين"š" السببية في الاكدية هي التعدي إلا انها قد تعمل خلافاً لما سبق فتحول الصيغة من التعدي الى اللزوم، وذلك في الاحوال التي يبقى الحدث فيها ملازماً للفاعل كما في العربية (أعرَضَ)اي ظهر وبان، وفي الاكدية (šulburu) بمعنى أهرَمَ اي كَبُرَ وشَاخَ.

الهوامش والمصادر

- (١) ابن فارس ،ابو الحسين احمد ، معجم المقاييس في اللغة ، حققه شهاب الدين ابو عمرو، ط١ ، دار الفكر، ١٩٩٤، ص ٤٧٥، وما بعدها. وكذلك ابن منظور، لسان العرب، ج٤، القاهرة، ٢٠٠٣، مادة سبب، ص٤٥٩ وما بعدها.
- (٢) الزمخشري، جار الله ابو القاسم محمود ابن عمر، اساس البلاغة، ط١، بيروت، ٢٠٠١، ص٣٣٤.
- (٣) الفراهيدي، الخليل ابن احمد، العين، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ج٧، بغداد، ١٩٨٤، ص٢٠٤.
- (٤) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، مكتبة مشكاة الاسلامية، ص٨٧. وكذلك الرمانى، ابي الحسن ابن علي، الحدود في علم النحو، ص٢. وكذلك فرحات ،سميرة ، معجم الباقلائي، ط١، بيروت، ١٩٩١، ص٢٢٥.
- (٥) نور الدين، عصام، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٧، ص٢٠١.
- (٦) النائلة ، عبد الجبار علوان، الصرف الواضح، بغداد ، ١٩٨٨، ص٩٩، هامش رقم (١).
- (٧) وهي تلك اللغات التي تكلمت بها الأقوام التي نشأت في شبه الجزيرة العربية . وقد أطلق على هذه المجموعة من اللغات مصطلح "اللغات السامية". وكان أول من أطلق هذه التسمية هو اليهودي النمساوي شلوتزر في عام ١٨٧٨م حيث عدَّ جميع المتكلمين بهذه اللغات ينحدرون عن جد واحد هو سام بن نوح مستندا في ذلك على ما ورد في كتاب العهد القديم عن انساب سام بن نوح وقد اثبتت الدراسات العلمية عدم دقة هذه التسمية من الناحية التاريخية واللغوية والانثروبولوجية وبات من الضروري على الباحثين ايجاد تسمية ادق واقرب الى الواقعين العلمي والتاريخي، وكان أول من دعا الى ذلك الأستاذ جواد علي في كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام) حيث اطلق على تلك اللغات اسم (العربية) وفي عام ١٩٧٣ أشار الأستاذ طه باقر بضرورة

استبدال مصطلح (السامية) بتسمية اخرى هي (لغات الجزيرة) او (اللغات العربية) وفي الاعوام اللاحقة استعمل الدكتور سامي سعيد الاحمد في كتابه (تاريخ اللغات الجزرية) مصطلح (اللغات الجزرية) وفي عام ١٩٧٨ اقترح د. عامر سليمان استعمال مصطلح اللغات العربية القديمة، وتسمية الاقوام التي تكلمت هذه اللغات بـ (الاقوام العربية القديمة) ، وفي عام ١٩٩٩ اقترح د. محمد بهجت قبيسي في كتابه (ملاح في فقه اللهجات العربيات من الاكادية والكنعانية وحتى السبئية والعذنانية) استعمال مصطلح (العربيات) للدلالة على تلك اللغات، واطلق على كل واحدة منها اسمها كما ورد في النصوص القديمة مسبقاً بعبارة (اللهجة العربية) فسمى الاكادية مثلاً اللهجة العربية الاكادية والارامية اللهجة العربية الارامية وهكذا وكانت تسمية (العاربة) هي اخر تسمية اقترحها د. خالد اسماعيل في كتابه (فقه اللغات العاربة المقارن) واقرها المجمع العلمي العراقي في عام ٢٠٠١ حيث اعتمدت تسمية (العاربة) للدلالة على عائلة اللغات العربية القديمة وتسمية العرب القدماء على المتكلمين بتلك اللغات. ينظر: التميم، عبد الله علي محمد ، العدد في اللغة الاكادية-دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٨، ص ١٠، هامش رقم (٣)

(٨) للمزيد حول وسائل تعديّة الفعل في اللغة العربية. ينظر: أبو المكارم، علي، الجملة الفعلية، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٥١.

(٩) يرجح الباحثون وجود اربع صيغ اساسية للفعل في اللغة الاكادية وتشق من كل واحدة من تلك الصيغ صيغتان ثانويتان. تكون الاولى باضافة حشوة (ta) للصيغة الاساسية ،والثانية باضافة حشوة (tan) او (tana) للصيغة الاساسية. وقد اطلق الباحثون عدة تسميات على الصيغ الاربعة الرئيسة والصيغ الثانوية الملحقة بهما .فاطلقوا على الصيغة البسيطة (Ground stamm) وأُخِذَ الحرف الاول منها (G) مختصراً دالاً عليها، والصيغة المضعّفة (Dobell stamm) وأُخِذَ الحرف الاول منها (D) مختصراً دالاً عليها. أمّا الصيغة السببية فأُخِذَ حرف (Š) مختصراً لها في حين جاء حرف (N) للدلالة على الصيغة الرابعة (التي نرجح انها صيغة مطاوعة فيما عدها الباحثون صيغة المبني للمجهول) أمّا الصيغ الثانوية الاولى من الصيغ الرئيسة فقد رُمِزَ لها بالرموز (Gt, Dt, Št, Nt) ، كما رُمِزَ للصيغ الثانوية الثانية بالرموز (Gtn, Dtn, Štn, Ntn) ، ومنهم من استعمل الارقام اللاتينية (I, II, III, IV) للصيغ الرئيسة البسيطة ، والمضعّفة، والسببية، و (صيغة المطاوعة) المبنية للمجهول على التوالي، وللصيغ الثانوية الاولى (I2, II2, III2, IV2) أما الصيغ الثانوية الثانية فقد أُشير إليها بالرموز (I3, II3, III3, IV3). ينظر: حنون ، نائل، المعجم المسماري، ج ١، بغداد، ٢٠٠١، ص ٤٥ وما بعدها، وكذلك سليمان ، عامر، اللغة الاكادية البابلية-

الاشورية تاريخها وتدوينها وقواعدها، الموصل، ١٩٩١، ص ٢٦٤. إلا أننا نرجح ان هناك صيغة رئيسة واحدة للفعل في اللغة الاكدية وهي صيغة ال(G) والتي يقابلها في العربية صيغة (فَعَلَ) أما الصيغ الاخرى فهي صيغ مزيدة، فصيغة(D) مزيدة بالتضعيف، وصيغة(Š) مزيدة بالŠ، وصيغة(N) مزيدة بال(N)، فضلاً عن أنَّ الصيغ الثانوية من هذه الصيغ الاكدية الأربع جميعها مزيدة وتعطي معانٍ مختلفة عما كانت عليه قبل الزيادة.

(١٠) يُقصد بالميزان الصرفي: المقياس الصرفي الذي تُعرف به احوال أبنية الكلمة حسب ميزانها المُقدر ويؤتى به لبيان احوال أبنية الكلمة، والتوصل الى معرفة الزائد من الاصلي على سبيل الاختصار. للمزيد ينظر: نزهة الطرف شرح بناء الأفعال في علم الصرف، ص ١٣ وما بعدها. وكذلك الحملاوي، احمد، شذا العرف في فن الصرف، شرحه وفهرسه الدكتور عبد الحميد النداوي، بيروت، ط ٤، ٢٠٠١، ص ١٨.

(١١) تصاغ أوزان هذه المشتقات من الثلاثي المزيد والرباعي المجرد والمزيد . بما يتوافق وحال كل من اللغتين الاكدية والعربية للمزيد حول اللغة العربية ينظر: المنصوري، علي جابر، والخفاجي، علاء الدين هاشم، محاضرات في علم الصرف، بغداد، ١٩٨٩، ص ٣٠. وللأكدية ينظر:

Buccellati, G., A Structural Grammar of Babylonian, (SGB) Wiesbaden, 1996, p.269.

وكذلك ينظر: موسكاتي، سباتينو، وآخرون، المدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ترجمة د. مهدي المخزومي، ود. عبد الجبار المطلبي، ط ١، بيروت، ١٩٩٣، ص ٢٦٣ وما بعدها.

(١٢) إنما قلنا غالباً لأننا غير متأكدين من وجود بعضها مثل (اللام، والسين) كاصوات زيادة في الصيغ الفعلية إلا من خلال الادغام، والاقلاب ويمكن ان توجد جميعها اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار بان صوت (Š) الشين الاكدي يمكن ان ينوب عن صوتي الهمزة والهاء قياساً مع بعض اللغات العاربة كالعبرية والعربية، ويعوض عن صوتي اللام، والسين في نطاق لهجات اللغة الاكدية بتأثير الادغام والاقلاب
ينظر:

E.A.Speiser, "the elative in west simitic and Akkadian", JCS, Vol.6, no.2, 1952, p.81.

وكذلك ينظر: الجبوري، علي ياسين، " بعض خصائص اللهجة الاشورية الحديثة " ندوة الاصل المشترك للغات العراقية القديمة، بغداد، ١٩٩٨، ص ٤٧ وما بعدها.

(١٣) علي، محمد محارب، "تعدية الفعل في اللغة الاكدية"، مجلة التربية والعلم، مج ١٩، ع ٣، ٢٠١٢، ص ٤٢.

(١٤) محمد، نجاة سعد، ما وقع من الطوال العشر شاهداً في النحو والصرف، ط ١، ليبيا، ٢٠٠٨، ص ٥٤-٥٥.

(15) Lipinski, E., Semitic Languages Outline of Comparative Grammar (*SLOGG*), 2nd Ed, Leuven, 2001.p.396.

وكذلك بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، د. د، ١٩٧٧، ص ١١٠ وما بعدها.

(١٦) ينظر: نهر، هادي، الاساس في فقه اللغة العربية وارومتها، ط ١، عمان، ٢٠٠٢، ص ١٠٥. وللمزيد حول الضمائر في اللغة الاكدية ينظر: المزوري، رونق جندي، الضمائر الشخصية في اللغة الاكدية-دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٦.

(١٧) عبابنة، يحيى، التطور السيمائي لصور الكتابة العربية، ط ١، مؤتة، ٢٠٠٠، ص ١٦٤.

(١٨) النحل، الاية: ٩٢

(١٩) الاسراء، الاية: ٥٤

(٢٠) الروم، الاية: ٢٧

(٢١) للمزيد حول اسم التفضيل في اللغة الاكدية ينظر: القيسي، ابراهيم حسين حمد، الوصف المشتق غير العامل في اللغة الاكدية دراسة مقارنة مع اللغة العربية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠١٤، ص ٥٢ وما بعدها.

على اننا لا ننق مع الباحث في ما ذهب اليه على ان اسم التفضيل مشتق من الصيغة السببية بل نجزم بان لكل من السببية، واسم التفضيل بناء مستقل خاص به إلا ان هذه الابنية متشابهة من حيث شكل الصيغة، ومختلفة من حيث الوزن، والمضمون الوظيفي.

(٢٢) الزمخشري، جار الله ابو القاسم محمود ابن عمر، اساس البلاغة، مصدر سابق، مادة صوغ، ص ٤٣٥.

(٢٣) ابن فارس، ابو الحسين احمد ابن زكريا، معجم المقاييس في اللغة، مصدر سابق، مادة صوغ، ص ٥٨١.

(٢٤) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج ٥، مادة صوغ، ص ٤٣١.

(٢٥) ينظر: حسان ،تمام، اللغة العربية ميناها ومعناها، القاهرة ،١٩٧٣، ص ص ٢٠٩، ٢٠٨. وكذلك ينظر: الساقى، فاضل مصطفى، الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، القاهرة ١٩٧٧، ص ١٨٩-١٩٠.

(٢٦) النائلة، عبد الجبار علوان، الصرف الواضح، مصدر سابق، ص ٩٧.

(٢٧) النائلة، عبد الجبار علوان، الصرف الواضح، مصدر سابق، ص ٢٧.

(٢٨) ترد معاني بعض الصيغ المزيّدة بمعنى المجرد. للمزيد ينظر: نور الدين، عصام، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، مصدر سابق، ص ٢٢٠. وكذلك الخويسكي، زين كامل، الزوائد في الصيغ في اللغة العربية في الأفعال، الاسكندرية، د.ت، ص ١٧. وكذلك محمد، معن يحيى، المجالات الدلالية لصيغة (أَفْعَل) في القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ١٩٩٨، ص ١٦. وللزيد حول الزيادة والغرض منها ينظر: عبد الحميد، محمد محيي الدين، دروس التصريف، بيروت، ١٩٩٥، ص ٣٥ وما بعدها.

(٢٩) ينظر: شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، بيروت، ١٩٨٠، ص ٦٩.

(٣٠) من طريف ما يذكر في هذا الباب ان تلميذاً سأل شيخه عنها اي (اصوات الزيادة) فاجاب الشيخ سألتونيها فقال التلميذ والله ما سألتك إلا هذه النوبة فقال الشيخ اليوم تنساه فقال التلميذ والله لا أنساه فقال الشيخ قد أجبتك مرتين. ينظر: شلاش، هاشم طه، واخرون، المذهب في علم التصريف، بغداد، ١٩٨٩، ص ٧٨. وكذلك ينظر: ميران، حيدر فخري، الوحدات الصرفية المقيدة في اللغة العربية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٤، ص ٢٤٣. وما بعدها.

(٣١) نهر، هادي، الصرف الوافي، بغداد، ١٩٨٨، ص ٥١.

(٣٢) شلاش، هاشم طه، واخرون، المذهب في علم التصريف، مصدر سابق، ص ٧٨.

(٣٣) تخرج معاني بعض الصيغ الاسمية كالمشتقات الى معنى السببية في اللغتين الاكديّة والعربية. وتتشابه صياغة بعض المشتقات في نطاق اللغة الواحدة مع بعض الاختلافات اليسيرة. للغة العربية العربية ينظر: الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية، مكتبة مشكاة الاسلامية، ج ١، ص ١٢٢. وللغة الاكديّة ينظر: رشيد، فوزي، قواعد اللغة الاكديّة، ط ١، دمشق، ٢٠٠٩، ص ٧٥ وما بعدها.

(٣٤) يجيء (إفْتَعَلَ) في هذا المقام مما لا يُضبط. وقد رجحنا أن يعطي معنى السببية. ينظر: نور الدين، عصام، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، مصدر سابق، ص ٢٢٦.

(٣٥) تجدر الإشارة الى ان اسباب تعدية الفعل في اللغة العربية ثمانية هي (الهمزة، والتضعيف، وألف المفاعلة، وزيادة حرف الجر، والتضمين النحوي، وحذف حرف الجر

توسّعاً، وتحويل الفعل اللازم الى باب نَصَرَ بقصد المبالغة للمزيد ينظر: الحملاوي، احمد بن محمد، شذا العرف في فن الصرف، مصدر سابق، ص ٥٧-٥٨.

(٣٦) عبد الحميد، محمد محيي الدين، دروس التصريف، المصدر السابق، ص ٨٠.

(٣٧) رجّح اللغويون ، والصرفيون بان الزيادة لا لغرض هي عبث، وفسروا ورود المجرّد، والمزيد بمعنى واحد بأنّه ضربٌ من الحذقة (اي زيادة في التفصح في اللغة) إذ أن الزيادة في نحو (قاله) و(أقاله)، (سقاّه) و(أسقاّه) إنما هي إقرار وتأكيد لمعنى المجرّد فصارت (أقاله) (بلغ من (قاله) و(أسقاّه) (بلغ من (سقاّه)). ينظر: هلال، محمد محمود، الوافي الحديث في فن التصريف، بنغازي، د.ت، ص ١٢٩.

(٣٨) لقد تباينت اراء الباحثين في اصول جذور المفردات في اللغات العاربة، فمنهم من ردها الى اصول أحادية ومنهم من قال بأصولها الثنائية، فيما رجح فريق ثالث الأصول الثلاثية. للمزيد ينظر: النجار، عبد الحليم، "دراسة مقارنة بين الاكديّة والعربية"، مجلة كلية الاداب جامعة بغداد، ع ١، ١٩٥٩، ص ٨١ وما بعدها.

(٣٩) ينظر: بسندي، خالد عبد الكريم، الزيادة ومعانيها في الأبنية الصرفية في ديوان الطفيل الغنوي، ط ١، اصدارات مركز الجاسر الثقافي، ٢٠٠٩، ص ٣.

(40) SLOCG, op.cit, p.396.

(41) SLOCG, op.cit, p.396

(٤٢) محمد، نجاة سعد، ما وقع من الطوال العشر شاهداً في النحو والصرف، مصدر سابق، ص ٥٤.

(43) E.A.Speiser, op.cit, p.81, no.3

(٤٤) ينظر: عابنة، يحيى، النظام اللغوي للهجة الصفاوية في ضوء الفصحى واللغات السامية، ط ١، جامعة مؤتة، ١٩٩٧، ص ص ١٦٩، ١٦٧. وكذلك ينظر: يعقوب، اميل بديع، المعجم الوافي في النحو والصرف والاعراب، ط ١، ج ١، لبنان، ٢٠١١، ص ٧.

(٤٥) حول تأثير أصوات اللغة الاكديّة بنظام الكتابة المسمارية. ينظر: سليمان، عامر، اللغة الاكديّة طبعة مزيّدة ومنقّحة، الموصل، ٢٠٠٥، ص ١١٣ وما بعدها.

(٤٦) ينظر: صفيّة، وحيد، أشكال التبدلات الصوتية في اللغات السامية، مجلة جامعة حلب للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج ٣١، ع ١، سوريا، ٢٠٠٩، ص ١٥.

- (٤٧) ينظر على سبيل المثال وليس الحصر: نور الدين، عصام، ابنية الفعل في شافية ابن الحاجب...، مصدر سابق، ص ٢٠١ وما بعدها. وكذلك ينظر: المنصوري، علي جابر، والخفاجي، علاء الدين هاشم، محاضرات في علم الصرف، مصدر سابق، ص ٣٠ وما بعدها.
- (٤٨) ينظر: رشيد، فوزي، قواعد اللغة الاكدية، مصدر سابق، ص ٧٤-٧٥؛ وكذلك ينظر: حنون، نائل، المعجم المسماري...، مصدر سابق، ص ١٥٥ وما بعدها.
- (٤٩) للمزيد حول تعدية الفعل في اللغة الاكدية ينظر: علي، محمد محارب، "تعدية الفعل في اللغة الاكدية"، مصدر سابق. ؛ وللغة العربية ينظر: النائلة، عبد الجبار علوان، الصرف الواضح، مصدر سابق، ص ٩٩. وكذلك محمد، معن يحيى، المجالات الدلالية لصيغة (أفعل)...، مصدر سابق، ص ٢٧٩.
- (٥٠) ينظر: موسكاتي، سباتينو، وآخرون، المدخل الى نحو اللغات السامية المقارن، مصدر سابق، ص ٢١٤.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر العربية

١. ابن فارس، ابو الحسين احمد، معجم المقاييس في اللغة، حققه شهاب الدين ابو عمرو، ط ١، دار الفكر، ١٩٩٤.
٢. ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، القاهرة، ٢٠٠٣.
٣. ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج ٤، القاهرة، ٢٠٠٣.
٤. أبو المكارم، علي، الجملة الفعلية، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٧.
٥. بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، د.م.
٦. بسندي، خالد عبد الكريم، الزيادة ومعانيها في الأبنية الصرفية في ديوان الطفيل الغنوي، ط ١، اصدارات مركز الجاسر الثقافي، ٢٠٠٩.

٧. التميم، عبد الله علي محمد ، العدد في اللغة الاكديّة- دراسة مقارنة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل، ٢٠٠٨.
٨. الجبوري ،علي ياسين، "بعض خصائص اللهجة الاشورية الحديثة" ندوة الاصل المشترك للغات العراقية القديمة، بغداد، ١٩٩٨.
٩. الجرجاني ،علي بن محمد بن علي، التعريفات، مكتبة مشكاة الاسلامية.
١٠. حسان ،تمام، اللغة العربية مبناها ومعناها، القاهرة، ١٩٧٣.
١١. الحماوي ،احمد، شذا العرف في فن الصرف، شرحه وفهرسه الدكتور عبد الحميد النداوي، بيروت، ط٤، ٢٠٠١.
١٢. حنون، نائل، المعجم المسماري، ج ١، بغداد، ٢٠٠١.
١٣. الخويسكي، زين كامل، الزوائد في الصيغ في اللغة العربية في الأفعال، الاسكندرية، د.ت.
١٤. رشيد، فوزي، قواعد اللغة الاكديّة، ط ١ ، دمشق، ٢٠٠٩.
١٥. الرماني ،ابي الحسن ابن علي، الحدود في علم النحو، مكتبة مشكاة الاسلامية.
١٦. الزمخشري، جار الله ابو القاسم محمود ابن عمر، اساس البلاغة، ط١، بيروت، ٢٠٠١.
١٧. الساقى، فاضل مصطفى، الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، القاهرة، ١٩٧٧.
١٨. سليمان ،عامر، اللغة الاكديّة البابليّة- الاشورية تاريخها وتدوينها وقواعدها، الموصل، ١٩٩١.
١٩. سليمان، عامر، اللغة الاكديّة طبعة مزيدة ومنقحة، الموصل ، ٢٠٠٥.
٢٠. شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، بيروت، ١٩٨٠.
٢١. شلاش، هاشم طه، وآخرون، المذهب في علم التصريف، بغداد، ١٩٨٩.
٢٢. صفية ، وحيد ، أشكال التبدلات الصوتية في اللغات السامية ، مجلة جامعة حلب للبحوث والدراسات العلمية ،سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ، مج ٣١، ع ١، سوريا ، ٢٠٠٩.

٢٣. عابنة، يحيى، التطور السيمائي لصور الكتابة العربية، ط١، مؤتة، ٢٠٠٠.
٢٤. عابنة، يحيى، النظام اللغوي للهجة الصفاوية في ضوء الفصحى واللغات السامية، ط١، جامعة مؤتة، ١٩٩٧.
٢٥. عبدالحميد، محمد محيي الدين، دروس التصريف، بيروت، ١٩٩٥.
٢٦. علي، محمد محارب، "تعددية الفعل في اللغة الاكدية"، مجلة التربية والعلم، مج١٩، ع٣، ٢٠١٢.
٢٧. الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية، موسوعة بثلاثة اجزاء، مكتبة مشكاة الاسلامية.
٢٨. الفراهيدي، الخليل ابن احمد، العين، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ج٧، بغداد، ١٩٨٤.
٢٩. فرحات، سميرة، معجم الباقلائي، ط١، بيروت، ١٩٩١.
٣٠. القيسي، ابراهيم حسين حمد، ا لوصف المشتق غير العامل في اللغة الاكدية دراسة مقارنة مع اللغة العربية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠١٤.
٣١. محمد، معن يحيى، المجالات الدلالية لصيغة (أَفْعَل) في القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ١٩٨٨.
٣٢. محمد، نجاه سعد، ما وقع من الطوال العشر شاهداً في النحو والصرف، ط١، ليبيا، ٢٠٠٨.
٣٣. المزوري، رونق جندي، الضمائر الشخصية في اللغة الاكدية-دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٦.
٣٤. المنصوري، علي جابر، الخفاجي، علاء الدين هاشم، محاضرات في علم الصرف، بغداد، ١٩٨٩.
٣٥. موسكاتي، سباتينو، وآخرون، مدخل الى نحو اللغات السامية المقارن، ترجمه وقدم له د. مهدي المخزومي وعبد الجبار المطلبي، ط ١، عالم الكتب-بيروت، ١٩٩٣.

- ٣٦.ميران، حيدر فخري، الوحدات الصرفية المقيدة في اللغة العربية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٤.
٣٧. النائلة، عبد الجبار علوان، الصرف الواضح، بغداد، ١٩٨٨.
٣٨. النجار، عبد الحليم، "دراسة مقارنة بين الاكدية والعربية"، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، ع ١، ١٩٥٩.
٣٩. نزهة الطرف شرح بناء الأفعال في علم الصرف.
٤٠. نهر، هادي، الاساس في فقه اللغة العربية وارومتها، ط ١، عمّان، ٢٠٠٢.
٤١. نهر، هادي، الصرف الوافي، بغداد، ١٩٨٨.
٤٢. نور الدين، عصام، ابنية الفعل في شافية ابن الحاجب، ط ١، بيروت، ١٩٩٧.
٤٣. هلال، محمد محمود، الوافي الحديث في فن التصريف، بنگازي، د.ت.
٤٤. يعقوب، اميل بديع، المعجم الوافي في النحو والصرف والاعراب، ط ١، ج ١، لبنان، ٢٠١١.

ثانياً: المصادر الاجنبية

45. Speiser, E., A., The "Elative" in west Semitic and Akkadian", Journal of Cuneiform Studies, (USA), (**JCS**) , Vol.VI , (1952).
46. Buccellati, G., A Structural Grammar of Babylonian, (**SGB**) Wiesbaden, 1996.
47. Lipinski, E., Semitic Languages Outline of Comparative Grammar (**SLOGG**), 2nd Ed, Leuven, 2001.

**مدارس الشرطة في الدولة
العثمانية مدرسة الشرطة في بغداد
١٩١١ – ١٩١٧ أنموذجاً**

د. عمر إبراهيم الشلال

جامعة بغداد / كلية اللغات

مدارس الشرطة في الدولة العثمانية مدرسة الشرطة في بغداد ١٩١١ - ١٩١٧ أنموذجاً

د. عمر إبراهيم الشلال

ملخص البحث

بدأ تشكيل قوات الشرطة في الدولة العثمانية في منتصف القرن التاسع عشر , عندما تم تأسيس أول قوة شرطة مهنية في إسطنبول عام (١٨٤٥م). وتم فيما بعد تشكيل قوات شرطة محلية في العديد من المناطق والولايات منذ عام (١٨٤٧م). ومنذ العقد الأول من القرن العشرين, ولاسيما بعد إلتقلاب العثماني في عام (١٩٠٨م), إذ اولت الحكومة العثمانية اهتمامها بتطوير القدرات المهنية لأفراد الشرطة من خلال فتح مدارس شرطة في إسطنبول , فضلاً عن مراكز من الولايات الأخرى ومن ضمنها ولاية بغداد.

ان هذه الدراسة تتناول البدايات الاولى لتأسيس مدارس الشرطة في الدولة العثمانية, وكذلك مدرسة شرطة بغداد (١٩١١-١٩١٧م) وتركز على بداياتها , ومناهجها , ودوراتها الدراسية , والامتحانات , وعدد الملتحقين بكل دورة من الطلاب ومراتبهم . وكان مصدرنا الأساسي الوثائق العثمانية غير المنشورة المحفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء في إسطنبول, التي زودتنا بمعلومات واحصاءات اصيلة تتعلق بهذا الموضوع.

Abstract

The formation of modern police forces in the ottoman states began in mid 19th century, when the first professional police force established in Istanbul in 1845. After 1847 local police forces established in many districts. Since the first decade of 20th century the ottomans, especially after the young Turks coup in 1908, gave attention to enhance the professional capabilities of

police personnel by opening police schools in Istanbul and other wilaytes, including the Baghdad police school .

This study deals with police schools in the ottoman stats early beginnings, and Baghdad police school(1911-1917), and focusing on it's beginning , curricula, courses, examinations ,the number of each course students and their ranks .Our main sources were the Ottoman unpublished documents located in the Basbakanlik Archive in Istanbul, which provide us with original information and statistics relating to this subject

مُقَدِّمَة

يُعد أرشيف رئاسة الوزراء في اسطنبول Başbakanlik Osmanli Arşivi ، واحداً من الإرشيفات التاريخية المهمة في العالم ، إذ يضم ما بين ١٥٠-٢٠٠ مليون وثيقة تغطي مختلف جوانب تاريخ الدولة العثمانية والمناطق التي خضعت لسيطرتها على مدى قرون في اسيا وأوربا وأفريقيا. والحقيقة ان بإمكان من يراجع هذا الإرشيف ويطلع على وثائقه ان يكتب الكثير من البحوث والدراسات الأصلية ، لاسيما ان كانت الوثائق التي يعتمدها وثائق جديدة لم يسبق نشرها. ومن بين تلك الوثائق الكثير ما يخص التعليم في الدولة العثمانية ، بما في ذلك مدارس الشرطة في العديد من ولاياتها، ومنها بغداد.

يعود اهتمام الدولة العثمانية بمدارس الشرطة الى اوائل القرن العشرين ، إذ تم فتح أول مدرسة للشرطة في سالونيك عام (١٩٠٧م)، بعد حوادث الإشقياء في منطقة (الروملي) وإخلالهم بالأمن، ومحاولة الدول الأوروبية استغلال ذلك للتدخل في شؤون الدولة العثمانية من خلال محاولة إرسال ضباط شرطة أوروبيين إلى المنطقة بحجة الحفاظ على حقوق أبناء الأقليات، لكن الدولة العثمانية رفضت ذلك، وبعد مناقشات تقرر أن تقوم قوات (الضابطة أو الضبطية) العثمانية بمهمة الحفاظ على الأمن.

وتم تأسيس أول مدرسة شرطة في المنطقة العربية في ولاية بيروت، ثم تبعتها بأخرى في ولاية بغداد، وكانت الدراسة في مدرسة الشرطة في ولاية بغداد عبارة عن دورة تدريبية، يتلقى الملتحقون بها دروساً نظرية وعملية مكثفة تتعلق بالمجالات التي

يتعامل بها منتسبو الشرطة، ولقد كان هدف إنشاء مدارس الشرطة في الولايات العثمانية هو اكتساب أفراد الشرطة معلومات نظرية ولياقة بدنية تثري عملهم في مجال ضبط الأمن والنظام، وهذا يعني أن المدارس لم تؤسس لإعداد رجال شرطة، بل لتطوير قدرات وكفاءة منتسبي الشرطة.

إشكالية الموضوع:

- متى استحدثت المدارس العسكرية والشرطة في الإدارة العثمانية، وما أثرها في المنطقة العربية، ولا سيما في العراق، ومتى وردت في الوثائق التاريخية.
 - ما هو منهاج مدارس الشرطة في العهد العثماني، وما هي مدة الدراسة لمنتسبيها.
 - من هم أعضاء الهيئة التدريسية، وما هي أسماء طلابها وتحصيلهم الدراسي حسبما يرد في الوثائق العثمانية.
 - ما أثر مدارس الشرطة في حفظ الأمن والنظام العام في الدولة العثمانية .
- إن هذه الأسئلة مع أسئلة أخرى ستأتي في حينها تحتاج إلى إجابة موثقة معقدة، وعلى ضوء هذه الإجابات يمكن شرح تاريخ العثماني مدرسة شرطة ولاية بغداد في الاعوام الاخيرة من العهد.

بدايات تأسيس مدارس الشرطة في الدولة العثمانية:

يعود تأسيس المدارس العسكرية في الدولة العثمانية إلى عام (١٧٣٤م)، إذ تأسست أول مدرسة عسكرية تحت اسم " مهندسخانء فنون بريءء همايون " (دار هندسة الفنون البرية السلطانية) في حي أسكدار بإسطنبول .

تأسست أول مدرسة اعدادية عسكرية في اسطنبول في عام (١٨٤٥م)، ولكن لم يمر وقت طويل حتى أحست هذه المدرسة هي الاخرى بالحاجة الى طلاب قادرين على استيعاب موادها الدراسية ، فاضطرت الدولة الى تأسيس مدرسة ذات مستوى أدنى منها ، وهي المدرسة الرشدية العسكرية أسوة بالمدرسة الرشدية المدنية ، وبهذا وضعت المدارس العسكرية على مسارها الصحيح.

وكانت المدارس العسكرية في بداية الأمر بسيطة في مناهجها ومفرداتها وذات إمكانات محدودة، وسعت الدولة جاهدة إلى تطويرها وإعادة النظر في هيكليتها كلما دعت الحاجة، ومما يجدر ذكره أن المدارس العسكرية لم تكن مفتوحة لطائفة دون أخرى، بل كانت مفتوحة منذ إصلاحات عهد التنظيمات^(١) (١٨٣٩-١٨٧٦م) لكل الرعايا بغض النظر عن أديانهم أو مذاهبهم أو أعراقهم، هذا ينطبق على فترة ما بعد إصلاحات التنظيمات في القرن التاسع عشر، إذ لم يكن يسمح لاحد من النصاري واليهود قبل عهد التنظيمات بالخدمة أو العمل في المؤسسات والوحدات العسكرية وكانت الدولة العثمانية تستقطب رعايا ولايات الدولة التي لم تؤسس فيها هذا النوع من المدارس العسكرية، فقامت باستقدام طلاب من ولايات بغداد، واليمن والحجاز والشام وطرابلس الغرب وكريت وأنقره، للدراسة في الإعدادية العسكرية في إسطنبول^(٢).

وكان تاريخ تأسيس المدرسة الإعدادية العسكرية في ولاية بغداد عام (١٨٧١م)، ولكونها مركزاً للفيلق العثماني السادس، واتخذت المدرسة من إحدى الدور في محلة الطوبجية ببغداد مقراً لها.

تأسست أولى مدارس الشرطة في الدولة العثمانية (بوليس مكتبلري) في كل من سالونيك وإسطنبول في العقد الأول من القرن العشرين، وذلك بهدف اكتساب أفراد الشرطة معلومات نظرية ولياقة بدنية تثري عملهم في مجال ضبط الأمن والنظام، وهذا يعني أن المدارس لم تؤسس لإعداد رجال شرطة، بل لتطوير قدرات وكفاءة منتسبي الشرطة، ولم يمر وقت طويل حتى تقرر تطبيق هذه التجربة في أماكن أخرى من ولايات الدولة العثمانية، مثل ولاية بيروت، وولاية بغداد، وولاية أرضروم وغيرها^(٣).

بدأت تشكيلات الشرطة في الدولة العثمانية منذ عهد التنظيمات، وتحديدًا في عام (١٨٤٥م) مع تأسيس تشكيلات الشرطة، كان هذا التطور قد استمر لمدة قصيرة، وسرعان ما تم تأسيس نظام عسكري للأمن والأمن الداخلي مع تأسيس (مشيرية الضبطية) في عام (١٨٤٦م) بمعنى إنها أخذت طابع عسكري^(٤).

وكانت هذه المشيرية التي تضم (الجندرية) والشرطة في مقدمتها مسؤولة عن شؤون الأمن الداخلي، وكان كل عناصرها يعملون تحت إدارتها سوية بمعنى الشرطة إلى جانب (الجندرية)^(٥).

إن إصلاح تشكيلات الشرطة بالمعنى الحقيقي أنجزت في عام (١٨٨٠م) ففي هذه المدة تم تأسيس تشكيلات شرطة التي تضم كادر كبير، وتم تقسيم المدن إلى مناطق، ولعل من الجدير ذكره تم تخصيص قطعة أرض لبناء مراكز للشرطة لكل منطقة^(٦). وخلال المدة ذاتها تقرر في (الرابع من كانون الأول ١٨٧٩م) أخذ الأمور الأمنية من " مشيرية الضبطية " وإحالتها إلى مقام السر عسكر (وزير الحرب)، ثم بعد ذلك أُحيلت إلى " نظارة الضبطية " (٧)، وكانت مهام هذه النظارة تشمل القضايا الأمنية في إسطنبول وأطرافها، ثم اتسعت لتشمل كل أنحاء البلاد مع انتشار تشكيلات الشرطة فيها^(٨).

أما بالنسبة لتعليم الشرطة فقد كان موضوع إهتمام أيضاً، ففي عام (١٨٨٩م) تم افتتاح (الدرسخانه) (٩) لزيادة المعلومات القانونية لدى أفراد الشرطة^(١٠)، فبالرغم من اختيار أفراد الشرطة من بين الذين يحسنون القراءة والكتابة، ولكنهم لم يكونوا على دراية بالمسائل القانونية والحقوقية ولهذا تم تأسيس (الدرسخانه)^(١١)، وأضيفت درجات وظيفية في هذه الوحدة التعليمية الأولى (مفوض وجاوشية الشرطة) في اسطنبول، وكانوا يتعلمون فيها ما يتعلق بأصول القوانين الجزائية أي؛ قانون العقوبات ومواده، وكانت مدة الدراسة يومين في الأسبوع، ولمدة ساعة ونصف في كل يوم منهما، وكان الذين ينجحون فيها يحصلون على ترقية ومكافأة.

بعد ذلك تم التفكير في فتح مدرسة للشرطة بعد حوادث الإشقياء في منطقة (الروملي)^(١٢) وإخلالهم بالأمن ومحاولة الدول الأوروبية استغلال ذلك للتدخل في شؤون الدولة العثمانية من خلال محاولة إرسال ضباط شرطة أوروبيين إلى المنطقة بحجة الحفاظ على حقوق أبناء الإقليات، لكن الدولة العثمانية رفضت ذلك، وبعد مناقشات تقرر أن تقوم قوات (الضابطة أو الضبطية) العثمانية بمهمة الحفاظ على

الأمن، والمواقفة على اصرار القوى الأوروبية بخصوص تعليم قوات الجندرية والشرطة من قبل مجموعة من ضابط الشرطة الأجانب^(١٣).

وبناءً على ذلك تم تأسيس أول مدرسة شرطة في (سالونيك) ، وكان مقرها بجوار المستشفى العسكري في المدينة وكان أول مديراً لها المقدم (ليون بوزو) (Leon Bozo) البلجيكي الجنسية، وتم تعيين حسن بك السالونيكى مأمور مركز باكركوي (Bakirkoy) بصفة مترجم مع ليون بوزو، وكان من ضمن معلمي مدرسة سالونيك اشخاص مشهورون أمثال (رفيق بك مانيا سي زاده) و(نسيم مازلياح) في عام (١٩٠٧م)، وأعقبه بعد مدة شخص ايطالي هو كابريني (Kapriani)، وكان يدرس فيها الطلاب الذين يتم تعيينهم في ولايات (سالونيك، واسكوب، ومناستر) وأطرافها، واستمرت هذه المدرسة حتى عام (١٩٠٨م)، عندما أغلقت وعاد الضباط الأجانب إلى بلادهم بعد إلغاء تشكيلات المفتشية العمومية بعد انقلاب عام (١٩٠٨م)^(١٤).

بعد إعلان (المشروطة الثانية) بعد انقلاب عام (١٩٠٨م) بدأت مساعي إصلاح وتطوير جهاز الشرطة وتشكيل (مديرية الأمن العمومي) التي عُين (الميرالاي غالب بيك) مديراً لها وتسارعت بعدها عملية الإصلاح في سلك الشرطة^(١٥). كما لم يُهمل أمر تعليم الشرطة إذ افتتحت مدرسة الشرطة في إسطنبول في (الأول من حزيران ١٩٠٩م) وكان مقرها في الموقع القديم لـ(دائرة المابين)^(١٦) في قصر السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م)، اي (قصر يلدز)^(١٧)، وكانت مدة الدراسة فيها ستة أشهر، وكانت أول دفعة من الطلبة فيها (٤٠٠) طالب منهم (٢٥٠) من مراكز شرطة إسطنبول، و(١٥٠) طالب من مراكز الشرطة خارجها، وكان المنهج الدراسي يتضمن؛ القانون، وأنظمة الشرطة، والاتصالات الهاتفية، والاتصالات البرقية (التلغراف)، والتربية البدنية، والتربية المسلكية، والخدمة الفعلية، والإسعافات الأولية، وحفظ الصحة، التصوير الفوتوغرافي، والحساب، وأصول الكتابة^(١٨).

لذلك وبعد نجاح هذه التجربة اتسعت لتشمل فتح مدارس في العديد من مراكز الولايات العثمانية من عام (١٩٠٩م) مثل؛ ولاية بيروت ، ولاية بغداد، (ولاية سالونيك)، (ولاية ارضروم)، (ولاية أدنه)، (ولاية طرابزون)^(١٩).

كانت الدراسة في مدرسة الشرطة في ولاية بغداد عبارة عن دورة تدريبية يتلقى الملتحقون بها دروساً نظرية وعملية مكثفة تتعلق بالمجالات التي يتعامل بها منتسبو الشرطة وهذه الدروس: قانون الجزاء (العقوبات)، أصول المحاكمات الجزائية، القانون الدولي والإداري، التطبيقات والكتابة، نظام الشرطة، التربية المهنية، التصوير الفوتوغرافي، حفظ الصحة، التدريب، الجمناستك، الرسم التخطيطي، طبعة الأصابع، الاتصالات البرقية^(٢٠).

كانت مدة الدراسة في مدارس الشرطة أربعة أشهر، إلا أن القائمين على إدارة مدرسة الشرطة في بيروت رأوا أن هذه المدة غير كافية، ولا سيما أن بعض الطلاب لا يجيدون التركية بشكل يتيح لهم استيعاب الدروس، فقامت بمفاتيحة مديرية الأمن العامة في وزارة الداخلية لاستحصال الموافقة على جعل مدة الدراسة ستة أشهر، وبالفعل وافقت على ذلك في مدرسة الشرطة في ولاية بيروت ثم بعد ذلك شمل مدرسة الشرطة في ولاية بغداد^(٢١).

مدارس الشرطة التي تم افتتاحها في عهد (المشروطة الثانية) مع تواريخ التأسيس، وتاريخ توقف المدرسة^(٢٢).

المدرسة	العام ميلادية
مدرسة شرطة بغداد.	١٩١٠ - ١٩١٩
مدرسة شرطة (ارضروم).	١٩١٠ - ١٩١٧
مدرسة شرطة (ادنه).	١٩١٤ - ١٩١٥
مدرسة شرطة بيروت.	١٩١٠ - ١٩١٨ (تقريباً)
مدرسة شرطة (طرابزون).	١٩١٨ - ١٩١٩

ورد في الجدول أن تاريخ توقف مدرسة بغداد كان في عام (١٩١٩م) وهذا لا يتفق مع واقع الحال؛ لأن بغداد احتلت من قبل البريطانيين في (آذار ١٩١٧م) والذي

يبدو لي أن هنالك خطأ في طباعة الجدول، وأن تاريخ تأسيس وتوقف مدرسة بغداد طبعت في الحقل المقابل لمدينة (ارضروم) سهواً، والصواب أن تكون مقابل مدينة بغداد، كما ان تاريخ تأسيس المدرسة كان في (١٩١١م) كما سنذكر لاحقاً.

مدرسة الشرطة في بغداد (بغداد بوليس مكتبي):-

خطت الدولة العثمانية عندما قررت تأسيس مدرسة الشرطة في ولاية بيروت أن تستقطب هذه المدرسة منتسبي الشرطة في ولايات أخرى، ومنها ولايات العراق للدراسة فيها، ولهذا طلبت من تلك الولايات إرسال مرشحين إلى ولاية بيروت، وبالفعل فإن معظم هذه الولايات أوفدت مرشحين لهذه المدرسة، إلا أن ولاية بغداد اعتذرت عن إرسال أي عنصر من منتسبي شرطتها، ورفع ناظم باشا والي بغداد (السادس من أيار ١٩١٠ - السابع عشر من آذار ١٩١١) برفقة إلى مديرية الأمن العامة في (الثالث من كانون الثاني ١٩١١م) برر فيها صعوبة إرسال المرشحين من الولاية إلى مدرسة ولاية بيروت، وذلك لبعد المسافة عن ولاية بغداد، والكلفة المالية العالية لإيفادهم، وعليه طالب بتأسيس مدرسة للشرطة في ولاية بغداد لتعليم وتدريب منتسبي الشرطة في العراق بولاياته الثلاثة^(٢٣).

وقد تمكن ناظم باشا من استحصال الموافقة على تأسيس مدرسة للشرطة، ولم يمر وقت طويل حتى فاتحت مديرية الأمن العامة ولاية بغداد في (التاسع عشر من حزيران ١٩١١م) لاتخاذ ما يلزم للمباشرة بافتتاح مدرسة للشرطة في ولاية بغداد على أن يقتصر القبول فيها على أفراد الشرطة في ولايات العراق الثلاثة؛ وهي ولاية بغداد، وولاية الموصل، وولاية البصرة، وتخصيص أحد المباني الإميرية لها، أو استئجار أحد المباني في حال عدم توفر مبنى حكومي مناسب، والاستعانة بمدرسة الشرطة في إسطنبول لإكمال نواقصها، والاستفادة من تجارب وخبرات المقدم "البيكباشي" أحمد بك المعين في قيادة الجندرية والموجود آنذاك في بغداد، والاستعانة بالضباط العسكريين في الوظائف المستحدثة في المدرسة، وبخريجي مدرسة الحقوق في التدريس، وفاتحت مديرية الأمن العامة ولايتي الموصل والبصرة، لاختيار المرشحين من أفراد الشرطة

لِلدراسة فيها، إلا أن ولاية البصرة اعتذرت في البداية عن إرسال أي من منتسبي الشرطة فيها بسبب النقص الموجود في كوادِر الشرطة فيها^(٢٤).

وذكرت جريدة صدى بابل أن جمال بك والي بغداد (السادس والعشرون من آب ١٩١١ - السابع عشر من آب ١٩١٢) رأى أن مديري النواحي يكادون لا يحسنون الإدارة المدنية في وظائفهم ولا يعرفون الأنظمة والقوانين الدستورية ، ولا يفهمون بعض النصوص التشريعية ، لذلك قرر في عام (١٩١٢م) إدخال مديري النواحي في الولاية بالتناوب في مدرسة الشرطة إلى جانب أفراد الشرطة لغرض رفع كفاءتهم الإدارية؛ لأن معظمهم كما تذكر جريدة صدى بابل ، كانوا يجهلون الأمور القانونية، وأن بقاؤهم بهذا الشكل يسبب ضرراً للدولة لا يمكن تلافيه^(٢٥).

وتمدنا إحدى الوثائق الصادرة من إدارة المدرسة في (الثاني والعشرون من تشرين الثاني ١٩١١م) بمعلومات مفصلة عن الكادر الإداري والتدريسي للمدرسة في هذه العام، وطبقاً لما ورد فيها فإن الكادر الإداري والتدريسي كان على النحو التالي:-

١- إبراهيم خليل بك بن أحمد توفيق بك: وكان ضابطاً في صنف المشاة في الجيش العثماني، وقد تولى إدارة المدرسة بالوكالة في (السادس عشر من أيلول ١٩١١م)، وفي (الرابع عشر من تشرين الثاني ١٩١١م) تم تربيته في المدرسة مديراً أصيلاً لها.

٢- زكي بك بن محمد مسعود أفندي: رئيس مفوضي شرطة، وظيفته مدرساً لمادة القانون.

٣- مصطفى بك بن بكر أفندي: طبيب عسكري، وتولى وظيفة تدريس مادة حفظ الصحة.

٤- إسماعيل حقي أفندي بن محمد توفيق بك: وهو ضابط في وزارة الداخلية.

٥- محمود نديم أفندي: وظيفته مأمور حسابات.

٦- علي ثروت أفندي بن حسين أغا: وظيفته مفوض شرطة^(٢٦).

وتمدنا الوثائق العثمانية الصادرة من وزارة الداخلية بتقارير مهمة تتعلق بنتائج إلامتحانات النهائية، والتي تضمنت معلومات مهمة عن عدد طلاب كل مرحلة أو كل دورة كما تسميها القائمة، وأسماء الدارسين فيها مع رتبهم إلى جانب أسماء الولايات التي وفدوا منها، وتاريخ دخولهم الى الوظيفة، وكذلك مجموع الرواتب التي تقاضوها خلال مدة الدورة، والعلامات التي حصلوا عليها في كل مادة دراسية من المواد التي ذكرتها، وقد تم تأييد محتويات كل قائمة من قبل المدير والمدرسين في المدرسة، وفي نهاية كل قائمة، وذلك بوضع اختتامهم عليها، ويمكن استقراء مايلي من هذه القوائم :

١. **الدورة الأولى:** مدتها خمسة أشهر ونصف بدأت في (التاسع من تشرين الأول ١٩١١ ولغاية الثالث والعشرين من آذار ١٩١٢م)، وكان عدد المشاركين في الدورة (٤٦) شخص، منهم (١٦) شخص من ولاية بغداد، و(٩) أشخاص من ولاية الموصل، و(٢١) شخص من ولاية البصرة، وأعيدوا جميعاً إلى أماكن عملهم^(٢٧).

يتبين لنا من الجدول بأن عدد المنتسبين لهذه الدورة ضمت مفوض ثالث عدد (٢) ومأمور للشرطة عدد (١١) ونامزد^(٢٨) (المرشح للتعين) (٣٣) فرداً، وإنهى الدورة بنجاح (٣٩) شخص، ورسب (١) ، ورقن قيد (٦) ، لأسباب مختلف منها لسوء السلوك وكذلك لهروب بعض الطلبة من المدرسة ، وبلغت نسبة النجاح الكلي في هذه الدورة (٨٥%) ، وكانت نسبة نجاح منتسبي ولاية بغداد بلغت (١٠٠%)، والبصرة (٧٨%) ، والموصل (٥٥%)، كما اوضح الجدول مقدار مجموع الرواتب الذي يتقاضاه المنتسب خلال أشهر الدورة ، إذ بلغ مجموع رواتب مفوض ثالث (٦٠٠) قرش، ومأمور الشرطة (٤٠٠) قرش، والمرشح للتعين (٢٠٠) قرش، وان اقدم طالب في هذه الدورة محمد علي أفندي وهو برتبة مفوض ثالث ضمن ولاية البصرة ، وان تاريخ دخوله الى سلك الشرطة كان في (الثالث عشر من تموز ١٨٩٩م).

كما يبدوا أن إدارة المدرسة كانت حازمة في قراراتها تجاه الطلبة الذين يخرقون الانظمة والقوانين وقواعد السلوك المعمول به في المدرسة وفي جهاز الشرطة عموماً

ولدينا امثلة على ذلك بترقين قيد الطلبة في الدورات الثماني التي جرت في مدرسة شرطة بغداد منذ تأسيس المدرسة حتى تاريخ أغلاقها منها، لسوء سلوكهم أو تعاطيهم المشروبات الكحولية أو لهروبهم من المدرسة . كما ان مدرسة الشرطة في ولاية بغداد كانت المدرسة الثانية التي فتحت في الولايات العربية العثمانية بعد فتح مدرسة شرطة بيروت ، وهذا يدل على مكانة ولاية بغداد الأمنية وفي جهاز الشرطة خاصة ، كما ان تأسيس هذا المدرسة تم على اطر منهجية وعلمية صرفة، وقد انتبعت ادارة المدرسة المنهاج الدراسي الشامل لجميع المواد لتطوير القدرات لدى المنتسبين لهذه المدرسة من أفراد الشرطة او مدراء النواحي الذين دخول الى المدرسة بعد ان جلبت المدرسة سمعة طيبة في ولاية بغداد ، وكان التدريس فيه يشمل مواد القانون الجزاء ومعلومات حقوقية وانظمة متفرقة وغيرها من المواد الخ ، وقد جلبت المدرسة مدرسين أكفاء يقومون بتدريس هذه المواد بعضهم من العاصمة (اسطنبول).

جدول رقم (١)

أسماء الملتحقين في الدورة الأولى في مدرسة الشرطة^(٢٩)

الولاية المرتبط بها	الإسماء	الوظيفة ودرجتها	تاريخ الدخول إلى الوظيفة	تاريخ دخول المدرسة	الخروج من المدرسة	فترة البقاء في المدرسة	مقادير الراتب الذي استلمه أثناء وجوده في المدرسة	الملاحظات
ولاية البصرة	محمد علي أفندي	مفوض ثالث	١٣/٧/١٨٩٩ (٣٠)	٩/١٠/١٩١١	٢٣/٣/١٩١٢	٥ أشهر ونصف	٦٠٠ قرش	أكمل دراسته بنجاح وأعيد إلى عمله
=	عبد الحميد =	مأمور شرطة	٢٤/١٠/١٩١٠	===	===	==	٤٠٠ قرش	===
=	صالح =	=	٢٤/٨/١٩١٠	===	===	==	==	===
=	علي =	=	٢٥/١٠/١٩١٠	===	===	==	==	===
=	حسين فوزي =	=	٨/٤/١٩١١	===	===	==	==	===
=	صالح =	=	٥/٩/١٩٠٩	===	===	==	==	===
=	محمود =	=	٢٨/٥/١٩٠٩	===	٩/١٢/١٩١١	شهرين	==	رسب في إلامتحان ورجع إلى عمله
=	حسين صخري =	=	١٤/١٠/١٩٠٣	===	٢٣/٣/١٩١١	٥ أشهر ونصف	==	أكمل دراسته بنجاح ورجع إلى عمله
=	رضا =	=	١٩/٧/١٩١٠	===	===	===	==	===
=	رشيد =	=	١٠/٦/١٩٠٩	===	===	===	==	===
=	حسين =	=	١٥/١٠/١٩٠٧	===	===	===	==	===
=	أحمد =	المرشح للتعيين	٢٣/٩/١٩١١	===	١٣/١١/١٩١١	شهر وأربع أيام	٢٠٠ =	ترقيين قيد
=	رضا الدين أفندي	=	===	===	٢٧/١٢/١٩١١	شهرين و١٨ يوم	٢٠٠ قرش	==
=	عبد الكريم =	=	===	===	٢٣/٣/١٩١٢	٥ شهور ونصف	==	أكمل دراسته بنجاح وأعيد لعمله
=	مهتدي إبراهيم =	=	===	===	١٦/١١/١٩١١	شهر واسبوع	==	رقن قيده لسوء اخلاقه
=	سيد أمين =	=	===	===	٢٣/٣/١٩١٢	٥ شهور ونصف	==	أكمل دراسته بنجاح وأعيد إلى عمله
=	عزت =	=	===	===	===	===	==	===
=	سيد نبيل =	=	٩/١٠/١٩١١	===	===	===	==	===
=	محمد رشيد =	=	===	===	===	===	==	===
=	إبراهيم =	=	===	===	===	===	==	===
=	محمد صالح =	=	٢٢/١٠/١٩١١	٢٢/١٠/١٩١١	===	٥ شهور	==	===
ولاية الموصل	إبراهيم =	=	٩/١٠/١٩١١	٩/١٠/١٩١١	===	٥ شهور ونصف	==	===
=	سعيد =	=	===	===	٢٠/١١/١٩١٢	شهر و ١١ يوم	==	رقن قيده لهروب من المدرسة

مدارس الشرطة في الدولة العثمانية مدرسة الشرطة في بغداد ١٩١١ - ١٩١٧
 أنموذجاً.....

أكمل دراسته بنجاح وأعيد إلى عمله =====	== ==	٥ شهور ونصف ===	١٩١٢/٣/٢٣ ===	==== ====	==== ====	= =	نصرت = محمد =	=
رقن قيده لهروبه من المدرسة =====	== ==	==== ١٥ شهر	==== =====	==== ====	==== =====	= =	علي بدري = طاهر =	= =
رقن قيده لهروبه من المدرسة =====	== ==	==== ٢٨ يوم	١٩١٢/١١/٧ =====	==== =====	==== =====	= =	محمد = رضا =	= =
أكمل دراسته بنجاح وأعيد إلى عمله =====	== = ٧٥٠	٥ شهور ونصف =====	==== ١٩١٢/٣/٢٣	==== =====	١٩٠٩/١٢/٨ =====	مفوض ثالث =	ارتين = ثروت =	مدرسة بغداد =
=====	= ٤٠٠	=====	١٩١٢/٣/٢٣	١٩١١/١٠/٩	١٩١٠/٨/٤	مأمور شرطة	نوري =	ولاية بغداد
=====	= ٢٠٠	=====	=====	=====	١٩١١/١٠/١	المرشح للتعيين	جمال =	=
=====	==	=====	=====	=====	=====	=	عباس =	=
=====	==	=====	=====	=====	١٩١١/٨/١٤	=	طاهر =	=
=====	==	=====	=====	=====	١٩١١/٩/١	=	عبد القادر =	=
=====	==	=====	=====	=====	=====	=	مهدي =	=
=====	==	=====	=====	=====	=====	=	نوري =	=
=====	==	=====	=====	=====	=====	=	إسماعيل =	=
=====	==	=====	=====	=====	=====	=	بدر الدين =	=
=====	==	=====	=====	=====	١٩١١/٩/١٨	=	سعيد =	=
=====	==	=====	=====	=====	١٩١١/٩/١٩	=	إبراهيم أدهم =	=
=====	==	=====	=====	=====	١٩١١/٩/٢٥	=	طلحة =	=
=====	==	=====	=====	=====	١٩١١/١٠/١	=	بكر =	=
=====	==	=====	=====	=====	١٩١١/١٠/١	=	محمد أمين =	=
=====	==	=====	=====	=====	١٩١١/١٠/٥	=	حسن =	=

تم تنظيم جدول للمشاركين في الدورة الأولى لمدرسة الشرطة العثمانية في ولاية بغداد، بناء على طلب من مديرية (الأمن العمومية الجلية) بكتابها المرقم (٤/٢٣٦٦٨) والمؤرخ في (الحادي والثلاثون من آذار ١٣٣٠ رومية)، الموافق (الثالث عشر من نيسان ١٩١٤م)، وكان تاريخ تنظيم الجدول في (السابع عشر من نيسان ١٣٣٠ رومية) الموافق (العاشر من مايس ١٩١٤م) (٣١).

ارسلت مدرسة شرطة ولاية بغداد، كتاب برقم (٢٢) بتاريخ (السادس والعشرون من كانون الثاني ١٣٣٠ رومية) الموافق (الثامن من شباط ١٩١٥م) معنون إلى مديرية الأمن العامة، وأرفق به جدول بأسماء مفوضي وأفراد الشرطة الذين اشتركوا في الدورة التدريبية الأولى، والدرجات التي حصلوا عليها في إلامتحان الثاني الخاص والكتاب بتوقيع مدير مدرسة الشرطة في ولاية بغداد (٣٢).

٢. **الدورة الثانية:** مدتها خمسة أشهر بدأت في (الخامس والعشرون من آذار ١٩١٢ ولغاية الخامس والعشرين من آب ١٩١٢م)، وكان عدد المشاركين فيها (٣٤) شخص، ومنهم (٢٢) شخص من ولاية بغداد، و (٦) أشخاص من ولاية الموصل، و (٦) أشخاص من ولاية البصرة وأعيدوا إلى أماكن عملهم (٣٣).

تبين لنا الوثيقة الصادرة من ادارة المدرسة الى مديرية الأمن العامة ، بأن عدد المنتسبين لهذه الدورة ضمت مفوض ثالث عدد (٣) ومأمور للشرطة عدد (٩) والمرشح للتعين (١٧) فرداً، وإنهى الدورة بنجاح (٢٩) شخص، ورسب (١) ، ورقن قيد (٤) ، لأسباب مختلف منها من كان مريض ولم يتعافى، او لسوء السلوك ، وبلغت نسبة النجاح الكلي في هذه الدورة (٨٥%) ، وكانت نسبة النجاح منتسبي ولاية بغداد بلغت (٨٢%)، والبصرة (٨٤%) ، والموصل (١٠٠%)، كما اوضحت الوثيقة مجموع الرواتب التي يتقاضاها المنتسب أثناء أشهر الدورة إذ بلغ مجموع رواتب مفوض ثالث (٦٠٠) قرش، ومأمور الشرطة (٤٠٠) قرش، والمرشح للتعين (٢٠٠) قرش، وان اقدم طالب في هذه الدورة هو محمد توفيق أفندي وكان من ضمن ولاية بغداد وان تاريخ دخوله الى سلك الشرطة في (الثامن من نيسان ١٩٠٩م)، وهو برتبة مفوض ثالث.

وقد سجلت الوثيقة اعلاه بأن هنالك عدد من الطلاب تم تعيينهم في سلك الشرطة بعد بدء الدورة ولدينا امثلة على ذلك منهم : عمر فوزي وهو برتبة المرشح للتعين عُيِّنَ في (الخامس والعشرون من آذار ١٩١٢م)، وهو نفس اليوم الذي بدأت فيه الدورة وكذلك عُيِّنَ عمر لطفي المرشح للتعين في (الثالث من نيسان ١٩١٢م)، ومحي الدين أفندي المرشح للتعين عُيِّنَ بتاريخ (السابع من نيسان ١٩١٢م)، وكانوا جميعهم من ولاية الموصل وقد تخرجوا مع الباقيين واعيدوا الى محل عملهم.

ارسلت ادارة المدرسة جدولاً تم تنظيمه للمشاركين في الدورة الثانية لمدرسة الشرطة العثمانية في ولاية بغداد، وقد تم تنظيم الجدول بناء على طلب من (مديرية الأمن العمومية الجليلة) بكتابها المرقم (٤/٢٣٦٦٨) والمؤرخ في (الحادي والثلاثون من آذار ١٣٣٠ رومية) الموافق (الثالث عشر من نيسان ١٩١٤م) وتاريخ تنظيم الجدول هو (السابع والعشرون من نيسان ١٣٣٠ رومية) الموافق (العاشر من مايس ١٩١٤م)^(٣٤).

٣. الدورة الثالثة: مدتها خمسة أشهر واثنان وعشرون يوماً، بدأت في (التاسع والعشرون من آب ١٩١٢ ولغاية العشرين من آذار ١٩١٣م)، وكان عدد المشاركين في الدورة (٢٨) شخص، منهم (١٧) شخص من ولاية بغداد، و(٥) أشخاص من ولاية الموصل، و(٦) أشخاص من ولاية البصرة، وأعيدوا إلى أماكن عملهم^(٣٥)

تبين لنا الوثيقة الصادرة من ادارة المدرسة الى مديرية الأمن العمومية ، بأن عدد المنتسبين لهذه الدورة ضمت مأمور للشرطة عدد (١٦) والمرشح للتعين (١٢) فرداً، وقد خلت هذه الدورة من مفوضي الشرطة وإنهى الدورة بنجاح (٢٥) شخص، ورسب (١) ، ورقن قيد (٢) ، لأسباب منها من كان مريض ولم يتعافى، وبلغت نسبة النجاح الكلي في هذه الدورة (٨٩%) ، وكانت نسبة نجاح منتسبي ولاية بغداد بلغت (٨٣%)، والبصرة (١٠٠%) ، والموصل (١٠٠%)، كما اوضحت الوثيقة مجموع الرواتب التي يتقاضاها المنتسب أثناء أشهر الدورة إذ بلغ مجموع رواتب مأمور الشرطة (٤٠٠) قرش، والمرشح للتعين (٢٠٠) قرش، وان اقدم طالب في هذه الدورة هو رشيد رشدي أفندي وهو برتبة مأمور للشرطة ضمن ولاية بغداد وان تاريخ دخوله الى سلك الشرطة في (السادس من آب ١٩٠٢م).

ارسلت ادارة مدرسة الشرطة في بغداد كتاباً يخص الدورة التدريسية الثالثة وقد تم تنظيمه في (السابع والعشرون من نيسان ١٣٣٠ رومية) الموافق (العاشر من مايس ١٩١٤م)، بناءً على كتاب مديرية الأمن العامة المرقم (٤/٢٣٦٦٨) والمؤرخ في (الحادي والثلاثون من آذار ١٣٣٠ رومية) الموافق (الثالث عشر من نيسان ١٩١٤م)^(٣٦).

مدارس الشرطة في الدولة العثمانية مدرسة الشرطة في بغداد ١٩١١ - ١٩١٧
 أنموذجاً.....

جدول رقم (٢)

جدول درجات الدورة الثالثة والمنهاج الدراسي^(٣٧)

ت	اسماء	الرتبة	أنظمة الشرطة	معلومات حقوقية وأنظمة متفرقة	قانون الجزاء	تصوير	الحساب	الإملاء والقراءة	حفظ الصحة	تلغراف	تربية سلوكية	تعليم	جمناستك	حسن الخط	المجموع	مرتبة النجاح
١	مصطفى أفندي بغداد	مأمور	١٠م	١٠	١٠م	١٠م	١٠م	١٠	٨	١٠	9.1/2	7.3/4	7	8.1/2	110.3/4	2
٢	عبد الفتاح = =	=	٩	١٠م	9.1/2	10	١٠م	9.3/4	9	9	9.3/4	10	9	7.3/4	112.3/4	1
٣	عمر حجي = =	=	١٠م	١٠م	٩	١٠م	١٠م	١٠م	٦	٩	١٠	9.3/4	7	9.1/2	110.1/4	3
٤	مصطفى فيضي ==	=	١٠	١٠م	١٠م	8.1/2	١٠م	١٠م	٧	٨	١٠	9.3/4	7	8.1/2	108.3/4	4
٥	مهدي = بصرة	المرشح للتعين	8.1/2	١٠م	8.1/2	١٠م	١٠	9.1/2	8	9	9.1/2	9.3/4	10	6	108.3/4	5
٦	داود نيازي = بغداد	=	٩	١٠م	١٠م	9.1/2	10	9	6	10	10	9.3/4	7	7.1/4	107.1/2	6
٧	محمد علي = بصرة	=	8	7	9.1/2	10	10	١٠م	5	10	9.1/2	8.1/2	7	8.1/2	100	7
٨	عبد القادر = بغداد	مأمور	7	8	8.1/2	9.1/2	10	9.3/4	3	7	9.3/4	9	10	6.3/4	98.1/4	9

مدارس الشرطة في الدولة العثمانية مدرسة الشرطة في بغداد ١٩١١ - ١٩١٧
 أنموذجاً.....

٩	علي رضا = بغداد	=	7	8	8.1/2	9	6	9.1/2	5	8	8	7	7.1/2	91.1/2	12
10	سعيد = بغداد	=	8.1/2	7.1/2	5.1/2	4	10	9.3/4	2.1/2	9	8.1/2	6.1/2	7.1/2	85.3/4	15
١١	مصطفى نوري = =	=	١٠م	9.1/2	8.1/2	9	8.1/2	8.3/4	5	6	8.1/2	3.1/2	6	90.1/4	12
١٢	عمر فوزي = =	=	8.1/2	9	١٠م	10	10	7.1/2	5	5	10	10	6	99	8
١٣	أحمد = بغداد	المرشح للتعين	8.1/2	5	5.1/2	6	10	9.1/4	4	6	7.1/4	8.3/4	7	81.3/4	18
١٤	علي غالب = بصرة	=	7.1/2	7.1/2	4.1/2	9.1/2	10	7	5	8	7.3/4	9.3/4	9	92.1/4	11
١٥	داود أفندي بغداد	المرشح للتعين	8.1/2	5	4.1/2	9	10	9.1/4	1	4	8.1/2	9	8	82.3/4	16
١٦	توفيق = =	مأمور	١٠م	10	١٠م	9.1/4	6.1/4	10	4	6	9.1/2	4.3/4	6	93.1/2	10
١٧	بهجت = موصل	=	8	8	4	8	5.1/2	10	3	5	9.1/2	8	7	93.1/4	17
١٨	فليح صبري = بصرة	المرشح للتعين	5.1/2	8	4	9	4.1/2	8.3/4	3	7	9.1/2	8.1/2	8	81.1/4	19
١٩	محمود = بغداد	=	3	6	6.1/2	5.1/2	10	8.3/4	3	5	6	9.1/2	6.1/2	7.1/4	21
٢٠	محمد علي = بغداد	=	6	5	5	8	١٠م	9	2	5	6	7	7.1/2	75	20
٢١	توفيق = =	مأمور	مريض	مريض	مريض	مريض	مريض	مريض	مريض	مريض	مريض	مريض	مريض	مريض	مريض
٢٢	عبد المجيد = بصرة	المرشح	٣	٢/٢.١	٢	٤	١٠	٨	١	٥	7.1/2	7	8	63	22

مدارس الشرطة في الدولة العثمانية مدرسة الشرطة في بغداد ١٩١١ - ١٩١٧
 أنموذجاً.....

														للتعين		
٢٣	رؤوف = موصل	مأمور	1.1/2	4.1/2	5	3.1/2	5	6.1/4	0	4	3.3/4	9	9	2.1/2	54	24
٢٤	أحمد حمدي = بغداد	=	3	1	1	0	5.1/2	8.1/4	0	4	6.1/2	7.1/2	9	2.1/2	48.1/4	25
25	فتح الله = موصل	=	3	7	6.1/2	3.1/2	3.1/2	6.3/4	3	4	7	7.1/4	7	7	63	22
٢٦	محمد = بصرة	المرشح للتعين	8.1/2	8.3/4	7	9	3	8	5	١٠م	8.1/2	8	7	6.1/2	89.1/4	14

يتضح من الجدول اعلاه بأن مدرسة الشرطة في ولاية بغداد قد درّست المواد القانونية والتشريعية وكذلك مواد التصوير والحساب والتلغراف وكذلك مادة حفظ الصحة وهي مادة تتعلق بالطب والإسعافات الأولية وتبين بأنها مادة صعبة على منتسبي الشرطة كما هو واضح من علاماتهم النهائية ، إذ لم يستطع أي فرد أن يحصل على درجة كاملة وأن كثير من الطلاب قد رسبوا بهذه المادة ، كما يلاحظ من الجدول اعلاه ، وكان الطالب الأول هو مأمور الشرطة عبد الفتاح أفندي ضمن ولاية بغداد وقد بلغ مجموع درجات التي حصل عليها (112³/₄) درجة ، ويتضح من ذلك بأن الدرجة كانت اشبه بمتقال الذهب لأن ادارة المدرسة كانت تعطي ربع الدرجة ونصف الدرجة ، كما اعطت ادارة المدرسة درجة (١٠م) وتعني درجة العشرة المميز وكذلك اعطت (١٠تشكر) وهي اعلى من الدرجة الأولى وهذا يدل على منهجية وعلمية المدرسة ودقة تقويم الطلاب.

ارسلت مدرسة الشرطة في ولاية بغداد، كتاب معنون إلى مديرية (الأمن العمومية)، وأرفق به جدول نتائج المشتركين في الدورة الثالثة في الإمتحان الثاني من أفراد الشرطة، والكتاب برقم (٢٣) المؤرخ في (السادس عشر من كانون الثاني ١٣٢٨ رومية) الموافق (التاسع والعشرون من كانون الثاني ١٩١٣م)، والكتاب بتوقيع وكيل مدير مدرسة الشرطة في ولاية بغداد^(٣٨).

٤. الدورة الرابعة: مدتها أربعة أشهر وست وعشرون يوماً بدأت في (الثاني والعشرون من آذار ١٩١٣ ولغاية الثامن عشر من آب ١٩١٣م)، وكان عدد المشاركين (٢٦) شخص، منهم (١٧) شخص من ولاية بغداد، و(٥) أشخاص من ولاية الموصل، و(٤) أشخاص من ولاية البصرة، وأعيدوا إلى أماكن عملهم^(٣٩).

تبين لنا الوثيقة الصادرة من ادارة المدرسة الى مديرية الأمن العمومية ، بأن عدد المنتسبين لهذه الدورة ضمت ومفوض شرطة ثالث عدد (٢) ، ومأمور للشرطة عدد (١٨) ، والمرشح للتعين (٥) أفراد، وإنهى الدورة بنجاح (٢٣) شخص، ورسب (٢) ، ورقن قيد (١) ، لأسباب منها من كان مريض ولم يتعافى، وبلغت نسبة النجاح الكلي في هذه الدورة (٨٨%) ، وكانت نسبة نجاح منتسبي ولاية بغداد بلغت (٨٩%) ، والبصرة (١٠٠%) ، والموصل (٨٠%)، كما اوضحت الوثيقة مجموع الرواتب التي يتقاضاها المنتسب أثناء أشهر الدورة إذ بلغ مجموع رواتب مفوض شرطة ثالث (٦٠٠) قرش، ومأمور الشرطة (٤٠٠) قرش، والمرشح للتعين (٢٠٠) قرش، وان اقدم طالب في هذه الدورة هو محمود أفندي وهو برتبة مأمور للشرطة ضمن ولاية بغداد وان تاريخ دخوله الى سلك الشرطة في (الخامس عشر من تموز ١٩٠٢م).

ارسلت ادارة مدرسة الشرطة في بغداد كتاباً تم تنظيمه للمشاركين في الدورة التدريسية الرابعة ، وقد تم تنظيم الجدول بناءً على طلب من (مديرية الأمن العمومية الجليلة) بكتابها المؤرخ في

(الحادي والثلاثون من مارس ١٣٣٠ رومية) الموافق (الثالث عشر من نيسان ١٩١٤م) وتاريخ تنظيمه هو (السابع والعشرون من نيسان ١٣٣٠ رومية) الموافق (العاشر من مايس ١٩١٤م)^(٤٠).

٥. الدورة الخامسة: ومدتها ستة أشهر بدأت في (الثالث عشر من أيلول ١٩١٣ الى الرابع عشر من آذار ١٩١٤م)، وكان عدد المشاركين (٣٤) شخص، منهم (٢١) شخص من بغداد، و(٥) أشخاص من الموصل، و(٨) أشخاص من البصرة، وأعيدوا إلى أماكن عملهم^(٤١). تبين لنا الوثيقة الصادرة من ادارة المدرسة الى مديرية الأمن العمومية ، بأن عدد المنتسبين لهذه الدورة ضمت معاون مفوض شرطة عدد (٢) ، ومأمور للشرطة عدد (٤) ، والمرشح للتعيين (٢٦) أفراد، وإنهى الدورة بنجاح (٢٧) شخص، ورسب (٢) ، ورقن قيد (١) ، لأسباب منها من كان مريض ولم يتعافى، او لهروبه من المدرسة، او تعاطيه شرب المشروبات الكحولية ، وبلغت نسبة النجاح الكلي في هذه الدورة (٧٩%) ، وكانت نسبة نجاح منتسبي ولاية بغداد بلغت (٧٢%) ، والبصرة (٨٨%) ، والموصل (١٠٠%)، وان اقدم طالب في هذه الدورة هو علي أفندي وهو برتبة معاون مفوض للشرطة ضمن ولاية الموصل وان تاريخ دخوله الى سلك الشرطة في (العاشر من مايس ١٩٠٢م) .

جدول رقم (٣)

أسماء الملتحقين في الدورة الخامسة في مدرسة الشرطة^(٢)

الولاية المرتبط بها	الإسماء	الوظيفة ودرجتها	تاريخ الدخول الى الوظيفة (المراتب)	تاريخ دخول المدرسة	الخروج من المدرسة	فترة البقاء في المدرسة	مقادير الراتب الذي استلمه أثناء وجوده في المدرسة	الملاحظات
ولاية بغداد	عبد الرزاق أفندي	المرشح للتعين	١٩١٣/٨/٥	١٩١٣/٩/١٣	١٩١٤/٣/١٤	٦ اشهر	٢٠٠ قرش	أكمل تحصيله الدراسي وأعيد لعمله
==	عبد السلام =	=	١٩١٣/٨/١٨	===	١٩١٣/١١/١٨	شهرين و ٥ ايام	=	رقن قيده بسبب هروبه من المدرسة
==	عبد القادر =	=	١٩١٣/٤/٦	===	١٩١٤/٣/١٤	٦ أشهر	= ٢٠٠	أكمل تحصيله الدراسي وأعيد لعمله
==	عبدالله =	==	===	===	===	===	==	===
==	شاكِر =	==	١٩١٣/٥/٩	===	===	===	==	===
==	عبدالله =	==	===	===	١٩١٣/١٠/٢٥	شهر و ١٢ يوم	==	رقن قيده بسبب هروبه من المدرسة
==	هديت =	===	===	===	١٩١٤/٣/١٤	٦ اشهر	==	أكمل تحصيله الدراسي وأعيد لعمله
==	محمد علي =	===	===	===	===	===	==	===
==	عبد الجبار =	===	===	===	١٩١٣/٩/٢٨	١٥ يوم	==	رقن قيده بسبب هروبه من المدرسة
==	أحمد =	===	===	===	١٩١٤/٣/١٤	٦ اشهر	==	أكمل تحصيله الدراسي وأعيد لعمله
==	عبد الحميد =	===	===	===	١٩١٣/٩/٢٨	١٥ يوم	==	رقن قيده بسبب سكره وأعيد لعمله
==	عزت =	===	===	===	١٩١٤/٣/١٤	٦ اشهر	==	أكمل تحصيله الدراسي وأعيد لعمله
==	فهمي =	===	١٩١٣/٣/٢٠	===	===	==	==	===
==	محمد امين =	===	١٩١٣/٩/١٣	===	===	===	==	===
==	عيسى =	===	١٩١٣/٥/٧	===	===	===	= ٢٠٠	===
==	حسن =	===	===	===	===	===	==	===
==	خطاب =	===	١٩١٣/٥/١٤	===	===	===	==	===

المودجا.....

==	==	==	==	==	١٩١٣/٥/٢٠	==	جاسم =	==
==	==	==	==	==	١٩١٣/٥/٧	==	عبد الوهاب =	==
==	=٦٠٠	==	==	==	١٩٠٢/٥/١٠	معاون مفوض	علي =	ولاية الموصل
==	==	==	==	==	١٩٠١/٦/٨	==	عبد القادر =	==
==	= ٤٠٠	==	==	==	١٩٠٠/٩/١٤	مأمور شرطة	مهدي =	==
==	=٤٠٠	==	==	==	١٩٠٩/١٠/١٥	==	بكر =	==
==	=٦٠٠	==	==	==	١٩٠٤/٨/٥	==	عثمان =	==
==	==	==	==	==	١٩١٠/١٠/٢٤	معاون مفوض	حبيب =	ولاية البصرة
==	= ٢٠٠	==	==	==	١٩١٣/٦/٢	المرشح للتعيين	شاكر =	==
==	=٢٠٠	==	==	==	١٩١٣/٥/١٧	==	محمد علي =	==
أكمل دراسته وكان مأمور شرطة واعيد إلى مأمورته	= ٤٠٠	==	==	==	==	مأمور شرطة	عبد الستار =	==
==	=٢٠٠	==	==	==	١٩١٣/٥/٢٨	المرشح للتعيين	محمد =	==
رقن قيده بسبب حالة سكره	==	١٥ يوم	١٩١٣/٩/٢٨	==	١٩١٣/٦/٢	==	علي مروان =	==
أكمل تحصيله وأعيد لخل عمله	==	٦ اشهر	١٩١٤/٣/١٤	==	١٩١٣/٥/٢٧	==	محمد غالب =	==
==	==	==	==	==	١٩١٣/٦/٢	==	أحمد حمدي =	==
رقن قيده بسبب هروبه من المدرسة	==	يوم واحد	١٩١٣/٩/١٤	==	١٩١٣/٤/١٥	==	حسين فوزي =	ولاية بغداد
مريض واستمر لمدة (٤) أيام في المدرسة	= ٢٠٠	٤ أيام	١٩١٣/٩/١٧	==	١٩١٣/٥/١٤	==	محمد توفيق =	=

جدول تم تنظيمه للمشاركين في الدورة التدريسية الخامسة في المدرسة، وقد تم تنظيم الجدول بناءً على طلب من (مديرية الأمن العمومية الجلية) بكتابها المؤرخ في (الحادي والثلاثون من آذار ١٣٣٠ رومية) الموافق (الثالث عشر من نيسان ١٩١٤م) وتاريخ تنظيمه هو (السابع والعشرون من نيسان ١٣٣٠ رومية) الموافق (العاشر من مايس ١٩١٤م)^(٤٣).

ارسلت مدرسة الشرطة في ولاية بغداد كتاب إلى مديرية الأمن العامة، برقم (٣)، المؤرخ في (السابع والعشرون من نيسان ١٣٣٠ رومية) الموافق (العاشر من مايس ١٩١٤م)، تضمن أرقاماً إجمالية عن الدورات الخمسة الأولى في مدرسة الشرطة.

وقد بلغ عدد الذين شاركوا في الدورات الخمسة (١٦٨) شخص من الشرطة، وأكملوا الدورة التدريسية، وحصلوا على شهادتها بنجاح، وعادوا إلى أماكن عملهم، كما تبين ان الدورة الخامسة كانت اطول الدورات التي جرت في مدرسة الشرطة في ولاية بغداد إذ كانت مدتها ست اشهر. ويشير الكتاب إلى عدم إمكانية اعطاء معلومات وافية عن بعض المأمورين بسبب ترقين قيديهم، ووضع ملفاتهم في أماكن خاطئة في الارشيف (التسجيلخانه) واختلاطها بالملفات لإخرى بحيث يصعب ايجادها بسهولة، والكتاب بتوقيع مدير مدرسة الشرطة في ولاية بغداد^(٤٤).

٦. **الدورة السادسة:** لم ترد مدتها، وكان تاريخها في (آب ١٩١٤م)، وكان عدد المشاركين (٢٩) شخص، منهم (١٠) أشخاص من بغداد، و(١٢) شخص من الموصل، و(٧) أشخاص من البصرة^(٤٥)، ولم نستطيع ان نعثر على درجات او جدول يضم اسماء المشاركين في الدورة من الارشيف العثماني.

٧. **الدورة السابعة:** لم ترد مدتها، وكان تاريخها قبل شهر شباط (١٩١٤م)، وكان عدد المشاركين (٢٨) شخص، منهم (١٤) شخصاً من بغداد، و(٨) أشخاص من الموصل، و(٦) أشخاص من البصرة^(٤٦). وفي ما يلي جدول درجات الدورة السابعة:

جدول رقم (٤)

أسماء الملتحقين في الدورة السابعة والدرجات التي حصلوا عليها في مدرسة الشرطة^(٤٧)

الإسماء	الرتبة	محل الوظيفة	قانون الجزاء(العقوبات)	قوانين وانظمة متفرقة	انظمة الشرطة	تطبيقات جزائية	تربية مسلكية	الإملاءوالقراءة والكتابة	التصوير	(*)	الحساب	رياضة بدنية	حفظ الصحة	مجموع الدرجات	مرتبة النجاح	الملاحظات
محمد نوري أفندي	المرشح للتعين	بغداد	9.1/2	9.1/2	9.1/2	9.1/2	10	9.1/2	5.1/2	10	10	10	10	103	1	
محمد سعيد =	=	=	8.1/2	9.1/2	9.1/2	8.1/2	9	10	8.1/2	10	10	8.1/2	9	101	4	
عبد الكريم =	=	=	9.1/2	9.1/2	9.1/2	9.1/2	10	9.1/2	7.3/4	9	10	8	10	102.1/4	3	
عبد الغني =	=	=	8.1/2	9.1/2	8.3/4	9.3/4	9	10	9.3/4	10	9	8	10	102.1/2	2	
مصطفى =	=	موصل	7.1/2	9.1/2	9.1/2	9.1/2	10	10	8.1/2	9	10	8.1/2	9	101	5	
رضا =	=	=	7.1/2	9.1/2	9.1/2	9	10	9.1/2	6.1/2	9	10	7	10	97.1/2	8	
سيد عيدان =	=	=	7.1/2	9.1/2	9.1/2	8	10	10	4.1/2	8	10	7	10	93.1/2	9	
جلال =	=	بغداد	5.1/2	7.1/2	9	5.1/2	9	8.1/2	4	10	10	6	6	80	11	
محمد سعيد =	=	=	8	9.1/2	8	8.1/2	10	9	10	10	10	5	10	98	7	
أنور =	=	=	مريض	مريض	مريض	مريض	مريض	مريض	مريض	مريض	مريض	مريض	مريض	مريض		

مدارس الشرطة في الدولة العثمانية مدرسة الشرطة في بغداد ١٩١١ - ١٩١٧
 أنموذجاً.....

	6	100.3/4	10	10	10	10	9.1/4	10	9	5.1/2	9	9.1/2	٨	=	=	عيدان =
	19	65.1/2	5	7.1/2	10	9.1/2	0 1/2	9	2	4	7	5.1/2	5.1/2	=	=	محمد صالح =
	10	89.3/4	9	7	10	9.1/4	9.1/2	9	8	4.1/2	9	8	6.1/2	بصره	=	عبد الرحمن =
	14	73	3	7	8	8	2	9.1/2	8	3.1/2	5	8.1/2	6.1/2	=	مأمور	محمد سعيد =
	16	69.3/4	8	7	10	9.3/4	2	9.1/2	3	3	5	7	5.1/2	بغداد	=	أحمد حربي =
	18	66	6	6	10	6.1/2	0	8	6	5	7	7.1/2	4	بصره	=	عباس =
	13	73.1/4	8	7.1/4	9	7.3/4	5	6.1/2	5	4	8.1/2	8	4.1/2	موصل	المرشح للتعين	محمد علي =
	15	72	8	5.1/2	8	6	0	6.1/2	5	7.1/2	9.1/2	9.1/2	6.1/2	بغداد	مفوض ثاني	أحمد عزت =
	17	68	5	7	5	9	4	6	5	5	8	8	6	موصل	المرشح للتعين	صديق =
	12	78.1/2	8	7.1/2	6	6.1/2	5	8	6	7	9	8	7.1/2	=	=	يونس =
	21	61.1/4	6	8	8	5	3.1/4	10	3	5	4.1/2	5.1/2	3	بصره	=	عبد الجبار

مدارس الشرطة في الدولة العثمانية مدرسة الشرطة في بغداد ١٩١١ - ١٩١٧
 أنموذجاً.....

																=
	23	56.3/4	6	9	9	6.1/2	1.1/4	8	3	2.1/2	5	5.1/2	3	=	مأمور	عبد الحميد
	25	50.1/2	6	5	9	4	0	5.1/2	3	3.1/2	5	6.1/2	3	=	موصل	نبيل =
	20	62.1/4	3	7.1/2	5	7	4.3/4	7.1/2	6	3	7.1/2	7.1/2	4	=	بغداد	محمد توفيق =
	26	44.1/2	1	8	8	2.1/2	0	5.1/2	6	2.1/2	2.1/2	5	3.1/2	=	موصل	توفيق =
	24	56.1/2	3	6.1/2	9	5.1/2	0	9	8	2.1/2	4.1/2	5.1/2	3	=	بغداد	داود فخري =
	22	58	5	7.1/2	6	6	0	8	7	2.1/2	6	7.1/2	2.1/2	=	بصره	عبد المجيد =
	00	109.1/4	9	10	10	10	10	10	10	7.1/2	9.3/4	9.1/2	7.1/2		مدرسة	مفوض ثاني كامل =

ارسلت مدرسة الشرطة في ولاية بغداد كتاب برقم (٣)، المؤرخ في (الحادي والعشرون من آذار ١٣٣١ رومية) الموافق (الثالث من نيسان ١٩١٥م) معنون إلى مديرية الأمن العامة، والذي أرفق به في الجدول السابق الخاص بالدورة التدريسية السابعة، ويشير الكتاب إلى أن المشاركين في الدورة المذكورة هم من ولايات بغداد، والموصل، والبصرة، ممن تثبت أهليتهم من المفوضين، والمأمورين، ومرشح للتعين، متضمنة جدول الدرجات والتقدير التي حصلوا عليها في إلامتحان العام، والكتاب بتوقيع مدير مدرسة الشرطة في ولاية بغداد^(٤٨).

٨. الدورة الثامنة: لم ترد مدتها، وتاريخها في شهر (آذار ١٩١٥م)، ولم يذكر فيها سوى قائمة بأسماء (١٤) شخص ممن التحقوا بالدورة في (الرابع والعشرون من آذار ١٩١٥م)^(٤٩) وحسب الجدول رقم (٥).

ويتبين من الجدول ان عدد منتسبي هذه الدورة كان الاقل بالنسبة للدورات التي نظمتها مدرسة الشرطة في بغداد. ويمكن ان نعزو ذلك الى ظروف الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨)، وتركيز الاهتمام على المجهود الحربي ومواجهة الغزو البريطاني للعراق وكما ان الوثيقة الخاصة بهذه الدورة لا تتضمن المعلومات التي نظمتها جداول الدورات السابقة من حيث المواد الدراسية ، والدرجات ، ومراتب التخرج ، ومقادير الرواتب.

جدول رقم (٥)

أسماء الملتحقين في الدورة الثامنة في مدرسة الشرطة^(٥٠)

الرقم	رتبته	اسمه
٢	معاون مفوض	أحمد عزت بن وفي أفندي
١٢٢	مرشح للشرطة	أسعد أفندي بن أحمد أفندي
١٣١	=	يعقوب أفندي بن سلمو
١٣٤	=	عبد العزيز أفندي بن عبد الرحمن أفندي

مدارس الشرطة في الدولة العثمانية مدرسة الشرطة في بغداد ١٩١١ - ١٩١٧
 أنموذجاً.....

١٣٨	=	انور أفندي بن عزيز أفندي
١٤٢	=	عباس أفندي بن حسين
١٥	=	علي راشد أفندي محمد الحاج
١٤٠	=	أحمد أفندي بن قلامورز
٤٥	=	عبد الستار أفندي بن الحاج محمد
٤٩	=	عبد الله أفندي بن محمد أفندي
١٣٩	=	عمر أفندي بن كاظم
٨٩	=	شهاب أفندي بن الحاج محمد
٥٤	=	مهدي أفندي بن رشيد أفندي
١٤١	=	عبدالله أفندي بن قادر

ارسلت مدرسة شرطة ولاية بغداد كتاب إلى مديرية الأمن العامة، الرقم العام (٥٩)،
 والرقم الخاص (٤)، بتاريخ (السادس عشر من آذار ١٣٣١ رومية) الموافق (الثامن
 عشر من آذار ١٩١٥ م) جاء فيه :
 ((حضرة سيدي صاحب السعادة:

نقدم لكم طياً أسماء المشتركين في الدورة التدريسية الثامنة في مدرسة الشرطة
 وهم: معاون واحد و (١٢ نامزد) (*) تم سوقهم (أي ارسالهم) إلى المدرسة في (الحادي
 عشر من آذار ١٣٣١ رومية) الموافق (الرابع والعشرون من آذار ١٩١٥ م). للفضل
 بالعلم وبيان أمركم في هذا الخصوص^(٥١).

التوقيع

مدير شرطة ولاية بغداد))

وطبقاً لما ورد في إحدى الوثائق فإن صديق مظهر بك تولى إدارة المدرسة في عام
 (١٩١٦ م)، وفي الثامن عشر من آذار من العام نفسه، صدر أمر بتعيينه عضواً في
 محكمة استئناف بغداد^(٥٢)، إلا أننا لا نعرف من كان بديله في إدارة المدرسة، كما لا

نعرف متى توقفت عن الدراسة وأغلقت أبوابها شأنها شأن معظم المدارس العثمانية في أواخر العهد العثماني. ولكن من المنطقي الإستنتاج بأن الدراسة توقفت فيها مع دخول قوات الاحتلال البريطاني الى بغداد في (آذار ١٩١٧م).

خاتمة

يتضح من هذا البحث ان اهتمام الدولة العثمانية بتعليم وتطوير القدرات المهنية لرجال الشرطة جاء متأخراً قياساً الى تاريخ تأسيس تشكيلات الشرطة فيها منذ اواسط القرن التاسع عشر . وان تأسيس اول مدرسة للشرطة جاء استجابةً لضغط خارجي أوروبي، بعد تجاوزات الإلشقياء في الروملي ومحاولة الدول الأوروبية استغلال ذلك بحجة حماية الأقليات المسيحية وارسال ضباط ورجال شرطة اجانب الى المنطقة، وقد رفضت الدولة العثمانية ذلك ، إلا إنها توصلت الى حل توفيقي يقضي بتأسيس مدرسة شرطة في مدينة سالونيك عام (١٩٠٧م)، وما لبثت أن اغلقت عام(١٩٠٨م).

اما في الولايات العربية فقد تأخر تأسيس مثل تلك المدارس الى ما بعد انقلاب الإتحاديين ضد السلطان عبد الحميد الثاني في الثالث والعشرون من تموز (١٩٠٨م). وقد تأسست مدرستين هما مدرسة الشرطة في بيروت ، ونظيرتها في بغداد، وجاء تأسيس الأخيرة بناءً على اقتراح قدمه ناظم باشا والي بغداد في عام (١٩١١م) لصعوبة ارسال أفراد وشرطة ولاية بغداد الى مدرسة الشرطة في بيروت.

تبين الوثائق التي بين ايدينا ان مدرسة شرطة بغداد افتتحت ثمانية دورات دراسية لرجال الشرطة لتطوير قدراتهم المهنية من خلال تلقي دروس ذات علاقة بمهنتهم مثل ، الإنظمة ، قانون العقوبات الخ. وقد اشترك في هذه الدورات (٢٣٩) فرداً من

تُعطينا الوثائق معلومات تفصيلية دقيقة عن الدورات السبع الأولى ، بذكر أسماء المتحقيين بالدورة ورتبهم والمناطق والمراكز التي جاؤوا منها ، والمواد التي درسوها ، والدرجات التي احرزوها ، ومرتبة التخرج في الدورة بحسب مجموع الدرجات . كما ذكرت اسباب رسوب وترقيين قيد الآخرين ، بسبب الغياب ، او إلتحاق المتأخر بالدورة، او المرض ، او سوء السلوك ... الخ.

هوامش ومصادر البحث:-

285

(٢) فاضل بيات: المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسىكا)، اسطنبول، ط١، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، ص ٥٠٥ - ٥٠٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٢٢.

(٤) Ercan Haytoğlu, II. Meşrutiyet Dönem; Nde Meslekî Ve Teknik Eğitim Okullari (1908 – 1918), T.C. Pamukkale Üniversitesi Sosyal Abilim Dalı Yakınçağ BİLİM Dali, S.73 – 74.

(٥) Ercan Cevizli, Erzurum Polis Mektebi, A.Ü. Turkeyat Araştırmaları Enstitüsü Dergisi (TAED) 44 Erzurum 2010, S.228.

(٦) Hasan Alı Koçer, Türkiye’de Modern Eğitim’in Doğuşu ve Gelişimi (1773 –1923), Istanbul, 1991, S.162.

(٧) نظارة الضبطية ((ضبطية نظارتي Zabtiyye Nezareti)): تعبير مستخدم بدل تعبير المديرية العامة للشرطة ، وكان تعبير ناظر الضبطية قد استخدم بعد استحداث قوة الضبطية في عهد التنظيمات ، وبعد انقلاب (تموز ١٩٠٨م)، أصبح يعرف بمدير شرطة اسطنبول ، وحسب سالنامة الدولة العثمانية للعام (١٣٢٦هـ / ١٩٠٧م)، وردت تفاصيل عن نظارة الضبطية بأنها تتألف من : ناظر، معاون ناظر، محاسبه جي(المحاسب)، معاون ثاني للناظر، مكتوبي (مسؤول المراسلات)، وكان تحت رئاسة الناظر " هيئة انتخابية " تتألف من خمسة أعضاء ورئيس كتاب " باش كاتب " ، وتحت رئاسة معاون الناظر " لجنة إدارة " تتألف من ستة أعضاء وباش كاتب ، وكاتب ثاني، ومستطلق واحد " محقق " ، ومترجم، و " اقليم المأمورين والضباط " يتألف من ستة عشر شخص، و " شعبة سجل الاحوال " تتألف من مدير وعضو وكاتب ، اضافة الى شعب وهيئات اخرى مثل " مفتشية الشرطة " ، و " محققي النظارة "، و " مأمورين الصحية " وغيرها. Mehmet Zeki Pakalin, Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri Sozluđu, Cilt:III, Istanbul1993, s 646.

(٨) Ercan Cevizli, Erzurum Polis Mektebi, S.228.

(٩) الدرسخانه: محل الدرس ، او الغرفة او المكان المخصص لألقاء الدروس والدراسة ينظر. ش. سامي، قاموس تركي، (در سعادت، إقدام مطبعة سي، ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩م)، ص ٦٠٦.

(١٠) Hasan Alı Koçer, Türkiye’de Modern Eğitim’in, S.162.

(١١) Osman Ergin, Türk Maarif Tarihi, 3 – 4, Istanbul, 1977, S.1176.

(١٢) الروملي: اسم أطلقه لإتراك على أراضي الدولة العثمانية الواقعة في القارة الإوربية، وكلمة (روملي) مؤلفة من شقين إلال (روم) أي؛ الرومان (البيزنطيين) و(لي) تعني أرض باللغة التركية، والكلمة ككل تعني (أرض الروم). د. سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص١٢٩.

(13) Ercan Cevizlier, Erzurum Polis Mektebi, S.229.

(14) Osman ergin, Türk Maarif Tarihi, 3 - 4, S.1497.

(15) Nureddin Van, Meşrutiyetın İlanından Sonra Polis Teşkilatının Değişimi Ve Dönüşümü Dumpupınar Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi-Sayı34-Arahk 2012, S.290.

(١٦) دائرة المابين: مصطلح اطلق في العهد العثماني للدلالة على الحيز الفاصل في السراي السلطانية بين مجلس السلطان وقصر الحريم ويتألف هذا المجلس من مجموعة من الغرف مخصصة للسلطان وحاشيته التي تقوم على خدمته الخاصة. ينظر: حسن الحلاق وعباس الصباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الإيوية والمملوكية والعثمانية ذات الاصول العربية والفارسية والتركية ، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٩٩، ص١٩٧.

(17) Nureddin Van, Meşrutiyetın İlanından Sonra Polis, S.291.

(18) Ercan Cevizlier, Erzurum Polis Mektebi, S.230.

(19) Osman ergin, Türk Maarif Tarihi, 3-4, S.1498.

(٢٠) فاضل بيات: المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، ص٥٤٧.

(٢١) Başbakanlık Osmanlı Arşivi . DH.ID, 67,43,2.

الإرشيف العثماني التابع الى رئاسة الوزراء في اسطنبول وسوف يختصر فيما بعد (B.O.A).

(22) Ercan Haytoğlu, II. Meşrutiyet Dönem; Nde Meslekî Ve Teknik Eğitimi Okulları (1908 - 1918), S.78.

(23) B.O.A. Dh. Eum. Vrk, 7,4,1.

(24) B.O.A. Eum. Thr, 64/30.

(٢٥) للتفاصيل عن أسماء مدرّاء النواحي الذين اجتازوا إلامتحان واثبتوا اهليتهم وهم: (عبدالله أفندي مدير ناحية جبه وآلوس، وعثمان وافي مدير المدحتية، والحاج سليم أفندي مدير الشفائية، وحامدي أفندي مدير الرحبه، وعلي غالب أفندي مدير بارمانه، وحامدي أفندي مدير الصلاحية ، فعاد كل منهم الى محل مأموريته، وأما الإربعة الذين لم ينالوا إلاهلية وهم: رجب أفندي مدير

الخالص، وعمر فهيم أفندي مدير الرحالية ، وأحمد عزت أفندي مدير دلي عباس ، ومسلم أفندي مدير ابو جوارير ، فهؤلاء يستخدمون في محلهم بالوكالة حتى إذا انحلت وظيفة يوازن راتبها الراتب الذي لهم فيعينون لها). جريدة صدى بابل، العدد: ١٤١، الجمعة ١٣ رجب ١٣٣٠هـ / المصادف ٢٨ حزيران ١٩١٢م.

(26) B.O.A. Dh. Eum. mem, 5/25.

(27) B.O.A. Dh. Eum. mem, 47,72,1.

(٢٨) **نامزد:** الشخص المرشح او المؤهل لوظيفة أو منصب ما، اما في هذا البحث فالمقصود الشخص المرشح للتعيين في سلك الشرطة ، وسوف نختصر فيما بعد (الشخص المرشح) ، وبخصوص معنى المصطلح انظر. ش. سامي، قاموس تركي، ص ١٤٥١.

(29) B.O.A. Dh. Eum. mem, 47,72,1.

(٣٠) وردت التواريخ في الوثيقة بالتقويم الرومي وقمنا بتحويلها الى الميلادي لتكون اكثر وضوحاً بالنسبة للفترة الزمنية.

(31) B.O.A. Dh. Eum. mem, 47,72,1.

(32) B.O.A. Dh. Eum. mem, 60,47, 1.

(33) B.O.A. Dh. Eum. mem, 47,72,3.

(34) B.O.A. Dh. Eum. mem, 47,72,3.

(35) B.O.A. Dh. Eum. mem, 47,72,4.

(36) B.O.A. Dh. Eum. mem, 47,72,4.

(37) B.O.A. Dh. Eum. mem, 24,111,1.

(38) B.O.A. Dh. Eum. mem, 24,111,2.

(39) B.O.A. Dh. Eum. mem, 47,72,2.

(40) B.O.A. Dh. Eum. mem, 47,72, 2.

(41) B.O.A. Dh. Eum. mem, 47,72,5.

(42) B.O.A. Dh. Eum. mem, 47,72,5.

(43) B.O.A. Dh. Eum. mem, 47,72,5.

(44) B.O.A. Dh. Eum. mem, 47,72, 6.

(45) B.O.A. Dh. Eum. mem, 49,40.

(46) B.O.A. Dh. Eum. mem, 63,5,3.

(47) B.O.A. Dh. Eum. mem, 60,47,3.

(*) المادة غير واضحة في الوثيقة.

(48) B.O.A. Dh. Eum. mem, 63,05, 2.

(49) B.O.A. Dh. Eum. mem, 63,5.1.

(50) B.O.A. Dh. Eum. mem, 62,72,3.

(*) يبدو ان كاتب الوثيقة اخطأ بعدد أفراد الشرطة، إذ ذكر بأن عددهم معاون واحد و(١٢) فرداً، ولكن يذكر عددهم في الجدول معاون واحد و(١٣) فرداً.

(51) B.O.A. Dh. Eum. mem, 62,72, 1.

(52) B.O.A.Dh. Eum. Lvz, 32,29.

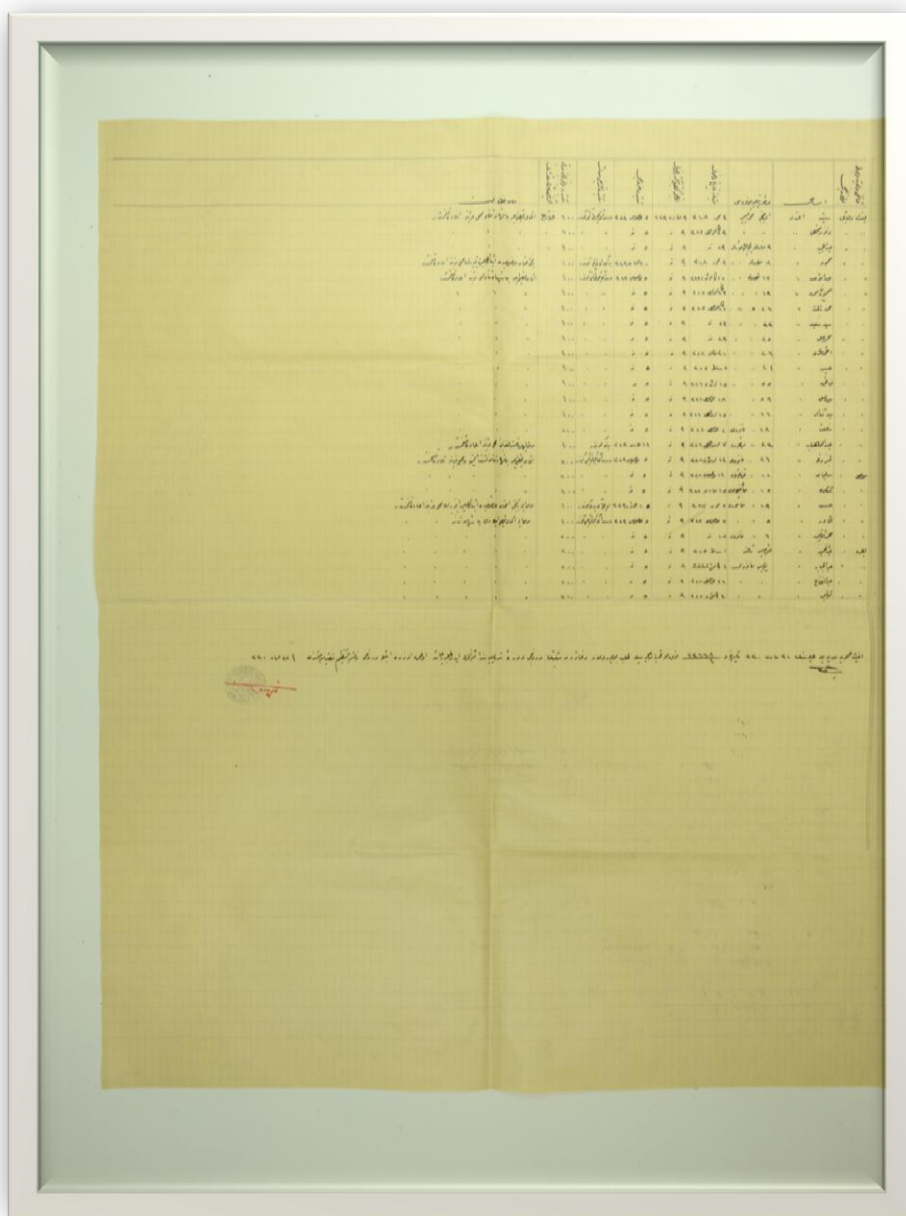
ملحق رقم (١) جدول يخص الكادر الإداري والتدريسي في مدرسة شرطة بغداد

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31	32	33	34	35	36	37	38	39	40	41	42	43	44	45	46	47	48	49	50	51	52	53	54	55	56	57	58	59	60	61	62	63	64	65	66	67	68	69	70	71	72	73	74	75	76	77	78	79	80	81	82	83	84	85	86	87	88	89	90	91	92	93	94	95	96	97	98	99	100	101	102	103	104	105	106	107	108	109	110	111	112	113	114	115	116	117	118	119	120	121	122	123	124	125	126	127	128	129	130	131	132	133	134	135	136	137	138	139	140	141	142	143	144	145	146	147	148	149	150	151	152	153	154	155	156	157	158	159	160	161	162	163	164	165	166	167	168	169	170	171	172	173	174	175	176	177	178	179	180	181	182	183	184	185	186	187	188	189	190	191	192	193	194	195	196	197	198	199	200	201	202	203	204	205	206	207	208	209	210	211	212	213	214	215	216	217	218	219	220	221	222	223	224	225	226	227	228	229	230	231	232	233	234	235	236	237	238	239	240	241	242	243	244	245	246	247	248	249	250	251	252	253	254	255	256	257	258	259	260	261	262	263	264	265	266	267	268	269	270	271	272	273	274	275	276	277	278	279	280	281	282	283	284	285	286	287	288	289	290	291	292	293	294	295	296	297	298	299	300	301	302	303	304	305	306	307	308	309	310	311	312	313	314	315	316	317	318	319	320	321	322	323	324	325	326	327	328	329	330	331	332	333	334	335	336	337	338	339	340	341	342	343	344	345	346	347	348	349	350	351	352	353	354	355	356	357	358	359	360	361	362	363	364	365	366	367	368	369	370	371	372	373	374	375	376	377	378	379	380	381	382	383	384	385	386	387	388	389	390	391	392	393	394	395	396	397	398	399	400	401	402	403	404	405	406	407	408	409	410	411	412	413	414	415	416	417	418	419	420	421	422	423	424	425	426	427	428	429	430	431	432	433	434	435	436	437	438	439	440	441	442	443	444	445	446	447	448	449	450	451	452	453	454	455	456	457	458	459	460	461	462	463	464	465	466	467	468	469	470	471	472	473	474	475	476	477	478	479	480	481	482	483	484	485	486	487	488	489	490	491	492	493	494	495	496	497	498	499	500	501	502	503	504	505	506	507	508	509	510	511	512	513	514	515	516	517	518	519	520	521	522	523	524	525	526	527	528	529	530	531	532	533	534	535	536	537	538	539	540	541	542	543	544	545	546	547	548	549	550	551	552	553	554	555	556	557	558	559	560	561	562	563	564	565	566	567	568	569	570	571	572	573	574	575	576	577	578	579	580	581	582	583	584	585	586	587	588	589	590	591	592	593	594	595	596	597	598	599	600	601	602	603	604	605	606	607	608	609	610	611	612	613	614	615	616	617	618	619	620	621	622	623	624	625	626	627	628	629	630	631	632	633	634	635	636	637	638	639	640	641	642	643	644	645	646	647	648	649	650	651	652	653	654	655	656	657	658	659	660	661	662	663	664	665	666	667	668	669	670	671	672	673	674	675	676	677	678	679	680	681	682	683	684	685	686	687	688	689	690	691	692	693	694	695	696	697	698	699	700	701	702	703	704	705	706	707	708	709	710	711	712	713	714	715	716	717	718	719	720	721	722	723	724	725	726	727	728	729	730	731	732	733	734	735	736	737	738	739	740	741	742	743	744	745	746	747	748	749	750	751	752	753	754	755	756	757	758	759	760	761	762	763	764	765	766	767	768	769	770	771	772	773	774	775	776	777	778	779	780	781	782	783	784	785	786	787	788	789	790	791	792	793	794	795	796	797	798	799	800	801	802	803	804	805	806	807	808	809	810	811	812	813	814	815	816	817	818	819	820	821	822	823	824	825	826	827	828	829	830	831	832	833	834	835	836	837	838	839	840	841	842	843	844	845	846	847	848	849	850	851	852	853	854	855	856	857	858	859	860	861	862	863	864	865	866	867	868	869	870	871	872	873	874	875	876	877	878	879	880	881	882	883	884	885	886	887	888	889	890	891	892	893	894	895	896	897	898	899	900	901	902	903	904	905	906	907	908	909	910	911	912	913	914	915	916	917	918	919	920	921	922	923	924	925	926	927	928	929	930	931	932	933	934	935	936	937	938	939	940	941	942	943	944	945	946	947	948	949	950	951	952	953	954	955	956	957	958	959	960	961	962	963	964	965	966	967	968	969	970	971	972	973	974	975	976	977	978	979	980	981	982	983	984	985	986	987	988	989	990	991	992	993	994	995	996	997	998	999	1000

ملحق رقم (٢) جدول يخص الدورة الأولى لمدرسة شرطة بغداد

[illegible]

ملحق رقم (٣) يخص الدورة الرابعة لمدرسة شرطة بغداد



المؤادجا.....

ملحق رقم (٤) أسماء الملتحقين في الدورة السابعة والدرجات التي حصلوا عليه

[illegible][illegible]

**التنسيق الأردني العربي تجاه
القضية الفلسطينية ١٩٨٠-١٩٨٦**

**أ.د. إبراهيم خلف العبيدي
م.م. دحام فرحان عبد الحميد
كلية التربية والعلوم الإنسانية-جامعة تكريت**

التنسيق الأردني العربي تجاه القضية الفلسطينية ١٩٨٠-١٩٨٦

أ.د. إبراهيم خلف العبيدي

م.م. دحام فرحان عبد الحميد

بعد زيارة السادات للقدس عام ١٩٧٧ وانفراده في توقيع اتفاقيتي كامب ديفيد ١٩٧٨-١٩٧٩، أصبحت دول المواجهة العربية أقل قدرة على تحمل مسؤوليات القضية الفلسطينية لاسيما الأردن الذي لم يكن ليستغني عن الدعم العربي ليأخذ دوره تجاه تلك القضية، لذا تحتم عليه إتباع استراتيجية جديدة تقوم على إيجاد بدائل عربية تكون مساندة وداعمة لمواقفه وتوجهاته.

لقد تألف البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة، تناول المبحث الأول مؤتمر قمة عمان الحادي عشر ١٩٨٠، ومشروع الأمير فهد ١٩٨١، أما المبحث الثاني فقد عالج مشروع السلام العربي ١٩٨٢ وتوافق الجهود الأردنية العربية بين عامي ١٩٨٣-١٩٨٦.

المبحث الأول

ميثاق العمل القومي والاقتصادي في مؤتمر قمة عمان ١٩٨٠

أثرت اتفاقيات كامب ديفيد بشكل كبير في القضية الفلسطينية عن طريق الانفراد بالحل السلمي الجزئي، وفرض سياسة الأمر الواقع على الدول العربية في الصراع العربي الإسرائيلي وحله سلمياً بعد انسحاب مصر أكبر دولة عربية عسكرياً وسياسياً وبشراً^(١).

تمكنت سياسة الولايات المتحدة ومن ورائها الكيان الصهيوني من عزل مصر عن العالم العربي وإيجاد حلف في الشرق الأوسط بين مصر والكيان الصهيوني والولايات المتحدة، الذي أصبح أداة تهديد وقمع لإرادة الدول العربية الرافضة لتلك

الاتفاقيات^(٢)، وأزاحت احتمال نشوب حرب لاستعادة الأرض المحتلة ولو لسنوات، وضرب الوحدة العربية، وعدم العودة لأي تفكير بقيام وحدة على أساس قومي كما كان سابقاً، أو بإمكان أي دولة عربية فرض السلام الذي تريده^(٣).

اقتضت الضرورة عقد قمة عربية لتدارس المخاطر التي خلفتها اتفاقيات كامب ديفيد، وبعد دعوة الرئيس بورقيبة تم عقد مؤتمر القمة العاشر في تونس ما بين العشرين والثاني والعشرين من تشرين الثاني ١٩٧٩^(٤)، وأكد المؤتمر على المبادئ الأساسية لمؤتمرات القمة السابقة وارتياحهم إلى تزايد العزلة الصهيونية، وتنامي الوعي بعدالة القضية الفلسطينية، وإجهاض محاولات بعض الدول الرامية إلى إيجاد العلاقات مع العدو الصهيوني أو الاعتراف بالقدس عاصمة له^(٥).

ولكن في الوقت نفسه أرادت مصر والكيان الصهيوني أن يوضحا للدول العربية صاحبة الموقف المعتدل ومنها الأردن أن هناك بعض الجوانب الإيجابية من اتفاقية كامب ديفيد ولاسيما بعد استعادة مصر ثلثي سيناء بعد انتهاء قمة تونس بأيام^(٦).

وعلى الرغم من ذلك، فإن الأردن فضّل المكاسب المادية والسياسية التي حصل عليها من قمتي بغداد وتونس بدلاً من أن يكون في موقع الاتهام، إذ أن الملك حسين جعل من أولويات حكومة عبدالحميد شرف^(٧) التي دعاها للتشكيل في التاسع عشر من كانون الأول ١٩٧٩ عن طريق كتاب التكليف السامي بأن تحافظ على التضامن العربي الذي نتج عن تلك القمتين وتدعمه، وتعمل على بناء جسور الثقة بين الأردن والدول العربية الأخرى^(٨).

لم تدم مراحل الحفاظ على الحد الأدنى من الاتفاق العربي في المؤتمرين السابقين، بسبب عدد من المشاكل التي استجدت على الساحة العربية ومنها استمرار الأزمة اللبنانية، والحرب العراقية الإيرانية وتفجر الأزمة الليبية- التشادية، والخلافات بين دول المغرب العربي فيما بينها، والخلافات بين دول المشرق العربي فيما بينها أيضاً^(٩).

انعكس العجز العربي، وتجدد القضايا الخلافية بين الدول العربية على انعقاد مؤتمر القمة العربي الحادي عشر في عمان في المدة ما بين الخامس والعشرين والسابع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٨٠، إذ واجه بعض العقبات قبل عقده، صدرت عن بعض الدول العربية ومنها سوريا التي وجدت في عقده محاولة لإعطاء الملك حسين دعم عربي للتفاوض مع الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني للتوصل إلى حل سلمي، ومحاولة للحصول على دعم عربي للعراق في حربه ضد إيران^(١٠)، بينما عدّ الملك حسين المعارضة السورية لعقد المؤتمر ما هي إلا محاولة للوقوف بالصد من سياسة الأردن الثابتة تجاه الاعتراف بمنظمة التحرير، نافيةً الاتهامات السورية القائلة بأن الأردن يسعى للسيطرة على المنظمة^(١١)، عاداً تلك الاتهامات ما هي إلا فتنة يراد منها تحطيم الوحدة الوطنية للأقطار العربية، وإنها من صنع الكيان الصهيوني لكي تبقى الدول العربية منشغلة في خلافاتها، وتبتعد عن القضية الجوهرية إلا وهي القضية الفلسطينية^(١٢).

حاولت سورية تأجيل المؤتمر أو إفشاله عن طريقين الأول إقناع دول جبهة الصمود والتصدي وبعض الدول العربية بعدم حضوره، والثاني استخدام لغة التهديد العسكري^(١٣).

وفي مؤتمر وزراء الخارجية والاقتصاد العرب الذي عقد في عمان في التاسع من تموز ١٩٨٠م تمهيداً لعقد مؤتمر القمة الحادي عشر، أعلن الملك حسين في الخطاب الذي ألقاه في افتتاح الدورة الخاصة للمؤتمر، إن الأردن ملتزم بقرارات مؤتمري قمة بغداد وتونس، وأكد على وجوب إقرار استراتيجية اقتصادية لدعم التضامن العربي لمواجهة التحدي الصهيوني، ووجوب عقد مؤتمر قمة عمان في موعده لما له من أهمية سواءً كان على المستوى الأردني أو العربي^(١٤).

استمر الرئيس الأسد في مطالبته بتأجيل انعقاد المؤتمر أو تغيير مكان انعقاده إلا إن الأردن أصر على انعقاده في الزمان والمكان المحددين^(١٥)، وقد صرح الملك

حسين أنه لا يرى أي مبرر لتأجيل المؤتمر، وأنه يعد المشكلات القائمة بين الدول العربية مسوغاً إضافياً لانهقاده^(١٦).

كان الملك حسين مصراً على عقد مؤتمر القمة الحادي عشر على الرغم من الخلافات العربية والتكهنات بعدم مشاركة عدد من الدول العربية فيه، وإصراره هذا سببان، فأما الأول هو أنه أراد أن يجعل من ذلك المؤتمر بمثابة الدعم والتأييد له للخروج من الحرج الذي كانت تسببه الضغوط الأمريكية والإسرائيلية للدخول في اتفاقيات كامب ديفيد، لاسيما بعد أن أعلن وبشكل صريح: "أن الأمريكيين يحاولون باستمرار الضغط علينا عن طريق المسؤولين في وزارة الخارجية الأمريكية، لكن ردنا هو لن ندخل في كامب ديفيد، ولن نخرق قرارات قمتي بغداد وتونس"^(١٧)، وأما الثاني فهو إرضاءً للدول العربية الراضة لتلك الاتفاقيات ولاسيما بعد أن أصبح للأردن حلفاء جدد مثل العراق، وانهيار نظام الشاه الذي أعطى توجهاً جديداً للمحور الملكي العربي من الولايات المتحدة الأمريكية^(١٨)، لذا بدأ الملك الحسين بتهيئة الأرضية المناسبة لاستكمال اجراءات عقد المؤتمر على الرغم من التحديات والضغوط التي يتعرض لها عن طريق تكليف السيد مضر بدران المعروف بعلاقته الجيدة مع رؤساء الدول العربية بتشكيل الوزارة في الرابع عشر من أيلول ١٩٨٠م، وجعل من أولويات حكومته انجاح عقد هذا المؤتمر^(١٩)، إذ جعل السيد مضر بدران مفاتيح بيانه الوزاري الذي ألقاه أمام المجلس الوطني الأردني الاستشاري في الخامس عشر من أيلول من العام نفسه، "العمل على تعزيز التضامن العربي والعمل العربي المشترك عن طريق تمسك الأردن بقرارات مؤتمري قمة بغداد وتونس وتطويرها في مؤتمر قمة عمان المرتقب الذي دعي له في لقاء قمة تونس ١٩٧٩"^(٢٠).

وفي أثناء اجتماع وزراء الخارجية العرب في الثاني والعشرين والخامس والعشرين من تشرين الأول ١٩٨٠م قامت سوريا بحشد قوات عسكرية كبيرة على الحدود الأردنية السورية^(٢١)، إلا أن المؤتمر عُقد في موعده المحدد في الرابع والعشرين إلى السابع

والعشرين من تشرين الثاني ١٩٨٠م بغياب كل من منظمة التحرير الفلسطينية، وموريتانيا، ولبنان، وسوريا، وقد جاء هذا الغياب بفضل الضغوط السورية^(٢٢).

صدر عن هذا المؤتمر عدد من القرارات على مستوى القضية الفلسطينية، والعمل السياسي والعسكري، وردت تحت بند (ميثاق العمل العربي المشترك لمواجهة العدو الصهيوني في المرحلة القادمة)، وقرارات أخرى وردت تحت بند (ميثاق العمل القومي الاقتصادي)، إلى جانب قرارات لدعم صمود الشعبين الفلسطيني والأردني^(٢٣)، وظهرت قوة قرارات المؤتمر التي تميزت عن المؤتمرات السابقة بأن طالب المؤتمرين بتحقيق التوازن العسكري الاستراتيجي مع الكيان الصهيوني، إذ تقرر إنشاء قيادة عربية مشتركة، وإنشاء مؤسسة عربية للتصنيع العسكري، وتأمين احتياجات دول المواجهة من المواد الاستراتيجية لخدمة المجهود العسكري^(٢٤)، كذلك قرر المؤتمر إدانة السياسة الأمريكية لمساندتها الاحتلال الإسرائيلي في الاستيطان والاعتداء على المقدسات الإسلامية^(٢٥).

لم تخلو خطب الملك حسين التي ألقاها في هذا المؤتمر من توجيه العتب واللوم على الدول العربية التي لم تحضر هذا المؤتمر، فقد عدّ عدم حضورها ما هو إلا انجرار وراء مقاصد خارجية لتعطيل العمل العربي المشترك تجاه القضية الفلسطينية ومحاولة لإبعاد الأردن عن دوره تجاهها^(٢٦).

وفي تقييم المؤتمر وأسباب انعقاده أشار الملك حسين في الثامن من كانون الأول ١٩٨٠ قائلاً: "إن هذا المؤتمر كان ناجحاً لأنه كان قد عقد على مقربة من خط النار والأرض المحتلة وإن هذا المؤتمر عقد لأجل فلسطين وبشكل خاص لأجل أن تعود الأرض لأهلها ودرّتها القدس"^(٢٧).

إن إصرار الأردن على إتمام عقد مؤتمر قمة عمان ما هو إلا محاولة لإيصال رسالة واضحة إلى دول المواجهة المباشرة ولاسيما سوريا ومنظمة التحرير بعد غياب مصر مفادها أن الأردن يستطيع أن يمتلك زمام المبادرة تجاه القضية الفلسطينية بعد

مصر وهذا ما بدا واضحاً في أثناء تصريحات قادة أردنيين بعد انتهاء أعمال المؤتمر بقولهم: "الآن نستطيع العمل بدون مزيدة ديموغرافية"^(٢٨).

مشروع الأمير فهد ١٩٨١:

أخذ التوتر في المنطقة العربية في عقد الثمانينات يزداد سوءاً بعد أن أصبحت الحرب العراقية الإيرانية تأخذ باتجاه التعقيد، وازدياد حدة الخلاف العربي-العربي ولاسيما بين العراق وسوريا بشأن مجريات تلك الحرب، والأردن وسوريا^(٢٩)، وسوريا ومنظمة التحرير، والجزائر والمغرب، واليمن الجنوبي والشمالي^(٣٠).

استغل الكيان الصهيوني الأوضاع العربية السياسية والعسكرية السيئة وشن هجوماً جويماً على المفاعل النووي العراقي (تموز) في السابع من حزيران ١٩٨١م^(٣١)، والهجوم الواسع النطاق الذي شنه في العاشر من تموز وحتى الرابع والعشرين من تموز ١٩٨١م على الوجود العسكري المسلح لمنظمة التحرير الفلسطينية في الجنوب اللبناني لإثبات نفسه كقوة ردع إقليمية لتنفيذ مشاريعه التوسعية^(٣٢)، لذا بادرت المملكة العربية السعودية لتحل محل مصر وتأخذ بعضاً من دورها في لعبة السلام الشرق أوسطية، لكن بطريقة تختلف عن تلك التي تبنتها مصر، أي بطريقة الإجماع العربي وليس الحلول الانفرادية^(٣٣)، وأطلقت مبادرتها على لسان ولي العهد السعودي الأمير فهد بن عبدالعزيز^(٣٤)، في السابع من آب ١٩٨١م في أثناء مقابلة مع وكالة الأنباء السعودية^(٣٥)، تضمنت "انسحاب (إسرائيل) من جميع الأراضي العربية التي احتلت عام ١٩٦٧ بما فيها القدس العربية، وإزالة المستعمرات التي أقامتها (إسرائيل) على الأراضي العربية، وتأكيد حق الشعب الفلسطيني في العودة، وقيام دولة فلسطين بعاصمتها القدس، وتأكيد حق دول المنطقة في العيش بسلام، وإخضاع الضفة الغربية وقطاع غزة لمدة انتقالية تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة"^(٣٦).

تفاوتت ردود الأفعال بالنسبة للأقطار العربية بين مؤيد للمبادرة ومشكك فيها، ومنتظر، وبين رافضاً لها^(٣٧).

أما الأردن فكان من الدول العربية التي أيدت المبادرة، وكان وراء تأييدها سببين؛ الأول هو أن من أهم بنود المشروع استرجاع الدول العربية أراضيها التي كانت قد فقدتها في حرب ١٩٦٧ وهذا يعني استرجاع الأردن للضفة الغربية التي فقدتها، لذلك كان من الداعمين لها^(٣٨)، والسبب الثاني هو تيقن الملك حسين إن القضية الفلسطينية لن تحل إلا بالمشاريع السلمية، وأنَّ هذا المشروع قد أخذ صبغة عربية، ولاسيما أنَّ دول الخليج العربي قد أجمعت عليه، إلى جانب أن صاحبة المشروع أي المملكة العربية السعودية هي من الحلفاء التقليديين للأردن ومصدراً مهماً له في موارده الخارجية التي كانت تنصدر الدول المانحة والمساعدة له^(٣٩).

تأجلت مناقشة المشروع السعودي إلى مؤتمر قمة فاس المزمع عقده في الخامس والعشرين من تشرين الثاني ١٩٨١، وفي الاجتماع التمهيدي لوزراء الخارجية العرب الذي عقد في الثاني والعشرين وحتى الخامس والعشرين من تشرين الثاني ١٩٨١ ظهرت الخلافات العربية حول بعض بنود هذا المشروع ولاسيما البند السابع المتعلق بالاعتراف بالكيان الصهيوني^(٤٠)، وفي أثناء انعقاد الدورة الأولى لمؤتمر قمة فاس في الخامس والعشرين من تشرين الثاني ١٩٨١، (الدورة الثانية عقدت في السادس من أيلول ١٩٨٢) وعلى الرغم من النقاشات الساخنة التي تزعمتها سوريا الرافضة تماماً للمشروع، تمسك الأردن بالمشروع وكاد الأمير السعودي أن يسحب خطته في أثناء الاجتماع لولا إصرار الملك حسين وملك المغرب ودول الخليج العربي على الاستمرار في مناقشة بنوده^(٤١).

أخفق المؤتمر في تمرير المشروع السعودي بسبب تغيب تسعة رؤساء دول عن الحضور وأرسلوا مندوبين عنهم، ومعارضة عدد من الدول له، لذلك أعلن الملك الحسن الثاني تأجيل المؤتمر لمدة ثلاثة إلى ستة أشهر، على أن يستمر النقاش بشأن هذا المشروع في أثناء المدة المحددة^(٤٢)، وعندما لم يتفق العرب على صيغة واحدة تجاه المشروع السعودي، أعلنت العربية السعودية سحب مشروعها بعد أن قال عنه الأمير فهد أنه يشكل الحد الأدنى المطلوب الذي كان على العرب التشاور بشأنه، وأبدى

استغرابه من مواقف بعض الدول، ولاسيما سوريا التي وافقت على المشروع السوفييتي ولم توافق على مشروعه^(٤٣).

عزا الملك حسين في تصريح له في الثالث من كانون الأول ١٩٨١ سبب سحب العربية السعودية لمشروعها هو التجريح والضغط التي تعرضت له من بعض وزراء خارجية الدول العربية الراضة له قبل وفي أثناء انعقاد مؤتمر قمة فاس الأمر الذي دفع بالأمير فهد لأن يعلن سحب مشروعه^(٤٤)، عاداً تلك المبادرة حسب قوله: "هي جهد من ضمن الجهود التي تتناول حل القضية الفلسطينية، وأنها لم تخرج عن قرارات الأمم المتحدة ومؤتمرات القمة العربية، وإن الحاجة إلى مبادرة عربية تساندها الأمة العربية، ويقبلها العالم هي التي دفعت العربية السعودية الشقيقة إلى طرح مبادرتها"^(٤٥).

على الرغم من أن العديد من المصادر العربية والأجنبية قد أجمعت على موافقة وتشجيع الملك حسين للمبادرة السعودية، إلا أن هناك مصادر أخرى ذكرت نقيض ذلك، إذ بيّن الدكتور محمد شلبي أن الملك حسين وجد نفسه مضطراً إلى التوفيق بين المصالح المالية السعودية والتهديدات الأمنية التي تمثلها سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية بعد رفضهم للمشروع، لهذا جاء موقفه مرناً وغير حاسم، وقد خرج من الحرج عندما علق مؤتمر فاس الأول موافقته عليه^(٤٦)، بل إنه وعلى الرغم من التقائه مع الأمير فهد في لندن بداية تشرين الثاني ١٩٨١م عندما كان متوجهاً للولايات المتحدة الأمريكية وتأييده للمشروع بقوله إنه من ضمن قرارات المنظمة الدولية وقرارات القمة العربية، وعلى الرغم من عدّه له بأنه شامل ويشكل خطوة متقدمة بالمقارنة مع اللاءات الثلاث في مؤتمر قمة الخرطوم ١٩٦٧^(٤٧)، إلا أنه لم يبحثه مع القيادة السياسية الأمريكية^(٤٨)، وهذا بحدّ ذاته مؤشراً لعدم تحمسه لذلك المشروع بالخفية.

المبحث الثاني

قمة فاس الثانية ومشروع السلام العربي ١٩٨٢-١٩٨٣

أصبحت الفرصة مواتية لعقد الدورة الثانية لمؤتمر قمة فاس عندما قام الكيان الصهيوني بغزو لبنان في السادس من حزيران ١٩٨٢، إذ توجب على الدول العربية اتخاذ موقفاً واضحاً وسريعاً، لذا بعث الملك حسين برسالتين إلى الرئيس الجزائري والملك السعودي في الرابع من تموز ١٩٨٢ يحثهما على الإسراع في اتخاذ مواقف واضحة تجاه الوضع المتردي الذي تعانيه القضية العربية والفلسطينية^(٤٩)، وحتى لا تكون القمة المقبلة ناقصة الصلاحيات بعد أن عول الملك حسين عليها كثيراً وبعد حصوله على موافقة مبدئية من معظم الدول العربية أنه سيكون هناك مشروع عربي للسلام، أعلن في الحادي عشر من آب ١٩٨٢ "أن القمة المنتظرة يجب أن يحضرها من يملك الصلاحيات الأولى في اتخاذ القرار العربي والالتزام به"^(٥٠).

بعد خروج فصائل المقاومة الفلسطينية من لبنان أصبحت الأجواء مناسبة لعقد الدورة الثانية لمؤتمر قمة فاس، لذا توجه الملك حسين في زيارة إلى العراق والسعودية في الأول من أيلول ١٩٨٢ لإجراء مباحثات بشأن السبل الممكنة لإنجاح هذه القمة، والاتفاق على آلية موحدة لحل القضية الفلسطينية والأزمة اللبنانية^(٥١).

عقد مؤتمر قمة فاس (الدورة الثانية) من السادس وحتى التاسع من أيلول ١٩٨٢ بعد أن اتفق وزراء الخارجية العرب على جدول أعمال المؤتمر، إذ شكل خلاصة اجتماعاتهم ومناقشتهم للأوراق العربية المقدمة وأهمها مشروع السلام السعودي، والمشروع الأمريكي، ومشروع الحبيب بورقيبة ١٩٦٥، وورقة العمل الفلسطينية، والنزاع العراقي الإيراني، وورقة العمل اللبنانية^(٥٢).

وفي أثناء انعقاد جلسات المؤتمر وتحديداً في الثامن من أيلول عقد اجتماع بعيداً عن أروقة المؤتمر ضم ملك الأردن، والرئيس العراقي، والملك السعودي، وملك

المغرب، والأمير الكويتي في مدينة إفرن المغربية وتم التباحث في هذا الاجتماع تسوية الخلافات والاتفاق على الخروج بنتيجة ايجابية ومشاركة في هذا المؤتمر^(٥٣).

بعد مداولات في أروقة مؤتمر فاس (الدورة الثانية) نجح المؤتمر في الإجماع على مشروع سلام عربي، استمد بنوده من المشروع السعودي (مشروع فهد) ومشروع السلام الذي طرحه الحبيب بورقيبة عام ١٩٦٥ والمشروع الأمريكي، اشتمل على ثمان نقاط كان من أهمها "انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧م، وتأكيد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وخضوع الضفة الغربية وقطاع غزة لمدة انتقالية تحت إشراف الأمم المتحدة، وقيام الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس"^(٥٤).

تباينت المواقف العربية والدولية من مشروع السلام العربي، على الرغم من إن هذا المشروع عكس الإجماع العربي، وأكد جدية العرب في الوصول الى السلام العادل والدائم، وأعطى انطباع رغبة العرب في الحل السلمي للقضية الفلسطينية وعدم التطرق لأي عمل عسكري.

كان الأردن من الدول العربية التي أيدت مشروع السلام، فقد عبّر الملك حسين عن دعمه التام والقوي له لسببين أولهما: إنَّ المشروع يمثل إجماعاً عربياً لتحقيق ما كان يبحث عنه الأردن في التسوية السلمية مع (إسرائيل)، وثانيهما إنَّ المشروع توافَقَ إلى حد كبير مع ترتيبات المشروع الأمريكي الداعي إلى عدَّ الأردن شريكاً رئيساً للفلسطينيين في عملية السلام^(٥٥). إلى جانب تأكيد الملك حسين إنَّ مشروع السلام العربي "يشكل رأي الأمة العربية في مستوى قياداتها مجتمعةً وأنَّ النقاط الثمانية للمشروع ستطرح على العالم بأسره وعلينا التركيز على الساحة الأمريكية.. وأنَّ هذا المشروع يشكل نقلة نوعية نحو السلام الذي يؤمن به الأردن"^(٥٦).

لم يكن بإمكان الملك حسين أن يتحرك من دون منظمة التحرير والوفاق العربي، وإذا كان الوفاق العربي تحقق في قمة فاس قد ساعده على التحرك في إطارها

ومكنه من الخروج من حالة الجمود التي كانت تخيفه، ولاسيما في ظل سياسة الاستيطان واشتداد الضغوط الأمريكية عليه للانخراط في مفاوضات الحكم الذاتي، لذلك وللتوفيق بين هذه التعارضات توجب عليه اتباع سياسة عربية مرنة وحذرة وهذا يكمن في الموافقة على خطة فاس وتأبيدها والتحرك في إطار مضمونها^(٥٧).

رحبت دول الرفض العربي في جبهة الصمود والتصدي بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية بذلك المشروع، إذ أقر المجلس الوطني الفلسطيني في دورته السادسة عشرة خطة السلام العربية^(٥٨). بينما رفضت الولايات المتحدة المشروع العربي، وأعلنت أنها تفضل مشروعها، كذلك رفضت الحكومة (الإسرائيلية) هذا المشروع، أما الاتحاد السوفيتي وباريس ولندن ويون فكانت من الدول المؤيدة له والمرحبة به على أساس أنه سيشمل جميع النقاط المتفق عليها^(٥٩).

ومن القرارات الأخرى للمؤتمر أنه قرر تشكيل لجان مؤلفة من المملكة الأردنية الهاشمية، والعربية السعودية، والمملكة المغربية، والجمهورية التونسية، والعراق، وليبيا، وسوريا، والجزائر، ومنظمة التحرير، لإجراء اتصالات مع الدول الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن الدولي لمتابعة قرارات المؤتمر المتعلقة بالصراع العربي-الإسرائيلي^(٦٠).

اختير الأردن ليتأسس أحد هذه اللجان المؤلفة من مجموعة الدول العربية وهي كلاً من سوريا، العراق، الجزائر، ومنظمة التحرير، ومن عواصم الدول الدائمة العضوية التي زارها الملك حسين مع الوفد العربي في اثناء المدة ما بين ١٩٨٢-١٩٨٣ هي موسكو، ولندن، وباريس، وبكين، وقد شرح الموقف العربي بدقة إذ حدد المطالب العربية بـ"زوال الاحتلال الإسرائيلي عن جميع الأراضي العربية، وفي مقدمتها القدس، ومنح الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره، وإقامة دولة مستقلة، ووقف الاستيطان الإسرائيلي"^(٦١).

ما يمكن استخلاصه من مؤتمر قمة فاس ١٩٨٢م أن القيادات العربية بما فيها الأردن انتقلت من الرفض التام للكيان الصهيوني إلى القبول به ضمناً كقوة عسكرية

في معاهدة رودس ١٩٤٩م وإلى القبول بوجوده ضمناً ككيان سياسي بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧م، والاعتراف بعدم القدرة على القضاء عليه كدولة ذات سيادة في ظل اعتراف دول القوى العظمى به بعد حرب ١٩٧٣م، ثم الوصول إلى الاعتراف به كدولة من حقه العيش بسلام إذا قامت الدولة الفلسطينية إلى جانبه كما جاء في مؤتمر قمة فاس والمشروع العربي.

توافق الجهود الأردنية العربية بين عامي ١٩٨٣-١٩٨٦

أصبح مشروع السلام العربي الذي انبثق عن مؤتمر فاس بعده أساساً لتسوية الصراع العربي الإسرائيلي من وجهة النظر العربية، وعدّ هذا المشروع بمثابة الضوء الأخضر لكل دول المواجهة العربية، ولاسيما الأردن الذي حدد مسار سياسته الخارجية طبقاً لذلك بمسلكين، أولهما التنسيق الأردني الفلسطيني وهذا سيتم بحثه في الفصل الرابع، وثانيهما هو محاولة نبذ الخلافات العربية - العربية والأردنية-العربية التي كانت حائلاً في عقد مؤتمر قمة عربي في الرياض عام ١٩٨٣^(٦٢)، والتوصل إلى صيغة توافقية مشتركة.

بدأ الأردن بإعادة ترتيب علاقاته العربية متوجهاً أولاً إلى تنظيم العلاقة الأردنية المصرية، علماً إن الملك حسين كان قد أعاد العلاقات الأردنية المصرية منذ تولي الرئيس حسني مبارك^(٦٣)، سدة الحكم حين أرسل له رسالة في كانون الثاني ١٩٨٢م أشار فيها إلى ضرورة تحسين العلاقات بين البلدين^(٦٤).

شهدت الأعوام ١٩٨٢-١٩٨٤ اتصالات عديدة من كلا الجانبين الأردني والمصري، كان مجملها يحمل عناوين التطورات العربية، والصراع العربي الإسرائيلي ومنها الرسالة التي بعثها الرئيس مبارك في الثلاثين من تشرين الثاني ١٩٨٢م إلى الملك حسين، وفي التاسع عشر من كانون الثاني ١٩٨٣م أرسل الملك حسين رسالة إلى الرئيس مبارك تتضمن نتائج المباحثات بينه وبين الرئيس الأمريكي وموقف الولايات المتحدة من إشراك الفلسطينيين في المفاوضات^(٦٥).

وفي إطار الدعم الأردني لعودة مصر للصف العربي تمكن ولي العهد الأردني الأمير حسن في أثناء ترأسه وفد الأردن في المؤتمر الإسلامي في السابع عشر من كانون الثاني ١٩٨٤ من دعوة الرؤساء ورؤساء الوفود إلى صنع موقف مؤيد لمصر^(٦٦)، وقد أعلنت وزارة الخارجية الأردنية في الخامس والعشرين من أيلول ١٩٨٤ إعادة العلاقات الدبلوماسية مع مصر على هامش اللقاء الذي تم بين الملك حسين والرئيس مبارك في شباط ١٩٨٤ في واشنطن^(٦٧)، لذلك قررت مصر إعادة العلاقات مع الأردن وعبرت عن ذلك في زيارة قام بها الرئيس المصري إلى عمان في التاسع من تشرين الأول ١٩٨٤م، ولتحقيق فكرة الملك حسين في عقد مؤتمر دولي للسلام قام الرئيس مبارك بجهود حثيثة في أثناء عامي ١٩٨٤ - ١٩٨٥م لإقناع الدول الأوروبية في الوقوف إلى جانب الدول العربية في عملية السلام، وكان لمصر دوراً كبيراً في الحوار الأردني الفلسطيني للاتفاق على تشكيل وفد مشترك لمباحثات السلام^(٦٨)، وفي الخامس والعشرين من نيسان ١٩٨٥ شهدت مدينة العقبة الأردنية قمة تاريخية ضمت كلاً من الأردن، وسلطنة عُمان، ومصر تناولت القضايا العربية، وتم فتح الطريق البحري بين البلدان الثلاث الذي عدته تلك القمة بأنه رديفاً لشريان الاتصال الفلسطيني في الجسم العربي الواحد^(٦٩).

أما فيما يتعلق بالجهود الأردنية العربية الأخرى، فكانت علاقات الاردن مع العراق على أفضل ما يرام لاسيما بعد قيام الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠م ولاسيما بعد إعلان الأردن دعمه للعراق في هذه الحرب، وفتح باب التطوع للأردنيين في الثلاثين من كانون الثاني ١٩٨٢م، ودعم العراق على الصعيد الدبلوماسي، كذلك نقل صوت العراق إلى الدول العربية، ولاسيما تلك التي بينها وبين العراق خلافات مثل سلطنة عُمان^(٧٠)، أو توسط لإعادة العلاقات بين مصر والعراق في بداية عام ١٩٨٥، فقد كان الأردن يعلم بأن التزامه واستمراره في عملية السلام تتطلب تحسناً في العلاقات الأردنية العربية والعلاقات العربية- العربية، وهذا ما حصل عندما بدأ التنسيق الأردني

الفلسطيني، فقد أعلن العراق دعمه لهذا التقارب ولاسيما أن القيادة العراقية كان لها تأثير واضح في القرار والتوجه الفلسطيني^(٧١).

وفي إطار تأييد العراق للأردن في اثناء تلك المدة ذكر أكرم الحمصي^(٧٢) أمين سر قطر حزب البعث العربي الاشتراكي الأردني أن العراق وقيادته الحزبية كانت قد دعمت الموقف الأردني ولاسيما فيما يتعلق بمسألة التقارب الأردني الفلسطيني لكنها لم تكن تؤيد أبداً أي مفاوضات أردنية فلسطينية إسرائيلية أمريكية تكون نتاج ذلك التقارب، وهذا الموقف كان موثق لدينا حتى أن القيادة العراقية كانت دائماً ما ترحب بعرفات على أساس أنه رجل ثوري، لا على أساس أنه مفاوض سياسي خلال تلك المدة^(٧٣).

وفيما يتعلق بتنسيق الجهود الاردنية السعودية ما بين المدة ١٩٨٣-١٩٨٥ فقد ترجمت عن طريق التأييد والدعم الذي حصل عليه الأردن من العربية السعودية للمبادرات التي أطلقها الأردن لفتح أبواب الحوار مع منظمة التحرير للوصول إلى أرضية تضمن لهما الشراكة وتأليف وفد مشترك حيال عملية التسوية^(٧٤).

وفي محور التقارب الأردني العربي والتنسيق المشترك، عقد مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء للمدة من السابع وحتى التاسع من آب ١٩٨٥ الذي دعا له ملك المغرب، والذي شاركت فيه جميع الدول العربية باستثناء سوريا، وليبيا، والجزائر، واليمن الجنوبي^(٧٥)، وقد رحب الملك حسين بعقد هذا المؤتمر^(٧٦)، وبين في خطابه أمام المؤتمرين أهمية العمل العربي المشترك قائلاً: "إن هذا المؤتمر ما هو إلا شاهد على إمكان تثبيت العمل العربي المشترك وتطويره في إطار الأغلبية... والعمل العربي المشترك هو غايتنا وهدفنا الاساسي"^(٧٧).

وأكد البيان الختامي الصادر عن المؤتمر ضرورة إعادة التضامن العربي، وتشكيل لجان من الدول الأعضاء للتوفيق بين سوريا من جهة، والأردن والعراق من جهة أخرى، وبين ليبيا من جهة، والعراق ومنظمة التحرير من جهة أخرى^(٧٨).

ترأست المملكة العربية السعودية اللجنة المسؤولة عن إعادة العلاقات بين الجانبين الأردني والسوري كونها ترتبط بعلاقات جيدة مع الطرفين، وبعد عدة مشاورات ولقاءات بين الأطراف الثلاثة^(٧٩)، نجحت السعودية في عودة العلاقات بين البلدين، وإعادة التنسيق المشترك، وإعلان البيان الثنائي الأردني السوري في الحادي والعشرين من تشرين الأول ١٩٨٥م، والذي تضمن الالتزام بقرارات القمة التي حصل بشأنها الوفاق العربي، والتمسك بمشروع قمة فاس، ورفض التسويات الجزئية، والعمل على تنسيق الجهود المشتركة لخدمة القضايا العربية، ولاسيما القضية الفلسطينية^(٨٠).

يبدو إنَّ الأردن لم يكن ليتحرك بمفرده تجاه أي تسوية أو حل للقضية الفلسطينية على الرغم من الضمانات التي حصل عليها عن طريق ما تم الاتفاق عليه في مؤتمر فاس ١٩٨٢ إلا بتأييد عربي مشترك، لكي لا يكون في دائرة الاتهام أو العزلة مثلما حصل لمصر عندما وقعت اتفاقيات كامب ديفيد، لذا سعى الأردن جاهدًا إلى تخطي الخلافات لتحقيق هذه الغاية وهذا ما سلاحظ على سياسته حتى في مساعيه الدولية أو تنسيقه مع الجانب الفلسطيني لحل القضية الفلسطينية.

الخاتمة

- استطاع الأردن أن يأخذ دوره تجاه القضية الفلسطينية بمساندة الدول العربية عن طريق حصوله على الدعم السياسي والمالي.
- شهدت حقبة الثمانينيات تقارب وجهات النظر الأردنية العربية حيال عملية التسوية لاسيما وهذا ما بدا واضحا عندما أعلنت العربية السعودية عن مشروعها في ١٩٨١ والاتفاق على المشروع العربي في عام ١٩٨٢
- حتى يستطيع الأردن الدخول في أي عملية تسوية تطرح احتاج إلى إعادة ترتيب علاقاته مع الأطراف العربية لاسيما تلك التي كانت لديه معها خلافات ومنها سورية وإعادة علاقاته مع الجانب المصري.

قائمة المصادر

١. محمد إبراهيم كامل، مذكرات محمد إبراهيم كامل، السلام الضائع في اتفاقيات كامب ديفيد، دار طلاس للنشر، دمشق، ١٩٨٧، ط١، ص ٥٨٤؛ مجدي حماد، فلسطين البدائل المتاحة أمام الدول العربية لحل الصراع، مجلة شؤون عربية، عدد ٣٣٤٠ تشرين الثاني ١٩٨٣م، ص ٢٢.
٢. محمد حسنين هيكل، السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة، بيروت، ط٢، دار الثقافة للنشر، ١٩٨٧، ص ٤٧؛ الحسن بن طلال، السعي نحو السلام، مطابع الأهرام، القاهرة، ١٩٨٥، ط١، ص ١٣١.
٣. سعد أبو دية، دراسات في القضايا العربية، دار البشير للنشر، عمان، ١٩٨٦، ط٢، ص ٦١-٦٣.
٤. وكالة الأنباء الكويتية (كونا) - وثائق مؤتمرات القمة العربية، ملف الأبحاث ١٧ - الكويت، ١٩٨٧، ص ١١٠-١١١؛ محمد سليم قلالة، مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية ١٩٦٧-١٩٨٢، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، الجزائر، ١٩٨٦، ص ١٦٥؛ عبد الحليم مناع، القضية الفلسطينية ومؤتمرات القمة ١٩٦٤-١٩٩١، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، ١٩٩١، ص ١٣٧.
٥. عدّ الناطق الرسمي باسم الحكومة الأردنية بأن مؤتمر قمة تونس كان مكملًا لمؤتمر قمة بغداد وأنه حقق غايتين: الأولى: تثبيت قرارات قمة بغداد، والثاني اعتماد العمل العربي المشترك لخدمة القضية الفلسطينية، واعتماد الورقة الأردنية فيما يخص السياسة النفطية العربية واستخدامها كسلاح لمواجهة العدو المشترك. وزارة الإعلام الأردنية، دائرة المطبوعات والنشر، الوثائق الأردنية لعام ١٩٧٩، مؤتمر القمة العاشر في تونس، وزارة الإعلام الأردنية، عمان، دائرة المطبوعات والنشر، ١٩٨٠، ص ١٢-١٩؛ وزارة الإعلام

- الأردنية، دائرة المطبوعات والنشر، الوثائق الأردنية لعام ١٩٨٠م، تصريح الناطق الرسمي باسم الحكومة الأردنية، عمان، ١٩٨١، ط١، ص٧.
٦. محمد سليم قلالة، المصدر السابق، ص١٦٦.
٧. عبد الحميد شرف: ولد في عمان ١٩٣٩، حصل على شهادة البكالوريوس والماجستير من الجامعة الأمريكية في بيروت ١٩٦٢، تقلد عدة مناصب منها مديراً لدائرة المنظمات الدولية في وزارة الخارجية ١٩٦٤ ووزيراً للثقافة والإعلام ١٩٧٤ ومندوب الأردن لدى الأمم المتحدة ورئيساً للديوان الملكي الأردني ثم رئيساً للوزراء ١٩٧٩. توفي عام ١٩٨٠. الوثائق الأردنية لعام ١٩٨٠، سيرة حياة رئيس الوزراء الأردني عبد الحميد شرف ووفاته، ص١٥-٣٣.
٨. محمد عبد الله وإبراهيم أحمد، النطق السامي ١٩٥٢-١٩٩٩ حول شؤون القضية الفلسطينية ١٩٥٢-١٩٠٤، ج٤، عمان، ١٩٩٩، ط١، كتاب تكليف وزارة عبد الحميد شرف كانون الأول ١٩٧٩، ص٣٦٥.
٩. جميل مطر، الجامعة العربية والنظام الإقليمي العربي وتحديات الثمانينيات، في: علي محافظة وآخرون، جامعة الدول العربية الواقع والطموح، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣، ص٨٩٨ - ٩٠٢.
١٠. حزب البعث العربي الاشتراكي، مكتب الثقافة والإعداد الحزبي، الجامعة العربية ومؤتمرات القمة العربية، دمشق، مطابع جاز البعث، ١٩٨٥، ص٢٢٤ - ٢٢٥.
١١. ينظر: خطاب الملك حسين في الجلسة الختامية لمؤتمر القمة الحادي عشر بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٩٨٠م، المنشور في وزارة الإعلام الأردنية، دائرة المطبوعات والنشر، الوثائق الأردنية لعام ١٩٨٠م، تصريح الملك حسين حول المعارضة السورية لعقد المؤتمر في تشرين الثاني ١٩٨٠، ١٩٨١، عمان، د.ط، وثيقة رقم ٧٠، ص٢٧٠-٢٧١.

١٢. إن السبب الجوهري للخلاف الأردني السوري هو شعور الأخيرة بأن الأردن بدأ بالبحث عن حلفاء جدد وابتعاده عن المسار السوري لاسيما بعد توقيع الأردن والعراق اتفاقاً عسكرياً في منتصف ١٩٧٩ يقضي بأن تدافع الواحدة عن الأخرى في حال تعرضت لأي عدوان خارجي. خطاب الملك حسين في افتتاح الدورة الثانية للمجلس الوطني الاستشاري، في عمان بتاريخ ٢٧ نيسان ١٩٨٠؛ الوثائق الأردنية لعام ١٩٨٠، ص ١٠٤. Brand, Laurie A.: "Economic And Shifting Alliances: Jordan`s Relation`s with Syrian and Iraq 1971-1981" International Journal of Middle East Studies, Vol. 26, No. 3 August 1994, P.406.
١٣. مركز الدراسات الاستراتيجية لجامعة تل أبيب، التوازن العسكري في الشرق الأوسط، ترجمة نبيه الجزائري، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٤، ص ٤٤ - ٤٥.
١٤. كان من أهم قرارات هذا المؤتمر أنه تم تشكيل لجنة من وزراء خارجية كلاً من الأردن والعراق والكويت والسعودية وسوريا والجزائر ورئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير هدفها إعداد استراتيجية شاملة لمواجهة التحديات الإسرائيلية؛ الوثائق الأردنية لعام ١٩٨٠، قرارات مؤتمر وزراء الخارجية والاقتصاد العرب في تموز ١٩٨٠، ص ١٦٢-١٦٣، ص ١٨٠.
١٥. منى محمد خليفة، العلاقات الأردنية السورية ١٩٧٠-١٩٨٥، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١، ص ١٣٤.
١٦. ينظر: مقابلة الملك حسين مع مجلة النهار العربي والدولي في ٢١ تشرين الثاني ١٩٨٠ المنشورة في الوثائق الأردنية لعام ١٩٨٠، ص ٢٤٥.
١٧. الوثائق الأردنية لعام ١٩٨٠، تصريح الملك حسين في آب ١٩٨٠، ص ٢٩.
١٨. محمد سليم قلالة، المصدر السابق، ص ١٦٧.

١٩. الوثائق الأردنية لعام ١٩٨٠، كتاب تكليف السيد مضر بدران بتشكيل الوزارة في أيلول ١٩٨٠، ص ٢٥-٣٣.

٢٠. محاضر جلسات المجلس الوطني الاستشاري الأردني الثاني، البيان الوزاري لحكومة رئيس الوزراء الأردني مضر بدران في أيلول ١٩٨٠، الجلسة العاشرة ١٥ أيلول ١٩٨٠م، ص ١١، ١٤.

٢١. أكد الأردن إن تدهور العلاقات بينه وبين سوريا يرجع أساسه إلى خلاف قائم على قضايا رئيسية منها: الوضع في لبنان والموقف الأردني من الحرب العراقية الإيرانية. الوثائق الأردنية، لعام ١٩٨٠م، تصريح الناطق الرسمي الأردني حول أسباب الخلاف الأردني السوري في تشرين الأول ١٩٨٠، ص ٢٤٥؛ عبدالمجيد العزام، عملية صنع السياسة الخارجية الأردنية، طبع بدعم وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٨، ص ٥٥؛ فيليب راندو، المعضلة السورية، مجلة السياسة الدولية، عدد ٧٢، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٢٣٨.

٢٢. على الرغم من اشتراك سوريا في الاجتماعات التي سبقت المؤتمر تمهيداً لعقده إلا أنها عادت وأعلنت عدم مشاركتها في أعمال ذلك المؤتمر وسايرتها الدول المذكورة. ينظر: سليمان موسى ومنيب ماضي، تاريخ الأردن في القرن العشرين ١٩٥٨-١٩٩٥، عمان، ١٩٩٥، ط ١، ج ٢، ص ٤٦٤.

٢٣. حدد الملك حسين في خطابه الذي افتتح به المؤتمر أسباب تعثر الاتفاق بشأن موقف موحد تجاه المشاكل والتحديات التي تواجه الأمة العربية مبيناً أن العدوان الصهيوني ليس حالة ساكنة تسمح بالانتظار؛ بكر حازم حجازي، القيادة الأردنية الهاشمية في مؤتمرات القمة العربية من أنشاص ١٩٤٦ إلى سرت ٢٠١١، د.ط، عمان، ٢٠١٣، ص ٥٠؛ أحمد عصام، الملف الكامل لمسيرة القمة العربية من مؤتمر أنشاص إلى المؤتمر الحادي عشر، عمان، ١٩٨١، ص ٢٠٣؛ محمد فضة، الأردن ومؤتمرات القمة العربية، منشورات

- لجنة التاريخ الأردنية، الأردن، د.ط، الأردن، ١٩٩١، ص ٥٠؛ صحيفة الرأي، عدد ٤٥٦٠، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٨٠م.
٢٤. جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، قرارات مؤتمر عمان، ميثاق العمل الاقتصادي والقومي، مؤتمر القمة الحادي عشر، عمان، ١٩٨٠م، ص ١-٨؛ عبد الحليم مناع، المصدر السابق، ص ١٣٣.
٢٥. عدّ الأمير الحسن بن طلال إن هذا المؤتمر ولأول مرة في تاريخ المؤتمرات قد أبرز أهمية العمل الاقتصادي المشترك التي توازي العمل السياسي والعسكري وكانت نتائجه نقلة نوعية في العمل العربي المشترك. الحسن بن طلال، أفاق العمل العربي المشترك نماء وانتماء، مجلة شؤون عربية ٣٤، أيار ١٩٨١، ص ٧-١٣؛ مجدي حماد، الصراع العربي الإسرائيلي والسلام الإسرائيلي، مجلة شؤون عربية، عدد ٤٢، ١٩٨٥، ص ١٠٠.
٢٦. خطب الملك حسين خلال انعقاد جلسات مؤتمر القمة الحادي عشر في الوثائق الأردنية لعام ١٩٨٠م، ص ٢٥٨-٢٧٨.
٢٧. خطاب الملك حسين في ٨ كانون الأول ١٩٨٠ أثناء لقاءه عدداً من ضباط وأفراد القوات المسلحة الأردنية. في النطق السامي ١٩٥٢-١٩٩٩ حول شؤون القضية الفلسطينية، ج ٤، ص ٣٧٤.
٢٨. محمد سليم قلالة، المصدر السابق، ص ١٦٩-١٧٠.
٢٩. وصلت العلاقات الأردنية السورية الى حد كبير من النفور والقطيعة في عام ١٩٨١ لاسيما بعد محاولة اغتيال رئيس الوزراء الأردني مضر بدران تلك العملية التي تبين أنها من تخطيط النظام السوري الذي اعترف بتدبيرها في ٢٤ شباط ١٩٨١، وزارة الإعلام الأردنية، دائرة المطبوعات والنشر، الوثائق الأردنية لعام ١٩٨١، تصريح الناطق الرسمي الأردني حول محاولة اغتيال رئيس الوزراء في شباط ١٩٨١، عمان، ١٩٨٢، ط ١، ص ٦-١٢.

٣٠. محمد شلبي، السياسة الخارجية للدول الصغيرة - الأردن وعملية تسوية الصراع العربي-الإسرائيلي ١٩٧٩-١٩٩٤، كنوز المعرفة للنشر، عمان، ٢٠٠٨، ط١، ص٢٥٦.

٣١. عد الأردن العدوان الإسرائيلي على المفاعل النووي العراقي انتهاكاً سافراً لمبادئ القانون الدولي، وتحدي لإمكانيات العرب العسكرية، جاء هذا الموقف عن طريق الرسالة التي بعثها الملك حسين إلى الرئيس الأمريكي ريغان في ١٠ حزيران ١٩٨١م مبيناً له عن طريقها ضرورة الإسراع في إيجاد حل للمشكلة العربية لا سيما الفلسطينية منها. الوثائق الأردنية لعام ١٩٨١م، رسالة الملك حسين إلى الرئيس الأمريكي ريغان في حزيران ١٩٨٠، ص٩-١٢؛ آلان غريش، تاريخ واستراتيجيات نحو الدولة الفلسطينية، ترجمة أحمد مصالحة، منشورات- سبانج- بابيروس، باريس، ١٩٨٣، ص٢٢٤.

٣٢. زهير إبراهيم المصري، اتجاهات الفكر السياسي الفلسطيني بين الكفاح المسلح والتسوية، اليازجي للطبع والنشر، فلسطين - غزة، ٢٠٠٨، ط١، ص١٦٠؛ عمر الخطيب، العلاقات الإسرائيلية- الأمريكية في ظل التعاون الاستراتيجي، مجلة شؤون عربية، بيروت، عدد ٣٦، شباط ١٩٨٤م، ص١١٦.

٣٣. رائد أحمد الهياجنة، الحياة السياسية في الأردن ١٩٧٣-١٩٨٩، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٩، ص١٦٧.

٣٤. الأمير فهد بن عبد العزيز: ولد ١٩٢٣م في الرياض، وهو أول ملوك المملكة العربية السعودية من لقب بخادم الحرمين الشريفين ١٩٨١م، تولى مقاليد الحكم بعد وفاة أخيه غير الشقيق الملك خالد، شغل عدة مناصب منها وزيراً للمعارف ١٩٥٣م، ووزيراً للداخلية ١٩٦٢م، ثم ولياً للعهد ١٩٧٥م. توفي

٢٠٠٥م، عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج٤، بيروت، ٢٠٠٩، ط٥، ص٦١٢.

35. Nada, Safran, Saudi Arabia, the ceaseless Quest for security, U.S.A. Harvard University press, 1985, P.332.

٣٦. لمزيد من التفاصيل عن بنود مشروع فهد للسلام ينظر: مركز الدراسات الفلسطينية، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٨١، بيروت، ١٩٨٤، د.ط، ص٣٥٦-٣٥٧؛ عبد الرزاق خلف الطائي، مبادرات السلام السعودية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، مركز الدراسات الإقليمية، مجلة الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، عدد ١٥، ٢٠٠٩، ص٣٠٣-٣٠٤.

٣٧. من الدول التي أيدت المشروع هي الكويت وقطر والبحرين والإمارات العربية وسلطنة عمان وجيبوتي وتونس والسودان، أما الدول الرافضة له فهي العراق وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية واليمن الجنوبي والجزائر وليبيا على أساس أنه يعترف بإسرائيل. الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٨١، بيروت، ١٩٨٢، د.ط، ص٣٩١-٣٩٢؛ Brand, Jordan's inter Arab, P.95.

٣٨. في تصريح للملك حسين في أثناء اجتماعه بوزير العلاقات الخارجية الفرنسي كلود شيسون في ٢٨ آب ١٩٨١م في عمان أعلن أن هذا المشروع كغيره من المبادرات العربية الرامية إلى إحلال السلام وأنه سيدرج في جدول أعمال المؤتمر العربي القادم. الوثائق الأردنية لعام ١٩٨١، ص ١٥٧؛ Brand, Jordan's inter Arab, P.95.

٣٩. محمد شلبي، السياسة الخارجية للدول الصغيرة-الأردن وعملية التسوية والصراع العربي الإسرائيلي ١٩٧٩-١٩٩٤، كنوز المعرفة للنشر، عمان، ٢٠٠٨، ط١، ص٢٦١؛ طارق العاص، دبلوماسية السلام الأردنية ١٩٦٧-١٩٩٥، د.ط، عمان، ١٩٩٦، ص١٢٤؛ محمد جاسم محمد، وظيفاء كاظم

الكاظمي، مشروع فهد للسلام في الشرق الأوسط في الدوريات العربية والأجنبية، مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، ١٩٨٣، ص ٢٢٧-٢٢٨.

٤٠. ظهر خلاف فلسطيني-فلسطيني كبير حول المشروع السعودي، فقد أيدت الجهات الراضة للمشروع دول الصمود والتصدي العربية، إذ عدت هذا المشروع هو إلحاق الدول العربية بمصر، علماً أن إسرائيل ومصر قد رفضتا لأنه خروج عن بنود اتفاقيات كامب ديفيد. ينظر: زهير المصري، اتجاهات الفكر السياسي الفلسطيني من الكفاح المسلح والتسوية، اليازجي للطبع والنشر، ٢٠٠٨، ط ١، ص ١٦٤؛ والآن غريش، المصدر السابق، ص ٢٤٥؛ مجلة الوطن العربي، مشروع الأمير فهد للسلام، ثلاث تيارات في قمة فاس، عدد ٢٥٠، ٢٧ تشرين الثاني ١٩٨١، ص ١٨-٢٠.

41. Safran, Op. Cit., P.338.

٤٢. أسعد حيد، تأجيل القمة إلى حزيران ينتظر الانسحاب الإسرائيلي والموقف الأمريكي، مجلة المستقبل العربي، عدد ٢٥٠، ٥ كانون الأول ١٩٨١، ص ٣٦-٣٨.

٤٣. جورج بشير، هل كان بإمكان الحسن الثاني أن يتجاوز المقاطعة، مجلة المستقبل العربي، عدد ٢٥٠، ٥ كانون الأول ١٩٨١، ص ٣٩-٤٠؛ عبد الحليم مناع، المصدر السابق، ص ١٤٠؛ مجلة شؤون فلسطينية، المشروع السعودي، بيروت، العديدين ١٢٢-١٢٣ كانون الثاني- شباط ١٩٨٢، ص ٢٢٥-٢٣٠.

٤٤. الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٨١، ص ٤٨١.

٤٥. الوثائق الأردنية لعام ١٩٨١، تقييم الملك حسين للمشروع السعودي في تشرين الثاني ١٩٨١، ص ١٩٩.

٤٦. محمد شلبي، المصدر السابق، ص ٢٦١.

٤٧. الحسين بن طلال، سيرة حياة، ط ١، عمان، ١٩٩٠، ص ٢٩٤.

٤٨. تصريح الملك حسين حول المبادرة السعودية في ٣ كانون الأول ١٩٨١ في الوثائق الأردنية لعام ١٩٨١، ص ٢٣٤.

٤٩. كان الملك حسين قد أعلن أنه غير مرتاح لجدول أعمال مؤتمر فاس لذا يجب التشاور مع الدول العربية لتعديله حسب المشاكل التي تعاني منها المنطقة العربية. وزارة الإعلام الأردنية، دائرة المطبوعات والنشر، الوثائق الأردنية لعام ١٩٨٢، رسائل الملك حسين إلى الرئيس الجزائري والملك السعودي في ٤ تموز ١٩٨٢، عمان، ١٩٨٣، ط ١، ص ٣٢.

٥٠. تصريح الملك حسين حول القمة العربية المرتقبة في آب ١٩٨٢ في الوثائق الأردنية لعام ١٩٨٢، ص ١٨.

٥١. في ختام الزيارة التي قام بها الملك حسين إلى العراق والسعودية تم الاتفاق على المواضيع المهمة والمدرجة في جدول أعمال قمة فاس وأهمية العمل العربي المشترك والسعي لتحقيق الأهداف المرجوة من ضمنها إمكانية إدراج المشروع السعودي في جدول أعمال قمة فاس على الرغم من إعلان الأمير فهد سحبه للمشروع. الوثائق الأردنية لعام ١٩٨٢، معلومات حول المحادثات الأردنية العربية في أيلول ١٩٨٢، ص ١٠٦؛ صحيفة الرأي، العددين ٤٤٧٦، ٤٤٧٧، ١، ٢ أيلول ١٩٨٢.

٥٢. بعد خروج فصائل المقاومة الفلسطينية من لبنان وقبل انعقاد مؤتمر فاس بأيام وتحديدًا في ٢ أيلول طرح المشروع الأمريكي للسلام الذي عرف بمشروع ريغان للسلام والذي شكل حافزاً قوياً لعقد قمة فاس وقد تم مناقشته في تلك الدورة. لمزيد من التفاصيل عن المحاضر السرية للاجتماعات التمهيدية لوزراء الخارجية العرب ينظر: المحاضر السرية لقمة فاس، مجلة الوطن العربي، الأعداد ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٢٧ كانون الثاني - ٣ آذار ١٩٨٣ Patrick Seale, Asad Ayria The Strategy for the Middle east, London, LTD 1988, P.400-405.

٥٣. الخبر أوردته وكالة الأنباء السعودية ونشرته صحيفة الرأي الاردنية، عدد ٤٤٨٣، ٩ أيلول ١٩٨٢.

٥٤. أدخلت القمة العربية تعديلاً على البند الرابع في مشروع فهد تمثل في إضافة فقرة جديدة تؤكد (حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وممارسة حقوقه الوطنية الثابتة). وفيق صالح ناصر، دور جامعة الدول العربية في أبرز قضايا العرب السياسية من حرب تشرين ١٩٧٣م حتى مشروع إصلاح الجامعة ٢٠٠٣، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة دمشق، ٢٠٠٦م، ص ٨٦؛ زهير المصري، المصدر السابق، ص ١٨٦. مجلة فلسطين الثورة، مشروع السلام العربي، عدد ٤٢٦، ٢ تشرين الأول ١٩٨٢؛ عوض البادي، القضية الفلسطينية في قرارات مؤتمرات القمة العربية، مجلة الدبلوماسية، عدد ٣، آذار ١٩٨٣، ص ٧٠-٧١.

55. Brand, Jordan's inter Arab relations, the political economy of alliance making. New york, Columbia University press, 1994, P.96.

٥٦. عدت الصحف الأردنية نتائج قمة فاس ومشروع السلام العربي بأنهما خطوة ايجابية نحو السلام وتحقيق الأهداف المتعلقة بالقضية الفلسطينية. الوثائق الأردنية لعام ١٩٨٢، تصريح الملك حسين حول مشروع السلام العربي أيلول ١٩٨٢، ص ٢٢٧-٢٢٩؛ صحيفة الرأي، الأعداد ٤٤٨٣ و ٤٤٨٥، ٩-١١ أيلول ١٩٨٢م.

٥٧. محمد شلبي، المصدر السابق، ص ٢٧٠.

٥٨. هناك بعض الفصائل الفلسطينية رفضت البند السابع من المشروع ومن تلك الفصائل: الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية (القيادة العامة)، وجبهة النضال الشعبي؛ = = خالد الحسن، فلسطينيات، أوراق سياسية، دار

- الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٥، ص ١٨؛ جابر سليمان، ملامح ما بعد بيروت، مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، عدد ١٣٢-١٣٣، ١٩٨٢، ص ١٣٣.
٥٩. عدت مصر المشروع العربي بأنه يفتقر للوسيلة لتحقيق أهدافه لذلك فضلت المشروع الأمريكي لمزيد من التفاصيل ينظر: صحيفة الدستور، عدد ٥٤١٧، ١١ أيلول ١٩٨٢؛ صحيفة الرأي، عدد ٤٤٨٥، ١١ أيلول ١٩٨٢م.
٦٠. لمزيد من التفاصيل عن تشكيل وفود قمة فاس المتوجهة إلى الدول الأوربية. ينظر: جامعة الدول العربية، تطور القضية الفلسطينية في ضوء مشروع السلام الذي أقره مؤتمر القمة العربي الثاني عشر، فاس د.ت.، ص ٣١-٣٤؛ عبدالحليم المناع، المصدر السابق، ص ٤٧؛ وفيق صالح ناصر، المصدر السابق، ص ٨٦-٨٧.
٦١. أصبحت قمة فاس بمثابة الضوء الأخضر للملك حسين لدرجة أنها أعطته فسحة من التصريح بأن يعلنها صراحة بأنه اعترف بإسرائيل منذ أن وضع قرار مجلس الأمن ٢٤٢ عندما قبل به عام ١٩٦٧م؛ الوثائق الأردنية لعام ١٩٨٢م، تصريح الملك حسين حول مسألة الاعتراف بإسرائيل وتشكيل اللجان العربية في تشرين أول ١٩٨٢، ص ٢٨١؛ وزارة الإعلام الأردنية، دائرة المطبوعات والنشر، الوثائق الأردنية لعام ١٩٨٣ أعمال اللجنة السباعية في ١٩٨٣ التي انبثقت عن مؤتمر قمة فاس، عمان، ١٩٨٤، ط ١، ص ١٢٢؛ Bailey, Clinton, Jordan's Palestinian challenge 1948-1983 A Political History, London and Boulder, Westview Press, 1984 , P.113.
٦٢. عادل مالك، السعودية تفضل قمة نجاحها مضمون على قمة فشلها محتوم، مجلة الحوادث، عدد ١٤١٣، كانون الأول ١٩٨٣م، ص ٢٧ - ٢٨.
٦٣. حسني مبارك: ولد عام ١٩٢٨، وهو الرئيس الرابع لجمهورية مصر العربية، حصل على البكالوريوس في العلوم العسكرية ١٩٤٩م، ثم حصل على

البكالوريوس في علوم الطيران ١٩٥٠م، تدرج في المناصب العسكرية حتى أصبح قائداً لقاعدة بني سويف الجوية ١٩٦٧، ثم شغل منصب رئيس أركان حرب القوات الجوية وقائداً للقوى الجوية ١٩٧٢م، وفي العام نفسه عين نائباً لوزير الحربية، ثم نائباً لرئيس الجمهورية ١٩٧٥م، حتى أصبح رئيساً للجمهورية ١٩٨١م. تم تنحيته ٢٠١١م؛ الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، منشورة على الموقع الإلكتروني: <http://ar.wikipedia.org>

٦٤. على الرغم من أن الأردن كان قد تمسك بقرارات قمة بغداد في اتخاذ موقف من مصر إلا إن ذلك لم يقف حائلاً من دون استمرار علاقات التشاور بين البلدين وهذا ما أكدته الملك حسين عندما قال "إننا لم نقطع علاقاتنا بمصر". وزارة الإعلام المصرية، مصر والأردن، بداية التضامن العربي، القاهرة، ١٩٨٤، ص ١١؛ Brand, Jordan's inter Arab, P.250

٦٥. كانت الأردن ترى في إعادة علاقاتها مع مصر هو إعطاء دافع للأردن في مفاوضاتها مع الولايات المتحدة وإسرائيل وأن مصر وحدها تستطيع إعادة سوريا إلى صوابها، وقد صرح الملك حسين بأنه قد بدأ حواراته مع مصر منذ اللحظات الأولى لتولي حسني مبارك السلطة لما لمصر من قوة داعمة لعملية السلام في الشرق الأوسط. وزارة الإعلام الأردنية، دائرة المطبوعات والنشر، الوثائق الأردنية لعام ١٩٨٣م، تصريح الملك حسين حول إعادة العلاقة مع مصر كانون الثاني ١٩٨٣، عمان، ١٩٨٤، ط ١، ص ١٧٥؛ Al- Madfa, Jordan the united states and the middle east peace process 1974-1991, Cambridge University press, 1993, P.147 - 148.

٦٦. أحمد أبو الحسن الحلبي، استئناف العلاقات الدبلوماسية بين مصر والأردن، مجلة السياسة الدولية، عدد ٧٩، ١٩٨٥، ص ١٥٨.

67. Salibi, Kamal: The Modern History of Jordan, London & New York. LTD. 1993, P. 264.

٦٨. في الثالث من كانون الأول ١٩٨٤م قام الملك بزيارة إلى القاهرة التقى خلالها بالرئيس حسني مبارك، وتم الاتفاق على آلية مشتركة للتحرك الدولي الجاد لحل القضية الفلسطينية، وزارة الإعلام الأردنية، مصر والأردن والتضامن العربي، الهيئة العامة للاستعلامات، الأردن، ١٩٨٧م، ط ١، ص ٢٣؛ رائد الهياجنة، المصدر السابق، ص ١٣٣.

٦٩. صحيفة الرأي، عدد ٥٤٢٥، ٢٦ نيسان ١٩٨٥.

٧٠. الوثائق الأردنية لعام ١٩٨٢م، حول مستوى العلاقات الأردنية العراقية في ١٩٨٢، ص ١٦. Baram Amatz, Baath Iraqi and Hashemite Jordan from Hostility to Alignment, middle East Journal, Vol. 45 No.1, winter 1991, P.60.

٧١. حاول الملك حسين أن يحسن العلاقات العراقية السورية بعد أن جمع الزعيمين العراقي والسوري في الصحراء الأردنية في نيسان ١٩٨٧ لكنهما لم يتوصلا إلى تفاهم. رائد الهياجنة، المصدر السابق، ١٥٠؛ . Baram Amatz, Baath Iraqi and Hashemite Jordan from history to alignment, Middle East Journal, Vol. 45, No. 1, Winter 1991, P.63-64

٧٢. أكرم الحمصي، ولد في مادبا عام ١٩٤٠م، حاصل على شهادة الثانوية عضو عامل في الحزب ١٩٥٤-١٩٥٨م، وعضو قيادة فرقة ١٩٦٠، ثم عضو قيادة شعبية ١٩٦٤م، عضو مكتب تنظيمي من عام ١٩٦٦-١٩٨٩م، وأمين سر قطر، تعرض لعدة اعتقالات خلال فترة حظر الأحزاب الأردنية. لقاء شخصي مع السيد أكرم الحمصي أمين سر قطر الحزب في مقر الحزب في عمان ٢٠١٤/١١/٢م.

٧٣. لقاء شخصي مع السيد أكرم الحمصي أمين سر قطر حزب البعث العربي الاشتراكي الأردني في مقر الحزب في عمان ٢٠١٤/١١/٢ م.

74. Yourk, Valerie, Domestic politics and regional security, Jordan, Syria and Israel. The End of Era? England Gower Publishing Company LTD. 1988, P.

رائد الهياجنة، المصدر السابق، ص ١٦٩؛ 308;

٧٥. وحيد عبد المجيد، نحو القمة العربية المقبلة، القمم العربية كيف بدأت وأين أصبحت، مجلة المستقبل العربي، عدد ١٠٥، بيروت ١٩٨٧، ص ٢٦.

٧٦. صحيفة الدستور، عدد ٦٤٤٦، ٢٩ تموز ١٩٨٥م؛ صحيفة الرأي، عدد ٥٥١٥، ٢٩ تموز ١٩٨٥.

٧٧. ينظر خطاب الملك حسين في مؤتمر الدار البيضاء في السابع من آب ١٩٨٥ المنشور في وزارة الإعلام الأردنية، دائرة المطبوعات والنشر، الوثائق الاردنية لعام ١٩٨٥، عمان، ١٩٨٥، ط ١، ص ٩-١٢.

٧٨. جرت في ذلك المؤتمر مناقشة القضية الفلسطينية ضمن دائرة التحرك الأردني- الفلسطيني. حسين أبو عرابي، دراسات في مؤتمرات القمة العربية، عمان، دائرة المطبوعات والنشر، ١٩٨٧، ص ١٢٩-١٣٦؛ محمد فضة، المصدر السابق، ص ٥٥.

79. Patrick seale, op.cit., p. 466; Lunt, James: Hussein of Jordan, A political Biography, London: Macmillan London LTD, 1989, p.199.

٨٠. فسر بعض المراقبين الوفاق الأردني السوري ما هو إلا جزءاً من الجهود التي بذلتها العربية السعودية لإبعاد سورية عن الحرب العراقية الإيرانية، وإعطاء الأردن قدرة على التعامل مع منظمة التحرير بشكل أكثر مرونة بعد عودة العلاقات مع سوريا؛ منى خليفة، المصدر السابق، ص ١٨٠؛ أحمد أبو

الحسن زرد، القمة السورية الأردنية المقدمات والنتائج، مجلة السياسة العربية، عدد ٨٤، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٤٢-١٤٣.

الملخص

لقد نجح الأردن الى حد كبير في استمالة الموقف العربي إلى جانبه خلال حقبة الثمانينات لاسيما عندما جمع اكبر قدر ممكن من رؤساء الدول العربية في مؤتمر عمان الحادي عشر ١٩٨٠ وغياب دول المواجهة (سوريا، ومصر، ومنظمة التحرير الفلسطينية) الأمر الذي جعله يقود احد اللجان العربية التي توجهت إلى الدول الأوربية لشرح أبعاد وأهداف مشروع السلام العربي.

لقد تالف البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة، تناول المبحث الأول عقد مؤتمر قمة عمان الحادي عشر ١٩٨٠ وموقف الأردن من مشروع الأمير فهد ١٩٨١، أما المبحث الثاني فقد تناول تطور التنسيق الأردني العربي عن طريق الإعلان عن مشروع السلام العربي ١٩٨٢ وتوافق الجهود الأردنية العربية بين عامي ١٩٨٣-١٩٨٦ إن من أهم النتائج التي توصل إليها البحث هي إن الأردن استطاع الحصول على دعم عربي واسع تمثل بجانبين سياسي واقتصادي، وظهور توافق في وجهات النظر الأردنية العربية تمثلت بإعلان مشروع السلام العربي ١٩٨٢ ومن ثم السعي إلى نبذ الخلافات الأردنية العربية وتحديدا مع الجانبين السوري والمصري.

Abstract

Jordan has largely succeeded in swaying the Arab position at his side during the era of the eighties, especially when they collect as much as possible of Arab heads of state in the atheist ten 1980 Amman Conference and the absence of the Frontline States (Syria, Egypt, and Palestine Liberation Organization), which make it leads one Arab committees I went to the European countries to explain the dimensions and objectives of the Arab peace plan.

Search corrupted from the front and two sections and a conclusion, the first section dealt with contract Amman Summit atheist ten in 1980 and the position of Jordan Prince Fahd in 1981 project, while the second section dealt with the evolution of the Jordanian Arab coordination by the announcement of the Arab peace plan in 1982 and approved the Jordanian Arab efforts between 1983 -1986

The most important findings of the research is that Jordan was able to get Arab support broad represent a political two aspects, economic, and the emergence of consensus in the Jordanian views Arab represented declare the Arab peace plan in 1982 and then seek to renounce Arab differences Jordan and specifically with the Syrian and Egyptian sides.

**الدبلوماسية اليابانية تجاه الصين
وكوريا قبل عصر إيدو**

**أ.د. محمود عبد الواحد محمود
أفراح محمد علي**

كلية الآداب / جامعة بغداد

الدبلوماسية اليابانية تجاه الصين وكوريا قبل عصر إيدو

أ.د. محمود عبد الواحد محمود

أفراح محمد علي

المقدمة:

كانت للصين تأثير كبير على اليابان في جوانب عدة، ثقافية وحضارية ودينية واقتصادية في هذه الفترة. وكانت الصين بالنسبة لليابان مصدراً ثرياً تستلهم منها ثقافتها وتحاول محاكاتها في أسلوب الحكم. وقد اكتسب اليابانيون الكثير من المهارات والحرف الصينية.

كانت الصين لأكثر من ألفي عام، حتى ضعف وانحلال سلالة كينج Qing^(١) (١٦٤٤-١٩١١) وانكشافها خلال حرب الأفيون الأولى Opium War^(٢) (١٨٣٩-١٨٤٢) وتبعاتها المؤلمة، بالنسبة إلى اليابان، كما كانت للبلدان المجاورة الأخرى، مصدراً وافراً للحضارة المتطورة والتقدم المؤسساتي والتقني. طوّر اليابانيون حضارتهم المتميزة الخاصة بهم ضمن أرخبيل الجزر اليابانية،^(٣) لأنّ اليابان لم تكن في وقت من الأوقات مجرد نسخة مصغرة من الصين.^(٤)

كانت الحضارة اليابانية حتى القرن التاسع عشر تتطور من خلال التغيير لعناصر الحضارة الصينية بالاتصالات الرسمية وغير الرسمية، إما مباشرة أو عن طريق شبه الجزيرة الكورية^(٥). ولولا النور المشع لفانوس الحضارة الصينية، لبقى اليابانيون محرومين من اللغة المكتوبة، والمدونات القانونية والمؤسسات السياسية الفعالة، وتكنولوجيا الفن والزراعة، والعلوم الدينية المتقدمة، والفلسفة، والأخلاق.

لم تكن العلاقات الطويلة بين الصين واليابان بالضرورة ثابتة، أو منتظمة، أو متساوية، أو متبادلة. فبالمقارنة مع كوريا، إذ القرب الجغرافي ترك البلد مفتوحاً أمام التأثيرات الصينية المستمرة بلا هوادة تقريباً، كانت اليابان بعيدة بما فيه الكفاية عن

القارة، إذ يمكنها تنظيم درجة التأثير ونسبته، على الأقل في العلاقات الرسمية. وكانت هناك فترات طويلة عدّ اليابانيون خلالها أن الأوضاع في الصين فوضوية أكثر من المسموح به، لتحافظ على العلاقات الرسمية معها، من أجل الاستقرار السياسي في اليابان، ومُنع الرهبان والعلماء والتجار من الإبحار إلى الصين^(٦). وخلال هذين الألفيتين - في فترات الفتوحات البربرية وضمحلل السلالات الحاكمة، فضلاً عن فترات ازدهار الإمبراطورية - حافظ الصينيون على قناعة راسخة بتفوق حضارتهم ومركزيتها. فبالنسبة للحكام والمفكرين الصينيين فإن سلطانهم هو "البلد المركزي" الذي يمسك إمبراطوره بتقويض إلهي بحكم "كل من تحت السماء"، لذا كان لزاماً على الأطراف أن يقدموا الهدايا وفروض الطاعة، وأن تكون لهم يد في الحضارة الصينية^(٧). وإجمالاً، كانت النخبة الصينية غير عابئة وتتنظر باستصغار إلى اليابانيين. طالما كانت الصين تحتل مكانة أسمى بكثير في أعين الحكام والمفكرين اليابانيين مما كانت اليابان في الحلقات الرسمية الصينية^(٨).

لم يكن اليابانيون متلقين سلبيين. فمنذ العهود الأولى لعلاقتهم مع الصين، سعى الحكام اليابانيون إلى تقليل حدة أو رفض المزاعم الصينية بالتفوق السياسي والحضاري. ففي تعاملاتهم الدبلوماسية مع الصين، كانوا يؤكدون على مساواة السيادة اليابانية (تينو Tenno)^(٩) بالإمبراطور الصيني وقاوموا المبدأ الدبلوماسي الصيني الذي يذهب إلى أن العلاقات الدبلوماسية تعني ضمناً حالة الخضوع لليابان^(١٠). وكان اليابانيون مستعدين، في بعض الأحيان، لمنازعة السلالات الحاكمة الصينية على السلطة في شبه الجزيرة الكورية. وقاموا بإنتاج رسوم وكتب يتفوق بها اليابانيون على أساتذتهم الصينيين في مهاراتهم الخاصة، أو مثلما احتج الباحثون في مركز التعليم الوطني (كوكوغاكو Kokugaku)^(١١) في القرن الثامن عشر، بأن التقاليد الحضارية اليابانية كانت أسمى من نظيراتها الصينية^(١٢). وكان أحد أهم العوامل التي ساهمت في النهضة اليابانية هو التوتر بين الإدراك بوجود دين حضاري ثقيل تجاه الصين، وبين تأكيد تقليد حضاري ياباني حيوي وكامل الإدراك.

استمرت النخبة اليابانية على الرغم من المقاطعات والمصادات والمحابة التي كانت في صميم العلاقة، طوال تاريخها قبل القرن التاسع عشر بالاعتماد بشدة على الصين في جميع مجالات الحضارة. إلا أنَّ عامة الشعب في اليابان لم يكن لهم احتكاك مباشر مع الصين، فيما عدا بعض مغامرات التجارة أو القرصنة بين الحين والآخر، وحتى قيام اليابان في أواخر القرن التاسع عشر، بتحويل نفسها، تحت ضغط الدول الغربية، إلى دولة قومية حديثة، عند ذاك بدأ بعض الصينيين بالاعتراف بإمكانية التعلم من اليابان أو بالاعتقاد بوجود خطر حقيقي على الصين من النهضة اليابانية الاقتصادية والعسكرية^(١٣).

يبدو أن التاريخ المضطرب للعلاقات بين اليابان وشبه الجزيرة الكورية بدأ عندما اتصلت اليابان باليابسة أو أصبحت بالكاد منفصلة. فمن الواضح أنه منذ ما لا يقل عن ١٠,٠٠٠ سنة، جاء مختلف الأقسام عبر شبه الجزيرة الكورية إلى اليابان، ليرافقهم مهاجرون آخرون قادمون من الجنوب وآخرين قادمون من سيبيريا. كانت هناك علاقات خلال عهد سلالة هان (Han)^(١٤) الحاكمة في الصين (٢٠٦ ق.م - ٢٢٠ م)، وثيقة بين جنوب اليابان وجنوب كوريا ومستعمرة ليلانغ Lelang الصينية الواقعة شمالي كوريا^(١٥). ووفقاً لإحدى النظريات، قام أقوام يميلون للقتال، يركبون الخيل، بالهجرة عبر شبه الجزيرة الكورية إلى اليابان في حوالي القرن الثالث أو الرابع الميلادي^(١٦). ويعتقد البعض أن أقوام الياماتو (Yamato) اليابانيون قد حافظوا على موطئ قدم في جنوب شرق كوريا، في المنطقة المعروفة في السجلات اليابانية باسم ميمانا Mimana (في الروايات الكورية تعرف بإحدى ولايات كايا Kaya). ومن المتفق عليه بشكل عام أنه كانت هناك علاقات وثيقة بين هذه المنطقة وبين ياماتو^(١٧). وكانت هناك علاقات وثيقة بين بلاط ياماتو (القرن الرابع من عصر القلاع - منتصف القرن السابع من عصر القلاع)، وبين ولاية بيكجي Paekche، الواقعة جنوب غرب كوريا، التي أرسلت مبعوثين للتبشير بالبوذية^(١٨) في اليابان في القرن السادس. أرسل بلاط ياماتو في العام ٦٦٣، أسطولاً لإسناد بيكجي ضد سلالة تانغ Tang الصينية (٦١٨-٩٠٧)، إلا أنَّ

هذه القوة هزمتها قوات تانغ البحرية. وعندما قام ائتلاف تانغ الصين ومملكة سيلا Silla في جنوب شرق كوريا بدحر بيكجي ومملكة كوغوريو Koguryo الشمالية، تدفقت إلى اليابان دفعة كبيرة من اللاجئين المنقذين من هاتين المملكتين الكوريتين المهزومتين^(١٩). وهذا يفسر القفزات الحضارية الاستثنائية التي حدثت في اليابان في النصف الثاني من القرن السابع. وخلال عهد نارا Nara^(٢٠) (٧١٠-٧٩٤) وأول قرنين من عهد هيان Heian^(٢١) (٧٩٤-١١٨٥)، كانت مملكة سيلا القوة الملاحية المهيمنة على البحر الأصفر Sea Yellow^(٢٢) ومضيق تسوشيما Tsushima^(٢٣)، وقام تجار سيلا بنقل كل من الرهبان الكوريين واليابانيين، الذين مارسوا دوراً مهماً مع نظرائهم الصينيين، في تقديم المزيد من وجوه الحضارة الصينية إلى اليابان^(٢٤).

كانت أول بعثة تجارية موثقة في السجلات الكورية خلال عهد الملك منجونك Munjong^(٢٥) (١٠١٩-١٠٨٣/١٠٤٦-١٠٨٣)^(٢٦)، عندما طلب ٤٢ يابانياً في صيف العام ١٠٧٣، الإذن "لتقديم" الهدايا، وطلب ٣٣ فرداً من جزيرة إيكى Iki الواقعة في تسوشيما في اليابان، الإذن "لعرض" البضائع على ولي العهد الكوري. ومُنحت الإذن لكلا المجموعتين للذهاب إلى العاصمة، وبذلك مارسوا التجارة بلغة البعثات الرافدة. التمس منجونك في سنوات تردي صحته من كل من اليابان والصين أن يبعثوا الأطباء، وأدى ذلك لفترة وجيزة إلى موقف أكثر انفتاحاً تجاه التجار اليابانيين. مع ذلك كان هناك تبادل رسمي محدود للبعثات خلال القرن الثاني عشر^(٢٧).

جاءت فترة من العلاقات الطيبة بعد مدة طويلة من الفتور بين البلاط الكوري ومؤسسي شوغونية كاماكورا Kamakura Shogunate^(٢٨) (١١٩٢-١٣٣٣). ألا أن مرحلة النوايا الطيبة تصدعت منذ عام ١٢٢٣، عندما قام القراصنة اليابانيون (واكو) Wako^(٢٩) من كيوشو Kyushu^(٣٠) بمهاجمة الساحل الجنوبي لكوريا، وهذا يعد أول غزو على يد القراصنة اليابانيين (واكو) لكوريا^(٣١). استمرت هذه الغزوات إلى أن بدأت القوات المغولية بالتحشد في كوريا في حملاتهم لغزو اليابان في العام ١٢٧٤

و ١٢٨١^(٣٢). وجاءت بعد ذلك فترة عزلة لكلا الدولتين دامت حتى عام ١٣٥٠، عندما اجتاحت واكو كوريا وحطموا اقتصادها لما يزيد على النصف قرن (١٣٥٠-١٤٠٨)^(٣٣). تمت السيطرة أخيراً على غزوات واكو على يد تشو موسون Ch'oe Mu-son (توفي ١٣٩٥)، الذي تعلم تصنيع البارود والمدافع، وكذلك تشو يونك Ch'oe Yong (١٣١٦-١٣٨٨)، الذي كوّن القوة البحرية الكورية، وبواسطة نظام الإشارات الدخان في النهار والنار في الليل، الذي استخدم في جميع أنحاء البلاد للتحذير من غارات واكو^(٣٤). أبحر في بداية خريف عام ١٣٨٠، أسطول من مراكب متنوعة لواكو الياباني يقدر حجمه بحوالي (٣٠٠-٥٠٠ سفينة) إلى مصب نهر كوم Kum^(٣٥). بدأ نظام إشارات المنارة الكوري يرمش محذراً طوال الطريق إلى العاصمة وتم الإيعاز إلى نا سي Na Se (١٣٢٠-١٣٩٧) ليبحر ويأخذ المدافع الجديدة على متن السفن. وتم تدمير الأسطول الياباني الأكبر بفارق شاسع على يد الأسطول الكوري الصغير^(٣٦). وبذلك انتقلت المبادرة البحرية إلى الكوريين، وبدأوا يستعيدون الجزر التي ظلت بيد اليابانيين لمدة طويلة. لجأت كوريا إلى الدبلوماسية، ووجدت أن التعامل المباشر مع قادة غرب اليابان أكثر فاعلية من أجل إحراز تعاونهم في كبح واكو المتمركزين في مناطق نفوذهم. وتبادل الأسرى الكوريين المعادين بالهدايا، ووطّن القراصنة الذين كانوا يرغبون بالاستسلام في أراضٍ زراعية في كوريا^(٣٧).

كان لأحد القادة الكوريين الذين قاتلوا الواكو يي سونك كي Yi Song-Gye^(٣٨) (١٣٣٥-١٤٠٨)، والذي أعانته الشهرة والدعم الذي حاز عليهما في هذه الحملات في تأسيس سلالة يي (Yi Dynasty)^(٣٩) في العام ١٣٩٢. ووضعت السفن الحربية الكورية التي طوّرت في عهد سلالات يي الأولى، حداً لهجمات القرصنة اليابانية فيما عدا بعض الغزوات المتفرقة، وبعد ذلك سُمح ببعض التجارة مع اليابان^(٤٠).

بقيام سلالة يي في كوريا ونهاية الحرب الأهلية المطولة (١٣٩٢) في اليابان بتوحيد البلاط الشمالي والجنوبي، وخلال الخمسين سنة التالية

اتسم حكم ثلاثة من أربعة من ملوك يي بالديناميكية والقوة، واستمرت كوريا بتقوية دفاعاتها الساحلية، وبالوقت نفسه مارست الدبلوماسية وشجعت على التجارة. ووجه الكوريون عناية خاصة إلى تسوشيما، التي اتسمت بوضع خاص كونها تابع رافد لكوريا (منذ أواخر عهد كوريو ٩٣٥-١٣٩٢)^(٤١) وجزء من الجسم السياسي الياباني، إلى أن قُطعت روابطها مع كوريا بعد إصلاحات^(٤٢) ميجي في اليابان^(٤٣).

تبنّت عائلة شوغونية مورماتشي Shogunate Muromach^(٤٤) (١٣٣٨-١٥٧٣)، التي قام مؤسسها تاكاواجي أشيكاجا Takaugi Ashikaga^(٤٥) (١٣٠٥-١٣٥٨)، بالانقلاب على شوغونية كاماكورا عام ١٣٣٣، ومن ثم قام بإبعاد حليفه السابق الإمبراطور كو دايكو Go-Daigo^(٤٦) (١٢٨٨-١٣٣٩/١٣١٨-١٣٣٩)، لإقامة نظام محاربين، سياسة ايجابية بشكل عام تجاه العلاقات الدبلوماسية والثقافية والتجارية مع الصين. وهذا الاهتمام قبل بالمثل بنحو جزئي من الأباطرة الأوائل من سلالة مينغ Ming^(٤٧) (١٣٦٨-١٦٤٤)^(٤٨).

شجع تادايوشي أشيكاجا Tadayoshi Ashikaga في عام ١٣٤١، الأخ الأصغر القوي لتاكواجي، على إرسال بعثة تجارية لجمع الأموال، لبناء معبد زن تينريوجي Zen Tenryuji، إلا أن العلاقات مع الصين أوصلها إلى ذروتها الشوگون الثالث القوي يوشيميتسو أشيكاجا Yoshimitsu Ashikaga^(٤٩) (١٣٥٨-١٤٠٨/١٣٦٨-١٣٩٤)^(٥٠).

حاز يوشيميتسو على تأييد أباطرة مينغ عن طريق الحد من فعاليات قطاع الطرق أو "القرصنة اليابانيين" واكو، الذين استثمروا في المياه الساحلية لشرق آسيا. ولعلمه بأن العطايا المرسلّة إلى الصين دائماً يتم مقابلتها بهدايا أكثر سخاءً من الأباطرة الصينيين، ولاعتقاد يوشيميتسو بأن الهالة الإمبراطورية الصينية ستزيد من هيبة الإدارة الشوگونية، لذا أرسل الراهب سو Soa مع تاجر من هاكاتا Hakata اسمه كويزومي Koizumi، ليطلب إقامة العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع

الصين^(٥١). وكان يوشيميتسو مراعيًا لمشاعر الآخرين بنحوٍ مناسب في أسلوبه، واستجاب الإمبراطور الصيني له بنحوٍ ايجابي. واعترف البلاط الصيني بالشوگون على أنه "ملك اليابان" (نيهون كوكو Nihon Koku)، الذي قام باستخدام هذا اللقب الممنوح في مخاطباته الدبلوماسية مع البلاط الصيني^(٥٢). وسُمح للمراكب الحاملة للهدايا بدخول الموانئ الصينية للتجارة. ولغرض تمييز هذه البعثات اليابانية الرسمية عن محاولات القراصنة واكو، أعطت السلطات الصينية للشوگونية مجموعة من البطاقات. كانت المراكب التي تحمل البطاقات المناظرة لتلك التي تحتفظ السلطات الصينية بها هي فقط التي يسمح لها بالمتاجرة^(٥٣).

أرسل يوشيميتسو أول سفارة بموجب هذا الترتيب في عام ١٤٠٤، وأرسلت خمس سفارات أخرى بحلول عام ١٤١٠. وبعد تفحص الأوراق الرسمية في ميناء نينغبو^(٥٤) Ningbo (Ningpo)، اتجهت البعثات شمالاً إلى بكين لغرض تبادل الهدايا، والمعاملات الدبلوماسية، والمتاجرة بالبضائع^(٥٥). ولأن الصينيين كانوا ينظرون إلى هذه البعثات على أنها سفارات تحمل الهدايا، فإن الخزينة الإمبراطورية أعفتها من جميع التكاليف. كانت البعثات في مقابل النحاس والكبريت والذهب والسيوف والمراوح والستائر وأدوات الورنيش (الصبغ أو الرسم) اليابانية، تهدي العملات النحاسية والغزل الحريري والقطني والأقمشة الحريرية العالية الجودة والخزف الأبيض^(٥٦). كانت الشوگونية تتحكم بحركة التجارة في البداية، بدعوة معابد الزن الكبرى والتجار المفضلين للمشاركة في التجارة. وكان رهبان الزن يتولون المراسلات الدبلوماسية ويتصرفون كمتترجمين ومستشارين بشؤون الأوضاع في الصين، وكانوا يقودون البعثات. وحصلت الشوگونية ومعابد الزن من كيوتو، ولاسيما معبدي تينريوجي Tenryuji^(٥٧) وشوكوكوجي Shokokyji، على مبالغ طائلة من البعثات الأولى^(٥٨).

يعود الفضل بشكل كبير في قيام هذه العلاقة الوثيقة اليابانية غير المعتادة مع الصين إلى يوشيميتسو، وكان دافعه معقداً. كان هناك خصلة من حب الصين في نسيجه. فقد كان راعياً كريماً لمعابد الزن وضليعاً في الفكر السونغي (الكونفوشيوسية

الجديدة). فما يسمى بالجنح الذهبي (كينكاكوجي Kenkakaji)، الذي بناه كملاذ خاص في التلال الشمالية لكيوتو، كان مزيجاً رائعاً للعناصر الجمالية الصينية والمحلية^(٥٩). وكان لدى يوشيميتسو ولع بجمع الأعمال الفنية الصينية، وكان يحب اللباس الصيني ويقيم مآدب صينية باذخة. وكان أحياناً يقول أن الإمبراطور الصيني زاره في أحلامه^(٦٠). لكن كان هناك الكثير من وراء اهتمام يوشيميتسو من مجرد تملق للأشياء الصينية. كان يستخدم ببراعة مظاهر الأبهة الاحتفالية التي تصاحب إرسال واستقبال البعثات لزيادة الهيبة للشوكونية في تعاملاته مع البلاط الإمبراطوري والدايميو Daimyo^(٦١) الأقوياء^(٦٢). علاوة على ذلك، كانت المنافع التجارية لهذه العلاقة مهمة بنحو خاص لشوكونية أشيكاجا، والذين كانت مواردهم العقارية شحيحة. فالبضائع الكمالية القادمة من الصين يمكن أن تباع بربح وفير أو أن تستخدم في الحصول على الدعم السياسي^(٦٣). وتم التداول بنقود مينغ المعدنية (كوبوسن Kobusen^(٦٤) وإيراكوسن Eirakusen^(٦٥))، وهذا ساهم في زيادة النمو التجاري، والذي حاولت الشوكونية فرض الضرائب عليه، لكن ليس بنجاح دائماً. كان يوشيميتسو يعكس لهفة متزايدة للتجارة الخارجية والاحتكاك الثقافي مع الصين من ناحية التجار اليابانيين والدايميو في غرب اليابان ومعابد الزن^(٦٦).

إنَّ قبول يوشيميتسو الواقعي بلقب "ملك اليابان" عاد عليه باللائمة من يومه ولحد الآن، إذ زعم النقاد من البلاط الإمبراطوري أنَّ يوشيميتسو باستخدامه لتسمية ملك اليابان (نيهون كوكو) فأنه بذلك أنتهك الامتيازات الإمبراطورية ووضع اليابان في موضع التابع في علاقتها مع الصين^(٦٧). قطع الشوكون الرابع يوشيموشي أشيكاجا Yoshimochi Ashikaga^(٦٨) (١٣٨٦-١٤٢٨/١٣٩٥-١٤٢٣)، العلاقة مع أسرة مينغ على أساس أنها كانت تسيء إلى الشرف الوطني لليابان^(٦٩). وأعيدت البعثات من قبل يوشينوري أشيكاجا Yoshinori Ashikaga^(٧٠) (١٣٩٤-١٤٤١/١٤٢٩-١٤٤١) في محاولة لتخفيف العبء عن الاقتصاد الشوكوني متزايد الإجهاد. أرسلت اليابان بين الأعوام (١٤٣٣-١٥٤٧) إحدى عشرة سفارة بما مجموعه

٥٠ مركباً^(٧١). لكن سلطة الشوكونية ضعفت بعد اغتيال يوشينوري عام ١٤٤١، ومعها السلطة المركزية على مهنة التجارة بموجب البطاقات، التي أصبحت في أواخر القرن الخامس عشر تحت سيطرة أسرتي الدايميو أوشي Aushi وهوسوكاوا Hosokawa من غرب اليابان وتجار هاكاتا وتجار ساكاي الذين كانوا يناصرونه^(٧٢).

هزمت قوات أوشي في واقعة مسلحة في نكبو^(٧٣) عام ١٥٢٣، منافسيهم من هوسوكاوا، واحتكروا السيطرة على التجارة، التي استمرت حتى انتهاء الأسرة في عام ١٥٥١^(٧٤)، أصبحت العلاقة غير مرضية لبلاط مينغ في مراحلها المتأخرة. فعلى الرغم من أن العوائل المحاربة اليابانية كانت تقدم البطاقات الصحيحة، إلا أن من الواضح أنهم لم يكونوا الحكام الذين يمكن للأباطرة الصينيين المحافظة على علاقة تبعية معهم. فقد جاءوا سعياً للتجارة فقط، وخلفت زياراتهم الفوضى^(٧٥). علاوة على ذلك، تراجع الاهتمام القديم لأسرة مينغ منذ أواسط القرن الخامس عشر بالفعاليات البحرية أمام القلق المتزايد من ضغوط المغول على امتداد الجبهة الشمالية البرية من سور الصين العظيم. فما عدا أولئك التجار الصينيين الذين انتفعوا من العلاقة، كان القلة يمكنهم التعبير عن الأسف عندما توقفت السفن الحاملة للعوائد والقادمة من اليابان من المجيء في القرن السادس عشر^(٧٦).

كانت نهاية مهنة التجارة بموجب البطاقات بمثابة نهاية حقبة في تطور الحضارة اليابانية. فحضارة عهد موروماتشي كانت تعتمد على التجارة الصينية وراهبان الزن الذين كانوا يمارسونها بنحو فاعل. لكن حتى عند انطلاق آخر بعثة تجارة بموجب البطاقات نحو الصين، كانت هناك آفاق سياسية وثقافية جديدة تنفتح في اليابان. وصل أول الأوروبيين في عام ١٥٤٣، من خلال بعض البحارة البرتغاليين، إلى سواحل جزيرة تانيغاشيما^(٧٧) Tanegashima^(٧٨). واستهل دخولهم ما يقارب القرن من التفاعل التجاري والديني والثقافي للغرب مع اليابان، مشتتاً على الأقل جزءاً من التركيز بعيداً عن الصين وساحباً اليابان إلى محور دولي أوسع^(٧٩).

قام أودا نابوناكا Oda Nabonaga^(٨١) (١٥٣٤-١٥٨٢ / ١٥٧١-١٥٨٢)، المحارب الذي قام بالانقلاب على شوكونية موروماتشي، قبل وصول الأوربيين بعام بإعادة فرض درجة من الوحدة والنظام على بلدٍ مبتلى بحربٍ أهلية، والترويج للمسيحية كأجراء مضاد لتأثير البوذية التي ترعاها الدولة، بالاحتفال ببلوغه سن الرشد. فشن الحملات بلا هوادة في اليابان، إلى جانب الانغماس بالتقنية والثقافة الغربية، لم تتح لنابوناكا المجال لتعزيز علاقاته مع الصين^(٨١).

كانت لدى تويوتومي هيدويوشي Toyotomi Hedyoshi^(٨٢) (١٥٣٦-١٥٩٨ / ١٥٨٢-١٥٩٨) خطة كبرى للتوسع في شرق آسيا، بل حتى الهند، إلا أن كوريا، كونها تابعة لأسرة مينغ الصينية، رفضت السماح للقوات اليابانية بالتنقل عبر شبه الجزيرة في حملتها ضد الصين. شن هيدويوشي عند ذاك غارتين على كوريا، واحدة في العام ١٥٩٢ والثانية في العام ١٥٩٧. الحملة الأولى اجتاحت البلاد بسرعة، لكن في النهاية تم إحباط المحاولتين من خلال تدخل جيوش مينغ الصينية وجهود الوطنيين الكوريين^(٨٣).

وصلت العلاقات الدبلوماسية بين اليابان والصين في عهد هيدويوشي الذي خلف نابوناكا، إلى أسوأ مرحلة. قام هيدويوشي في عام ١٥٩٢، مدفوعاً بخيبة أمله من الرفض الكوري لتقديم الضرائب إلى اليابان والسماح بمرور القوات والسفن اليابانية لمهاجمة الصين، بإرسال جيش مؤلف من ١٥٠ محارب إلى كوريا^(٨٤). وكان هدفه أن يجعل نفسه سيداً على شرق آسيا من خلال إخضاع كوريا وتدمير أسرة مينغ. وتعكس خطة الهجوم لدى هيدويوشي، لكنها كانت أكثر من مجرد حلم عبثي. فمن خلال التوسع في حملته إلى باقي كوريا كان يأمل بأن يشتت طاقات المحاربين عن معارضة سياساته في اليابان، وأن يوفر غنائم لمؤيديه، وأن يخلق فرص تجارية للتجار، الذين كان يدعمهم ومن ثم يفرض عليهم ضرائب باهظة على المزايا التي يتمتعون بها^(٨٥).

كان قادة هيدويوشي مرغمين على الدخول في مفاوضات السلام المعقودة بين اليابان والصينيين، وذلك لمواجهة المعارضة الشديدة للقوات الكورية وجيوش مينغ

المرسلة لمساندة تابعهم المحاصر (كوريا) في عام ١٥٩٦^(٨٦). طرح هيدويوشي سبعة مطالب لمفاوضي مينغ، بما فيها التخلي عن أربعة مواقع في جنوب كوريا لصالح اليابان، وإعادة تفعيل التجارة بموجب البطاقات مع أسرة مينغ، وإرسال واحدة من أميرات أسرة مينغ لتصبح خلية لإمبراطور اليابان، وإرسال الأمراء والوزراء الكوريين كرهائن^(٨٧). تجاهلت حكومة مينغ مطالب هيدويوشي وكان ردّها تعزيز علاقة التبعية التقليدية مع كوريا. احضر احد مبعوثي مينغ وثيقة تضي على هيدويوشي لقب "ملك اليابان" بشرط أن يتجاهل المطالب السبعة. أشار ذلك غيظ هيدويوشي فأوعز إلى جيوشه بأن تستأنف القتال في كوريا. كان أملهم ضعيفاً في إسقاط مينغ لكنهم كانوا يقاتلون للسيطرة على الأرض في شبه الجزيرة الكورية باستغلالها كغنائم للمقاتلين اليابانيين، الذين لم تمنح لهم الفرصة حتى ذلك الحين لاستعراض قدراتهم^(٨٨).

أنهت وفاة هيدويوشي في عام ١٥٩٨ الحروب العقيمة والمريرة في القارة. فالأطراف الثلاثة جميعها كانت قد عانت. حيث أمست معظم الأراضي الكورية أرضاً بوراً، أمحيت قرى بأكملها، وأرسل الآلاف كأسرى إلى اليابان^(٨٩). وبالنظر إلى أن المحتلين اليابانيين قد أرغموا في النهاية على الانسحاب، فأن الشعب الكوري كان بإمكانه أن يدعي النصر. لكنه كان نصراً باهظاً للغاية، وكان حكامهم مجرد متفرجين في المفاوضات بين اليابان والصين. وبالنسبة لحكومة مينغ كان الثمن بالرجال والأموال باهظاً أيضاً. أظهرت أستماتة السلالة الحاكمة في الصين في دفاعها عن تابع مقرب في الوقت الذي صُدَّ خطر الاحتلال الوشيك لكوريا، إلا أن مساعي الدفاع زادت من ضعف تلك السلالة التي تحقّق بها المشاكل من كل صوب على جبهات أخرى^(٩٠).

كانت هذه الحملة بالنسبة لليابانيين كارثة عسكرية. فبدلاً من تعزيز هيدويوشي لموقفه في الداخل، ساهمت الحروب الكورية غير الحاسمة في السخط على نظامه في اليابان. إذ خلفت الجيوش اليابانية وراءها إرثاً من الشك والعداء في كوريا. وكانت الفائدة الوحيدة للحملات اليابانية الفاشلة هي النتائج الثقافية المصاحبة لمحاولات

الغزو. فمن بين أسرى الحرب الذين تم إحضارهم إلى اليابان كان هناك علماء وحرفيين كوريين. وكنيجة للغزوات، اكتسبت اليابان تقنيات حديثة في الطباعة، وصناعة السيراميك والزراعة وغيرها من التقنيات التي كانت جميعها من المنتجات العرضية لتحدي هيديوشي لهيمنة مينغ.

(١) وتعني الأسرة الطاهرة، وهي آخر أسرة حاكمة في الصين، حكمت بين (١٦٤٤-١٩١١)، مع عودة قصيرة للحكم عام ١٩١٧، أسسها فرع مانشو Manchu في شمال شرق الصين، الذي يعرف اليوم باسم منشوريا. تنتمي إلى قبيلة مغولية. نالت هذه الأسرة السيادة على الصين، وظل الصينيون يعدونهم غرباء عنهم. فرضوا عاداتهم وقوانينهم على الصينيين، بل إنهم نظروا إلى الصينيين باستعلاء ومارسوا تفرقة واضحة في إسناد المناصب الإدارية العليا في الأقاليم والجيش إلى أفراد هذه الأسرة، وخلال عصر المانشو حدثت العديد من التطورات السياسية والاقتصادية التي أثرت على مستقبل الصين لاحقاً وتسمى أيضاً أسرة كنج. انظر: طارق جاسم حسين، جذور التحديث في أواخر عهد أسرة توكوگاوا (١٨٥٣-١٨٦٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٩، ص ١٤٣؛ أفراح محمد علي، السياسة الخارجية لليابان تجاه الولايات المتحدة وأوروبا في عهد ميجي (١٨٦٨-١٩١٢)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠١٠، ص ٧٣.

(٢) الحرب التي اندلعت بين الصين وبريطانيا بسبب رفض الصين دخول الأفيون الذي أضرب باقتصاد الصين ومجتمعه، مما عدته بريطانيا ضربة لمصالحها التجارية التي كانت تدر عليها الكثير من الأرباح نتيجة لهذه السموم، فاندلعت الحرب على اثر ذلك بين الطرفين، إلا أن ضعف الحكومة الصينية، وتفوق الأسطول البحري البريطاني والمباغثة السريعة لهذا الأسطول، كانت من العوامل المهمة في حسم الحرب لصالح بريطانيا، وإنهاءها بتوقيع الصين على معاهدة مجحفة بحقها ألا وهي معاهدة نانكنج Nanking في آب ١٨٤٢، للتفاصيل انظر: آلن بالمر، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩-١٩٤٥، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين، ج ٢، بغداد، دار المأمون للترجمة والنشر، ١٩٩٢، ص ١٥١ و ١٢٧.

(٣) تعد اليابان دولة رئيسة من دول شرق آسيا، وتشكل أرخبيلاً على شكل هلال من الجزر، أشهر تلك الجزر وأكبرها جزيرة هونشو Honshu، وتليها هوكايدو Hokkaido، ثم كيوشو Kyushu، وأصغرها جزيرة شيكوكو Shikoku، يحيطها المحيط الهادي من الشرق، وبحر الصين من الجنوب، وبحر اليابان من الغرب، وبحر اوفوتسك من الشمال. مساحتها (٣٧٧,٨٧٣) كيلو متر مربع، وعدد سكانها الآن حوالي ١٢٧ مليون نسمة، غالبيتهم يعتنقون الديانة البوذية، مع وجود أقليات صغيرة عرقية ودينية. انظر: محمود عبد الواحد محمود، مشاهدات عن النهضة اليابانية، ص ١.

(4) Donald H. Shively , Tradition and Modrnization in Japanese culture the late Tokugawa period, New Jersey, University Press, 1976 , p.30.

(٥) هي شبه جزيرة شرق آسيا وتمتد باتجاه الجنوب حوالي ١,١٠٠ كم من قارة آسيا إلى داخل المحيط الهادي ومحاطة ببحر اليابان البحر الشرقي من الشرق والبحر الشرقي الصيني من الجنوب والبحر الأصفر من الغرب ويصل مضيق كوريا بين بحر اليابان والبحر الشرقي الصيني. حتى نهاية الحرب العالمية الثانية كانت شبه الجزيرة كتلة سياسية واحدة تُسمى كوريا إلا أنه بعد وقف إطلاق النار في الحرب الكورية انقسمت شبه الجزيرة إلى كوريا الشمالية في النصف الشمالي لشبه الجزيرة وكوريا الجنوبية في النصف الجنوبي تفصلهما منطقة منزوعة السلاح. يشير اسم كوريا أو شبه الجزيرة الكورية أحياناً إلى كلا الدولتين عل العلى الرغم من أن متحدتي اللغة الإنجليزية وفي كوريا الجنوبية يعدون اسم كوريا يشير بالتحديد إلى كوريا الجنوبية. انظر:

E. Papinot, Historical and Geographical Dictionary of Japan, Vol.2, New York, Frederick Ungar Publishing Co, 1964, p.435.

(6) Shively, Op. Cit., p.31.

(7) Ibid.

(8) Aruther Cotterell, Western Power in Asia 1415-1999, Singapore, SaikWah Press Ltd, 2009, p.4.

(٩) التسمية اليابانية لإمبراطور اليابان، وتعني حرفياً "سيادة السماء" ويشار إليه رسمياً باسم ميكادو، وهو إمبراطور دولة اليابان، وقائد الدولة، وعميد العائلة الإمبراطورية اليابانية، كما أنه أعلى سلطة لديانة الشينتو، ويعدُّ بحسب تعريف الدستور الياباني الحديث على أنه "رمز للدولة ولوحدة الشعب" ولا يتعدى دوره الدور الرمزي في نظام الملكية الدستورية المتبع في اليابان. تعدُّ العائلة الإمبراطورية اليابانية هي أقدم ملكية وراثية مستمرة إلى اليوم في العالم. إذ يذكر كتاب (نيهون شوكي) والذي كتب حوالي القرن الثامن بأن إمبراطورية اليابان تأسست في (عام ٦٦٠ ق.م)، على يد الإمبراطور جينمو. سكن أباطرة اليابان منذ القرن التاسع في القصر الإمبراطوري "كيوجو" في كيوتو، ثم انتقل للسكن في كوكيو الذي كان مقر قلعة إيدو السابقة مع بداية فترة مييجي. انظر:

Kodansha, Encyclopedia of Japan, Tokyo, Kodansha LTD, Vol.2, pp.203-208.

(10) Cotterell, Op. Cit., p.4.

(٣) وهو اسم عام للدراسة النصية للأدب الكلاسيكي الياباني والكتابات القديمة والتي بدأت في القرن السابع عشر. وينبغي التمييز كوكوغاكو عن تعلم اليابانيين عن اليابان بشكل عام الذي كان يسمى آنذاك واكاكو (Wagaku) الدراسات اليابانية أو كوكاكو (Kogaku) (الدراسات القديمة، وهذه بدورها ينبغي عدم الخلط بينها وبين كوجاكو KoGaku وهي مدرسة الدراسات الكونفوشيوسية اليابانية). وعلى هذا الأساس، فإن كوكوغاكو أحياناً تعرف بنحو محدد على إنها الدراسة للأدب الكلاسيكي الياباني والكتابات القديمة بهدف تشخيص عناصر حضارية أو ثقافية يابانية مميزة أو أمثلة لذهنية يابانية نموذجية. وفي سياق التاريخ الياباني الحديث حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، فإن الكوكوغاكو تعني أيضاً دراسة الدولة الامبريالية، المكروسة بشرح ما كان ينظر إليه على انه نظام الحكم الوطني الفريد لليابان. وبذلك فإن الكوكوغاكو في بعض الأحيان كانت تتبنى شخصية أيديولوجية ولا يمكن مساواتها بالدراسات الكلاسيكية بنحو عام. انظر:

Kodansha, Vol.4, pp.257-258.

(12) Cotterell, Op. Cit., p.5.

(13) George Sansom, Japan A Short Cultural History, Tokyo, Charles E. Tuttle Company, Inc., 1976, p.33.

(١٤) ثاني أسرة إمبراطورية في الصين حكمت، بدأت الصين في عهد هذه الأسرة بتفضيل تعاليم كونفوشيوس من قبل الحكومة، وشهدت الصين في عهدها تقدماً في العلوم والاختراعات مثل الورق. تأسس حكم هذه الأسرة في فترة حروب أهلية، وقد ضعف حكم هذه الأسرة قبل أن تنقسم الصين إلى ثلاث ممالك في فترة حرب أهلية دامت إلى سنة ٢٨٠م. انظر:

Kodansha, Vol.3, p.92.

(15) Mikael S. Adolphson, The Grates of Power, University of Hawaii, 2000, p.115.

(16) Yoshi S. Kuno, Japanese Expansion On The Asiatic Continent, Kennikat Press, 1940, p.63.

(17) Capt. F. Brinkley, A History of The Japanese People From The Earliest Times to the End of The Meiji Era, London, The Encyclopedia Britannia Co., Limited, 1915, p.513

(١٨) الديانة الرسمية المهيمنة في اليابان قرونًا طويلة، وقد أسهمت بعمق في توحيد الجوانب الروحية لدى اليابانيين. ومؤسس هذه الديانة الفيلسوف هارثا غوتاما (٥٦٣ ق.م - ٤٨٣ ق.م)، كان أبناً لأمير من أسرة غوتاما، الذي كان يحكم إحدى مقاطعات إقليم بيهار في الهند. انعزل عن أهله

وزوجته في التاسعة عشر من عمره عندما علم أن زوجته لن تتجب الأولاد وغادر القصر. اعتزل الناس في دير للرهبان البرهمنيين لست سنوات، وفارقهم أيضاً ليعزل نفسه. أول مكان اتجه إليه ليبدأ دعوته كانت مدينة بنارس الواقعة على نهر الغانج، وقد التف حوله أناس كثيرون، لما وجدوا في حديثه من وقار وآيات الصفاء والاستبشار على وجهه، وفي ملابسه ونمط حياته من زهد وتقشف وإيثار. وقد اعتقد هارثا بإله واحد، وعده القوة المحركة لهذا الوجود ودعاه (الكارما) أي القوة العظمى والخالق الأعظم. وقد أطلق الناس على هارثا غوتاما بعد انتشار دعوته اسم (بوذا) التي تعني (الرجل المستنير). انظر: إبراهيم حلمي غوري، لؤلؤة الشرق وبلاد الشمس المشرقة اليابان، بيروت، دار الشروق العربي، ١٩٩٧، ص ص ١٤٠-١٤٣؛ مسعود ضاهر، تاريخ اليابان الحديث ١٨٥٣-١٩٤٥: التحدي والاستجابة، الطبعة الأولى، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٩، ص ٧٩.

(19) Cotterell, Op. Cit., p.6.

(٢٠) الفترة التاريخية التي تبدأ عام ٧١٠، سنة انتقال العاصمة من فوجيوارا كيو إلى هيوجوكيو (الآن مدينة نارا)، والمنتهية عام ٧٨٤ عند انتقال العاصمة إلى ناكاوكاكيو. لكن السنوات العشرة في ناكاوكاكيو (٧٨٤-٧٩٤) تعد ضمن فترة نارا لتعطيها تاريخ الانتهاء سنة ٧٩٤. تميزت فترة نارا بمرور نظام ريسوريو Ritsuryo والذي يعني (نظام القانون التاريخي المستند إلى فلسفات كونفوشيوس والتشريعات الصينية في اليابان) في الحكم المستلهم من الصينيين بالإضافة إلى ابتداء جوانب أخرى من الحضارة الصينية. ولغرض جعل البوذية الأساس الروحي للسلطة السياسية المركزية، شُيّدت معابد محلية كوكونجي في جميع أنحاء اليابان. وشهدت فترة نارا جمع أول السجلات التاريخية اليابانية، الكوجيكي (٧١٢) ونيهون شوكي (٧٢٠). ويتشجع من تانك الصين حدث ازدهار في الفنون عرف بحضارة تمبيو. وفي نفس الوقت شهدت السنوات الأخيرة من عهد نارا بداية تفكك نظام ريسوريو بدليل ازدياد الفقر بين القرويين وزيادة أعداد المشردين الهائمين، وانهايار نظام كوجي كومن للملكية العامة للأرض. انظر: Kodansha, Vol. 5, p.333.

(٢١) العهد الذي يمتد لقراءة أربعمئة سنة منذ عام ٧٩٤، عندما قام الإمبراطور كامو بتأسيس هيان كيو (الآن كيوتو) كعاصمة إمبراطورية لليابان، إلى عام ١١٨٥، عندما قامت قوات ميناموتو نو يوريتومو بدحر قوات عائلة تايرا، وبذلك هيأت أسباب إقامة شوغونية كاماكورا. واسم الفترة مأخوذ من اسم العاصمة والذي يعني "الهدوء والسلام". يمكن النظر إلى عهد هيان على أنها فترة

انتقال من نظام ريسوريو المضمحل إلى نظام إقطاعي تسوده طبقة المحاربين. وشهد هذا العهد اكبر ازدهار للثقافة الارستقراطية الدائرة في قطب البلاط الإمبراطوري. انظر:

Kodansha, Vol.3, p.122.

(٢٢) نهر على الحدود بين الصين وكوريا الشمالية، طوله ٧٩٠ كم (٤٩١ ميل)، يملؤه الوحل، لذلك فهو صعب الملاحة، فضلاً على ذلك أن عمقه لا يزيد عن ثلاثة أمتار في أكثر أجزائه. أنظر:

Edwin. O Reischauer, The United States and Japan, London, Harvard University Press, 1981, p.21.

(٢٣) جزيرة في مضيق كوريا، بين كوريا وشمال غرب كيوشو، على بعد خمسين كيلو متراً إلى جنوب شرق كوريا. تنقسم إلى كاميشيما Kamishima (الجزيرة العليا) في الشمال وشيموشيما Shimoshima (الجزيرة السفلى) في الجنوب. أنظر:

Kodansha, Vol.8, p.117.

(2) Arthur E. Tiedemann, An Introduction to Japanese Civilization, New York, Columbia University Press, 1974, p.39.

(٢٥) حاكم سلالة كوريو الحادي عشر، ركز في أثناء حكمه على القيادة المدنية بدلاً من العسكرية. وسع منجونك حدود كوريا لتصل إلى نهر يالو وتومين، وأنشأ مقاطعتين عسكريتين للدفاع عن كوريو. توفي عام ١٠٨٣. انظر:

Sansom, Japan A Short Cultural History, p.35.

(٢٦) يشير التاريخ الأول إلى حياته والتاريخ الثاني إلى سنوات حكمه أو بقائه في المنصب.

(27) Edwin O. Reischauer, Japan Past and Present, New York, Alfred A knopf, 1947, p.16.

(٢٨) أول حكومة عسكرية أو حكومة مقاتلين في اليابان، أسسها ميناموتو نوريتومو في منطقة كاماكورا. على العلى الرغم من أن العديد من الباحثين يؤرخون بداية الشوغونية منذ ١١٩٢، عندما منح لقب الشوگون إلى يوريتومو، ألا أن باكوفو نفسها، منظمة المحاربين الحكومية، كانت قد أسست منذ عام ١١٨٠، وبذلك يمكن القول أنها حكمت ما يقارب ١٥٠ سنة وحتى الإطاحة = بهم عام ١٣٣٣. وكانت منطقة نفوذ شوغونية كاماكورا الرئيسة هي المقاطعات الشرقية، النائية عن العاصمة الإمبراطورية في كيوتو. كانت مدعومة من فرق المحاربين التي كانت سابقاً تحت سيطرة، أما البلاط الإمبراطوري أو أصحاب الأملاك لمختلف المزارع. انظر:

Kodansha, Vol.4, p.121.

(٢٩) اللفظ الياباني لمصطلح أطلقه الصينيون والكوريون على القراصنة اليابانيين الذين قاموا بالإغارة على سواحل شرق آسيا منذ القرن الثالث عشر إلى القرن السابع عشر. ابتداءً كانت مجاميع القراصنة مؤلفة من اليابانيين، لكنها أحياناً تضم كوريين وصينيين، فضلاً عن بعض البرتغاليين والسكان المحليين من جنوب شرق آسيا. انظر:

Kodansha, Vol.8, p.220.

(٣٠) ثالث أكبر جزيرة في اليابان، تقع في الجنوب الغربي من البلاد. ويأتي اسمها الذي يعني المقاطعات التسع القديمة التي قسمت لها كيوشو في القدم وهي: تشيكوزن، تشوكوكو، هيزن، يوزين، بونغو، هيوغا، اوسومي، ساتسوما. وجزيرة كيوشو ذات طبيعة بركانية وتضم جبل أسو وهو أنشط براكين اليابان بارتفاع ١٥٩١ م. كما تشتهر بالينابيع الحارة الخاصة في منطقة بيبو. انظر: خريطة رقم (٣).

Joseph M. Goedertier , A Dictionary of Japanese history, Tokyo, John Weatherhill, Inc., 1968, p.220.

(3) Sansom, Japan A Short Cultural History, p.36.

(4) Brinkley, Op. Cit., p.514.

(5) Kuno, Op. Cit., p.65.

(6) Tiedemann, Op. Cit., p.42.

(٣٥) طوله ٤٠١ كم مما يجعله ثالث أطول نهر في كوريا الجنوبية. وهو نهر رئيس ينبع من جانكسو ايب في مقاطعة جيولا الشمالية. ويجري شمالاً عبر مقاطعتي جيولا الشمالية وشانكجيونك الشمالية ومن ثم يغير اتجاهه قرب دايجيون الكبرى ويسير باتجاه الجنوب الغربي عبر مقاطعة شانكجيونك الجنوبية قبل أن يصب في البحر الأصفر قرب مدينة غانسان. انظر: ..Cit, p.73 Goedertier, Op

(36) Kuno, Op. Cit., p.66.

(37) Reischauer, Japan Past and Present, p.19.

(٣٨) مؤسس سلالة يي الكورية (١٣٩٢-١٩١٠)، حكم كملك (تايجو) خلال الأعوام (١٣٩٢-١٣٩٨). ويصفته مسؤولاً لدى سلالة كوريو التي سبقت (٩٣٥-١٣٩٢)، قاد يي حملات انتقامية ضد القراصنة اليابانيين (واكو) معتمداً على جزر بعيدة عن الشاطئ. وفي عام ١٣٨٨، صدرت إليه أوامر بطرد قوات مينغ الصينية من الحدود الشمالية لكوريا، وقد عدَّ هذا الجهد لا فائدة منه، وتمرد ضد حكومة كوريو ومن ثم أسس سلالة الخاصة. واتخذ سيئول عاصمة له، وابتدأ

ببرنامج إصلاحى أدى فى النهاية إلى إتباع النموذج الصينى فى كوريا فى الجوانب البيروقراطية، والتشريعات، والتقاليد الفكرية، والأعراف الاجتماعية. انظر:

Kodansha, Vol.8, p.326; Goedertier, Op. Cit. p.213.

(٣٩) آخر مملكة فى كوريا، تأسست عام ١٣٩٢ على يد يى سونك- كي Yi Song-Gye وانتهت عام ١٩١٠ بالضم اليابانى. والاسم الصحيح للمملكة هو جوسون Choson، إلا أن الاسم الشائع لها هو سلالة يى. واتسم عهدها الذى دام ٥١٨ سنة بالعديد من الابتكارات الثقافية والتكنولوجية، إلا أن طول عمرها المثير للإعجاب أصبح ممكناً بفضل ديمومة مؤسساتها الكونفوشية. وعلى العلى الرغم من القراصنة اليابانيين (الواكو) فى القرنين ١٤ و ١٥ والغزو اليابانى لكوريا فى الأعوام ١٥٩٢ و ١٥٩٧، إلا أن سلالة يى بقت مهمة لليابان كقناة للتجارة والتبادل الثقافى. انظر:

Kodansha, Vol.8, pp.324-325

(40) Tiedemann, Op. Cit., p.43.

(٤١) إحدى الولايات المتنافسة من سيلا المحترضة، ومؤسسها وانك كون Wang Kon (٩١٨- ٩٤٣)، والذى هزم خصومه وسيطر على سيلا بنحو سلمى فى العام ٩٣٥، وسعى إلى إقامة علاقات ودية مع اليابان، إلا أن هذه المبادرات تم رفضها من قبل بلاط هيان اليابانى. انظر:

Kodansha, Vol.4, p.278.

(٤٢) أو تجديد ميجي حقبة انتقالية من تاريخ اليابان عرفت فيها البلاد تحولات واسعة بعد أكثر من قرنين من حكم سلالة التوكوگاوا. عرفت اليابان فى الثلث الثانى من القرن التاسع عشر تحولات جذرية، سياسية واجتماعية، أدت إلى إنهاء شوگونية أسرة توكوگاوا وفترة إيدو التى صاحبته، ودخلت البلاد بعدها الفترة الحديثة من تاريخها. فى ٣ كانون الثانى ١٨٦٨، أعيد الإمبراطور أو "تينو" إلى مكانه على رأس هرم السلطة فى البلاد، وكان الأباطرة وعلى العلى الرغم من من أنهم حكموا البلاد بصورة مستمرة، مجردين من السلطة الفعلية، التى كانت بين أيدي الشوگونات. عمم المؤرخون هذه التسمية، فأصبحت تطلق على المدة التى سبقت ومهدت لهذه الأحداث ثم فترة الحروب الأهلية التى تلتها. لم تكن الحركة التى حملت هذه التغيرات ثورة شعبية بالمعنى الذى نعرفه اليوم، اقتصر الصراع على أبناء طبقة واحدة (المحاربين). وكرست هذه هيمنة المحافظين، الذين كانوا يدعون إلى إعادة النظام الإمبراطورى القديم. عرفت هذه المدة الانتقالية أيضاً بداية انفتاح اليابان على الخارج، وانطلاق عملية الإصلاحات. انظر:

John W. Hall& Marius B. Jansen, Studies In The Institutional History Of Early Modern Japan, USA, Princeton University Press, 1968, pp.227,319.

(43) Marius B. Jansen, The Making of Modern Japan London, Harvard University Press, 2000, p.17.

(٤٤) تسمى أيضا باكوفو، وكانت ثاني نظام عسكري من الأنظمة الثلاثة في اليابان، والتي جاءت بين شوغونية كاماكورا وشوغونية توكوغاوا. أسسها أشيكاغا تاكاواجي، واسمها مشتق من منطقة موروماتشي في كيوتو حيث انتقل القصر الشوكوني والمقر الإداري بعد عام ١٣٧٨. وعرفت أيضاً باسم شوغونية أشيكاغا إشارة إلى عائلتها الحاكمة. وفي عهد أشيكاغا، قام الشوكونات وحكومتهم بتوسيع الحكومة والنفوذ العسكري لحد كبير، باسطين سلطاتهم ونفوذهم على أغلب الشؤون السياسية والعسكرية للبلاد، بما في ذلك إقامة العلاقات الخارجية، تاركين للإمبراطور اليسير عدا بعض المراسيم السيادية. ألا أن شوغونات أشيكاغا كانت تعوزهم ميزة توازن القوى الشوكون والقادة العسكريين المحليين (الدايميو) الذي كان يتمتع به البيت الشوكوني الثالث التوكوغاوا. ولذا فإن فترة موروماتشي على العلى الرغم من من امتدادها لأكثر من مائتي سنة، نادراً ما شهدت حزم الشوكون في سلطة مركزية قوية. انظر:

Kodansha, Vol.5, pp.271-272.

(٤٥) قائد عسكري من القرن الرابع عشر ورئيس احد فروع عشيرة ميناموتو، التي أسست ثاني حكومة محاربين في القرون الوسطى في اليابان، شوغونية موروماتشي. بعد انتصاره في كيوتو أمام قوات الإمبراطور، حقق تاكاواجي انتصاراً ثانياً أمام قوات نيتا شيسادا. ونصّب الإمبراطور الجديد كوميو (١٣٣٦-١٣٤٨)، ثم نصب نفسه شوكوناً سنة ١٣٣٨. بذلك أصبح أول شوكونات أسرة أشيكاغا. عرف عن تاكاواجي شغفه بالرسم والشعر والموسيقى، كما كان شديد التعلق بالمذهب البوذي، وشيد العديد من المعابد الخاصة بطائفة زن البوذية. انظر:

Kodansha, Vol.1, p.100.

(٤٦) العاهل السادس والتسعين للإمبراطورية اليابانية. وهو الابن الثاني للإمبراطور كو-أودا، وكان هو المسؤول عن إعادة الحكم الإمبراطوري المباشر لفترة وجيزة والذي عرف باسم إحياء كيمو. كان في الثلاثين من العمر عند اعتلائه العرش. كان كو داكو غاضباً من اغتصاب السلطة السياسية من شوغونية كاماكورا، وخطط سراً للإطاحة بها. ولم يثبط عزمه عند اكتشاف المؤامرة الأولى من قبل الشوكونية عام ١٣٢٤، فخطط لمحاولة ثانية تم اكتشافها أيضاً والقي القبض على الإمبراطور ونفي إلى جزر اوكي. هرب كو داي كو في عام ١٣٣٣ من المنفى وحصل على دعم شخصيات عسكرية في غرب اليابان. وجاءت نقطة التحول في الصراع في ذلك العام عندما أرسل تاكاواجي أشيكاغا قائد الجيش الشوكوني للتصدي له، فغير ولائه ودمر الشوكونية. أتاح هذا لكو داي كو إقامة حكم شخصي في كيوتو. إلا أن حكمه تسبب في نفور العديد من مؤيديه، لاسيما من ناحية المكافآت، وفي عام ١٣٣٥ تخلى تاكاواجي أشيكاغا عن دعم قضية الإمبراطور

تمرد ضده. اندحرت قوات كو داي كو بسرعة وفر إلى معقل بعيد في جبال يوشينو في مقاطعة ياماتو (حالياً نارا). وعلى العلى الرغم من أن تاكواجي سرعان ما نصب حاكماً جديداً وهو الإمبراطور كوميو (١٣٢٢-١٣٨٠/١٣٣٦-١٣٤٨)، إلا أن نكو داي كو أصر بغناد على دعواه بأنه الحاكم الشرعي، وأسس ما عرف بالبلاط الجنوبي في يوشينو. وتسبب وجود إمبراطورين بنشوء صراع على الحكم وبحرب أهلية استمرت حتى ١٣٩٢. وتنازل كو داي كو عن العرش في عام ١٣٣٩ لصالح ابنه الإمبراطور كو-موراكامي (١٣٢٨-١٣٦٨/١٣٣٩-١٣٦٨). وتوفي في قصره في يوشينو في اليوم التالي. انظر:

Kodansha, Vol.3, p.39.

(٤٧) سلالة حكمت الصين، وامتازت فترة حكمها بالاستقرار، وكانت الصين تسمى في عهدهم إمبراطورية مينغ العظمى. وكانت تملك جيشاً وأكبر أسطولاً بحرياً يعدُّ الأكبر في العالم. حكموا مناطق شاسعة امتدت إلى كوريا ومنغوليا وأقاليم أخرى. وكانت الكونفوشيوسية الديانة الرسمية لهذه الأسرة. انظر:

Georg Sansom, A History of Japan (1615-1867), London, Isted, 1963, p.230.

(48) A. L. Sadler, The Making of Modern Japan: The Life of Tokugawa Ieyasu, Vol.43, London, George Allen & Unwin Ltd, 1937, p.21.

(٤٩) ثالث الشوگونات من سلالة أشيكاغا حكم بعد والده ولم يكمل التاسعة من عمره، شغل يوشيميتسو العديد من المناصب، أهمها وزيراً للشؤون العليا دائي جو-دائي-جن سنة ١٣٩٤، وهو أعلى منصب في البلاط الإمبراطوري. لم يبق يوشيميتسو طويلاً في منصبه الجديد، كانت له ميولات إلى العزلة بفضل حياة الرهبانية، تاركاً شؤون الحكم لابنه أشيكاغا يوشيموشي (١٣٨٦-١٤٢٨). تعدُّ مدة حكمه الطويلة نسبياً الأوج السياسي لحكم شوگونات الأشيكاغا وفترة موروماتشي. استطاع لمدة وجيزة أن يكبح جماح الثوار من المحاربين في المقاطعات البعيدة. بسط سلطته على مناطق الجنوب الغربي من البلاد، كما وضع حداً لنشاط القرصنة البحرية والذي كان ينطلق من قواعده في تلك المناطق، ويستهدف سواحل كوريا والصين، الشيء الذي مكنه من أن يعيد العلاقات اليابانية الصينية إلى سابق عهدها، وبذلك تنشيط التجارة بين البلدين. وضع يوشيميتسو حداً للصراع القائم بين فرعين من العائلة الإمبراطورية، واقترح أن اختيار إمبراطور من كل فرع بالمناوبة جيلاً بعد جيل (عرفت الفترة باسم فترة نان-بوكوشو). عرفت بلاد اليابان في أثناء مدة حكمه ثراءً كبيراً في الجانب الفني. كما أصبح مذهب "زن" البوذي يتمتع بشعبية كبيرة،

دفعت هذه الحماسة الدينية إلى تشييد العديد من القصور ذات الإحياءات الروحانية في نمطها وعمارتها، من أشهرها "كينكاكو-جي" (قصر أو كينكاكو). كان الأخير مقر إقامة يوشيميتسو الأخير، عندما فضل الانعزال. على العلى الرغم من من حياة العزلة فإنه بقي يمارس نشاطات أخرى من أهمها تشجيعه للآداب والفنون، ومن أهم مساهماته تشجيعه لظهور نوع جديد من فنون المسرح في اليابان عرف باسم "نو". انظر:

Kodansha, Vol.1, p.101.

(1) Malcolm D. Kennedy, A History of Japan, London, Bristol Ltd.,1963, p.56.

(51) Tiedemann, Op. Cit., p.44.

(3) Reischauer, Japan Past and Present, p.24.

(53) Tiedemann, Op. Cit., p.45.

(٥٤) هو من أكثر الموانئ المزدحمة في العالم من حيث ناتج الشحن، ويقع في الساحل الشرقي لبحر الصين في مقاطعة زيجيانك الساحلية في جنوب شرق الصين. تأسس عام ٧٣٨. وفي عهد سلالة تانغ وسونك كان احد أهم الموانئ البحرية الثلاث للتجارة الخارجية. وتمت تسميته كأحدى الموانئ الخمسة لمعاهدة نانكينغ في عام ١٨٤٢ التي أنهت حرب الأفيون الأولى. انظر:

Papinot, Op. Cit, p.687.

(3) Reischauer, Japan Past and Present, P.26.

(4) Tiedemann, Op. Cit., p.45.

(٥٧) المعبد الرئيس لفرع تينريجي لطائفة رنزاى من بوذية الزن، والواقعة في جناح اوكيو في كيوتو. قرر تاكاواجي أشيكاغا (١٣٠٥-١٣٥٨)، مؤسس شوغونية موروماتشي، تشييد معبد تينروجي في عام ١٣٣٩، تخليداً لذكرى الإمبراطور كو دايكو Go-Daigo حكم (١٣١٨-١٣٣٩)، والذي كان من المنتفعين الأوائل من تاكاواجي لكنه توفي وهو معارضٌ له. وهذا المعبد خلد = المحاربين الكثيرين الذين سقطوا في الحرب الأهلية التي سبقت تأسيس الشوغونية الجديدة. ولغرض جمع الأموال لتشييد هذا المعبد، قام أخو تاكيواجي تادايوشي، بتكليف سفينة خاصة عرفت باسم سفينة تينروجي لتمارس التجارة مع الصين، بشرط أن يقوم ممولو السفينة بالمساهمة بحوالي (٥,٠٠٠ كان) من النحاس نقداً إلى المعبد. أنظر:

Kodansha, Vol.8, p.10.

(58) Sadler, Op. Cit., p.25.

(59) Shively, Op. Cit., p.15.

(60) Kennedy, Op. Cit, p.57.

(٦١) القادة الإقطاعيون المنتفزون في اليابان قبل الحداثة، والذين هيمنوا على معظم البلاد من وراء أملاكهم الشاسعة. كانوا يخضعون للشوگون فقط، حيث كان الدايميو حكام الإقطاعيين الأكثر نفوذاً منذ القرن العاشر وحتى أواسط القرن التاسع عشر في اليابان. انتهى عهد الدايميو بعد فترة وجيزة من إصلاحات مييجي عندما تبنت اليابان نظام الولايات في عام ١٨٧١. انظر:

Kodansha, Vol.2, p.61.

(62) Kennedy, Op. Cit., p.57.

(63) Shively, Op. Cit., p.15.

(٦٤) عملة صينية نحاسية تم صكها خلال عهد هونكوو (١٣٦٨-١٣٩٨) لسلالة مينغ. وكانت العملات بخمسة إجمال مختلفة بقيم تتراوح من واحد إلى عشرة مون، وكانت قد استوردت خلال فترة موروماتشي (١٣٣٣-١٥٦٨). وبقي استخدامها إضافة إلى عملات ايراكوسن التي هي من عهد يونكل (١٤٠٣-١٤٢٤) حتى بداية عهد إيدو. واستخدمت العملات الصينية في اليابان طوال عهدي كاماكورا (١١٨٥-١٣٣٣) وعهد موروماتشي، وعلى العلى الرغم من أن كمية العملة متداولة لم تكن كبيرة، إلا أنها كانت مقبولة الاستخدام كعملة رصينة في المعاملات التجارية. وفي أواخر عهد موروماتشي تم صك عملة مشابهة لكوبوسن، سميت كاجيكيسن، في اليابان. انظر:

Kodansha, Vol.4, p.239.

(٦٥) عرفت أيضاً باسم ايراكوتسوهو. عملات صينية نحاسية من عهد يونكل (١٤٠٣-١٤٢٤) من سلالة مينغ. كان أول من استوردها الشوگون أشيكاجا يوشيميتسو، واستعملت بنحو شائع في اليابان، وعلى الخصوص في منطقة كانتو، حيث استعملت كأساس لتقييم ضريبة الأرض. ومثل عملات مينغ السابقة لكن المشابهة لها والمعروفة باسم كوبوسن، كانت الإيراكوسن مرغوبة كثيراً بسبب أن محتواها من النحاس كان أعلى بكثير من عملة بيتاسن Bitasen، العملات التي سكت سرّاً في اليابان. وفي عام ١٦٠٤، قامت شوگونية توغوكاوا في محاولة للتخلص من الالتباس والتكهنات، بتحديد سعر صرف رسمي أربعة إلى واحد بين البيتاسن والإيراكوسن. وبعد خمس سنوات حظرت استخدام الإيراكوسن تماماً، إلا أنها بالإضافة إلى المسكوكات التي حاولت تقليدها لكنها كانت أدنى جودة منها، ظلت متداولة حتى أواسط القرن السابع عشر. انظر:

Kodansha, Vol.2, p.186.

(66) Shively, Op. Cit., p.17.

(67) Sadler, Op. Cit., p.33.

(٦٨) حكم في عهد موروماتشي، وكان ابن الشوگون الثالث يوشيميتسو الذي تنازل له عن العرش في عام ١٣٩٥. على العلى الرغم من من تنازله الرسمي ألا أن يوشيميتسو لم يتنازل عن أيأ من سلطاته الفعلية واحتفظ بحكم الشوگونية حتى وفاته. ولم يمارس يوشيموشي السلطة بدون قيود كشوگون إلا بعد وفاة والده في عام ١٤٠٨. في عام ١٣٩٨ أرسل ملك التايجونك من سلالة تشوسون الكورية بعثة دبلوماسية إلى اليابان. قدم يوشيموشي إلى البعثة الكورية رسالة دبلوماسية رسمية، وأرسل هدايا إلى البلاط الكورية مع البعثة. انظر:

Georg Sansom, A History of Japan (1334-1615), Stanford, Stanford University Press, 1961, p.77.

(69) Reischauer, Japan Past and Present, p.26.

(٧٠) الشوگون السادس من شوگونية موروماتشي. لكونه الابن الرابع لأشيكاغا يوشيميتسو لم يتوقع أن يصبح شوغونا وأصبح منذ عمر مبكر راهباً بوذياً من طائفة تنداي Tendai. وبحلول أواخر عقد ١٤٢٠، ارتقى إلى منصب زاسو (زعيم الطائفة) لكنه عاد إلى الحياة العلمانية عند وفاة أخوه الأكبر، الشوگون يوشيموتشي أشيكاغا في العام ١٤٢٨. وكان يوشيموشي قد أوصى بأن خليفته ينبغي اختياره بالقرعة من بين إخوته الأربعة، وفاز يوشينوري بالقرعة. وقد ظهر أنه قائد حازم ومستبد مصمم على استعادة سلطة الشوگونية، والتي كانت قد تزعزعت على يد قادة الحرب المحليين والبلاط الإمبراطوري. وقام بإنعاش النظام القضائي، وتقوية مؤسساته العسكرية، وعاقب أو دمر العديد من المناطق التابعة له. وكانت أشهر حملاته العسكرية ضد قريبه الثائر أشيكاغا موشي اوجي (١٣٩٨-١٤٣٩)، والذي كان يسيطر على كانتو بصفته نائب شوگون واجبر على الانتحار عام ١٤٣٩. وتسببت ديكتاتورية يوشينوري بالسخط بين المناطق التابعة له واغتيل على يد اكاماتسو متسوسوكي، وهو قائد عسكري من هونشو. انظر: Kodansha, Vol.1, p.101.

(71) Kennedy, Op. Cit., p.61.

(72) Mikiso Hane, Louis Perez, Premodern Japan: A Historical Survey, Westview Press, 2015, p.187.

(٧٣) شجار حدث عام ١٥٢٣ بين الممثلين التجاريين لاثنتين من عشائر الدايميو - عشيرة اوجي وعشيرة هوسو كاوا- في مدينة نكبو الصينية في عهد مينغ. وتسبب هذا الاضطراب إلى إنهاء التجارة الصينية اليابانية وأدى إلى ازدياد فعاليات قراصنة واكو في السواحل الصينية. انظر:

Papinot, Op .Cit, p.524.

(74) Kennedy, Op. Cit., p.63.

(75) Sansom, A History of Japan (1334-1615), p.78.

(76) Kennedy, Op. Cit., p.64

(٧٧) إحدى مجموعة جزر أوسومي Ōsumi التابعة لمقاطعة كاكوشيما Kagoshima في جنوب

اليابان. انظر: Papinot, Op .Cit,

p.704.

(78) Sansom, A History of Japan (1334-1615), p.78.

(79) Sadler, Op. Cit., p.35.

(٨٠) أحد القادة السياسيين الثلاثة الذين استطاعوا إعادة توحيد اليابان سياسياً. استولى على كيوتو عام ١٥٦٨ بحجة مساندة آخر ملوك عائلة اشيكاجا Ashikaga (١٣٣٣-١٥٧٣)، ثم تمكن من إخضاع حكام مناطق وسط اليابان الأقل منه سطوة، كما نجح في القضاء على سلطة الرهبان البوذيين، ولم يستمر في الحكم أكثر من أربعة عشر عاماً، حيث اغتيل في العام ١٥٨٢، ليأتي من بعده هيديوشي، انظر: أدوين رايشاور، اليابانيون، ترجمة: ليلى الحياي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والآداب، ١٩٨٩، ص ٩٤؛ Kodansha, Vol.6, pp.61-61.

(81) Kennedy, Op. Cit., p.65.

(٨٢) قائد عسكري من جنود المشاة في جيش نابونغا الذي تولى الحكم بعد اغتيال نابونغا في عام ١٥٨٢، وهو من أصل اجتماعي شديد التواضع يفتقر إلى نسب أو عائلة، مع ذلك استطاع أن ينشر سلطانه في كل أنحاء البلاد في عام ١٥٩٠، بعد أن نجح في القضاء على جميع منافسيه من الحكام وإجبارهم على الخضوع له، ليتحولوا إلى أتباع له كمستأجرين للأرض. ومع ذلك لم يظفر هيديوشي بلقب الشوگون، لأن التقاليد كانت تقضي بأن لا يظفر بهذا اللقب العسكري السامي إلا من كان من أسرة ميناموتو، انظر: فوزي درويش، الشرق الأقصى الصين واليابان ١٨٥٣ - ١٩٧٢، طنطا، مطابع غياشي، ١٩٩٧، ص ٩٧؛ Kodansha, Vol.8, p.9.

(83) Sadler, Op. Cit , p.21.

(84) Mikiso Hane, Modern Japan A Historical Survey, Untiet State Press, 2009, p.19.

(85) Sadler, Op. Cit., p.38.

(86) Conrad Totman, Japan Before Perry A Short History, USA, California University Press, 1981, p.153.

- (87) John Whitney Hall, Japan from Prehistory to Modern Times, London, Weidenfeld and Nicholson Ltd, 1970, p.28.
- (88) Kennedy, Op. Cit., p.66.
- (89) Sansom, A History of Japan (1334-1615), p.80.
- (90) Sadler, Op.cit, p.40.

**دور رودولفو غراتسياني في تعزيز النفوذ
الاطالي في طرابلس الغرب
١٩٢٢ - ١٩٢٨**

**أ. د. حسن علي سبتي الفتلاوي
م. م. حاتم كريم عبد الرضا جاسم**

دور رودولفو غراتسياني في تعزيز النفوذ الايطالي في طرابلس الغرب

١٩٢٢ - ١٩٢٨

أ. د. حسن علي سبتي الفتلاوي

م. م. حاتم كريم عبد الرضا جاسم

أولاً: غراتسياني والعمليات العسكرية للسيطرة على مصراتة كانون الثاني

١٩٢٢ - نيسان ١٩٢٢

نتيجة الاتفاق المبدئي بين الدول الكبرى على تأسيس مستعمرات رسمية معترف بها من اجل تجنب تصادم الدول الأوروبية بينها، تم عقد مؤتمر برلين (١٥ تشرين الثاني ١٨٨٤ - ٢٦ شباط ١٨٨٥)^(١) الذي مثل جزءاً من المساعي للسيطرة على القارة الافريقية، وسرعان ما بادرت تلك الدول الأوروبية بالاعتراف بسيطرة إيطاليا على ليبيا^(٢) وفق معاهدة (أوشي - لوزان)^(٣) Oshy-Lozan ١٩١٢ التي اعتبرتها إيطاليا نصراً عظيماً واعترافاً بتفوقها العسكري والسياسي^(٤) ويلاحظ ان المفاوضين الإيطاليين لم يحصلوا على اعتراف صريح من الدولة العثمانية بذلك الاحتلال، مقترنا ذلك بترك السلطان العثماني ممثلاً عنه في ولاية طرابلس مما جعل استمرار المقاومة أمراً محتمل الوقوع، كما أن المادة العاشرة من بنود المعاهدة كانت تلزم إيطاليا بنوع من التعويضات للباب العالي^(٥).

واصلت إيطاليا جهودها العسكرية لبسط سيطرتها على ليبيا، فقسمت الولاية الى منطقتين عسكريتين، إحدهما في طرابلس، تولى الجنرال رانييتي Raniti قيادتها، أما الولاية الثانية التي تمثلت ببرقة فقد تولى قيادتها الجنرال أوتافيو بريكولا^(٦) Ottavio Briccola (١٨٥٣-١٩٢٤)، وذلك من أجل إطلاق يد القوات الإيطالية في الحركة بمساحة أوسع لمواجهة المقاومة الوطنية، التي كان للسوسيين دور كبير فيها^(٧).

لم تنتج أساليب إيطاليا القمعية في إخماد حركة المقاومة الليبية، الأمر الذي دفع الحكومة الإيطالية لتغيير حكام ليبيا العسكريين الواحد تلو الآخر طمعاً في تحقيق الاستقرار لمستعمرة ليبيا وإخضاعها للسيطرة الإيطالية لتحقيق أهدافها الاستعمارية^(٨) ولاسيما أن إيطاليا قد خرجت من الحرب العالمية الأولى متقلة بالعديد من المشاكل الداخلية، التي أخذت تطفو على السطح، فالبطالة المتزايدة، والنمو السكاني المتزايد دفعا بالساسة الإيطاليين للتعجيل بمحاولة بسط النفوذ على كل ليبيا^(٩) وتوجه الإيطاليين لاستيطانها، وقد تم توطين المهاجرين الإيطاليين في مناطق عديدة من ليبيا^(١٠).

شكلت طرابلس إحدى مناطق الاستيطان الإيطالي المهمة، ومن أجل توفير الأمن والاستقرار لهؤلاء الإيطاليين، كان لابد من تدعيم السيطرة العسكرية على البلاد ووضع حد لعمليات المقاومة التي يقوم بها الليبيون ضدهم^(١١). ولم تستطع إيطاليا خلال العشر سنوات الأولى من احتلالها لليبيا أن تحقق ما كانت تصبو إليه من إنشاء مستعمرة أوربية - أفريقية الموقع بحكم ضيق الرقعة الزراعية وعدم رضي السكان الوطنيين، ونقص الخبرة العلمية، فضلاً عن سرعة تغيير مسؤولي الحكم، الأمر الذي يدعو لاعتبار هذه الفترة من عمر المستعمرة فترة تحضيرية^(١٢).

بتولية الكونت فولبي والياً على طرابلس في ٣ آب ١٩٢١، بدأت فترة إعادة احتلال ليبيا بشكل عملي، وتعتبر فترة ولايه فولبي التي استمرت لأربع سنوات مرجعاً أساساً للوقوف على حقيقة استراتيجية الفلسفة الاستعمارية الإيطالية في مرحلة التحول من النظام الليبرالي الى الحكم الفاشي، والتي اعتبرت دليلاً على استمرارية العهدين، وكنموذج لاستعمار زراعي استيطاني ينفذ عن طريق مستعمرين إيطاليين بدعم من الحكومة الإيطالية^(١٣).

ربط فولبي بين عملية بسط السيطرة العسكرية على ليبيا وتعزيز عملية الاستيطان وتنمية المجالات الزراعية في آن واحد، فقد أصدر فولبي عدة تشريعات لكي يتمكن الإيطاليون من الحصول على الأراضي الزراعية في المستعمرة، ليتخلّى

فولبي عن الحكم في منتصف ١٩٢٥، بعد أن قدم كل ما بوسعه لتنمية ليبيا وفتح مجال امام نهضة زراعية كبيرة^(١٤).

تولى الجنرال دي بونو حكم المستعمرة خلفاً لفولبي، لكي يسرع الخطى لاستكمال السيطرة على ليبيا كما كان يريد لها مخططو النظام الفاشي في روما، وكان على دي بونو أن يقتطع مزيداً من الأراضي، وإيجاد حلول للصعوبات التي كانت قائمة، وتوفير الجو الملائم لإنجاز مشروعات التنمية وتوسيع عمليات الاستيطان^(١٥). ولكن اشتداد حركة المقاومة الليبية ضد الوجود الايطالي جعل السلطات الايطالية تعتمد سياسة البطش لقمع هذه المقاومة ومحاولة القضاء عليها، ومن أجل ذلك استعانت بالجنرال رودولفو غراتسياني للعمل على قمع المقاومة الليبية وإخمادها، إذ كان غراتسياني من القادة الخبراء بشؤون المستعمرات وكان أشدهم قسوة، ولقد تكونت لديه هذه الخبرة بداية ١٩٢١ من خلال المهمات التي كلف بها^(١٦) تحملت الحكومة ووزارة المستعمرات، ووالي المستعمرة وما طرحته الصحافة الاستعمارية التي شكلت كتلة مع مساعيه لابتكار الوسائل الفاعلة للقضاء على المقاومة حتى وان تجاوزت الطابع الانساني وهكذا ابتدع الخطط الإجرامية التي نفذها غراتسياني في ليبيا، عندما كان الأخير هو المنفذ الفعلي لعملية الإبادة التي تعرضت لها ليبيا^(١٧) ففي الوقت الذي قرر فيه فولبي احتلال قصر احمد^(١٨) (بمصراته)، خوفاً من قيام دولة موحدة في ليبيا، فضلاً عن قطع الامدادات عن المقاومة الليبية.

أعد حملة عسكرية بقيادة العقيد بتساري Petssari يبلغ تعداد جنودها ألفاً وخمسمائة عسكري، تدعمهم اربع قطع مدفعية جبلية وأربعة وثلاثون مدفعاً رشاشاً وثمانى عشرة قطعة بحرية، وأحاط تحركات هذه الحملة بالسرية التامة^(١٩)، لكي يحقق عنصر المفاجأة تجاه رجال المقاومة.

أنضم غراتسياني وفولبي لهذه الحملة، واتخذ الاخير من السفينة البرازيلية التي رست امام ميناء قصر احمد في ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٢، مقراً لقيادته، وفي الساعة السادسة مساءً تقريباً نزلت طلائع الجنود الايطاليين والإريتريين الى الميناء واحتلوا

حصنها وقبضوا على حراسها قبل أن يتمكنوا من إبلاغ قياداتهم بهذا الهجوم واستمر الانزال حتى الساعة الثالثة والنصف مساءً، تحت غطاء من مدفعية القطع البحرية الإيطالية قبالة سواحل الميناء وتمكن الإيطاليون من احتلال منطقة واسعة من الشريط الساحلي^(٢٠).

سرعان ما انتشر خبر الاحتلال الإيطالي للميناء في جميع أنحاء مصراتة^(٢١) والمناطق المجاورة لها، وهو ما دفع قيادة عملية مقاومة الإيطاليين بعد أن وصلت أخبار الهجوم إليها إلى عقد اجتماع مع كبار القادة والضباط في حيثان الواقعة على مقربة من ميناء قصر أحمد، لتدارس الموقف، وتقسيم القوات المدافعة إلى مجموعات يرأس كل منها شيخ، عدا قوات الجيش النظامي فقد كانت بقيادة ضباطها والقيادة العامة للقوات المقاومة الليبية ترأسها محمد سعدون السويحي^(٢٢) (١٨٩٣-١٩٢٣).

وصلت المقاومة الليبية من الخمس^(٢٣) والبعض من زليتن ودواخل مصراتة وسرت، أدت تلك التحشيدات إلى إعلان حركة مقاومة شاملة من الزاوية غرباً إلى سرت شرقاً^(٢٤) بالرغم من تفوق القوات الإيطالية بالعدد والعدة، لذا لم يتمكنوا من توسيع رقعة المنطقة التي احتلوها وطلب العقيد بتساري من الجنرال غراتسياني، الذي كان يراقب سير العمليات مع فولبي، الموافقة على استقدام المزيد من الدعم العسكري والبحري من طرابلس لمواجهة المقاومة الليبية^(٢٥).

بعد وصول الامدادات العسكرية الإيطالية للمنطقة يوم السبت الموافق ٢ شباط ١٩٢٢ التي وصلت إلى ما يقرب من ٢٧٢٥ جندياً وعدة قطع بحرية منها بارجة الملك عمانوئيل الثالث التي عدت حينها من أكبر القطع البحرية العاملة في ليبيا، وبعد هذه التحشيدات بدأت القوات الإيطالية بالاشتباك مع المقاومة الليبية في عدة معارك^(٢٦) وواصل الليبيون قتالهم حتى وصلت المعارك إلى استخدام الأسلحة البيضاء، وأجبرت الإيطاليين على الانسحاب بالرغم من سقوط ٢٣ قتيلاً من الليبيين^(٢٧).

استمر القتال بين الطرفين بشكل يومي بين الكر والفر، حتى يوم السبت الموافق ٩ شباط ١٩٢٢ وهي المعركة الكبرى التي حشد فيها الإيطاليون كل إمكانياتهم

البرية والبحرية، واشتباك الطرفان في معركة حامية الوطيس بدأت من الصباح الى ما بعد العصر وتراجعت القوات الإيطالية بعد أن منيت بخسائر كبيرة في الارواح بلغت ١٣٩ قتيلاً، و٣٢٨ جريحاً ودمرت معدات عسكرية كثيرة، بالمقابل خسر الليبيون ٢٠٠ شهيد، ٣٠٠ جريح^(٢٨) نتج عن تلك المعركة، انسحاب جزئي للمقاتلين الليبيين الى منطقة سيدي رزوق، وانتشرت المقاومة المسلحة في المنطقة الغربية المحتلة، وعبر الثوار عن ذلك بقطع خطوط السكك الحديدية في كل من زاوية، وجنزور والعريزية، وحصار هذه الاماكن واستخدم الايطاليون سبل المروغة، بناءً على تعليمات غراتسياني بأن طلبوا وقف القتال والهدنة، بحجة الحوار للوصول الى هدنة بين الطرفين وذلك لكي يتمكن الايطاليون من تثبيت اقدامهم في منطقة قصر احمد واستكمال تجهيزاتهم^(٢٩).

وافق على اقتراح غراتسياني كل من **احمد السويحلي**^(٣٠) (١٨٨٠-١٩٦٢) وهو من اهم الوطنيين الليبيين المتنفذين حينها وأحد الرؤساء الاربعة للجمهورية الطرابلسية {الحكومة الوطنية لطرابلس الغرب} و**أحمد المريض**^(٣١) (١٨٧٥-١٩٤٠)، لاجادته اللغة الإيطالية وكذلك فنون التفاوض وباعتباره رئيس هيئة الاصلاح المركزية^(٣٢) وتم إعلان الهدنة مؤقتاً على أن يحدد مكان الاجتماع بين الطرفين بعد قبول موافقتهما عليه

بدأت المفاوضات يوم ٢٥ أذار ١٩٢٢ وانتهت في ٧ نيسان بعد أن عقد المفاوضون أربع جلسات عمل، تخللتها مباحثات مطولة ومكثفة، ترأس الجانب الليبي أحمد المريض، وعن الجانب الإيطالي **بيلا Bella**، ممثلاً عن فولبي، ومساعد رابكس Rapex مترجماً^(٣٣).

تقدم الجانب الليبي بشروطه التي تمثلت في أن يتحمل الجانب الإيطالي مسؤولية الهجوم على قصر أحمد، وقبول الصلح شرط سحب القوات التي دخلت قصر أحمد، وقبول مقررات مؤتمر غريان وسرت بإقامة حكومة وطنية مستقلة بزعامة رجل مسلم والغاء كل الاتفاقيات السابقة في غرب البلاد وشرقها^(٣٤).

جاء رد الجانب الإيطالي المتمثل بفولبي برفض فكرة إقامة حكومة وطنية موحدة في ليبيا وعدم قبول تخفيض حجم القوات الإيطالية في قصر أحمد والإصرار على التخلي عن المقاومة الليبية ضد القوات الإيطالية ونزع سلاح المقاومة وتسليمه للإيطاليين، وتسريح العناصر المسلحة، وهكذا لم تتفق وجهات النظر بين الليبيين والإيطاليين، فكان الجانب الليبي متمسك بشروطه ومقررات مؤتمر غريات وسرت والمطالبة بالاستقلال، ما أدى الى أخفاق المفاوضات.

أفاد الجانب الإيطالي من مدة المفاوضات التي قاربت الشهر في تجهيز قواته، بينما بقيت قوات المقاومة الليبية كما هي، نتيجة عدم وصول الإمدادات من السلاح والتموين من المنطقة الشرقية^(٣٥). وما لبث ان استعد كل فريق لاستئناف الحرب فحشدت القوات الإيطالية قوات يقرب حجمها من ستة آلاف جندي مسلح بأحدث أنواع الأسلحة للهجوم على الأماكن الرئيسة في منطقة الزاوية والعريضة، بعد أن كان الاحتلال مقصوراً على مدن طرابلس والخمس وزوارة وقصر احمد وكان الاتصال يتم بينهم عن طريق البحر المتوسط^(٣٦) وهذا ما نلاحظه من الاحتلال الإيطالي الذي كان يركز اهتمامه في السيطرة على الموانئ والمراكز الحدودية لمنع الاتصال بين إقليمي برقة وطرابلس وعزل كل منطقة عن المناطق الأخرى وفرض الحصار على حركة المقاومة الوطنية، وضربها ثم القضاء عليها. وهذا ما سنكملة في الفقرة التالية.

ثانياً: غراتسياني والعمليات العسكرية في منطقة القبلة

نيسان ١٩٢٢ - ايار ١٩٢٤

ركز الإيطاليون عملياتهم العسكرية على المنطقة الغربية حول الساحل، ثم الاتجاه نحو الجبل الغربي، ثم الزحف شرقاً نحو ترهونة والخمس وزليتن ومصراتة، ثم التوجه الى بني وليد^(٣٧) والواحات، ثم القبلة، (لربط المنطقة الغربية بالمنطقة الشرقية والقضاء على المقاومة في الجبل الاخضر)^(٣٨) وفي سبيل مواجهة المقاومة الليبية،

قامت القيادة الإيطالية بدفع قواتها المسلحة الى ثلاثة محاور، المحور الأول تمثل بقوات الجنرال غراتسياني، من زوارة الى الزاوية، أما المحور الثاني فتمثل بقوات كوتوري Coutori من سيدي بلال نحو الزاوية من جهة جنزور أما المجموعة الثالثة من القوات الإيطالية البحرية والمحمولة على البارجة روما Rome فكانت لتعزيز القوات البرية من جهة البحر في منطقة مرسى ديلة^(٣٩).

تعرضت القوات الإيطالية في عملية تقدمها لضربات المقاومة، واشتبكت معهم في عدة معارك مثل قرقوزة في السابع من نيسان ١٩٢٦ على مشارف الزاوية، واستعانت القيادة العسكرية الإيطالية بالقوات الجوية لضرب تجمعات المقاومة بالقنابل والمدافع الرشاشة، وأمام هذا الضغط العسكري الإيطالي غير المتوقع، اضطرت المقاومة الى التراجع نحو منطقة بئر الغنم والعزيزية، وأستطاع الإيطاليون بعد ذلك السيطرة على منطقة الزاوية خلال الفترة من ١٤ - ٢٦ نيسان ١٩٢٦^(٤٠).

لم تبق المقاومة الليبية مكتوفة الايدي فقامت بفرض حصار حول العزيزية، وقطعت خطوط السكة الحديدية الموجودة فيها، مما اضطرت القيادة الإيطالية لدفع قوة عسكرية مكونة من أربعة ألوية لفك هذا الحصار^(٤١) وتكونت هذه القوات من قوات الجنرال كوتوري مجهزة بمائتي بندقية وثمانين حصاناً، وأربع قطع مدفعية، أما قوات العقيد جالينا Galina فقد تكونت من ألف وأربعمائة جندي ومئة حصان، ومئتين وخمسين من الهجانة، وأربع قطع مدفعية، أما قوات الرائد رامود Ramod فضمت ثلاثمائة فارس^(٤٢).

أستطاعت القوات الإيطالية في يوم ٣٠ نيسان فك حصار العزيزية وتراجعت المقاومة الليبية الى بئر أعبازه وسيدي السائح وبئر الغنم، حيث دارت معارك ضارية أستخدم الإيطاليون فيها الطيران في محاولة منهم لإبادة أكبر عدد من الليبيين^(٤٣) بعد ان عجزوا عن ملاقاتهم في الصحراء بالقوات العسكرية التقليدية، واعادة تجميع قواتهم وتمركزوا حول مشارف ترهونة والقرة بوللي وغريان^(٤٤).

قيم غراتسياني نتائج العمليات العسكرية الايطالية للسيطرة على الساحل بالقول " إن هذه العمليات الحازمة السريعة كانت تهدف الى اعادة السيطرة على أرض في غاية الاتساع، ولقد فهم العرب انهم يقفون امام عدو جديد له روح جديدة أوجدتها الانتصارات الكبيرة التي أحرزناها ... لقد ادرك العرب انهم يواجهون عدواً يستعمل طرقاً وأساليب جديدة فهو لا يكتفي بالوقوف عند حد اطلاق النيران ... وليس هناك ما يجعله يتحول عن اغراضه ونواياه او يمنعه من ان يهاجم عدوه بسرعة ودون هuada، وكان صغار القادة من كافة الرتب يعملون بحزم وهمة شديدة بلا قيود عليها " ^(٤٥) ويلاحظ من هذا التقييم ان غراتسياني قد تسلطت عليه روح الاستعلاء والعظمة، والتهجم على المقاومة الذين يدافعون عن حقهم المشروع ضد الاحتلال والقضاء عليه.

بعد ان استطاع الايطاليون بسط سيطرتهم على الشريط الداخلي، قاموا باحتلال منطقة الجبل الغربي في محاولة منهم لتطويق المقاومة والقضاء عليها، حيث كانت قوات المقاومة موزعة من مصراتة شرقاً الى اقصى الجبل الغربي غرباً ^(٤٦).

أستندت استراتيجية الايطاليين الى مشاغلة قوات المقاومة الليبية في اشتباكات مستمرة على طول الجبهة لمنعهم من التجمع والتركيز على نقطة معينة مع التحرك السريع والهجوم على طول خط القتال ضد مواقع المقاومة وفكر الايطاليون في اعادة البربر الى منطقة الجبل الغربي، حيث كانوا من اللاجئين على الشاطئ ^(٤٧) في الوقت الذي سيطر العرب على كامل الجبل الغربي من يفرن الى نالوت وكانت طرق الامدادات مفتوحة مع تونس عن طريق وازان والجوش وكان محمد خليفة فكنيني ^(٤٨) (١٨٥٩-١٩٥٠) مستشار الحكومة الليبية السابق (حكومة مصراتة الوطنية) ^(٤٩) ييسر سيطرته على كل مكان، بمساندة كبار زعماء الزنتان والحراية والصيعان وزعيم يفرن واصبحوا يشكلون تهديداً للقوات الايطالية ^(٥٠) وهكذا بدأت العمليات العسكرية في منطقة الجبل الغربي والتي قسمت الى ثلاث مراحل، الأولى إعادة احتلال جبل نفوسة وفساطو، والثانية احتلال الجبل الأوسط (يفرن) ^(٥١)، اما الثالثة فتمثلت فاحتلال غريان.

بدأت عمليات المرحلة الاولى في ايار ١٩٢٢، واشتركت فيها القوات على النحو التالي: قوات بقيادة غراتسياني عدتها ثلاثة الاف وخمسمئة جندي وثلاثمئة وخمسون فارساً، وأربع قطع من المدفعية، وقوات بقيادة بتساري عدتها الف وستمئة جندي ومئتا فارس واربعة مدافع، وقوات جالينا عدتها الف واربعمئة جندي، واخيراً قوات بقيادة بيللي Peilli عدتها الف واربعمئة جندي ومائة فارس وأربعة مدافع^(٥٢).

أسند العمل الرئيس الى قوات غراتسياني الذي كان عليه أن يحتل الجوش أولاً، ثم العمل على إعادة أهالي نالوت وفساطو الى الجبل الغربي بالتحرك من زواره، وكان على القوات الاخرى القيام بمهامها بمساعدة قوات غراتسياني، فكان على قوات بتساري الموجودة في بئر الغنم اشغال الليبيين الموجودين في منطقة جبل يفرن ومحاولة تشتيت جهودهم بينما تقوم قوات بيللي من قاعدتها بالعززية بإشغال المقاومة في غريان، وان تكون على مقربة من جناح قوات بتساري الايسر، وتؤدي واجبها الاساس في حماية القوات الرئيسة المتمثلة بقوات غراتسياني^(٥٣).

بدأ غراتسياني عملية احتلال الجبل الغربي، للقبض على خليفة بن عسكر^(٥٤) (١٨٨٤-١٩٢٢) خوفاً من انقلابه عليه وفعلاً قبض عليه يوم ٢٨ ايار في الوطية وسرعان ما دبر غراتسياني اجراءات محاكمة صورية له، قضت بإعدامه في ٣٠ ايار ١٩٢٢^(٥٥) وما لبث ان استبعد ايضاً القوات الموالية لابن عسكر من صفوف القوات المهاجمة للجبل الغربي، بعد انقسامها الى مقاومة الوجود الايطالي وموالية لها، حتى يتجنب رد فعلهم حيال اعدام زعيمهم، والتوجه من زوارة الى الجوش عن طريق الوطية لشن هجوم ساحق على قوات المقاومة الليبية هناك^(٥٦).

من جهتها وضعت المقاومة الليبية بقيادة محمد فكيحي خطة مضادة لتحركات الايطاليين بالانتشار في المنطقة الواسعة بين شكشوك شرقاً الى الجوش غرباً بمسافة خمسين كيلو متراً، وقاموا بردم ابار سواني الحمراء وسواني الكردي وتمركزوا حول سواني الوجيم والجوش وشكشوك لمفاجأة الايطاليين في حال هجومهم على هذه

الاماكن، ولما وصلت قوات غراتسياني الى منطقة سواني الكردي وسواني الحمراء لم تجد الماء وأصابها العطش فتمكن رجال المقاومة من إيقاع الهزيمة بهم^(٥٧).

وصف غراتسياني عملية زحف القوات الايطالية على الجوش وما صادفها من عطش نتيجة ردم المقاومة لآبار المياه وعدم اتخاذ الاحتياطات اللازمة لحمل الماء الكافي لهذه القوات، واعترف صراحة بالوضع الخطر الذي آلت إليه وضع القوات الايطالية، على الرغم من حالة الاستعلاء والغرسة التي أشتهر بها في كتاباته وتحليلاته للعمليات العسكرية الايطالية ضد المقاومة.

أضطر غراتسياني بما بقي معه من قوات الى حفر الابار لكي يتمكن جنوده من الحصول على الماء اللازم له وظل في موقعه بسواني الكردي مدة تسعة ايام، وطلب فيها مزيداً من الامدادات حتى يتمكن من مواصلة زحفه نحو الجوش، وما ان وصلت له الامدادات حتى قام بالهجوم على الجوش في يوم ١٢ حزيران، وتصدت له قوات المقاومة في معركة حامية، انتهت بانسحاب المقاومة جنوباً باتجاه الجبل، واستطاع الايطاليون فرض سيطرتهم على المنطقة، وبعد ستة ايام من معركة الجوش احتل الايطاليون السلامة في يوم ١٨ حزيران ثم جادو في ١٩ حزيران ١٩٢٢، ثم نالوت في يوم ٦ تموز حيث رفع كورو Couro قائد القوات الايطالية التي دخلت المدينة العلم الايطالي على سارية القلعة القديمة بها في الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم^(٥٨). تم الاستيلاء على الجبل الغربي كله من جادو الى نالوت في مدة تقرب من شهر ونصف الشهر، وتراجعت المقاومة الى ناحية الجنوب الشرقي^(٥٩) ويذكر غراتسياني عمليات احتلال القوات الايطالية للجبل الغربي ويجملها بما يأتي:-

- ١- قرار اهالي الصيعان والحراية الاستسلام النهائي وتسليم اسلحتهم بعد تردد طويل.
- ٢- تعجيل عودة عائلات نالوت وفساطو البربرية الموالية للإيطاليين أفراداً او جماعات من الوطنية الى اقاليم كاباو وجادو، ووضعت تحت الحماية الايطالية والاعتماد عليها في حال هجوم القوات العربية عليها.

٣- امكان الاتصال عن كثب بأهالي يفرن والتأثير فيهم، ويؤكد غراتسياني ان الحكومة الايطالية حصلت على تأكيدات من الاهالي بالإخلاص لها من (الريانية قصر الحجيرة الاصابة المشاشي واولاد يوسف وغيرهم).

٤- مراقبة الحدود التونسية، ومن ثم منع التهريب حتى سفح الجبل.

٥- تثبيت السكان الذين خضعوا للسيطرة الايطالية.

٦- ازدياد امكانية التقدم نحو يفرن، وغريان كيفما ارادت الحكومة الايطالية ذلك ومتى قررته^(٦٠).

ذكر غراتسياني وفي السياق نفسه نتائج العمليات العسكرية لاحتلال الجبل، بشيء من التهويل والمبالغة ما حققه من نتائج وتناسى عدم التوازن بين القوتين بالعدد والعدة ونوعية الاسلحة بين القوات الايطالية وقوات المقاومة الليبية^(٦١) وفي يوم ٤ تموز اصدر الوالي فولبي مرسوم رقم ٦٤٢ بإنشاء منطقة الجبل الغربي العسكرية، وأسندها لغراتسياني، ووضع تحت ادارة هذه القيادة جميع اراضي الجبل الغربي من نالوت الى غريان واراضي القبلة من غدامس الى مزدة^(٦٢) وكان الهدف من هذا التنظيم السياسي والمدني أن يمتد الاحتلال نحو الجهة الشرقية، وقد نجح غراتسياني في تنفيذ الخطط الايطالية وتوجيهات فولبي بالسيطرة على المنطقة واعادة تنظيمها من جديد عبر سياسته في استمالة بعض مشايخ القبائل وتجنيدهم لحسابه^(٦٣).

بعد مرور ما يقرب من أربعة اشهر من احتلال غراتسياني للجزء الغربي للجبل، قامت القوات الايطالية بالزحف من العويثية بقيادة غراتسياني بالتعاون مع القوات الايطالية القادمة من العزيزية نحو ام الجوابي في ٢٩ تشرين الاول ١٩٢٢ للهجوم على قوات المقاومة الليبية المتمركزة في منطقة يفرن (قصة سفيط وأم الجرسان) بقيادة (الشيخ احمد السني وعون سوف وعبد الله تامسكت وغيرهم)^(٦٤) واشتبكت القوة الاولى التي يقودها غراتسياني مع المقاومة في ام الجرسان في معركة عنيفة لم يستطع الايطاليون بعدها التقدم نحو قصبة سفيط الا في اليوم التالي في ٣١ تشرين الاول بعد معركة حامية تصدت فيها قوات المقاومة للقوات الايطالية^(٦٥)

واستطاع غراتسياني احتلال قصبة سفيط بقواته التي بلغت ما يقرب من أربعة الاف جندي من الإرتيريين والمجندين الليبيين والإيطاليين يعاونهم ثلاثمائة فارس تدعمهم أربعة مدافع فضلاً عن قوة تتكون من خمسمائة مقاتل غير نظامي ترافقها تشكيلات من قوات يوسف خريش^(٦٦) وبمعركة ام الجرسان وقصبة سفيط مهد غراتسياني الى سقوط يفرن واحتلالها، مما اجبر حركة المقاومة على التراجع الى مدينة غريان ومزدة واندفع غراتسياني الى متابعة الزحف لاحتلال غريان^(٦٧).

نتج عن احتلال يفرن ان قطعت طرق المواصلات بين شرق المنطقة وغربها وتكبدت المقاومة الليبية خسائر، في الوقت الذي زاد فيه اصرار الايطاليين على ملاحقه قوات المقاومة في المناطق التي انسحبت اليها، مع مواصلة غراتسياني في الوقت نفسه سياسة فرق تسد لإحداث شرخ كبير في المقاومة^(٦٨) وعلى اثرها استطاعت القوات الايطالية ان تفرض حصاراً على مدينة غريان، وبعد اتفاق غراتسياني وبتساري على الالتفاف حول هضبة ابو غيلان، احدى قرى غريان، وهو ما دفع قادة المقاومة الى الانسحاب الى مناطق اكثر امناً، وامام هذه التطورات ونتيجة لزيادة الضغط الذي احدثته القوات الإيطالية على غريان، قرر قائد المقاومة الليبية في المدينة هادي كعبار^(٦٩) (١٨٧٧-١٩٢٣) تسليم المدينة بعد ان تسلم رسالة من غراتسياني تطالبه بتسليم غريان دون قيد او شرط، لكن رضوخة لم يمنع الاخير بإلقاء القبض عليه، ليتم إعدامه فيما بعد^(٧٠).

بعد سقوط غريان وجه غراتسياني قواته نحو تrehونة، حيث يوجد مقر هيئة الاصلاح المركزية، ومعقل المقاومة بتحشيد ما يقرب من تسعة الاف جندي لتطويق المنطقة، واحتلال تrehونة ووزعت القوات على النحو التالي: قوات العقيد بتساري قوامها ٣١٠٠ جندي يعاونها ٣٠٠ فارس و ٤ مدافع تتحرك من تاجوراء باتجاه الساحل ومهمتها احتلال مسلاته، اما قوات الجنرال غراتسياني التي يبلغ تعدادها ٣٧٠٠ جندي يدعمها ٣٥٠ فارساً و ٤ مدافع من غريان الى وادي ديف وقوات العقيد بيللي التي يبلغ

تعدادها ١٤٠٠ جندي و ٢٠٠ فارس تتقل من العزيرية نحو هدفها سيدي الملح وفم ملغة وابو عقوب^(٧١).

تنفيذا للخطة المرسومة بدأت القوات الإيطالية بالهجوم على قوات المقاومة من ثلاث جهات لاحتلال ترهونة والمناطق المحيطة بها، بوقت واحد في ٢٩ كانون الثاني وأوائل شباط ١٩٢٣، لتخوض أربع عشرة معركة ضد القوات المقاومة الليبية التي قدمت أكثر من ٤٠٠ شهيد، مقابل تكبد القوات الإيطالية خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات، لتتسحب بعدها بقيادة المقاومة الليبية (هيئة الإصلاح المركزية) من ترهونة بعد احتلالها إلى سرت^(٧٢) أما قوات المقاومة الموجودة في منطقة الخمس، فقد هاجمتها القوات الإيطالية بمختلف الأسلحة، وفي مقدمتها الطيران، واشتبك الطرفان في عدة معارك في راس الحمام والقصار ووادي كعام وسيدي صالح في يومي ٢١-٢٢ شباط ١٩٢٣، وما لبث أن تقدم الإيطاليون نحو زليتن واحتلوها واتخذوها مركزاً متقدماً للهجوم على مصراتة والمناطق المحيطة بها^(٧٣).

في أثناء محاولة الليبيين تجميع فصائلهم المنسحبة من المناطق الجبلية والساحلية، رصدت القوات الإيطالية هذه التجمعات في منطقت سدادة، ودفعت بقوة مكونة من ١٣٠٠ جندي، يساندها ٢٠٠ فارس، ويدعما الطيران إلى المنطقة واشتبك الطرفان في معركة سواني المشترك في يوم ٤ أيلول وتمكن الإيطاليون من قتل قائدهم محمد سعدون ومئة وخمسين من رفاقه^(٧٤) وزحف الإيطاليون نحو بني وليد لاحتلالها والقضاء على مركز القيادة الليبية المتمركزة بها، ودار حولها قتال عنيف لمدة ثلاثة أيام، وفي يوم ٢٨ كانون الأول سقطت بني وليد ودخلها الإيطاليون لتتسحب المقاومة الليبية نحو القبة^(٧٥).

في السياق نفسه حاول الليبيون تجميع قواتهم وتنظيمها لتوحيد صفوفهم، ولأسيما أن العمليات العسكرية الإيطالية في الأراضي الليبية أخذت ابعاداً جديدة، بإحداث تفوق واضح على القوات الليبية وبدأت تسعى نحو احتلال المنطقة الشرقية من البلاد، والعمل على احتلال اجدابيا، في الوقت الذي عرضت المقاومة الليبية في

طرابلس الامارة على محمد إدريس السنوسي^(٧٦) (١٨٩٠-١٩٨٣) وسلمت له البيعة في محاولة اخيرة لتوحيد جهود المقاومة، ولكن ذلك جاء بعد فوات الاوان فالإيطاليون قد احتلوا كامل الاراضي الساحلية والجبل الغربي ولم يتدخل ادريس، ولم يطبق ميثاق سرت، بل وقف على الحياد، وهادن ايطاليا مدة سبع سنوات ١٩١٥-١٩٢٣ رغم مبايعة الناس له وفضل السفر الى مصر في كانون الثاني ١٩٢٣ وبوصول ادريس السنوسي الى مصر، بدأت مرحلة جديدة من مراحل الجهاد الليبي^(٧٧).

تقهقرت قوات المقاومة الليبية، بعد ان احتل الايطاليون منطقة بني وليد وما حولها الى القبلية^(٧٨) وبعد معارك طاحنة حدثت في يفرن وغريان وترهونة ومصراته وورقلة، اعطيت الاوامر للقوات الايطالية بالتوجه نحو القبلية وقد خطط الايطاليون للزحف على منطقة القبلية بان استولوا على سيناون غدامس مزدة الجفرة ثم فزان، وبهذا المخطط تفادى غراتسياني الاخطاء التي وقع فيها ميانى Maiani اثناء حملته على فزان في السنوات الاولى من الاحتلال ١٩١٤، حيث اتجه ميانى الى فزان مباشرة من مصراته الى طريق بوقرين ثم بونجيم، بعدها الى الجفرة ومنها الى فزان^(٧٩) وبعد وصوله الى فزان قطعت المقاومة عليه خط الرجعة وهزم ميانى هزيمة نكراء، ولذا حاول غراتسياني تجنب الوقوع في مثل هذا الخطأ بدراسة متأنية لطبيعة المنطقة والطرق الموصلة اليها، والاستعانة بسلاح الطيران في توجيه حملته^(٨٠).

حاول غراتسياني جهده تجنيد العملاء والجواسيس بعد استماله بعض ضعاف النفوس من سكان القبلية، قبل ان يقدم على اقتحامها عسكرياً، حتى لا يفقد رجاله ومعداته، اذ كان بالإمكان احتلال هذه المناطق سلمياً بدون إراقة دماء، ولكن لم يحالف الحظ غراتسياني في استمالتهم، ولذلك قرر ارسال حملة عسكرية لاحتلالها، بلغ قوامها ما يقرب من الف جندي اغلبهم من الإريتريين والمجندين الليبيين الموالين له مكونة من مائتين واربعين رجلاً محملاً بالعتاد والذخيرة والمؤن^(٨١) وما ان تم تجهيز هذه الحملة حتى اتجهت هذه القوات في اوائل شباط ١٩٢٤ الى مناطق سيناون وغدامس، واصطدمت بالمقاومة الليبية في عدة معارك غير متكافئة، كان من نتيجتها تمكن

الايطاليين من احتلالها، ثم توجهت القوات الايطالية بعد ذلك لتعقب قوات المقاومة ومحاصرة تجمعاتهم في الطابونية والقريات والعمل على انائها، لما تشكله من تهديد دائم للقوات الايطالية في المناطق الشمالية حيث وصف غراتسياني هذه التجمعات " بأنها حجرة الانفجار بالنسبة لطرابلس " (٨٢).

أستغلت القيادة الايطالية فرصة غياب اغلبية رجال المقاومة عن ميدان المعركة لجمع محاصيلهم الزراعية في مثل هذا الوقت من العام ولم يتبق لحماية العائلات وبعض الحيوانات سوى ما يقرب من ٥٠ مقاتلاً، لهذا دفعت بقوة عسكرية مكونة من ١٠٠ جندي يعاونهم ١٧٠ فارساً وبعض قطع المدفعية الى الطابونية في محاولة لاحتلالها بقيادة الرائد جاليوني (٨٣) Galioni وقد ادى التباين الواضح بين قوات المقاومة وبين القوات الايطالية الى سيطرة الايطاليين على المنطقة في بداية المعركة ٩ اذار ١٩٢٤، لكنّ الوضع ما لبث ان تغير فقد وصلت مجموعات المقاومة الليبية الموجودة حول المنطقة، وبذلك قويت شوكة المقاومة واشتدت رحى المعركة بين الطرفين من الظهيرة حتى غروب الشمس، انتهت بسقوط اعداد كبيرة من القوات الايطالية، واعوانهم من الليبيين والإرتريين (٨٤) اعتمد الايطاليون في حربهم ضد المقاومة على عملائهم من الليبيين فنجاح عملياتهم يتوقف الى حد بعيد على مدى تعاون هؤلاء العملاء، في تلك المعركة سقط (احمد العياط) احد العملاء الليبيين الذي اندفع في مناصرة الايطاليين، وقد رثاه غراتسياني، إذ قال عنه عقب موته " لو كتب له البقاء لساعدنا كثيراً في حل مشكلة القبلية المضنية " (٨٥).

اعترف غراتسياني بالمقابل بصمود المقاومة الليبية في وجه الايطاليين في هذه المعركة، اذ ذكر ان سالم بن عبد النبي (٨٦) (١٨٦٧-١٩٤٣) وغيرهم من الزعماء الموجودين في القبلية قد اربكوا صفوف الايطاليين، فعندما توقفوا في ام الخيل (٨٧) تعرضوا لهجوم مفاجئ من قوات سالم بن عبد النبي و حمد سيف النصر (٨٨) (١٨٧٧-١٩٥٤) حيث حاصروهم وانقضوا عليهم بكل عنف، وكان من شدة المقاومة تقهقر القوات الايطالية الى حدود جادو تجر اذيال الهزيمة (٨٩) وما ان رجع الرائد جالياني من

الطابونية ووادي الخيل الى جادو حتى شنت القيادة الايطالية حملة اخرى يقودها مورو Muro مكونة من ٣٠٠ من المجندين الليبيين، خرجت من غريان باتجاه مزدة وتخوف الايطاليون من محاصرة المقاومة لهذه القوة فدفعوا بالقوات الجوية الى المنطقة لكي تقطع على المقاومة خط الرجعة فدارت بينهما معركة كبيرة سميت بمعركة مزدة في العاشر من ايار ١٩٢٤^(٩٠).

كبدت معركة مزدة القوات العسكرية الايطالية خسائر كبيرة في الارواح بلغت ٢٩ قتيلاً و ١٥٠ جريحاً بالرغم من التفوق العسكري للإيطاليين في العدد والعدة^(٩١) وعندما عجزت القوات الايطالية عن اخضاع اهالي المنطقة بقوة السلاح لجأت إلى اسلوب الخداع والغش، ومبدأ فرق تسد، فادعت ان سالم بن عبد النبي، ارسل خطاباً الى غراتسياني يعلن فيه ولاءه للحكومة الايطالية، وكان من نتيجة هذه الاساليب، ان استسلمت بعض النفوس الضعيفة امثال الشيخ (احمد شريف المناع)، زعيم اهالي القنطرة من سكان مزدة اللوطية وارتقى في احضان السلطات الايطالية^(٩٢). ولاستكمال القوات الايطالية سيطرتها على كامل الاراضي الليبية في المنطقة الغربية شرعت في تنفيذ مخططها الاستعماري الذي عرف باسم عمليات خط عرض ٢٩ شمالاً^(٩٣).

ثالثاً: غراتسياني ودوره في عمليات خط عرض ٢٩ شمالاً

كانون الثاني - ايار ١٩٢٨ ونتائجها

عرض لوجي فدريزوني^(٩٤) Luigi Federzoni (١٨٧٨-١٩٦٧) وزير المستعمرات الايطالي في ايلول ١٩٢٦، على مجلس الوزراء الايطالي مشروعاً، تضمن القيام بسلسلة من العمليات العسكرية تتم في وقت واحد بواسطة القوات العسكرية الايطالية الموجودة في المستعمرتين الليبيتين (برقة وطرابلس) ترمي الى احتلال جميع الاراضي الواقعة على خط عرض ٢٩ شمالاً، وهو جزء من برنامج ايطالي رمت من

ورائه وزارة المستعمرات مواصلة نشاطها في ليبيا الذي استؤنف منذ عام ١٩٢٢، ومكنها خلال الاعوام (١٩٢٢-١٩٢٧) من اعادة احتلال المناطق المهمة من ليبيا عبر تنفيذ خطط البرنامج المذكور سابقاً^(٩٥).

ففي طرابلس الغرب تم احتلال المنطقة المحصورة بين الحدود التونسية والشريط الساحلي الممتد شرقاً الى سرت، ومن سرت الى غدامس مروراً بمزدة، اما في برقة فقد تم احتلال المنطقة الممتدة بين اجدابيا في الغرب ودرنة في الشرق، ثم طبرق^(٩٦) ومناطق الحدود التونسية- المصرية الممتدة بين البردية والجغبوب، ويلاحظ ان المناطق الساحلية بين اجدابيا وسرت لم تخضع للإيطاليين حتى عام ١٩٢٧، ومن اجل اخضاعها قرر الايطاليون وضع مشروع عمليات خط عرض ٢٩° شمالاً موضع التنفيذ.

تمر دائرة ٢٩° شمالاً عبر الاراضي الليبية في منطقة واحات جالو ومرادة والجفرة ثم عبر الحمادة الحمراء التي تبدو بعيدة عن المناطق الساحلية بعد متوسط، وتمتد بين اجدابيا وسرت - كما اوضحنا سابقاً -، فاحتلال الايطاليين للمناطق الساحلية يمكنهم من حرمان الليبيين من اتخاذ مراكز مهمة على الساحل، وبالتالي يتمكن الايطاليون من مد سيطرتهم على الاراضي الواقعة على خط عرض ٢٩° شمالاً^(٩٧) وتعتبر عمليات خط عرض ٢٩° شمالاً العسكرية من اكبر العمليات العسكرية التي شهدتها الاراضي الليبية منذ الاحتلال الإيطالي لليبيا وكان الهدف منها ضرب تجمعات المقاومة الليبية في المناطق الساحلية الممتدة بين اجدابيا وسرت وربط المنطقة الشرقية (برقة) بالمنطقة الغربية (طرابلس) تمهيداً لوضع البلاد تحت قيادة ادارية موحدة والاتجاه بعد ذلك لتوسيع رقعة الاراضي المسيطر عليها وصولاً الى فزان^(٩٨).

لتطبيق خطة الهيمنة تلك لجأ الايطاليون الى حيلة جديدة لإخضاع القبائل اقتصادياً ففتح الايطاليون اسواق اجدابيا امام اهالي القبائل المغاربة الشماخ، واسواق سرت من اجل استمالة المزيد من الاهالي ونجح الايطاليون في مسعاهم واستطاعوا استمالة بعض مشايخ المغاربة الشماخ، والركون الى سلطة الحكومة الإيطالية والتعامل

معها^(٩٩) وذلك ما سهل على القيادة الإيطالية اتخاذ قرار بدء ما أسمته عمليات خط عرض ٢٩ شمالاً مع بداية ١٩٢٨ وقسمت على ثلاث مراحل.

١- المرحلة الأولى: يتم فيها الزحف على النوفلية - مردومة بواسطة القوات العسكرية الموجودة في إقليم برقة وطرابلس من جهة، وتطهير وادي الفارغ بواسطة قوات برقة من جهة أخرى.

٢- المرحلة الثانية: القيام باحتلال واحتي الجفرة وزلة بواسطة قوات طرابلس ثم احتلال واحات اوجلة ومرادة بواسطة قوات برقة.

٣- المرحلة الثالثة: تهدف الى تطهير منطقة سرت بكاملها التي تشمل النوفلية وزلة ومرادة والعقيلة، وبين سرت وابو نجيم ووادان مع احتلال تاقرفت احتلالاً تاماً^(١٠٠). أدرك غراتسياني ان العمليات العسكرية يجب ان تتم من اتجاهات مختلفة لتسهيل محاصره المقاومة، وارهاب المواطنين المسالمين وتسليم ما بحوزتهم من اسلحة ورأى ان اول نقاط الانطلاق تبدأ من ثمد حسان.

بدأت عمليات المرحلة الأولى بقوات بلغت ثلاثة فيالق موزعة على النحو التالي: الفيلق الأول: بقيادة غراتسياني ويتكون من اربع كتائب من المشاة، الكتيبتين الأولى والرابعة الليبيتين، والكتيبتين الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين الأريتيريتين، مع وحدتين من الوحدات الصحراوية (الثالثة والرابعة) وطابورين من الخيالة السباهين^(١٠١) بقيادة السواري^(١٠٢) ووحدة غير نظامية من قوات الجفرة مع بطاريات مدفعية وقافلة للإمداد والتموين مكونة من ٢٩٠٠ جملٍ تحمل العتاد والذخيرة مع فرقة للخدمات المعاونة^(١٠٣) ليقوم هذا الفيلق بالعمليات العسكرية في منطقة سرت الشرقية والمواجه للمغاربة العريضات وغيرهم بالتعاون مع قوات برقة القادمة من العقيلة وتحركت هذه القوات في ٣ كانون الثاني ١٩٢٨ متجهة الى مردومة وطريق بئر مطراد - النجدية - القرين - النوفلية^(١٠٤).

أما الفيلق الثاني: فكان بقيادة العقيد بنتور Bentore ويتكون من ثلاث كتائب من المشاة، الكتيبة السادسة الليبية والكتيبتين السابعة عشرة والتاسعة عشرة الأريتيريتين

وطابورين من السواري الذي يطلق عليه الطابور الخامس مع طابور من الخيالة وبطارية ليبية من المدفعية وقافلة للإمداد والتموين، وحددت مهمات هذا الفيلق بالقيام بالعمليات العسكرية ضد سواكنة، بحيث لا تتجاوز منطقة بونجيم- الفاطمية، وقد انطلقت هذه القوات من منطقة بئر الوشكة يوم الرابع من كانون الثاني متجهة الى بونجيم^(١٠٥) والسابعة من السواري، ومهمة هذه القوات الاحتياطية التحرك نحو مرسى الحويجة الواقعة في المنطقة المحصورة بين الساحل وخط سير الفيلق الأول والتجمع في منطقة سرت^(١٠٦).

تجمعت قوات إيطالية أخرى في إجابيا مكونة من ثلاث كتائب من المشاة وهي الكتائب الإرتيرية السادسة والرابعة عشرة والخامسة عشرة وثلاث فرق من السواري وهي الفرق الخامسة والسادسة والثامنة فضلا عن فرقة من الهجانة وفرقتين من الجنود الليبيين غير النظاميين مع وحدة رماية إرتيرية محمولة على الخيول وقسم من المدفعية محمولة على الجمال ومجموعة سيارات مصفحة وقافلة من الابل لحمل الامدادات والتموين وكلفت هذه القوات بالتقدم ما بين إجابيا والعقيلة^(١٠٧).

لتبدأ هذه القوات بالعمل من إجابيا في الاول من كانون الثاني ١٩٢٨، اما في العقيلة فقد تواجدت فيها الكتبتان الإرتيريتان الثانية عشرة والسادسة عشرة بقيادة بييترو ماليتي^(١٠٨) Pietro Maletti (١٨٨٠-١٩٤٠) الذي كان ينتظر وصول قوات ماتزيني Matzzini اليه، وبهذا تكون القوات التي اوكلت قيادتها لماليتي مكونة من ثلاث كتائب مشاة، وهي الكتبية الإرتيرية السادسة والثالثة عشرة والسادسة عشرة وفرقة من السواري ووحدة رماية إرتيرية محمولة على الخيول مع قافلة من الابل مكونة من ألف جمل للإمداد والتموين^(١٠٩).

كلفت هذه القوات بالتعاون مع قوات الفيلق الاول، الذي كان تحت قيادة الجنرال غراتسياني- كما اشرنا سابقاً- المنطلقة من ثمد حسان، للطباق على قبائل المغاربة واخضاعهم، وما ان علم صالح الاطيوش^(١١٠) (١٨٧٨ - ١٩٤٨) قائد المغاربة بتقدم الفيلق الاول باتجاه النوفلية حتى امر اتباعه بالانسحاب نحو الجنوب

باتجاه جيفة^(١١١) وبهذا الانسحاب تخلصت المقاومة الليبية من امكانية الوقوع بين فكي كماشة، شكلتها القوات الايطالية بقيادة ماليتي القادمة من العقيلة، وقوات غراتسياني القادمة من ثمد حسان^(١١٢).

أستعانت القوات الايطالية الموجودة هناك بالقوات الجوية التي اخذت تبحث عن تجمعات المقاومة وتحدد اتجاهاتهم وتقصفهم بالقنابل، بعدها اتجهت قوات ماليتي نحو الجنوب في عملية خاطفة لملاحقة المغاربة^(١١٣) وتوغلت هذه القوات لمسافة تقرب من مائة كيلومتر، اشتبكت خلالها مع المقاومة الليبية في معارك عديدة سقط خلالها العديد من الضحايا من كلا الجانبين وبلغت خسائر المقاومة في هذه العملية ٥٣ شهيداً و١٩٤ جريحاً حيث اعدم منهم ١٦٣ فيما بعد وغنمت القوات الايطالية من اسلحة المقاومة ٥٢٠ بندقية و ١١ مسدساً و ٣ قطع من المدفعية و ١٦ مدفعاً رشاشاً و ٢٠٠ قذيفة مدفع، كما واستولت على حوالي ١٠٠ جمل مع ٩٠٠ راس من الاغنام ونهبت القوات الايطالية كميات كبيرة من القمح والشعير وعدة مئات من الخيام^(١١٤). وبهذا تنتهي المرحلة الاولى من المعارك يتمكن القوات الايطالية من فرض سيطرتها العسكرية على المناطق الساحلية.

بعد انتهاء المرحلة الاولى بدأت المرحلة الثانية من المعارك في ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٨ بانطلاق القوات الايطالية من قصر ابي الهادي باتجاه الزيدان ثم ابو انجيم لتلحق بالقوات المرابطة فيها، ومنها تحركت الى واحة الجفرة لملاحقة عناصر المقاومة المتمركزة في تلك المناطق، وتحركت الى جنوب زلة، التي وصلتها يوم ٢٣ شباط ١٩٢٨ واحتلتها^(١١٥). وبعد احتلال زلة اتجه غراتسياني بقواته الى النوفلية في اتجاه الجنوب، وفي الوقت نفس صدرت الاوامر الى قوات ماريوتي Mariotti بالتحرك من النوفلية باتجاه الجنوب بالتزامن مع حركة قوات غراتسياني نحو الشمال وكان الهدف من هذا التحرك الاطباق على قوات المقاومة التي توقع الايطاليون وجودها بين زلة وجيفة والحيلولة دون اتصال قوات المقاومة الليبية بعضها ببعض الاخر^(١١٦).

تحرك ماريوتي بقواته المشكلة من الكتيبة الرابعة الليبية مشاة وسريتين من الكتيبة الأريتيرية السادسة والعشرين مشاة مع وحدة من المدفعية الليبية والفرقة الرابعة من السواري وقافلة للإمداد والتموين، لتتحرك هذه القوات من النوفلية يوم ٢٣ شباط ١٩٢٨ لتخط رحالها في جيفة يوم ٢٥ شباط ثم تابعت السير نحو الجنوب للضغط على تجمعات المغاربة^(١١٧).

أستكمالاً لخطط السيطرة على اوسع المساحات تحركت قوات ايطالية من زلة باتجاه مدوين بقيادة العقيد جالينا وكان تشكيلها يتكون من مجموعة مشاة من الايطاليين على رأسهم جالينا والكتيبة السادسة الليبية من المشاة والكتيبة الخامسة والعشرين الإريتيرية من المشاة ايضاً مع مجموعة راكبة بقيادة الدوق بوللي Pollei ترافقهما الفرقتان الثالثة والرابعة الصحراويتان وخمسون فارساً من السباهيين وكتيبة المدفعية الصحراوية وقافلة من المؤن مع الخدمات الاخرى ومن مدوين استأنف الايطاليون زحفهم حتى وصلوا الى مشارف تاقرت^(١١٨) يوم ٢٤ شباط من العام نفسه^(١١٩).

ترجع اهمية تاقرت للإيطاليين كونها ملتقى طرق القوافل من الشمال والجنوب حيث تقع في نطاق واحات الجفرة في وسط ليبيا وهي محصورة بين خطي طول ١٤.٥ و ١٨.٥ شرقاً، وبين خطي عرض ٢٨° و ٣٠° شمالاً، ولعبت دوراً بارزاً في ربط المناطق الساحلية بالمناطق الجنوبية، فضلاً عن انسحاب رجال المقاومة الى المنطقة الجنوبية منذ بدء عمليات خط عرض ٢٩° شمالاً، لوجود عدة ابار للمياه هناك، وما ان علم رجال المقاومة باحتلال زلة حتى اصبحوا يتوقعون الاصطدام بالقوات الايطالية في اي لحظة^(١٢٠).

سرعان ما وصل خبر تمركز الايطاليين بالقرب من تاقرت حتى هرع رجال المقاومة الى حشد قواتهم تمهيداً لمجابهة الايطاليين وتجميع ما يقرب من ١٣٣٥ مقاتلاً من مختلف القبائل ووزعوا انفسهم للدفاع عن ابار تاقرت وقدروا ان الايطاليين سيبدأون معركتهم من جهة الجغبوب لذا وزع المدافعون قواتهم على النحو التالي :

من الغرب وتقع منطقة القور تولاها مقاتلو نجوع الطبول وفي الوسط مقاتلو القذاذفة وبعض القبائل الاخرى وفي الشرق مقاتلو اولاد سليمان^(١٢١). بينما توزعت القوات الايطالية على النحو التالي:-

القوات الصحراوية والخيالة من الامام وعلى الجانبين ثم فصيل من الكتيبة الليبية السادسة مشاة، كطليعة للاستطلاع تتبعهم الكتيبة الإرتيرية الخامسة والعشرون مشاة، ثم الباقي قوة من الكتيبة الليبية السادسة، وفي الخلف تمركزت مجموعة القيادة، ثم مجموعة المدفعية ثم قافلة الخدمات المكونة من ٣٠٠٠ رجل بحراسها فضلاً عن سائقيها المسلحين وخمسين من رجال الخيالة السباهين وجماعات الجفرة غير النظاميين البالغ عددهم ٣٠٠ فرد^(١٢٢).

احتذى رجال المقاومة وراء استحكاماتهم البسيطة متخذين من طبيعة الارض الصحراوية ساتراً لهم كالكثبان الرملية الصغيرة، أو الاحتماء وراء بعض الاحجار، وحين اقتربت مجموعات الاستطلاع الايطالية من رجال المقاومة، ابتدأ اطلاق النار ونشبت المعركة بسرعة البرق^(١٢٣) ويشير غراتسياني الى ان المعركة نشبت في الساعة الثامنة من صباح يوم ٢٥ شباط ١٩٢٨ واستمر القتال طوال اليوم حتى الساعة الرابعة بعد الظهر، وقد انقسمت الى ثلاث مراحل الاولى من الساعة ٨٠٠ الى الساعة ١١٠٠، اما المرحلة الثانية فاستمرت من الساعة ١١٠٠ الى الساعة ١١٣٠ والمرحلة الثالثة من الساعة ١١٣٠ الى الساعة ١١٦٠٠، اي ان المعركة استمرت ما يقرب من تسع ساعات متصلة^(١٢٤) ويرجع السبب في تقسيم هذه المعركة على ثلاث مراحل الى ان المرحلة الاولى شهدت ضغطاً مكثفاً من قوات المدافعين على القوات الإيطالية، التي بذلت مجهوداً يائساً للسيطرة على المرتفعات التي كانت بيد الليبيين عند الجبهة الشمالية من موقع المعركة، سقط في هذه المرحلة عدد كبير من الضباط الايطاليين نتيجة سيطرة المقاومة على الموقف.

قامت خطة المقاومة في هذه المرحلة على توجيه ضربات امامية وخلفية للعدو مع تركيز الجهد على عمليات التطويق والالتفاف ويصف غراتسياني هذه المرحلة

فيقول " اما العدو الذي كانت تبلغ قواته ١٥٠٠ رجل فقد كان يخرج ويندفع في مجموعات من وراء كل كثيب، ومن بين الاحجار محاولاً تطويق جناحي الكتبية الإرتيرية الخامسة والعشرين والعناصر المتقدمة" (١٢٥) وقد كانت السيطرة للمقاومة في هذه المرحلة ويشيد بذلك غراتسياني اذ يقول " لاحظت ان عدة العدو في ازدياد وانه يهاجم بأقصى عنف "، مما دفع القيادة الايطالية الى دفع المزيد من القوات لمواجهة ضغط المقاومة وانقلب ميزان المعركة لمصلحة القوات الايطالية تبعاً لذلك وبدأت عزيمة المقاومة تضعف امامهم.

اما المرحلة الثانية من القتال، فقد غيرت المقاومة من خطتها الحربية وضغطت بشدة على مسير الجيش الايطالي فقد امطرت المقاومة من قبيلة اولاد سليمان الكتبية الإرتيرية الخامسة والعشرين والحقوا بهم خسائر فادحة في الارواح الامر الذي جعل غراتسياني يأمر بسحب باقي القوات وان يعود لنقطة الانطلاق الاولى لإعادة تنظيم قواته والاستعداد للهجوم مرة اخرى (١٢٦).

اما المرحلة الثالثة فتعتبر اعنف مراحل المعركة، اذ تميزت بالهجوم الايطالي المضاد من اجل السيطرة على الابار والمرتفعات التي تقع تحت سيطرة مقاتلي المقاومة، وقد القى غراتسياني بكامل ثقل قواته لكي يحول ميزان المعركة لمصلحته وللتخلص من صعوبة الموقف، وهكذا انتهت هذه المعركة العنيفة عند الساعة الرابعة مساءً تقريباً بعد ان تمكن غراتسياني من احتلال منطقة الابار وانسحبت المقاومة الليبية باتجاه الجنوب (١٢٧).

أختلفت المصادر الايطالية في تحديد حجم خسائر الجانبين في هذه المعركة فيذكر غراتسياني ان الخسائر تمثلت في مقتل خمسة ضباط وثمانية وسبعين من ضباط الصف والجنود الايطاليين والإرتيريين والمجندين الليبيين (١٢٨)، بينما يحدد أنجيلو بيشولي Angelo Piccoli، ان الايطاليين فقدوا اثنين وتسعين قتيلاً وان المقاومة فقدت خمسمئة رجل ما بين قتيل وجريح ومفقود (١٢٩) بينما تتفق اغلب روايات المقاومة من معاصري هذه المعركة، ان عدد الشهداء بلغ خمسة وثلاثين واثنين

وثمانين جريحاً من المقاومة الليبية، بينما اختلفت رواياتهم حول تقدير خسائر الايطاليين في هذه المعركة^(١٣٠).

من تاقرفت تحرك غراتسياني بقواته صوب النوفلية وفي الطريق مارست القوات الايطالية عمليات السلب والنهب وقتل الابرياء، وقد علل غراتسياني ذلك بانها عمليات تطهير فيقول " انه خلال تلك العمليات وقع في ايدينا خمسون رجلاً وتم الاستيلاء على اكثر من خمسمئة جمل بأحمالها وتم اسر العديد من النساء والاطفال " ^(١٣١).

استمرت عمليات خط عرض ٢٩ شمالاً الى نهاية ايار من العام ١٩٢٨ بقوات بلغت احدى عشرة كتيبة إرثيرية وثلاث كتائب من المجندين الليبيين وسبع فرق من الخيالة بنوعيهما السواري والسباهين ومجموعتين من التشكيلات سريعة الحركة وثمانية وعشرين مدفعاً وفرقتين من السيارات المصفحة وقافلة للخدمات والتموين والنقل^(١٣٢).

استخدم غراتسياني فيها ثلاثمائة من سيارات النقل وعدة الاف من الابل وبعض اسراب الطائرات لتحديد مواقع المقاومة وقصفهم لإبادتهم، اما القوات الاحتياطية المتمركزة في طرابلس الغرب وبنغازي والتي شاركت بصورة فعلية في العمليات العسكرية التي تمت بين مناطق اجدابيا والعقيلة ومردومة ووحدات جالو وأوجله لمهاجمة ادوار^(١٣٣) المقاومة في الجبل الاخضر^(١٣٤).

مع وجود الفارق الكبير بين القوتين فان رجال المقاومة الليبية قد ابلوا بلاءً حسناً رغم التفاوت الواضح في تسليح بين الطرفين، لكنّ رجال المقاومة انسحبوا الى المناطق الجنوبية حفاظاً على استمرار الحركة ضد الايطاليين وفضلوا الاستقرار في المناطق الواقعة بين واو والرملة جنوب غدامس لحين تنظيم الصفوف ومعاودة الكفاح ضد الايطاليين^(١٣٥) ويمكن اجمال نتائج هذه العمليات العسكرية كما يأتي:-

١- احتلال المناطق المحصورة بين الساحل والوحدات الواقعة بالقرب من خط العرض ٢٩ شمالاً (واحات الجفرة، زلة، مرادة، جالو وأوجلة).

٢- انتقال مقاتلي قبائل اولاد سليمان، وورفلة القذاذفة والحسون الى الهرج ومنها الى فزان، الا ان وصول الايطاليين الى فزان فيما بعد جعلهم يواصلون سيرهم الى تشاد بعد معارك عديدة حاسمة اهمها واخرها معركة واو^(١٣٦).

٣- مقتل الكثير من المقاتلين الذي تصدوا للقوات الايطالية خلال تعقبهم لها واسرهم.
٤- ادت هذه العمليات الحربية الى هلاك المئات من المواشي نتيجة قصف الطائرات لهم بالقنابل والرشاشات، كما استولى الايطاليون على الكثير من المؤن والمحاصيل الزراعية التي كانت المقاومة في احتياج شديد لها، فاستخدمها الايطاليون كعلف لدواب القوات الايطالية، أو عن طريق منع المقاومة من جمع محاصيلهم الزراعية وحصادها بالمصادرة او الحرق^(١٣٧).

مثلت معركة تاقرفت معركة فاصلة لعمليات خط عرض ٢٩ شمالاً التي كان الهدف منها توحيد القوى العسكرية الايطالية في شرق البلاد وغربها والسيطرة على منطقة الساحل والوسط والواحات الشمالية التي ظلت لسنوات طويلة تتمتع باستقلالها ويتمتع مقاتلوها بحرية الحركة، لذا استمر دعمهم للمقاومة في المنطقة الشرقية والغربية الامر الذي اربك تحركات القوات الايطالية، ولكن بانسحاب المقاومة الى الهروج والمناطق الجنوبية خسر الليبيون منطقة خليج سرت التي كانت تمثل نقطة الاتصال مع الخارج^(١٣٨).

تأزم وضع حركة الجهاد الليبي بصوره كبيرة، بعد ان احكم الايطاليون حصار البلاد براً وبحراً خاصة بعد زيارة موسوليني لطرابلس عام ١٩٢٨ والتصميم على انتهاء حركة المقاومة الليبية بكل الطرق والوسائل مهما بلغ الثمن^(١٣٩) وتفاقم الظروف المعيشية التي كان يعيشها الليبيون وتراجع قدراتهم القتالية، اذ كان على الرجل الليبي ان يمارس حياته العادية من زراعة وتجارة ورعي، و مع حمل السلاح ويكون مستعداً على الدوام للقيام بما يتطلبه الواجب الوطني، ولكن استطاعة الايطاليين ان يحصروا المقاومة داخل منطقة حدود فزان ومنطقة الواحات الشرقية والجنوبية الشرقية مما سهل عليهم مطاردتهم في المرحلة الثالثة من العمليات العسكرية والتي تمت بعد

تأقرفت (١٩٢٨-١٩٢٩) وتمكنت بواسطتها القوات الإيطالية من بسط سيطرتها على أغلب المناطق^(١٤٠) وبهذه العمليات تم عزل منطقة الجبل الأخضر وحصر العمليات العسكرية فيه.

قائمة الهوامش:

سأذكر هنا المعلومات كاملة عن المصادر حين وروده أول مرة مما يغنيها من إعداد قائمة للمصادر.

(١) للمزيد والاطلاع عن مؤتمر برلين. انظر:

Michael G. Fry And Atal, Guide To International Relation And Diplomacy Continuum, London, 2002, p. 141;

إنس ابراهيم خلف، أزمة البوسنة والهرسك، بغداد، ٢٠٠٤، ص ١٩-٢٣.

(٢) للمزيد عن موقف الدول الأوروبية من الاحتلال الإيطالي لليبيا. انظر:

سامي هاشم خيالة، موقف الدول الأوروبية من الحرب الإيطالية - الليبية ١٩١١-١٩١٢،

اطروحة دكتوراه غير منشورة كلية العلوم السياسية، جامعة سانت كليمنتس، بغداد، ٢٠١٠.

(٣) معاهدة أوشي - لوزان: وهي المعاهدة التي تعهدت فيها الدولة العثمانية وإيطاليا بإيقاف الحرب،

فتعهدت الأولى بسحب قواتها وموظفيها من طرابلس وبرقة مقابل أن تتسحب الأخيرة من الجزر

التركية التي احتلتها. ومن جانب آخر أعلن السلطان العثماني استقلال ولايتي طرابلس الغرب

وبنغازي بينما أكدت إيطاليا خضوع الولايتين لها، للتفاصيل. أنظر: أمين سعيد، الدولة العربية

المتحدة - تاريخ الاستعمارين الفرنسي والإيطالي في بلاد المغرب، القاهرة، ج ٢، ١٩٣٦، ص

٤٨٩-٤٩٧.

(٤) محمد عبد الكريم الوافي، الطريق الى لوزان: الخفايا الدبلوماسية والعسكرية للغزو الإيطالي

لليبيا، دار الفرجاني، ليبيا، ١٩٧٧، ص ٢٠١-٢٠٢.

(٥) أ. ن. بروشين، تاريخ ليبيا في نهاية القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٦٩، ترجمة عماد حاتم،

مركز دراسات جهاد الليبيين، ليبيا، ١٩٨٨، ص ١٢٨.

(٦) أوتافيو بريكولا: ولد في تورينو عام ١٨٥٣، شغل منصب قائد القوات الإيطالية في الحرب

الإيطالية - التركية ١٩١١-١٩١٢، عين محافظاً على برقة بين تشرين الأول ١٩١٢- تشرين

الاول ١٩١٣، كما شغل منصب قائد القوات الإيطالية في برقة (١٩١٥ - ١٩١٦)، توفي في

فياريجيو من محافظة لوكا في توسكانيا في إيطاليا في ١٦ تشرين الاول ١٩٢٤. انظر:

<http://it.wikipedia.org/wiki/Ottavio-Briccola>

(٧) للمزيد من التفاصيل عن دور الحركة السنوسية في حركة الجهاد. أنظر:

Evans Richard, The Sanusi of Cyrenaica. London: Oxford: Oxford University Press, 1949.

(٨) امين سعيد، الدولة العربية المتحدة: تاريخ اليقظة القومية، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة،

١٩٣٨،

ص ٢٨٥.

(9) Derek Howard Aldcroft, From Versailles To Wall Street 1919-1929, California: Univ. Of California Press, 1997, p.141; Alexander De Grand, Op. Cit. p.22.

(١٠) عبد اللطيف عبده، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا، دراسة في الاحوال الاجتماعية

والاقتصادية والثقافية لحركات التواطؤ ومقاومة الاستعمار ١٨٣٠-١٩٣٢، مركز دراسات الوحدة

العربية، بيروت، ١٩٩٥، ص ١٧٠-١٩٢.

(11) G. Mosca, Italia A Libya, Milano, 1932, p.56.

(12) Fowler Gary Lane, Italian Cultural Agri Colonization In Tripolitanian Libya, Michgan, 1970, P. 53.

(١٣) المدني سعيد مدني، سياسة الإستيطان الزراعي الإيطالي: وتأثيرها على الأوضاع العامة في

غرب ليبيا، ١٩٢١-١٩٤٣، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، ٢٠٠٦، ص ٤٤.

(١٤) للمزيد من التفاصيل عن فترة ولاية فولبي. انظر:

Rofail Rapex, Laffermazione Dell Asorranta Italian Sulla Libya, Tientsin, 1988, P.P. 22-25.

(15) Fowler Gary Lane, Op.Cit. 36.

(16) Sandro Sandri, II Generale Graziani, Edizione Azione Generale, Roma, 1932, p. 12.

(17) Rofail Rapex, P. 37.

(١٨) قصر أحمد: هي ثالث أكبر تجمع سكاني شرق مدينة مصراتة، التي تعتبر ثالث أكبر مدن ليبيا

سكانا، تعد المنطقة ذات موقع جغرافي متميز على الساحل الأفريقي فقد استخدمت كميناء

تجاري منذ القدم واستخدمت كمدخل للسيطرة على منطقة مصراتة و باقي المدن المجاورة كزليتن

والخمس وسرت حتى طرابلس. انظر: ماجدة ابراهيم عامر محمد، التركيب الاقتصادي للسكان في ليبيا: دراسة في جغرافية السكان، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٣٥٦-٣٧١.

(١٩) رودولفو غراتسياني، نحو فزان، ترجمة طه فوزي، دار الفرجاني، طرابلس، ط ١، ١٩٩٤، ص

٥٤.

(20) A.Gaibi, Nanuali Di Storia Politio Meletare Delle Colosice Italiane, Roma, 1928, P.P. 285-299.

(٢١) مصراتة: إحدى كبريات مدن إقليم طرابلس الغرب، تشمل زليتن وبني وليد. تقع على البحر المتوسط عند الحافة الغربية لخليج السدرة على خط عرض ٣٢,٢٢ شمالاً وخط طول ١٥,٠٦ شرقاً، تبعد عن مدينة طرابلس ٢٠٨ كم شرقاً، بلغ مجموع سكانها (مصراتة وزليتن وبني وليد) حسب التعداد العام للسكان لعام ٢٠١٢ نحو ٥٠٢,٦١٣ نسمة، تعرف مصراتة عند الشعب الليبي باسم المواطنين وقد وقعت فيها عدة معارك بين العثمانيين والإيطاليين. أنظر: الشيخ محمد مفتاح قريو، معارك الجهاد التي وقعت في مصراته زمن الحروب الإيطالية، ليبيا، د. ت، ص ١١-١٣.

(٢٢) محمد سعدون السويحلي: ولد بمصراتة عام ١٨٩٣ وهو الأخ الأصغر لكل من أحمد ورمضان السويحلي، اعتقلته القوات الإيطالية مع أخيه أحمد في ١١ تموز ١٩١٥ عقب هزيمتها بمعركة القرضابية ونفيا إلى جزيرة سركونة الإيطالية، أفرج عنه بعد أربع سنوات عقب صلح بني آدم في ٢٦ حزيران ١٩١٩، قاد المقاومة الليبية في مصراتة في اب ١٩٢٠، خاض العديد من المعارك ضد الإيطاليين أشهرها (عين اعكام، الساحلية، النقازة...) قال عنه غراتسياني (هاجمنا بشدة لأمثل لها وبطولة فائقة)، استشهد في ٤ آيار ١٩٢٣. انظر: عمر فرج بوشويشينة، الشهيد محمد سعدون السويحلي، مدونة ليبيا الجديدة، ٢٠١٣.

(٢٣) الخمس: تقع مدينة الخمس شرق مدينة طرابلس بحوالي ١٢٠ كم بليبيا، ومدينة الخمس هي المركز الإداري لمحافظة المرقب، هناك عدة تفسيرات لأصل التسمية منها لأنها خامس ولاية في ليبيا وكذلك لأنها كانت تعطي خمس الخراج أثناء عهد الدولة العثمانية، واطلق عليها الخمس المجاهدة. نظراً لتاريخها ضد الغزو الإيطالي ويعرف أنها كانت تنتج خمس انتاج ليبيا من زيت الزيتون. أنظر: محمد إبراهيم حسن، دراسات في جغرافية ليبيا والوطن العربي، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، ١٩٧٢، ص ٢٢٠.

(٢٤) الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، بيروت، ١٩٧٣، ص ٤٥١.

(25) A.Gibi, Op.Cit. P. 305.

- (٢٦) رودولفو غراتسياني المصدر السابق، ص ٥٨.
- (٢٧) علي مصطفى المصري، سعدون البطل الشهيد: صفحة من نضال الشعب الليبي، بيروت، ١٩٦٤، ص ١١.
- (٢٨) خليفة محمد التليسي، ما بعد القرصاوية، طرابلس، ١٩٧٤، ص ٢٤٥.
- (٢٩) محمد علي ابو شارب، الحركة الوطنية ١٩٢٢ - ١٩٢٣، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، طرابلس، ١٩٨٤، ص ١٢٧.
- (٣٠) **احمد السويحلي**: هو احمد بن شتيوي بن احمد، ولد في عام ١٨٨٠، انتخب عضواً في الحكومة الطرابلسية عام ١٩١٩، وبعد وفاة اخيه رمضان السويحلي سنة ١٩٢٠ انتخب رئيساً لحكومة مصراتة، وانتخب عضواً في هيئة الاصلاح المركزية التي انتخبها مؤتمر غريان في العام نفسه، وهي الحكومة الطرابلسية، وبعد احتلال مصراتة في شباط ١٩٢٣ انتقلت حكومته الى أورفلة، وبعد الهجمات الايطالية رحل احمد السويحلي الى مصر واستقر في الفيوم وفي العام ١٩٥٥ رجع الى طرابلس، توفي في كانون الأول ١٩٦٢. أنظر: طاهر احمد الزاوي، اعلام ليبيا، ليبيا، ط ٣، ١٩٨٤، ص ١٠٩-١١١.
- (٣١) **أحمد المريض**: ولد في ترهونة ١٨٧٥، والمريض لقب لجده الأول، اصبح متوارثاً بين افراد العشيرة نتيجة تمكنه من ترويض فتنة وقعت بين قبائل ترهونة، تولى رئاسة الجمهورية الطرابلسية ثم رئاسة هيئة الاصلاح المركزية لمواصلة التفاوض مع الايطاليين ومطالبتهم بتطبيق نصوص القانون الاساسي، وبعد فشل المفاوضات، شارك في معارك عدة ضد الإيطاليين أشهرها (معركة سيدي السائح، وادي الديف...) وبعد اشتداد هجمات الإيطاليين هاجر الى مصر في كانون الاول ١٩٢٤ مع عدد من المهاجرين الليبيين واستقر في الفيوم وتوفي بها في ٧ كانون الثاني ١٩٤٠. أنظر: مصطفى علي هويدي، الجمهورية الطرابلسية: جمهورية العرب الأولى: أول دراسة مرجعية في موضوعها، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، ط ١، ٢٠٠٠، ص ١٠٣-١٠٤.
- (٣٢) هيئة الإصلاح المركزية: وهي حكومة وطنية طرابلسية انبثقت عن مؤتمر غريان المنعقد في تشرين الثاني ١٩٢٠، وتتكون من أحمد المريض رئيساً وعبد الرحمن عزام مستشاراً، وعضوية كل من بشير السعداوي وعبد الرحمن زبيدة وعثمان القيزان وآخرون، كانت مهمتها إنهاء الخلافات القائمة بين الزعماء وتوحيد جبهة القتال ضد العدو المشترك، الا إن جهودهم لم تكلل بنجاح، نظراً لعمق الخلافات بين الاطراف المتنازعة من جهة والتدخلات الإيطالية من جهة

أخرى. أنظر: محمد علي التريكي، حركة الجهاد الغرب الليبي ١٩٢٤-١٩٢٧، بنغازي، ٢٠٠٠، ص ٢٧.

(٣٣) للمزيد من التفاصيل عن هذا المؤتمر ومحاضرات جلساته. أنظر:

Rofail Papex ,Op.Cit.

(٣٤) للمزيد من التفاصيل عن مؤتمرات غريان وسرت. أنظر: محمد سعيد القشاط، معارك الدفاع

عن الجبل الغربي ١٩٢٢-١٩٣٢، طرابلس، ١٩٨٣.

(٣٥) عمرو سعيد بنغني وآخرون، معركة تاقرفت، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٥، ص ٢٢٨.

(٣٦) بثينة عبد الرحمن ياسين التكريتي، التطورات السياسية في ليبيا ١٩١١-١٩٤٣، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، ١٩٨١، ص ١٢١.

(٣٧) بني وليد: بني وليد كما يطلق عليها "ورقلة" هي مدينة ليبية تقع في الشمال الغربي من ليبيا وتبعد عن طرابلس حوالي ١٨٠ كم باتجاه الجنوب الشرقي، عرف عن أهالي بني وليد مقاومتهم للاحتلال الإيطالي للليبيا حتى وصفها الجنرال غراتسياني بمقولته الشهيرة: "من أراد السيطرة على طرابلس الغرب عليه السيطرة على إقليم بني وليد، فهي درنديل طرابلس الغرب"، وقد سيطرة الإيطاليون عليها فيما بعد في معركة وادي دينار ويسقوط بني وليد في يد الإيطاليين توقفت حركة الجهاد في المنطقة، كما كانت بني وليد أيضاً أحد أهم واكبر معاقل مقاومة الليبية ضد الإيطاليين، وقد شهدت العديد من المعارك إبان الاحتلال الإيطالي لليبيا مثل معركة وادي دينار الشهيرة و معركة وادي اشميخ وغيرها. أنظر: الطاهر احمد الزاوي، تاريخ طرابلس الغرب، ليبيا، ١٩٦٦، ص ١٤٩.

(٣٨) أنجيلو دي بوكا، الإيطاليون في ليبيا، ترجمة محمود التايب، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، ١٩٩٥، ص ٩٠.

(٣٩) رودولفو غراتسياني، المصدر السابق، ص ٧٠.

(٤٠) محمد احمد الطوير، من معارك الزاوية ١٩١٧-١٩٢٢، طرابلس، ١٩٨٨، ص ٥٦.

(٤١) خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا ١٩١١-١٩٣١، بيروت، ١٩٧٢، ص ٦٤.

(٤٢) رودولفو غراتسياني، المصدر السابق، ص ٧٤.

(٤٣) مصطفى سعد الهالين، الأوضاع السياسية والعسكرية في حركة الجهاد الليبي، مركز دراسات جهاد

الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ليبيا، ١٩٩٩، ص ٥٤.

(٤٤) محمد علي ابو شارب، المصدر السابق، ص ٢٣١.

(45) R. Ciasca, Storia Coloniale dell'Italia Contemporanea, Milano, 1938, P. 179.

(٤٦) انجيلو دي بوكا، المصدر السابق، ص ٩٣.

(٤٧) تم طرد البربر من مناطق الجبل الغربي الى الحدود التونسية بعد ان قاموا بمساعدة الايطاليين على توغلهم في تلك المناطق في المراحل الممتدة بين عامي ١٩١١-١٩٢١، الامر الذي اضطر العرب الى طردهم ومواجهتهم في ١٩٢١، فكانوا يتحينون الفرصة للعودة الى ديارهم ، وقد وجدوا فرصتهم عند غراتسياني الذي سعى الى ايجاد توازن بين العرب والبربر في مناطق الجبل الغربي لتحقيق هذه الغاية، خدمة لسلطته السياسية والعسكرية وأستخدام مبدأ فرق تسد من اجل تسهيل السيطرة عليهم، للتفاصيل. انظر: زعيم سليمان الباروني، صفحات خالدة من الجهاد الليبي، القاهرة، ١٩٦٤؛ عبد الوهاب الزنتاني، حقيقة معارك الدفاع عن الجبل ضد الغزو الايطالي، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، ليبيا، ج ١، د. ت، ص ٤٤.

(٤٨) محمد خليفة فكيني: ولد عام ١٨٥٩ اشترك في معارك الهاني وبومليانة وسواني بن ادم وزوارة، عين قائمقام فساطو عام ١٩١٥ وعضوا في مجلس شورى الجمهورية الطرابلسية ١٩١٩، كما عين عضو مجلس حكومة القطر الطرابلسي وعضو حزب الإصلاح الوطني ١٩٢٢ وكذلك عضواً في وفد مفاوضات فندق الشريف. بعد فشل مفاوضات فندق الشريف والتغيير في الاستراتيجية الاستعمارية الايطالية نتيجة لوصول الحزب الفاشي إلى سدة الحكم في روما أعلن الكونت فولبي حملة "إعادة الاعتبار" كما اسماها غراتسياني في كتابه نحو فزان، و"الثأر من سنوات الإذلال" وهي سياسة فرض السلطة المركزية وهو ما يعني تمزيق جميع الاتفاقيات السابقة والتصفية الجسدية للزعامات والتي كان من بينها محمد فكيني الذين وصفهم غراتسياني بـ"المخربين الذين قوضوا سلطتنا في هذه البلاد" في نهاية ١٩٣١ هاجر إلى تونس، توفي في ليبيا في ٢٩ اذار ١٩٥٠. انظر: الطاهر احمد الزاوي، اعلام ليبيا، ص ٣٣١.

(٤٩) للمزيد من التفاصيل عن حكومة مصراته ودورها في حركة الجهاد. انظر:

مراد ابو عجيلة القمودي، حكومة مصراته الوطنية وأثرها على حركة الجهاد في ليبيا ١٩١٤-

١٩٢٢، مكتبة الزحف الاخضر للنشر والتوزيع، ليبيا، ط ١، ٢٠٠٩.

- (٥٠) رودولفو غراتسياني، نحو فزان، ص ٨٠.
- (٥١) يفرن: بلدة تقع في أعالي جبل نفوسة في ليبيا على بعد ١٢٥ كم جنوب طرابلس، من أهم مدن جبل نفوسة وهي ثاني أكبر بلدة في الجبل بعد غريان من ناحية الحجم والسكان. كانت بلدة يفرن مقرا للمقاومة ضد الإيطاليين إذ اتخذها سليمان الباروني مقرا له واتخذها عاصمة لأول حكومة مستقلة في العصر الحديث عام ١٩١٢. انظر: محمد إبراهيم حسن، المصدر السابق، ص ١٢٨.
- (٥٢) رعد صالح الهدلة، المقاومة الليبية للاحتلال الإيطالي ١٩١١-١٩٢١، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص ١٣٢.
- (٥٣) رودولفو غراتسياني، المصدر السابق، ص ٨٥.
- (٥٤) **خليفة بن عسكر**: هو خليفة بن سعيد، ولد في مدينة نالوت عام ١٨٨٤، ينحدر من قبيلة العساكرة وهي إحدى القبائل الكبيرة بمدينة (نالوت). ومدينة ككلة) بجبل نفوسة بليبيا، وكان والده من ارباب الثروة يمتلك اراضي واسعة وثروة حيوانية كبيرة، يعتبر ابن عسكر احد القادة القلائل في حركة الجهاد الليبي، خاض عدة معارك أبلى فيها هو وجماعته البلاء الحسن، ومن أهمها معركة (امجزم) ومعركة (سيناون) ومعركة (وازن) ومعركة (تكوت)، وتمكن من تحرير بلدي كاباو ونالوت من أيادي الإيطاليين. واستمرت انتصاراته في أعالي جبال نفوسة وسهولها، القي القبض عليه في ٢٨ ايار ١٩٢٢، واعدم في ٣٠ ايار من العام نفسه. للمزيد عن حياة خليفة بن عسكر. انظر: محمد سعيد القشاط، خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام، طرابلس، ١٩٨٠.
- (٥٥) الطاهر احمد الزاوي، جهاد الابطال، ص ٢٨٨.
- (٥٦) محمد علي ابو شارب، المصدر السابق، ص ٢٣٢؛ رودولفو غراتسياني، المصدر السابق، ص ٩٠.
- (٥٧) خليفة محمد التليسي، ما بعد القرصاوية، ص ٢٣٢.
- (58) Rofail Rapex, Op.Cit. p. 249.
- (59) A. Gaibi, Op. Cit. p. 309.
- (٦٠) رودولفو غراتسياني، المصدر السابق، ص ١٠٣-١٠٤.
- (٦١) أنجيلو دي بوكا، المصدر السابق، ص ٩٦.
- (62) Rofail Rapex, Op. Cit. p. 249.
- (٦٣) عبد الوهاب الزنتاني، المصدر السابق، ص ٢٢١؛ رودولفو غراتسياني، المصدر السابق، ص ١٢٠.

- (٦٤) خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد، ص ٢٣٤.
- (٦٥) محمد علي ابو شارب، المصدر السابق، ص ٢٣٤.
- (٦٦) يوسف خريش: أحد أشهر زعماء جبل نفوسة ومن قادة المقاومة الليبية في الجبل الغربي، نجح غراتسياني في استمالته وضمه اليه، فتعاون مع القوات الإيطالية فيما بعد على النحو الذي ارقق المقاومة، اذ عزيت اغلب خسائرها وفشلها اليه. للمزيد. انظر: رودولفو غراتسياني، المصدر السابق، ص ١٢١.
- (٦٧) محمد سعيد الهانين، المصدر السابق، ص ٢٤٦.
- (٦٨) خليفة محمد التليسي، ما بعد القرضابية، ص ١٢٩.
- (٦٩) هادي كعبار: ولد في غريان ١٨٧٧، من اعوان غراتسياني اصله من (الكول أوغلة) قوي الذاكرة وسريع الملاحظة معتد برأيه كان في مقدمة المقاومة عند بدء الاحتلال الإيطالي لليبي، عينته القوات العثمانية قائد للفرقة ٤٢ العثمانية، وقائم مقام غريان فيما بعد، اختير عضواً في هيئة المفاوضات بعد معاهدة اوشي- لوزان وكذلك عضواً في مفاوضات بنيادم ١٩٢٢، حاول ادخال اصلاحات في حكومة طرابلس مع رئيس الحكومة احمد المريض ولكن الامور وصلت الى مرحلة غير قابلة للإصلاح، وصدق وعود الجيش الإيطالي بالعفو عنه، وبقي في غريان الى ان دخلتها القوات الإيطالية ليمت القاء القبض عليه مع عدد من رجاله من قبل غراتسياني ونقله الى مصراتة وتمت محاكمته سورياً ليتم بعدها اعدامه في ٣٠ آيار ١٩٢٣. انظر: الطاهر احمد الزاوي، اعلام ليبيا، ص ٣٥٨.
- (٧٠) للمزيد من التفاصيل. انظر: محمد سعيد الهانين، المصدر السابق، ص ٢٦١-٢٦٥.
- (71) Enrico Deleone, La Colonizzazione, Dell a Africano , Roma, 1934, p.87.
- (72) Ibid .P.92.
- (٧٣) رودولفو غراتسياني، نحو فزان ، ص ٢٦٢.
- (٧٤) علي مصطفى المصرتي، المصدر السابق، ص ١٩١.
- (٧٥) عمر بن محمد الجنوب بن حسن الزبيدي، احتلال منطقة تجمع المجاهدين ببني وليد وما حولها ١٩٢٣، طرابلس، ١٩٨٤، ص ٧٦-٩١.
- (٧٦) محمد إدريس السنوسي: ولد في ١٢ اذار ١٨٩٠ تولى الحركة السنوسية في عام ١٩١٦ ترأس عدة مفاوضات مع الإيطاليين، منها مفاوضات الرجمة ١٩١٤ وعكرمة ١٩١٧، واتفاقية أبو مريم واجتماع إدريس السنوسي بوزير المستعمرات الإيطالي جيوفاني أمندولا في عام ١٩٢٢ في

منطقة غوط الساس. لم تستمر حكومة إجدابيا طويلاً لأن إيطاليا أرادت التخلص من اتفاقاتها وذلك بعد سيطرة الفاشيين على روما. فقرر إدريس السنوسي الرحيل إلى مصر وعين شقيقه الأصغر محمد الرضا السنوسي وكيلاً عنه على شؤون الحركة السنوسية في برقة، وعين عمر المختار نائباً له في شهر تشرين الثاني ١٩٢٢، لما قامت الحرب العالمية الثانية في ١٩٣٩ راهن إدريس السنوسي على الحلفاء وأعلن فيما بعد انضمامه إليهم وعقد اتفاقاً مع البريطانيين، دخل إلى ليبيا بجيش أسسه في المنفى (الجيش السنوسي) في ٩ آب ١٩٤٠ متحالفاً مع البريطانيين لطرده الإيطاليين، أعلن استقلال ولاية برقة في ١١ تشرين الأول ١٩٤٩، وفي ٢٤ كانون الأول ١٩٥١، أعلن استقلال ليبيا ليتخذ لنفسه لقب ملك المملكة الليبية المتحدة عام ١٩٥٢، انضم إلى جامعة الدول العربية عام ١٩٥٣ وإلى هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٥٥، ظل ملكاً على ليبيا حتى انقلاب ١ كانون الأول ١٩٦٩ بقيادة معمر القذافي فأطاحت بحكمه، انتقل إلى مصر، توفي في القاهرة ودفن في السعودية في ٢٥ آيار ١٩٨٣. أنظر: معدي الحسيني، الملك محمد إدريس السنوسي: حياته وعصره، كنوز للنشر، ليبيا، ٢٠١٢؛ هند عادل اسماعيل النعيمي، إدريس السنوسي ودوره في استقلال ليبيا ١٨٩٠-١٩٥٢، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية تربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، ٢٠٠٩.

(٧٧) مصطفى علي هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا، طرابلس، ١٩٢٢، ص ١٨٢-١٨٥.

(٧٨) منطقة القبلة: وهي من المناطق الهامة في ليبيا، فهي تربط السهول الساحلية والمناطق الجبلية في الشمال بالمناطق الجنوبية (فزان) وتسكنها قبائل عديدة منها اولاد يوسف، الزنتان، والمقارحة والمشاشي وغيرها، يشتهر سكان القبلة برعي الحيوانات وزراعة الحبوب وتعدّ مركزاً للالتقاء بين تجار القوافل. للمزيد. انظر: احمد عطية مدلل، جغرافية ليبيا، القاهرة، ١٩٧١، ص ٢١٥-٢٢٠.

(٧٩) الطاهر احمد الزاوي، تاريخ طرابلس الغرب، ص ١٨٤؛ مصطفى علي هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا، ص ١٨٧-١٨٨.

(٨٠) للمزيد من التفاصيل عن حملة ميانى على فزان ونتائجها. انظر: احمد عطية مدلل، المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي وتأثير الاوضاع الدولية عليها اب ١٩١٤- نيسان ١٩١٥، طرابلس، ١٩٨٩، ص ٢٢٩-٢٥٠.

(٨١) كانت القيادة الإيطالية تدفع بكتائب الإرتيريين والمجندين الليبيين للصفوف الاولى في أي معركة مع المقاومة الليبية لتلقى الضربة الاولى ولتقليل حجم الخسائر بين المجندين الإيطاليين الى اقل نسبة ممكنه. للمزيد من التفاصيل. انظر: خليفة محمد التليسي، ما بعد القرضابية، ص ١٣١.

- (٨٢) رودولفو غراتسياني، المصدر السابق، ص ٢٥٧.
- (83) Rofail Rapex ,Op , Cit , p.255.
- (٨٤) خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد الليبي، ص ٢٤٣.
- (٨٥) رودولفو غراتسياني، المصدر السابق، ص ٦٣.
- (٨٦) **سالم بن عبد النبي**: ولد في ١٨٦٧ من اعيان قبيلة الزنتان ومن رجالاتها المشهورين بالرأي والخطط العسكرية، ومن ابرز محطات حياته قيادة معركة ربوة القاهر بقلعة سبها، هذه القلعة التي كانت تمثل المقر الرئيس للعقيد ميانى قائد القوات الإيطالية بمنطقة الجنوب، حيث كان هو المخطط والقائد الفعلي لهذه المعركة التي تعتبر من المعارك المهمة في الجهاد الوطني الليبي ضد الإيطاليين، اذ تمكن من تحريرها وطرد الإيطاليين منها في ٢٧ تشرين الاول ١٩١٤، من القيادات البارزة التي خاضت معركة وادى الوخيم في ٣٠ حزيران ١٩٢٢ برفقة محمد فكيني، وفي اواخر سنة ١٩٣٠ هاجر الى منطقة دوز الواقعة في جنوب تونس، توفي في ليبيا في عام ١٩٤٣. للمزيد. انظر: الطاهر احمد الزاوي، اعلام ليبيا، ص ١٢١.
- (٨٧) ام الخيل: وهي بئر تقع في المنطقة المحصورة ما بين الطابونية والمنطقة الجبلية، غريان وجادو. انظر: عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، القاهرة ، ١٩٧١، ص ٢٣٠.
- (٨٨) **حمد سيف النصر**: أحد كبار قادة الجهاد في ليبيا ضد الاستعمار الإيطالي ١٩١١-١٩٤٢، عين حاكماً على فزان ١٩٤٣-١٩٥١، ثم والياً على فزان ١٩٥١-١٩٥٤ بعد توحيد ليبيا وتأسيس المملكة الليبية المتحدة عام ١٩٥٢، شيخ قبائل أولاد سليمان، وزعيم قبائل الصف الفوقي. انظر: بدر الجراح، رجال بين الرمال، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ليبيا، ١٩٩٩، ص ٥٥.
- (٨٩) للمزيد من التفاصيل عن موقف رجال المقاومة ضد الإيطاليين ما يذكره غراتسياني. انظر: رودولفو غراتسياني، المصدر السابق، ص ٢٦٥-٢٦٧.
- (٩٠) خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد الليبي، ص ٢٤٥.
- (91) A. Belardinelli, La Ghibla Ceanisul Territoria-Motizie Stariclee, Tripoli Governo Dell A. Tripolitania Offoicio Stucdi, 1935, p.37.
- (92) Ibid .p. 38.
- (93) Odorico Raltz, L'operazione Libyche Sul 29 Parallelo nord, Roma, 1928, p. 6.
- (٩٤) **لوجي فدريزوني**: سياسي وصحفي إيطالي، ولد في ٢٧ ايلول ١٨٧٨، عمل في صحيفة جورنال دي إيطاليا في روما كتب عدداً من القصص القصيرة، كان من بين المؤسسين مع

إنريكو إرديني الرابطة القومية الإيطالية عام ١٩١٠، وهو من الداعين لدخول إيطاليا الحرب العالمية الأولى، انضم إلى الحركة الفاشية عام ١٩٢٢، عين وزيراً للمستعمرات (١٩٢٢-١٩٢٤)، وبعد اغتيال ماتيووتي، عين وزيراً للدخالية (١٩٢٤-١٩٢٦) ثم وزيراً للمستعمرات مرة أخرى بين (١٩٢٦-١٩٢٨) عمل على دعم النظام الفاشي بكل قوة، كان له دور كبير في قمع العناصر المناهضة للفاشية، خدم نائباً في مجلس الشيوخ من ١٩٢٨، ورئيساً لهذا المجلس (١٩٢٨-١٩٣٨) ثم رئيساً للأكاديمية الملكية الإيطالية (١٩٣٨-١٩٤٣)، وخلال الاجتماع الشهير يوم ٢٥ تموز ١٩٤٣ صوت لصالح ديانو غراندي، حكم عليه غيابياً بالإعدام في محاكمات فيرونا الشهيرة، حكم بعدها بالسجن مدى الحياة من قبل محكمة العدل العليا في ١٩٤٥ اطلق سراحه عام ١٩٤٧ ليعيش باقي حياته في البرتغال، توفي في روما في ٢٤ كانون الثاني ١٩٦٧. انظر:

Albertina Vittoria, Luigi Federzoni in Dizionario Biografico degli Italiani, Vol. 45, Istituto dell'Enciclopedia Italiana, Roma, 1995; Filip Vi Cannistraro, Op. Cit.p.p. 220-222.

(٩٥) اتيلو تيروززي، برقة الخضراء، ترجمة خليفة محمد التليسي، دار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٩١، ص ١٢٥.

(٩٦) طبرق: مدينة ساحلية ليبية تبعد عن العاصمة طرابلس بمسافة تقدر ١٥٠٠ كم شرقاً وهي شبه جزيرة في البحر المتوسط فيها مرفأ عبارة عن حرف U كحذوة الحصان مفتوح باتجاه الشرق ويمتد ننتوها باتجاه جزيرة كريت تقترب المسافة بين طبرق وجزيرة كريت إلى ٢٧٥ كم وتعتبر افضل موانئ افريقيا الشمالية، يبلغ طول المرفأ ٤ كم وعرض اكثر من كيلو ونصف لا توجد في مرفأ اخر، والميناء محمي من الرياح، عدأ الرياح الشرقية والمنطقة الجبلية فيها تصلح كموضع دفاعي جيد والميناء صالح لرسو اضخم السفن والبواخر الحربية. للمزيد. انظر: ابراهيم يونس مؤمن، طبرق مدينة التاريخ والجهاد، مطبعة طبرق العامة، ليبيا، ١٩٦٧، ص ١٢.

(97) Odorico Raltz, Op. Cit. p. 116.

(٩٨) رودولفو غراتسياني، المصدر السابق، ص ٢٩٠.

(99) Evans Pritchard, Op. Cit. p.214;

اتيلو تيروززي، برقة الخضراء، المصدر السابق، ص ١٢٧.

(100) Odorico Raltz, Op. Cit. p.35;

رودولفو غراتسياني، المصدر السابق، ص ٣٠٤.

- (١٠١) السباهين: هم الفرسان الذي يرتدون الزي الليبي وخيولهم مسرجة بسروج كبيرة. أنظر: محمد بن ناصر عبودي، معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، السعودية، ٢٠٠٥، ص ٣٤٧.
- (١٠٢) السواري: هم الفرسان ذوو الزي العسكري الإيطالي. انظر: نفسه، ص ٥٦٧.
- (١٠٣) رودولفو غراتسياني، المصدر السابق، ص ٣٠٦-٣٠٧.
- (١٠٤) عبد العظيم رمضان، الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٢٢٠.
- (١٠٥) امين سعيد، الدولة العربية المتحدة، ص ٢١٥.

(106) Odorico Raltz, Op.Cit. p. 36.

- (١٠٧) رودولفو غراتسياني، المصدر السابق، ص ٣١٠ .
- (١٠٨) **بييترو مالميتي**: ولد ببييترو في ٢٤ ايار ١٨٨٠، دخل الأكاديمية العسكرية في مودينا عام ١٩٠٦، ليتخرج منها برتبة ملازم اول صنف القناصة عام ١٩٠٩، شارك في الحرب العالمية الاولى، وفي اب ١٩١٧ ارسل الى ليبيا و بقي حتى ١٩٣٤ لقمع المقاومة الليبية هناك. رقي في عام ١٩٢٦، إلى رتبة نقيب، شارك في الحملة الإيطالية على الكفرة تحت امرة رودولفو غراتسياني في ١٩٣١، في كانون الثاني من ذلك العام رقي إلى عقيد، عاد إلى إيطاليا في ايار ١٩٣٤، في كانون الثاني ١٩٣٥ تم نقله إلى الصومال ابان الغزو الإيطالي لها ليكون احد قادة "الجبهة الجنوبية" تحت امرة الجنرال غراتسياني، قاد سرب الطيران الإيطالي في معركة كانل دوريا Genale Doria، رقي على اثرها الى رتبة عميد، شارك في الحرب العالمية الثانية بقيادة مجموعة من الاليات، قتل في اول هجوم للبريطانيين على المجموعة في سيدي براني في التاسع من كانون الاول ١٩٤٠. انظر:

<http://en.wikipedia.org/wiki/Pietro-Maletti>;

(109) Odorico Raltz, Op. Cit. p. 36.

- (١١٠) **صالح الاطيوش**: هو أحد قادة الجهاد الليبي المعروفين ضد الغزاة الإيطاليين ذكره غراتسياني في كتابه نحو فزان " كان هذا القائد المخضرم صالح باشا الاطيوش زعيما للمغاربة وله الدور الريادي في معركة القرضابية " ، التي تكبد فيها الإيطاليون خسائر فادحة، وكذلك قاد معركة البريقة ومعركة يوم الكراهب ومعركة بئر بلال ١٩٢٣، واصل جهاده حتى اخر ايامه، توفي ١٩٤٨. لمزيد من التفاصيل عن صالح الاطيوش. انظر: محمد عبدالرازق مناع، صالح الاطيوش حياته وجهاده، ليبيا، ط١، ١٩٨٣.

- (١١١) رعد صالح الهدلة، المصدر السابق، ص ٩١.
- (١١٢) اتيلو تيروزى، المصدر السابق، ص ١٣٢.
- (١١٣) بيلارد تيللي، القبلية، ترجمة عبد الرحمن العجيلي، منشورات الحكومة الإيطالية بطرابلس، المطبعة الحجرية، ليبيا، ١٩٣٥، ص ٥٧.
- (١١٤) اتيلو تيروزى، المصدر السابق، ص ١٣٣.
- (١١٥) رودولفو غراتسياني، نحو فزان، ص ٤٥٠.
- (116) Odorico Raltz, Op. Cit. p. 53.
- (117) Ambragio Bolati, Dell Nastri Cabatimenti Coloniale, Torin, 1936, p. 233.
- (١١٨) تاقرفت: عبارة عن منخفض كبير يقع شمال غرب زلة وتبعد عنها حوالى ٧٥ كم تابع لمحافظة الجفرة وتنتهي اليه مجموعة من الاودية لذا شكل مرعى واسعاً للابل والاغنام ويأتي اليه البدو من المناطق المحيطة به خلال فصل الصيف، دارت فوق ارضيها معركة كبيرة ضد الايطاليين عام ١٩٢٨ استمرت يوماً كاملاً وانتهت بانتصار المقاومة، لقد كانت تلك المعركة واحدة من أبرز المعارك العسكرية، إذ استطاع حوالى ٣٠٠ مجاهد دحر قوة هائلة يزيد عددها على أربعة آلاف جندي ايطالي. لمزيد من التفاصيل. انظر: عمرو سعيد بنغني واخرون، معركة تاقرفت، المصدر السابق، ص ٢٣٠.
- (119) Odorico Raltz, Op. Cit. p. 60.
- (١٢٠) بيلارد تيللي، المصدر السابق، ص ٦٣.
- (١٢١) عمرو سعيد بنغني، المصدر السابق، ص ٥٦.
- (١٢٢) رودولفو غراتسياني، المصدر السابق، ص ٣٣٧-٣٤٠.
- (١٢٣) خليفه محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا، ص ١٤٥-١٤٩.
- (124) Odorico Raltz, Op. Cit. p. 65.
- (١٢٥) رودولفو غراتسياني، المصدر السابق، ص ٣٤٣.
- (126) Ambragio Bolati, Op. Cit. p. 235.
- (127) Odorico Raltz, Op. Cit. p. 69.
- (١٢٨) رودولفو غراتسياني، المصدر السابق، ص ٣٤٦.
- (129) Angelo piccoli, La Nuova Italia Dioitemare, Milano, 1933, p.p.76-82.
- (١٣٠) عمرو سعيد بنغني، المصدر السابق، ص ٧١.
- (131) Odorico Raltz, Op. Cit. p. 75.
- (132) Ibid. p. 89.

(١٣٣) الادوار: تطلق على جميع المعسكرات السنوسية المعروفة في برقة ومفردها دور من المعسكر،
واول من نظمها احمد الشريف وتقابلها في المنطقة الغربية اسم المحلة. للمزيد. انظر: يوسف
سالم البرغثي، الادوار وأثرها في حركة الجهاد، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، السنة
الثالثة، طرابلس، ١٩٨١، ص ٢١٣-٢٤٨.

(134) Ambragio Bolati, Op. Cit. p. 237.

(135) Odorico Raltz, Op. Cit. p. 91.

(١٣٦) علي البويصري علي، المقاومة الليبية ضد الاحتلال الايطالي في الجزء الغربي من ليبيا،
طرابلس، ط١، ١٩٨٨، ص ١٢١؛ أنجيلو دي بوكا، المصدر السابق، ص ١٠٠.

(١٣٧) خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا، ص ١٥٠-١٥١.

(138) Ambragio Bolati, Op. Cit. p. 236.

(139) Odorico Raltz, Op. Cit. p. p. 90-92; Ambragio Bolati, Op. Cit. p. 237.

(١٤٠) مصطفى احمد بن حليم، ليبيا انبعاث امة - سقوط دولة، المانيا، منشورات الجمل، ١٩٨٠،
ص ١٩٨؛ اتيلو تيروززي، المصدر السابق، ص ١٤٨.

**نشوء وتطور الحركة النقابية العمالية
في السودان حتى عام ١٩٥٦**

بان علي حمد سلمان

نشوء وتطور الحركة النقابية العمالية في السودان حتى عام ١٩٥٦

بان علي حمد سلمان

المقدمة

إن الحركة النقابية في أي مجتمع من المجتمعات ماهي في الحقيقة إلا انعكاس لمدى وعي الطبقة العاملة في ذلك المجتمع، ويتوقف ذلك القياس على درجة النمو الاجتماعي الذي بلغته تلك الطبقة لذا فإن الحركة النقابية لا تنشأ من فراغ وإنما هي تعبير عن انعكاس اجتماعي للطبقة العاملة، ومن هنا تتفاوت درجة النمو والنضج للحركات النقابية في العالم.

وتكمن اهمية دراستنا لهذا الموضوع، من خلال ما تمثله الحركة النقابية من قيمة انسانية للقوى العاملة عند تلاقيها وتفاعلها مع القوى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الأخرى أي إن النقابات هي الجانب الانساني والشعبي للتاريخ والاقتصادي والسياسي، فعملت على إنقاذ العمال من الاستغلال الاقتصادي ومكنتهم من الحصول على حقوقهم المشروعة والوقوف أمام الرأسماليين أصحاب رؤوس الاموال.

ولهذه الاسباب مجتمعة تم اختيار العنوان ليكون موضوعاً لدراستنا لعلها تسهم في أبراز الدور الحقيقي للطبقة العاملة، إذ لم يتناول الباحثون بقدر كاف من الدراسة والتمحيص اية قراءة جديدة للتاريخ النقابي من زاوية معرفية و مدى التأثير الذي تركته الحركة النقابية في السودان .

نشوء وتطور الحركة النقابية العمالية في السودان حتى عام ١٩٥٦

شهدت السودان تغيرات اقتصادية واجتماعية كبيرة خلال مرحلة الحكم العثماني

- المصري ١٨٢١-١٨٨٥، إذ قامت سلطات الاحتلال بتطوير وتحسين شبكة المواصلات الضرورية لتوسيع النشاط التجاري^(١).

وتم إنشاء خط السكك الحديد الذي مد من وادي حلفا^(٢) إلى الخرطوم والذي أكمل في نهاية عام ١٨٩٩ ، كما أكمل خط سكة حديد بين سواكن^(٣)، وبربر^(٤)، عام ١٩٠٦، وفي عام ١٩٠٩ مد خط سكة حديد إلى وادي مدني، وذلك لخدمة منطقة الجزيرة^(٥). وساعدت جميع خطوط السكك الحديد على تطوير الحركة التجارية إذ ساعدت على تصدير القطن والصمغ والسمسم وغيرها^(٦).

ساهمت السكك الحديد في التطوير الاقتصادي والاجتماعي وأدت إلى نمو الأعمال التجارية والظهور التدريجي لطبقة التجار، فضلاً عن إسهامها في تكوين طبقة عاملة ذات خبرات فنية جديدة^(٧).

ولأول مرة في السودان، أنشأت بريطانيا مكتباً مركزياً للعمل بالعاصمة عام ١٩٠٤، كانت له فروع عدة بالمديريات وأنيطت به مهمة توفير العمال وتطوير العمالة، كما عملت السلطة عام ١٩٠٥ على جلب عمال مهرة أجانب لسد حاجة السودان من العمال، ومن خلال التطور الصناعي البطيء وتلبية حاجة دواوين الحكومة وكبار موظفي الدولة شهدت الحقبة بين عامي (١٩١٠-١٩٢٠) تزايد الحاجة لخدم المنازل والعمال المهرة وغير المهرة^(٨).

ويبدو أن الاستياء من شروط الخدمة في ظل القهر الاستعماري قد ساهم في بلورة الوعي النقابي والسياسي بشكل مبكر من حادثة العمل المأجور كمهنة^(٩).

وكان نظام الأجور في بداية الحكم البريطاني ذا طابع مختلف نتيجة لطبيعة العمل وشكله البدائي، وكان عائقاً لرفع الإنتاج وفي مناطق جنوب السودان، أخذ الصبغة الانعزالية نفسها في النظر للعمال والعمل، كانت سمات نظام الأجور النقدية والأجور العينية نظير العمل أياً كان نوعه ذا شروط مجحفة ولا تقابل المجهود المبذول

في العمل، ولا تفي احتياجات العمال الحياتية الاعتيادية مما أدى الى سلسلة من الاحتجاجات والاضرابات المطالبة بزيادة الأجور الضئيلة^(١٠)، لقد كانت سياسة السلطة الاستعمارية ذات اهتمام أساسي بشؤون العمل وزيادة الإنتاج وإهمال العامل وشؤونه، فضلاً عن تجاهل تزدى أحوالهم المعيشية الأسرية.

من جراء تلك الأحوال المتردية للعمال، بدأت الحركات العمالية، بالنشاط المبكر مطالبين بقوانين منصفة لحقوقهم^(١١)، وفي ضوء ذلك أضرب عمال الغابات عام ١٩٠٣ احتجاجاً على قلة الأجور، كما شهد عام ١٩٠٧ إضرابات عدة مثل اضراب عمال الغابات ، وإضراب عمال مصلحة البواخر النهرية، وإضراب مزرعة الفاضلات بالمديرية الشمالية، كما شهد ذلك العام إضراب الكتبة وقيام موظفي الحكومة بتقديم مذكرة استنكروا فيها قلة الأجور ورداءة ظروف وشروط الخدمة^(١٢).

كما اضرب في العام ذاته العمال المصريون الذي جاءوا من مصر للعمل في مصلحة البواخر النيلية نتيجة تذرهم من ضالة أجورهم ، وكان السجن نصيب البعض منهم، وقد تراوحت أعمار العاملين ما بين الثانية عشرة والرابعة عشرة في ذلك الوقت^(١٣). إلى جانب ذلك، قدم موظفو السلك الكتابي بالمصالح الحكومية مذكرة عام ١٩٠٨ ضمت شكاوهم من شروط الخدمة وضالة المرتبات ، في العام التالي قام سبعون من عمال فرع الزراعة بمشروع الكاملين الحكومي بأضراب عن العمل ، إذ لم تستجيب الحكومة لمطلبهم بزيادة الأجور، وقد فصل أولئك العمال، ومع ذلك حدث أضراب آخر من جانب عمال المزرعة الباقيين^(١٤).

لقد أزعجت تلك الاضرابات الحكومة فطلب مكتب العمل الذي أنشئ عام ١٩٠٤ من مديري المصالح والمديريات اعداد دراسات عن أسباب تفشي ظاهرة الاضرابات ، وتقديم المقترحات الكفيلة بالقضاء عليها ، وعلى الرغم من التهديدات اضرب عمال المزرعة التجريبية بمدينة طيبة احتجاجاً على قلة الأجور وسوء السكن، وعدم توفر الطعام وحدثت مواجهات بين العمال والشرطة سقط على أثرها عدد من العمال في الأول من حزيران عام ١٩١٠، بعد أقل من ثلاثة أشهر على تلك الأحداث

، اضرب عمال مصلحة الاشغال العامة احتجاجاً على قلة الأجور مما أدى إلى سجن قاداتها لسنوات عدة^(١٥).

وشهدت الحقب المتلاحقة عدداً من الاضرابات منها إضراب عمال ميناء بورسودان^(١٦)، وإضراب عمال طريق اركويت، وإضراب عمال وادي حلفا، وإضراب عمال ورش سكة حديد عطبرة.

خلال تلك الأعوام التي تخللتها تلك الإضرابات ابتداءً من عام ١٩٠٣ وصولاً إلى عام ١٩٠٧ ، عملت بريطانيا على العمل باتخاذ سلسلة الإجراءات التي تحد من تزايد الإضرابات في السودان ومنها الآتي:

أولاً:- إنشاء مكتب عمال الخرطوم عام ١٩٠٤.

ثانياً:- صدور قانون تعويضات العمال عام ١٩٠٨.

ثالثاً:- صدور قانون التلمذة الصناعية عام ١٩٠٨.

رابعاً:- تم تعديل قانون المعاشات عام ١٩٠٩^(١٧).

وبالرغم من قلة عدد العمال المشاركين في تلك الإضرابات إلا أنها مثلت البداية الجادة للنشاط النقابي العمالي المنظم في المجالين الصناعي والزراعي^(١٨). إذ مرت حركة المقاومة العمالية الوليدة مثل الحركة الوطنية بمرحلة جديدة في تطورها بعد الحرب العالمية الأولى، بسبب ارتفاع الأسعار لاسيما السكر، وازدياد بؤس أصحاب ذوي الدخل المحدود بالمقارنة مع الطبقات الأخرى^(١٩).

وفي ضوء ذلك، عقد العمال اجتماعاً بنادي الخريجين بأمر درمان في الثالث والعشرين من تشرين الأول عام ١٩١٩ صاغوا فيه مذكرة متضمنة مطالب العمال، ومطالبة بزيادة الأجور وقاموا بتسليمها لمكتب الحاكم العام، والتي ازعجت الحاكم العام، لما فيها من مطالب مشروعة ، وأسلوب واضح ، فقام الحاكم العام على الفور بتكوين لجنة اقتصادية لتقوم بأجراء دراسة اقتصادية لتحديد تكاليف المعيشة للعمال وتقويم الأجور^(٢٠).

ولم تتخذ الحكومة أي إجراء إيجابي للاستجابة لمطلب زيادة الأجور ، فضلاً عن ازدياد قلق العاملين المصريين بعطبرة ووادي حلفا، بعد قيام الموظفين السودانيين بإضراب في العشرين من تشرين الثاني عام ١٩١٩، وتحشيد قوات الجيش وإرسال الفرق البريطانية والمصرية لكل من بورسودان وكوستي وعطبرة، الأمر الذي عكس كذلك قلق الحكومة نفسها لتصاعد روح المقاومة للعمال والموظفين معاً^(٢١).

لقد شهدت مرحلة العشرينات نمو الوعي السياسي والنقابي، وتأسيس الجمعيات السياسية والأدبية في العاصمة، وتأسست لها فروع رئيسة في عطبرة وبور سودان وانتشر مؤيدوها في بقية الأقاليم^(٢٢). ومن الجدير بالذكر، أن قوى العمال أدانت في غالبيتها بالولاء للطائفية (الختمية) والاتجاهات (الاتحادية) التي عبرت حضارياً وسياسياً عن النزعة المتوسطة لشمال السودان، وتجلي روح النزعة الاتحادية، وبذلك شكلت قوى العمال ومنذ البدء رصيماً حياً للحركة الوطنية في كفاحها ضد الاستعمار البريطاني وميولها الوحشية مع مصر^(٢٣).

وكانت تلك المقاومة التي نشأت، وتطورت في الحقبة ١٩٢٢-١٩٢٥ تعمل على تنظيم جمعية عمالية بالتعاون مع جمعية اللواء الأبيض، ونجحت في تنظيم عدد كبير من الحرفيين والعمال (النجارين ، والطباخين، عمال الميكانيكا وغيرهم)^(٢٤)، على شكل خلايا تنظيمية ذات أغراض سياسية واضحة، وقد قاد ذلك الخط العمالي علي احمد صالح في المطبعة الحكومية، والذين لعبوا دوراً مؤثراً في تنظيم الاضرابات والمظاهرات الشعبية التي شهدتها السودان ابتداءً من حزيران وحتى تشرين الثاني من عام ١٩٢٤^(٢٥).

عندما اندلعت ثورة عام ١٩٢٤ حاول المثقفون الوطنيون دعوة العمال لتكوين النقابات إلا أن تلك المحاولة لم تجد الاستجابة المطلوبة بسبب عدم وجود المقومات الأساسية لقيام النقابات، وبالرغم من ذلك لم يتقاعس العمال بالوقوف بعيداً عن تلك الحركة، إذ شاركوا في التظاهرات وتوزيع المنشورات ، وانضم البعض منهم لجمعية اللواء الأبيض ، وتمت محاكمة بعض المشاركين في الانتفاضة^(٢٦).

في خضم ذلك قامت كتبية السكك الحديدية وبعض المتظاهرين باحتلال محطة السكة الحديد في العاشر من آب عام ١٩٢٤ لمنع نزول حاميتين من الجيش البريطاني وفرقة مصرية كان قد استدعاها مدير بربر، وفي اليوم التالي استطاعت القوات البريطانية تدريجياً وفي بطء الإطاحة بالجنود المتظاهرين ، كما قام جنود الخيالة المصرية بمحاصرتهم في ثكناتهم، وقد شمل ذلك التمرد العاملين على امتداد السكك الحديدية ، خارج مدينة عطبرة، إذ اضرب (٨٢) منهم ، وكان جزاؤهم السجن، وتمكنت الحكومة من محاصرة التمرد والسيطرة عليه^(٢٧).

وبعد إخماد ثورة عام ١٩٢٤، سادت مرحلة من الهدوء والركود في العمل النقابي ولم تكن هناك أحداث تذكر، إلا أن ذلك الركود لم يدم طويلاً، ففي عام ١٩٢٥ انشئت مدرسة جيت الصناعية التي ولدت دافعاً قوياً للتجمع والتعامل العملي المهني، وجاءت فكرة الاندية العمالية ، خلال التقاء العمال مع بعضهم في المقاهي والمنتيات المسائية ، ففي عام ١٩٢٤ تقدم عدد من العمال بطلب للحكومة البريطانية للتصديق بإنشاء نادي وقد رفضت الحكومة ذلك المطلب بحجة أن بعض المتقدمين كانوا من المشاركين في تظاهرات عام ١٩٢٤^(٢٨).

وتفادياً للصدام قام العمال بتكوين لجنة أخرى تحت مسمى (جمعية) استطاعت انتزاع الموافقة بتأسيسها من السلطة الاستعمارية^(٢٩).

كانت بذور الحركة العمالية المنظمة في نقابات بعد الحرب العالمية الأولى منعطفاً مهماً في مجرى الحركة الوطنية السودانية ، كونها دخلت معترك السياسة من موقف محدد المعالم والقسمات من الاستعمار البريطاني بأساليب جديدة آنذاك في الصراع ضده^(٣٠). ومنذ عام ١٩٢٤ حتى عام ١٩٤٢ قام العمال والمزارعون بمجموعة إضرابات ، ففي عام ١٩٣٤ اضرب (٢٠٠٠) عامل مطالبين بزيادة في الأجور ، كما قام العمال المصريون بإضراب مماثل في العام ذاته عندما قام سائقو البريد والمفتشون وجامعو التذاكر بشركة الماء والطاقة الكهربائية بإضراب لمدة خمسة أيام، وفي عام ١٩٣٨ اضرب (٦٠) عاملاً من عمال مصانع القطن، كما اضرب عمال ميناء

بورشودان وخلال العامين ١٩٤١-١٩٤٢ لم تقل حوادث الإضرابات عن العمل من جانب الهيئات والجماعات المختلفة في شتى أرجاء البلاد عن (١١٤) إضراباً^(٣١).

فضلاً عن ذلك ، وخلال عام ١٩٤٢ ظهرت تحركات بين التلاميذ خريجي المدارس الصناعية الذين لم يكملوا مرحلة التلمذة داخل الورش ومقدارها خمس سنوات وأخذوا يعبرون عن عدم رضاهم بشروط خدمتهم، واتفقوا على المطالبة بتحسين تلك الشروط وحددوا مطالبهم^(٣٢).

وفي السياق نفسه، قام خريجو المدرسة الصناعية بمدينة عطبرة بتقديم طلب في العشرين من آذار عام ١٩٤٣ إلى مدير عام الورش بمدينة عطبرة للتباحث معه بشأن مطالبهم، إذ أكد احمد افندي حسن خليفة الذي تسلم نص الخطاب المرسل إلى مدير عام الورش أن المدير لا يريد مقابلتكم، وتدوين ما تريدونه ورقياً للنظر فيها لاحقاً^(٣٣).

وقد فصل بعض عمال الورش من أعمالهم لمدة شهر كامل في الثاني والعشرون من تشرين الثاني عام ١٩٤٣، وتقدموا بطلب إلى مدير عام الورش للسماح لهم بالبقاء في المجمع السكني الخاص بالعمل خلال مدة الإيقاف^(٣٤). في اليوم التالي تقدم العمال بكتاب إلى مدير عام الورش أكدوا فيه تقديم طلب السماح بمقابلة المدير لشرح المطالب شرحاً وافياً^(٣٥). وجاء الرد بأن الحكومة غير مستعدة لتغيير مرتباتهم لعدم قدرتها على الإيفاء بتلك المرتبات بسبب الزيادة في التكاليف المعيشية^(٣٦).

وبمجيء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ، سخرت بريطانيا إمكانات البلاد من مؤن زراعية وغذائية وبشرية لمصلحة الجيوش البريطانية، فارتفعت أسعار السلع المحلية والمستوردة وازدادت ساعات العمل دون زيادة في الأجور وتفاقت حالات التعسف والبطش والاضطهاد^(٣٧) ، وارتكبت الكثير من الجرائم في حق العمال، وخضعوا لنزوات المسؤولين، فضلاً عن الإجراءات التعسفية بحقهم^(٣٨). في خضم تلك الأوضاع، لعب (الحزب الشيوعي السوداني) دوراً كبيراً في تطور الحركة العمالية، إذ استمد قوته من أفراد تلك الطبقة ومن العمال ولاسيما غير المهرة منهم " عمال مشروع

الجزيرة ، وعمال سكك الحديد، وعمال القطاع الحكومي " الذين كانوا ذوي خبرة في التنظيم النقابي والحزبي ، كما أثرت نوعية القيادة للحزب الشيوعي السوداني في تحقيق المنجزات النقابية للطبقة العاملة السودانية^(٣٩). وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية، ازداد حجم القوى العاملة الحضرية بسبب الحاجة لإنتاج المعدات الحربية لجيوش الحلفاء وإنتاج السلع الاستهلاكية التي لم تكن من الممكن استيرادها^(٤٠).

كان للتوسع الكبير الذي شهدته قوة دفاع السودان خلال الحرب وتسريح أعداد كبيرة من الجنود بعد انتهاء الحرب، تأثيرات مهمة وإيجابية في مجال تقوية الصف العمالي، إذ التحقت أعداد من أولئك الجنود بمرفق السكة الحديد ، عزز حركة العمال برافد قوي، ومهم ومسلح بالمقدرة الفنية، إذ كان أولئك الجنود مؤهلين تأهيلاً فنياً عالياً في التدريب على قيادة السيارات والحدادة والتلغراف، وغير ذلك من المهن الجديدة آنذاك^(٤١).

كان لسياسة الحكم الثنائي في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية أثراً في تطور الحركة النقابية كونها كانت تستدعي فتح الطريق لنشوء النقابات العمالية بعد فوز (حزب العمال البريطاني)^(٤٢) في انتخابات عام ١٩٤٦، وتعيين القائد النقابي البريطاني (أرنست بيفن) Ernest Bevin^(٤٣). وزيراً للخارجية في الحكومة البريطانية^(٤٤).

ووفقاً لذلك، بدأ الحزب يشجع الحركات العمالية في المستعمرات البريطانية، إذ عازمت بريطانيا على إتباع أحد الآراء الثلاثة تجاه الحركة العمالية في مستعمراتها، إذ تمثل الرأي الأول في احتواء الحركة العمالية في مستعمراتها، بعدم السماح لها بالحركة إلا تحت مظلتها، ومن ثم تخترقها بتنظيمات صورية تمتص بها دافعها الثوري في حين تضمن الرأي الثاني إرهاب الحركة بالمفاوضات المضنية حتى يطفئوا لهيب الحماسة بينها وتتداعى إلى حركات إصلاحية، في حين دعا الرأي الثالث إلى إخمادها بالعنف وإرغامها على الإذعان^(٤٥).

وتزامناً مع تلك التطورات ، شهدت السودان زيادة في الوعي السياسي والقومي الذي أدى إلى زيادة عدد الصحف المحلية وتأسيس محطة للإذاعة المحلية، وتزايد أعداد المنظمين إلى نقابات العمال والعمل الجماعي بعد أن وجدوا ان العمل الفردي لا جدوى منه ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فأن الحكومة لم تكن تأبه بالإسراع لتنفيذ السياسة الرامية لتكوين النقابات والتي نادى بها فوراً حكومة العمال البريطانية بعد الحرب^(٤٦).

وانطلاقاً من ذلك بدأت أولى الخطوات لتنظيم الحركة النقابية عام ١٩٤٦ وذلك في مدينة عطبرة مركز رئاسة مصلحة السكك الحديد، إذ كان عمال سكة حديد عطبرة يشكلون قوة عمالية كبيرة ومتجانسة قدرت بنسبة ٩٠% من سكان المدينة ونحو ٤٠% من مجموع عمال السكة الحديد، ويرجع ذلك إلى وجود مدرسة السكة الحديد التي أنشئت منذ عام ١٩٢٤ ، والمدرسة الصناعية ، وورش مصلحة السكة الحديد في المدينة ذاتها^(٤٧).

بدأ العمال يؤدون دورهم سعيّاً منهم لطرح شعارات الخريجين الوطنية التي عمدت بريطانيا ازاءها إلى تعيين ممثل عن الجمعية التشريعية التي قاطعها العمال فأشتعل فتيل الشرعية النقابية أثر ذلك^(٤٨). وقد طرح العمال المتظاهرون مشروع تكوين هيئة نقابية معترف بها ممثلة للعمال تحت اسم (هيئة شؤون العمال) متخذين من نادي الخريجين في عطبرة مركزاً لنشاطهم وبأشراف مجموعة من الرموز والعناصر القيادية الأولى^(٤٩)، ومنهم سليمان موسى^(٥٠)، والشفيق احمد الشيخ^(٥١).

ولقد حدد العمال أهداف هيئتهم الجديدة آنذاك والمتمثلة بالآتي:-

أولاً: تنظيم العمال في هيئة منظمة لتحسين مستوى حياتهم النقابية والثقافية، لرعاية مصالح العمال والدفاع عن حقوقهم عن طريق الأساليب المشروعة، لتكون حلقة وصل بين العمال والمخدمين.

ثانياً: تقديم المساعدات المادية والمعنوية للأعضاء.

ثالثاً: تنظيم المحاضرات الأدبية والعلمية بهدف تطوير المستوى التعليمي للأعضاء^(٥٢).

ومن الأهداف الأخرى للهيئة العمل على إذكاء التضامن النقابي الاجتماعي، وإنشاء صندوق يسمى صندوق التضامن الاجتماعي ممثلاً باشتراك شهري لكل عضو نقابة تقرره الجمعية العمومية^(٥٣). كما قامت الهيئة بإرسال مذكرة في السادس عشر من آذار عام ١٩٤٧ إلى الحاكم العام مطالبة فيها بالاعتراف الرسمي بنشاطها، إلا أنها لم تتلقى رد مرضياً عنها^(٥٤).

وإزاء ذلك الرد المخيب لآمال الهيئة، قام العمال بتنظيم مظاهرة سلمية متألّفة من أعضاء الهيئة والعمال في الثاني عشر من تموز من العام ذاته اتجهت صوب رئاسة السكة الحديد، لإعلان احتجاجهم، وللتأكيد على أن الهيئة، حظيت بتأييد معظم العاملين بالسكة الحديد بعطبرة^(٥٥).

ولقد تصدى رجال الشرطة لهم، واصطدموا معهم اصطداماً عنيفاً وقبض على قادة هيئة شؤون العمال في اليوم الثاني من المظاهرة، إذ بلغ عدد الذين اعتقلوا في أول إضراب لهيئة شؤون العمال ما يقارب (٦٠) شخصاً منهم سليمان موسى. والطيب حسن الطيب وغيرهم^(٥٦).

استمر عمال السكة الحديد بإضرابهم التاريخي الذي استمر (١٣) يوماً والذي شل كل النشاط الاقتصادي لاسيما أن السكة الحديد كانت الوسيلة الوحيدة لنقل الصادرات والواردات، وربط أقاليم السودان ونقل الركاب، مما أحدث اضطراباً عنيفاً في دوائر الحكومة^(٥٧).

وعلى مستوى الشارع السوداني، فقد تجاوبت مع الإضراب فئات الشعب المختلفة مع تنظيماته السياسية فانهاكت على العمال المضربين التبرعات المادية والعينية، الأمر الذي جعل العمال المضربين لا يشعرون بضائقة مادية بسبب عدم صرف المرتبات، وكان من صدى المعركة كذلك وصول برقيات تأييد من الهيئات والمنظمات والأفراد كافة للمطلب العمالي ومباركته للحركة الوليدة^(٥٨).

إزاء ذلك الوضع، أصرت الإدارة البريطانية على تقديم بعض المتظاهرين الذين أقدمت على اعتقالهم إلى المحكمة^(٥٩).

وأكد المعتقلون عدم مبالاتهم بالمحاكمة، و أنها لن تكون سببا لرفع الإضراب أو التخلي عن مطلب الاعتراف بالهيئة وعلى أثر ذلك راجعت الإدارة البريطانية موقفها من تلك القضايا، ولاسيما قضية الاعتراف بهيئة شؤون العمال بوصفها تنظيمًا عماليًا شرعيًا، وقد قبلت الهيئة وساطة الوفد البريطاني تحت شرط أساسي هو أن يكون أعضاء الهيئة التي تعترف بها السلطات من داخل مدينة عطبرة^(٦٠)، وإزاء تلك الأحداث اضطرت الإدارة البريطانية إلى التخلي عن قانون نيومان الذي أصدره ديفيد نيومان^(٦١)، الذي كان يمثل مجموعة من القيود على الحركة العمالية منها^(٦٢):-
أولاً:- تحديد ساعات العمل الرسمية.

ثانياً:- إصدار بعض القوانين المنظمة لعلاقات العمل.

ثالثاً:- الاعتراف بحق التنظيم النقابي.

رابعاً:- بعض المطالبات الفرعية الأخرى^(٦٣).

وبعدها عملت على سن قانون للنقابات عام ١٩٤٨، أكد حق العمال في تأسيس نقابة لهم مع السماح بتكوين اتحاد بين النقابات والذي عدا انتصاراً للطبقة العاملة، وثمرة من ثمرات كفاحها^(٦٤).

وقبل صدور قانون النقابات عام ١٩٤٨، كانت هناك مجموعة من العمال قد بدأت تعمل على إعداد مسودات لوائح ودساتير نقاباتها في مختلف مواقع العمل، إلا أن عملية تسجيل النقابات بدأ فعلياً في عام ١٩٤٩ عندما كان هناك خمس نقابات فقط استكملت إجراءات تسجيلها ، وفي عام ١٩٥١، ارتفع عدد النقابات المسجلة إلى (٨٦) نقابة ، ثم إلى (٩٩) نقابة عام ١٩٥٢ ، وإلى (١٢٣) نقابة عام ١٩٥٤، وفي عام ١٩٥٦ ارتفع إلى (١٣٥) نقابة ضمت في عضويتها حوالي (٨٧٣٥٥) عاملاً^(٦٥).

وقرب موعد افتتاح الجمعية التشريعية في تشرين الثاني عام ١٩٤٨ قامت الأحزاب المعارضة بمظاهرات احتجاج ، كان من نتائجها إصابة عدد من العمال والمواطنين بجروح مختلفة نتيجة لتعدي السلطات على المظاهرة ، لهذا أرسلت هيئة شؤون العمال برقية احتجاج إلى الحكومة ضد هذه الجريمة، والتي فسرها العمال

المؤيدون لقيام الجمعية بأنها انحياز من هيئة شؤون العمال إلى معارضي الجمعية لهذا عقد هؤلاء العمال اجتماعاً بدار حزب الأمة ثم أصدروا بياناً صحفياً أعلنوا فيه عن تكوين (هيئة شؤون العمال الأحرار) ولكن هذه الفكرة تلاشت بعد أيام^(٦٦).

وإزاء تلك الأحداث انعقد المؤتمر التأسيسي لاتحاد نقابات عمال السودان في تشرين الثاني عام ١٩٥٠، والذي اشتركت فيه (٥٣) نقابة مثلت عمال الورش والمصانع ، وبلغت عضويته (١٥٠) ألف عضو، والذي دعا إلى استتكار فصل مئات من طلاب المدارس الثانوية بسبب نشاطهم السياسي، وعلى تعديل قانون دفاع السودان والذي بموجبه أعطى الحاكم العام سلطات أوسع لقمع الإضرابات^(٦٧).

وبالفعل عمل الاتحاد على تنظيم أكبر إضراب للعمال في تاريخ السودان في آب عام ١٩٥١، وكان من بين مطالب عمال النقابات زيادة الأجور بنسبة ٧٥% لجميع العمال المستخدمين في شتى المصالح البريطانية^(٦٨).

وأجرى اتحاد نقابات العمال في كانون الأول من العام ذاته تعديلاً على دستوره الذي كان يرمي لحماية مصالح العمال ليتضمن مطالب سياسية وطنية واضحة أهمها محاربة السياسة الاستعمارية في السودان من جميع النواحي، والحصول على حق تقرير المصير وعدم التعاون إطلاقاً مع الإدارة البريطانية، والعمل على توحيد صفوف الشعب في جبهة متحدة^(٦٩)، والحصول على أجور أفضل وشروط عمل أفضل والعمل على تحقيق الحريات النقابية، والنضال من أجل تحقيق السلام بين الشعوب، وإعلان الحرب على جميع المشروعات الاستعمارية العدوانية وأحلافها، وتحقيق وحدة النضال المشترك مع عمال مصر والشعب المصري^(٧٠).

تأكيداً لما تقدم أرسل السكرتير الإداري في التاسع عشر من كانون الثاني عام ١٩٥٢ خطاباً إلى اتحاد نقابات العمال وإلى الصحف يحذر النقابات من العمل في السياسة ويقول أن ذلك يتعارض مع دساتير النقابات، وأكد أن الحكومة لا تمنع في اشتغال العمال بالسياسة ، ولكن ليس عن طريق النقابات ، واتهم الاتحاد بأنه أصبح هيئة سياسية، ويسلك طريقاً مضرراً باقتصاديات البلاد، وتبع ذلك تصريح لزعيم الجمعية

النشورية بصدد إلغاء التشريعات العمالية، وطعن نائب السكرتير الإداري بدستور اتحاد العمال، وقال أنه لا يوفر تمثيلاً مناسباً لأحجام النقابات ثم طالب بإيجاد هيئة تمثيل نقابات الحكومة لتدخل في مفاوضات مع الحكومة حول مطالب العمال الذين تمثلهم^(٧١).

وتسلمت منذ مطلع عام ١٩٥٤ مقاليد السلطة في البلاد أول حكومة وطنية، إلا أنها بدلا من الاستجابة لمطالب العمال الذين لعبوا الدور الأساسي في محاولة تحقيق الاستقلال، أخذت تعمل على ضرب الحركة النقابية وشق صفوفها^(٧٢).

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة نستطيع ان نستنتج عدة مفاهيم ورؤى جسدت أثر الحركة النقابية في السودان ، اذ ظهرت نتيجة المشاريع الكثيرة التي أنشأها الاستعمار البريطاني والتي عدت بمثابة البداية الاولى لظهور تلك الطبقة والتي تطورت اكثر بمرور الزمن نتيجة الحاجة للأيدي العاملة بالمشاريع البريطانية سواء مشاريع السكك الحديد التي استحدثها الاستعمار لنقل البضائع البريطانية ، او من خلال المشاريع الزراعية ولاسيما مشاريع زراعة القطن الذي اعتمدت في الحصول عليه من المزارع المصرية ، ونتيجة تدهور زراعته اتجهت نحو السودان بعد ان تأكدت من امكانية زراعته وبجودة عالية كالذي كانت تحصل عليه من المزارع المصرية وكل تلك المشاريع خلقت الطبقة العاملة في السودان كون بريطانيا استعانت بالأهالي للعمل بتلك المشاريع . تمكن العمال من إثبات وجودهم الطبقي بوصفهم قوة حقيقية عبر تكوين هيئة نقابية معترف بها ممثلة للعمال تحت اسم هيئة شؤون العمال عام ١٩٤٦ ، وبإشراف مجموعة من الرموز والعناصر القيادية الاولى منهم سليمان موسى ، والشفيع احمد الشيخ الذين ساهموا بتطوير الحركة النقابية في السودان.

وختاماً يجدر بنا ان نشير الى ان هذه الدراسة قد سلطت الضوء على مرحلة تاريخية مهمة من تاريخ الحركة النقابية في السودان والتي كانت ولا تزال ذات أهمية كبيرة .

Abstract.

Through this study we can conclude several concepts and visions embodied the impact of the trade union movement in the Sudan for the period 1956-1969, as the trade union movement in Sudan emerged as a result of the many projects created by British colonialism that which is promised as the very beginning of the emergence of that layer, which develop more over time as a result of the need for hands working British projects both railways developed by colonialism for the transfer of British goods projects, or through agricultural projects, especially the cultivation of cotton projects which were adopted to get it from the Egyptian farmer, and as a result of the deterioration of cultivation headed towards Sudan after it was confirmed the possibility of cultivation and quality high like the one they get it Egyptian farmer and all of these projects has created a working-class Britain in Sudan universe Balohala hired to work with those projects. Enabling workers to prove they are the class as a real force over the composition of trade union body recognized representative of the workers under the Authority Workers Affairs name in 1946, and under the supervision of a set of symbols and command elements of the first of them Suleiman Musa, and Shafie Ahmed Sheikh who contributed to the development of the trade union movement in Sudan.

Finally, we should point out that this study may shed light on an important historical period from the date of the trade union movement in Sudan, which was and still is of great importance.

- (١) تيم نبلوك، صراع السلطة والثروة في السودان ، ترجمة الفاتح التيجاني ومحمد علي جادين ، مطبعة جامعة الخرطوم ، الخرطوم ، ١٩٩٠، ص١٣.
- (٢) مدينة في أقصى شمال السودان تقع في الولاية الشمالية على بعد ٩٠٩ كم من العاصمة الخرطوم ، وتعد بوابة السودان الشمالية وأولى مدنه المرتبطة بمصر. للمزيد ينظر: عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والانساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن ، ج٣ ، شركة افروقواف للطباعة والنشر والتغليف ، الخرطوم ، ١٩٩٦ ، ص١٤٨٠.
- (٣) مدينة تقع في شمال شرق السودان على الساحل الغربي للبحر الأحمر على ارتفاع ٦٦ متراً، وتبعد عن العاصمة الخرطوم حوالي ٦٤٢ كيلومتراً، وتضم منطقة أثرية تاريخية وكانت سابقاً ميناء السودان الرئيس. للمزيد ينظر: المصدر نفسه، ص١٠٤٩.
- (٤) مدينة مشهورة بمحافظة النيل شمال اثبرا ، قيل أنها من بربر اسم امرأة حكمتها قديماً وتسمى أيضاً القوز وقوز الفوج. للمزيد ينظر: المصدر نفسه، ج١، ص٢٥٥.
- (٥) محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان ١٩٠٠-١٩٦٩ ، ترجمة هنري رياض واخرون الدار العربية السودانية للكتب ، الخرطوم ، ١٩٨٠ ، ص٤١.
- (٦) محمود شاكر، السودان ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨١، ص٥٤.
- (٧) محمد عمر بشير ، المصدر السابق، ص٤٢.
- (٨) أبو بكر حسن محمد باشا، نشأة وتطور الأحزاب السياسية في السودان، ١٨٩٨-١٩٥٦، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٦، ص١٢١.
- (٩) محمد عمر بشير ، المصدر السابق، ص١٤٦.
- (١٠) محجوب سيد احمد، حقوق الإنسان وتطور الحركة العمالية في السودان (١٩٤٦-١٩٩٦)، القاهرة، د.ت، ص١١-١٢ .
- (١١) عبدالرحمن عباس مالك، اضواء على الأجور ومستوى المعيشة وشروط خدمة عمال السودان (١٩٠٣-١٩٦٨) ، مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم، ١٩٨٨، ص٨.
- (١٢) بهاء الدين مكاي، التنظيمات الفنية، مجلة سودانيل ، العدد ٣٥، الخرطوم، ٢٠٠٩، ص٥.
- (١٣) عثمان السيد محجوب، سكك حديد السودان النشأة ، التطور، الآثار (١٨٩٦-١٩٦٢) رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة وادي النيل، القاهرة، ٢٠٠٠، ص١١٠.
- (١٤) محمد عمر بشير، المصدر السابق، ص٢٤٧.

- (١٥) بهاء الدين مكاوي ، المصدر السابق، ص ٥.
- (١٦) هي الميناء البحري الرئيس في السودان ، وهي واحدة من المدن الكبيرة في السودان ومنطقة البحر الأحمر، تعدّ البوابة الشرقية للسودان. للمزيد ينظر: عون الشريف قاسم، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦٦.
- (١٧) عبدالرحمن عباس مالك، المصدر السابق، ص ٨-٩.
- (١٨) ابو بكر حسن محمد باشا، المصدر السابق، ص ١٢١ .
- (١٩) محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية ، المصدر السابق، ص ٢٤٧.
- (٢٠) محجوب سيد أحمد، المصدر السابق، ص ١٢.
- (٢١) محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية ، ص ٢٤٨.
- (٢٢) محجوب سيد احمد، المصدر السابق، ص ١٢؛ السودان ، مجلة المصور، العدد ١٨٣٣، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٢٣.
- (٢٣) محمد أبو القاسم حاج حمد، السودان المأزق التاريخي وأفاق المستقبل ، دار الكلمة للنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٣٠٢.
- (٢٤) تيم نبلوك ، المصدر السابق، ص ١١٥.
- (٢٥) ابو بكر حسن محمد باشا، ، المصدر السابق، ص ١٢٢.
- (٢٦) محجوب سيد احمد، المصدر السابق، ص ١٢.
- (٢٧) عثمان السيد محجوب، المصدر السابق، ص ١١٥.
- (٢٨) صحيفة الاتحاد الدولي، العدد ٦٥٩ ، الخرطوم ، ٦ كانون الأول، ١٩٩٤.
- (٢٩) محجوب سيد احمد، المصدر السابق، ص ١٣؛ عدنان العابد، نقابات العمال ومنظمات أصحاب العمل في القوانين العربية ، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٣، ص ٢٧.
- (٣٠) محمد سعيد القдал، تاريخ السودان الحديث (١٨٢٠-١٩٥٥) ، شركة الأول للطباعة، الخرطوم، ٢٠٠٢، ص ٢٩٨.
- (٣١) محمد عمر بشير ، المصدر السابق، ص ٢٥٠؛ محمد سعيد القдал، المصدر السابق، ص ٤٨٩.
- (٣٢) علي محمد بشير موسى ، تاريخ نقابة عمال السكة الحديدية والحركة النقابية في السودان، دار عزة للنشر والتوزيع ، الخرطوم، ٢٠٠٧، ص ٢٨.
- (٣٣) G. M. O., Sudan Rail Ways, D.7, 21st February , 1943.
- (٣٤) G.M. O., from: your obeigent seronts to chief mech Engineer, Tbara, D.8, 22 February, 1943.

(٣٥) مسودة خطاب العمال إلى مدير عام الورش بتاريخ ٢٣ آذار، ١٩٤٣، وثيقة رقم ٩، ٢٣ آذار، ١٩٤٣.

(٣٦) G. M. O., Sudan Rail ways , Gmcv, 2435, D. 10, 25st February, 1943.

(٣٧) علي محمد بشير موسى، المصدر السابق، ص ٢٩.

(٣٨) عبدالرحمن عباس مالك، المصدر السابق، ص ١٠؛ لجنة في مؤسسة النقابة العمالية، الحركة النقابية العربية، ط ٢، مطبعة مؤسسة الثقافة العمالية، بغداد، ١٩٨١، ص ١١١.

(٣٩) غالب حامد النجم، تطور الحركة الوطنية في السودان ١٩٢٤ - ١٩٥٦، مكتبة التحرير، بيروت، ١٩٨١، ص ١٣٨.

(٤٠) تيم نبلوك، المصدر السابق، ص ١٧.

(٤١) علي محمد بشير موسى، المصدر السابق، ص ٣٢.

(٤٢) تعود جذور الحزب إلى الجمعيات والنقابات التي كان لها الدور الفعال في تأسيسه، ومنها الاتحاد الديمقراطي الاشتراكي، وحزب العمال المستقل، التي اجتمعت في مؤتمر بلاتيموث عام ١٨٩٨ وشكلت لجنة التمثيل العمالي التي استمرت بالعمل حتى عام ١٩٠٦ لتعلن عن ولادة حزب العمال البريطاني، وشكل أول حكومة له في عام ١٩٢٤ يزعمه رمزي ماك دونالد. للمزيد ينظر: حارث عبدالرحمن الطيف محمد التكريتي، نشأة حزب العمال البريطاني وتطوره حتى عام ١٩٢٤، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٧؛

Henry pelling , The origins of the Labour party 1880-1900, London , Gtarendan press, 1965, P.55.

(٤٣) زعيم نقابي بريطاني ولد عام ١٨٨١، عرف بالقدرة على التنظيم، نشأ بيفن فقيراً سائقاً للقطارات بالسكك الحديدية، وبدأ حياته زعيماً لنقابات العمال البريطانية، أصبح عضواً في = الاتحاد العام للعمال عام ١٩٢٥ و ١٩٤٠، كما عمل وزيراً للعمل في وزارة تشرشل خلال سنوات (١٩٤٠-١٩٤٥)، وشغل منصب وزير الخارجية خلال السنوات (١٩٤٥-١٩٥١)، توفي عام ١٩٥١. للمزيد ينظر: الآن بالمر، موسوعة التاريخ الحديث، ١٧٨٩-١٩٤٥، ترجمة: سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٩٢، ص ١١٠-١١١.

(٤٤) تيم نبلوك، المصدر السابق، ص ١١٩.

(٤٥) محمد سعيد القidal، المصدر السابق، ص ٥٠٠.

(٤٦) محمد عمر بشير، المصدر السابق، ص ٢٥١.

- (٤٧) محمد السيد محمد، صفحات مشرقة من نضال الحركة النقابية في السودان، مجلة العامل المعاصر، العدد ٢٠ ، بغداد، ١٩٦٩، ص٢٧؛ محمد عمر بشير ، المصدر السابق، ص٢٥١.
- (٤٨) عدنان العابد، المصدر السابق، ص٢٣؛ منظمة العمل العربية، دور منظمة العمل العربية، في دعم الحركة العمالية في الوطن العربي، دار الشعب ، القاهرة، ١٩٧٦، ص١١٦.
- (٤٩) علي محمد بشير موسى، المصدر السابق، ص٤٠.
- (٥٠) ينتمي إلى إحدى الأسر المصرية التي استوطنت مدينة الخرطوم بحري، التحق بالعمل في ورشة الوابورات قسم الميكانيكا ، ثم انتقل إلى ابترام عام ١٩٢٩ عاملاً بورشة الحملة الميكانيكية. للمزيد ينظر: المصدر نفسه، ص٤٢.
- (٥١) زعيم نقابي سوداني، هو الأمين العام لاتحاد النقابات في السودان، ونائب رئيس الاتحاد العالمي لنقابات العمال من مواليد مدينة سندي (شمال الخرطوم) بالمديرية الشمالية تلقى تعليمه بمدينة سندي، ثم تعلم بمدرستي بربر وبورسودان، التحق بأول دفعة بمدرسة الصناعات العليا بمدينة عطبرة وتخرج منها عام ١٩٤٢ ، عمل بالسكك الحديدية في ورش عطبرة ، شارك بعد الحرب العالمية الثانية في نشأة أول تشكيل نقابي (هيئة شؤون العمال لسكة الحديد)، اختير سكرتيراً للاتحاد عام ١٩٥١ ، وقد أصبح نائباً لرئيس هذا الاتحاد منذ عام ١٩٥٧، أعلن تأييده لحركة ١٩ تموز ١٩٧١ التي قام بها الرائد هاشم عطا، ودعا الشفيع النقابات إلى عقد اجتماع وشارك في الموكب الذي قام به الاتحاد العام للنقابات وقد اعتقل بعد ذلك وحكم عليه بالإعدام. للمزيد ينظر: عبدالمنعم الغزالي، الشفيع احمد الشيخ والحركة النقابية والوطنية السودانية، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٢ ، ص ١ .
- (٥٢) أضواء على الحركة النقابية السودانية، مجلة الثقافة العمالية، العدد ٢٣، بغداد، ١٩٦٩، ص١٣؛ تيم نبلوك، المصدر السابق، ص١٢١؛ لجنة الثقافة والنشر لاتحاد نقابات عمال القطاع العام، ١٢ يوليو ١٩٤٧ ميلاد الحركة العمالية السودانية ، الخرطوم ، د.ت ، ص١٩.
- (٥٣) صحيفة الثورة ، العدد ٣٤ ، بغداد، ٤ كانون الأول، ١٩٥٨، صحيفة الرأي الآخر، العدد ١٧٢٦، الخرطوم ١٤ تموز ١٩٦٩.
- (٥٤) لجنة في مؤسسة الثقافة العمالية، المصدر السابق، ص١١٥؛ صحيفة العامل السوداني، العدد الأول، الخرطوم، ١ آب ١٩٤٦.
- (٥٥) الطيب حسن الطيب، مذكرات عن الحركة العمالية (من الدورة الأولى لهيئة شؤون العمال بعطبرة ١٩٤٦-١٩٤٧-١٩٤٨)، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم ، ١٩٨٩، ص٢٩.
- (٥٦) عبدالرحمن عباس مالك، المصدر السابق، ص١٢.

- (٥٧) صحيفة الأخبار، العدد ٢٨٢، القاهرة، ٢٨ كانون الأول، ١٩٥٩.
- (٥٨) الاتحاد العام لنقابات عمال السودان، سلسلة وثائقية نقابية، تاريخ الحركة العمالية، الخرطوم، ١٩٨٨، ص ١٤.
- (٥٩) صحيفة الرأي العام، الاعداد ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، الخرطوم، ١٣-١٥ نيسان ١٩٤٨. للمزيد من التفاصيل عن المحكمة: ينظر الطيب حسن الطيب، المصدر السابق، ص ٣٠-٨٠.
- (٦٠) علي محمد بشير موسى، المصدر السابق، ص ٤٨.
- (٦١) هو أحد زعماء الحركة العمالية البريطانية اختارته الحكومة السودانية ليتولى شرح قوانين العمل وتعريف النقابيين بأساليب ممارسة العمل النقابي. للمزيد ينظر: المصدر نفسه، ص ٨٧.
- (٦٢) حميد جاعد، الحركة النقابية العربية: دراسة تاريخية موجزة، مطبعة مؤسسة الثقافة، بغداد، ١٩٨٠، ص ١١٤.
- (٦٣) الاتحاد العام لنقابات عمال السودان، المصدر السابق، ص ١٤، أضواء على الحركة النقابية في السودان، المصدر السابق، ص ١٣.
- (٦٤) محمد الزيدي، الحريات النقابية في الوطن العربي، المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل، بيروت، ١٩٨٠، ص ٦٣.
- (٦٥) ديدار فوزي روسانو، السودان إلى أين، ترجمة مراد خلاف، الشركة العالمية للنشر، بيروت، ٢٠٠٧، ١٢٢-١٢٣.
- (٦٦) علي محمد بشير موسى، المصدر السابق، ص ٧٨.
- (٦٧) حميد جاعد وهادي نصيف، الحركة النقابية العربية، دراسة تاريخية موجزة، مؤسسة الثقافة العمالية، بغداد، ١٩٨٠، ص ٥١؛ محمد الزيدي، المصدر السابق، ص ٦٤.
- (٦٨) محمد عمر بشير، المصدر السابق، ص ٥٥؛ صحيفة الرأي العام، العدد ١٠٢٥، الخرطوم، ١٩٩٩.
- (٦٩) أبو بكر حسن محمد باشا، المصدر السابق، ص ١٢٧.
- (٧٠) أضواء على الحركة النقابية السودانية، المصدر السابق، ص ١٤.
- (٧١) علي محمد بشير موسى، المصدر السابق، ص ١٢١.
- (٧٢) لجنة في مؤسسة الثقافة العربية، المصدر السابق، ص ١١٨؛ التقرير السنوي لنقابة عمال السكة الحديد دورة (١٩٥٤-١٩٥٥)، مطبعة النهضة، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٦.

المصادر

أولاً :- الوثائق الغير المنشورة

- ¹⁻ G. M. O., Sudan Rail Ways, D.7,21st February , 1943.
- ²⁻ G.M. O., from: your obejient seronts to chief mech Engineer, Tbara, D.8,22 February, 1943.
- ³⁻ G. M. O., Sudan Rail ways , Gmcv, 2435, D. 10, 25st February, 1943.

ثانياً :- الوثائق السودانية الغير المنشورة

- ١- مسودة خطاب العمال إلى مدير عام الورش بتاريخ ٢٣ آذار، ١٩٤٣، وثيقة رقم ٩، ٢٣ آذار ، ١٩٤٣.

ثالثاً:- الموسوعات العربية

- ١- الآن بالمر، موسوعة التاريخ الحديث، ١٧٨٩-١٩٤٥، ترجمة: سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد، ١٩٩٢.
- ٢- عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل والانساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن ، ج٣ ، شركة افروقواف للطباعة والنشر والتغليف ، الخرطوم ، ١٩٩٦.

رابعاً :- الكتب العربية والمترجمة

- ١- الاتحاد العام لنقابات عمال السودان ، سلسلة وثائقية نقابية، تاريخ الحركة العمالية، الخرطوم، ١٩٨٨.
- ٢- تيم نبلوك، صراع السلطة والثروة في السودان ، ترجمة الفاتح التيجاني ومحمد علي جادين ، مطبعة جامعة الخرطوم ، الخرطوم ، ١٩٩٠.
- ٣- حميد جاعد وهادي نصيف، الحركة النقابية العربية، دراسة تاريخية موجزة، مؤسسة الثقافة العمالية ، بغداد، ١٩٨٠.

- ٤- حميد جاعد وهادي نصيف، الحركة النقابية العربية، دراسة تاريخية موجزة، مؤسسة الثقافة العمالية ، بغداد، ١٩٨٠.
- ٥- حميد جاعد، الحركة النقابية العربية: دراسة تاريخية موجزة، مطبعة مؤسسة الثقافة، بغداد، ١٩٨٠.
- ٦- ديدار فوزي روسانو، السودان إلى أين ، ترجمة مراد خلاف ، الشركة العالمية للنشر، بيروت، ٢٠٠٧.
- ٧- الطيب حسن الطيب، مذكرات عن الحركة العمالية (من الدورة الأولى لهيئة شؤون العمال بعطبرة (١٩٤٦-١٩٤٧-١٩٤٨))، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم ، ١٩٨٩.
- ٨- عبدالرحمن عباس مالك، اضواء على الأجور ومستوى المعيشة وشروط خدمة عمال السودان (١٩٠٣-١٩٦٨) ، مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم، ١٩٨٨.
- ٩- عبدالمنعم الغزالي، الشفيق احمد الشيخ والحركة النقابية والوطنية السودانية، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٢.
- ١٠- عدنان العابد، نقابات العمال ومنظمات أصحاب العمل في القوانين العربية ، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٣.
- ١١- علي محمد بشير موسى ، تاريخ نقابة عمال السكة الحديدية والحركة النقابية في السودان، دار عزة للنشر والتوزيع ، الخرطوم، ٢٠٠٧.
- ١٢- غالب حامد النجم، تطور الحركة الوطنية في السودان ١٩٢٤ - ١٩٥٦ ، مكتبة التحرير ، بيروت ، ١٩٨١.
- ١٣- لجنة الثقافة والنشر لاتحاد نقابات عمال القطاع العام، ١٢ يوليو ١٩٤٧ ميلاد الحركة العمالية السودانية ، الخرطوم ، د.ت.

- ١٤- لجنة في مؤسسة الثقافة العربية، المصدر السابق، ص١١٨؛ التقرير السنوي لنقابة عمال السكة الحديد دورة (١٩٥٤-١٩٥٥) ، مطبعة النهضة ، القاهرة، ٢٠٠٦.
- ١٥- لجنة في مؤسسة النقابة العمالية ، الحركة النقابية العربية ، ط٢، مطبعة مؤسسة الثقافة العمالية، بغداد، ١٩٨١.
- ١٦- محبوب سيد احمد، حقوق الإنسان وتطور الحركة العمالية في السودان (١٩٤٦-١٩٩٦)، القاهرة، د.ت.
- ١٧- محمد أبو القاسم حاج حمد، السودان المأزق التاريخي وأفاق المستقبل ، دار الكلمة للنشر ، بيروت ، ١٩٨٠.
- ١٨- محمد الزيدي، الحريات النقابية في الوطن العربي، المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل، بيروت، ١٩٨٠.
- ١٩- محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث (١٨٢٠-١٩٥٥) ، شركة الأول للطباعة، الخرطوم، ٢٠٠٢.
- ٢٠- محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان ١٩٠٠-١٩٦٩ ، ترجمة هنري رياض واخرون الدار العربية السودانية للكتب ، الخرطوم ، ١٩٨٠.
- ٢١- محمود شاكر، السودان ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨١.
- ٢٢- منظمة العمل العربية، دور منظمة العمل العربية، في دعم الحركة العمالية في الوطن العربي، دار الشعب ، القاهرة، ١٩٧٦.

خامساً:- الرسائل والاطاريح الجامعية

- ١- أبو بكر حسن محمد باشا، نشأة وتطور الأحزاب السياسية في السودان، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٦.

٢- عثمان السيد محبوب، سكك حديد السودان النشأة ، التطور، الآثار (١٨٩٦-١٩٦٢) رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة وادي النيل، القاهرة، ٢٠٠٠.

سادساً:- الكتب الأجنبية

1- Henry pelling , The origins of the Labour party 1880-1900, London , Gtarendan press, 1965.

سابعاً:- البحوث والدراسات المنشورة

١- أضواء على الحركة النقابية السودانية، مجلة الثقافة العمالية، العدد ٢٣، بغداد، ١٩٦٩.

٢- بهاء الدين مكايي، التنظيمات الفنونية، مجلة سودانيل ، العدد ٣٥، الخرطوم، ٢٠٠٩.

٣- محمد السيد محمد، صفحات مشرقة من نضال الحركة النقابية في السودان، مجلة العامل المعاصر، العدد ٢٠ ، بغداد، ١٩٦٩.

ثامناً :- الصحف

١- الصحف العراقية: صحيفة الثورة ، العدد ٣٤، بغداد، ٤ كانون الأول، ١٩٥٨.

٢- الصحف المصرية: صحيفة الأخبار، العدد ٢٨٢، القاهرة، ٢٨ كانون الأول ، ١٩٥٩.

٣- الصحف السودانية

- صحيفة العامل السوداني، العدد الأول، الخرطوم، ١ آب ١٩٤٦.
- صحيفة الرأي العام، الاعداد ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، الخرطوم، ١٣-١٥ نيسان ١٩٤٨.
- صحيفة الرأي الآخر، العدد ١٧٢٦، الخرطوم ١٤ تموز ١٩٦٩.
- صحيفة الاتحاد الدولي، العدد ٦٥٩ ، الخرطوم ، ٦ كانون الأول، ١٩٩٤.



العوامل المؤثرة في تطوير مهنة الطب في العصر الفاطمي

**أ.د. ناجي حسن الموسوي
كلارا عزيز فرنسيس إسحاق**

**جامعة بغداد
كلية الآداب – قسم التاريخ**

العوامل المؤثرة في تطوير مهنة الطب في العصر الفاطمي

أ.د. ناجي حسن الموسوي

كلارا عزيز فرنسيس إسحاق

١ - دعم الخلفاء وتشجيعهم لمهنة الطب:

لاشك أن ازدهار مهنة الطب في العصر الفاطمي (٢٩٦-٥٦٧هـ/ ٩٠٩-١١٧١م) يعود إلى جملة عوامل ساهمت في بلورة وتشكيل ذلك الصرح العظيم في دولة الفاطميين، فانتشرت الثقافة الإسلامية في هذا العصر أنتشاراً يدعو إلى الإعجاب، وزخر البلاط الفاطمي بالأطباء (العامة^(١)، والخاصين^(٢)، والوافدين^(٣)).

يأتي في مقدمة تلك العوامل ما قدمه الخلفاء الفاطميين من دعم وتشجيع كبيرين لمهنة الطب والاطباء، وذلك لحاجتهم الشديدة والدائمة لها لعلاج حريمهم^(٤)، كما أنهم أدركوا مدى أهميتها في المحافظة على المجتمع الفاطمي وتكامل قواه، بعد أن باتت أهداف هذه المهنة وأهميتها واضحة على مر العصور التاريخية، وكما يقول ابن خلدون^(٥): " أن ثمرتها هي حفظ الصحة للأصحاء، ودفع المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل لهم البرء من جميع أمراضهم".

أضف إلى هذا ان هذه المهنة فريدة عن سائر المهن الأخرى، سامية الاعتبار والأعراف التي درج الناس عليها، فليس لها ان تتعامل بأعتبارات العداوة، أو الخصومة، أو العقوبة، أو ان تتساق لدوافع شخصية أو سياسية أو حربية^(٦).

وراء هذه الأهمية الكبيرة والتميزة لمهنة الطب أنطلق خلفاء الدولة الفاطمية لدعمها وتعظيمها. فعد العصر الفاطمي من أزهى عصور مصر الإسلامية من الناحية العلمية والفكرية والثقافية، إذ بلغ تطور الحياة العلمية فيه درجة كبيرة من التقدم والنمو والازدهار^(٧)، لكثرة العلماء الذين كانوا بمصر، أو الذين وفدوا إليها^(٨)، وشهد عصر الدولة الفاطمية حيوية واضحة في جميع ميادين العلم من فكر وآداب وعلوم^(٩).

وراجت حركة العلم رواجاً عظيماً^(١٠)، الأمر الذي حدا ببعض المؤرخين المحدثين إلى تسمية العصر الفاطمي بالعصر الذهبي للعلوم بفضل تشجيع خلفائها ووزرائهم لحركة العلم والتعليم والعلماء^(١١).

وقد أهتم الخلفاء الفاطميون^(١٢) بالعلم بمختلف فروعِهِ، وشجعوا علماء النحو^(١٣)، واللغة^(١٤)، والقراءات^(١٥)، والتاريخ، بجانب تشجيعهم لغيرهم من علماء الفلك^(١٦) والفلسفة^(١٧) والطب^(١٨).

ويرجع أهتمام الخلفاء الفاطميين بالطب منذ وقت مبكر من قيام دولتهم، وإلى هذا يشير القاضي أبو حنيفة النعمان^(١٩) (ت : ٣٦٣هـ / ٩٧٣م)، بأن الخليفة الفاطمي أبو عبد الله المهدي^(٢٠) (٢٩٦-٣٢٢هـ / ٩٠٩-٩٣٢م) كانت له خبره ودراية في تركيب المعاجين الطبية^(٢١)، وفي اختيار العقاقير، وقد أستفاد من هذه الخبرة حفيده الخليفة المعز لدين الله الفاطمي^(٢٢) (٣٤١-٣٦٥هـ / ٩٥٢-٩٧٥م)، والذي عمل دواء لوجع إصابة في جوفه ، وبعد أن تناول ذلك الدواء قال: " اللهم أنك قد أكرمتني بأبوتيه وجعلته سابقاً إلى الفضل الذي خصصتني به وقدمته فيه، واني أقدم ما كان قد أمره على ما كان من أمري، فأجعل لي في ذلك شفاء من الداء، فوالله ما هو إلا أن تناولته حتى زال عني ماكنت أجدُ " ^(٢٣).

هذا فضلاً عن ان أغلب المصادر تشير بأن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله كان عالماً^(٢٤)، ملماً بالعلوم والفلسفة^(٢٥)، مشجعاً عظيماً للفنون، إذ فتح ابواب قصره للعلماء والطلاب، وأباح لهم جميعاً الاطلاع على الكتب المختلفة بمكتبة القصر^(٢٦).

ويصفه ابن الآبار^(٢٧) : " بأنه كان من اهل البيان والبلاغ والخطابة " .
إما الدشراوي^(٢٨) فيقول عنه: " كان المعز يمتاز برحابة الفكر واتساع المعارف ".

فبلا شك كانت هذه الثقافة الكبيرة، وما تركه له جده من أرث كبير، ناهيك عن أهمية مهنة الطب التي نوهنا عنها سابقاً، هي المؤهل الأول التي دفعت المعز لدين الله الفاطمي إلى الاهتمام بالعلوم الطبية بخاصة، وبقية العلوم والفنون بعامة.

ومع غياب نص صريح يشير إلى اهتمام الخليفة الفاطمي العزيز بالله (٢٩) (٣٦٥-٣٨٦هـ / ٩٧٥-٩٩٦م) بمهنة الطب . إلا أن المصادر أشادت بدوره البارز في ميادين العلوم المختلفة، ووصفته بالرجل العالم المحب للعلم والعلماء (٣٠)، والذي شهد عهده نهضة ثقافية وعلمية كبيرة (٣١).

وما من شك ان الطب كان من العلوم التي شهدت تقدماً وأزدهاراً في عهد العزيز، يشهد على ذلك اعداد الأطباء الفاطميين (٣٢) والوافدين (٣٣) الذين برزوا في عهده ونالوا منه الاحترام والتقدير .

كما شهدت فترة خلافته تطوراً في مجال جديد من مجالات العلوم الطبية، إذ برز في عهده كتاب عرف بأسم " البيزرة " (٣٤) الذي يبحث في مجال الطب البيطري (٣٥) للحيوانات (٣٦)، وكيفية صيدها، ولم يخلوا هذا الكتاب من بعض

النصائح الطبية المتعلقة بصحة الإنسان، ومنها: " على الإنسان حفظ صحته وجسمه بالغذاء الذي به قوامه " (٣٧)، " واشرف الغذاء الذي تحفظ به الأعضاء وما شاكلها ، وليس شيء أشبه بها، وأسرع استحالة إليها من اللحم، وافضل للحمان ما استدعته الشهوة وتقبلته الطبيعة ، الذي يكون سهل الهضم، ولايؤثر على صحة الإنسان " (٣٨).

ونوه مؤلف الكتاب عما يحمله الصيد من فوائد لصحة الإنسان وتحريك اعضائه إذ يقول : " ان للصيد فضائل جمة ، وملاذ ممتعة، ومحاسن بيّنة، وخصائص في ظلف النفس ونزاهتها، به يستفاد في النشاط والاريفية، والمنافع الظاهرة والباطنة، والمران والرياضة والحركة، واتساع الخطوة، وخفة الركاب " (٣٩).

يعد هذا الكتاب الأول من نوعه في أختصاص الطب البيطري في العصر الفاطمي، كما انه كتاب نادر جمع فيه المؤلف معلومات متنوعة في المحافظة على صحة بدن الإنسان وربطها بطريقة علمية صحيحة بموضوع الصيد.

كما كان الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ^(٤٠) (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م)، شديد الاهتمام بالعلم والادب ^(٤١)، قرب اليه العلماء من الأطباء والمنجمين من مختلف النحل والاديان ^(٤٢).

ولعل أهم عمل قام به الحاكم بأمر الله هو انشاءه " لدار الحكمة " ^(٤٣) ذلك المركز العلمي العالمي الذي اجتمع فيه عباقرة كل العلوم من أدب ولغة وطب وفلك ^(٤٤).

وفي مجال اهتمام الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بالعلوم الطبية والمحافظة على الصحة يقول عارف تامر ^(٤٥) : " كان الحاكم بأمر الله طبيباً وعالماً بعلم النبات، فقد منع من أكل الملوخية ^(٤٦)، والمتوكلية ^(٤٧)، والجرجير ^(٤٨)، والترمس ^(٤٩) لأنه أدرك أن الاكثار من أكل هذه المواد يزيد من كميات الدم في جسم الإنسان، ويغير الواقع النفسي، ويضفي قابلية النزوع نحو الشر، وكان الشعب المصري يفضل هذه النباتات على كل غذاء خاصة عندما يتناولها خضراء، وهذا الرأي أيده الأطباء العالميون المعاصرون ^(٥٠). أذن عندما نقول ان الحاكم كان طبيباً، وان تدبيره ذاك كان لمصلحة الشعب نكون قد أنصفنا هذا الخليفة وأعطيناه حقه، أو أقل من حقه حتى، فنحن إلى الآن لم نستطيع ان نفكر بما فكر فيه هذا الخليفة منذ الف عام " ^(٥١).

ومنع الحاكم بأمر الله أيضاً من اكل الدليس ^(٥٢)، إذ تبين انه يورث الدودة الوحيدة في الامعاء، وفعلاً قد شاع هذا المرض وكثر في الديار المصرية بذلك العصر ^(٥٣).

كما وصلت الينا مخطوطة من تأليف الحاكم بأمر الله الفاطمي ^(٥٤) تبحث في الكيمياء ^(٥٥) والمعادن، وبما ان للكيمياء صلة وثيقة بالطب خاصة في مجال تحضير الأدوية وتطويرها ^(٥٦)، رأينا من الضروري ان نستعرض بعض ماجاء في هذه المخطوطة من الأمور المهمة التي لها صلة بموضوعنا. إذ يتحدث الحاكم بأمر الله عن تركيب بدن الإنسان، ويقول: "ان الإنسان مركب من روح، ونفس، وجسد، وهذه تسمى الأركان الثلاثة التي لاتفترق وينتج من اجتماعهما وامتزاجهما جوهر واحد، وان

النفس الطاهرة هي الواسطة التي تتوسط بين الروح والجسد وتلحمهما بحيث لايفترقان ابداً ، فلا بد ان يكون الجسد طاهراً وصحياً ليتمكن من الوصول إلى الروحانية " (٥٧).

ويوصي الحاكم بأمر الله ابنه للوصول إلى هذه الغاية بقوله: " يا بني اتعب نفسك، وكد جسمك حتى تظفر بتدبير هذه الأركان الثلاثة " (٥٨).

كما توصل الحاكم بأمر الله في عمله هذا إلى تحضير مادة الأكسير (٥٩) من بعض المعادن الكيميائية (٦٠).

كما واهتم الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي (٦١) (٤١١-٤٢٧هـ/ ١٠٢٠-١٠٣٥م) بمهنة الطب، حيث تشير الرويات (٦٢) " بأن الخليفة الظاهر نزل إلى بیمارستان متكرراً في عبيده فطاقه، وأطلق لكل من المجانين خمسين درهماً (٦٣)، وللقيم (٦٤) عليهم خمسمائة درهم (٦٥)، وأمر بعمارة بیمارستان (٦٦) وأجراء الماء إليه على رسمه، وان يطبخ للمجانين في كل يوم ما يأكلونه بعد أدويتهم (٦٧).

لم تمدنا المصادر بمعلومات صريحة عن دور بقية الخلفاء الفاطميين، أو اهتمامهم بمهنة الطب، لكن هذا لايعني خلو قصورهم من الأطباء (٦٨). وكما هو واضح أن مهنة الطب ظلت مزدهرة طيلة العصر الفاطمي، يشهد بذلك أعداد الأطباء الفاطميين واهتمام الخلفاء بهم، وحرصهم الدائم لتوفير احتياجاتهم الطبية منها والخاصة، مما جعل طبقة الأطباء من الطبقات الغنية في المجتمع الفاطمي (٦٩)، كل هذا شجع اطباء آخرين من مختلف الأقاليم والدول للوفود إلى مصر الفاطمية تجذبهم عوامل عدة لعل في مقدمتها هذا الاهتمام الذي ابداه خلفاء الدولة الفاطمية في دعم ومساندة الأطباء، والمكانة الاجتماعية المميزة التي وصلت إليها هذه الطبقة في المجتمع الفاطمي، ولانغفل الإشارة إلى ما كانت تدر هذه المهنة من مال على منتسبيها. كل هذا وغيره دفع كثير من الأطباء للتوجه نحو البلاد المصرية في العهد الفاطمي (٧٠).

من كل هذا يمكن القول أن اهتمام الخلفاء الفاطميين بمهنة الطب كان كبيراً (٧١)، حيث أغدقوا على الأطباء الأموال، وأجزلوا لهم المنح (٧٢)، وخصصوا لهم

مرتبات شهرية^(٧٣)، وقلدوهم المناصب العليا، فأصبحت للأطباء منزلة رفيعة بين رجال البلاط^(٧٤). وباتت مهنة الطب من أعظم الوظائف الصناعية في العصر الفاطمي^(٧٥)، إذ كان لكل خليفة طبيب يعرف بالطبيب الخاص^(٧٦)، يجلس على باب دار الخليفة كل يوم، ويجلس على الدكة^(٧٧) التي بالقاعة المعروفة "بقاعة الذهب"^(٧٨) بالقصر دونة أربعة أطباء أو ثلاثة، فيخرج الاستاذون^(٧٩) فيستدعون منهم من يجدونه للدخول على المرضى بالقصر لجهات الاقارب والخواص، فيكتب لهم رقاعاً على خزانة الشراب^(٨٠) فيأخذون ما فيها وتبقى الرقاع عند مباشريها شاهداً لهم^(٨١)، ولكل واحداً منهم الجاري والراتب على قدرة^(٨٢).

٢- دور الوزراء^(٨٣) في دعم وتشجيع الأطباء:

لم يقتصر الأمر في تشجيع مهنة الطب والأطباء على الخلفاء حسب، بل كان لبعض وزراء الدولة الفاطمية دور كبير في دعم وتشجيع الأطباء^(٨٤).

وأولى الإشارات التي وصلتنا بخصوص هذا الموضوع كانت فيما يخص الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس (ت : ٣٨٠هـ / ٩٩٢م)^(٨٥)، الذي عد من أوائل الوزراء الفاطميين الذين كانت لهم اهتمامات بموضوع الطب، حتى انه ألف كتاباً في علم الابدان^(٨٦) وخلاصها في ألف ورقة^(٨٧). وجعل في قصره مستشفى أمدّه بعدد من الأطباء يستقبلون المرضى من عامة الشعب، ويفحصونهم طبيباً ويقدمون لهم الدواء مجاناً^(٨٨). كما كان يجتمع عنده العلماء، وفي داره كان هناك قوم يكتبون القرآن الكريم، وآخرون يكتبون كتب الحديث^(٨٩) والفقه^(٩٠) والطب والأدب^(٩١).

كما وكان الوزير يعقوب بن كلس يعقد الجلسات العلمية التي كان يحضرها كبار العلماء والأطباء^(٩٢).

وكان للوزير الأفضل بن بدر الدين الجمالي^(٩٣) (٤٨٧-٥١٥هـ / ١٠٩٤-١١١٩م) عناية كبيرة بالعلم والعلماء خاصة بالأطباء، حيث كان يكرمهم ويجزل لهم المنح، حتى ان الطبيب الأندلسي أميه بن ابي الصلت^(٩٤) قدم إلى القاهرة سنة (٥١٠هـ / ١١١٥م) يجذبه جود الأفضل، وقد نال أمية بن ابي الصلت حظوه لدى

الأفضل^(٩٥)، وكان للأفضل شغف خاص في اقتناء الكتب الطبية، حيث تنقل لنا الروايات بأن أحد وراقي العراق أراد شراء كتب من الطبيب افرائيم بن الزفان^(٩٦) فسمع الأفضل بذلك فأمر ان تبقى الكتب في مصر ولا تنقل إلى بلاد أخرى، وبعث إلى افرائيم من عنده بجملة المال الذي كان قد أتفق تثمينه بين افرائيم والعراقي، ونقلت الكتب إلى خزانة الأفضل وكتب عليها ألقابه^(٩٧)، وفي هذا الصدد يذكر ابن أبي أصيبعة^(٩٨): " وجدتُ كثيراً من الكتب الطبية في خزانة الأفضل عليها أسم افرائيم، وألقاب الأفضل أيضاً".

وعني الوزير الفاطمي المأمون البطائحي^(٩٩) (٥١٥هـ / ٥١٩هـ / ١١١٩م - ١١٢٣م)، عناية خاصة بالطب، فعندما وصل الطبيب أبو جعفر بن حسداي الأندلسي^(١٠٠)، ونزل ضيفاً على الدولة، أطلق له المأمون البطائحي الهبات والرسوم، وخصص له دار بالقاهرة^(١٠١)، كما أصدر المأمون منشوراً يمجّد فيه صناعة الطب ويذكر مآثر ابن حسداي في علم الطب^(١٠٢).

وقد توثقت علاقة المأمون بالطبيب ابن حسداي، حتى ان المأمون قرر تعيينه استاذاً لعلم الطب يجيز من يراه اهلاً لهذه الصناعة. وليقصده كل من يريد الاستزادة، وجعل له يومين في الأسبوع يشتغل فيهما ويتوافر في بقية الاسبوع على التصنيف^(١٠٣).

وقد الف ابن حسداي للمأمون كتاب " الشرح المأموني " ^(١٠٤) دليلاً على تلك العلاقة الطبية التي جمعتها بهذا الوزير.

هذا ما نقلته لنا المصادر عن اهتمام الوزراء الفاطميين بمهنة الطب والاطباء، وبالرغم من ان عدد الوزراء الذين أهتموا بمهنة الطب قليل^(١٠٥) " إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن عدد وزراء الدولة الفاطمية من سنة ٣٦٧هـ / إلى سنة ٥٦٧هـ كانوا خمسة وستين وزيراً" إلا أن مواقفهم عظيمة ودورهم كبير.

٣- وجود أماكن مخصصة لدراسة وتدريس الطب:

من العوامل الأخرى المهمة التي كان لها تأثير مباشر في تطور العلوم الطبية في العصر الفاطمي هو وجود أماكن مخصصة لتدريس ودراسة الطب ولإلتقاء الأطباء فيه.

وبما ان مهنة الطب في العصر الفاطمي أصبحت علماً قائماً بذاته^(١٠٦)، خصصت لهذه المهنة أماكن لتدريسها ودراستها، وهذه الأماكن كانت تعرف بالبيمارستانات.

وقد أتفقت أغلب المراجع الحديثة^(١٠٧) على ان الطب في العصر الفاطمي كان يُدرس " عملياً^(١٠٨) ونظرياً^(١٠٩) " في المارستانات التي كانت أشبه بكليات الطب في الوقت الحاضر ، والتي تخرج منها جماعات كبيرة من الأطباء في مختلف الاختصاصات من اطباء الامراض الباطنية^(١١٠)، والكحاليين^(١١١) الجراحين^(١١٢)، وكان المارستان موضع رعاية الخلفاء وكانوا يحبسون^(١١٣) عليه الأوقاف للإنفاق عليه^(١١٤)، حيث يشير المقرئ^(١١٥) في حوادث سنة خمس وأربعمئة: " رفعت إلى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الرقاع فأمر برفعها فحبسوا ، وحبس عدة قياصر وأملاك على القراء والمؤذنين بالجوامع، وعلى المارستان وثن الاكفان " كما حرص الخلفاء الفاطميون على وجود أطباء دائمين يداومون على الخدمة في المارستانات ليتولوا علاج المرضى^(١١٦). على غرار ماكان هناك من اطباء يدامون على الخدمة في القصور الفاطمية^(١١٧) الأمر الذي دفع ببعض المؤرخين المحدثين إلى القول: " كانت مستشفيات مصر من أرقى المستشفيات في الإسلام لسعتها، وانتظام العمل بها، وشمولييتها لمعالجة أنواع مختلفة من الامراض " ^(١١٨).

وينقل لنا الطبيب أمية بن الصلت^(١١٩) رواية فريدة في هذا المجال إذ يقول: " من ظريف ما سمعته أنه كان بمصر منذ عهد قريب رجل ملازم للمارستان يستدعى للمرضى كما تستدعى الأطباء، فيدخل على المريض فيحكي له حكايات مضحكة، وخرافات مسلية، ويخرج له وجوهاً مضحكة، وكان مع ذلك لطيفاً في إضحاكه وبه

خبيراً، وعليه قديراً. فاذا أنشراح صدر المريض عاده إلى ان يبرأ، أو ان يكون منه ما شاء الله".

وقد اندهش أمية بن الصلت على مثل هذه الطريقة العلاجية الأمر الذي دعاه إلى القول : " ليت اطباء عصرنا هذا يعالجون مثل هذا العلاج الذي لامضرة فيه ولاغائلة له، بل امره على العليل هين ونفعه ظاهر بين، كيف لا وهو ينشط النفس ويبسط الحرارة الغريزية، ويقوي القوى الطبيعية، ويقوي البدن على دفع الأخلاط الرديئة المؤذية والفضول، مع الاستظهار بحفظ الأصول" (١٢٠).

وبالرغم من كل هذا الاهتمام والرعاية الصحية، إلا أن الفاطميين لم ينشؤوا الا بيمارستان واحد فقط في القاهرة الا وهو " بيمارستان القشاشين" (١٢١). وفي هذا الصدد وتذكر كباشي (١٢٢) " من غير المعقول ان يكون في العصر الفاطمي بيمارستان واحد فقط، لاسيما عند ملاحظتنا لإهتمام الخلفاء بالطب والاطباء"، لربما السبب في ذلك يعود إلى كثرة البيمارستانات التي كانت موجودة في مصر قبيل قيام الدولة الفاطمية، والتي استمر وجودها أيضاً في العصر الفاطمي (١٢٣).

فضلاً عن المارستانات كان الطب يُدرس في دور الأطباء، وتنقل لنا المصادر (١٢٤) " بأن الطبيب أبو البيان بن المدور (١٢٥) المتوفي سنة ثمانين وخمسائة كان قد تعطل في آخر عمره من الكبر والضعف بسبب كثرة التردد والحركة إلى الخدمة، فلزم داره، وكان في مدة أنقطاعه في بيته لا يخل بالاشتغال في صناعة الطب، ولا يخلو داره من التلاميذ والمشتغلين عليه والمستوصفين منه، وكان لا يمضي إلى احد لمعالجته في تلك المدة إلا من يعز عليه جداً" (١٢٦).

هذا كل ما وافتنا به المصادر عن الأماكن المخصصة لدراسة وتدريس الطب، والتي كانت إحدى العوامل المهمة في تقدم الطب الفاطمي.

الهوامش :

- (١) أطباء العامة: هم الذين يتولون علاج المرضى من عامة الشعب، وغالباً ما يكونون مداومين على الخدمة في البيمارستانات العامة، ولهم مرتباتهم الثابتة. عيسى بك، أحمد ، (ت : ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م)، تاريخ البيمارستان في الإسلام، ط١، (بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨١م)، ص ٢٨.
- (٢) الأطباء الخاصين: هم أطباء الخلفاء المتواجدين في قصورهم، والمسؤولين عن علاج الخليفة وحاشيته. القلقشندي، أحمد بن علي ، (ت : ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه: محمد حسين، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م)، ج٣، ص ٤٩٦؛ السامرائي، كمال ، تاريخ الطب العربي، ط١، (بغداد: دار الحرية ، ١٩٨٥م)، ص ١٨.
- (٣) الأطباء الوافدين: هم الأطباء الذين وفدوا إلى مصر في فترة الخلافة الفاطمية من مختلف المدن والاقاليم والملل والاديان. للتفصيل أنظر الفصل الثالث من الأطروحة.
- (٤) عامر، فاطمه مصطفى، تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، (د . م : الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت)، ج٢، ص٢٤٨.
- (٥) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت: ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م)، المقدمة، اعتنى به: هيثم جمعه هلال، ط١، (بيروت: مؤسسة المعارف، ٢٠٠٧م)، ص ٤٥٠.
- (٦) محمد ، أبو حذيفة إبراهيم، نفح الطيب في أداب وأحكام الطبيب، ط١، (طنطا: دار الصحابة للتراث، ١٩٩٠م)، ص ٥؛ الدباغ، فخري، الأطباء الأدباء، ط١، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠م)، ص ٩؛ حسن ، حسين الحاج ، حضارة العرب في صدر الإسلام، ط١، (بيروت: المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، ١٩٩٢م)، ص ٣٩٨؛ أيوب ، فوزية رمضان، الابعاد الاجتماعية لمهنة الطب، مجلة كلية الدراسات الإنسانية، (جامعة الأزهر: العدد الثاني، ١٩٨٤م)، صص ٦٨-٦٩.
- (٧) حسين ، محمد كامل، في أدب مصر الفاطمية، ط١، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٠م)، ص ٨٩؛ ضيف ، شوقي، تاريخ الأدب العربي - عصر الدول والامارات (مصر)، ط١، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ج٧، ص ٧٥؛ المحجوبي، خالد، الحضور الفاطمي في التاريخ، مجلة أوراق فاطمية، ط١، (د.م: دار الكبيت للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م)، العدد السابع، ص ٢١.

- (٨) حسين، محمد كامل، في أدب مصر الفاطمية، ط١، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٠م)، ص ٨٩؛ عطا الله، خضر أحمد، الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي، ط١، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٩م)، ص ٢٠٨.
- (٩) نوار، عبد العزيز سليمان، تاريخ مصر الاجتماعي، ط١، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٨م)، ص ١١٣؛ محروس، حنان عبد الله، المكتبات في مصر في العصر الفاطمي، ط١، (القاهرة: د.مط، د.ت)، ص ٣.
- (١٠) مصطفى، محمود، الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي، قدم له : شوقي ضيف، ط١، (القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧م)، ص ٢٤٧.
- (١١) سالم، سحر السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، ط١، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٢م)، ص ٢٤٣؛ الشمري، علي، الحركة الفكرية والعلمية في ظل الفاطميين، مقالة منقولة من موقع:

<http://www.annabaa.org>.

- (١٢) تشير بعض الروايات بأن أهتمام الخلفاء الفاطميين وتشجيعهم للعلوم والاداب والفنون كان في القرن الأول من قيام دولتهم، أما القرن الثاني من حكم الاسرة الفاطمية في مصر فقد بدأت تظهر فيه الخلافات، وأخذ الضعف والانحلال يدب في اجهزة الدولة المختلفة. أنظر: الأنصاري، ناصر، المجمل في تاريخ مصر، ط١، (القاهرة: دار الشروق للطباعة والنشر، ١٩٩٣م)، ص ١٢٦. وهذا مصداقاً واضحاً لما يذكره ابن خلدون عن اطوار الدولة واختلاف أحوالها إذ يؤكد بأن الدولة تنتقل في أطوار مختلفة وحالات متجددة، لاتعدو في الغالب خمسة اطوار: الطور الأول: طور الظفر بالبغية وغلب المدافع والاستيلاء على الملك، الطور الثاني: طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك، الطور الثالث: طور الفراغ والدعه لتحصيل ثمرات الملك، الطور الرابع: طور القنوع والمسالمة، اما الطور الخامس: فهو طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفاً لما جمع أوله في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانته، وفي مجالسه . فيستولي على الدولة في هذا الطور المرض المزمن. أنظر: مقدمة ابن خلدون، صص ١٩٥-١٩٦؛ أنظر أيضاً: الجابري، محمد عابد، فكر ابن خلدون العصبية والدولة - معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط١، (د.م: مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، د.ت)، ص ٢٧١ ومابعدها. وعليه نقول ان الدولة الفاطمية كانت قوية في بداية أمرها لقوة خلفائها الأوائل الذين كانوا يتحكمون بأمور الدولة دون الوزراء، ويمكن أن نحصر هذه

الفترة بالسنوات (٣٥٨-٤٦٥هـ / ٩٦٩-١٠٦٢م)، أما بعد سنة (٤٦٥هـ / ١٠٦٢م) بدأت فترة استبداد وتحكم الوزراء في شؤون الدولة، وهذا أدى إلى ضعف الدولة الفاطمية وضعف الخلفاء أنفسهم. أنظر : القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨٩؛ مجموعة الوثائق الفاطمية - وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة، جمعها وحققها: جمال الدين شيال، ط١، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت)، ص ١٤٢؛ شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط٧، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٦م)، ص ١٥٤؛ قاسم عبدة قاسم وعلي السيد علي، الايوبيون والمماليك - التاريخ السياسي والعسكري، (د.م: مركز عين للدراسات والبحوث، ج.ت)، ص ٢٣.

(١٣) النحو: لغة : الجانب والطريق والقصد وإعراب كلام العرب. اصطلاحاً: هو علم بقوانين يعرف بها التراكيب العربية من الاعراب والبناء وغيرها ... وقيل ان النحو هو علم يعرف به أحوال الكلام من حيث الاعلال ... أو هو علم بأصول يعرف بها صحيح الكلام وفساده. أنظر: الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت: ٨١٦هـ / ١٤١٣م)، التعريفات، ط١، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٥م)، صص ٢٥٩-٢٦٠؛ التهاوندي، محمد بن علي، (كان حياً سنة ١١٥٨هـ / ١٥٧٣م)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم واشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي درج، ط١، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٦م)، ج٢، ص ١٦٨٤.

(١٤) اللغة: هو علم لبيان الموضوعات اللغوية وذلك أنه لم افسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند اهل النحو بالاعراب واستتبقت القوانين لحفظها. ثم استمر ذلك الفساد بملاسة العجم ومخالطتهم حتى تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ. فأحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتتوين. ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٨٥.

(١٥) القراءات: هو علم يبحث فيه عن صور ونظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلاف المتواترة ومبادية مقدمات تواترية، وله أيضاً استمداد من العلوم العربية. القنوجي، صديق بن حسن، (ت : ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م)، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق : عبد الجبار زكار، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، ١٩٧٨م)، ج٢، ص ٤٢٨.

(١٦) علم الفلك : وجمعه الافلاك المسماة بالاباء عند الحكماء، وهو علم يبحث عن الاجرام السماوية وماتحويه من نجوم وكواكب، وما يحدث في الكون من رياح وبرق ورعد والليل والنهار وتعاقبها واختلافها، والافلاك على نوعين: كلية، وجزئية. الكلية: هي ليست اجزاء لإفلاك أخرى، والجزئية: ما كانت اجزاء لإفلاك أخرى كالعوامل. أنظر: ابن معروف، محمد بن معروف الاسدي، (ت : ٩٩٣هـ / ١٥٨٧م)، النفحات الذكية في تحقيق الاعمال الفلكية، مخطوطة بجامعة الملك سعود تحت رقم ٥٢٩/ن.م، ورقة ١ و ٢؛ التهاوندي، موسوعة كشاف

- اصطلاحات الفنون، ج ٢، صص ١٢٨٧-١٢٨٨؛ الصواف، محمد محمود، المسلمون وعلم الفلك، ط ١، (جدة: الدار السعودية للنشر، ١٩٨٧م)، ص ٣٠.
- (١٧) الفلسفة: يدل اللفظ في الأصل اليوناني " حسب الحكمة " واصطلاحاً: هي دراسة المبادئ الأولى وتفسير المعرفة . الخوارزمي، جمال الدين أبو بكر، (ت : ٣٨٣هـ / ٩٩٣م)، مفيد العلوم ومبيد الهموم، ط ١، (دمشق: دار التقدم للطباعة، ١٩٠٦م)، ص ٦٨؛ مجموعة مؤلفين، المعجم الفلسفي، ط ١، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٨٣م)، ص ١٣٨؛ محمود، عبد الحليم ، الإسلام والعقل، ط ٢، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ص ٥٧ ومابعدھا.
- (١٨) عبد المنعم، صبحي، تاريخ مصر السياسي والحضاري من الفتح الإسلامي حتى العهد الإيوبي، ط ١، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، د.ت)، ص ٢٦٠.
- (١٩) محمد بن حيون المغربي ، المجالس والمسائرات، تحقيق: الحبيب الفقي وإبراهيم شبح، ط ١، (بيروت: دار المنتظر للطباعة والنشر، ١٩٩٦م)، ص ٢٩٣.
- (٢٠) أبو عبد الله المهدي: هو أبو محمد عبد الله أول خليفة فاطمي في المغرب، ولد سنة ستين ومائتين، تولى الخلافة سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٩م، واستطاع ان يملك البلاد الافريقية ويبسط نفوذه هناك، سيطر عبد الله المهدي على الخلافة لمدة أربع وعشرين عاماً تمكن من خلالها تثبيت الحكم الفاطمي ومواجهة الاخطار . توفي سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٢م. أنظر : النيسابوري، أحمد بن إبراهيم، (ت: في اواسط القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، أستتار الامام - مذكرات في حركة المهدي الفاطمي، تحقيق : محمد كامل حسين، نشرة: أيفانوف، ط ١، (القاهرة: مطبعة العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، ١٩٢٧م)، صص ٩٤-٩٥؛ القرشي، محي الدين ابي محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله بن سالم الحنفي، (ت: ٧٧٥هـ / ١٢٧٦م)، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ، ط ٢، (د.م: مؤسسة هجر للطباعة ، ١٩٩٣م)، ج ٤، ص ٥٥٣؛ الديار البكري، حسين بن محمد بن الحسن، (ت: ٩٩٠هـ / ٥٨٢م)، تاريخ الخميس في احوال أنفس نفيس، ط ١، (بيروت ، دار صادر ، د.ت)، ج ٢، ص ٣٨٦؛ الثعالبي، عبد العزيز ، تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، مراجعة : حمادي الساحلي، ط ١، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧م)، ص ٣٢١.

(٢١) المعاجين الطبية: هو فرع من فروع العلوم الطبية يتعرف من خلاله على كيفية تركيب المركبات الدوائية وزناً ووقتاً، ومعرفة ما يسحق منه وما يذاب، وما يقوم منه في المزج وما يؤخر، وكيفية ضبطه في الظروف، ومعرفة مقدار نفعه وبطلان فائدته إلى غير ذلك من الاحوال التي يعرفها

من يزاولها. طاش كبري زادة، احمد بن مصطفى، (ت: ٩٦٨هـ / ١٥٦١م)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م)، ج١، ص ٣٢٤.

(٢٢) المعز لدين الله الفاطمي: هو أبو تميم معد ابن إسماعيل بن محمد بن عبد الله . أول خليفة فاطمي على أرض مصر، ورابع الخلفاء الفاطميين من حيث التسلسل. ولد بالمهديّة يوم الاثنين الحادي عشر من شهر رمضان سنة تسع عشر وثلاثمائة، وتولى الخلافة سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م وله من العمر اثنتان وعشرون سنة. توفي سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م. القضاء، محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي، (ت : ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م)، عيون المعارف وفنون اخبار الخلائف، تحقيق: جميل عبد الله محمد المصري، ط١، (د.م: مكتبة العهد الوطنية للطباعة، ١٩٩٥م)، ص ٥٦٣؛ ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا وكامل المهندس، ط١، (د.م: مطبعة دار الكتب، ١٩٦٩م)، ص ٤١؛ تامر، عارف، المعز لدين الله الفاطمي - واضع أسس الوحدة العربية الكبرى، ط١، (بيروت: دار الافاق الجديدة، ١٩٨٢م)، ص ٦٧ ومابعدھا؛ عبيد ، نعيم دنيان، الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، مجلة الدراسات في التاريخ والآثار، العدد ١٥، ٢٠٠٩م، ص ٥٦٩ ومابعدھا.

(٢٣) القاضي النعمان، المجالس والمسائرات، ص ٢٩٣.

(٢٤) ابن ابي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، (كان حياً سنة ١١١٠هـ / ١٦٩٨م)، المؤنس في اخبار افريقية وتونس، ط١، (د.م: المطبعة التونسية، ١٨٨٠م)، ص ٦٣؛ الحكمي، محمد رضا، بداية الفرق نهاية الملوك، تعليق: شاكراً الإبراهيمي، ط١، (بيروت: دار الفردوس للطباعة والنشر، ١٩٩٠م)، ص ١٩٠؛ علي ، سيد أمير، مختصر تاريخ العرب، ترجمة: عفيف البعلبكي، ط٢، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٧م)، ص ٤٨٧.

(٢٥) القرشي، الداعي إدريس عماد الدين ، (ت : ٨٧٢هـ / ١٤٨٨م)، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب - القسم الخاص من كتاب عيون الاخبار، تحقيق: محمد اليعلاوي ، ط١، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥م)، صص ٥٧٧-٥٧٨؛ عمر الاسكندري وأج سفدج، تاريخ مصر إلى الفتح العثماني، ط٢، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٦م)، ص ٢١١؛ علي، تاريخ مختصر العرب، ص ٤٨٧.

(٢٦) ويشير أبو حنيفة النعمان " ان المعز كان ينظر في مختلف الكتب والعلوم، ويقوم بتأليف الكتب في ذلك". انظر للتفصيل أكثر عن اهتمام المعز بالعلوم والثقافة: المجالس والمسائرات، ص ٤٤٢- ص ٥٣٣ - ص ٥٤١؛ الصحفي القديم، الخليفة المعز لدين الله باني القاهرة ومنشئ الجامع الأزهر، ط١، (القاهرة: د.مط، ١٩٣١م)، ص ١٦؛ سرور ، محمد جمال الدين، تاريخ

الدولة الفاطمية، ط١، (القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت)، ص ١٥٧؛ تامر، المعز لدين الله، ص ١٩٥.

(٢٧) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، (ت: ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م)، الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، (القاهرة: الشركة العربية العالمية للطباعة والنشر، د.ت)، ص ٣٩١.

(٢٨) فرحات، الخلافة الفاطمية بالمغرب، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، ط١، (بيروت: دار العربي الإسلامي للطباعة، ١٩٩٤م)، ص ٣٢٨.

(٢٩) العزيز بالله الفاطمي: هو أبو منصور نزار بن المعز لدين الله الخليفة الفاطمي الثاني على أرض مصر، ولد بالمهدية في يوم الخميس (١٤ محرم سنة ٣٤٤هـ)، وقدم إلى القاهرة مع أبيه المعز سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م، تسلم العزيز بالله الخلافة في اليوم ذاته الذي توفي فيه والده في شهر ربيع الآخرة سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م وهو في الثانية والعشرين من عمره، وأقام في الخلافة إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصف، إلى حين وفاته في سنة ٣٨٦هـ / ٩٩٦م. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد ابن عمر، (ت: ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، المختصر في اخبار البشر، (القاهرة: مكتبة المتنبى، د.ت)، ج٢، ص ١٣١؛ المقرئ، أعطاء الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين شيال، ط١، (القاهرة: مؤسسة دار التحرير للطباعة والنشر، ١٩٦٧م)، ج١، ص ٢٣٦؛ الخربوطلي، علي حسني، العزيز بالله الفاطمي - سليل الاسرة الفاطمية، ط١، (د.م: د.مط، د.ت)، ص ١٤ ومابعد؛ الجبل، علوي طه، الشيعة الإسماعيلية رؤية من الداخل، ط١، (القاهرة: دار الامل للطباعة، ٢٠٠٢م)، ص ٣٥٢؛ الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف، معالم التاريخ الإسلامي، ط١، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)، صص ٢٤٣-٢٤٤.

(٣٠) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت: ٦٨١هـ / ١٢٨١م)، وفيات الاعيان أنباء أبناء الزمان، تحقيق: أحسان عباس، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج٥، ص ٣٧٢؛ العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، ط١، (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت)، ص ٢٨١.

(٣١) الخربوطلي، العزيز بالله، ص ١١٥؛ سالم، عبد العزيز، تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، ط١، (د.م: د.مط، د.ت)، ص ١٨٠.

(٣٢) للتفصيل انظر الفصل الثاني من الأطروحة.

(٣٣) أنظر : الأطباء الوافدين إلى مصر الفاطمية في خلافة العزيز بالله الفاطمي في الفصل الثالث من الأطروحة، ص .

(٣٤) الببيرة : " Falconry " مصطلح يعني استخدام الطيور الجوارح المدربة كالصقر والبازي لاصطياد حيوانات أخرى، وهي مشتقة من كلمة " باز " الفارسية بمعنى الطائر المعروف، وقد استعملها العرب بهذا المعنى، ويقول بعضهم ان كلمة " الببيرة " جاءت من بازيار الفارسية وعربت فصارت ببزار أي صاحب الباز، أو مشتقة من كلمة " بازدار " التي تعني القائم على تربية البازي، وقد تطور مفهوم الببيرة عند العرب فصار علم أحوال الطيور الجوارح وتربيتها وقرنصتها وتدريبها على صيد بعض أنواع الطيور والحيوانات البرية، فضلاً عن العناية بحفظ صحتها ومداواتها . طاش كبرى زادة ، مفتاح السيادة، ج ١، ص ٣٠٧؛ الطنطاوي، علي، فصول في الثقافة والأدب، جمعه ورتبه : مجاهد مأمون ديرانيه، ط ١، (السعودية: دار المنارة، ٢٠٠٧م)، ص ٢٩١. ولم يعرف بالتحديد من هو مؤلف كتاب الببيرة وكل ما عرف عن أسمه هو " بازيار العزيز الفاطمي " ، فلربما كان الوزير أبو عبد الله الحسين بن البازياري الذي تولى وزارة العزيز بالله الفاطمي " لم تحدد المصادر سنة توليه هذا المنصب " سوى انه كان قد تولاها بعد الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات، وبقي في هذا المنصب لمدة سنة وثلاثة اشهر. وكانت وفاته في سنة ٣٩٤هـ / ١٠٠٤م. المقرئزي، أتعاض الحنفا، ج ١، ص ٢٩٣.

(٣٥) الطب البيطري: هو فرع من فروع علم الطب يبحث عن صحة وأحوال الحيوانات بمختلف أنواعها وأشكالها. طاش كبرى زادة، مفتاح السيادة، ج ١، ص ٣٠٧؛ مجهول، كتاب البيطرة وما يتعلق بالدواب، مخطوطة بجامعة الملك سعود تحت رقم ٤٥، ورقة (٣).

(٣٦) ذكر المؤلف في هذا الكتاب أكثر الامراض التي تصيب الطيور الجوارح وكيفية معالجتها ، ومن أهم الامراض التي يذكرها:-

- ١- الغدد التي تصيب طيور الراشق (وهو طائر من فصيلة الصقر)، إذ يقول ان هناك مرض يسمى " الذباح " لايعرف له علاج، وهو ان يكون في فم الطائر غدة مفترسة تمنع ما يدخل فيه، وما يخرج منه فتؤدي إلى موته، وهناك أعداد كثيرة من الطيور تصيب بهذا المرض.
- ٢- مرض القرح الذي يصيب أجنحة الطيور، إذ يجتمع الدم الرديء فيه، ويعالج هذا المرض بأبرة خاصة تضرب فوق الجناح أو تحته، أو ببعض الاعشاب الطبية كخشب الداذين الذي يكون كثير الدهن، وحناء وخل، وملح جريش.
- ٣- مرض الدود الذي يصيب أكثر الطيور - يعالج بالأس والعسل.
- ٤- مرض الجص الذي يصيب الحمام بكثرة فإنه يعالج بالزبد والسكر، فالزبد يلين جوف الطائر ، والسكر يسهله.

- ٥- مرض البياض الذي يصيب عيون الجوارح، فإنه يعالج بمرارة الديك.
 - ٦- مرض القمل الصغير والكبير: وهو من الامراض الخطيرة لأنه يمص دم الطائر حتى يتركه جلد على عظم، وعلاجه هو الزرنينخ الأحمر.
 - ٧- امراض الاورام وهي على نوعين: ورم التخمّة ويكون بارداً، وورم المادة ويكون حاراً، تعالج بالمر ودقيق الشعير وبياض البيض وماء الكزبرة الرطبة.
 - ٨- مرض القلاع " مرض يصيب الفم " فإنه يعالج بالصبر والعسل.
 - ٩- مرض الحر يصيب طائر البازي بكثرة فإنه يعالج بدهن ورد، وماء ورد تضيف إلى طعام الطائر.
 - ١٠- مرض البرد، يعالج بالاشياء المسخنة.
 - ١١- علاج أعوجاج ريش الجناح يكون بالماء الحار ونبات الشبث.
 - ١٢- علاج سدة المنخرين يكون بتقطير دهن الورد أو البنفسج في منخر الطائر فيبدأ الطائر بالعطس ويخرج ما في رأسه من الداء في عطاسه فيزول ما في منخريه.
- يعد كتاب البيزرة موسوعة كبيرة في الطب البيطري " الخاص بالطيور والجوارح " ، وكما لاحظنا ان المؤلف قد ذكر أكثر الامراض التي تصيب الطيور وعلاجاتها، كما وفيه ذكر لمختلف أنواع الطيور الجارحة وألوانها وأوزانها وكيفية صيدها، وما قيل فيها من الاشعار، وخصص المؤلف أيضاً باباً لصيد الفهد وصفه ضراوته، وباباً آخر لصيد الكلاب وعللها ودوائها وما قيل فيها من الشعر، وهذا أول كتاب لمؤلف فاطمي يتحدث عن تلك الجوانب. انظر: بازيار العزيز الفاطمي، كتاب البيزرة ، ط ١، (د.م: د.مط، د.ت)، ص ٢١ وما بعدها.

بعض الملاحظات عن الكتاب ومؤلفه:

- لم يشير مؤلف الكتاب إلى السنة التي بدأ فيها بتأليف هذا الكتاب، ولا السنة التي أنهى فيها من تأليفه، لكن الواضح من اسلوبه ومن خلال الروايات التي يذكرها انه قام بتأليفه في فترة خلافة العزيز بالله الفاطمي، إذ يذكر موافقة مع الخليفة في سنة ٣٧٨هـ / ٩٨٢م وهي فترة خلافة العزيز، ونلاحظ من خلال حديثه عن الخليفة الفاطمي انه كان يمجّد إلى أقصى حد فلا يذكر اسمه، وانما يذكر " مولانا صلى الله عليه وسلم " . انظر: البيزرة، ص ٢١.
- أعتمد مؤلف الكتاب في علاجاته التي ذكرها للطيور والجوارح على الاعشاب الطبية الطبيعية. وهذا يدل على خبرته في علم النبات.
- ينقل أخبار متنوعة عن شغف بعض الخلفاء العباسيين بالصيد أمثال: (أبو العباس السفاح، وابو جعفر المنصور، والخليفة محمد المهدي ، وهارون الرشيد، والمعتصم والمعتضد).

- إما مصادره التي استقى منها معلوماته فلا يذكر منها سوى : الاصمعي (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م)،
والصولي (ت: ٣٣٥هـ / ٩٤٥م).

(٣٧) البيزرة، ص ٤.

(٣٨) م . ن ، ص ٥.

(٣٩) م . ن ، صص ٢-٣.

(٤٠) الحاكم بأمر الله: هو أبو علي المنصور الملقب بالحاكم بأمر الله (الخليفة الفاطمي الثالث على ارض مصر)، ولد سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م، وعهد اليه أبوه (العزیز بالله الفاطمي) بالخلافة من بعده في سنة ٣٨٣هـ، ثم ببيع له بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه أبوه وذلك في رمضان سنة ٣٨٦هـ، وله من العمر إحدى عشر سنة ونصف فتولى أبو الفتوح برجوان الوصاية عليه إلى ان بلغ الخامسة عشر من عمره، أتمت فترة خلافته بالتوتر، وذلك لخلافاته مع العباسيين الذين كانوا يحولون دون نفوذ الاسماعيليين، ناهيك عن صراعه مع القرامطة، وفي عهده ايضاً انتشر المذهب الدرزي بشكل كبير في الدولة الفاطمية . بقي الحاكم في منصب الخلافة حتى وفاته سنة ٤١١هـ. أنظر: الروحي، أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن أبي السرور بن عبد الرحمن، (من علماء القرن السابع الهجري)، بلغة الظرفاء في ذكر تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط ١، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت)، صص ١٥٢-١٥٣؛ الصديقي، محمد بن السرور البكري، النزهة الزاهية في ذكر ولاية مصر والقاهرة المعزية، تحقيق: عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى، ط ١، (القاهرة: مطبعة النيل، ١٩٨٨م)، ص ٩٦؛ الشهابي، قتيبة، معجم القاب أرياب السلطان في الدولة الإسلامية منذ العصر الراشدي حتى بداية القرن العشرين ، (دمشق: مؤسسة الثقافة، ١٩٩٥م)، ص ٣٦.

(٤١) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، (ت : ٨٧٤هـ / ١٤٤٨م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م)، ج ٤، صص ١٧٧-١٧٨؛ السلومي ، سليمان عبد الله، أصول الإسماعيلية (دراسة، تحليل، نقد)، ط ١، (السعودية: دار الفضيلة، ٢٠٠١م)، م ١، ص ٢٨٢.

(٤٢) عكاوي، الموجز في تاريخ الطب، ص ٢٦٥؛ نديم، عبد الله، المعارف بمصر، مجلة الأستاذ، ط ١، (القاهرة: مطبعة مصر المحروسة للطباعة والنشر، ١٨٩٢م)، العدد الأول، ج ٣١، ص ٧٣؛ متز ، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، نقله إلى العربية: محمد عبد الهادي أبو ريذة، ط ٤، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م)، م ١، ص ١١٥.

(٤٣) دار الحكمة: هي ذلك المركز والمجمع العلمي والحضاري الكبير الذي انشأه الحاكم بأمر الله في القاهرة على غرار بيت الحكمة التي انشاها العباسيون في بغداد، أفتتحت دار الحكمة رسمياً في يوم السبت العاشر من جمادي الأخرى سنة ٣٩٥هـ/ أبريل سنة ١٠٠٤م، والقيت فيها المحاضرات على الطلاب من مختلف المذاهب ولم تقتصر على الأمور الدينية، بل تعدتها إلى النواحي العلمية والطبية والفلسفية. للتفصيل أكثر أنظر: اليافعي، أبو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان، (ت: ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط١، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للطباعة، ١٩٧٠م)، ج٢، ص٣٤١؛ تامر، الحاكم بأمر الله خليفة وأمام ومصلح، ط١، (بيروت: دار الافاق الجديدة، ١٩٨٢م)، ص٧٣؛ سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، ط١، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٢م)، ص ٣٨٤؛ الديوه جي، سعيد، بيت الحكمة، ط٢، (د.م: مؤسسة دار الكتب للطباعة، ١٩٧٢م)، ص ٤٢؛ سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ١٥٥.

(٤٤) المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢، ص ٢٦٤ ومابعدھا؛ سالم، دراسات في تاريخ مصر الإسلامية، ص ٢٣٩؛ سيد، الدولة الفاطمية (تفسير جديد)، ص ٣٨٤؛ حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، ط٧، (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٩٦٥م)، ج٣، ص ١٥٤؛ زهره، أحمد علي، دولة القلاع، ط١، (سوريا: مركز نينوى للدراسات، ٢٠٠٤م)، ص ٤١؛ نوار، تاريخ مصر الاجتماعي، ص ١١٣.

(٤٥) الحاكم بأمر الله، ص ٨٢.

(٤٦) الملوخية: هي من النباتات الزهرية تضم من (٤٠ إلى ١٠٠ الف) صنف، تتفاوت أطوال سيقانها، وتزرع من أجل أوراقها التي تستخدم في عمل طبق الملوخية، الذي يكثر في مصر والسودان وبلاد الشام وتونس. ومنافع الملوخية كثيرة منها انها تلين البطن، وتفتح سدد الكبد، وترطب الصدر. السيوطي، محمد بن جلال الدين، (ت: ٩١١هـ / ١٥٠٥م)، المقامة المسكية والدرة الزنجية في المسك والعنبر والزعفران، مخطوطة بجامعة الملك سعود تحت رقم ٣٥٣٦، ورقة (٨)؛ قدامي، أحمد، قاموس الغذاء والتداوي بالنبات - موسوعة غذائية صحية عامة، ط٢، (بيروت: دار النفائس، ١٩٨٢م)، ص ٧٠٨.

(٤٧) المتوكلية، هو نوع من النباتات يستعمل للحساء. البيهسي، سناء، الحاكم بأمر الله، مجلة الاهرام، العدد ٤١، ٢٠١٢م، ص ٣١١.

(٤٨) الجرجير : نبات يكثر بثغر الإسكندرية وهو صنفان: بستاني وبري، البستاني: يكون عريض الورق فستقي اللون؛ اما البري فيكون ورقه رقاق. من فوائده: انه يدر البول، ويهضم الطعام، ويلين البطن ، ومن مساوئه: انه يصدع ويثقل الرأس. ابن البيطار، ضياء الدين عبد الله بن

- أحمد المالقي، (ت : ٦٤٦هـ / ١٢٤٩م)، الجامع لمفردات الأدوية والاغذية، ط ١، (مصر: د.مط، د.ت)، ج ١، ص ١٦٠؛ قدامى ، قاموس الغذاء ، ص ١٤٣.
- (٤٩) الترمس: هو الباقلاء المصري، وهو حب مفطح الشكل، مر الطعم يؤكل بعد أن يسلق وينقع بالماء إياماً كثيرة حتى تخرج مرارته، وهو مفيد لمعالجة الديدان إذ يقتلها، وللأشخاص المصابين بالبهق والسعفة (وهي بثور صغيرة تكون في الرأس)، كما ينفع لحالات الجرب والقروح الخبيثة، ويفتح سدد الكبد والطحال. ابن البيطار، الجامع لمفردات الاغذية، ج ١، ص ١٣٥؛ نيازى، يوسف، سلسلة رسالات في الحضارة المصرية في العصر الفرعوني، ط ١، (طنطا: المطبعة العمومية، ١٩٢٤م)، ص ١٢؛ الشخلى، اسرار عطا فخري، علم النبات عند العرب، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد: كلية التربية ابن رشد-قسم التاريخ، ٢٠٠٤م)، ص ٢٨٨.
- (٥٠) وفعلاً هناك من أكد أن الجرعات العالية من نبات الجرجير تضر بمرضى الغدة الدرقية والحوامل، اما الملوخية فأنها تولد الغازات في البطن نتيجة وجود الاملاح المعدنية بها. أنظر : السيد ، عبد الباسط محمد و؛ حسين ، عبد التواب عبد الله، الموسوعة الام للعلاج بالنباتات والاعشاب الطبية، ط ٤، (د.م: دار الفا للطباعة والنشر، ٢٠١٠م)، ص ١٥١- ص ٢٠٤.
- (٥١) تامر، الحاكم بأمر الله، ص ٨٢.
- (٥٢) الدلبنس: هو نوع من الصدف الصغير يوجد بكثرة على شواطئ الانهار، يقال انه أقذر حيوان ولحمه مثل المخاط. المقدسي، أبو عبد الله محمد بن احمد المقدسي البشاري، (ت : ٣٨٧هـ / ٩٩٧م)، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٣، (القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ت)، ص ٢٠٥؛ تامر ، الحاكم بأمر الله، ص ٨٢.
- (٥٣) تامر، الحاكم بأمر الله، ص ٨٢.
- (٥٤) لايعرف بالضبط متى بدأ الحاكم بتأليف هذه المخطوطة، لكنه أنهى من تأليفها في آخر عمره، وكما هو واضح من أسلوبه أنه أهداها إلى اولاده، وهذه المخطوطة تتألف من (٢٢ ورقة) تبحث في أهم المعادن الكيميائية وتفاعلاتها وأثرها. سماها رسالة الحاكم بأمر الله في علم الصناعة، وهي مخطوطة بجامعة الملك سعود تحت رقم ١٨٨٧.
- (٥٥) الكيمياء: لفظ يوناني معناه التحليل، وهو علم دراسة المواد وتحولاتها وتركيبها وتغيراتها والطاقة المصاحبة لتلك التغيرات - وتسمى الكيمياء أيضاً بعلم المادة. وهذا العلم كبير جداً ينقسم إلى عدة اقسام، وهذه الاقسام بدورها تنقسم إلى عدة فروع أكثر تخصصاً. ولامجال لحصر المواد التي تدخل فيها صناعة الكيمياء لكثرتها ... للتفصيل أنظر: ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٤١

ومابعدھا؛ اليوناني، براكلسوس، كتاب الأكسير في صناعة الكيمياء، ط ١، (د.م. مطبعة قطب الدين أحمد، ١٩٣٣م)، ص ٣.

(٥٦) الكيمياء في الطب تعتمد على الكيمياء الحيوية، وتسمى أيضاً بالكيمياء الطبية، وهي تعتمد على الكيمياء التي داخل جسم الإنسان مثل السكريات والانزيمات والدهون ... الخ، وكل جسم الإنسان والتفاعلات عبارة عن كيمياء، وللكيمياء أيضاً علاقة بالصيدلة لان الأدوية كلها كيمياء. أنظر في هذا الصدد ماكتبه العلامة الكبير أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، (ت: ٣١٣هـ/ ٩٢٥م)، سر الاسرار في الطب والكيمياء، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م)، صص ١١-١٩ ومابعدھا؛ اليوناني، كتاب الأكسير، صص ٢-٣؛ الطائي، فاضل أحمد، اعلام العرب في الكيمياء، ط ١، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة في بغداد، ١٩٨٦م)، ص ٢٤١؛ الهمشري، محمد علي وآخرون، القاموس الإسلامي - أزدهار العلوم والفنون الإسلامية، ط ١، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٧م)، ج ١٤، صص ١١٩-١٢٠.

(٥٧) الحاكم بأمر الله، رسالة في الصناعة، ورقة (٢-١).

(٥٨) م . ن . ، ورقة (٤).

(٥٩) الأكسير: هو دواء يراد منه علاج كل ما يصيب الإنسان من آفات وأمراض، ويعمل على أطالة حياة الكائنات حتى الخلود، يسمى أيضاً " الحجر المكرم " أو " حجر الفلاسفة "، وهناك من يسميه " سم السموم " لتمكنه من معالجة جميع الامراض. الازدي، جابر بن حيان (ت : ١٩٩هـ/ ٨١٥م)، كتاب الخواص الكبير، مخطوطة بجامعة الملك سعود تحت رقم ٢٧٩٨، ورقة (١٧-١٩)؛ الرازي، سر الاسرار، ص ٢٥؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٤١؛ الرحمتي، مصطفى بن محمد الايوبي، رسالة في صناعة الأكسير الأعظم الذي يتكون منه الذهب، مخطوطة بمعهد الثقافة والدراسات الشرقية بجامعة طوكيو تحت رقم ١٣٢، ورقة (٢-١)؛ الحلو، عبده، وبهزاد، جابر، الوافي في تاريخ العلوم عند العرب، ط ١، (بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٦م)، ص ٦٠.

(٦٠) رسالة الحاكم بأمر الله في علم الصناعة، (ورقة ٨-٩). ويسميه الأكسير الأصغر في الاسم والأكبر في الأصل.

(٦١) الظاهر لإعزاز دين الله: هو أبو الحسن علي بن منصور، ولد في شهر رمضان سنة ٣٩٥هـ، تولى الخلافة بعد مقتل أبيه الحاكم في شوال سنة ٤١١هـ، وكان عمره حينئذ سبعة عشر عاماً فقامت عمته " ست الملك " بالوصاية عليه في الفترة الأولى من حكمه فأظهرت كفاءة ممتازة في

إدارة شؤون البلاد، لم يتمتع الظاهر بالخلافة مدة طويلة فقد توفي في منتصف شعبان سنة ٤٢٧هـ. أنظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني، (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، ط١، (بيروت: دار صادر، ١٩٦٦م)، م٩، ص ٣١٧؛ ابن المقفع، ساويرس اسقف الاشمونيين، تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدسة، نشره: عزيز سوريال عطية وآخرون، (القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٤٣م)، ج٢، ص ١٣٥- ص ١٥٨؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج٣، ص ١٥٤؛ أيوب، إبراهيم رزق الله، التاريخ الفاطمي السياسي، ط١، (بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ١٩٩٧م)، ص ٤٧.

(٦٢) المقرئ، اتعاط الحنفا، ج٢، ص ١٤٣؛ سلطان، عبد المنعم عبد الحميد، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، ط١، (دم: دار الثقافة العلمية للطباعة والنشر، ١٩٩٩م)، ص ٤٨ هامش (٤).

(٦٣) الخمسين درهماً في العصر الفاطمي كانت تساوي " دينارين و ١٤ درهماً" أي " ثلاثة دنانير إلا أربعة دراهم"، ذلك ان الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله كان قد ضرب دراهم جديدة بعد الغش والتلاعب الذي لحق بالدرهم الفاطمي فصارت كل ثمانية عشر درهماً تساوي ديناراً. بعد ان كان الدينار يصرف في سوق الصرافين باربعة وثلاثين درهماً. أنظر: المقرئ، النقود الإسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود، تحقيق: محمد السيد بحر العلوم، ط٥، (النجف: المكتبة الحيدرية للطباعة والنشر، ١٩٦٧م)، صص ٢٧-٢٨؛ الكبيسي، حمدان عبد المجيد، النشاط المصرفي في الدولة العربية الإسلامية، (بغداد: بيت الحكمة، د.ت)، ص ٦٩، و صص ٨٢-٨٣؛ دفتر ، ناهض عبد الرزاق، المسكوكات، ط١، (الكويت: مطابع دار السياسة ، د.ت)، ص ١١١ وما بعدها.

(٦٤) القيم: هو السيد، أو الشخص المسؤول على اموال وممتلكات الفرد الذي يتضح انه غير قادر على ادارتها. أبو الهب، المعجم الإسلامي، ص ٤٨٤.

(٦٥) خمسمائة درهم: كما سبق الإشارة ان كل ثمانية عشر درهماً تساوي دينار واحد. فأن الخمسمائة درهم تساوي " سبعة وعشرون ديناراً وأربعة عشر درهماً".

(٦٦) لم تذكر المصادر أسم هذا البيمارستان الذي زاره الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله والذي أمر بعمارته أيضاً، لكن كما هو واضح أنه كان من البيمارستانات القديمة الموجودة في مصر قبيل العصر الفاطمي.

(٦٧) المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ١٤٣؛ سلطان، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، ص ٤٨.

(٦٨) إذ كان لكل خليفة فاطمي طبيبه الخاص متواجد بصورة دائمة في قصره - واستمر هذا النظام طيلة العصر الفاطمي، إذ لم يقتصر على خليفة دون آخر.

(٦٩) أنظر عن مرتبات الأطباء والمكافآت التي كانوا يحصلون عليها في الفصل الرابع من الأطروحة.

(٧٠) للتفصيل أكثر انظر الفصل الثالث من الأطروحة.

(٧١) حسن ، تاريخ الإسلام، ج٤، ص ٤٨٩؛ محاسنة، تاريخ مدينة دمشق خلال العصر الفاطمي، ص ٣١٢؛ الرطبي، دور القبائل العربية في صعيد مصر، ص ٢٤٦؛ عطا الله، الحياة الفكرية في مصر، ص ٢٠٩.

(٧٢) بدوي، أحمد أحمد ، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، ط١، (القاهرة: مطبعة نهضة مصر، د.ت)، ص ٣٠٧؛ عطا الله، الحياة الفكرية، ص ٢٠٩؛ محاسنة ، تاريخ دمشق، ص ٣١٣؛ حسن ، تاريخ الإسلام، ج٤، ص ٤٨٩.

(٧٣) تامر ، تاريخ الإسماعيلية، ط١، (البدن: رياض الريس للطباعة والنشر، ١٩٩١م)، ج٢، ص ٢٢٥؛ بدوي، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، ص ٣٠٧.

(٧٤) عطا الله، الحياة الفكرية ، ص ٢٠٩؛ محاسنة، تاريخ مدينة دمشق، ص ٣١٣.

(٧٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٩٢؛ سلطان ، الحياة الاجتماعية ، ص ٤٧.

(٧٦) أحياناً كان يخصص لهذه المهمة أكثر من طبيب. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٩٢.

(٧٧) الدكة: هي من جملة مناظر الخلفاء الفاطميين، لها بستان عظيم بجوار المقس، بقيت حتى زوال الدولة الفاطمية. المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج٢، ص ٣٢٣.

(٧٨) قاعة الذهب: هي إحدى قاعات القصر الكبير الشرقي اضافها الخليفة العزيز بالله إلى القصر، وكانت أشبه بقصر مستقل حتى انها عرفت بقصر الذهب. كان يعمل بها الاسمطة الفخمة في الاعياد والمناسبات. المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج١، صص ٣٦٢-٣٨٥؛ سلطان، الحياة الاجتماعية، ص ٣٥٥.

(٧٩) الاستاذون: هم الخدم والطواشية، أجلسهم الاستاذون المحنكون وهم الذين يدورون عائمهم على احناكهم، وصبيان الخاص: وهم جماعة من اخصاء الخليفة يعرفون بالخاصكية، وصبيان الحجر: هم جماعة من الشباب يناهزون خمسة الاف نفر مقيمون في حجره منفردة لكل حجره منها اسم يخصصها. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٨١.

(٨٠) خزانة الشراب " الصيدلية " : هي احدى خزائن القصر الفاطمي كانت تختص بأعداد أنواع الاشربة المختلفة والادوية والمعاجين الطبية، كان يشرف عليها احد كبار الاستاذين ، وتصرف فيها الأدوية للمرضى برقعة من اطباء القصر. أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٩٢؛ المقرئزي، الخطط، ج ٢، ص ١٨٨؛ عيسى بك، تاريخ البيمارستان، ص ٢٠.

(٨١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٩٦؛ عكاوي، الموجز في تاريخ الطب، ص ٢٦٧؛ عيسى بك، تاريخ البيمارستان، ص ٢٤.

(٨٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٩٦.

(٨٣) الوزارة: هي ام الخطط السلطانية والرتب المملوكية، لإن اسمها يدل على مطلق الاعانة ... وهي مشتقة من ثلاثة أوجه: من الوزر وهو الثقل لأنه يحمل عن الملك أنقاله، أو من الأزر وهو الظهر لأن الملك يتقوى بوزيره كقوة البدن في الظهر، أو تكون مشتقة من الوزر وهو الملجأ لأن الملك يلجأ إلى وزيره ومعونته. والوزارة في الدولة الفاطمية هي أرفع وظائفهم واعلاها رتبة ... وكانت تارة في ارباب السيوف (وزراء تقويض) أي الوزراء الأقوياء الذين استبدوا بالدولة منذ عام ٤٦٦ هـ - أي منذ ان تولى بدر الدين الجمالي الوزارة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وتارة أخرى في ارباب الاقلام (وزراء تنفيذ) الذين اقتصرت سلطتهم على تنفيذ الاوامر فقط ولم يستبدوا بالسلطة - أي في عهد الخلفاء العظام ذوي الشخصيات القوية منذ عهد العزيز إلى سنة ٤٦٦ هـ. أنظر: الثعالبي، أبو منصور (ت: ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م)، تحفة الوزراء، تحقيق: سعد أبو ديه، ط ١، (عمان: دار البشر للطباعة، ١٩٩٣ م)، ص ٢١؛ أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين ، (ت : ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م)، الاحكام السلطانية، تصحيح : محمد حامد الفقي، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣ م)، صص ٢٩-٣٠؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٥٨؛ الابشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت: ٨٥٠ هـ / ١٤٤٧ م)، المستطرف في كل من مستطرف، ط ١، (بيروت: دار الندى، ٢٠٠٤ م)، م ١، صص ١٣٦-١٣٧؛ وعن الوزارة في العصر الفاطمي أنظر: ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام الحسن القيسراني، (ت : ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م)، نزهة المقلتين في اخبار الدولتين، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط ١، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٢ م)، ص ١٠٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٥٥٣.

(٨٤) لم يقتصر أهتمام الوزراء الفاطميين بعلم دون غيره بل كان لهم حضور في كل المجالات العلمية والادبية، وساهموا في تنشيط الحركة الفكرية وأزدهار النهضة الثقافية في مصر بحيث باتت مسرحاً للنشاط العقلي والأدبي العظيم. أنظر: المناوي، محمد حمدي، الوزارة والوزراء في العصر

الفاطمي، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠م)، ص ١٠٣؛ الحسين، قصي، موسوعة الحضارة العربية - العصر الفاطمي والايوبي، ط١، (بيروت: دار البحار، ٢٠٠٥م)، ص ٤٤٩.

(٨٥) يعقوب بن كلس: هو يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن كلس أبو الفرج الوزير اليهودي الأصل، العراقي الأصل، تولى بعد اسلامه في يوم الاثنين الثامن عشر من شعبان سنة ست وخمسين وثلاثمائة الوزارة للخليفة الفاطمي المعز لدين الله. والخليفة الفاطمي العزيز بالله. وبقي يخدم في الدولة الفاطمية حتى وفاته سنة ٣٨٠هـ. للتفصيل أنظر: ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف، (ت: ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م)، المنتقى من اخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط١، (القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٨١م)، ج٢، ص ١٦٢؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدميري، ط٣، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٨م)، حوادث سنة ٣٥١-٣٨٠هـ، ص ٦٦٩؛ عنان، محمد عبد الله، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ط٢، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف، ١٩٧٠م)، ص ٣٢؛ الزعبي، محمد علي، الدروز ظاهرهم وباطنهم، ط٢، (بيروت: مؤسسة معنوق للطباعة والنشر، ١٩٧٢م)، ص ٤٩.

(٨٦) علم الابدان: هو موضوع علم الطب الذي يبحث في بدن الإنسان في محاولة حفظ الصحة وإبعاد المرض بالادوية والاعذية، حتى قيل ان العلم علمان - علم الطب للابدان وعلم الفقه للأديان. أنظر: البغدادي، حسين بن وفائي ابن حسن، (كان حياً سنة ٢٩٨هـ / ٩٠٤م)، الرحلة الوفئية في المدرسة الطبية، مخطوطة بجامعة الملك سعود تحت رقم ٦١٠، ورقة ١٥؛ ابن سينا، أبو علي حسين ابن علي بن سينا الشيخ الرئيس، (ت: ٤٢٨هـ / ١٠٣٧م)، التوفيق للطبيب الشفيق، مخطوطة بجامعة الملك سعود تحت رقم ث: ٦١٠، ورقة ٢؛ السنوسي، أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت: ٨٩٥هـ / ١٤٩٠م)، رسالة في الطب، تحقيق: خالد زهري، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م)، ص ٣٢؛ طاش كبري زادة، مفتاح السيادة، ج١، ص ٣٠٣؛ حتي، فيليب، العرب تاريخ موجز، ط٤، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩١م)، ص ١٤٧.

(٨٧) المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج٢، ص ٣٧٨؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص ١٠٣؛ الحسين، موسوعة الحضارة، ص ٤٥٠.

(٨٨) المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج٢، صص ٣٧٨-٣٧٩؛ الخريوطي، العزيز بالله، ص ١٢٠.

(٨٩) الحديث: في الأصل الخبر أو الرواية الشفهية في موضوع ديني ودنيوي. ثم اتخذ معنى خاصاً في الإسلام فصارت تعني أقوال الرسول. ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٧٧؛ معروف، ناجي،

المدخل في تاريخ الحضارة العربية ، ط ٢ ، (بغداد: مطبعة وزارة الثقافة والمعارف، ١٩٦١م)، ص ١٤٥.

(٩٠) الفقه: في اللغة: عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه واصطلاحاً: هو العلم بالاحكام الشرعية العملية من ادلتها التفصيلية. وقيل هو الاصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم. الجرجاني، التعريفات، ص ١٧٥؛ الأنصاري ، زكريا بن محمد، (ت : ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م)، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق : مازن المبارك، ط ١، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩١م)، ص ٦٧؛ شاخت، يوسف ، أصول الفقه، ترجمة : إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وآخرون، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١م)، ص ١٧.

(٩١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٨، ص ٨٨؛ سيد، الدولة الفاطمية ، ص ٣٨٣؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص ١٠٦؛ الاعظمي، محمد حسن، عبقريّة الفاطميين، ط ١، (القاهرة: مكتبة الحياة للطباعة ، د.ت)، صص ٢١٢-٢١٣؛ الحسين، موسوعة الحضارة العربية، ص ١٥١.

(٩٢) فكان من جلساء الوزير يعقوب بن كلثوم الطبيب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد التميمي المقدسي الأصل كانت له معرفة جيدة بالنبات وماهياته والكلام فيه وكان متميزاً في الطب، وله خبرة في تركيب المعاجين الطبية وقد صنف الطبيب أبو عبد الله التميمي كتاباً في عدة مجلدات للوزير يعقوب بن كلثوم سماه " مادة البقاء باصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء. أنظر: القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، (ت : ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)، تاريخ الحكماء، ط ١، (لايزيك: د.مط، ١٩٠٨م)، ص ١٠٤؛ تامر، تاريخ الإسماعيلية، ج ٢، ص ٢٢٥؛ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة : نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، ط ٥، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٨م)، ج ٤، صص ٢٩٠-٢٩١. للتفصيل أكثر انظر الفصل الثالث من الأطروحة.

(٩٣) الأفضل بن بدر الدين الجمالي: وزير من وزراء الدولة الفاطمية الكبار، وهو ابن الوزير والقائد الكبير بدر الدين الجمالي، كان عهده من العهود السعيدة في مصر، والتي شهدت فيها الرخاء ونعم الناس بالطمأنينة، لاسيما وان الأفضل صار وزيراً لثلاث خلفاء المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٤م) إذ تولى الوزارة في ربيع الأول سنة ٤٨٧هـ حين اشتد مرض والده الوزير بدر الدين الجمالي، والمستعلي (٤٨٧-٤٩٥هـ/ ١٠٩٤-١١٠٢م)، والخليفة الفاطمي الأمر باحكام الله (٤٩٥-٥٢٥هـ/ ١١٠٢-١١٢٩م). قتل الأفضل في ليلة عيد الفطر سنة ٥١٥هـ/ ١١١٩م. ابن الصيرفي، أمين الدولة ابي القاسم علي بن منجب، (ت: ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، الإشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق: عبد الله مخلص، (القاهرة: مطبعة المعهد

العلمي الفرنسي، ١٩٣٣م)، ص ٥٧؛ الشرقاوي، عبد الله، تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الملوك والسلاطين، تحقيق: رحاب عبد الحميد القاري، (القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ت)، ص ١٦٣؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص ٢٧١.

(٩٤) أمية بن أبي الصلت: هو أمية بن عبد العزيز الأندلسي، ت: ٥٢٨هـ / ١١٣١م. يلقب بالحكيم، ويكنى بأبي الصلت. قدم من الأندلس إلى مصر وأستقر بالقاهرة لمدة عشرين سنة. وحصل على سمعة عالية بين علماء مصر آنذاك. أنظر: الشهرزوري، شمس الدين (كان حياً ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م)، تأريخ الحكماء - نزهة الأرواح وروضة الأفراح -، تحقيق: عبد الكريم أبو شويرب، ط ١، (طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٩٨٨م)، ص ٣٢٩؛ الدفاع، علي عبد الله، رواد علم الفلك في الحضارة العربية الإسلامية، ط ٢، (الرياض: مكتبة التوبة: ١٩٩٣م)، ص ١٠١؛ عطا الله، الحياة الفكرية، ص ٢٢٩؛ عكاوي، الموجز في تاريخ الطب، ص ٢٥٨؛ المنادي، الوزارة والوزراء، ص ١١٨. للتفصيل أكثر عن أمية بن الصلت أنظر الفصل الثالث من الأطروحة، ص ٢٩٢.

(٩٥) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي (ت: ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م)، عيون الانباء في طبقات الأطباء، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ص ٤٦١؛ الحسين، موسوعة الحضارة العربية، ص ٤٥٧.

(٩٦) أفرائيم بن الزفان: هو أبو كثير أفرائيم بن الحسن. إسرائيلي المذهب كان من الأطباء المشهورين بديار مصر، خدم الخلفاء الفاطميين الذين كان في زمانهم، لم تحدد المصادر الخلفاء الذين خدمهم أفرائيم إلا أن دوره برز في عهد الأفضل بشكل ملفت للنظر. أنظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص ٥٢٣ وما بعدها؛ بدوي، الحياة العقلية، ص ٣١٧؛ حميدان، اعلام الحضارة العربية، ج ١، ص ١٧٧؛ عطا الله، الحياة الفكرية، ص ٢١٥؛ للتفصيل أكثر عن الطبيب أفرائيم بن الزفان أنظر الفصل الثاني من الأطروحة، ص ١٧٦.

(٩٧) كان من بين ألقاب الأفضل: السيد الأجل، سيف الامام، جلال الإسلام، شرف الأنعام، ناصر الدين، خليل أمير المؤمنين. ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٥٨؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص ٢٧١؛ الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ط ١، (القاهرة: الدار الفنية للنشر، ١٩٨٩م)، ص ٧٢.

(٩٨) عيون الانباء، ص ٥٢٤.

(٩٩) المأمون البطائحي: هو أبو عبد الله محمد أبو شجاع الأمري، وزير الخليفة الفاطمي الأمر بإحكام الله (٤٩٥-٥٢٤هـ / ١١٠٢-١١٣٠م)، تولى الوزارة بين شوال سنة ٥١٥هـ حتى ٤ رمضان سنة ٥١٩هـ. وصف بأنه كان من ذوي الآراء والمعرفة التامة بتدبير الدولة، كريماً، واسع الصدر، كثير التطلع إلى أحوال الناس. أنظر: ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٤٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م)، ج ١٩، ص ٥٥٣؛ المناوي، الوزارة والوزراء، صص ٢٧٢-٢٧٣.

(١٠٠) أبي جعفر بن حسداي الأندلسي: طبيب يهودي، كان من الفضلاء في صناعة الطب، وله عناية بالغة في الاطلاع على كتب أبقراط وجالينوس، سافر من الأندلس إلى الديار المصرية وأشتهر امره عند الوزير المأمون البطائحي، توفي ابن حسداي الأندلسي سنة ٥٢٢هـ / ١١٢٦م. أنظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٥٨؛ حسين، في أدب مصر الفاطمية، ص ١١٢؛ حميدان، أعلام الحضارة، ج ٥، ص ٥٤٦؛ للتفصيل أكثر عن هذا الطبيب أنظر الفصل الثالث من الأطروحة، ص .

(١٠١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٥٨؛ عطا الله، الحياة الفكرية، ص ٢٦٠؛ المناوي، الوزارة والوزراء، صص ١٠٧-١٢٠.

(١٠٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٥٨؛ عطا الله، الحياة الفكرية، ص ٢٦٠؛ الحسين، موسوعة الحضارة العربية، ص ٤٥٨؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص ١٢٠.

(١٠٣) المناوي، الوزارة والوزراء، ص ١٠٧؛ الحسين، موسوعة الحضارة العربية، ص ٤٥١.

(١٠٤) هو شرح لكتاب الايمان لأبقراط المعروف بعهد إلى الأطباء. أنظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٥٩؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص ١٠٧؛ الحسين، موسوعة الحضارة العربية، ص ٤٥١.

(١٠٥) وهذا بلا شك نتيجة لنقص المعلومات المتوفرة لدينا عن بقية الوزراء الذين أهتموا بهذه المهنة.

(١٠٦) تامر، تاريخ الإسماعيلية، ج ٢، ص ٢٢٥؛ عطا الله، الحياة الفكرية، ص ٢١٠.

(١٠٧) محاسنة، تاريخ مدينة دمشق، ص ٣١٣؛ عطا الله، الحياة الفكرية، ص ٢٠٩؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٤٨٩.

(١٠٨) عملياً: في المستشفيات حيث كان الطلاب يجتمعون حول رئيس الأطباء يراقبونهم وهو يفحص مريضاً، أو يصف دواء، أو يجري عملية جراحية. الحلو وجابر، الوافي في تاريخ العلوم، ص ٣٩.

(١٠٩) نظرياً: في المدارس الطبية، حيث يتلقى الطلاب الأصول النظرية لمهنة الطب عبر الكتب المترجمة أو الموضوعية لهذا الغرض. الحلو، وجابر، الوافي في تاريخ العلوم عند العرب، ص ٣٩؛ بدوي، الحياة العقلية، ص ٣١٢.

(١١٠) الامراض الباطنية: يراد بها امراض الجهاز الهضمي الذي يشمل المعدة والامعاء الدقيقة والغليظة، حتى ينتهي بالشرح، يلحق بها امراض الكبد والمرارة . (وأهم الامراض التي تصيب الجهاز الهضمي هي: (قيء الدم، الكبد وامراضه، القولنج، الديدان المعوية، أمراض المعدة المختلفة، البواسير). للتفصيل أنظر: الكشكري، كناش في الطب، ص ٤١٣ وص ٤٤١؛ فرعون ، الخواجة يوسف، كتاب الامراض الباطنية، تحقيق وتصحيح: مصطفى حسن كساب، ط ١، (مصر: مطبعة السعادة، ١٨٤٠م)، ص ٣ ومابعداها؛ سالم، عزتلو، وسائل الابتهاج في الطب الباطني والعلاج، ط ١، (مصر: المدرسة السنوية الطبية الفرنسية، د.ت)، ص ٢ ومابعداها؛ حسين، الموجز في تاريخ الطب والصيدلية عند العرب، ط ١، (ليبيا: مطبعة الجمهورية العربية، د.ت)، ص ٥٧ ومابعداها.

(١١١) الكحالين: هم أطباء العيون (والامراض التي تصيب العيون كثيرة منها: ضعف البصر، احمرار العيون، سيلان الدموع، الاورام، الحكة في العين، قروح العين، الصفرة، سيلان الدموع، ظلمة البصر، نتوء العنبية، البثر). الديلمي، محمد صالح حكيم نعمة الله، (كان حياً: ١١٦٨هـ/ ١٥٧٤م)، مفيدة في الطب، مخطوطة بجامعة الملك سعود تحت رقم ١٧٦٧/ م.ن.ز، ورقة ١٥، ١٦؛ عبد الفتاح، محمد أفندي، الطب العملي، تصحيح: مصطفى بن حسن كساب، ط ١، (مصر: مطبعة بولاق، ١٨٨٠م)، صص ١١٣-١١٤؛ مجموعة مؤلفين، الحضارة العربية الإسلامية، (بغداد: مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٨م)، ص ١٤٧؛ حسين، الموجز في تاريخ الطب، ص ١٧٤ ومابعداها.

(١١٢) الجراحين: الجراحة هي صناعة ينظر بها في تعريف أحوال بدن الإنسان من جهة ما يعرض لظاهرة من أنواع التفرق في مواضع مخصوصة ومايلزمه . وغايتها إعادة العضو إلى الحالة الطبيعية الخاصة به، ويجب على الجراح ان يكون حسن الصنعة، حاذقاً، سريع اليد خفيفها في العمل، ماهراً. الكركي، أسحاق القف، (ت: ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، كتاب العمدة في الجراحة، ط ١، (د.م: مجلس دائرة المعارف العثمانية، د.ت)، ص ٤؛ جراحباشي، أحمد حمدي بك، الراحة في أعمال الجراحة، ط ١، (مصر: مطبعة الوطن، ١٧٩٧م)، ص ٣.

(١١٣) الأحباس: جمع حابس. لغوياً: تعني ضد التخلية . وتحبس على كذا أي حبس نفسه على ذلك.

أصطلاحاً: تعني الإوقاف الخيرية الخاصة بالفقراء والمساكين والمرافق العامة. ولديوان الأحياس أهمية كبيرة في الدولة الفاطمية، لشرفه وعظم مقداره. أنظر: النابلسي، لمع القوانين المضئية في دواوين الديار المصرية، ط ١، (د.م: د.مط، د.ت)، ص ٢٥ ومابعد؛ ابن منظور، لسان العرب، م ١، مادة حبس، ص ٥٥١؛ الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى، (ت: ٩١٤هـ/ ١٥٠٧م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والاندلس والمغرب، ط ١، (بيروت: دار المغرب الإسلامي، ١٩٨١م)، ج ٧، ص ٣٠١؛ أبو النصر، محمد عبد العظيم، الأوقاف في بغداد في العصر العباسي الثاني، ط ١، (الامارات: عين للدراسات والطباعة، ٢٠٠٢م)، صص ٧-٨.

(١١٤) عكاوي، الموجز في تاريخ الطب، ص ٢٦٧؛ سلطان، الحياة الاجتماعية، ص ٤٨.

(١١٥) اتعاط الحنفا، ج ٢، صص ١٠٥-١٠٦.

(١١٦) البابا، مؤمن أنيس عبد الله، البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية، (١- ٦٥٦هـ / ١٢٥٨-٦٢٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية - غزة، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، ٢٠٠٩م، صص ٣١-٣٢ فمن بين الأطباء الذين كانوا يعملون في المارستانات والطبيب ابن الجزار الذي كان يعمل بالبيمارستان القيرواني قبل ان يدخل في خدمة المعز لدين الله الفاطمي؛ والطبيب عمار بن علي الموصلي الكحال الذي اشتهر امره في خلافة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ / ٩٦٩-١٠٢٠م)، إذ تشير المصادر إلى ان الموصلي كان يعمل بالبيمارستانات في تعليم صناعة الكحل. وفي إجراء عمليات لفتح الماء الأبيض في العين وهذه = العمليات الجراحية ماكانت تقوم ألا بوجود البيمارستانات وبالإشراف عليها. ابن ابي اصبيعة، عيون الانباء، ص ٤٤٢- ص ٥٠٤؛ السامرائي، مختصر تاريخ الطب، ج ٢، ص ٢٣؛ عطية، أحمد عبد الحليم، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، ط ١، (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩١م)، ص ٣٧٠؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ط ٢، (الكويت: منشورات ذات السلاسل، د.ت)، ص ١٢٣؛ البابا، البيمارستانات الإسلامية، ص ٣١. للتفصيل أكثر انظر الفصل الثاني من الأطروحة، ص ؛ والفصل الثالث، ص .

(١١٧) الذين كانوا مختصين بعلاج الخلفاء الفاطميين وحاشيتهم، وقد احصينا اعداد كبيرة من الأطباء الخاصين. انظر الفصل الثاني من الأطروحة.

(١١٨) السامرائي، مختصر تاريخ الطب، ج ٢، ص ١٩؛ عكاوي، الموجز في تاريخ الطب، ص ٢٦٥.

(١١٩) أمية بن ابي الصلت، عبد العزيز ، (ت : ٥٢٨هـ / ١١٣٢م)، الرسالة المصرية، ط١، (د.م: د.مط، د.ت)، ص ١٤.

(١٢٠) أمية بن ابي الصلت، الرسالة المصرية ، ص ١٤ . وهذا مايسمى بالعلاج النفسي أو " الحالة النفسية للمريض " إذ قد يكون للحالة النفسية تأثير كبير جداً في تخفيف حدة الامراض. أنظر في هذا الصدد ماكتبه: إبراهيم، عبد الستار، العلاج النفسي قوة للإنسان، (د.م: عالم المعرفة، ١٩٨٠م)، ص ٢٢٣ وما بعدها.

(١٢١) بيمارستان القشاشين: لم تحدد المصادر في أي عام تم تأسيس هذا البيمارستان، كما لم تحدد " في عهد أي خليفة فاطمي كان"، وإنما كل الذي تشير اليه المصادر بأن الفاطميين اسسوا بيمارستان القشاشين في المكان المعروف بالخراطين بالقرب من الجامع الأزهر، ويقال أيضاً ان الوزير المأمون البطائحي أسس دار الضرب التي سميت بالدار الأمرية قبالة هذا البيمارستان. ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ٣٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٦٩؛ المقرئزي، الخطط ، ج٢، ص ١٦٠؛ عيسى بك، تاريخ البيمارستان، ص ٧٥؛ عفيفي، محمد صادق، تأثير الفكر العلمي عند المسلمين، ط١، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٧م)، ص ١٨٥؛ كحالة ، عمر رضا، العلوم العملية في العصور الإسلامية، ط١، (دمشق: المطبعة التعاونية، ١٩٧٢م)، ص ١١٢.

(١٢٢) غنية ياسر، المكونات الثقافية في الدولة الفاطمية (٢٩٧-٥٦٧هـ / ٩٠٩-١١٧١م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية - ابن رشد، قسم التاريخ، ٢٠٠٧م، ص ٢٨٤.

(١٢٣) البابا، البيمارستانات، ص ٣١.

(١٢٤) ابن ابي اصبيعة، عيون الانباء، ص ٥٣٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤، ص ٣٠٦.

(١٢٥) أبو البيان بن المدور: هو أبو البيان سليمان بن المدور الملقب بالسديد، يهودي الأصل، خدم الخلفاء الفاطميين في أواخر دولتهم وبعد ذلك خدم صلاح الدين الايوبي إلى ان توفي سنة ٥٨٠هـ / ١١٩٢م. ابن ابي اصبيعة، عيون الانباء، ص ٥٣٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤، ص ٣٠٦؛ السامرائي، مختصر تاريخ الطب، ج٢، ص ٤٧٨؛ عيسى بك، تاريخ البيمارستان، ص ٣٦.

(١٢٦) يشير ابن ابي اصبيعة: " بلغني عنه من ذلك ان الأمير ابن منقذ لما وصل من اليمن، وكان قد عرض له إستسقاء " بعث اليه ليأتيه ويعالجه فأعتمر اليه على قرب موضعه منه، ولم

يمض اليه دون ان بعث إليه القاضي الفاضل وكيله ابن سناء الملك، وقصده في ذلك حتى مضى اليه ووصف له ما يعتمد عليه في المداواة" . أنظر: عيون الانباء، ص ٥٣٥.

"والاستسقاء" هو تجمع مصلي في نسيج أو تجويف من الجسم يعرف اليوم علمياً بـ "Hydropsie"، سببه: مادة غريبة تتخلل الأعضاء، وتربو فيها. فاذا فسد مزاج الكبد وتسددت مجاري عروقتها وبرد مزاجه لا يتم النضج فيكون الدم الذي يغذي به الكبد البدن أبيض لزجاً غير مستحكم الحمرة مائياً رقيقاً، فعلى هذا النحو يحدث الاستسقاء واصنافه ثلاثة: الزقي، الطبلي، واللحمي، فأما الزقي والطبلي فيحدثان = تحت الحجاب المبسوط على البطن وهو الحجاب المبسوط من رأس المعدة إلى آخر العانة. إما النوع الثالث " اللحمي " فيغير البدن كله لأنه ينتشر في البدن كله غذاء فاسد رديء يعالج الاستسقاء باقراص الأمبرياريس، ولين اللقاح مع سكر العشر، والكلكلانج " وهو معجون مشهور في كبار الأدوية من تراكيب الهند". أنظر: أبو طالب، محمد بن محمد، الشامل في الطب، مخطوطة بجامعة الملك سعود تحت رقم ٥٠٢٨ في ١٧٧٩/هـ. ورقة (٢)؛ الكشكري، كناش في الطب، صص ٤٨٧-٤٨٩؛ الروبي، أبو شادي، معجم المصطلحات الطبية، تصدير: حسن علي إبراهيم، تنفيذ: خيرية عبد الغني، ط١، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٩٣٤م)، ج٢، ص ٧٠؛ دي برون، الخلاصة الطبية في علل الجهاز التنفسي، ترجمة: خير الله فرج صفيير، ط١، (بيروت: مطبعة الالباء اليسوعيين ، ١٨٨٨)، ص ٤٥٥.

المؤسسات العلمية في العراق ومصر

(٢٤٧ - ٣٣٤هـ)

أ.م.د. محمود تركي اللهبي

عبير غني كاظم الخفاجي

جامعة بغداد

كلية التربية للعلوم الإنسانية

المؤسسات العلمية في العراق ومصر (٢٤٧ - ٣٣٤هـ)

أ.م.د. محمود تركي الهبي

عبير غني كاظم الخفاجي

الملخص :

تناولنا في هذا البحث المعنون (المؤسسات العلمية في العراق ومصر ٢٤٧ - ٣٣٤هـ)، ووضحنا أبرز الأسس التي قام عليها بحثنا، فتناولنا في المبحث الأول الوصف الجغرافي للعراق ومصر، أما المبحث الثاني فقد عالج أهم المؤسسات العلمية في مصر (٢٤٧ - ٣٣٤هـ) وذكرنا المساجد والكتاتيب وخزائن الكتب والمجالس العلمية، والمناظرات، وحوانيت الكتب ودكاكين الوراقين، وأما الخاتمة فكانت أهم النتائج التي توصلنا إليها.

Abstract

This research titled (The Scientific Institutes In Iraq and Egypt 247 – 334 AH) which dealt with the most important scientific institutions in Iraq and Egypt. The first section was a geographical description of Iraq and Egypt. While the second section dealt with the most important scientific institutions in Egypt (247-334 AH), which studied mosques, Quranic schools, bookcases, scientific councils, debates, and books shops.

المقدمة :

أدى انبثاق فجر الإسلام إلى وحدة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وإلى تلاقي الشعوب والأمم ومنها أنتقال الفكر والحضارة من بلد لآخر ومن خلال بحثي في المصادر والمراجع وجدت الصلة العلمية بين العراق ومصر واسعة منذ انبثاق الإسلام وحتى نهاية العصر العباسي ولا يمكن أن نحيط بالقضايا العلمية إلا عن طريق العلماء وما بينهم من مناظرات واحتجاجات وما قدمته الترجمة من العلوم المتأصرة مع الحركة العلمية من معارف وعلوم وفنون وهي تحتاج إلى المزيد من الدراسة الدقيقة وتدقيق النصوص وذلك بالخروج إلى محصلة علمية ولذا تركزت دراستنا على هذا الجانب.

تناولنا في بحثنا أهم المراكز العلمية في بغداد ومصر والذي ساعدت على إرساء قواعد العقيدة الإسلامية فقد شملت على أهم المراكز العلمية ومنها المساجد والمجالس والكتاتيب والمناظرات وجوانب الكتب ودكاكين الوراقين وغيرها.

اعتمدنا في بحثنا على نصوص كثيرة موزعة على جوانب معرفية متعددة لأن الموضوع يستدعي الاعتماد على مصادر متنوعة كعلوم القرآن والحديث واللغة والأدب والتاريخ والعلوم وغيرها وقد حاولنا جمع النصوص الواردة في هذه المصادر الأساسية والإطلاع على المراجع الحديثة التي بحثها المؤلفون في كتبهم المنشورة وبحوثهم في المجالات العلمية.

المبحث الأول : الوصف الجغرافي للعراق ومصر :

- الوصف الجغرافي للعراق :

ذكر ابن الفقيه الهمداني : ((سمي العراق عراقاً لأنه سفلى على تجد، ودنا من البحر، كعراق القرية وهو الخرز المثني الذي في أسفلها وهو الذي يضعه السقاء في صدره))^(١)، وأضاف : ((عمل العراق من هيت إلى الصين والسند والهند، ثم كذلك الري والري وخراسان والديلم وجيلان والجبال واصبهان سرة العراق، ومن ولي العراق قد ولي البصرة والكوفة والأهواز وفارس وكرمان والهند والسند وسجستان وطبرستان وجرجان، والعراق في الطوي من عانه إلى البصرة، والبصرة تتاخم الأهواز، والأهواز تتاخم

فارس، وفارس تتاخم كرمان، وكرمان تتاخم كابل، وكابل تتاخم زرنج، وزرنج تتاخم الهند^(٢).

ويذكر ابن حوقل : ((وإما العراق فإنه في الطول من حد تكريت إلى عبادان وعبادان مدينة عالي نحلا بحر فارس وعرضه من القادسية على الكوفة وبغداد إلى حلوان وعرضه بنواحي واسط من سواد واسط))^(٣).

وأضاف ابن حوقل : ((وبنواحي البصرة من البصرة إلى حدود جُبَيّ والذي يطيف بحدوده من تكريت فيما يلي المشرق حتى يجوز بحدود سهرورد وشهرزور ثم يمر على حدود حلوان وحدود السيروان والصيمرة وحدود الطيب والسوس حتى ينتهي إلى حدود جُبَيّ ثم إلى البحر فيكون في هذا الحد من تكريت إلى البحر تقويس ويرجع على حد المغرب من وراء البصرة في البادية على سواد البصرة وبطائحها إلى واسط ثم على سواد الكوفة وبطائحها إلى الكوفة ثم على ظهر الفرات إلى الأنبار ثم من الأنبار إلى حد تكريت بين الدجلة والفرات وفي هذا الحد من البحر على الأنبار إلى تكريت تقويس أيضاً، وهذا المحيط بحدود العراق))^(٤).

ويذكر أيضاً : ((هذا الإقليم أعظم أقاليم الأرض منزلة وأجلها صفة وأعزها جباية وأكثرها دخلاً، وأجملها أهلاً وأكثرها أموالاً وأحسنها محاسن وأفخرها صنائع وأهله فأوفرهم عقولاً وأوسعهم حلوماً وأفصحهم فطنة في سالف الزمان والأهم الخالية ويمثله تجري أمور أمة الآخرة يقر بذلك أهل الطاعة والفضائل ولا يمتري فيه أهل الدراية والحصائل...))^(٥).

وفي حد العراق من نحو تكريت إلى أن يجاوز مشرقاً عن دجلة إلى قرب العلت بالطول على مثال القوس إلى النسكرة ثم يتصوب على مثال القوس إلى حد عمل واسط من حد العراق إلى حد الجبل فإنه قليل العمارة وفيه قرى مفترشة والغالب عليها الأكراد والأعراب وهي مراعي لهم، وكذلك من تكريت عن غربيها إلى أن تنتهي إلى الأنبار بين دجلة والفرات قليل العمارة وغنما العمارة منه ما يحاذي سر من رأى أميال يسيرة والباقي هي بادية^(٦)، ويذكر أيضاً : ((ولم أبلغ في وصف العراق لاكثر

الناس فيها ووصفهم المستفاض لها واشتهار عامة ما يذكر منها وهذه صفة جامعة لها وإذ قصدي فيها وفي غيرها إثبات هيأتها في الصورة وموقع بعضها من بعض، وأما ارتفاعها فبمعزل من ارتفاع البصرة وواسط في وقتنا هذا، وحضرت عقد ضمانها من حد تكريت إلى حد واسط بجميع طساسيجها وأعمال الكوفة المضمومة إليه من جميع وجوهها وأسبابها وفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وكان دون زيادة الصنجة وصف بين الحال ثلاثين ألف درهم وقد تقدم ارتفاع البصرة وواسط عند ذكرهما وأنهما تضمنا معاً اثني عشر ألف درهم في السنة المذكورة))^(٧).

أما ياقوت يذكر : ((سميت العراق بذلك من عراق القرية وهو الخرز المثني الذي في أسفله أي أنها أسفل أرض العرب، وقيل أنها سمي عراقاً لأنه أسفل نجد ودنا من البحر أخذ من عراق القرية وهو الخرز الذي في أسفلها)).

وبضيف : ((إنما سمي العراق عراقاً لأنه على شاطئ دجلة والفرات مداً حتى يتصل بالبحر على طوله...))^(٨).

وأضاف أيضاً : ((وعرض العراق من جهة خط الاستواء أحد وثلاثون جزءاً وطولها خمسة وسبعون جزءاً وثلاثون دقيقة، وأكثر بلاده عرضاً من خط الاستواء عكبرا على غربي دجلة وعرضها ثلاثة وثلاثون دقيقة وذلك آخر ما يقع في الإقليم الثالث من العراق ومن بعد عكبرا يدخل العراق كله في الإقليم الثالث إلى حلوان وعرضها أربعة وثلاثون جزءاً ومقدار الربع من العراق في الإقليم الرابع دسكرة الملك وجلولاء وقصر شيرين وأما الأكثر ففي الثالث...))^(٩).

وذكر أيضاً : ((العراق هو السواد الذي حددنا في بابهِ وهو ظاهر الاشتقاق المذكور آنفاً لا معنى له غير ذلك وهو الصحيح))^(١٠).

وذكر ياقوت الحموي أيضاً : ((وقال قوم العراق : الطور والجزيرة والعبر والطور ما بين سانيديما إلى دجلة والفرات..))^(١١).

وأيضاً : ((عمل الفرات من هيت إلى الصين والسند والهند والري وخراسان وسجستان وطبرستان إلى الديلم والجبّال قال أصبهان سُنّة العراق وإنما قالوا : ذلك لأن

هذا كله كان في أيام بني أمية يليه والي العراق لأنه منه والعراق هي بابل أيضاً، والعراق أعدل أرض الله هواءً وأصحها مزاجاً وماء فلذلك كان أهل العراق هم أهل العقول الصحيحة والآراء الراجحة والشهوات المحمودّة والشمائل الظريفة والبراعة في كل صناعة مع اعتدال الأعضاء واستواء الأخلاط وسُمرّة الألوان هم الذين أنضجتهم الأرحام فلم تخرجهم بين أشقر وأصهب وأبرص كالذي يعتري أرحام نساء الصقالية في الشقرة...، ويسمى بالعراق مشاتٍ كمشاتٍ الجبال...))^(١٢).

- الوصف الجغرافي لمصر :

ذكر القلقشندي : ((ويجوز أن تكون سميت مصر لكونها حداً فاصلاً بين بلاد المشرق والمغرب، إذ لمصر في أصل لغة العرب اسم للحد بين الأرضين، ومنه قول أهل هجر...))^(١٣).

وبذكر المقرئبي : ((وهم اسم لا ينصرف في معرفة لأنه اسم مذكر سميت به هذه المدينة، واجتمع فيه التأنيث والتعريف فمعناه الصرف، وهي عندنا مشتقة عن مصرت الشاه إذا أخذت من ضرعها اللبن فسميت مصر لكثرة ما فيها من الخير، مما ليس في غيرها فلا يخلو سكانها من خير يدر عليه منه الكشاة التي ينتقع بلبنها، وصوفها وولادتها))^(١٤).

والمقدسي يذكر : ((أن مصر هي خزائن الأرض مما يدل بالتأكيد على ما ذكر من فضائل مصر العديدة وكثرة خيراتها وكنوزها وتجارها فهو (بلد التجارات) وأطلق على مصر تسميات عدة ومنها باسم ديار مصر، أو إقليم مصر، أو صعقاً))^(١٥).

وذكر ابن خردادبه : ((هذا هو الإقليم الذي أفتخر به فرعون على الوري، وقام على يد يوسف (عليه السلام) بأهل الدنيا فيه آثار الأنبياء...، وإليه اجرت مريم بنت عمران (عليها السلام)، وكرر الله عز وجل في القرآن ذكره، وأظهر للخلق فضله، أحد جناحي الدنيا، ومفاخره فلا تحصى، مصر قبة الإسلام، ونهره أجل الأنهار، وبخيراته تعمر الحجاز...))^(١٦).

وأما تسمية مصر بهذا الاسم دون ذكر الإقليم أضاف ابن خرداذبه : ((نسبة إلى مصر بن حان بن نوح (عليه السلام)))^(١٧).

أما قلفشندي يذكر : ((أن نقرأ ووس بن مصريم أول ملوكها قبل الطوفان حين عمّرها سماها باسم أبي مصريم تبركاً، وأن مصر بن بيصر أنما سمي باسمه،....، وهي على الوجهين منقولة عن اسم رجل)).

وتذكر المصادر العربية أن تسمية مصر في اللغة هو الكورة وجمع مصر أمصار، ومصر الموضع، أي جعله مصراً، ومصر المكان صار مصراً، وسميت لتمصرها، والمصر في كلام العرب كل كورة تقام فيها الحدود ويقسم فيها الفياء والصدقات...))^(١٨).

وتذكر المصادر العربية أن تسمية مصر في اللغة هو الكورة وجمع مصر أمصار^(١٩)، ومصر الموضع، أي جعله مصراً، ومصر المكان صار مصراً، وسميت بذلك لتمصرها، والمصر في كلام العرب كل كورة تقام فيها الحدود ويقسم فيها الفياء والصدقات...^(٢٠)، ويقال مصر الأمصار أي مدن المدن))^(٢١).

ومن الأمصار التي ذكرت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الفسطاط^(٢٢)، ومن جانب آخر نذكر بخصوص المصادر في الدولة العربية الإسلامية هي سبعة (المدينة، الشام، مصر، الجزيرة، البحرين، البصرة، الكوفة)^(٢٣)، وكانت مصر في ضوء هذه الأمصار تؤدي دوراً كبيراً، كمعسكرات للجيش العربية، وقواعد تتطلق منها الجيوش لتحرير الأراضي ونشر الدين الإسلامي وكذلك القيام بأعمال الجهاد في سبيل نشر الإسلام.

وتجد الإشارة إليه أن مصر كانت من الأقاليم المهمة في الدولة العربية الإسلامية، إذ تمتاز بكونها غنية وثرية وتجارية^(٢٤)، حتى أنها كانت في وصف الوالي "عمرو بن العاص"^(٢٥)، تعدل الخلافة بأكملها، ويقال أن مصر خزائن الله فمن أرادها بسوء قصمه الله، وثراء مصر واحد من الأسباب التي جعلت العرب يهتمون بها وجعلها محط اهتمام الخلافة الإسلامية ابتداءً من الخلافة الراشدة ومروراً بالخلافة الأموية

فالعباسية إلى نهاية الخلافة الفاطمية، فضلاً عن التطور الحضاري الذي حصل فيها التخطيط والبناء التي هي من أسباب الحضارة التي يدعو إليها الترف^(٢٦).

ويذكر ابن خلدون : ((فالمدن والأمصار ذات هياكل وأجرام عظيمة وبناء كبير، وهي موضوعة للعموم ولا للخصوص، فتحتاج إلى اجتماع الأيدي وكثرة التعاون... وسوقهم إليه مضطهدين بعصا الملك أو مرغبين في الثواب والأجر الذي لا يقي بكثرته إلا الملك والدولة، فلا بد من تمصير الأمصار واختطاط المدن من الدولة والملك، ثم إذا بنيت المدينة وكما تشييدها بحسب نظر من شيدها، وبما أقتضيته الأحوال السماوية والأرضية فيها فعمر الدولة حينئذ عمر لها، فأن كان عمر الدولة قصيراً وقف الحال فيها عند انتهاء الدولة وتراجع عمرانها وخربت، وإن كان آمد الطويلة ومدتها منفسحة، فلا تزال المصانع فيها تشاد والمنازل الرحبية تكثر وتتعدد ونطاق الأسواق يتباعد وينفسح))^(٢٧).

أما موقع مصر : تقع مصر في الموقع الفلكي الذي يمتد بين دائرتي عرض (٢٢°، ١٨-٣١°) شمال دائرة خط الاستواء، وخطي طول (٢٥°-٣٧°) شرق خط الاستواء، وهذا الموقع الفلكي جعل مصر تتوزع بين العروض المدارية في الجنوب والعروض شبه المدارية وشبه المعتدلة في الشمال^(٢٨).

ونقل الجغرافيون العرب عن اليونان تقسيم العالم إلى ثلاثة أقسام، على نحو ما ذكره المسعودي : ((كان اليونانيون يقسمون المعمورة بأقسام ثلاثة تصير أرض مصر مجتمعاً لها فما مال عنها وعن بحر الروم^(٢٩)، نحو الجنوب فاسمه لوبيه ويحدها بحر أوقيانوس المحيط الأخضر من جانب المغرب وبحر مصر من جهة الشمال وبحر الحبش من جهة الجنوب وخليج القلزم وهو بحر سوق أبي البردي من جانب المشرق، وهذا كله يسمى لوبيه والقسم الآخر اسمه أورقي والآخر آسيا))^(٣٠).

وذكر ابن خرداذبه : ((الأرض إلى أربعة أقسام مهمة، فبعد أن جعل بغداد نقطة الالتقاء، قد جعل المشرق شرقها، والمغرب غربها، والشمال شمالها، والجنوب

جنوبها، ومن هذا التقسيم فقد جعل مصر من لوبيه (أفريقيا) حداً فاصلاً بينها وبين القارات الثلاث))^(٣١).

واختلف المؤرخون والجغرافيون في كتاباتهم لموقع مصر، قد ذكر المسعودي : ((أن مصر تقع ضمن الإقليمين الثاني والثالث))^(٣٢).

المبحث الثاني : المؤسسات العلمية في العراق ومصر (٢٤٧-٣٤٣هـ) :

وردت في القرآن الكريم آيات عديدة تحث المسلمين على العلم والتعلم، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣٣)، وقوله تعالى : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾^(٣٤)، وقوله تعالى : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٣٥).

كما وردت العديد من الأحاديث الشريفة التي تحث على العلم والتعلم، لاسيما في الأمور الدينية، إذ ورد عن النبي محمد (ﷺ) أحاديث كثيرة في فضل العلم والتعلم منها قوله (ﷺ) : ((من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على فضل العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وأن العلماء ورثة الأنبياء، وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذه بحظ وافر))^(٣٦)، وعنه (ﷺ) قوله : ((ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع))^(٣٧).

وأشار الحكماء بفضل العلم وأهميته إذ قالوا : ((مَنْ كَثُرَ أدبه كَثُرَ شرفه وإن كان وضيعاً، وبعد صيته، وإن كان خاملاً، وساد وإن كان غريباً، وكثرت حوائج الناس إليه وإن كان فقيراً))^(٣٨).

إذاً إن المسيرة العلمية التي بدأها الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) من بعده ظلت متواصلة ومتداخلة على مر الحقب التاريخية، ذلك عندما أفضت الخلافة إلى العباسيين لم يقلوا عمن سبقهم في رفد الحركة العلمية والرغبة المتواصلة في العلم

ورعاية أهله، والعلاقات بين علماء مصر والمناطق المجاورة، وبرزوا في هذا الجانب إذ طوروا ما ورثوه ولم يكتفوا بما عرفوه من تراث حضاري موروث حسب، وإنما نجحوا في إكمال بناء الصرح الحضاري الذي وضع لبنته الأساسية الأولى رسول الله (ﷺ)، إذ أصبحت إنجازاتهم العلمية مثار فخر واعتزاز ومضرب الأمثال ونموذج يقتدى به في سائر أنحاء العالم خالدة في سفر التاريخ.

أهم المؤسسات العلمية في العراق ومصر (٢٤٧-٣٤٣هـ) :

١- المساجد :

يعد المسجد مظهراً من مظاهر الحضارة وعنصراً من عناصرها في الإسلام، لأهميته الدينية والسياسية والفكرية إذ أقيمت فيه فرائض الدين، وبويع فيه الخلفاء والأمراء، كما بحث فيه أمر الحرب والسلام^(٣٩)، فضلاً عن كونه مركزاً مهماً للتعليم ((السعة مساحته وكثرة تردد الناس عليه والوقار الذي يتطلبه))^(٤٠)، وكان المسجد حتى أواخر القرن الثالث الهجري المركز الذي تلقى فيه الطلبة العلوم والمعارف، وفضلاً عن كونه يمثل ملتقى العلماء والأدباء، لذا اهتم الخلفاء العباسيون بالمساجد وأقبلوا على تشييدها في مختلف البقاع.

وتعد المساجد إحدى المقرات التي اجتمع فيها الخلفاء مع العلماء للاستماع وتلقي النصائح منهم^(٤١)، والخلفاء العباسيون كانوا يتابعون بأنفسهم نشاط الحلقات العلمية التي تعقد في المساجد ليطلعوا على سير الحركة العلمية ومستوى التعليم في هذا المسجد وذلك، وهذا بدوره مرتبط بكفاءة وإمكانية شيخ العلم في حلقاته^(٤٢).

وأقدم الخليفة المهدي^(٤٣) (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م) على بناء الرصافة ((عمل .. بها جامعاً أكبر من جامع وأحسن))^(٤٤)، وكان جامع الرصافة معهداً علمياً متميزاً إذ نجده في خلافته ومن تلاه من الخلفاء عامراً بأفضل العلماء وشيوخ العلم ومن هؤلاء : محمد بن إبراهيم المعروف بـ(أبي حمزة الصوفي - ت ٢٦٩هـ/٨٨٢م)، وهو من كباء شيوخ الصوفية، كان يتكلم في جامع الرصافة .. وكان عالماً بالقراءات .. وهو أول من تكلم ببغداد في هذا المذهب من صفاء الذكر وجمع الهمم ...))^(٤٥).

وبرز دور المساجد ولاسيما مساجد البصرة في خلافة المهدي العباسي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م) والتي مثلت مننديات لإنشاء الشعر والاستماع إليه لاسيما في مدح الخليفة على نحو ما أقدم عليه (مروان بن أبي حفصة)^(٤٦) عندما نظم أبياتاً في مدح الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م) فألقاها في مسجد البصرة للمذاكرة فيها^(٤٧).

وأصبحت سرّاً من رأى عاصمة للخلافة شيد فيها الخليفة المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤١م) ((مسجداً جامعاً كبيراً، وأعظم النفقة عليه، وأمر برفع منارته .. فجمع الناس فيه...))^(٤٨). ووسع هذا المسجد، وأنشئ جامع كبير ضخم سنة (٢٣٤هـ) في عهد الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٦١-٨٦٦م)، وأصبح جامع سامراء من أكبر المساجد في العلم الإسلامي، وكان ذا طراز معماري مميز يدل على أصالة الابتكار في العمارة العربية الإسلامية^(٤٩)، وإن شغف الخليفة المتوكل بعلم الحديث دفعه إلى استقدام أفضل علماء الحديث إلى سرّاً من رأى ليحدثوا الناس في مسجدها الجامع، وساروا على هذا النهج بقية الخلفاء العباسيين الذي أوروثوا الخلافة وحب العلم^(٥٠)، وشيد أيضاً في هذه الفترة مسجد أبي دلف الذي بناه عند بنائه المتوكلية في شمالي سامراء^(٥١).

وتشير النصوص إلى أن الخلفاء العباسيين لم يكتفوا باستخدام صفوة العلماء للتعليم في المساجد، بل تولوا تلك المهمة بعض الأحيان من خلال اعتلائهم منابر المساجد في أيام الجمع والأعياد كخطباء ومرشدين ومعلمين^(٥٢)، ذاته على نحو ما أقدم عليه الخليفة المهدي بالله (٢٥٥-٢٥٦هـ/٨٦٨-٨٦٩م)^(٥٣) إذ كان ((تقياً فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وكان يحضر كل جمعة المسجد الجامع فيخطب الناس ويؤم بهم))^(٥٤).

وكان أسلوب التعليم في المساجد في غاية التنظيم، إذ كان العالم في حلقة يخصص لكل علم يوم خاص ليعلمه لطلبته^(٥٥).

إن مدى اهتمام الخلفاء العباسيين بأمر المساجد ورعايتهم لها، أنهم استجابوا لرغبة بعض أهل العلم الذين تطلّعوا إلى إعمار المساجد وتوسيعها وجعلها من المساجد الجامعة التي تقام فيها الجمعة، وهذا ما أقبل عليه الخليفة الطائع لله (٣٦٣-٣٨١هـ/٩٧٣-٩٩١م)^(٥٦) مع (أبي أحمد الموسوي)^(٥٧) عندما رغب العلوي أن يجعل المسجد الذي عمره (بقطيعة أم جعفر)^(٥٨) من المساجد الجامعة، فالتمس هذا المطلب من الخليفة الطائع لله وقدم حجته له، فافتتح الخليفة واستجاب سؤاله، فأصبح ذلك المسجد مسجداً جامعاً أقيمت فيه صلاة الجمعة وفروض العبادات الأخرى، إضافة إلى طلب العلم والتعلم^(٥٩).

أما في مصر ظهرت عمائر قل أن نجدها في مكان واحد، ثم أخذت تتطور عبر السنين والعصور في سلسلة مترابطة مكونة حلقة فريدة من التنوع والتشكيل، فقد ظهرت فيها العديد من عناصر العمارة الإسلامية، وبعد أن دخل الإسلام مصر تطور تخطيط العاصمة ووجدت أماكن للصلاة والعبادة فيها، وبالتالي ظهرت في مصر العديد من الجوامع والمساجد^(٦٠)، فيذكر المقرئزي ((إن صلاة الجمعة كانت تقام في جامع عمرو بن العاص وجامع العسكر واستمر ذلك حتى بني جامع أحمد بن طولون فصارت الجمعة تقام في جامع عمرو وفي جامع ابن طولون وتلاشى أمر العسكر إلى أن قامت الدولة الطولونية))^(٦١). ويذكر أيضاً ((لما افتتح عمر البلدان، كتب إلى أبي موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجداً للجماعة، ويتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة وكتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك، وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر مثل ذلك))^(٦٢). ويتضح أن الجامع هو المسجد الذي تؤدي فيه الجمعة صلاة الجمعة عرف بالجامع، وأضاف المقرئزي : ((ولم تكن الجمعة تقام في زمن عمرو بن العاص بشيء من أرض مصر إلا في هذا الجامع، وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن يونس، جاء نفر من غافق إلى عمرو بن العاص، فقالوا : إنا نكون في الريف، أفتجمع في العيدين الفطر والأضحى ويؤمننا رجل منا؟ فقال : نعم، قالوا : فالجمعة ؟ قال : لا، ((ولا يصلي

الجمعة بالناس إلى من أقام الحدود وأخذ بالذنوب وأعطى الحقوق))^(٦٣). وفي مصر يوجد ستة وثلاثون ألف مسجد. أما أهم الجوامع والمساجد في مصر :

١- جامع عمرو بن العاص^(٦٤) : والمسجد الجامع، أو الجامع العتيق، أو مسجد الفسطاط، وهو أول المباني الدينية التي قميت في مدن الاسلام الفسطاط وذلك بعد انتهائه من تأسيسها سنة (٢١هـ/٦٤١م).

أهم مظاهر الحياة العلمية في جامع عمرو بن العاص : إذ ازدهرت الحياة العلمية في مصر اسلامية فقد رحل إلى مصر بعض أئمة الحديث وأفادوا من الدراسات التي أجراها المحدثون في جامع عمرو بن العاص، وأدت رحلة العلماء إلى مصر إلى انتشار الدراسات الاسلامية في البلاد الاسلامية مثل مذهب مالك الذي انتقل من الحجاز إلى بلاد المغرب عن طريق مصر وبالتالي كان من أسباب ازدهار الحياة العلمية هو تعدد المجالس والمناظرات العلمية التي يجتمع فيها رجال العلم وذلك لمناقشة بعض القضايا العلمية في جامع عمرو^(٦٥).

إذ كان العلماء يلتحقون به لإلقاء علومهم، وكان الصحابة والتابعون ينتقلون بين الكوفة والفسطاط وهم بذلك يحملون معهم أفكار مصر الإسلامية إلى العراق إذاً ((هو مركز للحياة الدينية والإدارية والاجتماعية والعلمية والفكرية)) وكانت حلقات الدرس تشمل العلوم الدينية وسيرة النبي محمد (ﷺ) وأحاديثه وبعض القصائد الدينية، وكان طلاب العلم الكبار يدرسون علم التفسير والقراءات والحديث والفقه والنحو واللغة بينما الصغار يتعلمون فيها القراءة والكتابة^(٦٦).

الفقهاء والعلماء في مسجد عمرو بن العاص لم يتقاضوا الأجر كغيرهم ممن العملاء والفقهاء في الأمصار الإسلامية إذ لا يجوز أن يأخذ المعلم أجراً عن تعليم القرآن والحديث^(٦٧)، ويستوجب على القائمين بأمور الدرس أن يكون تعليمهم العلوم الدينية ابتغاء وجه الله تعالى والقيام بها تطوعاً^(٦٨)، وصف ناصر خسرو الرسالة التعليمية لمسجد الفسطاط الكبير على النحو الآتي : ((يقيم بهذا المسجد المدرسون

والمقرئون، وهو مكان اجتماع سكان المدينة الكبيرة، ولا يقل من فيه في أي وقت، عن خمسة آلاف من طلال العلم، الغرباء، والكتاب (...))^(٦٩).

٢- **مسجد العسكر** : يقع بين مسجد أحمد بن طولون وكوم الجارح بظاهر مصر وهو بجانب شرطة العسكر التي تسمى الشرطة العليا وكذلك بجانب دار إمارة العسكر ويجمع فيه الجمعة، بناه الفضل بن صالح بن علي في إمارته على مصر سنة (١٦٩هـ/٧٨٧م)^(٧٠)، ولما تولى مصر عبد الله بن طاهر^(٧١) سنة (٢١١هـ/٨٢٦م) زاد في عمارته بزيادة مساحته بسبب ازدياد عدد السكان، واستمر هذا المسجد إلى ما بعد الخمسمائة من الهجرة، ويصلون في هذا المسجد وفيه منبر ومقصورة^(٧٢).

٣- **مسجد أحمد بن طولون** : شيد المسجد على ربوة وله جدران سميقة، بناه أحمد بن طولون، بنار على الموقف^(٧٣)، وصفه ابن جبير : ((وهو من المساجد العتيقة الأنيقة الصنعة الواصفة البنيان، جعله السلطان مأوى للغرباء من المغاربة، وقد أجرى عليه الأرزاق في كل شهر))^(٧٤). والسبب في بنائه يذكر ياقوت الحموي : ((أن أهل مصر شكوا إلى أحمد بن طولون ضيق مسجد الجامع يعنون مسجد عمرو بن العاص، فأمر بإنشاء مسجد الجامع بجبل يشكر))^(٧٥)، وبني على غرار بناء جامع سامراء وكذلك المنارة إذ يمتاز بمنارة ذات سلم خارجي الوحيد بين منارات مصر^(٧٦).

والهدف من بناء هذا المسجد هو إقامة الصلاة وعده معقلاً ضد أي خطر خارجي وفي نفس الوقت مكاناً لتدريس العلوم الدينية وتعد فيه محاكم للفصل بين الناس، ولهذا المسجد أهمية خاصة فقد بني في وسط المسجد خوارة مشبكة من جميع نواحيها وعليها قبعة مذهبة تقوم على عشر أعمدة^(٧٧).

٢- الكُتَاتيب :

إن الكُتَاتيب والمكاتب هي جمع للكُتَاب، والمُكْتَبَ موضع الكُتَاب^(٧٨)، أما المُكْتَب والكتاب : موضع تعليم الكُتَاب، وهم الصبيان، والمكتب هو المعلم^(٧٩)، والإكتاب : تعليم الكتابة، كالتكيتب والإملاء^(٨٠).

إذاً الكُتَاتيب والمُكْتَب لفظان يدلان في معناهما على مؤسسة تختص بالتعليم الأولي^(٨١).

وعُرف الكتاب عند العرب منذ عصر ما قبل الاسلام، وإن كان على نطاق شيق، فكان موجهاً لتعليم القراءة والكتابة^(٨٢).

وظهرت كتاتيب عدة في ظل الاسلام الذي شجع على طلب العلم والتعلم، فأوجد حافظاً للمسلمين لتعليم أبنائهم، ولاسيما أن الرسول الكريم (ﷺ) أكد في أحاديثه الشريفة على أهمية وفضل تعليم الأبناء، ومن ذلك قوله (ﷺ) : ((لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع^(٨٣)))^(٨٤)، وقوله (ﷺ) : ((ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن))^(٨٥)، وفي ظل الاسلام عرف المسلمون نوعين من الكتاتيب : نوع يتعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة، ومن ذلك قول ابن خلدون في حديثه عن تعليم الولدان في المشرث الإسلامي ((... لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراده...))^(٨٦).

أما النوع الثاني فهي الكتاتيب التي اختصت بتعليم الصبيان القرآن الكريم وأصول الدين، وتشير النصوص إلى أن كتاتيب تلقين القرآن، أو ما تعرف ب(دور القرآن) لم تظهر في العهد المبكر للإسلام، بل يرجع ظهورها إلى الربع الأخير من القرن الأول للهجرة^(٨٧).

ولعل سبب اهتمام المسلمين بتعليم أبنائهم، وتلقينهم القرآن الكريم الذي كان في طليعة اهتمامهم، ضمن مكاتب مخصصة لتلك المهمة فيعود إلى ((... إن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع الأمصار، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الأديان، وعقائده من آيات القرآن ... وصار القرآن أصل التعليم .. ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخاً، وهو أصل لما بعده ... لما كان القرآن ... منبع الدين والعلوم، جعلوه أصلاً في التعليم ...))^(٨٨).

إن أبناء المسلمين قبل أن تخصص لهم المكاتب الخاصة للتعليم كانوا يندسون بين الكبار في المساجد، لتلقي القرآن الكريم، وتلقى بعضهم القرآن الكريم من قبل مؤدبين مخصوصين بهم^(٨٩).

وإن المساجد مثلت أماكن مناسبة لتعليم الصبيان، إلا إن ذلك لم يستمر بدليل أن الرسول الكريم (ﷺ) قد نهى عن تعليم الصبيان في المساجد، قائلاً : ((جنبا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراركم ... ورفع أصواتكم))^(٩٠).

والحديث الشريف هو أشبه بأمر المسلمين أن لا يتخذوا من المساجد أماكن لتعليم الصبية، الذين هم في سن قد لا تؤهلهم لأن يصونوا حرمة بيوت الله وقديسيها كما ينبغي، وهذا منفردة، استمر فيها تعليم الصبيان في بعض المساجد.

وظهرت كتابات عدة في أمصار الدولة العربية الإسلامية وولاياتها، على أثر حركة تعريب الدواوين^(٩١)، وأخذ عدد الكُتّاب يزداد بشكل كبير في القرن الثاني للهجرة، لإدراك المسلمين وولادة أمورهم ضرورة رفد المراكز التعليمية الأخرى التي تضطلع بمهمة التعليم بعد الكُتّاب بجيل مؤهل يجيد القراءة والكتابة، ويحفظ سوراً من القرآن الكريم^(٩٢).

وإن بعض الكتابات قد علمت صبيانها إلى جانب القراءة والكتابة والقرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف لقديسيته وأهميته ومنزلته لدى المسلمين، ولاسيما أنه الأصل الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم^(٩٣)، كما علمت أحاديث الأخبار وحكايات البرار وأحوالهم، اتغرس في الصبية حب الصالحين منذ الصغر، هذا فضلاً عن تعليمهم الشعر، والحساب، وعلوم أخرى، أما سن التحاق الصبي إلى المكتب فهو السادسة من العمر على الأغلب، ويبقى يتعلم في الكتاب خمسة إلى ستة أعوام^(٩٤).

وظلت الكتابات تؤدي دوراً فاعلاً في مهمتها التعليمية والتربوية طوال العصور الإسلامية إذ رافقت التعليم عند المسلمين منذ صدر الإسلام واستمرت طوال عهود الدولة العباسية.

وكان الخلفاء العباسيون معنيين بمسألة تعليم الصبيان، سواء أكانوا أبناءهم أم أبناء رعيّتهم، فعلى الصعيد الشخصي نجدهم قد اختاروا أفاضل شيوخ العلم لتعليم وتأديب أبناءهم، وخصصوا أماكن ملائمة ومحددة في قصورهم يتلقى فيها أبناءهم العلم على يد شيوخهم ومعلميهم، وأدت تلك الأماكن في قصور الخلافة وظيفة الكتابات الخاصة، التي اقتضت على تعليم أبناء الخلفاء حصراً^(٩٥)، ودرسوا صنوف العلم

المتنوعة وفي طليعتها القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، فضلاً عن دور مؤدبيهم في غرس السجايا الحميدة والخلق القويم في نفوس أبناء الخلفاء، يؤهلهم لتحمل المسؤوليات عندما تناط إليها المهمات^(٩٦).

مثلاً : كان محمد بن حبيب المؤدب (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م)، وهو من علماء بغداد في اللغة والشعر والأخبار والأنساب، وهو من الثقات، كان يعلم في الكتاتيب أيام الخليفة المتوكل على الله العباسي^(٩٧).

وكانت سمة التخصص في الملل التي ارتادت الكتاتيب من السمات المميزة في تاريخ الخلفاء العباسيين، وذلك أنهم لم يسمحوا لغير المسلمين بارتداد كتاتيب المسلمين، وهذه السمة ميزت في عهد الخليفة المتوكل على الله الذي أمر أهل الذمة ((أن لا يعلموا أولادهم في مكاتب أولاد المسلمين ... وكتب إلى الآفاق في ذلك))^(٩٨). إن خطوة الخليفة المتوكل هذه تصور لنا ذكاء هذا الخليفة الذي أدرك أن اختلاط أبناء المسلمين مع أبناء الملل الأخرى من شأنه أن يخلق نوعاً من التأثير والتأثير بسبب الاحتكاك والمصاحبة بين هؤلاء الصغار، ولطالما للمسلمين أخلاقهم ومبادئهم وأحكامهم الدينية التي تختلف عما يمتلكه غيرهم، فالذي يصح أن يطبق على المسلم قد لا يصح أن يطبق على غيره، لذلك أراد الخليفة أن يحافظ على جوهر ونقاء ما يتلقاه أولاد المسلمين من معلمهم من دون تأثير أي مصدر آخر، ((وحفظ الخليفة المتوكل لأبناء الملل الأخرى حقها في التعلم في مكاتب خاصة بها))^(٩٩).

وإن رجال الدولة من الوزراء والقادة والخلفاء، فضلاً عن الرعاية بشكل عام كانوا يعبرون عن سرورهم عند التحاق أولادهم بالكتاب، وذلك من خلال إقامة الدعوات والولائم الكبيرة، وفضلاً عن إغداقهم الأموال على مؤدبي أولادهم في الكتاتيب تقديراً لجهودهم^(١٠٠).

إذاً إقدام الخلفاء العباسيين على تشييد الكتاتيب ورعايتها أسهم وبشكل كبير في تخريج كوكبة خيرة من الأحداث المتعلمين الذي كان لهم دور فاعل في الحياة العلمية وإغناء التراث العربي في بغداد بشكل خاص.

أما الكتاتيب في مصر فإنها لا تختلف نوعاً عن الكتاتيب في بغداد، فكان في المساجد وباحات المساجد يعلم الشيخ حلقته في علم القراءات^(١٠١)، منهم : الشيخ إبراهيم بن مهدي المصيبي (ت ٢٢٥هـ/٨٣١م)، وهو بغدادي الأصل وقدم مصر، وعلم أولادها في الكتاتيب غالباً ما تكون في دار الشيخ وكان يعلمهم علم القراءات، والشيخ عبد الرحمن بن أبي صالح عبد الغفار بن داود (ت ٢٥٢هـ/٨٦٦م) ولد في مصر وعلم في الكتاتيب علم الحديث وكان لا يأخذ أجراً من الصبيان مقابل التعليم، وكان ثقة وحريصاً على العلم والتعلم. وتركز الكتاتيب في أغلب مدن مصر، وخاصة في المدن الكبيرة بجانب المساجد^(١٠٢).

٣- خزائن الكتب :

تحتل المكتبات أهمية كبيرة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية، لاسيما أبان العصور العباسية، لأنها تُعدّ من خير الوسائل لنشر العلم والمعرفة، فضلاً عن إسماعها الفاعل في الانفتاح الفكري على العلوم والمعارف^(١٠٣).

ولما كان الخلفاء العباسيون من أكثر المشجعين على انتهاز العلم، وارتداد مناهل المعرفة، لذا فقد بذلوا المبالغ الطائلة في سبيل إنجاح مشروعهم العلمي، إذ أسسوا مراكز العلم والمعرفة التي منها خزائن الكتب التي عمروها بالأسفار النفيسة، وشجعوا العلماء على التأليف في كل فن ولون^(١٠٤)، وكان حصيلة ذلك انتشار خزائن الكتب في كثير من المدن والأقاليم الخاضعة للدولة العباسية^(١٠٥).

وأدرك الخلفاء العباسيون بثاقب فكرهم أهمية امتلاكهم المكتبات الخاصة بهم، لاسيما أن مجالسهم كانت حافلة بالعلماء، لذا فأنهم شعروا بضرورة أن يتعرفوا ويُلّموا بالموضوعات العلمية المطروقة في مجالهم تلك، وهذا لا يتسنى لأي خليفة منهم ما لم يكن قد واطب على القراءة والدرس والمذاكرة في بطون الكتب التي حرصوا أن تكون تحت متناول أيديهم، لذا أنشأوا خزائن كتب في قصورهم التي كانت خير دليل وبرهان على رغبتهم بالعلم وتقديرهم لقيمتهم^(١٠٦)، فكانت مكتباتهم الخاصة قد جمعت أنفس الكتب وأثمنها، ولم يكن يعز عليهم إحراز أي كتاب^(١٠٧).

واحتضنت بغداد كنوز العلم والمعرفة، لذلك اتسع نطاق إنشاء المكتبات من قبل الخلفاء العباسيين إذ ((أنشئت خزائن الكتب في مدن وأقاليم الدولة الإسلامية))^(١٠٨). وإن التوجه العلمي لخلفاء الدولة العباسية وإقدامهم على الاحتفاظ بالكتب المؤلفة لهم في خزاناتهم الشخصية، والتي تعد من الكتب النادرة وغير المتوفرة في المكتبات العامة أو عند غيرهم من الأشخاص، مثلاً : إن الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م) عندما فسّر له (الزجاج)^(١٠٩) في كتاب جامع المنطق ((لم يخرج ما عمله الزجاج إلا إلى خزنة المعتضد))^(١١٠)، إلا أن الخلفاء العباسيين لم ييخلوا بكتبهم النادرة وبخزاناتهم على طلبه العلم ورواد المعرفة إذ كانت ((مكتبات الخلفاء منتدى للأدباء والعلماء والشعراء...))^(١١١).

ومن الأمور التي اهتم بها الخلفاء العباسيين للمؤسسات العلمية من خلال تزويدها بخزانات الكتب، إذ أقاموا المكتبات الخاصة بالجوامع وذلك أن ((أغلب الجوامع كانت لها مكتباتهم الخاصة بها، ليستفيد منها طلاب العلم والمعرفة ... كما كانت مكتبات الجوامع تتخذ مجتمعا للعلماء، وطلاب العلم يتدارسون فيه))^(١١٢). وفضلاً عن ذلك فقد زدوا المستشفيات بخزانات الكتب ((إذ كان لكل بیمارستان خزنة كتب حافلة بتصانيف الطب وغيره من العلوم))^(١١٣).

ولم ينس الخلفاء العباسيون حقوق رعاياهم من أبناء الملل الأخرى إذ لم يحرمهم من التعلم وامتلاك مؤسسات التعليم الخاصة بهم، إذ زدوا الأديرة بالمكتبات ذلك أنه كان ((في كل دير خزنة يتعهد نساكها بالمحافظة عليها))^(١١٤).

وإن التوجه العلمي لخلفاء الدولة العباسية وميلهم إلى اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات قد أثر في رجال الدولة وعلمائها الذين حذوا حذو خلفائهم في إنشاء المكتبات الخاصة بهم والتي استفاد منها أبناء عصرهم، مما كان له الأثر في ازدهار الحركة العلمية آنذاك، مثلاً كان لعلي بن يحيى المنجم^(١١٥)، خزنة كتب عظيمة، يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم...))^(١١٦).

وكان للفتح بن خاقان وزير الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٢٤٦-٨٦١م) خزانة كتب، لم يرَ أعظم منها كثرةً وحسناً، وكان يحضر داره فصحاء الاعراب وعلماء البصرة والكوفة^(١١٧).

أما المكتبات في مصر، فمصر لا تختلف عن بغداد، وأهل مصر أكثر شبهاً بأهل بغداد بحبهم وشغفهم بالعلم، وفي مصر أعداد كثيرة من خزائن الكتب، وتحتوي على خيرة الكتب العلمية والأدبية والتاريخية، وعادةً تكون هذه الخزائن مجاورة للمساجد أو في داخلها، أو قد تكون عند بعض الشخصيات من أهل العلم. ويذكر المقرئ: ((فقد كانت مصر تحتوي على أربعين خزانة للكتب، وكل خزانة تحتوي على ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة، فقد وجد في خزائن الكتب ثلاثون نسخة من كتاب العين للفراهيدي ومنها نسخة مخطوطة أصلية بخط يد الفراهيدي، كما يوجد في خزائن الكتب في مصر عدة كتب مهمة منها : تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري والذي يحتوي على عشرين نسخة من تاريخ الرسل والملوك ومنها نسخة مخطوطة بخط يده، كما تحتوي الخزائن على كتاب الجمهرة لابن دريد فأخرجه من الخزانة مائة نسخة، وعندما انتقل الشافعي من بغداد إلى مصر فقد انتقل معه أعداد كبيرة من كتبه إلى مصر))^(١١٨).

٤- المجالس العلمية :

عند ظهور الإسلام شهدت المجالس العلمية تطوراً مهماً، فقد كان لطبيعة الأوضاع الدينية وحاجة المسلمين إلى التفهم لدين جديد وحفظ القرآن، وأصبحت العلوم الدينية والإنسانية أساس المجالس^(١١٩). وبهذا الشأن نذكر بعض الأحاديث النبوية الشريفة، قال الرسول (ﷺ) : ((إذا مررت برياض الجنة فارتعوا، قيل : يا رسول الله : ما رياض الجنة؟ قال : مجالس العلم))^(١٢٠). بلا ريب فإن الحدث النبوي الشريف يدعو المسلمين ويأمرهم أن يستغلوا مجالسة العلماء من أوسع الأبواب ليستفيدوا فائدة بأعلى الأثمان، ولا سيما ما كانت تلك المجالس عامرة بالجلساء الصالحين، وهم أرباب العلم والمعرفة، ولابد للمرء من اختيار جليسه الذي يفيد في أمر دينه ودنياه، وهذا ما أكده خير جليس وأنيس للمسلمين وللإنسانية جمعاء^(١٢١). سئل سيدنا الرسول العظيم

(عليه السلام) عن الجليس إذ : ((قيل : يا رسول الله اي جلسائنا خير، قال : مَنْ ذكركم الله رؤيته، وزاد في علمكم منطقة، وذكركم بالآخرة عمله))^(١٢٢).

وأدرك جُلّ الخلفاء العباسيين أهمية مجالس العلماء، وفائدة ذلك سواء على الصعيد الشخصي أو على صعيد الخلافة بوصفهم ولاية أمورها، واشتهروا بحبهم للعلم وشغفهم به واستوعبوا ضرورة الالتقاء بالعلماء، ومناقشتهم والاستماع إلى ما يحملونه في ثنايا عقولهم، وصدورهم من العلم الذي فضلهم الله به، وإن المجالس العلمية كفيلة بإبراز مواهب العلماء العلمية، ورعى الخلفاء العباسيون علمائهم في تلك المجالس بكل معاني الرعاية (المادية والمعنوية)، وحرصوا على تطبيق قول أحد الحكماء : ((خير الملوك من جالس أهل العلم))^(١٢٣).

وكان للخلفاء العباسيين ميل شديد إلى سماع الأخبار، فيعقدون المجالس يحضرها الأدباء من أهل الأخبار والنوادر والأدب والشعر، ويحدثون الخليفة بما يلذ له سماعه من أخبار العرب ونوادر أشعارهم، ويقيمون الخلفاء عن طريق هكذا مجالس أعمال القادة والملوك من الروم والفرس، وأخبار الدول وحوادث الشجاعة والرأي، يلتصقون بذلك التوسع في أسباب الدهاء وأفانين السياسة^(١٢٤).

ويعقدون مجالس الأدب على الغالب لترويح النفس من مشاغل الدولة وتلذذوا بالإطلاع على آداب العرب وأخبارهم، فاختص بكل خليفة جماعة ممن عاصروه من أصحاب الأخبار والشعر، يجالسونه في أوقات معينة^(١٢٥)، أو إذا دعاهم في ساعة قلقه أو أرقه، وقد يكون ذلك في أواسط الليل والناس نيام^(١٢٦)، فلا يزال الرجل ينتقل بحديثه ممن خبر إلى نكتة إلى نادرة إلى شعر، حتى يزول ما في نفس الخليفة وينشرح صدره، وعندما تفرغ جعبة المحدث مما يعلمه من الأخبار قبل أن ينشرح صدر الخليفة، فيضع قصة من عند نفسه بينها على نكتة أو حكمة مما يعلم ارتياح الخليفة له^(١٢٧).

وإذا دخل الشاعر على الخليفة بقصيدة أشدها بصوت عالٍ وهو قائم، وإذا تعدد المنشدون قدمهم على الأسنان، والخلفاء كانوا يتفهمون معاني الشعر حتى أنهم كثيراً ما كانوا يباحثون الشاعر في معنى البيت أو الكلمة، وإذا استبطأوا الشاعر أو

الرواية بعثوا في استقدامه من العراق أو الحجاز أو مصر، وقد لا يكون الغرض من ذلك الاستماع لببيت أو قصيدة، بل لينظم له شعراً في حادثة جرت معه^(١٢٨).

كان الخلفاء العباسيين لا يكتفون بمن يفد عليهم من الشعراء للاستجداء، فيرسلون في طلبهم إلى الأنحاء، وأصبح الخلفاء يحبون مجالسة الشعراء فيبعثون من يختار لهم أحسنهم^(١٢٩).

وفي مصر، أدى جميع الأمراء الذين ظهر استقلالهم في (العصر الطولوني) نفس الدور في تشجيع الحركة العلمية، ومن صيرورة بلاطهم المزدهر وحياتهم الاجتماعية المترفة وغناهم الموفور قبلة الراحلين والوافدين من من حاضرة الخلافة أو من حواضر الأمصار الأخرى، ومن أدلائهم بدلوهم في ميدان هذه المنافسة الثقافية المحببة التي كانت من أهم عوامل إذكاء هذا التيار الثقافي الدافق، ونجد أشارات كثيرة إلى تشجيع الطولونيين للعلوم الدينية فقد عنى أحمد بن طولون على وجه الخصوص بحفاظ القرآن الكريم، وكان هو أحد الحفاظ ((وكان يسأل عمن كان يحفظه جيداً))^(١٣٠).

وكان ابن طولون قد مد يده لمساعدة العلماء الفقهاء ومنهم فقهاء الشافعية، وكان يحضر مجالس فقهاء الحنفية بنفسه، ويذكر ((أن أحمد بن طولون يجيء إلى مجلس بكاء وهو يملي الحديث ومجلسه ملوء بالناس ويقدم الحاجب ويقول ألا يتغير من مكانة فما ينظر بكار إلا وابن طولون إلى جواره))^(١٣١).

أبرز المجالس العلمية في العراق :

١- مجلس ابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ/٨٤٦م) :

أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي، من أهل الكوفة كان عالماً في اللغة والأدب وله مجلس علمي في داره، ويحضره أعداد كبيرة من الناس ومن مدن مختلفة، وكان مجلسه مجلساً أدبياً^(١٣٢).

٢- مجلس أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م) :

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن إدريس بن عبد الله، ولد في بغداد، وتنتقل بين الحجاز ومصر واليمن ودمشق^(١٣٣)، وسمع من كبار المحدثين، ونا

قسطاً وافراً في العلم والمعرفة، ومجالسه العلمية غنية في داره وفي كل مدينة يحل فيها^(١٣٤).

٣- مجلس البويطي (ت ٢٣٢هـ / ٨٤٦م) :

أبو يعقوب يوسف بن بحبى القريشي البويطي، كان خليفة الشافعي، وله مجالس علمية في مصر في جامع عمرو بن العاص، وقال عنه الشافعي : ((ليس أحد أحق بمجلس من أبي يعقوب وليس من أصحابي أعلم منه)).

٤- مجلس الحسين بن سلام (ت ٢٥٨هـ / ٨٧١م) :

يكنى بالجمال الأكبر، كانت له حلقات علمية في مصر، ومجالسه العلمية كثيرة في المساجد وفي بعض دور العلماء والفقهاء في مصر وخاصة في منطقة الفسطاط، رحل كثيراً وخاصة إلى العراق والشام والحجاز، وكان يقيم مجالسه العلمية في كل منطقة ينزل عندهم، ومجالسه العلمية عامرة وحلقاته العلمية وخاصة الأدبية كانت جزءاً من حياته اليومية^(١٣٥).

وإن الخلفاء العباسيين أولوا عناية وتوجهاً وميلاً كبيراً صوب المجالس العلمية طوال عصور الخلافة العباسية، وكان يمنح الإجازة بالتحديث للعلماء الذين كانوا يروون بالإجازة عنه في مجالسهم العلمية في المساجد، فضلاً عن عقد المجالس العلمية المختصة بالفقه، وعن حضور مجالس الفقه العامة، أسهمت تلك المجالس سواء التي عقدت في قصور الخلفاء أم المجالس العامة في إحياء نهضة علمية شاملة في العراق، وأدت دوراً كبيراً في التطور الثقافي الفكري^(١٣٦).

ومجالس الوعظ أخذت حيزاً كبيراً في استماع الخلفاء إلى مواعظ العلماء، ونجد أن الخلفاء أنفسهم كانوا يصدرون تلك المجالس كوعاظ ومرشدين وناصحين. وتجلت فائدة المجالس الوعظية، إذ نجح خلالها العلماء في إعادة الحق لأهله وإظهار الخلفاء لمظهر المتعظين، المتقسين لذوي الحق، حتى ولو من أنفسهم، فكانت تلك المجالس كغيث وقع على أرض عطشى فأرواها وأخصبها وعم نفعها وخيرها الجميع^(١٣٧).

وأهم المجالس العلمية هو مجالس الشعر وهي مراسيم الاحتفال بتولية أحد الخلفاء، إذ كان الشعراء ضمن الفئات التي شهدت جلوس الخليفة على مقاليد الحكم،

وحرص الشعراء على استغلال تلك المناسبات التي حفلت بالعلماء وأرباب الدولة لإنشاد قصائد التهئة والمديح في مجالس الشعر^(١٣٨).

مجالس المناظرات :

امتاز العصر العباسي في اتساع حركة المجالس والمناظرات من حيث تنظيمها ورونقها والمناسبات التي كانت تعقد بها، وكان اهتمامهم ببلاغة تركيبها وحلاوة أساليبها وقوة الحجة فيها، وتعد أثراً أدبياً وقيمة سياسية.

وشجع الخلفاء العباسيون على المناظرة وخاصة العلمية والأدبية التي كان يحتدم فيها الجدل والنقاش، وأصبحت ظاهرة مهمة في حياة المسلمين، وهدفوا من خلالها عقد المناقشات بالمناظرات للتوصل إلى حلول ومعالجات والترويح عن النفس أو طمعاً في الحصول على عطايا الخلفاء والأمراء^(١٣٩).

وكان الخلفاء والأمراء يسهمون في هذه المناظرات وذلك رغبة للشهرة وحبهم للحصول على العلوم^(١٤٠).

وكانت تجري المناظرات بين كبار رجال الفقه، ويسودها الجدل والنقاش، وحرص الخلفاء على الحضور في مجالس المناظرات والمشاركة وبيان رأيهم في المسائل المتناظر عليها^(١٤١).

ونالت المناظرات أهمية كبيرة في العصر العباسي وشملت جميع العلوم والاختصاصات وخاصة الدينية والفقهية، وإكرام الخلفاء للعلماء^(١٤٢).

المناظرات في مصر :

كانت المناظرات المصرية في العصر العباسي تعقد بين الفقهاء والمتكلمين والفلاسفة، وإن أبرزها المناظرات بين الحنفية والمالكية والشافعية. ولهذه المناظرات أحكام لكل جماعة بما يتفق والعصبية المذهبية^(١٤٣)، وكانت لهذه المناظرات قيمتها الاجتماعية والعلمية، وكل واحد من هؤلاء يتسلح بما يقتضي مناظرته؛ فالقياسيون

يتسلحون بالحديث، والمحدثون يتسلحون بالرأي، ونتيجة لهذه المناظرات تقاربت الكثير من أوجه النظر المتباعدة^(١٤٤).

وأبرز هذه المناظرات في فترة وجود الشافعي في مصر وبغداد، فبعد مجيء الإمام الشافعي إلى مصر اشتعلت المناظرات وكثرت الحلقات، مثلاً : مناظرة إبراهيم بن إسماعيل البصري الأسدي المعتزلي المعروف بابن عليّة، مع الشافعي في الفقه في بغداد ومصر، وهو من القائلين بخلق القرآن، ومات بمصر يوم عرفة وكان من أعيان علماء مصر^(١٤٥).

وللشافعي مناظرة من أبرز المشتغلين في مصر بعلم الكلام وهو حفص الفرد عن القرآن مخلوق، واستدل حتى كفره الشافعي، وأيضاً مناظرة الشافعي مع سرج الغول، وكان الشافعي يحبه لأن سرج كان عالماً باللغة والشعر^(١٤٦).

وفضلاً عن مناظرة الشافعي مع محمد الحسن الحنفي، وكانت هناك مناظرات بين الشافعي وأهل العربية والنحو الشعر، ولم تقتصر على المناظرات الشفهية، بل تعدى إلى المناظرات بالمكاتبة كما حدث بين الليث ابن سعد ومالك بن أنس ورد عليه مالك^(١٤٧).

ومناظرة بين أحمد بن صالح الحافظ المعروف بأبي جعفر المصري، ويكنى بالطبري، كان فقيهاً ومحدثاً، له مناظرات مع الإمام أحمد بن حنبل في بغداد عندما قدمها^(١٤٨)، كما كانت هناك مناظرات بين أبي يعقوب يوسف بن يحيى البويطي الذي كان خليفة الشافعي في حلقاته بعده مع أصحاب المالكية، كما كانت هناك مناظرات بين محمد بن عبد الله بن محمد بن العباس وهو من فقهاء أصحاب الشافعي والذي تزوج من ابنة الشافعي، وله مناظرات مع المزي^(١٤٩).

٥- حوانيت الكتب ودكاكين الوراقين :

ظهرت دكاكين الوراقين في مطلع الدولة العباسية، إذ لم تكن مقتصرة على بيع الكتب، وإنما أسهمت في حركة التعليم وذلك لوجود أفضل العلماء من طائفة الوراقين، إذ كانت تدور في حوانيت الوراقين من محاورات ومناظرات ثقافية وملتقى العلماء يناقشون في مجالس علمية يحضرها طلاب العلم والمعرفة^(١٥٠). وكان لاحتلاف

الكثيرين حرفة الوراقة عامل كبير على نشر المؤلفات العلمية ووفرتها ورواجها بين الناس، وساعد على ذلك تصدير هذه المؤلفات إلى خارج بغداد^(١٥١)، وإن الكثير من العلماء يأخذون الوراقين لنسخ مؤلفاته، وكان لكثير من أهل العلم يؤجر حوانب الورق للاطلاع على ما فيها من كتب اشتهر بذلك عمرو بن بحر (الجاحظ)^(١٥٢).

ويذكر ابن خلدون : ((اتساع نطاق الدولة ونفاق أسواق ذلك لديهما فكثرت التأليف العلمية والدواوين وحرص الناس على تنقلها في الآفاق والأمصار فانتسخت وجلدت، وجاءت صناعة الوراقين المعنيين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين واختصت بالأمصار العظيمة العمران))^(١٥٣).

وكان لتشجيع الخلفاء أثر بالغ في الاهتمام بالنسخ والوراقة، وكانت أجور النساخين تختلف حسب الزمان والمكان، وكان أجور النسخ في بداية العصر العباسي بحجم وزن الكتاب، وهذا عامل ساعد على ازدهار حركة التعليم^(١٥٤).

والعاصمة بغداد كانت تحتوي على مئة حانوت لبيع الكتب، وكان خلفاء العباسيين وأثرياء الناس وعلماء الأمة يبذلون جهودهم في جمع الكتب النادرة مما جعلها تحت أيدي أهل العلم الانتفاع بها ودفع بغداد إلى الصدارة في نشر العلم والفكر إلى جميع الأمصار الإسلامية^(١٥٥)، ومنها مصر إذا كان لكل مدنة وفي كل محلة سوق عظيمة للوراقين تعرض فيها الكتب للبيع أحياناً، وتدور في هذه الدكاكين المناظرات العلمية والأدبية والدينية، ولم يكن بائعوا الكتب مجرد تجار ينشدون الربح^(١٥٦)، والأدباء كانوا ذوي ثقافة عالية، ولا يستمدون من هذه المهنة الربح، وإنما كانوا يستمدون العلوم العقلية من وراء بعض الوراقين يستنسخون الكتب المهمة ويعرضونها للراغبين ويتقاضون أجراً بسيطاً ومتواضعاً^(١٥٧).

ومما ساعد على ازدهار الحركة العلمية وانتشار التأليف والنقل على مقياس لم يعهد من قبل اختراع الورق وانتشار استعماله في القسم الشرقي من الامبراطورية الإسلامية، وخاصة بداية الخلافة العباسية، وثم اتساع نطاق هذا الاستعمال غرباً حتى وصل إلى أوروبا، والواقع أن الورق واستعماله واتساع استعماله من توابع العمران^(١٥٨)،

ويذكر ابن خلدون أيضاً : ((كانت العناية قديماً بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط، وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة، وذهب ذلك لهذا العهد بذهاب الدولة وتناقص العمران بعد أن كان من في الملة الإسلامية بحر زاخر في العراق والأندلس، إذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدولة، ونفاق أسواق ذلك لديهما فكثرت التآليف العلمية والدواوين وحرص الناس على تنقلها في الآفاق والأمصار فانتسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساح والتصليح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين))^(١٥٩).

وهذا ينسب فضل إدخال الورق أو الكاغد في الدواوين ووضعه في الاستعمال، ويذكر المقريزي : ((وكانت كتابة الدواوين في صدر الإسلام أن يجعل ما يكتب فيه صحفاً مدرجة فلما انقضت أيام بني أمية، وقام عبد الله بن محمد أبو العباس السفاح ... فجعل الدواوين من الجلود وكتب فيها، وفي عهد الرشيد اتخذ الكاغد وتداوله الناس بعده إلى اليوم))^(١٦٠).

أما القلقشندي فيذكر : ((أن الورق كثر منذ زمن الرشيد في بغداد وفشا عمله بين الناس، فأمر ألا يكتب الناس إلا في الكاغد لأن الجلود ونحوها تقبل المحو وإعادة فتقبل التوزير بخلاف الورق فإنه متى محي فسد، وإن كشط ظهر كسطه. وانتشرت الكتابة في الورق إلى سائر الأقطار وتعاطاها من قرب ومن بعد واستمر الناس على ذلك إلى الآن))^(١٦١).

ويضيف ابن خلدون : ((إن الورق ظهر فشا استعماله زمن الرشيد وأشار بصناعة الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه واتخذها الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية وبلغت الإجابة في صناعته ما شاءت))^(١٦٢).

والواقع أن صناعة الورق كانت معروفة منذ القديم في بلاد الصين والشرق الأقصى، وكانت تصنع عجينة من الحرير والكتاب وغيرهما من المواد، ولما فتح المسلمون سمرقند وجدوا فيها الكاغد، ورغم أنهم لم ينتبهوا أول الأمر لأهميته واعتبروه شيئاً غير ذي غناء، إلا إنهم بعد فترة تعلموا صناعته ونشروها في القسم الشرقي من

الامبراطورية وانشرت صناعته بعد ذلك، وتأسس أول مصنع لصنع الورق في بغداد قبل نهاية القرن الثامن الميلادي، وتمركز إنتاج الكاغد في بغداد في محلة اسمها دار القز، وهي محلة كبيرة في بغداد في طرف الصحراء ويعمل فيها الكاغد، أما أول مصنع لصنع الورق في مصر من عجينة الكتان في بداية القرن التاسع الميلادي^(١٦٣).

استدعى اختراع الورق وانتشار استعماله إلى ظهور طائفة من الناس يشتغلون بالورق والكتابة والكتب، وهؤلاء هم الوراقون الذين أدوا دوراً مهماً جداً في تاريخ الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية، ذلك أن الوراقين آنذاك كانوا هم الناشرين للكتب يقومون بنسخها وتجليدها وتصحيحها وبيعها وعرضها في الواجهات والاتجار بها^(١٦٤)، واشتغل بالورقة علماء أجلاء وأصبحت الورقة مهنة راقية وانتشرت دكاكين الوراقين في طول البلاد وعرضها، وأصبح للمؤلفين الشهيرين وراقون يختصون بهم، وأصبحت دكاكينهم أماكن ثقافية يرتادها الأدباء، وتعد في المناظرات، وتدر في المناقشات، بحيث يمكن تشبيهها ببسر بالمجالس الأدبية التي انتشرت في أوربا وخاصة فرنسا ابان القرن الثامن عشر^(١٦٥)، ولقب الوراق قد أطلق على عدد من الشخصيات العلمية والأدبية المهمة. والحقيقة أن ذكر الوراقين منذ بدايات العصر العباسي الأول أي منذ استعمال الورق في الدواوين والرسائل والكتب لأول مرة، ووجدت دكاكين الوراقين في الدولة العباسية منذ أوائل أيامها^(١٦٦)، ومع كثرة الورق وانتشار استعماله فتحت دكاكين الوراقين في جميع مدن البلاد الإسلامية، وأصبح هناك أسواق خاصة تعرف بالوراقين^(١٦٧).

وذكر اليعقوبي : ((إن عدد حوانيت الوراقين في ربح وضاح مولى أمير المؤمنين من ضواحي بغداد بلغ أكثر من مائة دكان))^(١٦٨)، وذلك في أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي. أما ذكر أسواق الكتب والوراقين في مصر في عهد الطولونيين والاختشيديين سوق عظيمة للوراقين تعرض فيها الكتب للبيع وأحياناً تدور في دكاكينها المناظرات، ويذكر المقرئزي : ((سوق الوراقين الموجودة في القاهرة في أكثر من موضع وفي أكثر من مناسبة))^(١٦٩).

وكذلك يذكر سوق الوراقين القديمة التي كانت سوقاً للوراقين ثم أصبحت مكاناً لصبغ الجلود^(١٧٠).

أما الوراقة فقد كانت مهنة محترمة اشتغل بها علماء أجلة ومؤلفون مرموقون منهم ابن النديم صاحب كتاب الفهرست الذي ألفه سنة (٣٧٧هـ)^(١٧١)، ويذكر ياقوت : ((كنيته أبو الفرج ... مصنف كتاب الفهرست الذي جود فيه واستوعب استيعاباً يدل على اطلاعه على فنون من العلم وتحقيقه لجميع الكتب لا أبعد أن يكون قد كان وراقاً يبيع الكتب))^(١٧٢).

وكانت واجبات الوراق كثيرة إذ كان ينتخب الورق وينسخ الكتاب أو ينسخ تحت إشرافه ويصحح هذا النسخ حتى لا يقع فيه تحريف، ويجلده ويبيعه، وقد اشتهرت الوراقة في عصر ابن النديم شهرة فائقة، والكتب التي نقلت في عصره يدل جودة خطها وتصحيحها والعناية بها على مبلغ رقي هذه الصناعة، وياقوت الحموي كان وراقاً يبيع الكتب وينسخها ويتاجر فيها^(١٧٣).

الخاتمة :

أدت الصلات العلمية بين العراق ومصر في الفترة الواقعة بين (٢٤٧ - ٣٣٤هـ / ٨٦١ - ٩٤٥م) وهي تشكل العصر العباسي الثاني واضحة المعالم وكان علماء البلدين ينتقلون بحرية تامة وساهموا في النشاط العلمي وأصبح لهم مساحة واسعة في المؤسسات العلمية والثقافية كالمساجد والكتاتيب ودور العلم والمكتبات ومجالس النظر والجدل حتى إن حوانيت الوراقين كانت تضم أعلاماً في مختلف التخصصات العلمية وهذا مما أدى إلى نشر العلوم والفنون والأدب وقد كشف البحث عن نتيجة مهمة هي اتساع آفاق المعرفة بين بلدان العالم الإسلامي وتوسع المؤسسات التي انتشرت في بقاع الأرض بحيث أن القارئ وطالب العلم لم يجد أية صعوبة للحصول على موارد المعرفة وقد كانت بغداد عاصمة الخلافة اجتذبت عدد كبير من العلماء والباحثين وترجمة كتب إلى العربية من لغات أخرى وكانت (علوم التفسير

والحديث والقراءات والفقهاء في مقدمة العلوم المعرفية وقد أدت حركة التنقل بين بغداد والمدن الأخرى وصولاً إلى مصر أصبحت كبيرة وألفت كتب في هذه المجالات لأهميتها في الحياة الدينية في المجتمع وكان بعض العلماء قد تخصصوا في الأدب والشعر والنحو وهذا لم يمنعهم من دراسة العلوم الدينية وذلك نتيجة لوجود صلات بين هذه العلوم وقد كانت الترجمة نتيجة معرفية أخرى سهلت على طلبة العلم في بغداد والقاهرة وغيرها من أنتهال العلوم والأدب والفنون.

الهوامش :

(١) ابن الفقيه، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني، (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م)، البلدان، تحقيق : يوسف الهادي، ط٢، (بيروت، دار عالم الكتب، ٢٠٠٩م)، ص ١٩٩.

(٢) ابن الفقيه، البلدان، ص ٢٠٠.

(٣) ابن حوقل، أبي القاسم ابن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض، (قم المقدسة، المكتبة الحيدرية، ١٤٢٨هـ)، ص ٣٣١.

(٤) صورة الأرض، ص ٣٣١.

(٥) صورة الأرض، ص ٣٣٤.

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٤٦.

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٤٧.

(٨) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م)، ج ٣، ص ٣٠٥.

(٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٦، ص ٣٠٦.

(١٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٦، ص ٣٠٦.

- (١١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٦، ص٣٠٦.
- (١٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٦، ص٣٠٦.
- (١٣) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن عبد الله (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، (القاهرة، المطبعة الاميرية، ١٩١٤م)، ج٣، ص٣١٨.
- (١٤) المقرئزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، حواشيه وصفها : خليل المنصور، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨)، ج١، ص٤٣.
- (١٥) المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق على حواشيه : محمد أمين الضاوي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م)، ص١٧٠.
- (١٦) ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م)، المسالك والممالك، (البدن، مطبعة بريل، ١٨٨٩م)، ص٨٠.
- (١٧) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص٨١.
- (١٨) صبح الأعشى في صناعة الأعشى، ج٣، ص٣١٨.
- (١٩) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ١٩٥٦)، ج٥، ص١٧٦.
- (٢٠) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص١٧٦.
- (٢١) الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، الصحاح في اللغة والعلوم، (بيروت، دار الحضارة، د.ت)، ج٢، ص٤٩٩.
- (٢٢) الفسطاظ، مصرها عمرو بن العاص سنة عشرين للهجرة، ينظر : اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر ابن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م)، البلدان، وضع حواشيه : محمد أمين ضاوي، (بيروت، دار الكتب، ٢٠٠٢م)، ص١٦٨.

(٢٣) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعيد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م)، ج ٣، ص ٢٨٤.

(٢٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٧٠.

(٢٥) عمرو بن العاص : ابن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم، وأمه النابغة بنت خزيمة من عنزة، ينظر : الكندي، أبي عمر محمد يوسف (ت ٣٥٣هـ/٩٦٤م)، الولاة والقضاة، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد الزبيدي، ط ١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص ٢٩.

(٢٦) شبيب، بشار عبد الجبار، مصر دراسة في الجغرافية التاريخية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الاخشدي، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد/ قسم التاريخ، ٢٠١٢م، ص ١٧.

(٢٧) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، المقدمة، تحقيق : حجر عاصي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م)، ص ٣١٧.

(٢٨) فتحي، محمد فريد، في جغرافية مصر، (القاهرة، دار المعرفة الجامعة، ٢٠٠٠م)، ص ١.

(٢٩) بحر الروم : وينسب إليه البحر الرومي، وهو الشامي، وهو المتوسط، ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٦٣؛ المقرئ، المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٣٤.

(٣٠) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد (مصر، مطبعة السعادة، ١٩٦٤م)، ج ١، ص ٣٣٩.

(٣١) ابن خردادبه، المسالك والممالك، ص ١١٨.

(٣٢) المسعودي، التنبيه والأشراف، صححه : عبد الله إسماعيل الصاوي، (القاهرة، مطبعة دار الصاوي، ١٩٣٨م)، ص ٣٠.

(٣٣) سورة فاطر، الآية ٢٨.

- (٣٤) سورة آل عمران، الآية ٧.
- (٣٥) سورة طه، الآية ١١٤.
- (٣٦) أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م)، سنن أبي داود، دراسة وفهرسة، كمال يوسف الحوت، (بيروت : دار الجنان، ١٩٨٨م)، ج ٢، ص ٣٤١؛ النووي ، محيي الدين أبي زكريا بن شرف الشافعي (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تحقيق ، عبدالله أحمد أبو زينة، (بيروت : دار القلم، ١٩٧٠م)، ص ٣٩٦.
- (٣٧) ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م) ، سنن ابن ماجه، تحقيق وتعليق، محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية، د.ت)، ج ١، ص ٨٢.
- (٣٨) الألبشيهي ، شهاب الدين محمد أحمد أبي الفتح (ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م) ، المستطرف في كل فن مستظرف، (بيروت : دار الأضواء، ١٩٩٥م)، ج ١، ص ٤٩.
- (٣٩) الطريجي ، محمد سعيد، خزائن الكتب الاسلامية القديمة في الكوفة، مجلة المورد، تصدرها وزارة الثقافة والإعلام، العدد الرابع، (بغداد : دار الحرية للطباعة، ١٩٨١م)، ص ٣٠١.
- (٤٠) العلي ، صالح أحمد ، الحركة الفكرية واتجاهاتها في صدر الإسلام، مجلة أوراق، تصدر عن المعهد الإسباني العربي للثقافة، العدد الثاني، ١٩٧٩م، ص ٥.
- (٤١) مثال ، التقاء الخليفة الرشيد بالفضيل بن عياض وغيره من المشايخ في الحجاز، ذلك لما قدم الرشيد إلى مكة قعد في الحجر هو وولده وقوم معه من العاشميين وبعثوا إلى المشايخ فأحضروهم وبعثوا إلى الفضيل بن عياض فقال الرشيد حدثنا شيء عظنا. ينظر ، ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (٥٧١هـ/١١٧٥م) ، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق ، محيي الدين أبي سعيد عمر بن غرامة، (بيروت : دار الفكر، ١٩٩٧م)، ج ٤٨، ص ٤٣٦.

(٤٢) العلي ، الحركة الفكرية، ص ٣٠١.

(٤٣) المهدي ، هو محمد بن علي بن عبدالله المنصور، ولد في (١٢٦هـ/٧٤٣م) في الحميمة من أرض البلقاء وطارد الزنادقة والملحدين واستأصل معظمهم وفي سنة (١٦٩هـ/٨٧٥م) في إحدى رحلات الصيد انطلق خلف الصيد فاقتحم الصيد خربة وتبعه فرسه فدق ظهر المهدي في بابها فمات لوقته وعمره ٤٣ سنة. ينظر : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أحمد عيسى، ط ١، (القاهرة، دار الغد الجديد، ٢٠٠٧م)، ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٤٤) ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) / معجم الأدباء، تحقيق أحمد فريد الرفاعي، ط ١ (القاهرة : دار المأمون، ١٩٣٦م)، ج ٣، ص ٤٦.

(٤٥) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق مصطفى عبد القادر عطار، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م)، ج ٥، ص ص ٢٨-٢٩.

(٤٦) مروان بن ابي حفصة ، المعروف بأبي الهيثام، شاعر مجود من أهل اليمامة قدم بغداد ومدح المهدي والرشيد، ومقيل أنه قال الشعر وهو غلام لم يبلغ سنة العشرين، مولده سنة (١٠٥هـ)، وتوفي سنة (١٨١هـ) وقيل (١٨٢م). الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت : دار الكتاب العربي، ٢٠١١م)، ج ١٣، ص ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٤٧) ابن عبد ربه ، شهاب الدين أحمد (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م) ، العقد الفريد، تقديم ، شرف الدين، (بيروت : مكتبة الهلال، ١٩٨٦م)، ج ٥، ص ١٩١.

(٤٨) البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت : دار مكتبة الهلال، ١٩٨٣م)، ص ٤٤٩.

(٤٩) محمد ، غازي رجب، العمارة العربية في العصر الاسلامي في العراق، (بغداد : مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٩م)، ص ١٤١.

(٥٠) استدعى الخليفة المتوكل إسحاق بن بهلول التتوخي الذي حدثه وسمع منه وقرأ له عليه حديث كثير ثم أمر فنصب له منبر وكان يحدث في المسجد الجامع بسر من رأى. ينظر ، الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ١٣٤٧هـ/٧٤٨م) ، تذكرة الحفاظ، تصحيح ، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ط ٣، (بيروت : دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٤م)، ج ٢، ص ٥١٨.

(٥١) محمد ، العمارة العربية، ص ١٢٠.

(٥٢) منتر ، آدم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة ، محمد عبدالهادي أبو ريده، ط ٤، (بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م)، ج ١، ص ٤٣١.

(٥٣) المهتدي بالله ، هو أبو عبد الله محمد بن هارون الواثق بن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد، ولد في سامراء سنة (٢٢٢هـ/٨٣٧م) ببيع له بالخلافة بعد خلع المعتز سنة (٢٥٥هـ/٨٦٨م) ولم يلبث أ، انتفض عليه الترك ببغداد فخرج لقتالهم، وقتلهم وأصيب بطعنة مات على أثرها. ينظر : السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٦١.

(٥٤) منتر ، آدم، الحضارة الاسلامية، ج ١، ص ٤٣١.

(٥٥) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق ، محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٤، (القاهرة : مطبعة السعادة، ١٩٦٥م)، ج ٤، ص ١٦١.

(٥٦) الطائع لله ، هو أبو بكر عبد الكريم بن المطيع لله، مولده سنة (٣١٧هـ)، من أم ولد اسمها عتب، أدركت خلافته، ولم يل من اسمه عبدالكريم سواه، ببيع بالخلافة (٣٦٣هـ) كان اشقر حسن الوجه، وعلا سلطان عضد الدولة البويه في عهده، خلع الطائع لله سنة (٣٨١هـ) من قبل الأمر بها الدولة البويه، الذي بلغ غلنامه

بالقبض عليه. ينظر : ابن عربي ، محيي الدين بن علي (ت ٦٣٨هـ/١٢٤٠م) /
محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار، ضبط النص
وصححه ، محمد عبدالكريم النمري، (بيروت : دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م)،
ج ١، ص ٦٥.

(٥٧) أبو أحمد الموسوي ، الحسين بن موسى بن ابراهيم الموسوي، جمع فيه شرف
الأعراف والأخلاق، تقلد منصب نقابة الطالبين التي تقلدها خمس دفعات، وتولى
إمرة الحج والنظر في المظالم في حقب متعددة بين تولي وعزل. ينظر :
ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٧، ص ٢٤٧.

(٥٨) القطيعة ، هي ما أقطعه الخلفاء لقوم فعمروهم، والجمع قطائع، وقطيعة أم جعفر ،
هي محلة ببغداد سمب بذلك نسبة إلى زبيدة بنت جعفر بن المنصور أم محمد
الأمين، وكانت تلك المحلة ببغداد عند باب التين، وهو الموضع الذي فيه مشهد
الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) وكان يسكنها حاشية أم الخليفة. ينظر: ياقوت
الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم البلدان، (بيروت :
دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج ٤، ص ص ٣٧١-٣٧٦.

(٥٩) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٨، ص ٤٣٦.

(٦٠) مصطفى، محمود ، الأدب العربي في مصر، قدم له ، شوقي ضيف، (القاهرة :
دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م)، ج ١، ص ١٣٥.

(٦١) المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٥٤٥هـ/١١٥٠م) ،
الخطط المقرئية، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، ط ١ (القاهرة : مكتبة
مبولوجي، ١٩٩٨م)، ص ٢٣.

(٦٢) المقرئ، الخطط المقرئية، ج ٤، ص ٨.

(٦٣) المقرئ، الخطط المقرئية، ج ٤، ص ٩.

(٦٤) جامع عمرو بن العاص ، بني في محلة الراية التي هي من المحال العظيمة في
فسطاط مصر، والتي في وسطها جامع عمرو بن العاص، وإن موضع المسجد

كان خاناً، وهو أقدم المساجد في مصر، وأول جامع بأفريقيا، وأول جامع قامت فيه صلاة الجمعة، وينفق عليه في كل يوم ثلاثين ديناراً مصرياً في مصالحه وموظفيه، وبعد أن اختطوا المسجد استخدموا الحبال لتحديد القبلة بالشكل الصحيح، وجدرانه من اللبن وخالة من النقوش والزخارف وأرضه مفروشة بالحصى وهو بلا منارة أو محراب، وعندما بنى عمرو بن العاص الجامع اتخذ فيه منبراً وهو أول من اتخذ المنبر، وأضيفت إليه الكثير من الزيادات في البناء على مر العصور الإسلامية. ينظر : المقدسي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٣٧٥هـ/٩٨٤م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه ووضع حواشيه، محمد أمين الطنطاوي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م)، ص ١٦٦؛ زغلول، عبد الحميد سعد، العمارة والفنون في صدر الاسلام، (الاسكندرية : منشأة المعارف، د.ت)، ص ٢٨٢.

(٦٥) الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف ، مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية، (القاهرة : دائرة الثقافة العربية، ٢٠٠١م)، ص ١٦٨ - ١٦٩؛ أمين، حسين ، تبادل التأثيرات الحضارية بين مصر والعراق في العصور الإسلامية، مجلة المؤرخ العربية، (بغداد : ١٩٨٠م)، عدد ١٣، ص ٢٤.

(٦٦) أمين ، حسين، الحياة الفكرية والأبجدية بمصر من الفتح العربي حتى أواخر الدولة الفاطمية، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩م)، ص ٨٠؛ علي، خطاب عطيه ، التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول، (القاهرة : مطبعة الاعتماد، ١٩٤٧م)، ص ١٠٦.

(٦٧) متر، آدم ، الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ٣٠٣.

(٦٨) زادة، طاش كبري أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨هـ/١٥٦٠م) ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مراجعة وتحقيق ، كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، (القاهرة : دار الكتب الحديثة، د.ت)، ج ١، ص ٣٣.

(٦٩) ناصر خسرو ، أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القادياني المروزي (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م)، سفرنامه، تحقيق، د. يحيى الخشاب، (بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٨٣م)، ص ١١٧.

(٧٠) حسين، أدب مصر الإسلامية، ص ٢٥٥.

(٧١) عبد الله بن طاهر ، هو أبو العباس عبد الله بن الحسن بن مصعب بن زريق الخزاعي، أصله قمن بأذعيد بخراسان وهو من أشهر الولاة في العصر العباسي، تولى إمرة الشام مدة ونقل الى مصر سنة (٢١١هـ/٨٢٦م)، ثم ولاه الخليفة المأمون العباسي خراسان وأقام بها حتى توفي فيها سنة (٢٣٠هـ/٨٤٤م)، وكان أحد الأجواد الممدوحين والسماحاء المذكورين. ينظر : الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٦، ص ٤٩٠-٤٩٥؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، (ت ٦٨١هـ/١٢٨٣م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، (بيروت، دار الفكر، ١٩٧٧م)، ج ١، ص ٢٦٠.

(٧٢) المقرئزي ، الخطط المقرئزية، ج ٤، ص ٣٦؛ ناصر خسرو ، سفرنامه، ص ١١٦.

(٧٣) بُني مسجد أحمد بن طولون سنة (٢٦٤هـ/٨٧٨م) وفرغ منه سنة (٢٦٦هـ/٨٨٠م)، وقال ابن طولون : أريد أن أبني بناء إذا احرقت مصر بقي فلذلك بناه من الجص والرمل والآجر. ينظر : الملواني، يوسف المعروف بابن الوكيل (ت ١١٣١هـ/١٦٢١م) ، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق ، محمد الشناوي، (القاهرة : دار الآفاق العربية، ١٩٩٩م)، ص ٥٣.

(٧٤) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ/١٢١١م) ، رحلة ابن جبير، (بيروت : دار صادر، د.ت)، ص ٢٦.

(٧٥) ياقوت، الحموري، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٦٤؛ المقرئزي ، الخطط، ج ١، ص ٢٣٥.

(٧٦) م. ن، ج ٤، ص ٢٦٥؛ م، ن، ج ١، ص ٢٣٥.

- (٧٧) ناصر خسرو ، سفرنامه، ص١١٦.
- (٧٨) الرازي ، محمد بن أبي بكر عبد القادر (ت ٦٦٦هـ/١٢٦٧م) ، مختار الصحاح، عني بترتيبه محمود خاطريك، (بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٦٧)، ص٥٦٢.
- (٧٩) الزبيدي ، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) ، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق حسين نصار وعبد الحليم الجماوي وآخرون، (بيروت : مكتبة الحياة، د.ت)، ج١، ص٣٠٤١.
- (٨٠) الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٥م) ، القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرنوسي، ط٥، (بيروت : دار الفكر، ١٩٨٣م)، ك١، ص١٢١.
- (٨١) فياض، عبد الله ، تاريخ التربية عند الأمامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي، (بغداد : أسد بغداد، ١٩٧٢م)، ص٦١.
- (٨٢) عبد الغني، عارف ، نظم التعليم عند المسلمين، (دمشق : دار كنان للطباعة والنشر، ١٩٩٣م)، ص٤٧.
- (٨٣) الصاع ، الذي يكال به وتدور عليه أحكام المسلمين، وقرّي بهن، وهو أربعة أمداد، كل مد رطل وثلاث، والرطل ، معياره أربع حفنات بكفي رجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما. ينظر الفيروزآبادي ، القاموس المحيط، م٣، ص٥٣.
- (٨٤) الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى، (ت ٢٩٧هـ/٩٠٩م)، الجامع الصحيح أو سنن الترمذي، تحق أحمد محمد شاكر، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٧٨)، ج٤، ص٣٣٧.
- (٨٥) م. ن، ج٤، ص٣٣٧.
- (٨٦) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، المقدمة، تحقيق حجر عاصي، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م)، ص٥٣٩.

- (٨٧) ابن الكازروني ، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م) ، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق، مصطفى جواد، (بغداد : مطبعة الحكومة، ١٩٧٠م)، ص ٢٥٩-٢٦٠.
- (٨٨) ابن خلدون ، المقدمة، ص ص ٥٣٧-٥٣٨.
- (٨٩) عبد الغني ، نظم التعليم، ص ٤٧.
- (٩٠) ابن ماجه ، السنن، ج ١، ص ٢٤٧.
- (٩١) ابن خلدون ، المقدمة، ص ٢٤٤.
- (٩٢) ابن جبير ، رحلة ابن جبير، ص ١٩١.
- (٩٣) ابن خلدون ، المقدمة، ص ٥٣٩.
- (٩٤) ابن الدبيثي ، أبو عبد الله محمد بن سعيد (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) ، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد، تحقيق وتعليق ، بشار عواد معروف، (بغداد : مطبعة دار السلام، ١٩٧٤م)، ج ١، ص ١٢٢.
- (٩٥) ابن خلدون ، المقدمة، ص ٥٣٩.
- (٩٦) معروف ، أصالة الحضارة، ص ٣٥٢.
- (٩٧) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء، ج ٨، ص ١١٢؛ الجميلي، رشيد ، دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، (الرباط : مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٨٤م)، ص ٧٧.
- (٩٨) ابن دقماق ، ابراهيم بن أيدير العلاني (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م) ، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلطين، تحقيق ، سعيد عبد الفتاح عاشور (الرياض : مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٩٨٢م)، ص ١١٧.
- (٩٩) ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ، البداية والنهاية، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، (بيروت : دار الفكر، ١٩٧٨م)، ج ١١، ص ١٢٢.
- (١٠٠) ابن الدبيثي ، ذيل تاريخ بغداد، م ١، ص ١٢٢.

- (١٠١) معروف، بشار عواد، تربية الأطفال وتعليمهم، موسوعة حضارة العراق، (بغداد : دار الحرية، ١٩٨٥م)، ج٨، ص٢٠.
- (١٠٢) ابن قتبية ، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) ، المعارف، تحقيق ، محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، ط٢، (بيروت : دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٠م)، ص ٢٣٩-٢٤٠.
- (١٠٣) اليوزيكي، توفيق سلطان ، دراسات في الحضارة العربية الإسلامية، (الموصل : دار الكتب للطباعة، ١٩٩٥م)، ص٣٤٧.
- (١٠٤) عواد، كوركيس ، خزائن الكتب القديمة في العراق، (بغداد : مطبعة المعارف، ١٩٤٨م)، ص١٠١.
- (١٠٥) اليوزيكي ، دراسات، ص٣٤٧.
- (١٠٦) عواد ، خزائن الكتب القديمة في العراق، ص١٠١.
- (١٠٧) ابن الكازروني ، مختصر التاريخ، ص١٨٤.
- (١٠٨) اليوزيكي ، دراسات في الحضارة العربية، ص٣٤٧.
- (١٠٩) الزجّاج ، هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجّاج، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، له مصنفات حسان في الأدب، وسُمّي بالزجّاج لأنه كان يخرط الزجاج، توفي سنة (٣١١هـ/٩٢٣م). ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد، ج٦، ص٨٩؛ ابن كثير ، البداية والنهاية، ج١١، ص١٤٨.
- (١١٠) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء، ج١، ص١٥٠.
- (١١١) منصور، عوني عبد القادر ، المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة الجذور (العدد ٢٦، ١٩٩٢)، ص٩٤.
- (١١٢) عواد، ميخائيل ، صورة مشرقة من حضارة العراق في العصر العباسي، (بغداد : دار الرشيد، ١٩٨١م)، ص١١٢.
- (١١٣) عبد الباقي، أحمد ، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١م)، ص٣٠٠.

- (١١٤) بابو، إسحاق رفائيل ، أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية، (بغداد : مطبعة شفيق، ١٩٦٠م)، ص ٩٦.
- (١١٥) علي بن يحيى المنجم ، هو نديم الخليفة المتوكل، خص به وبمن بعده من الخلفاء إلى أيام الخليفة المعتمد، كان راوية الأشعار والأخبار، شاعراً حسناً، توفي بسامراء سنة (٢٧٥هـ/٨٨٨م)، وكان أبو يحيى فارسي الأصل وأسلم على يد الخليفة المأمون. ينظر : ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٠٦.
- (١١٦) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء، ج ١٥، ص ١٥٧.
- (١١٧) عواد، كوركيس ، خزائن الكتب، ص ١١٠.
- (١١٨) الخطط المقرئ، ص ١١٠.
- (١١٩) علي، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت : دار صادر، ١٩٩٥)، ص ٣٥١.
- (١٢٠) المنذري ، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ، الترغيب والترهيب من الحديث النبوي الشريف، تحقيق ، إبراهيم شمس الدين، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م)، ج ١، ص ٦٣.
- (١٢١) الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م) ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط ٤، (بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م)، ج ٨، ص ٤٧.
- (١٢٢) المنذري ، الترغيب والترهيب، ج ١، ص ٦٣.
- (١٢٣) الغساني ، الملك الأفضل (ت ٧٧٨هـ/١٤٧٣م) ، نزهة الطرفاء وتحفة الخلفاء، تحقيق ، نبيلة عبد المنعم، (بغداد : مركز إحياء التراث العلمي، ١٩٨٤م)، ص ٣٩.
- (١٢٤) ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري، (٦٣١هـ/١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، ط ٢ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ج ٦، ص ١١.
- (١٢٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٢٨٠.
- (١٢٦) المسعودي ، مروج الذهب، ج ٢، ص ١٦٣.

- (١٢٧) الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسن بن محمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م) ، الأغاني، شرحه وكتب هوامشه ، علي مهنا سمير جابر، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بلا مكان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ج ٤، ص ١٣٩.
- (١٢٨) الأصفهاني، الأغاني، ج ٢، ص ٦٥.
- (١٢٩) م . ن. ، ج ٦، ص ٨٣.
- (١٣٠) ابن سعيد ، أبو الحسن علي بن موسى (ت ٢٨٦هـ / ٦٨٥م)، المغرب في حلي المغرب، تحقيق، شوقي ضيف، (القاهرة ، دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٦٤م)، ص ٩٦.
- (١٣١) ابن تغري بردي ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم به وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ، ج ٣، ص ١٩.
- (١٣٢) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبو بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق ، محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة : مطبعة السعادة، ٢٠٠٤م)، ج ١، ص ١٠٥.
- (١٣٣) ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٨٨.
- (١٣٤) ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م) ، الجامع في العلل ومعرفة الرجال، ضبطه ووضع حواشيه ، أبو علي النظيف، (بيروت : دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م)، ص ٥.
- (١٣٥) ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، اللباب في تهذيب الأنساب، ضبطه وحقق أصوله ، عبد الطيف حسن عبد الرحمن، ط ٢١، (بيروت : دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ج ١، ص ١٣٠.

(١٣٦) ابن الجزري ، شمس الدين أبو الخير (ت ٨٣٣هـ/١٤٣٠م) ، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره ، بوجستراسر ، (القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٩٣٢م)، ج١، ص٣٥١.

(١٣٧) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، سير أعلام النبلاء، تحقيق ، شعيب الأرنؤوط، (بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م)، ج١٩، ص١٧٢.

(١٣٨) الزجّاج ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م) ، مجلس العلماء، تحقيق ، عبدالسلام محمد هارون، ط٢، (الكويت : مطبعة الحكومة، ١٩٨٤م)، ص١١.

(١٣٩) السيوطي ، تاريخ الخلفاء، ص٢٢٧.

(١٤٠) الزجّاج ، مجلس العلماء، ص١١.

(١٤١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٣٢.

(١٤٢) الزجّاج ، مجلس العلماء، ص١٢.

(١٤٣) الشيال ، جمال الدين ، تاريخ مصر الإسلامية، ط٢ (القاهرة : دار المعارف، د.ت)، ج١، ص٨٤.

(١٤٤) الشيال ، تاريخ مصر الإسلامية، ج١، ص٨٥.

(١٤٥) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٢٢٨.

(١٤٦) السيوطي ، بغية الوعاة، ج١، ص٥٧٦.

(١٤٧) الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٢٩.

(١٤٨) السيوطي ، بغية الوعاة، ج١، ص٥٧٦.

(١٤٩) مصطفى، محمود ، الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي، قدم له ، شوقي ضيف، (بيروت : مطبعة دار الكتب العربي، ١٩٦٧م)، ص٩٧.

(١٥٠) الأصفهاني ، الأغاني، ج٤، ص٣٥.

- (١٥١) شلبي ، تاريخ التربية، ص ٤١.
- (١٥٢) شلبي ، المرجع السابق، ص ٤٢.
- (١٥٣) المقدمة ، ص ٤٦٠.
- (١٥٤) أمين ، أحمد، ضحى الإسلام، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤م)، ص ٢٨٢.
- (١٥٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ص ١٧.
- (١٥٦) شلبي، أبو زيد، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، (القاهرة، مكتبة وهب، ١٩٦٤م)، ص ٤٥.
- (١٥٧) شلبي ، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، ص ٤٥.
- (١٥٨) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء، ج ٢، ص ١٢.
- (١٥٩) المقدمة ، ج ١، ص ٣٥٢.
- (١٦٠) الخطط المقرزية، ج ١، ص ١٦٣.
- (١٦١) القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق، محمد حسن شمس الدين، ط ١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٠م)، ج ٢، ص ٤٧٥.
- (١٦٢) المقدمة، ج ١، ص ٣٥٢.
- (١٦٣) المقرزي ، الخطط المقرزية، ج ١، ص ١٦٤.
- (١٦٤) القلقشندي ، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٧٦-٤٧٧.
- (١٦٥) القلقشندي ، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٧٧.
- (١٦٦) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء، ج ١٥، ص ٧٧.
- (١٦٧) شلبي ، تاريخ التربية، ص ٤١.
- (١٦٨) أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م) ، البلدان، (بيروت : دار صادر، د.ت)، ص ٢٤٥.
- (١٦٩) الخطط المقرزية، ج ٢، ص ٤٣٥.

(١٧٠) المقرئزي ، الخطط المقرئزية، ج٢، ص١٩٥.

(١٧١) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء، ج٢، ص٤٥.

(١٧٢) م. ن، ج١٨، ص١٧.

(١٧٣) م. ن، ج١١، ص١٩٤.

المصادر والمراجع :

- المصادر :

الأبشيهي، شهاب الدين محمد أحمد أبي الفتح (ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م).

١- المستطرف في كل فن مستظرف، (بيروت : دار الأضواء، ١٩٩٥م).

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري، (٦٣١هـ/١٢٣٣م).

٢- الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، ط٢ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

٣- اللباب في تهذيب الأنساب، ضبطه وحقق أصوله ، عبد الطيف حسن عبد الرحمن، ط٢١، (بيروت : دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن بن محمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م).

٤- الأغاني، شرحه وكتب هوامشه ، علي مهنا سمير جابر، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بلا مكان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).

الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م).

٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤، (بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م).

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م).

٦- فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت : دار مكتبة الهلال، ١٩٨٣م).

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، (ت ٢٩٧هـ/٩٠٩م).

٧- الجامع الصحيح أو سنن الترمذي، تحق أحمد محمد شاكر، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٧٨).

ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م).

٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم به وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ/١٢١١م).

٩- رحلة ابن جبير، (بيروت : دار صادر، د.ت).

الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م).

١٠- الصحاح في اللغة والعلوم، (بيروت، دار الحضارة، د.ت).

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير (ت ٨٣٣هـ/١٤٣٠م).

١١- غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره، بوجستراسر، (القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٩٣٢م).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م).

١٢- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق مصطفى عبد القادر عطار، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م).

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م).

١٣- الجامع في العلل ومعرفة الرجال، ضبطه ووضع حواشيه ، أبو علي النظيف، (بيروت : دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م).

ابن حوقل، أبي القاسم ابن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م).

١٤- صورة الأرض، (قم المقدسة، المكتبة الحيدرية، ١٤٢٨هـ).

ابن خردادبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م).

- ١٥- المسالك والممالك، (ليدن، مطبعة بريل، ١٨٨٩م).
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م).
- ١٦- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت : دار الكتاب العربي، ٢٠١١م).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م).
- ١٧- المقدمة، تحقيق حجر عاصي، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م).
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، (ت ٦٨١هـ/١٢٨٣م).
- ١٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، (بيروت، دار الفكر، ١٩٧٧م).
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م).
- ١٩- سنن أبي داود، دراسة وفهرسة، كمال يوسف الحوت، (بيروت : دار الجنان، ١٩٨٨م).
- ابن الديبشي، أبو عبد الله محمد بن سعيد (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م).
- ٢٠- ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد، تحقيق وتعليق ، بشار عواد معروف، (بغداد : مطبعة دار السلام، ١٩٧٤م).
- ابن دقماق، ابراهيم بن أيذر العلائي (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م).
- ٢١- الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلطين، تحقيق ، سعيد عبد الفتاح عاشور (الرياض : مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٩٨٢م).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).
- ٢٢- سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، (بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م).
- ٢٣- تذكرة الحفاظ، تصحيح، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ط٣، (بيروت : دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٤م).
- الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر (ت ٦٦٦هـ/١٢٦٧م).

٢٤- مختار الصحاح، عني بترتيبه محمود خاطريك، (بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٦٧).

زادة، طاش كبري أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨هـ/١٥٦٠م).

٢٥- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مراجعة وتحقيق ، كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، (القاهرة : دار الكتب الحديثة، د.ت).

الزبيدي، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م).

٢٦- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق حسين نصار وعبد الحليم الجماوي وآخرون، (بيروت : مكتبة الحياة، د.ت).

الزجاج، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م).

٢٧- مجلس العلماء، تحقيق ، عبدالسلام محمد هارون، ط٢، (الكويت: مطبعة الحكومة، ١٩٨٤م).

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعيد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م).

٢٨- الطبقات الكبرى، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م).

ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت ٢٨٦هـ / ٦٨٥م).

٢٩- المغرب في حلي المغرب، تحقيق، شوقي ضيف، (القاهرة ، دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٦٤م).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبو بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م).

٣٠- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق ، محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة : مطبعة السعادة، ٢٠٠٤م).

٣١- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أحمد عيسى، ط١، (القاهرة، دار الغد الجديد، ٢٠٠٧م).

ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م).

٣٢- العقد الفريد، تقديم ، شرف الدين، (بيروت : مكتبة الهلال، ١٩٨٦م).

ابن عربي، محيي الدين بن علي (ت ٦٣٨هـ/١٢٤٠م).

- ٣٣- محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار، ضبط النص وصححه، محمد عبدالكريم النمري، (بيروت : دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م).
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (٥٧١هـ/١١٧٥م).
- ٣٤- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق ، محيي الدين أبي سعيد عمر بن غرامة، (بيروت : دار الفكر، ١٩٩٧م)
- الغساني، الملك الأفضل (ت ٧٧٨هـ/١٤٧٣م).
- ٣٥- نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء، تحقيق ، نبيلة عبدالمنعم، (بغداد : مركز إحياء التراث العلمي، ١٩٨٤م).
- ابن الفقيه، أبي عبد الله احمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م).
- ٣٦- البلدان، تحقيق : يوسف الهادي، ط٢، (بيروت، دار عالم الكتب، ٢٠٠٩م).
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٥م).
- ٣٧- القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرنوسي، ط٥، (بيروت : دار الفكر، ١٩٨٣م).
- ابن قتيبة، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م).
- ٣٨- المعارف، تحقيق ، محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، ط٢، (بيروت : دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٠م).
- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م).
- ٣٩- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق، محمد حسن شمس الدين، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٠م).
- ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م).
- ٤٠- مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق، مصطفى جواد، (بغداد : مطبعة الحكومة، ١٩٧٠م).
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).

- ٤١- البداية والنهاية، تحقيق، عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط١، (بيروت : دار الفكر، ١٩٧٨م).
- الكندي، أبي عمر محمد يوسف (ت ٣٥٣هـ/٩٦٤م).
- ٤٢- الولاة والقضاة، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد الزبيدي، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م).
- ٤٣- سنن ابن ماجه، تحقيق وتعليق، محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية، د.ت).
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م).
- ٤٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق ، محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، (القاهرة : مطبعة السعادة، ١٩٦٥م).
- ٤٥- التنبيه والأشراف، صححه : عبد الله إسماعيل الصاوي، (القاهرة، مطبعة دار الصاوي، ١٩٣٨م).
- المقدسي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٣٧٥هـ/٩٨٤م).
- ٤٦- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه ووضع حواشيه، محمد أمين الطنطاوي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م).
- المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م).
- ٤٧- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، حواشيه وصفها : خليل المنصور، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨).
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٥٤٥هـ/١١٥٠م).
- ٤٨- الخطط المقريزية، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، ط١ (القاهرة : مكتبة مديولي، ١٩٩٨م).
- الملواني، يوسف المعروف بابن الوكيل (ت ١١٣١هـ/١٦٢١م).

- ٤٩- تحفة الأحاباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق ، محمد الشناوي، (القاهرة : دار الآفاق العربية، ١٩٩٩م).
- المنذري، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م).
- ٥٠- الترغيب والترهيب من الحديث النبوي الشريف، تحقيق ، إبراهيم شمس الدين، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م).
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م).
- ٥١- لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ١٩٥٦).
- ناصرخسرو، أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القادياني المروزي (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م).
- ٥٢- سفرنامه، تحقيق، د. يحيى الخشاب، (بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٨٣م).
- النووي، محيي الدين أبي زكريا بن شرف الشافعي (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م).
- ٥٣- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تحقيق ، عبدالله أحمد أبو زينة، (بيروت : دار القلم، ١٩٧٠م).
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).
- ٥٤- معجم الأدباء، تحقيق أحمد فريد الرفاعي، ط ١ (القاهرة : دار المأمون، ١٩٣٦م).
- ٥٥- معجم البلدان، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م).
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر ابن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م).
- ٥٦- البلدان، وضع حواشيه : محمد أمين ضاوي، (بيروت، دار الكتب، ٢٠٠٢م).

المراجع :

- أمين، أحمد.
٥٧- ضحى الإسلام، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤م).
أمين، حسين.
٥٨- الحياة الفكرية والأبجدية بمصر من الفتح العربي حتى أواخر الدولة الفاطمية، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩م).
٥٩- تبادل التأثيرات الحضارية بين مصر والعراق في العصور الإسلامية، مجلة المؤرخ العربية، (بغداد : ١٩٨٠م).
بابو، إسحاق رفائيل.
٦٠- أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية، (بغداد : مطبعة شفيق، ١٩٦٠م).
الجميل، رشيد.
٦١- دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، (الرباط : مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٨٤م).
زغلول، عبد الحميد سعد.
٦٢- العمارة والفنون في صدر الاسلام، (الاسكندرية : منشأة المعارف، د.ت).
شبيب، بشار عبد الجبار.
٦٣- مصر دراسة في الجغرافية التاريخية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الاخشيدي، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد/ قسم التاريخ، ٢٠١٢م.
شلبي، أبو زيد.
٦٤- تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، (القاهرة، مكتبة وهب، ١٩٦٤م).
الشيال، جمال الدين.
٦٥- تاريخ مصر الإسلامية، ط٢ (القاهرة : دار المعارف، د.ت).

- الطريجي، محمد سعيد.
- ٦٦- خزائن الكتب الاسلامية القديمة في الكوفة، مجلة المورد، تصدرها وزارة الثقافة والإعلام، العدد الرابع، (بغداد : دار الحرية للطباعة، ١٩٨١م).
- عبد الباقي، أحمد.
- ٦٧- معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١م).
- عبد الغني، عارف.
- ٦٨- نظم التعليم عند المسلمين، (دمشق : دار كنان للطباعة والنشر، ١٩٩٣م).
- العلي، صالح أحمد.
- ٦٩- الحركة الفكرية واتجاهاتها في صدر الإسلام، مجلة أوراق، تصدر عن المعهد الإسباني العربي للثقافة، العدد الثاني، ١٩٧٩م.
- علي، جواد.
- ٧٠- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت : دار صادر، ١٩٩٥).
- علي، خطاب عطيه.
- ٧١- التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول، (القاهرة : مطبعة الاعتماد، ١٩٤٧م).
- عواد، كوركيس.
- ٧٢- خزائن الكتب القديمة في العراق، (بغداد : مطبعة المعارف، ١٩٤٨م).
- عواد، ميخائيل.
- ٧٣- صورة مشرقة من حضارة العراق في العصر العباسي، (بغداد : دار الرشيد، ١٩٨١م).
- فتحي، محمد فريد.
- ٧٤- في جغرافية مصر، (القاهرة، دار المعرفة الجامعة، ٢٠٠٠م).
- الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف.

- ٧٥- مصر الاسلامية من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية، (القاهرة : دائرة الثقافة العربية، ٢٠٠١م).
- فياض، عبد الله.
- ٧٦- تاريخ التربية عند الأمامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي، (بغداد : أسد بغداد، ١٩٧٢م).
- متر ، آدم.
- ٧٧- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة ، محمد عبدالهادي أبو ريده، ط٤، (بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م).
- محمد، غازي رجب.
- ٧٨- العمارة العربية في العصر الاسلامي في العراق، (بغداد : مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٩م).
- مصطفى، محمود.
- ٧٩- الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي، قدم له ، شوقي ضيف، (بيروت : مطبعة دار الكتب العربي، ١٩٦٧م).
- مصطفى، محمود.
- ٨٠- الأدب العربي في مصر، قدم له ، شوقي ضيف، (القاهرة : دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م).
- معروف، بشار عواد.
- ٨١- تربية الأطفال وتعليمهم، موسوعة حضارة العراق، (بغداد : دار الحرية، ١٩٨٥م).
- منصور، عوني عبد القادر.
- ٨٢- المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة الجذور (العدد ٢٦، ١٩٩٢).
- اليوزيكي، توفيق سلطان.
- ٨٣- دراسات في الحضارة العربية الإسلامية، (الموصل : دار الكتب للطباعة، ١٩٩٥م).

دخول المغول الوافدية إلى مصر

**أ . م . د . نوال ناظم محمود
: اوس محمد عبدالرحيم**

**جامعة بغداد
كلية الاداب - قسم التاريخ**

دخول المغول الوافدية إلى مصر

أ . م . د . نوال ناظم محمود

اوس محمد عبدالرحيم

المقدمة

يعتبر موضوع دخول المغول الوافدية إلى مصر من المواضيع المهمة لما كان هناك من صراعات بين المماليك وبين المغول في فترات التاريخ المملوكي وعلى الرغم من هذه الصراعات إلا أن المماليك قد شجعوا هذه الهجرات الوافدة إليهم من دول المغول المتعددة وساهموا في تقديم المغريات إلى هذه العناصر في بعض الأحيان لتشجيع الهجرة إليهم كما أن المماليك وسلاطينهم قد شجعوا حركات التمرد التي أخذت بالظهور بين الحين والآخر في دولة المغول الايلخانية التي كانت في صراع مستمر مع المماليك وتظهر أهمية الموضوع في قلة الدراسات التي تناولته وكذلك غني هذا الموضوع بالمعلومات التي تشغل جانباً مهماً في تاريخ الدولة المملوكية من جهة ودولة المغول الايلخانية ومغول القفجاق من جهة أخرى .

ويظهر أن المغول الوافدية قد بدء دخولهم إلى مصر في عهد الظاهر بيبرس واستمرت هذه الهجرات طيلة العهد المملوكي وحتى نهاية الناصر محمد قلاوون والتي شهد عهده آخر الهجرات المغولية إلى مصر وقد اختلفت الهجرات المغولية من هجرات فردية صغيرة يمكن أن تعد بالأشخاص إلى هجرات مغولية متوسطة يمكن أن تعد بالمئات إلى هجرات مغولية ضخمة يمكن أن توصف بالآف والتي سوف نتناول أسباب هذه الهجرات ودخولها إلى مصر حسب التسلسل الزمني لسلاطين المماليك والهجرات في فترات حكمهم .

دخول المغول الوافدية إلى مصر :

المبحث الأول

أسباب دخول الوافدية إلى مصر:

الوافدية في اللغة من الوفد وهو من القدوم ومن قدم فهو وافد والوفد أسم للجمع وإما الوفود فجمع وافد وهم القوم الذين يجتمعون فيردون البلاد واحدهم وافد^(١) إما أصطلاحاً فيطلق على الغرباء الوافدين ولاسيما على جموع المغول الذين قدموا إلى مصر في العهد المملوكي وكان قدومهم على شكل جماعات كبيرة وصغيرة طوعاً وكرهاً^(٢) وقد اختلفت الأسباب التي دعتهن إلى الوفود إلى مصر في العهد المملوكي لذلك أطلق عليهم تسمية المغول الوافدية وكذلك المستأمنة أو المستأمنين وغيرها من المسميات التي أطلقت عليهم^(٣).

وقد شهد السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي وفود العديد من العناصر المغولية إلى مصر في تلك المدة التي كانت تحكم فيها المماليك البحرية وقد وفدت هذه العناصر على شكل جماعات كبيرة وأفراد بأعداد قليلة جاءت لأسباب عديدة منها أسباب سياسية واقتصادية ودينية وغيرها من الأسباب التي دفعت هذه العناصر إلى الهجرة بجماعات كبيرة إلى مصر وكانت أهم الأسباب التي دفعتهم كانت سياسية وعلى الرغم من وجود الأسباب والدوافع الأخرى والتي تعتبر ثانوية وسوف نتناول هذه الاسباب حسب أهميتها وكالاتي:

أولاً: الأسباب السياسية :

كانت الأسباب السياسية في مقدمة الأسباب التي دفعت جموع المغول إلى النزوح من دولتهم الوفود إلى مصر في عهد دولة المماليك البحرية إذ أن الصراع ما بين حكام المغول وما بين دولهم المتعددة قد دفعت إلى هجرة المغول إلى مصر لا سيما ان مغول القفجاق وزعيمهم بركة خان (ت٦٦٥هـ / ١٢٦٧م) كانوا في صراع مستمر مع مغول الدولة الايلخانية وزعيمهم هولاكو خان (ت٦٦٣هـ / ١٢٦٥م) قد أدى هذا الصراع إلى دخول بعض العناصر المغولية الى مصر وكانت أولى الهجرات التي

ذكرها المؤرخون هي بسبب هذا الصراع أذ أن أسلام بركة خان وتعبه للدين الاسلامي وكذلك رفضه إرسال حملة لمساعدة هولاء في أسقاط الخلافة العباسية وقتله للخليفة العباسي وكذلك حقه على هولاء بسبب خراب بلاد المسلمين^(٤) كذلك حقه على هولاء بسبب كفره كل هذه الأمور قد أسهمت في زيادة حدة الصراع ما بين بركة خان وما بين هولاء هذا من جانب إما من جانب آخر هو الصراع الذي حدث ما بين الحاكمين فقد جرت فيما بينهم حروب طاحنه وذلك في حدود سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م^(٥).

كما زادت هذه الخلافات بين بركة خان وبين هولاء حاكم المغول الايلخانيين عندما قام منكوقآن (٦٤٩-٦٥٨هـ/١٢٥١-١٢٦٠م) حاكم الامبراطورية المغولية بمنح الأراضي الواقعة في بلاد القوقاز وما جاورها من الاراضي أذ منحها إلى هولاء خان والتي أدعى بركه خان بأحقية في حكم تلك المناطق^(٦) وقد حدث ذلك وزاد من وحدة الخلاف بين بركة خان والذي أدى التقارب ما بين مغول القبيلة الذهبية وما بين الممالك كل هذه الأمور قد أسهمت في سوء العلاقات بين المغول أنفسهم والذي أدى إلى نشوب الصراع فيما بينهم ولم تنتهي الصراعات ما بين المغول عند هذا الحد فكلما كانت العلاقات سيئة ما بين المغول انفسهم كان ذلك يؤدي الى تقارب مع الممالك أذ ان التقارب الذي حدث ما بين مغول القفجاق بزعامه بركة خان وما بين الظاهر بيبرس حاكم دولة الممالك (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٨م) قد أدى إلى غضب هولاء^(٧) حتى ان السلطان بيبرس قد أمر بالدعاء لبركة خان من على منابر المسلمين بعد الدعاء له وقد ذكر المستشرق شبولر ان حلف بركة خان مع الظاهر بيبرس كان يشكل خرقا للعادات والتقاليد المغولية انذاك ولم يحدث في تاريخ الدولة المغولية الكبرى مثل هذا اذ لم تقيم دول المغول أي علاقة مع أي دولة غير الدول المغولية حسب التقاليد المغولية^(٨).

كانت نتيجة هذه الخلافات فيما بين حكام المغول هو فرار وهروب أعداد كبيرة من المغول خاصة من المغول القفجاق وقد هربوا من هولاء مع عوائلهم أذ كانوا داخل دولة المغول الايلخانيين جاءوا إليها نجدة من بلاد بركه خان ولكن بسبب

الخلاف خرجت هذه الجماعة من المغول تاركين دولة المغول الايلخانيين ليتجهوا نحو مصر ويدخلوا في حماية السلطان المملوكي الظاهر بيبرس سنة ٦٦١هـ/١٢٦٣م حسب توجيهات حاكم المغول القفجاق وعندما وصلت هذه المجموعة إلى مصر رحب بهم الظاهر بيبرس وأكرمهم بل أنه بالغ في أكرامهم وكان من ضمن هذه العناصر بعض الأفراد الخاضعين لهولاكو لذلك اطلقت عليهم تسمية المستأمنة أو المستأمنين^(٩).

أن الاوضاع الداخلية لدولة المغول الايلخانيين قد أسهمت في هروب أعداد من المغول الايلخانيين أو من أتباعهم إلى دولة المماليك والتي أصبحت ملاذاً آمناً للمغول الذين كانوا يهربون من دولتهم خوفاً من حكامهم لذلك كان ذلك سبباً آخر في دخول العناصر المغولية فضلاً عن ذلك كان العديد من أمراء المغول طامعين في الحكم ونجدهم قد حاولوا الانشقاق عن دولتهم ولما فشلوا في ذلك نجدهم قد سارعوا بالهروب إلى مصر والدخول في طاعة السلطان المملوكي^(١٠) من أجل أن يضمّنوا العيش من دون ان يبطش بهم حكام المغول والدليل على ذلك ما أورده المصادر التاريخية عن الامراء المغول الذين هربوا إلى مصر وكان من بين هؤلاء الامراء سلامش الذي خرج عن طاعة السلطان غازان (٦٩٤-٧٠٣هـ/١٢٩٦-١٣٠٥م) أيلخان مغول فارس ولما أرسل غازان إليه العساكر ولم يتمكن من ان يصمد امامهم ترك البلاد ولجأ إلى الديار المصرية وكان ذلك في حدود سنة ٦٩٨هـ/١٣٠٠م وقد استقبل هذا الأمير بمزيد من الأكرام والحفاوة من قبل السلطان المملوكي الذي كتب إلى نوابه باستقبال هذا الأمير المغولي وإكرامه ونجد ان السلطان المملوكي لم يكتفي بذلك وإنما أخذ يجهز جيشاً لمساعدة هذا الأمير في استعادة أهله من البلاد التي هرب منها^(١١).

لم يكن سلامش إلا واحداً من العديد من الفارين من دولة المغول الى دولة المماليك خوفاً من بطش المغول وأننا نجد ان الصراع على عرش الدولة المغولية في ايران قد اسهم في هروب عدد من الامراء وإتباع الاطراف المتصارعة على العرش إلى الهروب إلى مصر وكان من بين هؤلاء الفارين دمرداش ابن جويان (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٩م) وكان هذا قد اعتزل وانفصل عن حكم الدولة الايلخانية الأمر الذي

دخول المغول الوافدية إلى مصر.....

دفع السلطان أبي سعيد إلى إرسال حملة ضده مما أضطره إلى الهروب والدخول إلى مصر وذلك في عهد الناصر محمد قلاوون في سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٩م وقد استقبل هذا الأمير بالإكرام إلا أنه بعد ذلك أصبح يثير المشاكل ونظر للعلاقات الودية بين الناصر محمد قلاوون وبين أبي سعيد قام الناصر محمد قلاوون بقتل هذا الأمير وقام بأرسال رأسه إلى الخان أبي سعيد خان حاكم الدولة الايلخانية مما زاد ذلك من تحسن العلاقات بين الجانبين^(١٢).

لم تكن تلك فقط الأسباب السياسية التي دفعت العديد من عناصر المغول إلى اللجوء إلى مصر في عهد دولة المماليك البحرية فقد كان هناك أسباب أخرى تتعلق بما كان يعمل به العديد من عناصر المغول لصالح المماليك فقد كان هناك العديد من عناصر المغول يعمل لصالح السلطان المملوكي ضد المغول انفسهم والأمر الذي أدى الى هروبهم الى مصر بعد كشف أمرهم من قبل المغول لذلك أنهم كانوا يعملون عيوناً وجواسيس لسلطين المماليك يشير المؤرخون إلى ان الكثير من المغول كانوا يكتبون المماليك ويكشفون أسرار المغول ويكتبون بها إلى سلاطين المماليك ولما كشفهم المغول اضطروا إلى الهروب إلى مصر والدخول في حماية السلطان المملوكي^(١٣) وخير دليل على ذلك ما أورده النصوص التاريخية والكثير من المؤرخين عن الأمير بدر الدين جنكلي أذ قال أحد المؤرخين عنه (ووصل من التتر مقدم كبير قد هرب منهم الى بلاد الاسلام، وفي صحبته نحو عشره ...، فاکرم واعطي امرة الف.....، وكان يناصر السلطان ويكاتبه ويطلعهُ على عورات التتر....)^(١٤) ويبدو من خلال هذا النص ان هذا كان من كبار أمراء المغول ومقدميهم وانه قد لاقى اكرام مبالغ به من قبل السلطان المملوكي لأنه كان على علاقة حسنة مع السلطان المملوكي وعلى ما يبدو ان سلاطين المماليك قد حاولوا الافادة من خبرات المغول العسكرية والذي يهمننا منه هذا هو الأسباب التي دفعت هذه الشخصيات إلى ترك بلادهم والقدوم إلى مصر التي كانت تمثل العدو الاساسي والكبير لدولة المغول في فارس لذلك ان الأسباب السياسية قد شكلت دافعا رئيسيا في أجبار العديد من

دخول المغول الوافدية إلى مصر.....

عناصر المغول إلى ترك بلادهم واللجوء إلى مكان أكثر أمانا يحميهم من بطش المغول نتيجة لدورهم الذي كان يؤدوه اتجاه دولة المماليك البحرية.

كما أننا نجد من أسباب دخول العديد من العناصر المغولية إلى مصر ما كان يستخدمه ايلخانات المغول وكبار رجال دولتهم في مراسلاتهم مع سلاطين المماليك إذ اخذوا من خلال مراسلاتهم بأرسال الهدايا ومعها أعداد من عناصر المغول وكانوا يرسلون على شكل هدايا وهبات يتقربون بها إلى سلاطين المماليك وقد أوردت النصوص التاريخية العديد من السفارات التي كانت تحمل من ضمنها عناصر مغولية وهدايا وكذلك الجواري التي ترسل من قبل خانات المغول الى مصر وقد ذكر أحد المؤرخين عن سفارة وردت في عهد الناصر بقوله (ووصل انغاي ابن اخي الملك بركة.....، ووصل صحبة جوار كثيرة ومماليك....، وكان عدة المماليك أربع مائة مملوك ومائتي جارية...) ^(١٥) ويبدو من خلال النص ان المماليك والجواري الذين بعثهم المغول إلى السلطان الناصر محمد قلاوون كانوا يتوددون بهم إليه لطلب رضاه وكان على ما يبدو ان أرسال المماليك والجواري في السفارات بين الحكام كهدايا كانت من العادات المستخدمة في دول المغول المتعددة ومهما يكن من أمر فان هذه العادة قد أسهمت في دخول العديد من العناصر المغولية الى مصر في تلك المدة وكانت إحدى الأسباب التي أسهمت في دخول العناصر المغولية الى مصر والدليل على ذلك ما أوردته النصوص التاريخية عن السفارة التي أرسلها الناصر محمد الى بلاد القفجاق لطلب إحدى الاميرات المغوليات التي تعود بنسبها الى بيت جنكيز خان للزواج منها ولما وافق المغول على ذلك وارسلوا الأميرة وكما هي العادة قاموا بأرسال العديد من المماليك والجواري الذين جاءوا بصحبة هذه الاميرة المغولية إلى مصر في عهد السلطان الناصر محمد قلاوون ودخلوا الى مصرفي تلك الفترة ^(١٦).

ثانياً: - الأسباب الاقتصادية

شكلت الأسباب والعوامل الاقتصادية سبباً آخر اسهم في اجبار العديد من العناصر المغولية على النزوح والهجرة من مناطق سكنهم إلى مصر جاءت العوامل الاقتصادية لتشكل تلك الأسباب دافعا رئيسياً في دخول العديد من عناصر المغول الى مصر في العهد المملوكي .

كانت المناطق التي جاء منها المغول تمتاز بالجذب والفقير الشديد مقارنة مع مناطق الدولة المملوكية فالمناطق الخاصة بمغول القفجاق والتي وفدت منها عناصر كثيره الى مصر كانت مناطق جذبها فقيرة وليس فيها اي شيء يشجع على البقاء في تلك المناطق^(١٧) بالرغم من ان المستشرق شبولر قد حاول ان ينفي ذلك لاسيما السبب الاقتصادي إذ ذكر ان مناطق بلاد القفجاق الممتدة من اراضي الفولجا العليا الى مناطق شمال شرق البحر الأسود وهي المناطق التي وفدت منها تلك العناصر كانت تمتاز بخصوبة أراضيها وحيث تتوفر فيها مناطق الرعي وهي مناسبة لتربيته قطعان المواشي والخيول ويشير الى تلك الاهمية لتلك المناطق ومدى غناها لذلك حاول هذا المستشرق أن ينفي الأسباب الاقتصادية التي أسهمت في دخول عناصر المغول الى مصر^(١٨) إلا أن الروايات والنصوص التاريخية قد فندت ذلك الرأي إذ اورد المؤرخين العديد من النصوص التاريخية التي تصف حال تلك البلاد وتؤكد فقرها الشديد وقد وصفها المؤرخين بقولهم (وهم في جهد من قشف العيش لأنهم ليسوا اهل حاضرة ،وشدة البرد تهلك مواشيهم ...، وهم لشدة ما بهم من سوء العيش اذا وجد احدهم لحم سلقه ولم ينضجه وشرب مرقه وترك اللحم ليأكله مرة اخرى ثم جمع العظام ويعاد سلقها مرة اخرى ...)^(١٩) ولا شك ان هذا النص يشير بوضوح إلى القشف وضيق العيش التي كانت تمر به تلك المناطق على عكس الأوضاع الاقتصادية في مصر والتي كانت تمتاز بالغنى وسعة العيش سوى بعض الأوقات التي مرت بها مصر وان هذا الرأي والنص قد فند رأي المستشرق شبولر الذي أشار الى غنى تلك البلاد كما ان المؤرخ قد اشار في نصا اخر الى ضيق العيش في تلك المناطق حيث

قال (ولا يعرفون في المأكّل ما يعاف مما لا يعاف ، ولا التحريم ولا التحليل...) (٢٠) ويبدو من خلال هذا النص ان سكان تلك المناطق كانوا كثيرا ما يتعرضون لضيق العيش في تلك المناطق الأمر الذي أسهم في دفعهم الى مصر التي كانت تمتاز بالغنى قياسا في تلك المناطق هذا من جانب ومن جانب آخر ان سكان تلك المناطق كانوا في بعض الأوقات يضطرون إلى بيع أولادهم ليعيشوا هم ومن جانب آخر نجد ان سكان تلك المناطق كانوا يفتقرون إلى مصادر النقد المتمثلة بالزراعة والصناعة والتجارة ولم يكن لديهم سوى تجارة العبيد مصدرا رئيسيا في تجارة تلك المناطق (٢١) .

وقد ذكر أحد المؤرخين عن هجره مغولية شهدتها مصر من بلاد القفجاق كانت قد وفدت بسبب ما أصاب بلادهم من قحط شديد ويقول المؤرخ (وفيها قدم الخبر بقحط بلاد تقطاي مدة ثلاث سنين ، ثم اعقبه موتان في الخيل والغنم حتى فنيّت ، ولم يبقى عندهم ما يؤكل ، فباعوا أولادهم واقاربهم) (٢٢) ويعني ذلك من خلال هذا النص ان هذه البلاد قد تعرضت إلى قحط شديد أجبر الناس على ترك هذه البلاد واضطر بعضهم إلى بيع أولاده كما ان هؤلاء قد قدم عدد منهم إلى مصر .

كما اننا لا بد لنا ان نشير إلى ان سكان تلك المناطق الجذبه كانوا يلبسون جلود الحيوانات سواء كانت مدبوغة أو غير مدبوغة كما لا يحلون الحيوان الطاهر من غيرة ولم يفوق عندهم ذلك في مجال حياتهم اليومية لذلك نجد ان الكثير منهم من ترك هذه البلاد بسبب ضيق العيش وفقر تلك المناطق (٢٣). كما أن بعض المستشرقين الذي حاول أن ينفي تلك الأسباب التي اشرنا إليها سابقا إلا أن النصوص والروايات الاسلامية قد فندت تلك الآراء.

إما بالنسبة إلى مغول الدولة الايلخانية والتي قدم منها الكثير من العناصر المغولية فلم تكن هي افضل حالة من مناطق مغول القفجاق فقد تعرضت هي الأخرى إلى الأزمات الاقتصادية وإلى الجوع والفقر الشديد والذي أجبر سكان تلك المناطق إلى الجوء إلى مصر لما كانت تتمتع به من خيرات وما اوردت احد المؤرخين من النصوص التاريخية عن الهجرات الكبيرة التي كانت نتيجة ما تعرضت له بلادهم من

دخول المغول الوافدية إلى مصر.....

مجاعات إذ قال (وفيها قحطت بلاد المشرق ، فقدمت طوائف الى بلاد الشام..)^(٢٤) ومن الواضح من خلال هذا النص هو تعرض تلك البلاد إلى مجاعات اجبرت سكان تلك المناطق إلى اللجوء الى مصر .

وهناك روايات تؤكد تعرض تلك البلاد إلى مجاعات وفقّر في بعض الاوقات والتي دفعت العديد من المغول إلى التوافد إلى مصر وتترك مناطق المشرق بسبب شدة فقر تلك المناطق فقد ذكر احد المؤرخين عن ذلك نصا بقوله (وفيها قدم البريد بان الغلاء شديد ببلاد المشرق ، وانه ورد من اهله عالم عظيم الى شط الفرات وبلاد حلب.....)^(٢٥) ويبدو من خلال النص مدى الفقر التي تعرضت لها تلك المناطق والذي أسهم بلا شك في دفع العديد من العناصر المغولية إلى ترك تلك البلاد واللجوء إلى مصر التي اصبحت مقصدا لتلك الهجرات المغولية لذلك نجد أن العوامل الاقتصادية قد أسهمت بشكل كبير في هجرة أعداد كبيرة من المغول وغيرها من العناصر من بلادهم التي كانت تمتاز بالفقر الى مصر التي كانت تلك البلاد من المناطق الغنية ذات الاراضي الخصبة وكذلك الترحيب والأكرام والأحسان التي قوبلت به عناصر المغول الوافدة الى أراضي الدولة المملوكية قد أسهمت في جذب العناصر المغولية إلى مصر .

ان أغلبية سكان تلك المناطق كانوا يعيشون في شقاء وأنهم ليسوا اهل حضارة وكانوا يحلون ويرتحلون وذلك بسبب فقر مناطقهم وقشف العيش فيها^(٢٦) وهذا لا بد ان يكون له اثاره في دفع العديد من العناصر الى ترك تلك المناطق واللجوء الى مناطق أكثر غنى من مناطقهم لذلك كان هذا احد الأسباب في وفود وهجرة تلك العناصر لمناطقهم ولاسيما ان أكثر العناصر التي وفدت إلى مصر في عهد دولة المماليك البحرية كان أغلبها قد حصل على اقطاعات ومناصب عسكريه ورواتب ومغريات أخرى من قبل السلاطين المماليك.

ثالثاً: - الأسباب الدينية :

كانت الاسباب الدينية قد أسهمت في نزوح وهجرة العناصر المغولية إلى مصر سواء كانت هذه الهجرات فردية أو على شكل جماعات صغيرة أو كبيرة فقد كانت إلى جانب الأسباب السياسية والاقتصادية أسباب أخرى تتعلق بالجانب الديني والتي لايمكن لنا ان نخفي دورها لأنها كانت لاتقل اهمية عن سابقتها من الاسباب.

كانت مصر في تلك الفترة تمثل الرمز الديني لعامة المسلمين لاسيما بعد ان أعلنت فيها الخلافة العباسية من قبل السلطان بيبرس سنة (٦٥٩هـ/١٢٦١م)^(٢٧) وبعد ان تمكنت ايضا من وضع حد للمغول الذين اجتاحتوا بلاد المسلمين ودمروا عاصمتهم بغداد وقتلوا الخليفة العباسي في بغداد^(٢٨) لذلك كانت مصر في تلك المدة مقصدا وملذا امناً للمسلمين سواء كانوا من العرب أو غيرهم لذلك نجد ان طوائف من المسلمين في بغداد وكذلك المغول قد لجأوا إلى مصر في تلك الفترة هاربين من وجه هولاكو وجيوشه^(٢٩) كانت هذه الوفود قد قصدت مصر لأسباب دينية نظرا لما تمتعت به مصر آنذاك من مركز ديني مهم للمسلمين بوصفها حاضرة الخلافة العباسية حتى ان العديد منها جاءت راغبة بالإسلام^(٣٠).

وجاء أسلام بركة خان (٦٦٥هـ/١٢٦٧م) حاكم مغول القفجاق وعقده معاهدات وتحالفه مع المماليك سببا ليساهم في دخول الجماعات المغولية التابعة له إلى مصر كما اسلام بركة وبقاء هولاكو خان (٦٦٣هـ/١٢٦٥م) حاكم المغول الايلخانيين على وثنيته كان أحد الأسباب في الصراع فيما بينهم إذ أن أسلام بركة خان وتعصبه للدين الاسلامي كان سببا رئيسياً في دخوله في صراع مع ابناء عمومته من المغول الايلخانيين^(٣١) وقد جاء أسلامه مواكبا لاعلان الحرب على هولاكو وقد عاب على هولاكو أفعاله في تخريب بلاد المسلمين وقيامه بقتل الخليفة العباسي كل هذه الامور أسهمت في بدء الصراع ما بين بركة خان حاكم المغول القفجاق والأمر الذي ادى بدوره الى قيامة بأرسال الرسل الى اتباعه في بلاد هولاكو يطلب منهم ترك تلك البلاد والمجيء إليه وان لم يستطيعوا المجي اليه فعليهم بالدخول في طاعة السلطان

دخول المغول الوافدية إلى مصر.....

المملوكي وهذا في النهاية أدى إلى دخول جماعة كبيرة من أتباع بركة خان إلى مصر في عهد بيبرس التي عرفت بالمستأمنة كانت أولى الهجرات المغولية إلى مصر وكان السبب في قدومها الصراع السياسي والديني مابين مغول فارس ومغول القفجاق^(٣٢) او ربما رغبة هؤلاء المغول بالدخول إلى الاسلام وباعتبار مصر مركز الدول الاسلامية في تلك الفترة هذا من جانب ومن جانب آخر نجد أن العلاقات مابين المسلمين انفسهم اذ ان دولة مغول القفجاق أصبحت بعد أسلامها من القوى الاسلامية المؤثرة والتي أرتبطت بدورها بعلاقات مع إحدى وأكبر القوى الاسلامية وهي الدولة المملوكية والتي استمرت في علاقاتها الحسنة طيلة العهد المملوكي^(٣٣) كما ان حكام تلك البلاد ومنهم بركه خان (ت٦٦٥هـ / ١٢٦٧م) قد أرسل إلى الظاهر بيبرس (ت٦٧٦هـ / ١٢٧٨م) يبلغه بإسلامه ويبارك للظاهر بيبرس اعلان الخلافة وكذلك يحرضه على قتال هولاکو الوثني وأنه قاتل هولاکو لأعلاء كلمة الله^(٣٤) وهذا يدل على ان كان هناك صراع بسبب العامل الديني في تلك الفترة.

لم تكن تلك الأسباب جميعها هي التي تشكل الأسباب الدينية التي أسهمت في دخول المغول باعداد كبيره إلى مصر فأننا نجد أن في مدة حكم هولاکو كان الصراع مع بركه خان لإسلامه ولأسباب أخرى فألى جانب وفود هذه العناصر كان استقبال السلاطين المماليك لهذه الهجرات الوفود المغولية عامل جذب وأحسان للعديد من المغول إلى ترك بلادهم اللجوء الى مصر هذا من جانب ومن جانب اخر نجد ان اسلام حكام المغول ولاسيما مغول فارس قد ساهم بشكل اخر في دفع العديد من المغول الوثنيين الى ترك بلادهم اللجوء الى مصر في عهد دولة المماليك البحرية إذ أن أسلام غازان حاكم المغول فارس قد أدى بدوره إلى هروب جماعة كبيرة من المغول هذه الجماعة التي تعرف بالاوليراتية وكان هروبها إلى مصر سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٧م إذ ان اسلام غازان كان كما اشار العديد من المؤرخين مناورة سياسية اراد بها الحصول تأييد المسلمين ودعمهم له لاسيما بعد الصراع الذي دار بين حكام المغول الايلخانيين وبالاخص بين غازان خان(ت٧٠٣هـ / ١٣٠٥م) وبايدو (ت٦٩٤هـ / ١٢٩٦م) واستيلاء

الآخير على العرش^(٣٥) هذا الأمر قد دفع غازان إلى شن حملة عسكرية فقام باستجماع قواه فأراد من قصة اسلامه ان يستميل المسلمين إلى جانبه ووعد بأعلان اسلامه ان انتصر على بايدو وبالفعل نجح في قتل بايدو واستولى على عرش الدولة المغولية وأعلن اسلامه ونتيجة لانتصاره تشتت جماعه كبيره من المغول من أتباع بايدو خوفا من ان يبطش بهم غازان واتباعه^(٣٦) كما ان بإسلام غازان قد عمل على هدم المعابد وتحطيم الاصنام وقام بدعوة عباد هذه الاديان إلى الاسلام وخيرهم بين البقاء والدخول في الاسلام وبين الرحيل والجلء عن بلادهم والذي بدوره قد ساهم في هروب ونزوح أعداد كبيره من هؤلاء الى مصر وإلى مناطق أخرى^(٣٧).

وقد رأى بعض المؤرخون ان اسلام غازان كان مانورة سياسية أراد بها ان يحصل على تأييد المسلمين في حملة ضد بايدو وليتمكن من تكوين جيش يقاثل به بايدو وبالفعل نجح في ذلك وقد تمكن من الانتصار في حملة ضد بايدو ولما انتصر اعلن اسلامه كما علل المؤرخين عدم صحة اسلام غازان بأنه عندما اخبروه بان الاسلام حرم الزواج من نساء الاءاء حاول غازان ان يرتد عن الدين الاسلامي هذا من جانب ومن جانب اخر صراع غازان وقوفه المعادي لدولة الممالك البحرية والتي كانت على الدين الاسلامي كل هذه الأمور أعطت البراهين إلى الباحثين للتشكيك في صحة اسلام غازان خان^(٣٨) ان السبب الديني الذي أسهم في دفع جموع المغول إلى الدخول إلى مصر وقد كانت الهجرة التي جاءت بعد اسلام غازان تدين بالوثنية ودخلت إلى مصر في عهد السلطان كتبغا(٦٩٤-٦٩٦هـ/١٢٩٦-١٢٩٨م) إلا أنه على ما يبدو أنها جاءت هاربة من وجه غازان خوفا من البطش بها^(٣٩).

مهما يكن من أمر فان العوامل الدينية قد أسهمت بشكل ملحوظ في جذب العناصر المغولية إلى مصر إذ ان العلاقات الحسنة بين دولة مغول القفجاق وبين دولة الممالك قد ساهمت بشكل ملحوظ في دخول الكثير من العناصر المغولية الى مصر لاسيما بعد اسلام حكام مغول القفجاق إذ أخذوا على عاتقهم إرسال الكثير من العناصر المغولية إلى دولة المغول البحرية والدليل على ذلك الهجرة التي جاءت في

دخول المغول الوافدية إلى مصر.....

عهد الظاهر بيبرس وهي أولى الهجرات وقد دخلت هذه المجموعة إلى مصر بأمر من بركه خان حاكم المغول القفجاق وجاءت لتعلن أسلامها وتدخل في طاعة السلطان المملوكي وحتى نهاية ذلك لا بد ان نشير إلى ان العلاقات كانت وديه بسبب الدين الاسلامي الذي يجمع الدولتين.

رابعاً :- أسباب أخرى :

كان إلى جانب العوامل السياسية والاقتصادية والدينية عوامل أخرى خاصة بالسلطين المماليك ساهمت هذه العوامل بشكل فعال في استجذاب العناصر المغولية إلى مصر في عهد الدولة المملوكية الاولى ونجد ان أهم العوامل التي تتعلق بالسلطين المماليك هو التشجيع على الهجرات الى مصر لاسيما المغول فالمماليك كانوا من اجناس مختلفة وأغلبهم كان من أصول مغولية .

وقد اشار العديد من المؤرخين الى تلك العوامل التي تتعلق بارتباط المماليك وشغفهم في اقتناء تلك العناصر ولأسباب عنصرية إذ ذكرت إحدى الروايات عن احد سلاطين المماليك ورغبته في هذه العناصر بقولها (فمال اليهم كتبغا بكليته ، وحسن اليهم بطبعه وجنسيته...) ^(٤٠) وقد ذكر في تلك النصوص الكثير عن اهتمام المماليك بتلك العناصر ومن الروايات التي ذكرها أحد المؤرخين عن تلك العوامل بقوله (فافتتن بهم الأمراء وتنافسوا في أولادهم من الذكور والإناث، واتخذوا منهم عدّة صيروهم من جملة جندهم....) ^(٤١) ويبدو من خلال النص مدى حرص سلاطين المماليك في تشجيع الهجرات بالمغريات التي يقدمونها لهذه العناصر سواء كانت بالتشجيع او الاحسان والأكرام وغيرها من عوامل التشجيع الأخرى كل هذه الامور والأجراءات التي اتبعها سلاطين المماليك أسهمت في جذب الكثير من عناصر المغول ^(٤٢) وحتى اننا نجد أن الكثير من العناصر قد دخلت مصر ولم تسلم وبقت على وثبيتها وخير مثال على ذلك الهجرات التي قدمت في عهد كتبغا الذي حكم ما بين (٦٩٤-٦٩٦هـ/١٢٩٦-١٢٩٨م) وكذلك ان هذه الوفود كانت جنس السلطان

دخول المغول الوافدية إلى مصر.....

كتبغا^(٤٣) وهناك رواية تقول ان السلطان كتبغا قد احسن اليهم لأن مقدم هذه الطائفة كان قد تزوج من ابنة هولكو التي تزوج السلطان من أختها لذلك أحسن إليهم السلطان وأنعم عليهم بالخلع^(٤٤) وهذا يدل ربما على الأسباب العنصرية لسلطين المماليك.

كما ان من الأسباب الأخرى التي أسهمت في توافد المغول هو المكانة التي وصلوا اليها وأخذوا من خلال هذه المكانة استدعاء ابناء جلدتهم سواء كانوا من اقاربهم^(٤٥) او غيرهم والذي أسهم ايضا في دخول أعداد ليست بقليله إلى دولة المماليك في تلك الفترة وحتى أن سلاطين المماليك قد أرسلوا إلى أقاربهم في دولة المغول الايلخانيين يستدعونهم إلى بلادهم وحتى انهم قد انعموا عليهم ومنحهم المناصب والاقطاعات^(٤٦).

ومن الأسباب الأخرى التي تتعلق بسلاطين المماليك هو الزواج السياسي والمصاهرات حيث أن سلاطين المماليك أخذوا بأرسال السفارات والوفود لطلب الزواج من الأميرات المغوليات وهذا الأمر بدوره شجع على توافد المغول الى مصر إلى جانب الاميرات المغوليات^(٤٧) وان كان من الأسباب الضعيفة كما ان سلاطين المماليك كان لابد لهم من تأسيس جيش قوي يستطيعون من خلاله الوقوف بوجه المغول فاستعانوا بالعناصر المغولية الوافدة ولاسيما ان اكثر العناصر الوافدة قد أنخرطت في الجيش المملوكي^(٤٨) وكان لابد لهم من ان يعتمدوا على عناصر تكون من بني جنسهم لأنهم كانوا يدركوا مدى قوة وشجاعة ووفاء هذه العناصر^(٤٩).

المبحث الثاني

بدايات توافد المغول إلى مصر

أولاً :- هجرات المغول في عهد الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٨هـ/١٢٦٠-١٢٨٠م)

بدأت الهجرات والوفود المغولية تدخل إلى مصر في عهد الظاهر بيبرس والذي شكل عهده البدايات الأولى لتوافد العناصر المغولية إلى مصر وكانت مدة حكمه قد شهدت العديد من الهجرات والوفود المغولية سواء كانت على شكل أفراد أو جماعات واعتمد حكام المماليك على المغول في تكوين جيوشهم اذ ان العلاقات الودية بين حكام المماليك وبين حكام مغول القبيلة الذهبية أسهمت بشكل أو بآخر هذه العلاقات في توافد أعداد كبيرة من المغول من المنطقة في تلك الفترة إلى مصر والتي قوبلت بالأكرام كما ان العلاقات ما بين مغول فارس وأمراءهم قد أسهمت في دفع وهروب أعداد كبيرة من مغول فارس ولجؤهم إلى مصر في العصر المملوكي وقد أصبحت مصر في تلك الفترة ملاذاً آمناً لتلك العناصر .

كانت أولى الوفود المغولية التي دخلت إلى مصر في عهد سلاطين المماليك كانت في عهد الظاهر بيبرس وكانت في حدود سنة (٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) وجاءت هذه الهجرة من مغول الدولة الايلخانية وكانت هذه المجموعة من أتباع بركة خان من المغول البهادرية^(٥٠) وكانوا هاربين من وجه المغول الايلخانيين بأمر من زعيمهم حاكم مغول القفجاق وكان قوام هذه الطائفة التي قدمت نحو مائتي نفس بعوائلهم^(٥١) وكان سبب دخولها إلى مصر كما ذكره المؤرخين هو الصراع الذي نشب بين هولاء خان وبركه خان حاكم مغول القفجاق وكانت هذه الطائفة قد أرسلها بركة خان إلى هولاء نجدة إلا أن الصراع الذي نشب مع هولاء وخشية بركة خان على أتباعه جعله يأمرهم بالرجوع وان لم يستطيعوا فعليهم الدخول تحت راية السلطان المملوكي في تلك الفترة وقد دخلت تلك الطائفة إلى مصر سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٣م) واسلموا وعينت لهم الاقطاعات والخلع والأنعام وقد اكرمهم الظاهر بيبرس وأحسن إليهم وأنزلهم في دور ومساكن عمرت لهم في لوق القاهرة^(٥٢) وهناك رواية أخرى ذكرها أحد

المؤرخين ان هؤلاء الوافدين كانوا من أتباع هولاكو خان الذين تفرقوا بعد ان نشب الصراع مع بركه خان وكانت كسرتهم وهزيمتهم من جيش بركه خان قد اجبرتهم على الدخول في بلاد الاسلام في تلك الفترة وقد أشار الى ذلك بقوله (وتفرقت جيوش هلاوون في اقطار الارض ، وتمزقوا كل ممزق ، وهربت هذه الطائفة منهم الى بلاد الاسلام...) ^(٥٣) والواضح من خلال النص ان هذه الطائفة التي قدمت إلى مصر كانت بسبب الصراع بالدرجة الاولى والهزيمة التي مني بها هولاكو بالدرجة الثانية وان هذه المجموعة كانوا من أتباع هولاكو وليس من اتباع بركه خان كما ذكر المؤرخين في السابق.

هناك الكثير من النصوص التاريخية التي تشير بوضوح الى مدى زيادة وتكاثر الوافدية الى مصر في عهد الظاهر بيبرس وأستمرت هذه الوفود طيلة عهد السلطان الظاهر بيبرس وقد اشار الى تلك الوفود واستمرارها احد المؤرخين بقوله (فلما بلغ التتار ما فعله السلطان مع هؤلاء وفد عليه منهم جماعة بعد جماعة وهو يقابلهم بمزيد من الاحسان فتكاثروا بديار مصر ...) ^(٥٤) وهذا النص يوضح ان طوائف المغول قد تزايدت في مصر في عهد الظاهر بيبرس وكان تزايدها نتيجة الترحيب والاحسان الذي ابداه الظاهر بيبرس للمغول الذين وفدوا إليه والذي جذب بدوره طوائف وجماعات أخرى إلى مصر في عهد الظاهر بيبرس وأستمرت على ما يبدو طيلة فترة حكم الظاهر بيبرس ^(٥٥).

كما أكد المؤرخين قدوم مجموعه أخرى سنة (٦٦١هـ / ١٢٦٣م) والتي كان سبب وفودها الصراع ما بين بركه خان (٦٦٥هـ / ١٢٦٧م) وهولاكو (٦٦٣هـ / ١٢٦٥م) وقد كان بركه خان قد أرسل هذه المجموعة نجدة الى هولاكو ^(٥٦) وعندما وصلت هذه المجموعة إلى هولاكو حدث الخلاف بين بركه خان وهولاكو وكان بركه خان يخشى على أتباعه من ان يحتجزهم عنده هولاكو فأرسل إليهم يطلب منهم القدوم إلى بلادهم وان لم يستطيعوا فعليهم ان يدخلوا في طاعة السلطان المملوكي وخير دليل على ذلك ما أورده النصوص التاريخية بقولها (ووصلت جماعة كبيرة من التتار

دخول المغول الوافدية إلى مصر.....

مستأمنين في الاسلام راغبين وكانوا زهاء ألف نفس وفيهم من اعيانهم كرمون وامطغيه ونوكيه وجبرك وفيان...., وهؤلاء كانوا من اصحاب بركة وكان قد ارسلهم الى هولاءكو نجدة...., فلما وقع بينه وبين بركة . تمكنت العداوة كتب بركة اليهم بان يفارقوا هولاءكو ويحضروا الية وان لم يتمكنوا من التوجه الية فينحازوا الى عساكر الديار المصرية ولما وصلوا اسلموا وطهروا...)(^{٥٧}) وهذا النص يظهر بوضوح مدى كثرة ما قدم من المغول من جماعات كبيرة في تلك الفترة ومن الواضح ان عناصر المغول قد جاءت باعداد كبيرة في عهد الظاهر بيبرس وأنهم كانوا من أتباع بركة خان في الغالب وكان ورودهم بسبب الخلاف والصراع الذي نشب ما بين بركة خان وما بين هولاءكو ومهما يكن من الأمر فإن هذه الجماعة قد قدمت إلى مصر وكان فيهم من كبار الأمراء المغول كذلك نجد ان الظاهر بيبرس قد انعم عليهم بالأمريات وأعطاهم المناصب في جيشه وقام بإقطاع الاقطاعات لهم تكريماً منه لهم واستقبالاً لوفادتهم(^{٥٨}).

ولم تتوقف الهجرات المغولية الى مصر في عهد الظاهر بيبرس (ت٦٧٦هـ/١٢٧٨م) وقد استمرت الهجرات على ما يبدو طيلة مدة حكم الظاهر بيبرس لدرجة ان الظاهر بيبرس قد أبدى مخاوفه من هذه الهجرات واخذ الشك يساوره في كثير من الهجرات المغولية الوافدة إلى دولته حتى عبر عن ذلك احد المؤرخين بقوله أنه قد أمر جيشه في ان يكون على اهبة الاستعداد تحسباً لأية اعمال تأتي من بعض هذه الجماعات المغولية التي دخلت إلى مصر وكان ينظر إلى ذلك بالريبة ولم يخفي من مخاوفه من هذه الجماعات التي دخلت دولته بل اننا نجده أجمع بأمرائه وكبار رجال دولته ليخبرهم بذلك ويبيدي لهم مخاوفه(^{٥٩}).

ويبدو ان الظاهر بيبرس كان يخشى من هذه الهجرات سياسة العدو التي اتبعها اتجاه دولة المماليك لذلك كان لابد له ان يأخذ حذره من هذه الهجرات الكبيرة نتيجة للعلاقات السيئة التي كانت وبينه وبين دولة المغول الايلخانيين .

كما ان الاحسان قد أسهم في وفود هذه الجماعات المغولية على دولة الظاهر بيبرس الذي استقبلهم وأحسن إليهم كان ذلك قد جذب أعداد كبيرة من المغول الى وقد ورد إليه في سنة (٦٦٢هـ/١٢٦٤م)مجموعة من المغول التتار والأتراك وأهالي بغداد ولما وصلوا إلى القاهرة عمرت لهم مساكن وأحسن إليهم وكان من بينهم سائر المستنصري (ت٧١٥هـ/١٣١٧م) وكانت هذه المجموعة قوامها نحو ثلاثمائة فارسا وصلوا بأولادهم وأهليهم إلى الديار المصرية^(٦٠).

كانت هناك هجرة مغولية اخرى كانت قادمة من بلاد المشرق ووصلت الاخبار إلى الظاهر بيبرس بان طائفه من المغول قد وصلت إلى بلاده مستأمنه من عسكر هولاكو وذلك في سنة (٦٦٣هـ / ١٢٦٥م) وعندها أخذ الظاهر بيبرس استعدادته العسكرية تخوفا من اي اعمال يقوم بها هؤلاء الوافدية وتذكر الرواية ان الظاهر بيبرس قد وصلته الاخبار بقدوم هولاكو مع هؤلاء المغول فأخذ يستعد لذلك^(٦١) ولم تذكر النصوص التاريخية عن أعداد هذه الهجرة وعن أسبابها.

استمرت الهجرات المغولية الى مصر طيلة حكم الظاهر بيبرس وقد أضحت مصر في تلك المدة ملاذاً آمناً للهاربين من وجه المغول وقد ذكر المنصوري هروب إحدى الشخصيات المهمة والتي كان لها دور بارز في مكاتبه السلطان الظاهر بيبرس وأخباره بالمؤامرات التي يدبرها المغول وقد كان هروبه سنة (٦٧٢هـ / ١٢٧٤م) وقد أشار المنصوري عن الظاهر بيبرس بقوله (فوصل اليه الامير شمس الدين بهادر ابن صاحب سميصات^(٦٢) هاربا من التتار ، وذلك انه كاتب السلطان مناصحا ، فاطلعوا التتار على امره فامسكوه فارسلوه الى الاردن^(٦٣)) ، فهرب وقصد الابواب السلطانية ..^(٦٤) ويعني ذلك ان الكثير من أتباع المغول قد عملوا عيوننا للسلطين المماليك وقد كانت مصر في تلك الفترة أيضاً ملاذاً آمناً لكل من أراد الهروب من أيدي المغول وربما لطبيعة العلاقات العدائية التي كانت تربط الدولتين .

كما وفد إلى البلاد المصرية مجموعة أخرى من المغول في سنة (٦٧٤هـ / ١٢٧٦م) وكانت هذه المجموعة التي قادمة من بلاد الروم وكانت تضم جماعه من

دخول المغول الوافدية إلى مصر.....

أعيان المغول^(٦٥) وكان سبب وفودهم ان هناك اثنان من أعيان المغول لهم أخ كافر أراد أن يأخذ منهم الاموال وطلب منهم ان يتحاكموا الى السلطان المغولي الأمر الذي كان يخشاه هذين الاميرين مما دفعهم إلى الهروب والدخول في حماية السلطان المملوكي^(٦٦).

ان تدفق الهجرات والوفود المغولية لم يتوقف طيلة مدة حكم الظاهر بيبرس وهناك الكثير من الأدلة التي توضح ذلك ومنها ما اوردته ابن شداد عن وفود المغول الى الظاهر بيبرس وذكر أعداد كبيرة وقد ذكر في احد النصوص بقوله (ووفد عليه من التتر منذ ان ولي إلى ان توفي الذين يشملهم العدد من ذلك زهاء ثلاثة الاف فارس ، فمنهم من رتبته في الخاصكيه، وهم الخاصة به ،ومنهم من رتبته بالسلاح داريه، ومنهم من رتبته بالسقاة ، ومنهم من امر بطبل خاناه...)^(٦٧) وهذا النص يشير بوضوح إلى ان الظاهر بيبرس (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٨م) قد استخدم هؤلاء المغول في دولته وكانت لهم ادوار مؤثرة في دولته لاسيما دور الوافدية في السياسة والجيش ان وفود المغول قد استمرت على ما يبدو طيلة فترة حكم الظاهر بيبرس لأن المؤرخين قدروا أعداد من وفد الى مصر في عهد دولة الظاهر بيبرس بثلاثة الاف نفر فقط في دولة الظاهر بيبرس.

ثانياً :- الهجرات المغولية في عهد المنصور قلاوون وأبناءه (٦٧٨ - ٦٩٤هـ / ١٢٨٠ - ١٢٩٦م)

شهد عهد المنصور قلاوون عدد من الوفود المغولية التي جاءت من مغول فارس الى مصر وعلى الرغم من قلتها مقارنة بالعهود السابقة والعهود اللاحقة إلا أنها لم تخلو ولاسيما عهد قلاوون وأبناءه من بعض الهجرات وقدم الوافدية إلى دولة المماليك في عهد المنصور قلاوون و أبناءه من قدوم بعض الوفود المغولية.

كانت أولى الوفود المغولية التي دخلت إلى أراضي الدولة المملوكية في عهد المنصور قلاوون وهي الهجرة التي جاءت بعد معركة حمص والتي تتكون من مائتي شخص من المغول قد جاءوا بعد وفاة منكوتر وتولي اباقا خان بن هولكو الذي أبتدأ حكمه بالهجوم على المماليك ، وقد ذكر الدواداري قائلاً (ووصل الى دمشق تقدير

دخول المغول الوافدية إلى مصر.....

مائتي فارس مجمعه^(٦٨) وإن هذه الهجرة كانت بسبب هزيمة المغول وغضب اباقا خان على اتباعه بسبب هزيمتهم من قبل المماليك^(٦٩) كما قدمت الى مصر في عهد المنصور قلاوون في سنة ٦٨٠هـ/١٢٨٢م مجموعه أخرى تضم أعدادا من أبناء المغول الاويراتية وكان المقدم عليهم شخص يدعى الشيخ علي الاويراتي وكان كما زعم المؤرخين له كرامات الفقراء حتى أنه أسلم وأسلم معه جماعة كبيرة من أولاد المغول وكان السلطان قد استقبلهم وأحسن إليهم وأدخلهم في الجيش وذكر المؤرخين أن هذا الشخص قد ظهرت منه أمور وأعمال غير محبذه فسجنه مع جماعة من أتباعه في تلك الفترة^(٧٠).

كما قدمت جماعة من المغول الوافدية إلى مصر في سنة (٦٨٢هـ/ ١٢٨٤م) وكانوا هؤلاء الوافدية قد قدموا من بلاد فارس وكان عددهم نحو تسعة عشر فارسا مع نساءهم وأولادهم ولما وصل هؤلاء إلى مصر استقبلهم السلطان وأكرمهم وأحسن إليهم كثيرا^(٧١) ومن الجدير بالذكر إن جميع الهجرات والجماعات المغولية التي وفدت إلى مصر كانت تلاقي الاحسان والاستقبال والتكريم من قبل سلاطين المماليك لذلك كان أخبار ذلك الإحسان والإكرام قد أسهم في اجتذاب وقدم جماعات أخرى كبيرة وصغيرة من المغول إلى مصر التي أضحت ملاذا آمنا للهاربين من المغول .

وفي السنة التالية لدخول هؤلاء المغول إلى مصر وصلت سفارة من قبل الخان احمد توكدار (٦٨١-٦٨٣هـ/١٢٨٣-١٢٨٥م) حاكم مغول فارس وجاءت هذه السفارة إلى السلطان المملوكي المنصور قلاوون وبقت عنده فترة ولما أرادت الرجوع إلى فارس أخبرهم السلطان قلاوون بمقتل أحمد توكدار وتولي أرغون خان (٦٨٣-٦٩٠هـ/١٢٨٥-١٢٩٢م) عرش الدولة المغولية الامر الذي أجبر هؤلاء إلى البقاء في مصر ربما خشية من أن يبطش بهم أرغون الذي كان على غير دين الاسلام وقد أسكنهم المنصور قلاوون في قلعة دمشق ثم أقتصر رواتبهم على قدر الكفاية ثم بعد ذلك طالبهم ببعض الاموال ولما لم يستجيبوا أمر بحبسهم ثم اطلقوا بعد مدة قصيرة^(٧٢).

دخول المغول الوافدية إلى مصر.....

أنتهى عهد المنصور قلاوون ولم يشهد أي هجرات ووفود جماعات أخرى من المغول سوى التي ذكرناها سابقا ثم جاء بعده في الحكم أبناه الأشرف خليل (٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩١-١٢٩٥م) الذي شهد عصره بعض وفود المغول وعلى الرغم من قلتها إلا أن عهده لم يخل من وفود بعض الجماعات المغولية.

تولى الأشرف خليل الحكم سنة (٦٨٩هـ/١٢٩١م) وقد شهد عهده بعض الهجرات والوفود المغولية ومنها ما ورد من جماعات مغولية سنة (٦٩١هـ/١٢٩٣م) ودخول هؤلاء الجماعات والوفود المغولية إلى مصر كان المؤرخين قد قدروا إعداد هؤلاء المغول نحو ثلاثمئة شخص كانوا قادمين من مغول فارس وكان السلطان قد أكرمهم وأستقبلهم بمزيد من الإكرام والترحيب^(٧٣).

أنتهى حكم الأشرف خليل في سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٥م) ولم يشهد سوى هجرة ووفود جماعه واحده من المغول وربما بسبب ضيق مدة حكمه أو لأسباب أخرى منها ربما ما يتعلق بالشؤون الداخلية لدولتي المماليك والمغول أو غيرها من الأسباب ومهما يكن من أمر فإن عهد الأشرف خليل لم يشهد سوى هجرة واحدة للمغول ثم توفي الأشرف خليل ليتولى بعده الناصر محمد قلاوون (٦٩٣-٦٩٤هـ/١٢٩٥-١٢٩٦م) والذي لم يستمر طويلا في الحكم ولم تشهد سني حكمه الأولى دخول الوافدية وانتقل الحكم بعده إلى السلطان كتبغا والذي شهد عهده قدوم الوافدية وبكثرة.

ثالثاً :- الهجرات المغولية في عهد السلطان كتبغا (٦٩٤-٦٩٦هـ/١٢٩٦-١٢٩٨م)

شهد عهد السلطان كتبغا والذي لم يحكم طويلاً إذ حكم ما بين سنتي (٦٩٤-٦٩٦هـ/١٢٩٦-١٢٩٨م) شهد عهده قدوم المغول الوافدية بأعداد ضخمة لم يسبق لها مثيل في العهود السابقة وحتى عهد الظاهر بيبرس لم تقدم مثل هذه الهجرات والوفود المغولية في العهود المتلاحقة لذلك كان عهده حافل بقدوم أعداد كبيره

دخول المغول الوافدية إلى مصر.....

من المغول الوافدية هذا من جانب ومن جانب آخر نجد أن الوافدية قد أصبح دورهم بارزا في تلك الفترة.

كانت أولى الوفود المغولية التي قدمت إلى مصر في عهد السلطان كتبغا سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٧م وكانت الطائفة المغولية التي قدمت بأعداد هائلة إلى مصر من الاويراتية كان يقود هذه المجموعة طرغاي وكان هذا الأخير من أتباع بايدو ولما وقع القتال بين غازان وبايدو وأنتصار غازان خاف طرغاي من أن يبطش به غازان فهرب مع مجموعة كبيرة من أتباعه من المغول ودخلوا إلى مصر وذلك في سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٧م^(٧٤) وكان السلطان كتبغا قد أحسن إليهم وبالع في أكرامهم وجعلهم خاصته وقربهم على أتباعه من المماليك^(٧٥) وتذكر النصوص التاريخية ان هؤلاء الوافدية لما عزموا على المسير إلى بلاد مصر ووصلت الاخبار إلى نواب الشام كتب هؤلاء النواب إلى السلطان المملوكي كتبغا يخبروه بقدوم هؤلاء المغول الذين وفدوا إلى دولته وكان إكثرهم من الاويراتية نجد ان السلطان كتبغا قد كتب الى نوابه في الشام يأمرهم باستقبال هذه الجماعات المغولية والترحيب بها وإكرامها ثم أمر بأحضار أكابرهم وزعمائهم ليقابلهم والذين كانوا كما قدرهم المؤرخين نحو مائتي شخص وكان جميعهم من الاويراتية^(٧٦) ويبدو ان الكثير من المؤرخين قد اعتقدوا ان أهتمام السلطان كتبغا بهذه الجماعات كان بسبب ان معظم هؤلاء كانوا من الاويرات وكانوا من جنس السلطان كتبغا نفسه وكان لابد ان يظهر اهتمامه بهم وربما أنه أراد ان يستعين بهم على الأمراء المماليك في مصر والذين كانوا من غير جنسه والذي تمكن من الوصول إلى السلطة بفضلهم لذلك أراد ان يقوي نفوذه بهم .

كانت هذه المجموعة قدمت من مغول فارس وكانت قدومها بسبب الصراع ما بين حكام المغول والمتمثلين بالسلطان غازان خان وبايدو خان وأنتصار غازان أدى إلى هروب هؤلاء خوفا من القتل وكانت هذه المجموعة عندما دخلت إلى مصر قد بقت على وثبيتها ولم تسلم مما شكل ذلك عامل كره وحقد من قبل المجتمع ومن قبل الأمراء المماليك أنفسهم^(٧٧) هذا من جانب ومن جانب آخر ان تقريبيهم من قبل السلطان كتبغا

دخول المغول الوافدية إلى مصر.....

وإكرامهم المبالغ به قد أسهم في أثاره الحقد والغيرة لدى أمراء المماليك والذين سعوا بكل قواهم للتخلص من هؤلاء المغول^(٧٨) والذين شكلوا ربما خطراً على نفوذ الأمراء المماليك لذلك اتخذوا موقفاً معادياً لهم وربما هم الذين قاموا بتحريض عامه الناس ضدهم .

وكما أن المؤرخين قد وجهوا الانتقادات إلى السلطان كتبغا لأكرامه هذه الجماعات قبل دخولها الاسلام ورأى أكثر المؤرخين أنه من الواجب أن يسلم جميع هؤلاء ويدرجوا وعندما يرى صحة إسلامهم وقيامهم بالشعائر الإسلامية عند ذلك يكرم منهم من يستحق الأكرام والرفعة هذا من جانب ومن جانب آخر نجد أن أكثر هؤلاء قد أخذوا بأثارة الفتن والقلق داخل دولة المماليك^(٧٩).

كذلك نجد ان الآراء قد اختلفت في تحديد عدة هؤلاء الوافدية وقد اختلف المؤرخين في تحديد عددهم فبعض المؤرخين كان يرى ان عددهم كان نحو عشرة الاف نفر وكان قدومهم في سنة (٦٩٥هـ / ١٢٩٧م) وكان السبب في قدومهم هو هروبهم من غازان^(٨٠) والذي لم يختلف عليه المؤرخين وحتى لم يختلفوا في تحديد سنة قدومهم هذا أحد الآراء أشار إليه بعض المؤرخين إما الرأي الآخر والذي أشار إليه البعض من المؤرخين هو أن عدد هؤلاء كان نحو ثمانية عشر الف بيت وكان قدومهم في السنة المذكورة نفسها وللأسباب نفسها^(٨١) وبما أننا لانعرف مدى دقة هذه الأعداد التي أشار إليها المؤرخين ولا نستطيع الجزم بأحد الأعداد والآراء الا أنه ربما كان عددهم نحو عشرة الآف شخص بعوائلهم لذلك شكلوا عدداً كبيراً فذكرهم المؤرخين بثمانية عشر الف بيت ومع ذلك لا نستطيع الجزم والاستناد إلى أحد الآراء وترك الآراء الباقية كذلك لا يمكننا القول بان هؤلاء كانوا هجرتين بسبب ما ذكره المؤرخين من أسباب وسنة وفود هؤلاء المغول.

رابعاً. الهجرات المغولية في عهد المنصور لاجين (٦٩٦-٦٩٨هـ/١٢٩٨-١٣٠٠م).
بعد عزل السلطان كتبغا تولى السلطان حسام الدين لاجين عرش الدولة المملوكية وذلك في سنة (٦٩٦هـ / ١٢٩٨م) والذي حكم ما بين سنتي (٦٩٦هـ / ٦٩٨هـ) وقد شهد عهده وصول بعض الجماعات والوفود المغولية إلى دولته كما أننا نجد أن هذا السلطان لم يكن أقل كرماً واستقبالا لوفود المغول التي قدمت إلى دولته .

كانت سنة (٦٩٧هـ/١٢٩٩م) البداية الأولى لوفود أولى الجماعات المغولية في عهد المنصور لاجين وكان السبب في وفود مجموعة المغول هذه هو الصراع ما بين المغول داخل الدولة الايلخانية إذ أن أحد المقدمين وكبار رجال دولة المغول الايلخانيين والذي عرف بسلامش (ت٧٢٨هـ/١٣٢٩م) والذي يعود بالنسب إلى جنكيزخان كان حاكماً في بلاد الروم^(٨٢) وكان غازان خان حاكم دولة المغول في فارس قد أتفق معه على غزو بلاد الشام وجهزه بعشرة آلاف جندي من المغول واتفقوا على حصار إحدى المدن الشامية ولما وصل الجيش بقياده هذا الأمير إلى بلاد الروم طمع في السلطة وأعلن عصيانه على غازان وكاتب السلطان المملوكي المنصور لاجين وطلب منه مساعدته في مواجهة غازان^(٨٣) (ت٧٠٣هـ/١٣٠٥م) وقد أشار إلى ذلك أحد المؤرخين إلى أن السلطان المملوكي قد استجاب له فيما بعد ويبدو أن عصيان الأمير سلامش على غازان قد جعل غازان يعدل عن فكرته في غزو بلاد الشام مؤقتاً وسار بجيشه ليخضع سلامش وجمع قوه كبيره لاستعادة تلك البلاد وتشير النصوص التاريخية إلى أن غازان لما توجه لقتال سلامش سار معه نحو ستين ألف مقاتل ولما وصل غازان إلى سيواس شرع في فرض الحصار عليها ولما ضيق عليها الحصار هرب أكثر الجيش الذي كان مع سلامش ولم يبق معه سوى خمس مائه جندي لذلك نجد أن سلامش قد اضطر إلى التراجع والانسحاب من تلك البلاد كذلك قد هرب معه أكثر جنده وكان هروبه إلى مصر^(٨٤) التي أصبحت مأوى للهاربين من طاعة وسلطة المغول كما أن هذا الأمير قد كاتب السلطان المملوكي وطلب منه المساعدة وكذلك

دخول المغول الوافدية إلى مصر.....

نجد انه لما هرب متوجها إلى مصر مع أتباعه قد أرسل الى السلطان المملوكي يستأذنه في الدخول إلى بلاده هذا الأمر بدوره قد دفع السلطان المملوكي إلى السماح له بالدخول إلى بلاده وكتب إلى أمراءه الذين استقبلوا هذا الأمير يأمرهم باكرامه وكان مع هذا الأمير أخوه وجماعه من أتباعه وقد قبلوا بالإكرام ولما وصلوا إلى مصر وقابل هذا الامير السلطان المملوكي اكرمه وخيره بين الإقامة في بلاد مصر أو بالعودة إلى بلاده^(٨٥).

كانت السنة التالية لوفود سلامش إلى مصر بعد المكاتبات بينه وبين سلطان مصر المنصور لاجين توفي المنصور لاجين وتولى بعده الحكم الناصر محمد قلاوون للمرة الثانية الذي لم يكن أقل كرما ومساعدته لهذا الأمير.

خامساً :- الهجرات المغولية في عهد الناصر محمد قلاوون:

كان أول وفد شهده عهد الناصر محمد قلاوون في فتره حكمه الثانية كان في سنة (٧٠٢هـ/١٣٠٤م) وكانت هذه الهجرة قدمت من بلاد القفقاق وكان السبب في وفودها إلى مصر هو القحط الشديد الذي تعرضت له بلادهم مما دعاهم إلى بيع أولادهم وأقاربهم والذين جلبوا إلى مصر من قبل تجار الرقيق كما ان كثير منهم من هاجر إلى مصر في تلك الفترة ولم يورد المؤرخ أحصائية دقيقة عن هذه الهجرة سوى ذكر وفودها والأسباب التي أدت إلى وفودها^(٨٦).

كما جاء وفد آخر في سنة (٧٠٣هـ / ١٣٠٤م) وكان هذا الوفد من قبل مغول فارس إذ قدم أحد كبار القادة والمقدمين من المغول والمعروف جنكلي ابن البابا وكان هذا من الشخصيات الكبيرة لدى المغول يحكم في آمد^(٨٧) وكان هذا قد أوفد معه حريمه وأبنائه^(٨٨) كما أننا نجد أن هذا الأمير الوافدي كان على علاقه حسنه مع السلطان المملوكي الناصر قلاوون إذ أنه كان يكتب السلطان الناصر ويطلعه على عورات وأخبار المغول وعندما طلب اللجوء الى مصر أحسن إليه السلطان الناصر وأكرمه كما أعطاه أمرة مائه في الجيش المملوكي كما حضي أبنائه بالمكانة نفسها التي

دخول المغول الوافدية إلى مصر.....

كان يتمتع بها هذا الأمير هذا فضلاً عما كان له من ادوار في بلاط الناصر إذ أن الناصر كان يستشير في كثير من الأمور^(٨٩).

وقد أشار أحد المؤرخين إلى أهميه هذه الشخصية ومدى تأثيرها في مصر وقد ذكر هناك عدة مواضع تنسب إلى هذه الشخصية منها ما ذكر من الدروب في القاهرة التي تنسب إلى الشخصيات الوافدية ومنها ما يعرف بإسم درب أبن البابا كان ذلك من ضمن خطط القاهرة^(٩٠) ويبدو من خلال ذلك مدى التأثيرات المغولية على مظاهر الحياة الاجتماعية في مصر ومدى ما كان لهم من أهميه ونفوذ في عهد سلاطين المماليك.

على الرغم من قلة قدوم الوافدية من المغول في الفترات اللاحقة سوى بعض الوفود التي اقتصرت على بعض الشخصيات والتي لم تكن كسابقيها من الوفود المغولية إذ انها جاءت في فترات متباعدة واقتصرت على الهجرات الوفود الفردية والتي أنهت تقريباً بوفاة الناصر محمد قلاوون.

ودخلت مجموعه من المغول الوافدية إلى مصر في سنة (٧٠٤هـ) وكان هذه المجموعة من أتباع غازان خان وقد ذكر المقرئزي قائلاً (وقدم بالبريد من حلب بحضور جماعه من المغل وافدين الى بلاد الاسلام نحو مائتي فارس بنسائهم وأولادهم ، وفيهم عدة من اقارب غازان ..)^(٩١) وكانت هذه المجموعة قد دخلت إلى مصر وقد أكرمهم وقدم مع هذه المجموعة اشخاص منهم أم الأمير سلال وأخوه وكذلك قد أكرموا في تلك الفترة^(٩٢) وذلك ربما لما كان للأمير سلال من مكانه في الدولة المملوكيه .

جاءت هجرة أخرى في سنة (٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م) من قبل مغول القفجاق من بلاد بركه خان وكان هذا الهجرة قد جاءت على شكل هدية قدمت إلى الناصر محمد قلاوون في سنه (٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م) وكانت عدتها نحو اربع مائه مملوك ومائتي جاريه ولما وصلوا إلى بلاط الناصر محمد قلاوون اخذ منهم الناصر محمد قلاوون مائه وعشرين مملوكا وجاريه وفرق الباقي منهم على امراءه^(٩٣) ويبدو من

دخول المغول الوافدية إلى مصر.....

خلال ما تناقلته النصوص التاريخية ان دخول الوافدية إلى مصر لم يتوقف بل استمر وعلى الرغم من قلة الاعداد الوافدة فيما بعد القرن الثامن والذي أقتصصر على الهجرات والوفود الفردية في بعض الأحيان وكان وفودها بسبب الأوضاع السياسية لدولة المغول والصراع على الحكم.

وفي سنة (٧١٧هـ/ ١٣١٧م) عبر الفرات مجموعه من المغول متجهين إلى البلاد المصريه وكانوا قد دخلوا إلى دمشق ثم اتجهوا بعد ذلك إلى القاهرة وقد استقبلهم الناصر محمد قلاوون وقد كانت عدتهم نحو مائة نفس بأولادهم واهليهم وكان المقدم عليهم شخص يدعى طاطاي وهم من مغول الدولة الايلخانية^(٩٤).

أستمرت الهجرات المغولية إلى مصر طيلة عهد الناصر محمد قلاوون وفي فترات متباعدة وكانت الهجرة الأخرى قد جاءت من قبل مغول القفجاق من بلاد برکه خان كما يسميه المؤرخين وكانت هذه الهجرة قد جاءت ضمن وفد أرسل مع سفارة لتزويج إحدى الأميرات المغوليات للناصر محمد قلاوون وذلك في سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م) وكان المغول قد أرسلوا ضمن هذه السفارة العديد من الجواري والمماليك وبالمقابل أشتري الناصر محمد قلاوون قسماً ثم وزع الباقي على الأمراء ليشتروهم^(٩٥) ويبدو من خلال ذلك ان العلاقات الطيبة التي كانت بين الدولتين هي التي أسهمت بشكل أو بآخر في إرسال هذه الجماعة المغولية ولو كان عكس ذلك لما أرسلت الأميرة المغولية لتزويجها من الناصر محمد قلاوون كل ذلك قد أسهم في لجوء أعداد أخرى من المغول إلى بلاد مصر في تلك المدة.

ومن أهم الشخصيات التي وفدت في هذه السنة ومع المجموعة التي جاءت من مغول القفجاق وهو سيف الدين قوصون الناصري والذي دخل في طاعة السلطان المملوكي الناصر محمد قلاوون والذي بالغ في أكرامه كما أننا نجد ان الناصر قد أجرى له الرواتب وأحسن إليه وقربه منه حتى أنه زوجه بإحدى بناته وتزوج الناصر بأخته وحتى صار قوصون من كبار الأمراء وأعيان الدولة^(٩٦) وذلك ربما لما كان من علاقات وديه بينه وبين حكام مغول القفجاق كما قدم في سنة

دخول المغول الوافدية إلى مصر.....

(١٣٢٣هـ/١٣٢٣م) أحد شخصيات المغول والذي يعرف بأسم باورد بن براجوا وكان من أمراء المغول وقد أكرمه السلطان الناصر وأعطاه من المال والخيول الكثير كما أعطاه رتبة أمير طبلكاناه^(٩٧).

وفي سنة (٧٢٢هـ/١٣٢٢م) جاء خبر بوصول أخت الأمير بدر الدين جنكلي وبصحبته جماعة من المغول وكان قدومهم من بلاد المشرق وقد جاءوا وافدين إلى بلاد مصر إلا أن أخت الأمير جنكلي لم تلبث حتى توفيت في الطريق وقد كتب السلطان الناصر إلى الأمراء بإحضار الجماعة التي قدمت معها وكتب إليهم ان يكرمهم كما أكرمهم السلطان الناصر محمد قلاوون ترضيه للأمير بدر الدين جنكلي الذي كان يحتل مكانه كبيره في دولة الناصر محمد قلاوون لذلك نجد ان الناصر قد أفرد لهم الاقطاعات وأجرى لهم الرواتب^(٩٨) ويبدو أن الأمراء الوافدية كانوا قد احتلوا مكانه لانتقل أهميه عن تلك المكانة والنفوذ الذي كان يتمتع به أمراء المماليك في تلك الفترة.

كما وفدت شخصية أخرى من شخصيات المغول المهمة والمعروف باسم ظهر بغا المغولي والذي كان سنة وفادته الى الديار المصرية سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٧م) وقد كان من رجال الناصر المهمين إذ كان الناصر قد قربه وكان يقرأ الكتب الواردة إلى السلطان الناصر لاسيما من المغول وكان يفد عليه على مدى الأيام من أقاربه بين الحين والآخر من عشره إلى مئة وكان يبرهم ويحسن إليهم^(٩٩) ويعني ان هذا الأمير قد وصل إلى مكانه متميزة مكنته من استقبال اقاربه ومعارفه من دون مساعده السلاطين والأمراء او حتى بمساعدتهم .

كما وفد في السنة نفسها الامير طاهر بغا المغولي الذي كان من اقارب السلطان الناصر محمد قلاوون وكان في هذه المدة في دولة الايلخان أبي سعيد وكان يتولى نيابة خلاط ولما وردت رسل أبو سعيد قد أرسل معهم يستدعي هذا الامير وقد وفد مع أبنه وأهله وأنعم عليه السلطان بأمرة طبلكاناه كما أنعم على أبنه بأمرة عشره وقد قابلهم السلطان بالأكرام والأنعام^(١٠٠) ويبدو ان تحسن العلاقات بين الناصر محمد

دخول المغول الوافدية إلى مصر.....

قلاوون وبين الايلخان ابو سعيد هي التي أسهمت في وفود هذه الشخصية وقد قام الناصر بترقيته هذا الأمير حتى وصل إلى ان جعله أمير مائه في دولته وبقي على هذا الحال معظما ومكرما حتى وفاته^(١٠١).

ولعل من أهم الشخصيات التي وفدت إلى دولة المماليك وهو دمرdash كما تسميه بعض المصادر التاريخية وكان وفوده سنة (٧٢٨هـ/١٣٢٨م) وكان وفوده بسبب ثورة قام بها أبيه ولما فشلت ثورة أبيه هرب دمرdash من بطش أبي سعيد خان حاكم مغول فارس^(١٠٢) وكانت ثورة أبيه في بلاد الروم كما كان حال سلامش الذي ثار في تلك البلاد وفشلت ثورته لكنه لم يحصل على ما حصل عليه دمرdash والذي يهمننا في ذلك هو وفود دمرdash ومعه ثلة من أتباعه من العناصر المغولية ودخلوا إلى القاهرة وقد عاملهم السلطان الناصر بالإكرام وأجرى لهم الرواتب وافرد لهم الاقطاعات أكراماً لهم^(١٠٣) كما أن الناصر في بعض الاحيان يعين بعض الأمراء ليعملوا في خدمته الوافين اليه من المغول هذا ربما ترغيبا لمن يريد الالحاق بهم من المغول.

أختلفت المصادر التاريخية في تحديد مصير دمرdash الذي وفد إلى بلاد مصر فبعض المؤرخين ومن خلال نصوصهم التاريخية أشاروا الى ان دمرdash قد توفي بعد مدة قصيرة من دخوله إلى بلاد مصر وان الناصر محمد قلاوون قد أكرمه وبالع في أكرامه وان وفاته كانت بسبب وعكه صحية أصيب بها بعد مدة قصيرة من دخوله إلى بلاد مصر^(١٠٤) ومن جهة أخرى رأي بعض المؤرخين ان مصيره كان القتل أذ ان الناصر محمد قلاوون قد القى القبض عليه وعلى مجموعة من أتباعه بتهمة إثارة الفتن بينه وبين أبي سعيد خان مغول فارس وتحريضه على الاستيلاء على بلاد الروم التي كانت خاضعة لدولة مغول فارس لاسيما اذا ما علمنا ان دمرdash قد حاول ان يغري الناصر ببلاد الروم وطلب من الاستيلاء عليها كما اننا نجد ان الناصر محمد قلاوون قد قتله بعد ان أصبح يثير الفتن بين المماليك وبعد ان ارسل المغول وحاكمهم السفارات والوفود يطالبون الناصر محمد قلاوون بتسليمهم دمرdash ومن ثم قام الناصر

دخول المغول الوافدية إلى مصر.....

محمد قلاوون بقتله وأرسال رأسه إلى أبي سعيد مع وفد أرسله أبي سعيد حاكم مغول الدولة الايلخانية في طلب هذا الأمير^(١٠٥).

كانت العلاقات الطيبة والحسنة بين الناصر محمد قلاوون وبين أبي سعيد ايلخان مغول فارس ربما هي التي أدت إلى مقتل الأمير دمرداش وذلك من خلال ما اورده النصوص التاريخية في شان تلك العلاقات وتحسنها في زمن أبي سعيد والأمر الآخر هو إرسال أبي سعيد سفارات عديدة يطالب فيها السلطان الناصر بتسليم الأمير دمرداش مقابل ان يسلمه العديد من أمراءه الفارين إلى دولة المغول في فارس إلا ان الناصر قد تريت في ذلك الامر لكنه لم يمض وقت طويل حتى قتله وبعث برأسه إلى أبي سعيد (ت ٧٣٦هـ / ١٣٣٦م) حاكم مغول فارس^(١٠٦).

لم يكن دمرداش والفارين معه آخر الوفود المغولية إلى مصر وإنما كانت هناك وفود مغولية أخرى جاءت على أشكال متعددة ومنها ما وفد من المغول سنة (٧٣٢هـ / ١٣٣٣م) من المغول الايلخانيين وكان وفد المغول هذا الذي جاء ضمن سفارة أرسلها أبي سعيد إلى الناصر محمد قلاوون وكانت السفارة محملة بالهدايا ومن ضمن الهدايا أرسل للناصر عشرة ممالك وجواري وكذلك أرسل مغنيتين^(١٠٧) وربما كان قد انتقل فن الغناء المغولي إلى مصر وربما معرفة الممالك بهذا الفن على اعتبار بعضهم من أصول مغولية .

وقد جاءت هجرة مغولية كبرى أخرى إلى مصر في تلك الفترة وكان من أسباب دخول طوائف المغول الكبيرة التي وفدت إلى مصر في سنة (٧٤١هـ / ١٣٤١م) العامل الاقتصادي وهي بسبب ما أنتشر في بلاد الشرق من غلاء وقحط شديد كذلك ما أنتشر في تلك الفترة من أمراض أو وباء شديد في بلاد المشرق والذي أجبر العديد من عناصر المغول إلى ترك تلك المناطق والتوجه إلى بلاد مصر والتي كانت تتمتع بالغنى والحالة الاقتصادية الجيدة^(١٠٨) .

كما أننا نجد إشارة أخرى عن وفود مجموعه من المغول التتار إلى بلاد مصر في السنة نفسها وقد ذكرتها الرواية التاريخية بقولها (قدمت رسل صاحب العراق

دخول المغول الوافدية إلى مصر.....

والعجم،، في طائفه من التتار ، فتلقاهم نائب السلطنة ...^(١٠٩) وقد كانت هذه المجموعة جاءت بطلب من السلطان الناصر محمد قلاوون ولاسيما بعد الأوضاع الحرجة التي كانت تمر بها دولة المغول الايلخانيين وطلبهم المساعدة من الناصر اشترط عليهم إرسال مجموعته من المغول كرهائن عنده لإرسال الجيش وتقديم المساعدة ولما وصلوا بقى هؤلاء في مصر إلا أن وفاة السلطان حالت من دون إرسال الجيش^(١١٠).

كان وفود الجماعة المغولية سنة (١٣٤٠هـ/١٣٤٠م) يعتبر ربما نهاية قدوم الوافدية الى مصر طيلة عهد الدولة المملوكية الأولى كما اننا لم نجد أي أشارات أو نصوص تأريخيه تشير إلى وجود هجرات مغولية جاءت بعد سنة (١٣٤١هـ/١٣٤١م) وقد نلاحظ ان لهذه الجماعات التي وفدت الى مصر ادوار في شتى الجوانب سواء كانت السياسية أو العسكرية أو الاجتماعية فمن الناحية السياسية والعسكرية نجد ان عناصر الوافدية قد دخلوا في سلك الجيش وشكلوا فرقا عسكريا هذا فضلا عن وصول بعضهم إلى المناصب القيادية إما من الناحية الاجتماعية فنجد ان تأثيرهم لا يقل أهميه عن تلك الجوانب وقد أشار أحد الباحثين المحدثين إلى ان عهدهم قد شكل زيادة وأرتفاع في نسب أعداد السكان في مصر إذ أن قدومهم مع طوائف أخرى وكذلك أعدادهم الضخمة قد شكلت أرتفاع ملحوظ في أعداد السكان^(١١١).

الخلاصة

بدء دخول عناصر المغول إلى مصر في عهد الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٨م) وكانت هذه الوفود قد استقبلت بالإحسان حتى سألهم ذلك الاحسان والإكرام بوفود عناصر أخرى من المغول .
ان عهد الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٨م) قد شهد اكبر هجرات مغولية فضلا عن عهد السلطان كتبغا (٦٩٤-٦٩٦هـ/١٢٩٦-١٢٩٨م) وكان

الظاهر بيبرس قد تخوف من تلك الهجرات في بعض الأحيان وسعى إلى عزلها عن المجتمع ومراقبتها .

ان الهجرات المغولية قد أستمريت حتى سنة (١٣٤١هـ/١٣٤١م) والتي انتهت بذلك الهجرات ويعود السبب إلى انشغال الدولتين بالأوضاع الداخلية لكل منهما كما ان الوفود المغولية قد اختلفت من جماعات هاربه من وجه المغول وكذلك جماعات أخرى أرسلت كهدايا ضمن السفارات التي أرسلت الى المماليك .

اختلفت الأسباب التي دفعت عناصر المغول إلى الوفود إلى مصر من أسباب سياسيه وهي الصراعات التي كانت تخوضها دول المغول وأسباب دينيه إلا وهي أسلام المغول وأرتباط بعضهم بعلاقات وديه مع المماليك وأسباب اقتصاديه وهي ما أصاب دول المغول من قحط وأمراض وغيرها وكذلك أسباب أخرى كان تكون حاجة المماليك إلى إعداد الجيوش وكذلك ما وصل إليه المغول من مكانه دفعتهم إلى استقدام أقاربهم وغيرها من الأسباب .

أن أكثر الهجرات والوفود المغولية التي وصلت إلى مصر قد دخلت في الاسلام وعلى الرغم من ان بعض هذه الوفود لم تدخل في الاسلام فور وصولها إلا ان تعايشهم في المجتمع الاسلامي قد دفعهم إلى اعتناق الاسلام والتطبع بطبائعه والالتزام به.

Abstract

The subject of the Allowavdi Mongols in the Memalik Navy age was more important in the history of Egypt in general ,and on history of the marine Memalik state as particularly so because have occupied these communities of important roles in the events and history of the state Memalik has seen the seventh century AH / thirteenth century abandoned of communities and large groups of Mongols came from multiple sides came , so from the State of the Mongols Alaakhanin, some of them point of the Mongols Al-Qafjaq ,whatever the case is, these migrations have entered into Egypt and were received by the Memalik sultans and

honor exaggerated even contributed honor and charity in the continuation of these migrations as the migrations and the delegations, which entered the mostly came away from the Mongols as a lot of Allowavdis have received regions and salaries in the state of Memalik.

الهوامش :

(١)- الفيروز ابادي ، مجد الدين بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م) ، القاموس المحيط ، تنقيح ابي الوفاء الهوريني المصري الشافعي ، مراجعه انس محمد الشامي ، زكريا جابر احمد ، (دار الحديث : القاهرة) ، ص ١٧٦٧-١٧٦٨ .

(٢)-المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تصحيح محمد مصطفى زياده ، ط ٢ ، (مؤسسة مصطفى زياده : القاهرة ، ١٩٠٦م) ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ٨ .

(٣)-المنصوري ، ركن الدين بيبيرس الدوادار (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٦م) ، زبدة الفكره في تاريخ الهجرة ، تحقيق دونالد س . ريتشاردز ، ط ١ ، (مطبعة ومؤسسة حبيب درغام : بيروت ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ، ص ٨٤ .

(٤) - مير خواند ، مير محمد بن سيد برهان الدين خواننده شاه (ت ٩٠٣هـ/١٤٩٧م) ، تاريخ روضة الصفا ، (خيام جاب بيروز : طهران ، ١٣٣٩هـ) ، ج ٥ ، ص ٢٦٨-٢٦٩ ؛ الصياد ، فواد عبد المعطي، المغول في التاريخ ، (دار النهضة العربية للطباعة : بيروت ، ١٩٨٠م) ، ج ١ ، ص ٣٢٢-٣٢٣.

(٥)-رشيد الدين ، فضل الله الهمذاني(ت ٧١٧هـ/١٣١٨م) ، جامع التواريخ ، ترجمة محمد صادق نشأت ، محمد موسى هندايي ، فواد عبد المعطي الصياد (دار احياء الكتب العربية : القاهرة) ، م ٢ ، ج ١ ، ص ٣٣٢ ؛ الصياد ، المغول في التاريخ ، ج ١ ، ص ٣٢٢-٣٢٣ .

(٦) - رشيد الدين ، المصدر نفسه ، م ٢ ، ج ١ ، ص ٣٣٢ .

(٧) -المنصوري ، زبدة الفكره ، ص ٨٢-٨٣ ؛ الصياد ، المغول في التاريخ ، ج ١ ، ص ٣٢٢-٣٢٣.

(٨) - شبولر ، برتولد ، العالم الإسلامي في العصر المغولي ، ترجمة خالد أسعد عيسى ، (دار حسان للطباعة والنشر: دمشق، ١٤٠٢هـ) ، ص ٥٣

- (٩) - المنصوري ، زبدة الفكره ، ص ٨٤ ؛ الدوداري ، ابي بكر عبد الله بن ايبك ، كنز الدرر وجامع الغرر المعروف الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق هانس روبرت رويمر ، (المعهد الالمانى للآثار : القاهرة) ، ج ٨ ، ص ٩٠-٩١ .
- (١٠) - البديسي ، شرف خان ، شرفنامه ، ترجمه محمد علي عوني ، يحيى الخشاب ، (دار احياء الكتب العربيه ، ١٩٦٢م) ، ج ٢ ، ص ٣٠ .
- (١١) - الدوداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، ج ٩ ، ص ٩-١١ .
- (١٢) - الدوداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، ج ٩ ، ص ٣٤٧-٣٤٩ ؛ المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ٢٩٩ .
- (١٣) - المنصوري ، بيبرس (ت٧٢٥هـ/١٣٢٧م) ، التحفه الملوكيه في الدولة التركيه (تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨-٧١١هـ) ، تقديم عبد الحميد صالح حمدان ، ط ١ ، (الدار المصرية اللبنانية : القاهرة ، ١٤٠٧ هـ) ، ص ٧٨ .
- (١٤) - ابن كثير ، اسماعيل بن عمر القرشي ابو الفداء (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية ، ط ٢ ، (مكتبة المعارف :بيروت ، ١٤١١هـ) ، ج ١٨ ، ص ٣٦ .
- (١٥) - الدوداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، ج ٩ ، ص ١٢٨ .
- (١٦) - الدوداري ،المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ٣٠٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية، ج ١٨ ، ص ٢٠٠ .
- (١٧) - القلقشندي ، ابي العباس احمد بن علي بن احمد (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الاعشى (المطبعة الاميرية : القاهرة ، ١٣٣٤هـ/١٩١٥م) ، ج ٤ ، ص ٤٥٨ .
- (١٨) - شبولر ،العالم الإسلامي في العصر المغولي ،، ص ٣٩ .
- (١٩) -العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) ، مسالك الابصار في ممالك الامصار (ممالك الشرق الاسلامي والترك ومصر والشام والحجاز) ، تحقيق كامل سلمان الجبوري ، (دار الكتب العلمية : بيروت ، ١٩٧١م) ، ج ٣ ، ص ١٤٦ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٤٥٨ .
- (٢٠) - العمري ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، ج ٣ ، ص ١٤٦ .
- (٢١) - القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٤٥٨ .
- (٢٢) - المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٩٤٢ .

- (٢٣) - العمري ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، ج٣ ، ، ص١٤٦ ؛ قاسم ، قاسم عبده ، علي ، علي السيد ، الايوبيين والمماليك التاريخ السياسي والعسكري ، (عين للدراسات والنشر : القاهرة) ، ص١٥٩ .
- (٢٤) - المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج٢ ، ق١ ، ص٢٥٤ .
- (٢٥) - المقرئزي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ق٢ ، ص٥١٥ .
- (٢٦) - العمري ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، ج٣ ، ، ص١٤٦ ؛ زغلول ، سعد ، الاسلام والترک في العصر الاسلامي والوسيط ، مجلة عالم الفكر ، (الكويت ، ١٩٧٩) ، المجلد العاشر ، العدد الثاني ، ص٤٣٧ .
- (٢٧) - المنصوري ، التحفة الملوکية ، ص٤٧-٤٨ .
- (٢٨) - الجوزجاني ، منهاج السراج ابي عمر منهاج الدين (ت بعد ٦٥٨هـ/١٢٦٠م) ، طبقات ناصري ، ترجمة وتقديم ملکه علي التركي ، (المركز القومي : القاهرة ، ٢٠١٢ م) ، ج٢ ، ص٢٠٦-٢٠١٢ .
- (٢٩) - ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٦م) ، تاريخ الملك الظاهر ، اعتناء احمد حطيط ، (المعهد الالمانی للابحاث الشرقية : بيروت ، ١٤٠٣هـ) ، ص٣٣٤ ؛ المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، ق٢ ، ص٥١١-٥١٥ .
- (٣٠) - المنصوري ، زبدة الفکره ، ص٨٤ .
- (٣١) - الجوزجاني ، طبقات ناصري ، ج٢ ، ص٢٢٦-٢٢٧ .
- (٣٢) - المنصوري ، زبدة الفکره ، ص٨٤ ؛ النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٤م) ، نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق نجيب مصطفى فواز ، حکمت کشلي فواز ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م) ، ج٣٠ ، ص٣٨ .
- (٣٣) - الصياد ، المغول في التاريخ ، ج١ ، ص٣٢٢-٣٢٣ .
- (٣٤) - المنصوري ، زبدة الفکره ، ص٨٢ .
- (٣٥) - الغياثي ، عبدالله (كان حيا سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦م) ، التاريخ الغياثي ، تحقيق طارق الحمداني ، (مطبعة اسعد : بغداد ، ١٩٧٥م) ، ج٥ ، ص٤٩-٥١ .
- (٣٦) - الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، ج٨ ، ص٣٦١ ؛ نوار ، صلاح الدين محمد ، الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية والعمرانية في عصر دولة المماليك البحرية (٦٥٨-٧٨٣هـ) ، (مكتبة المعارف : الاسكندرية) ، ص١٩-٢٣ .

- (٣٧) - رشيد الدين ، جامع التواريخ(تاريخ غازان خان) ، ص ٣٩٧ .
- (٣٨) - عبد الحليم ، رجب محمد ، انتشار الاسلام بين المغول ، (دار النهضة العربية: القاهرة) ، ص ١٨٩-١٩١ ؛ بدر ، مصطفى طه ، مغول ايران بين المسيحية والاسلام ، (دار الفكر العربي : القاهرة) ، ص ١٥ .
- (٣٩) - رشيد الدين ، جامع التواريخ(تاريخ غازان خان) ، ص ٣٠٣ .
- (٤٠) - المنصوري ، التحفة الملوكية في الدولة التركية ، ص ١٤٦ ،
- (٤١) -المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، تحقيق محمد زينهم ، مديحه الشرقاوي ، ط ١ ، (مكتبة مدبولي : القاهرة ، ١٩٩٨ م) ، ج ٢ ، ص ٤١٣ .
- (٤٢) - المقريزي ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٣٧-٦٣٨ .
- (٤٣) - المنصوري ، زبدة الفكره ، ص ٣٠٩-٣١٠ .
- (٤٤) - المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٨١٢
- (٤٥) - ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ .
- (٤٦) - المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ٢٧٣ .
- (٤٧) - الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، ج ٩ ، ص ٣٨١ .
- (٤٨) - المنصوري ، زبدة الفكره ، ص ٨٥ ؛ الزهاوي ، عباس عبد الستار عبد القادر ، اباقا خان والسياسة الداخلية والخارجية للدولة الايلخانية في عهده (٦٦٣-٦٨٠هـ/١٢٦٥-١٢٨٢م) ، (جعفر العصامي للطباعة : بغداد ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م) ، ص ١٥٥-١٥٦
- (٤٩) - العمري ، مسالك الابصار ، ج ٣ ، ص ١٤٦-١٤٧ .
- (٥٠) - البهادرية ، فرقه في الجيش كانت خاصه بالخان وبهادر كلمه مغولية معناها مبارز شجاع وكانت هذه الفرقة تختص بخدمة الخان ومعسكره ولا تخرج للحرب الا اذا كان الخان نفسه على راس جيشه كما نلاحظ ان هذه الفرقة قد اوكلت اليها مهام اخرى منها النظر في ادق التفاصيل الخاصة بمعسكر الخان . انظر : العمري ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، ج ٣ ، ص ١٠٢ .
- (٥١) - المقريزي ، الخطط المقريزيه ، ج ٢ ، ص ٦٣٦-٦٣٧ .
- (٥٢) - المقريزي ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٣٦-٦٣٧ .
- (٥٣) - الدواداري ، كنز الدرر ، ج ٨ ، ص ٩٠-٩١ .

- (٥٤) - المقرئزي ، الخطط المقرئزيه ، ج ٢ ، ص ٦٣٧.
- (٥٥) - ابن شداد ، تاريخ الملك الظاهر ، ص ٣٣٧ ؛ عبد الدايم ، عبد العزيز محمود ، مصر في عصري الممالك والعثمانيين ، (دار نهضة الشرق : القاهرة) ، ص ٦٦.
- (٥٦) - النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج ٣١ ، ص ٣٨ ؛ اليافعي ، ابي محمد عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان المكي اليمني (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) ، مرآة الزمان وعبرة اليقضان في معرفه ما يعتبر من حوادث الزمان ، وضع حواشيه خليل منصور ، ط ١ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ) ، ج ٤ ، ص ١٢١ ؛ العبادي ، احمد مختار ، تاريخ الايوبيين والمماليك ، (دار النهضة العربية للطباعة : بيروت ، ١٩٩٥م) ، ص ١٨٥.
- (٥٧) - المنصوري ، زبدة الفكره ، ص ٨٤-٨٥ .
- (٥٨) - البويني ، قطب الدين ابو الفتح موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٧م) ، ذيل مرآة الزمان ، ط ٢ ، (دار الكتاب الاسلامي: القاهرة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، ج ٢ ، ص ١٩٥ ؛ شلبي ، محمود ، حياة الملك الظاهر بيبيرس (الاسد الضاري قاهر التتار ومدمر الصليبيين) ، ط ١ ، (دار الجبل : بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ، ص ١٧١-١٧٣ .
- (٥٩) - المقرئزي ، الخطط المقرئزيه ، ج ٢ ، ص ٦٣٧.
- (٦٠) - ابن شداد ، تاريخ الملك الظاهر ، ص ٣٣٤ ؛ المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥١١-٥١٥ .
- (٦١) - العيني ، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) ، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، ط ٢ ، (دار الكتب والوثائق القومية : القاهرة ، ٢٠١٠م) ، ج ٤ ، ص ٩٤.
- (٦٢) - سميصات او سميساط مدينه على شاطئ الفرات من طرف بلاد الروم على غربي الفرات ولها قلعه في شق منها يسكنها الارمن . انظر : ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبدالله بن عبدالله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) ، معجم البلدان ، (دار صادر : بيروت ، ١٣٩٧هـ) ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ .
- (٦٣) - الاردوا ، لفظ مغولي معناه المعسكر او معسكر الخان ويستخدم للدلالة على معسكر ايلخان الدولة المغولية بفارس وكذلك يعرف ايضا بالجيش . انظر : دهمان ، محمد احمد ، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، (دار الفكر المعاصر ، بيروت) ، ص ١٤.
- (٦٤) - التحفه الملوكية ، ص ٧٨
- (٦٥) - المنصوري ، زبدة الفكره ، ص ٢٢٩ .

- (٦٦) - الدواداري ، كنز الدرر ، ج ٨ ، ص ١٨٨-١٨٩ .
- (٦٧) - تاريخ الملك الظاهر ، ص ٣٣٧ .
- (٦٨) - كنز الدرر ، ج ٨ ، ص ٢٤٨ .
- (٦٩) - الدواداري ، المصدر نفسه ، ج ٨ ، ص ٢٤٨ .
- (٧٠) - النويري ، نهاية الارب ، ج ٣١ ، ص ٥٨-٥٩ ؛ المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٧٠٨-٧٠٩ .
- (٧١) - المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٧١٢ ؛ العريني ، الباز ، الممالك ، (دار النهضة العربية: بيروت) ، ص ٦١ .
- (٧٢) - المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٧٢٣ .
- (٧٣) - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٧ ، ص ٦٥٤ ؛ العريني ، الممالك ، ص ٦١ .
- (٧٤) - المنصوري ، زبدة الفكره ، ص ٣٠٩-٣١٠ ؛ محمود ، علي السيد علي ، الهجرات المغولية الى مصر واثارها الثقافية والاجتماعية في مصر ، بحث منشور في مجلة المؤرخ المصري ، (جامعة القاهرة : القاهرة ، ١٩٩٥م) العدد ١٥ ، ص ٤٢ .
- (٧٥) - المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٨١٢ .
- (٧٦) - المنصوري ، زبدة الفكره ، ص ٣٠٩-٣١٠ ؛ ابن حبيب ، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) ، تذكرة النبيه في ايام المنصور وبنيه ، تحقيق محمد محمد امين ، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور ، (مطبعة دار الكتب : القاهرة ، ١٩٧٦م) ، ج ١ ، ص ١٨٥ ؛ ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم (٨٠٧هـ / ١٤٠٥م) ، تاريخ ابن الفرات ، تحرير محمد بن حسن الشماع ، (مطبعة حداد : ١٩٧٥م) ، ج ٨ ، ص ٢٠٣-٢٠٤ ؛ مختار ، محمد باشا ، التوقيقات الالهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنيين الافرنكية والقبطية ، ط ١ ، (مطبعة بولاق : مصر ، ١٣١٦هـ) ، ص ٣٤٨ .
- (٧٧) - المنصوري ، زبدة الفكره ، ص ٣١٠ ؛ الجزري ، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر القرشي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٩م) ، المختار من تاريخ ابن الجزري المسمى بحوادث الزمان وانبائه ووفيات الاعيان من ابناءه ، اختيار شمس الدين الذهبي ، تحقيق خضير عباس محمد خليفه المنشداوي ، ط ١ (دار الكتاب العربي : بيروت ، ١٤٠٨هـ) ، ص ٣٧٥-٣٧٦ .
- (٧٨) - المنصوري ، زبدة الفكره ، ص ٣١٠ ؛ حميدي ، فتحي سالم ، فائز علي بخيت ، الممالك الجلبان ودورهم في الاوضاع الداخلية للدولة المملوكية ٦٧٨-٩٢٢هـ/١٢٧٩-١٥١٦م ، بحث

- منشور في مجلة ابحاث كليه التربية الاساسية (جامعة الموصل : ٢٠٠٩ م)، المجلد ٨ ، العدد ٤ ، ص٢٦٨ .
- (٧٩) - المنصوري ، المصدر نفسه ، ص٣٠٩-٣١٠ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج٣١ ، ص١٨٨ .
- (٨٠) - المنصوري ، المصدر نفسه ، ص٣٠٩-٣١٠ ؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج١ ، ص١٨٥ .
- (٨١) - ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج٨ ، ص٢٠٣ ؛ المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٨١٢ .
- (٨٢) - المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٨٧٤-٨٧٥ .
- (٨٣) - المنصوري ، زبدة الفكره ، ص٣١٩ .
- (٨٤) - المنصوري ، التحفه الملوكية ، ص١٥١ .
- (٨٥) - المنصوري ، زبدة الفكره ، ص٣١٩ ؛ النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج٣١ ، ص٢٣٦-٢٣٧ .
- (٨٦) - المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٩٤٢ .
- (٨٧) - آمد ، وهي بلد قديم حصين مبني بالحجارة السود وهي اعظم مدن ديار بكر واجلها قدرا واشهرها وتقع مدينة آمد في الاقليم الخامس .، انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٥٦ .
- (٨٨) - الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، ج٩ ، ص١١٣ .
- (٨٩) - المنصوري ، التحفه الملوكية في الدولة التركية، ص١٧٥ ، المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، ق٣ ، ص٩٥٠ .
- (٩٠) - المقرئزي ، الخطط المقرئزية ، ج٢ ، ص٦٧٩ .
- (٩١) - المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج٢ ، ق١ ، ص٥ .
- (٩٢) - المقرئزي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ق١ ، ص٥ .
- (٩٣) - الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، ج٩ ، ص١٢٨ .
- (٩٤) - المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج٢ ، ق١ ، ص١٧٤ .
- (٩٥) - الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، ج٩ ، ص٢٠٣-٢٠٤ .
- (٩٦) - ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتاكي (ت١٨٧٤هـ/١٣٧٢م)، الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، (مطبعة الخانجي : القاهرة ، ١٣٧٥هـ) ، ج٢ ، ص٥٥١ .

- (٩٧) - المقرئزي ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٨٨ .
- (٩٨) - المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ٢٣٦ .
- (٩٩) - ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن احمد (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) ، الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ، (دار احياء التراث العربي : بيروت) ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ .
- (١٠٠) - المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ٢٧٣ .
- (١٠١) - ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .
- (١٠٢) - الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، ج ٩ ، ص ٣٤٧-٣٤٩ ؛ البديسي ، شرفنامه ، ج ٢ ، ص ٣٠ ، المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ٢٩٩ .
- (١٠٣) - البديسي ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٠ ؛ موير ، وليم ، تاريخ دولة المماليك في مصر ، ترجمة محمود عابدين ، سليم حسن ، ط ١ (مكتبة مدبولي : القاهرة ، ١٤١٥هـ) ، ص ٩٠ .
- (١٠٤) - الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر ، ج ٩ ، ص ٣٤٧-٣٤٨ ؛ المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ٣٩٩-٣٩٣ .
- (١٠٥) - المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ٣٩٩-٣٩٣ .
- (١٠٦) - البديسي ، شرفنامه ، ج ٢ ، ص ٣٠ .
- (١٠٧) - الدواداري ، كنز الدرر ، ج ٩ ، ص ٣٦١ ؛ نوار ، الطوائف المغولية في مصر ، ص ٤٧ .
- (١٠٨) - المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ٥١٥-٥١٦ .
- (١٠٩) - ابن قاضي شهبه ، تقي الدين ابي بكر بن احمد الاسدي الدمشقي (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٧م) ، تاريخ ابن قاضي شهبه ، تحقيق عدنان درويش ، (المعهد الفرنسي للدراسات العربية : دمشق ، ١٩٩٤م) ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٢٩ .
- (١١٠) - ابن قاضي شهبه ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٣٠ .
- (١١١) - قاسم ، قاسم عبده ، عصر سلاطين المماليك ، ط ١ (دار الشروق : القاهرة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) ، ص ٥٧-٥٨ .

**فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية
في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).**

**أ. م. د. سميرة عبد الرزاق عبد الله
ضحى عادل سلمان**

كلية تربية للبنات / جامعة بغداد

فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية
السادسة (٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).

أ. م. د. سميرة عبد الرزاق عبد الله
ضحى عادل سلمان

المقدمة :

عد فؤاد سراج الدين أصغر وزير في تاريخ مصر الحديث والمعاصر ومن
ابرز الساسة المصريين في العقد الاخير من العهد الملكي أذ أستطاع أن يشغل
مناصب وزارية مهمة في الوزارة الوفدية السادسة كان ابرزها وزارة الداخلية والشؤون
الاجتماعية في آن واحد ومن هنا جاء اختيار الباحثة لعنوان البحث ليسلط الضوء على
انجازات فؤاد سراج الدين خلال الحقائب الوزارية التي شغلها .

تألف البحث من مقدمة ومحورين وخاتمة تناول المحور الاول نشأة فؤاد سراج
الدين ونشاطه السياسي حتى عام ١٩٤٢ وأما المحور الثاني فقد سلطنا الدراسة على
تولية منصب وزارة الداخلية والشؤون الاجتماعية في الثاني من حزيران ١٩٤٣ حتى
الثامن من تشرين الاول ١٩٤٤

اولاً: نشأة فؤاد سراج الدين ونشاطه السياسي حتى عام ١٩٤٢ .

ولد محمد فؤاد سراج الدين في الثاني من تشرين الثاني عام ١٩١٠^(١) ، في
كفر الجرايدة مركز بيلا بمحافظة كفر الشيخ^(٢) ، وكان جده شاهين عمدة قرية بهوت
والتي كانت تقع على بعد خمسة أميال من كفر الجرايدة ، أما والده فهو سراج الدين
شاهين المولود في العام ١٨٧٩ كان من كبار ملاك الاراضي الزراعية ومن باشوات
مصر^(٣) .

كانت والدته نبيهة عاشور الب دراوي^(٤) التي عدت عائلتها من اكبر العوائل من
ملاكي الأراضي إذ كانت تملك أكثر من ستة وثلاثين الف فدان موزعة على مراكز
المحافظة في نبروة وشربين وبلقاس إذ جاءت ممتلكات عائلة الب دراوي بعد ممتلكات
العائلة المالكة^(٥) عدّ فؤاد سراج الدين الابن الأول من الذكور بعد اختين أكبر

فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).....

منه، وأشقاؤه هم جميل وعبد الحميد وياسين وسامي وزكي^(٦)، اكمل فؤاد سراج الدين دراسة الابتدائية^(٧) في المدرسة النصرية^(٨)، ثم التحق بالمدرسة الثانوية السعدية، فاصبح ذو ميول وفدية إذ اشترك في أثناء وجوده في هذه المدرسة مع مجموعة من الطلبة في نشاطات حزب الوفد الطلابية فقام بتوزيع الكتيبات والنشرات الصادرة عن حزب الوفد، في حين كان والده الذي تربطه علاقة صداقة بالملك فؤاد مؤيداً لسياسة القصر^(٩)، ولاسيما وأن والده اصبح عضواً في مجلس الشيوخ عام ١٩٢٤ و ١٩٢٥، ١٩٣١^(١٠). بعد تخرج فؤاد سراج الدين من الجامعة عام ١٩٣٢ تدرب في مكتب المحامي حسن علام الذي كان صديق لوالده وراح يتمرن في مكتبة، وفي احد الايام اخلت اليه احدى القضايا، الان فؤاد سراج الدين أخفق في المرافعة، فحكم على المتهم بالسجن، فقالوا أصحاب القضية نحن موكلين حسن علام تأتون بمحامي صغير حبس الرجل، فتألم فؤاد سراج الدين وعاد المنزل وهو حزين، فسأله والده عن سبب حزنه، فأجابه بما حدث في المحكمة، فطلب منه والده أن يترك المحاماة ويلتحق بالنيابة^(١١).

احترم فؤاد رغبة والده وتقدم في عام ١٩٣٢ للتعيين في النيابة ولكنه صمم على الهرب من النيابة باية وسيلة، وتعتمد إسقاط نفسه في الكشف الطبي، وزعم أنه لا يرى العلامات الموضوعية، فالعلامة المتجه إلى اعلى يقول تحت والعكس صحيح، ولكنه فوجئ بما لم يتوقعه فقد جاءت تأشيرة على أوراقه من مكتب النائب العام تقول أن يذهب إلى الكشف الطبي لعمل نظارة طبية، ويعاد الكشف عليه مرة أخرى، فلم يستطيع فؤاد الفرار واستسلم لمصيره وتم تعيينه في الإسكندرية، وحاول والده إقناعه بان يكون تعيينه في القاهرة، لكونه من الأوائل على دفعته في الكلية، الأمر الذي يسمح له بان يكون تعيينه في القاهرة، بيد أن فؤاد اصر على البقاء في الإسكندرية، وقال لوالده "ما لها الإسكندرية أنها مدينة جميلة والحمد لله إنني لم اذهب إلى الصعيد"، وبعد هذه المناقشة وعده والده بان يتركه في حالة، ولكن تعيينه في الإسكندرية لم يرق لخاله محمد البدرائي، فتدخل في الموضوع وسأل والد فؤاد عما جرى، فاكد له بأنه وعده بعدم السعي في نقله، فرد محمد البدرائي قائلاً "أما أنا لم اعده بشيء"^(١٢).

فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).....

واتصل خاله بوزير العدل علي ماهر^(١٣) ، الذي كانت تربطه علاقة صداقة معه ، وأخبره أن فؤاد سراج الدين مقيم بالقاهرة وهو من الخرجين المتقدمين ، وتم نقله إلى القاهرة. ولم يطل عمل فؤاد سراج الدين بالنيابة طويلاً بعد وفاة والده عام ١٩٣٤ مباشرة قام بتقديم استقالته من النيابة^(١٤) .

قدم فؤاد سراج الدين استقالته من النيابة العامة بعد وفاة والده عام ١٩٣٤ ، وفضل أن يدير شؤون عائلته ، ويأمر بإدارة أراضيه التي ورثها عن والده والبالغة خمسمائة فدان ، وبذلك فضل حياة الريف على العيش في القاهرة ، والمضيافة والعزبة على القصر في جاردن سيتي وعلى مكتبة النيابة بين القضاء والمحامين^(١٥) ، وفي غضون ذلك اتجه حزب الوفد للعمل على ضم عدد من كبار ملاكي الأراضي في محاولة للحصول على مصادر مالية لتمويل النشاط السياسي للحزب^(١٦) .

ففي العام ١٩٣٥ زار مكرم عبيد^(١٧) سكرتير عام حزب الوفد قرية الجرايدة، فرحب به فؤاد سراج الدين ، وعمل له استقبلاً شعبياً، ثم ألقى مكرم عبيد خطاباً سياسياً في منزل فؤاد سراج الدين ، بعدها جرى حديث بين الطرفين، إذ طلب مكرم عبيد من فؤاد الانضمام إلى حزب الوفد فاعرب الأخير عن شكره و وافق على الانضمام ورحب بدعوته، إذ كان مكرم عبيد بعيد النظر فقد رأى في شخص فؤاد سراج الدين بانه شاب له مقومات تسمح له أن يعمل في السياسة ، وكان والده يشغل مقعد في البرلمان بذلك من الضروري كسب هذا العنصر لان من الممكن أن يفكر بترشيح نفسه أو ينظم لأي حزب آخر^(١٨) .

على اثر ذلك قدم فؤاد سراج الدين طلب للانضمام إلى الهيئة الوفدية عام ١٩٣٥ عن طريق مكرم عبيد سكرتير^(١٩) وفي غضون مدة قصيرة توطدت العلاقة بينهما، واصبح الاثنان على اتصال دائم حتى أن مكرم عبيد طلب من فؤاد سراج الدين شراء أرض زراعية له ،تكون قريبة من أرض فؤاد ويشرف عليها ، وبالفعل اشترى فؤاد سراج الدين أرضاً قريبة من أرضه لعبيد كان يرغب بشرائها لنفسه ، وسعى مكرم عبيد لتقديم فؤاد سراج الدين الى مصطفى النحاس^(٢٠) . فقد اصطحبه معه في أوائل العام ١٩٣٦ إلى منزل مصطفى النحاس في مصر الجديدة ، وقدمه إليه ، فكان أول لقاء بين مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد وفؤاد سراج الدين^(٢١).

كلف الملك فؤاد يوم الثلاثين من كانون الثاني عام ١٩٣٦ رئيس الديوان الملكي علي ماهر تأليف وزارة لإجراء انتخابات حرة في أيار عام ١٩٣٦ ، والسماح لعودة الحياة النيابية، وفتح باب المفاوضات مع بريطانيا^(٢٢).

فوجئ فؤاد سراج الدين بحزب الوفد يرشحه في الانتخابات القادمة ، فقد طلب منه مكرم عبيد، سكرتير عام حزب الوفد، اتخاذ الإجراءات القانونية لتصحيح سنه ، ليتسنى له الترشيح لمجلس النواب ، وكان من شروط الترشيح أن يكون سن النائب ثلاثين عاماً على الأقل^(٢٣) ، لكن الحقيقة الثابتة هي إن فؤاد سراج الدين من مواليد ٢ تشرين الثاني عام ١٩١٠ ، ومثبته في دفتر مواليد كفر الجرايدة ودفتر التطعيم والقوائم الرسمية لعام ١٩٢١^(٢٤). ورأى حزب الوفد أن فؤاد سراج الدين المرشح الأفضل عن دائرة "بلقاس"^(٢٥) التي تقع فيها بلدة كفر الجرايدة ، لاسيما أن والده كان يمثل تلك الدائرة في البرلمان ، فكان ترشيحه خلفاً له أمراً منطقياً ، ولكن مشكلة السن كانت العقبة أمام ترشيحه ، كان عمره وقتها طبقاً لشهادة الميلاد الرسمية ستة وعشرين عاماً^(٢٦).

وتغلب فؤاد سراج الدين على هذه المشكلة بإجراءات قانونية سليمة إذ كان ذلك من عادات الريف في ذلك الوقت تأخير تسجيل سن المولود وربما كان ذلك من باب التفاؤل ، وعندما قام والده بتسجيل آخر أخوته وهو سامي اكتشف انه نسي تسجيل ابنه زكي الذي ولد قبل سامي بعامين ، فقام بتسجيله أولاً وبعد عشر أيام قام بتسجيل أصغر أبنائه سامي ، وهكذا بدأ الأمر وكأن الفارق بين الأخوين عشرة أيام فقط ، وهذا بالطبع امر مستحيل ، وكانت هذه النقطة لصالح فؤاد سراج الدين إذ ساعدته في تحقيق هدفه . جاء الأمر الثاني لصالحه والذي أكد عدم دقة شهادة الميلاد التي سجلها أبوه لأبنائه هي شهادة عم والده وآخرين من البلدة ذهبوا لتهنئة والده سراج الدين شاهين بربته البكوية وولادة أول مولود ذكر له في الوقت ذاته، وكان ذلك في السادس من كانون الثاني عام ١٩٠٦ ، مما يعني أن فؤاد سراج الدين من مواليد هذا التاريخ ، وقد تأخر تسجيله اربع سنوات كاملة ، وعندما تم عرض هذه المعلومات والأدلة على نيابة مديرية شربين اقتنع وكيل النيابة بها ، ثم جاء تقرير كبير الأطباء الشرعيين لصالحه ، وأصدرت محكمة مديرية شربين قرار بتغيير سنه ليصبح من مواليد السادس من كانون

فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).....

الثاني عام ١٩٠٦ بدلاً من الثاني من تشرين الأول عام ١٩١٠ ، وهكذا تمكن فؤاد سراج الدين من ترشيح نفسه في البرلمان عن دائرة بلقاس^(٢٧) .

وفي اليوم السابع من أيار ١٩٣٦ انتخابات مجلس النواب أسفرت عن فوز الوفد بأغلبية ساحقة، في المجلس وقد انتخب فؤاد سراج الدين عضواً في البرلمان بالتركية في انتخابات عام ١٩٣٦ عن دائرة بلقاس واختير أمين لصندوق لجنة الوفد العامة بمديرية الغربية، وفي التاسع من أيار قدم علي ماهر استقالته وزارته إلى مجلس الوصاية^(٢٨) الذي تشكل بعد وفاة الملك فؤاد يوم الثامن والعشرين من نيسان عام ١٩٣٦ وذلك لصغر سن ولي العهد الامير فاروق ، فاصدر المجلس أمر ملكي بقبول الاستقالة وتشكيل مصطفى النحاس وزرته الثالثة في اليوم ذاته^(٢٩) .

ولإنهاء مسؤولية مجلس الوصاية حتى يتولى فاروق سلطاته الدستورية فقد دعا علي ماهر كبير المستشارين الملكيين وطلب رأيه في مسألة سن الرشد المدني للملك فاروق ، كما دعا هيئة مؤلفة من شيخ جامع الأزهر، الشيخ مصطفى المراغي^(٣٠) ورئيس المحكمة الشرعية ومفتي الديار المصرية وطلب منهم رأيهم في السن القانوني للملك فأقرت الهيئة الشرعية ورئيس لجنة قضايا الحكومة إن سن الرشد المدني للملك هي سن الخامسة عشر اعتباراً أن الملك مسلم وأصبح ذا أهلية لتصرفاته الشرعية فله الولاية التامة^(٣١) ، وعلى هذا الأساس قضى مجلس الوصاية تثبيت شرعية إدارته دفعة الحكم لحين إكماله السن القانوني في التاسع والعشرين من تموز عام ١٩٣٧^(٣٢) .

ووفقاً للتقاليد والأعراف الدستورية قدم النحاس استقالته وزارته يوم الحادي والثلاثين من تموز عام ١٩٣٧ ، وفي الأول من آب عام ١٩٣٧ صدر امر ملكي بتأليف مصطفى النحاس وزارته الرابعة^(٣٣)

وفي نهاية تشرين الثاني عام ١٩٣٧ حدث بين الملك فاروق وحكومة الوفد أزمت دستورية كان اهمها^(٣٤) رفض القصر توقيع قانون بفتح اعتماد إضافي سيوجه لتمويل نشاط جماعة القمصان الزرقاء^(٣٥) وزاد من حدة الخلاف بين الملك فاروق والنحاس عندما طلب حل جماعة القمصان الزرقاء بلقاء جمع به في قصر المنتزه في الإسكندرية في السادس والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٣٧ ، وقدم الملك

**فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).....**

مستنداً قانونياً يشير إلى أنّ وجود هذه الفرق يتنافى مع الدستور لكن النحاس لم يستجب للطلب الملكي^(٣٦) .

فصدر أمر ملكي بإقالة الوزارة لابتعادها عن روح الدستور وعدم احترام الحريات العامة فتم إقالتها في الثلاثين من كانون الأول عام ١٩٣٧^(٣٧) ، وكانت القمصان الزرقاء سلاح ذو حدين ، اختار النحاس الحد الذي قضى به على نفسه وحزبه فأقيل أسوأ إقالة في تاريخ الوزارة الوفدية^(٣٨) وعدّ فؤاد سراج الدين إنّ جماعة القمصان الزرقاء التي أنشأها الوفد خطأ لا يمكن إنكاره^(٣٩)

بدأت في وزارة محمد محمود^(٤٠) عام ١٩٣٧ انتخابات عامة كان حزب الوفد حريصاً على نجاح مصطفى النحاس في الانتخابات ، ولكنه شعر ان هناك مؤامرة لإسقاطه في بلده (سنمود) ، فتقدم فؤاد سراج الدين ليحل المشكلة فرشح نفسه في دائرة الزعفران واثقاً أنه لا أحد يتقدم لمنافسته فيها على أن يتقدم النحاس بأوراق ترشيحه في الدائرة نفسها وبعد إقفال باب الترشيح يتنازل له فؤاد سراج الدين لوقف مؤامرة إسقاط النحاس في الانتخابات لكنه لم ينجح إذ سارعت الحكومة فدفعت بعد إغلاق باب الترشيح لشخصين من أجل عدم نجاح النحاس بالتزكية وتمكنوا بذلك من إسقاطه فكان لذلك الموقف الأثر الكبير في التقارب بين النحاس وفؤاد سراج الدين^(٤١) . ولكن بالرغم من هذا التقارب ، إلا أن الأخير لم يظهر على المسرح السياسي لللاحداث الا في بداية شباط ١٩٤٢ عندما طلب الملك فاروق عودة النحاس الى القاهرة، أذا كان في رحلة الى مدينة قنا وفي البداية رفض النحاس العودة إلا أن فؤاد سراج الدين تمكن من اقناعه بالعودة الى القاهرة وتشكيل وزارة برئاسته في ٤ شباط ١٩٤٢^(٤٢) .

ثانياً- فؤاد سراج الدين وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية (٢ حزيران ١٩٤٣ - ٨ تشرين الأول عام ١٩٤٤) .

في بداية آذار عام ١٩٤٢ استدعى مصطفى النحاس رئيس الوزراء فؤاد سراج الدين لمقابلته في فندق مينا هاوس إذ كان يقيم هناك آنذاك ، فابلغه أن عبد السلام جمعة وزير الزراعة سيصبح رئيساً لمجلس النواب ومن ثم سيخلو المنصب وعرض عليه منصب وزير الزراعة ، كانت مفاجأة لفؤاد سراج الدين الذي سارع إلى الاعتذار ، فأبدى رئيس الوزراء استغرابه ، واستفسر عن سبب الرفض فابلغه فؤاد سراج الدين بأنه

فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).....

كان عازماً أن يتوسط لعبد الحميد عبد الحق الذي طلب منه التحدث مع النحاس في موضوع دخوله الوزارة بوصفه وفدياً قديماً ولا يعقل أن يدخل الوزارة بدلاً منه ، لذلك رشح فؤاد سراج الدين عبد الحميد عبد الحق بان يكون وزيراً للزراعة ، بيد أن النحاس اصر على الطلب ، وأمام إصرار سراج الدين على الرفض ، تم الاتفاق على أن يكون فؤاد سراج الدين وزيراً للزراعة ، وفي المقابل وافق النحاس على تعيين عبد الحميد عبد الحق في أول تعديل وزاري قادم ، كان عمر فؤاد سراج الدين آنذاك احدى وثلاثين عاماً ، وبذلك كان أصغر الوزراء سناً في تاريخ مصر الحديث^(٤٣) .

برّ النحاس بوعده ، ففي نيسان من العام نفسه حدث تعديل وزاري جديد وكان من بين الوزراء الجدد أحمد حمزة الذي تولى وزارة التموين ومحمود سليمان غنام وزير التجارة والصناعة وعبد الحميد عبد الحق وزير الشؤون الاجتماعية^(٤٤) ، وفي الحادي والثلاثين من آذار عام ١٩٤٢ صدر أمر تعيين فؤاد سراج الدين وزيراً للزراعة^(٤٥) .

كان من العرف السائد في مصر آنذاك أن يتولى رئاسة وزارة الداخلية رئيس الوزراء، ولكن بسبب كبر سن النحاس وتدهور صحته الامر الذي أقعده عن الاضطلاع بمهام الحكم بما تقتضيه طبيعة تلك الوزارة من التنظيم والحكمة في اتخاذ القرارات^(٤٦)، أجرت وزارة النحاس تعديلاً وزارياً في الثاني من حزيران عام ١٩٤٣ ، تم تعيين فؤاد سراج الدين وزيراً للداخلية مع قيامه مؤقتاً بأعمال وزارة الشؤون الاجتماعية^(٤٧) .

وفي اليوم التالي توجه فؤاد سراج الدين إلى مكتبته في وزارة الزراعة إذ نظر في جميع المسائل المعروضة عليه ، واستقبل عدد من كبار موظفي وزارة الزراعة وودعهم شاكرًا مساعدتهم له ، ثم جمع أوراقه الخاصة ، وقدم كبار موظفي الوزارة إلى وزير الزراعة الجديد مصطفى نصرت ، ثم توجه إلى وزارة الداخلية والشؤون الاجتماعية^(٤٨) ، وابدأ فؤاد سراج الدين سعادته من أن يجمع بين وزارتي الداخلية والشؤون الاجتماعية ، واعرب عن استعداده في إعداد البرامج للنهوض والإصلاح ، وأنه سيكون في وزارة الشؤون الاجتماعية خادماً للعمال والفلاحين معاً والعناية في خدمة هذه الطبقة العاملة^(٤٩) .

**فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).....**

بدأ فؤاد سراج الدين عهد وزارته بإنشاء إدارة التفتيش العام ، وهي أن يكون المفتشون عيوناً للوزير وأداة سريعة وثقة لاستطلاع أحوال الأقاليم في جميع أنحاء مصر والإشراف على سير الأمور بها ، إذ تكون الوزارة على اتصال دائم عن طريق التفتيش بما يجري في جميع المديرية والتعرف عن حالة البلاد الحقيقية ويمثل مفتشو الداخلية الوزارة بالأقاليم . وقسم وزير الداخلية فؤاد سراج الدين اختصاص مفتشي الداخلية إلى أربعة اختصاصات ، تعلق الأول بالأمن العام والثاني بالإدارة ، أما الثالث فيتعلق بشؤون الموظفين المدنيين والعسكريين من حيث درجة كفاءتهم واستعدادهم وجهودهم وسلوكهم وظروفهم وإبداء الرأي نحو تثبتهم وتحرير التقارير السرية عنهم ، وتعلق القسم الرابع بمقر إقامة المفتش والتسهيلات التي توفر له لأداء عمله^(٥٠).

أما ما يخص الأمن العام فاختص مفتشو الداخلية بالتفتيش على أعمال الأمن العام ودراسة الحوادث الجنائية وأسبابها ، وما يطرأ عليها من زيادة أو نقص وتتبع وزير الداخلية فؤاد سراج الدين الإجراءات التي يقوم بها رجال الضبط والمباحث في القضايا المهمة وما يبذلونه من مجهود فيها والاطلاع على القضايا المحفوظة والتي حكم فيها بالبراءة ، وتقديم تقارير بملاحظاتهم وتحديد النقص في تحقيقها ، وتقديم الاقتراحات الضرورية لإصلاح الأمن العام في المناطق التي تزيد فيها الحوادث ، ومراقبة الإجراءات التي تتخذ نحو القبض على المتهمين الهاربين والمحكوم عليهم غيابياً والفرارين من السجون ، والبحث عن الأسلحة غير المرخص بها وملاحظة حسن استخدام قوات البوليس^(٥١) (الشرطة) والخفر وتوزيعها طبقاً لحالة الأمن بكل منطقة ، والتفتيش على السجون المركزية وملاحظة العمل فيها وتفقد مراكز نقاط الشرطة في المدن والقرى ، والاهتمام بأحوال البلاد من حيث الخصومات بين الأسر والمنازعات واتخاذ الإجراءات لإزالتها^(٥٢) .

وفي أثناء تولي فؤاد سراج الدين وزارة الداخلية أمر بإطلاق سراح عبد السلام وفا الذي كان يقود المظاهرات أيضاً في بداية شباط ١٩٤٢ أو التي كانت تنادي "إلى الأمام يا رميل ويحيا النحاس" ، وعينه بمرتبة قدره خمسة عشر جنيه في وظيفة على رتب ميزانية مجلس مديرية الشرقية وهو لا يحمل الشهادة الابتدائية ، ثم عين سكرتيراً له بوزارة الشؤون الاجتماعية وبقي سكرتيراً سياسياً إلى أن أُقيمت وزارة النحاس في الثامن

فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).....

من تشرين الأول ١٩٤٤ ، وكان هذا الشخص موظفاً بمصلحة الضرائب من الدرجة التاسعة بمرتب قدره ثلاث جنيهاً، وأنه كان قبل ذلك عاملاً للمساعد بمستشفى القصر العيني^(٥٣) . مما يدل على ان المظاهرات التي حدثت في بدايه شباط ١٩٤٢ لم يقتصر تحريكها من لدن القصر وعلي ما هرفقط , انما شملت حزب الوفد والنحاس لاسقاط وزارة حسين سري .

وفي أثناء تولية فؤاد سراج الدين مهامه في وزارة الداخلية لاحظ بعض التصرفات السياسية من جماعة الإخوان المسلمين^(٥٤) , ومرشدهم حسن البنا^(٥٥) , على الرغم من ما تمتعت به الجماعة في ظل الوزارة الوفدية إذ عاد إصدار صحيفة "الإخوان المسلمون" عام ١٩٤٢ التي كانت تصدر نصف شهرية بعد أن تم إغلاقها في وزارة حسين سري التي أقيلت في الثاني من شباط عام ١٩٤٢^(٥٦) .

وفي الثاني عشر من حزيران عام ١٩٤٣ , قام وفد يضم وزير الداخلية والعمل والشؤون الاجتماعية فؤاد سراج الدين , وعبد الحميد عبد الحق , وزير الأوقاف , وأحمد حمزة , وزير التموين , ومحمود سليمان غنام , وزير التجارة والصناعة , بزيارة المركز الرئيسي لجماعة الإخوان المسلمين بوصفها هيئة دينية , طلبت الجماعة من حكومة الوفد منح قطعة أرض لبناء دار لها , وقام وزير الداخلية فؤاد سراج الدين بزيارة شعبة الإخوان المسلمين بالمنصورة^(٥٧) . ولم يقبل رئيس الوزراء النحاس من حيث المبدأ وجود حزب سياسي يتحدث باسم الدين , فأصدر قرار في أيلول عام ١٩٤٣ بمنع الاجتماعات العامة للإخوان . وبناءً على ذلك استدعى وزير الداخلية فؤاد سراج الدين المرشد العام للإخوان قائلاً: "يا شيخ حسن انا عايز اعرف انتم جماعة دينية ام حزب سياسي , نحن ليس لدينا مانع ابدأ انكم تكونوا حزباً سياسياً , اعلنوا على الملأ انكم بتعملوا بالسياسة وانكم كونتم حزب سياسي , ولا تتستروا بستار الدين , ولا تتخفوا في زي الدين . اما ان تتستروا "الله اكبر والله الحمد" وفي نفس الوقت تقوموا بعمل سياسي وتباشروا السياسة الحزبية فهذا غير معقول , لانه يخل بمبدأ تكافؤ الفرص بينكم وبين الاحزاب السياسية , وانا كرجل سياسي حزبي لا استطيع ان اهاجم جماعة دينية تنادي بشعارات دينية سامية , والا سأكون محل استنكار من الرأي العام"^(٥٨) .

فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).....

فرد الشيخ البنا قائلاً : "نحن لم نفكر في العمل بالسياسة , ونحن رجال دين فقط ورجال فكر ديني , وإذا كان قد صدر من بعض رجالنا أي عمل يخالف هذا الخط أو يدل على اتجاه سياسي فانا استنكره , وسأوقفه عند حده فوراً"^(٥٩).

وبالفعل أوقف الشيخ حسن البنا كل المظاهرات التي كانت قائمة آنذاك , فقد قال إنّ الإخوان بعيدين عن السياسة , ولو طلبوا حزب سياسي ما منعهم احد ولكنهم في هذه الحالة سيخسرون البريق الديني الذي يعيشون عليه^(٦٠) , وعلى هذا الأساس زار الإخوان المسلمون بلدة كفر الجرايدة فاستقبلتهم الأهالي وأفراد أسرة سراج الدين احسن استقبال , ولو كانوا حزباً سياسياً لما استطاعوا دخول البلدة إطلاقاً , واستمرت الحكومة الوفدية تعامل الإخوان كجماعة دينية تمنحها كل التسهيلات والتشجيع الكامل , وإن الجمعية لو تحولت إلى حزب كانت ستعامل كالأحزاب السياسية عندما تعامل بعضها في حدود الدستور والقانون وليس أكثر من هذا , فالوفد لم يمنع الإخوان المسلمون من تكوين حزب سياسي إطلاقاً بالعكس بل أوضح بأن يكونوا حزباً سياسياً^(٦١) .

خطب وزير الداخلية فؤاد سراج الدين في الرابع عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤٣ قائلاً : "إن حكومة الوفد وضعت شؤون الأمن في المحل الأول من عنايتها واحتلتها المقام الأول من سياستها وعينت بكل ما يثبت دعائم الأمن ويوطد أركانه على أساس من القوة والعدل والمساواة وأنه بالرغم من كل ما بذل ويبدل من مجهودات متواصلة في هذا السبيل فلا يزال المجال متسع لبذل جهود جديدة وإدخال إصلاحات شاملة عديدة"^(٦٢) .

اتخذ وزير الداخلية فؤاد سراج الدين إجراءات عدة في مقدمتها زيادة عدد قوات الشرطة لصيانة الأمن وتنفيذ اللوائح والقوانين , إذ إن عدد الضباط والجنود والخبراء المتواجدين لا يفي بحاجة البلاد فكان عددهم (٢٥٠٦٥) رجلاً كل منهم مكلف بالمحافظة على (٢٧٠) شخصاً^(٦٣) , وهذا فوق الطاقة وعليه من الضروري زيادة هذه القوة زيادة تتكافأ مع تلك الأعباء , واستبدال عساكر الخبراء ليتسنى لهم التفرغ لحفظ الأمن على أن يتم ذلك خلال ثلاثة أعوام , كما زاد مرتبات ضباط الصف والعساكر إلى حد يحفظ لهم كرامتهم ونزاهتهم , وإدخال عناصر صالحة في صفوفهم , وقد أدرج

فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).....

مبلغ (٤٠٠) ألف جنيه سنوياً لتحقيق ذلك وأكد فؤاد الدين على أهمية تثقيف رجال الشرطة . وتزويد رجل الشرطة بالمعلومات الضرورية حتى يفهم واجبه على الوجه الأكمل ويكون عنوان مشرف لبلاده , كما أكد أيضاً على رفع مستوى كلية الشرطة حتى تصل إلى رفع المستوى الثقافي لضباط الشرطة^(٦٤) .

وكان ضمن الإجراءات التي اتخذها فؤاد سراج الدين بصفته وزيراً للداخلية أن قام بتزويد قوات الشرطة بما يحتاجون إليه من الأسلحة الحديثة لمساعدتهم على مكافحة العابثين بالأمن , والتوسع في إنشاء نقاط في جميع أنحاء البلاد فقد أصبح عدد نقط الشرطة (٤٥٠) بدلاً من (٢١٦) , وقد أسندت رئاستها إلى (٧٩) ضابط منهم (١٥) رتبة , اليوزباشي^(٦٥) (نقيب) , و (٢٢٢) من رتبة ملازم , وأشار وزير الداخلية إلى ضرورة الإكثار من نقط الحراسة الثابتة ولاسيما في المناطق التي تكثر فيها سرقات, وتزويد النقط بوسائل الاتصال السريع والأسلحة , وأكد على نزع الأسلحة النارية من أيدي الأشقياء , وتقيد حدود الترخيص لحمل السلاح , وأعلنت الوزارة مكافحة التشرد ووضع مشروع يقضي بجمع المتسولين والمشردين وإيواءهم في أماكن مخصصة على أن يلحقوا بالمصانع والمزارع لتوفير فرص عمل لهم , وقام وزارة الداخلية في بداية شهر تشرين الثاني ١٩٤٣ بغلق أندية الميسر في القاهرة لإزالة الفساد^(٦٦) . وتم إصلاح قانون العمد والمشايخ والتحري عن اصلح المرشدين واتجاه رغبة الأهالي نحو من يولونه عمدة أو شيخاً عليهم^(٦٧) .

كان فؤاد سراج الدين كوزير الداخلية لا يخشى سطوة الملك , فقد وقف ضد رغباته , وفي مباراة كرة القدم التي جرت في صيف عام ١٩٤٢ بين النادي الأهلي الذي كان فؤاد سراج الدين وكيلا له وبين نادي الزمالك , وكانت المباراة نهاية على كأس الملك فاروق لذلك حضرها الملك فاروق , وبعد انتهاء الشوط الأول من المباراة , طلب الملك نقل أحمد رمزي, مدير إدارة الجوازات والجنسية إلى مكان آخر^(٦٨), رفض فؤاد سراج الدين نقلة لعدم قانونية ما يطلبه الملك منه , والأكثر من ذلك اصر على الرفض الأمر الذي أثار غضب الملك مما أدى خلاف حدوث بينه وبين الملك, ولم يكتفِ فؤاد سراج الدين على عدم عزل أحمد رمزي فحسب , وإنما قام بترقيته , إذ كانت حركة ترقيات في وزارة الداخلية وكان مدير إدارة الجوازات والجنسية يستحق الترقية ,

فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).....

ولم يتردد فؤاد سراج الدين في ذلك وأبقاه في منصبه وترقيته^(٦٩) ، وفي اليوم التالي اتصل به رئيس الديوان الملكي أحمد حسنين قائلاً "ايه شغل الجريدة " كيف يطلب منك الملك نقل موظف إلى مكان آخر فيتم تنصيبه في مكانه ، ولا تكتفي بذلك بل قمت بترقيته ، فأجابه فؤاد سراج الدين قائلاً : "انا من الجريدة وحفضل من الجريدة، وإذ لم يعجبكم هاتوا وزير للداخلية من باريس"^(٧٠)، وعندما قابل فؤاد سراج الدين ، أحمد رمزي سأله عن سبب غضب الملك عليه وطلب نقله ، فأجابه "ان الملك فاروق كان يدعو للخلافة الإسلامية ، وارسل بعثة برئاسة الفريق عمر فتحي ياور الملك ، [المرافق الشخصي للملك] والقائم مقام (عقيد) محمد حلمي حسين المرافق الشخصي، لملك طافت البعثة البلاد العربية مروجة لهذه الفكرة ، وكان اخر جولاتها في فلسطين ، وطلب رسل البعثة أقامت حفلة"، ولكن أحمد رمزي اعتذر لأنه رجل محافظ ، وعند عودة البعثة قابل الفريق عمر فتحي الملك قائلاً : "اننا طفنا البلاد العربية وقولنا في كل مكان بالحفاوة والترحيب الا في القدس لان أحمد رمزي القنصل زوج كريمة عثمان محرم"^(٧١) [وزير الأشغال العمومية في وزارة الوفد عام ١٩٤٣] ، وينقل إليه كل الأخبار والأسرار"، واصر فؤاد سراج الدين على عدم عزل أحمد رمزي^(٧٢) .

واثناء تولي فؤاد سراج الدين وزارة الداخلية عرض عليه في عام ١٩٤٣ رئاسة النادي الأهلي خلفاً لجعفر والي، فرشح سراج الدين رجل الأعمال أحمد عبود الذي كان صديقاً له حيث ذهب إليه في شركة السكر وقال له "يا عبود باشا أنت تريد أن تكون رجل وطني ، وعملت مشروعات وطنية ولكن الشعب يظن انك مع البريطانيين ولست رجل وطني" فقال "ماذا افعل" ، فقال له "عندي فكرة ستجعلك بطل شعبي ويرفعوك على الاكتاف وأنت عارف ان الأهلي له شعبية جارفة والشعب يحب كرة القدم ولو أصبحت رئيساً للنادي الأهلي ستصبح بطل شعبي" . وبعد جلسات عدة اتفق سراج الدين مع أمين الصندوق عبد المنعم وهبي على طرح مشروع حمام سباحة وسأله عن تكلفة الحمام فأجابه "ان الحمام سيكلف كثيراً ولا يوجد نقود"، فقال يا إخواننا ان عبود متبرع بتكلفة حمام السباحة فصفق أعضاء النادي^(٧٣) . فكان اختياره لمصلحة النادي العريق بالدرجة الأولى بوصفه رجل ثري وهو قادر على تمويل المنشآت الجديدة

فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).....

اللازمة مثل تعلية مدرجات ملعب الكرة والنهوض بالنادي بصفة عامة وبفريق الكرة القدم بصفة خاصة^(٧٤) . وتبرع فؤاد سراج الدين للنادي بمبلغ أربعة عشر ألف جنيه من جيبه الخاص , واستطاع استرداد ثمانية افدنة للنادي الاهلي كان يحتلها نادي الفروسية^(٧٥) , فكانت حديقة نادي الأهلي تابعة لنادي الفروسية ورئيسه محمد طاهر ابن عم الملك , وكان النادي مشمول بالرعاية الملكية والأمراء مشتركون فيه, ومجلس الإدارة طلبوا منه إخلاء نادي الفروسية من ارض النادي وكان فؤاد سراج الدين وزيراً للداخلية وطلب من محمد طاهر قائلاً " نحن في الأهلي استضعفناكم مدة طويلة وازداد أعضاء النادي واصبح ضيق ولو سمحت اخلو النادي وباستطاعتكم ان تأخذوا أي ارض ومن الناحية الصحية عدم إقامة إسطبلات في هذه المنطقة", فأجابه طاهر "ان النادي مشمول بالرعاية الملكية ولو معاليكم مصممين أسأل جلاله الملك" فقال له "يا طاهر ان ارفض المناقشة على هذا الأساس وهناك خمسون مؤسسة مشمولة بالرعاية الملكية هذه ليست حماية بل شرف وانا سأمنح نادي الفروسية أسبوعين مهلة لإخلاء أرض الأهلي وبعدها سأتولى الأمر بالقوة الجبرية", وبذلك استطاع فؤاد سراج الدين من إخلاء النادي وأقام عليه ملاعب التنس وامتد حتى مبنى اتحاد الكرة^(٧٦) .

توجه فؤاد سراج الدين وزير الداخلية مع محمود غزالي مدير الأمن العام يوم الخامس عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤٣ إلى القصاصين فور علمهم بوقوع حادث للملك فاروق , ومفاده إنَّ الملك فاروق كان يقود سيارته بسرعته المعتادة قاصداً الإسماعيلية وصادفته سيارة نقل ضخمة خارجة من المعسكر البريطاني في القصاصين^(٧٧) . ولم يستطيع الملك تفاديها فأصطدم بها فألقته خارج السيارة فانشرخ عظم الحوض , ولم يستطيع لشدة الصدمة من التحرك , وتم نقله من جانب رجال الجيش البريطاني إلى مستشفى الجيش بالقصاصين , ولم يتمكن فؤاد سراج الدين بعد وصوله إلى القصاصين في الساعة الحادية عشر ليلاً من مقابلة الملك لرفض الملك مقابلته^(٧٨) . مما يدل على حرصه في أداء واجبه كوزير للداخلية موفداً عن رئيس الوزراء مصطفى النحاس .

وعندما نشب خلاف بين الملك فاروق ووالدته الملكة نازلي بسبب علاقتها مع أحمد حسنين رئيس الديوان الملكي، وقد سافرت الملكة القاهرة إلى القدس ونزلت بفندق داود، و علم الملك فاروق بعض التصرفات غير اللائقة بها فاستدعى النحاس لتوسط بينه وبين الملكة بالعودة إلى مصر بعد أن أمضت بالقدس ما يقارب السنتين وبناءً على طلب الملك ذهب النحاس إلى القدس^(٧٩)، وقبل عودته ببضعة أيام، طلب حاكم العسكري البريطاني لمدينة القاهرة راسل (Russell) مقابلة وزير الداخلية فؤاد سراج الدين، واخبره ان لديه انباء ان هناك مؤامرة لاغتيال النحاس، فسأله فؤاد: "وماذا تنتظر لكي تتخذ اجراءاتك"، فأجاب مسؤول الأمن بالقاهرة: "انه يخشى غضب النحاس من فرض حراسة مشددة عليه بمجرد وصوله ونزوله من القطار إذ يحب الاختلاط بال جماهير ويكره ان تكون الشرطة حاجز بينها وبينه"، وعليه قرر فؤاد سراج الدين اتخاذ اجراءات مشددة حراسة مكثفة من مكان وصول المخصص إلى السيارة، وبعد خروج النحاس من القطار، وعندما رأى حصار الشرطة غضب ودفع أول ضابط شرطة قابلة بعيداً عنه، وكان برتبة ملازم، واندفعت الجماهير الوفدية للسلام على زعيمها وكانت من اصعب اللحظات التي مر بها وزير الداخلية فؤاد سراج الدين، فهذه الفوضى فرصة لاغتيال النحاس، ومرت الدقائق بين خروج النحاس من القطار وحتى ركوبه لسيارته وكأنها الدهر بالنسبة لفؤاد سراج الدين كوزير للداخلية، وبعد انقضاء الموقف بسلام عاد إلى بيته غاضباً. وكتب استقالته من منصب وزير الداخلية ورفض الذهاب لتهنئة النحاس بسلامة الوصول، وأعطى كتاب الاستقالة إلى وحيد بهادر مدير مكتب النحاس ليوصلها للنحاس^(٨٠)، مما يدل على حرص فؤاد سراج الدين على واجبه وأعماله.

استغرب النحاس من أمر الاستقالة، واخبر الوزراء بما تضمنه كتاب استقالة فؤاد سراج الدين، فشرح له الوزراء الموضوع وبما انتاب فؤاد من غضب في محطة قطار القاهرة بسبب اذا ما تعرضت حياة النحاس لخطر شديد، فذهب النحاس إلى منزل فؤاد سراج الدين فسأله ألا تنوي حضور جلسة مجلس الوزراء المقرر انعقادها في الرابع من كانون الأول عام ١٩٤٣، فأجابه فؤاد سراج الدين بالنفي لانه مستقيل^(٨١)، لكن النحاس طلب أن يحتكم إلى مجلس الوزراء وعندما دخلا قاعة مجلس الوزراء عند

فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).....

افتتاح الجلسة قال النحاس موجهاً كلامه الى سكرتير مجلس الوزراء اثبت في محضر الجلسة العبارة الآتية "انني اسجل اسفي" فامسك فؤاد سراج الدين بيد سكرتير الجلسة مانعاً اياه من الكتابة , وعدّ فؤاد سراج الدين المسألة انتهت وأوضح أنه مستعد أن يمزق استقالته , فقال النحاس "انني لم انتظر حتى تمزقها لقد مزقتها انا بمجرد وصولها" . قال فؤاد سراج الدين " أمر واحداً طلبه رفعتكم هو أن ارسل إليكم غداً هذا الضابط الصغير لتطيب خاطره " فرحب النحاس بذلك, وفي اليوم التالي توجه إلى مكتب النحاس كل من اللواء سليم زكي والضباط من كل الرتب فأستقبلهم النحاس , وسأل عن الضابط الذي دفعه فقدم إليه الضابط أخذه النحاس وضمه إلى صدره وبكى الضابط متأثراً على بر النحاس وعطفه^(٨٢) .

كان فؤاد سراج الدين يتابع أعماله أولاً بأول , فقد جائه خطاب في البريد من مدينة جرجا التابعة لمحافظة سوهاج, يشكو فيه ضابط شرطة من أن الترقيات قد تخطته ثلاث مرات , على الرغم من أن تقاريره كلها تشهد له بالكفاءة والامتنياز , وعندما طلب وزير الداخلية فؤاد سراج الدين الملف الخاص بهذا الضابط وجد فيه تقرير سري ضده من احد مأموري المراكز التي عمل بها يشير فيه إلى أن الضابط يستغل زوجته الجميلة ويقدمها إلى أعيان المراكز مقابل الحصول على امتيازات مادية , قرر فؤاد سراج الدين استدعاء الضابط ومواجهته. وعندما جاء الضابط اطلعه فؤاد على التقرير الخاص به فسقط مغشياً عليه , واتضح انه غير متزوج , وقال له في استحياء لعل التقرير يقصد أختك أو امك, وأخبره انه ليس لديه أخوات بنات وامه ماتت منذ زمن طويل , واخبره بان المأمور كان يكرهه لأنه يكلفه بجمع الأوز والبط والأموال من الأهالي وعندما رفض تنفيذ أوامره اخذ المأمور في اضطهاده^(٨٣) .

وإزاء هذه الحالة اعتنى فؤاد سراج الدين بوضع قانون ينظم هيئات الشرطة وذلك لان نص المادة ١٤٨ من الدستور , قد أثبتت خلال العشرون سنة الماضية أن أعضاء هيئات الشرطة طول المدة المنقضية عرضة لمؤثرات كثيرة وتيارات مختلفة بغير ضمان أو كفالة, فألفت لجنة عهدت إليها وضع هذا المشروع , وقد جاء محققاً لأقصى الغايات المنشودة منه نظراً إلى ما انطوى عليه من مبادئ , وقواعد وكفالات تحفظ لرجال الشرطة كراماتهم واستقلالهم في عملهم في حدود القانون , وأضاف فؤاد

فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).....

سراج الدين أن ما يتضمنه المشروع تأليف مجلس أعلى للشرطة يتولى النظر في جميع شؤون أعضاء هيئات الشرطة من تعيينات وتنقلات وترقيات وإحالة إلى الاستبعاد وإعادة إلى الخدمة وإحالة إلى التقاعد , وكذلك يكون من اختصاصه النظر في التقارير السرية السنوية وما يرد فيها من تظلمات , وقد منح المجلس سلطة إبداء الرأي. وهذا المجلس يؤلف من أربعة عشر عضواً ستة منهم عسكريون وثمانية مدنيون , يرأسه وكيل الوزراء الأقدم أما الحكمة من كثرة أعضائه فهي ضمان عدم التأثير على أكثرية الأعضاء إذ حاولت سلطة ما التأثير عليهم وحماية وكفالة مصالح رجال الشرطة أنفسهم , فصدر قانون تنظيم هيئات البوليس رقم ١٤٠ لسنة ١٩٤٤ في تشرين الأول عام ١٩٤٤^(٨٤), ونص على حق الضابط الاطلاع على التقرير السري وأن يتاح له حق الدفاع عن نفسه , وتقيد ما جاء في التقرير ان لم يكن صحيحاً , ويعرض التقرير على المجلس الأعلى للشرطة الذي يضم كبار الضباط, والنائب العام ورئيس محكمة مصر , وأكد أيضاً على حق الاستعانة بأحد المحامين^(٨٥) . وبذلك وضع فؤاد سراج الدين ضمانات للضباط توفر لهم العدالة في معاملتهم وترقياتهم وتحميمهم من رؤسائهم .

قام وزير الداخلية فؤاد سراج الدين في الخامس عشر من كانون الأول عام ١٩٤٣ بترقية (٦٠٦) ضابط أو ما يقرب من نصف عدد ضباط الشرطة وشملت الترقية ثلاثة ضباط إلى رتبة اللواء , و (١٢) إلى رتبة أميرالاي (عميد) و (١٨) قائم مقام (عقيد) و (٣٧) بكباشي (مقدم) و (٧٦) رتبة صاغ (رائد) و ١٨٠ رتبة يوزياشي (نقيب) و (٢٨٢) إلى رتبة ملازم أول^(٨٦) .

وشهد وزير الداخلية فؤاد سراج الدين في الرابع والعشرين من آيار عام ١٩٤٤ تخرج (١٩٦) كونستبلا^(٨٧) (ضابط شرطة اداري) , من كلية الشرطة ووجهه كلمة لهم قائلاً "بان يقدروا المهام التي ستلقى على عاتقهم نحو الأمن وحفظ النظام , وان يقوموا بواجباتهم بما يرضي ضمائرهم ويرضي القانون" وتم تسلم وظائفهم في حزيران عام ١٩٤٤ , وفي العاشر من حزيران العام نفسه زار وزير الداخلية فؤاد سراج الدين كلية الشرطة واستقبله محمد البابلي مدير كلية الشرطة , كان الهدف من الزيارة الاطلاع على الامتحانات في المرحلة الشفهية , واستمع لإجابات بعض الطلاب والاشتراك في الأسئلة الخاصة بمادة الثقافة العامة^(٨٨) , ولاحظ وزير الداخلية ضعف

فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).....

مستوى الثقافة العامة بدرجة كبيرة ، ولاحظ ان المنهج الدراسي القديم ينقصه الكثير من المواد الواجب على الضابط أن يدرسها نظرياً وعلمياً مما جعله يجعل نظام الدراسة في الخامس من أيلول عام ١٩٤٣ لمدة اربع سنوات بدل ثلاث سنوات وشكلت لجنة من كبار موظفي وزارة الداخلية وبعض أساتذتها وبعض أساتذة كلية الحقوق لبحث منهاج الدراسة في كلية الشرطة^(٨٩) .

ولم تقتصر اعمال وانجازات فؤاد سراج الدين على وزارة الداخلية فحسب ,وانما شملت ايضا وزارة الشؤون الاجتماعية ,فقدتم تعيينه وزيراً للشؤون الاجتماعية بالوكالة في الثاني من حزيران عام ١٩٤٣ , وهو اليوم الذي عين فيه وزير للداخلية , اذ عمل فؤاد سراج الدين على تنفيذ الكثير من مطالب العمال^(٩٠) , فيما ازداد وعي الطبقة العاملة بدأت هذه الطبقة تطالب بزيادة الأجور في سنوات الحرب العالمية الثانية لتتناسب مع ارتفاع مستوى المعيشة , كما بدأوا يطالبون بالاعتراف القانوني بتكوين النقابات والاتحادات العمالية , وتأمين وضمان عملهم في البطالة والشيخوخة والمرض وقد كانت الحكومات المصرية قبل تلك المدة لا تلقى لتلك المطالب إذناً صاغية على الرغم من أهمية تلك المطالب وكونها حقاً مشروعاً للعمال^(٩١) , في رفع مستوى معيشتهم , وتوفير اكبر قدر ممكن من الضمانات والحقوق لاسيما فيما يتعلق بالأجور إذ يؤدي رفعها إلى زيادة القوة الشرائية ومن ثم زيادة الاستهلاك ويؤثر ذلك بدوره على زيادة الإنتاج وانعاش الاقتصاد وخلق فرص جديدة للعمل^(٩٢) , ولا بد من القول أن في السادس من أيلول ١٩٤٢ أصدر قانون نقابات العمال , ويُعدّ أول قانون منظم لنقابات العمال في مصر , وهو قانون رقم ٨٥ لعام ١٩٤٢ مبيناً الشروط اللازمة لتكوين نقابات العمال ومحددأ أغراضها , وكيفيته إدارتها وحلها وحقوق أعضائها وواجباتهم^(٩٣) .

وصرح فؤاد سراج الدين في آب ١٩٤٣ بصفته وزير الشؤون الاجتماعية بتعديل قانون جمعيات التعاون الصادر في لعام ١٩٢٧ بسبب اتساع نطاق أعمالها وتنوع خدماتها , وتعدد أنواعها وازدياد عددها وإقبال الناس عليها من كل الطبقات وقد أصبح لها شأن كبير في الإصلاحات المتعددة التي تقوم بها الحكومة , وانها أصبحت من العوامل القوية في التموين وتوزيع المواد الضرورية , وقد بلغ عدد

فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).....

الجمعيات التعاونية ست عشر جمعية تعاونية مركزية تضم (٢٦٠) ألف عضو يعملون حوالي مليون و ٨٠ ألف نسمة ولم يكن إزاء هذه النهضة الحديثة، من إعادة النظر في قانون التعاون الذي ينظم شؤون الجمعيات التعاونية^(٩٤)، ويحميها لكي تستطيع أن تؤدي الخدمات على الوجه الأكمل لهذا بادرت وزارة الشؤون الاجتماعية إلى إعادة النظر في أحكام قانون التعاون الذي قضى عليه ستة عشر عام وإدخال على أحكامه تعديلات كثيرة على أربعين مادة من مواد القانون البالغ عددها مائة وعشرة وإحالتها للبرلمان ، وبذلك يصبح القانون في وضعه المعدل بان يؤدي رسالة القومية وتكون خير أداة تعتمد عليها وزارة الشؤون الاجتماعية للقيام بمهمتها الكبرى للإصلاح الاجتماعي^(٩٥).

وتبين أهميتها على المستوى الفردي كوسيلة لتحقيق الذات وإثبات الوجود من خلال تنظيم ساعات العمل والإجازات الأسبوعية والسنوية والأجور^(٩٦). ومن ثم أن هذا القانون يقضي على أسباب السخط والتذمر ، ويقيم التوازن اللازم بين العمال وأصحاب الأعمال بما يشيع الأمن في الحياة الاجتماعية ويقضي على سبب من أكبر أسباب القلق والاضطراب في المجتمع^(٩٧) .

وكان قانون النقابات يسمح بإنشاء اتحادات النقابات في المحافظات تحت اسم روابط النقابات، وتكونت لجنة من العمال لتشكيل الرابطة ووضع لائحة النظام الأساسي لها، ونصت على أغراض الرابطة بأنها تنحصر في توجيه النقابات بعضها مع بعض والدفاع عن المصالح المشتركة للنقابات بجميع الطرائق المشروعة وتنشيط الروح الرياضية والثقافية للنقابات والقيام ببحث شكاوي النقابات ورفعها للجهات المختصة^(٩٨).

اعتنى وزير الشؤون الاجتماعية فؤاد سراج الدين بالعمال، فعندما زار دار اتحاد نقابات العمال في الرابع من تموز عام ١٩٤٣ والتقى بأعضاء النقابات ، وأعلن تقديره لوزير الشؤون الاجتماعية السابق عبد الحميد عبد الحق لما قدمه من تشريعات للعمال ونوهه بفضل العمال على بناء نهضة البلاد الصناعية والاقتصادية وأكد على سياسة الوفد في صون حقوقهم^(٩٩) .

وأشار وزير الشؤون الاجتماعية فؤاد سراج الدين ان ما يعرض عليه من حالات خاصة بالنقابات والعمال وانه لا يرتاح إلى كثير منها ؛ لأن فيها مخالقات للقوانين الموضوعة من قبل قانون النقابات ، فعلى سبيل المثال اضرب عمال المصنع لأن أحدهم فصل، وطلب فؤاد سراج الدين أن لا يصل إليه بعد ذلك شيء من تلك الحالات المخالفة للقانون حتى لا يقال إنَّ العمال يسيئون استعمال حقوقهم^(١٠٠) .

احتفل الوفد في الرابع عشر من تشرين الثاني عام ١٩٤٣ بعيد الفضي بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على تشكيله ، وحضر الاحتفال قادة الوفد والوزراء وعشرات الآلاف من أعضائه ، وعلى رأسهم الزعيمين مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين ، واستمر الاحتفال ثلاثة أيام ، وتحدث الوزراء الوفديين عن برنامج وزاراتهم، وكان من بين هؤلاء الوزراء فؤاد سراج الدين وبصفته وزيراً للشؤون الاجتماعية القى محاضرة عن مشاكل مصر الاجتماعية ، وسبل علاجها ، واقترح العديد من المشاريع التي سنتبناها الوزارة ، منها مشروع المراكز الاجتماعية ، ومشروع إصلاح القرية المصرية ومشروع الوحدات الصحية ، ومشروع نشر المكتبات ، وتوزيع الأراضي الحكومية على صغار الفلاحين ومشروع تدعيم الجمعيات التعاونية ورفع مستوى الفلاح^(١٠١) .

والقيت في الاحتفال أبحاث عدة ، منها بحث فؤاد سراج الدين عرض فيه القوانين والتشريعات الاجتماعية التي أصدرتها حكومة الوفد لصالح العمال، ثم أشار الى قانون رقم ٦٢ لسنة ١٩٤٢ الخاص بوجوب استعمال اللغة العربية في علاقة الأفراد والهيئات الحكومية ومصالحها ، كما أشار إلى الأمر العسكري رقم (٢٣٢) الذي يقضي بإنشاء لجان للتوفيق بين العمال وأصحاب العمل تكون قد قررتها الوزارة تمنح إعانة غلاء المعيشة لعمال ومستخدمي التجارة والصناعة وإنشاء صندوق في الوزارة لإعانتهم في حالات العجز والشيخوخة وإنشاء مساكن للعمال ونوادي رياضية كما عرض مشكلة البطالة وسياسة الحكومة لمعالجتها^(١٠٢) .

وأكد على أهمية رياض الأطفال كضرورة اجتماعية نظراً للتوسيع في خروج المرأة المصرية إلى ميدان العمل وحاجاتها لمن يرعى أطفالها في مدة وجودها في العمل ، وتوفير الحمامات والمغاسل الشعبية ، وقد كانت ضرورية للوقاية الصحية للفقراء ، إذ كان الفلاح في الريف يغتسل ويغسل ملابسه في الترغ والقنوات مع ما

تحمله من ميكروبات وجراثيم مما يجعل العلاج غير مفيد بسبب تجدد الإصابة باستمرار , أمّا المدن فكانت كثيرة الأحياء الفقيرة التي لا تدخلها المياه وبعضها يعتمد على السقاة في إحضار الماء اليهم بالقرب على ظهره وهذا يؤدي إلى الإهمال الإجباري في تنظيف الجسم والملابس مما يؤدي إلى انتشار الحشرات من القمل والبراغيث وغيرها التي كان بدورها تنقل الأمراض^(١٠٣), وأن أهم ما تضمن تعديله الذي ادخل على قانون الجمعيات التعاونية هو إعادة تأليف المجلس الاستشاري الأعلى للتعاون على صورة تتماشى مع نظام الحياة الدستورية وأن يحتل تمويل الجمعيات التعاونية الزراعية المكان الأول بين الخدمات التي تؤديها هذه الجمعيات التعاونية من خلال نظام الإقراض والاقتراض بما يحول دون استعمال القروض التي تمنحها الجمعيات بما يلحق بها أو بأعضائها أضرار مادية يؤدي إلى ارتباكها من الوجهة المالية وتوسيع نطاق الجمعيات التعاونية بما يقضي إحلال التعاون محل الجهود الفردية , ولهذا فقد أتيح لكل فرد من السكان مصرياً أو أجنبياً أن ينظم إلى عضوية الجمعيات التعاونية , وتشجيع الخدمات الاجتماعية من أجل رفع المستوى المادي والاجتماعي لأعضائها^(١٠٤).

واستقبل وزير الشؤون الاجتماعية فؤاد الدين في التاسع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٣ , وفد من أعضاء لجنة الطلبة التنفيذيين لمشروع القرش^(١٠٥) , وشجع الشباب بوصفهم جند البلاد العاملون وبارك جهودهم , ثم تبرع للمشروع بعشرة جنيهات من ماله الخاص^(١٠٦) .

عقد العمال مؤتمر في المنصورة في التاسع عشر من كانون الثاني عام ١٩٤٣ , حضره فؤاد سراج الدين الذي اشار إلى عناية الوفد والنحاس بالعمل والعمال قائلاً "ان الأمة التي لا يعنى قادتها ومصلحوها بطوائف العمال والطبقات الدنيا فيها لا تستحق أن يقال عنها أمة متحضرة" . لذلك عمل وزير الشؤون الاجتماعية فؤاد سراج الدين جاهداً في سبيل راحة العمال ورفع مستواهم واصدر التشريعات التي تكفل حل مشاكلهم وضمان مستقبلهم والسعي لإنشاء صحيفة لسان حال العمال ومناشدة وزارة الداخلية للموافقة على إصدارها , والمشاركة في مشروع محو الأمية الذي يتولى وزير الشؤون الاجتماعية تنفيذه لنشر الثقافة بين طبقات العمال وتنويرهم وبث روح

فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).....

التعاون بين طوائف العمال والإسراع بتكوين جمعية تعاونية منزلية لتسهيل حصولهم على حاجاتهم المعيشية. وفي ختام المؤتمر قطع العمال على أنفسهم أن يكونوا مطيعين لقوانينهم محافظين على نظامهم حريصين على حسن علاقاتهم بأصحاب الأعمال وعلى مبدئهم الوفدي القويم^(١٠٧).

وفي الرابع عشر من آيار عام ١٩٤٤ التقى ممثلو (٧٥) نقابة عمالية برئاسة محمد حسنين ، عضو النواب المصري عن دائرة بولاق ، لانتخاب فؤاد سراج الدين رئيساً شرفياً للرابطة ، وحدثت اجتماعات في الإسكندرية برئاسة علي الحلواني ، عضو النواب المصري عن دائرة الاسكندرية بحضور (٨٣) نقابة تمثل الحرف والصناعات المختلفة، وتقرر بالإجماع انتخاب فؤاد سراج الدين رئيساً شرفياً دائماً للرابطة ببذله من حب وتأييد دائم للعمال في القاهرة والإسكندرية، وقبل فؤاد سراج الدين هذه الرئاسة^(١٠٨).

ولأول مرة في تاريخ التشريعات العمالية في مصر أصدرت وزارة الوفد في الخامس عشر من آيار عام ١٩٤٤ قانون رقم ٤١ لسنة ١٩٤٤ وهو أول قانون ينظم العلاقة بين العامل وصاحب العمل وبين حقوق وواجبات كل من طرفي العقد وأوجب القانون أن يكون عقد العمل كتابة وباللغة العربية ، وأن يكون العقد بين صاحب العمل ومتعهد توريد العمال بالكتابة يذكر فيه نوع العمل وفئات الأجور للعمال والضمانات التي تكفل صرفها لهم ، ولا يتقاضى المتعهد أكثر من (١٠%) من الأجور، وأوجب دفع الأجور وغيرها بالعملة المصرية، وان تدفع الأجور في أحد أيام العمل وفي المكان الذي يشتغل فيه العامل ، وحرّم اقتطاع أكثر من (١٠%) من الأجر لسداد قرض العامل كما حرم تقاضي أية فائدة منه ، وحرّم التنازل على الأجور والحجز عليها إلاّ لدين المأكل والملبس والنفقة وفي حدود الربع ، والزم صاحب العمل بنفقات عودة العامل إلى موطنه عند انتهاء العقد والإيجار للسلطة الإدارية المختصة ترحيله على نفقة صاحب العمل ، والزم صاحب العمل أن يعطي العامل شهادة خدمة مجانية في نهاية عقده^(١٠٩) ، وأكد وزير الشؤون الاجتماعية فؤاد سراج الدين إن قانون عقد العمل الفردي جاء متوجهاً لسلسلة التشريعات العمالية التي وضعتها حكومة الوفد لتأمين مستقبل العمال في البلاد وإقامة النظام الاجتماعي فيها على أساس وطيدي^(١١٠).

فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).....

احتفل يوم الحادي والعشرين من آيار عام ١٩٤٤ الآلاف من عمال القاهرة والإسكندرية ومعهم ممثلو نقابات من أنحاء البلاد كافة بمناسبة قبول فؤاد سراج الدين الرئاسة الشرفية للنقابات ، ورفعت كل نقابة علمها الخاص بها وصورة كبيرة لفؤاد سراج الدين مكتوب عليها بالخط العريض "فؤاد سراج الدين زعيم العمال" ، والقي محمد حسنين وعلي العلواني كلمة باسم عمال القاهرة والإسكندرية حيوا فيها الوفد ، وأشادوا بالزعيم النحاس وفؤاد سراج الدين ، كما القي فؤاد سراج الدين خطاباً دعا العمال إلى التضامن والوحدة وكان هذا الاحتفال ابلغ تعبير عن حب العمال وتقديرهم للوفد وزعيمه النحاس وسراج الدين^(١١١) .

وعلى أثر ذلك انتشرت ظاهرة تأسيس روابط لنقابات العمال في المحافظات ومنها بور سعيد والبحيرة والشرقية والمنيا وعملت على اختيار فؤاد سراج الدين رئيساً شرفياً لها ، وعقدت نقابة ترام القاهرة مؤتمر في حديقة الازبكية ، وارتدى فؤاد سراج الدين بدلة العمال الزرقاء وكانت هدية من العمال بمناسبة اختياره زعيماً لهم^(١١٢) ، وبلغ عدد النقابات في عام ١٩٤٤ (٢١٠) نقابة عدد أعضائها (١٠٢٨٧٦) ، وتقدم عمال صالونات الحلاقة في القاهرة في الرابع من تموز عام ١٩٤٤ بطلب الى وزير الشؤون الاجتماعية فؤاد سراج الدين ، لتنظيم ساعات العمل في المحال التي يعملون بهما ، وبعد اجتماع فؤاد سراج الدين بأصحاب المحال تم التوصل إلى اتفاق يرضي الطرفين ، وجاء هذا الاتفاق في الامر الذي أصدره الحاكم العسكري لمدينة القاهرة ، إذ تنظم العلاقات بين أصحاب صالونات الحلاقة بمدينة القاهرة وعمالهم بما يتعلق بمدة العمل اليومي والأسبوعي وتحديد مواعيد فتح الصالونات ، وقد نصت المادة الأولى لا يجوز فتح صالونات الحلاقة بمدينة القاهرة وضواحيها للمواطنين قبل الساعة الثامنة صباحاً ولا بعد التاسعة مساءً وجاء في المادة الثانية يجب إغلاق الصالونات يوم الاثنين من كل أسبوع وبموجب المادة الثالثة لا تسري أحكام هذا الأمر في عيد الفطر والأضحى المباركين ولا في اليوم الأول منهما ، ونصت المادة الرابعة بأن كل مخالف لأحكام هذا الأمر يعاقب مرتكبها بغرامة لا تتجاوز خمسمائة قرش ، وقد أمر فؤاد سراج الدين العمل فيه ابتداء من السابع من أيلول عام ١٩٤٤^(١١٣) ، وهكذا وباجهود لمبذولة من حكومة الوفد ووزير الشؤون الاجتماعية فؤاد سراج الدين أصبح للعامل نقابة تحميه ، وقانون ينظم عقد عمله مع صاحب العمل، ويحفظ حقوقه ويقدم له ضمانات كافية تحميه من الظلم والتعسف الذي يتعرض له.

الخاتمة :

بدأ فؤاد سراج الدين حياته السياسية عندما انضم لحزب الوفد عام ١٩٣٥ عن طريق سكرتيه العام مكرم عبيد ، وفي هذا السياق يمكن الاتفاق مع الرأي القائل بأن فؤاد سراج الدين " حالفه الحظ " بعد ارتباطه بحزب الوفد ، وبعد شهور عدة طلب منه النحاس ترشيح نفسه لانتخابات مجلس النواب عام ١٩٣٦ عند دائرة بلقاس ، ومكنه طموحه أن يلجأ إلى طرائق " قانونية " لتغيير ميلاده حتى يتسنى له ترشيح نفسه لانتخابات ليصبح نائباً في مجلس النواب المصري عن دائرة بلقاس .

استطاع فؤاد سراج الدين على الرغم من صغر سنه تولي مناصب وزارية عدة على امتداد حكومات الوفد منذ عام ١٩٤٢ حينما شغل منصب وزيراً للزراعة تقديراً لمكانته بين أعضاء حزب الوفد عهد إليه النحاس وزارة الداخلية لما التمس في شخصية فؤاد سراج الدين من حيوية وقدرة لإدارة تلك الوزارة ، فترك بصمة واضحة خلال عمله السياسي ومواقفه مع الملك ، فلم يرضخ لرغبات الأخير في مواقف كثيرة، كما استطاع أن يتخذ إجراءات زادت من قوة الشرطة، ومكنتها في حفظ الأمن والاهتمام برجال الشرطة من خلال تشريع قانون هيئات الشرطة ، إذ وفر ضمانات للضباط ضمننت لهم العدالة في معاملتهم وترقياتهم وحمايتهم من رؤسائهم .

أهتم فؤاد سراج الدين بوصفه وزيراً للشؤون الاجتماعية بالطبقة العاملة وشرع قوانين عدة تهم طبقة العمال وتحميهم من البطالة والشيخوخة وتكوين نقابات تمثلهم وتوجت تلك الإجراءات بإصدار قانون عقد العمل الفردي الذي عُدّ حلاً بالنسبة للعمال على مدى سنوات عدة إذ نظم العلاقة بين العامل وصاحب العمل .

Abstract

Counting Fouad Siraj-Din Youngest minister in the history of Egypt iron and contemporary Egyptian politicians in the last decade of the monarchy as it was able to hold important ministerial positions in allwarh wafd sixth was the most prominent of the ministry of the ministry of in teror and social affairs at the saetime hence the choice of the researcher for the title search intercorn for sheds light on the achivements of fouwad sirag -din during the portfolios filled corrupted search from the front of the three axes included jonin and memdership fouad siraj-din cultue

فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).....

and the second axis included join and member ship fouad siraj –
din until 1937 and the theird axis has sultna school on his office of
the ministry of interior and social affairs in the second from gune
1943 until October eighth ,1944.

هوامش البحث :

(١) أشارت بعض المصادر أن تاريخ ولادة فؤاد سراج الدين يوم الخامس والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٠٦ للمزيد ينظر : محمد عبد الرحيم عنبر ، قبل أن يضيع الوفد ، مطبعة زهران ، القاهرة ، د. ت ، ص ٩٠ ؛ " المصور " ، (مجلة) ، القاهرة ، العدد ٩١٣ ، ١٠ نيسان ، ١٩٤٢ ، ص ٥. وأشارت مصادر أخرى إلى تاريخ ولادته في الثاني من تشرين الثاني عام ١٩١٠ للمزيد ينظر: محمد عبد القدوس ، ذكريات فؤاد سراج الدين ، دار الفرسان ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ١١٣-١١٤ ؛ صلاح عيسى ، محاكمة فؤاد سراج الدين ، ج ١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ٨٧ .

(٢) قريتان متجاورتان هما ابكم ومحلة أم عيسى وردتا مشتركتين باسم محلتني ابكم وأم عيسى من أعمال الغربية وعرفت فيما بعد باسمها الحالي كفر الجرايدة نسبة إلى ذرية الشيخ سالم أبو جرايدة القاطنين فيها وكان تابع لمركز بيلا وفي عام ١٩٣٨ الحق بها لقربها منها . للمزيد ينظر: محمد رمزي ، القاموس الجغرافي لبلاد المصرية من عهد القدماء الى سنة ١٩٤٥ ، ج ٢ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٣٧-٣٨ .

(٣) Donald M . Reid , " Fuad Siraj – Din and Egyption wafd" , Journal of Contemporary History , London , Vol. 15 , No . 4 , 1980 , p21 .

(٤) تعد عائلة البدراوي من أكبر عائلات ملاكي الأراضي الزراعية في مصر وكانت تلك العائلة تملك ستة وثلاثين ألف فدان ، وعلى أثر الانتفاضة الفلاحية التي حدثت عام ١٩٥١ في قرية بهوت بمحافظة الدقهلية شمال الدلتا حدثت مواجهة مع أسرة عاشور البدراوي أدت إلى حرق قصر الباشا ، لذلك تدخلت الحكومة لقمع الانتفاضة ، وفي أعقاب قيام ثورة الثالث والعشرين من تموز عام ١٩٥٢ ، صادرت حكومة الثورة الأملاك الزراعية التي تمتلكها العائلة ضمن قانون الإصلاح الزراعي عام ١٩٥٦ ، تم توزيع سبعة وخمسين ألف فدان من أملاك عائلة البدراوي ضمن هذا القانون على ثمانية وخمسين أسرة من الفلاحين . للمزيد ينظر : إبراهيم البدراوي ، "الفلاحون المصريون مارد يستيقظ" ، (مجلة الحوار المتمدن) ، القاهرة ، العدد ٢٣٨١ ، ٢٢ آب ٢٠٠٨ ، ص ١٥ .

(٥) " الاهرام " ، (صحيفة) ، القاهرة ، العدد ٤٢٢٣٣ ، ٢٤ تموز ٢٠٠٢ .

(6) Donald M . Reid , Op . Cit , p123 .

(7) Donld M.Reid, Op, Cit, p722

(٨) هي مدرسة لا يدرس فيها إلا الأغنياء من اهل الجاه والحسب من أبناء المجتمع وكان ناظرها المربي المعروف (أمين سامي) ينظر : حافظ عباس , مصطفى النحاس أو الزعامة والزعيم درس وبحث وتحليل , مطبعة مصر , القاهرة , ١٩٣٦ , ص ٢٥٦ .

(٩) مقابلة تلفزيونية أجريت مع فؤاد سراج الدين بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٩٩ على قناة المصري الساعة الثامنة مساءً ضمن برنامج كلمة للتاريخ ؛ عدي عامر حسن العطواني , حزب الوفد المصري ودوره في السياسة المصرية ١٩١٨-١٩٢٧ , رسالة ماجستير , كلية الآداب , جامعة بغداد , ٢٠١٣ , ص ٨٨ .

(10) Donld M. Reid, OP. Cit, p.721

(١١) مقابلة تلفزيونية أجريت مع فؤاد سراج الدين ، بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٩٩ .

(١٢) محمد عبد القدوس ، المصدر السابق ، ١٤٧-١٤٨ .

(١٣) هو الابن الثاني لمحمد ماهر وكيل وزارة الحربية ، ولد في التاسع من تشرين الثاني عام ١٨٨١ في القاهرة ، حصل على شهادة الدكتوراه في القانون من فرنسا ، اشتغل قاضياً بمحكمة مصر ، ثم وزيراً للمعارف والمالية عام ١٩٢٤ و وزيراً للعدل عام ١٩٢٩ ، أصبح رئيساً لديوان الملكي مرتين الأولى ١٩٣٥-١٩٣٦ ، والثانية ١٩٣٧-١٩٣٩ ، تولى رئاسة الوزراء أربع مرات ، أولها عام ١٩٣٦ ، والثانية عام ١٩٣٩ ، والثالثة ٢٧ كانون الثاني عام ١٩٥٢ والرابعة ألفها في الثالث والعشرين من تموز عام ١٩٥٢ ، واستقال في السابع من أيلول عام ١٩٥٢ وانتخب في مشروع الدستور ثم رئيساً له توفي عام ١٩٦٠ . للمزيد ينظر : ميسون فياض ذرب العبادي ، علي ماهر ودوره في السياسة المصرية ، رسالة ماجستير ، كلية التربية - ابن رشد ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص ١-٣٤٨ ؛ محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج ٤ ، الدار النموذجية للطباعة ، بيروت ، ٢٠١٠ ، ص ٢٢٣٨ ؛ "الاهرام" ، العدد ٣٠٣٨٧ ، شباط ١٩٧٠ .

(١٤) محمد عبد القدوس ، المصدر السابق ، ص ١٤٨ .

(١٥) إحسان عبد القدوس ، " اخطر أربعة أسئلة يجيب عليها سراج الدين " ، " روز اليوسف " ، (مجلة) ، القاهرة ، العدد ١٢٦٣ ، ٢٥ آب ١٩٥٢ ، ص ٤ ؛ "المصور " ، العدد ٦١٢ ، ٣ تموز ١٩٣٦ ، ص ٢٢ .

(١٦) عاصم الدسوقي ، كبار ملاكي الأراضي ودورهم في المجتمع المصري ١٩١٤-١٩٥٢ ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٢٢٤ .

(١٧) ولد في الخامس والعشرين من تشرين الأول عام ١٨٨٩ بمحافظة قنا ، لعائلة من اشهر العائلات القبطية وأكثرها ثراء وقد درس القانون في اكسفورد ، وحصل على ما يعادل الدكتوراه بالقانون من فرنسا عام ١٩١٢ ، واختير سكرتيراً خاصاً للمستشار البريطاني برونيات طول مدة الحرب العالمية الأولى ولكن بسبب كتابته رسالة في معارضة لمستشار البريطاني شارحاً بهما مطالب الأمة المصرية وحقوقها إزاء بريطانيا ، واستغنوا عنه ، فعين أستاذ في كلية الحقوق وظل بها عامين (١٩١٨-١٩١٩) ، وفي عام ١٩١٩ انضم للوفد ، وفي عام ١٩٢٧ أصبح سكرتيراً للوفد ، وفي عام ١٩٢٨ عين مكرماً عبيد وزيراً للمواصلات ، وفي عام ١٩٣٥ ، وبعد

- معاهدة ١٩٣٦ عين مكرم عبيد وزيراً للمالية ، وفي عام ١٩٤٢ شكل مكرم عبيد حزب الكتلة الوفدية المستقلة ، لم يكن ملكاً لنفسه أو لأسرته كان ملكاً لأمته ، وحفظ أجزاء من القرآن الكريم وكان خطبه ومرافعاته تتضمن آيات قرآنية مما يحفظ . للمزيد ينظر : منى مكرم عبيد ، مكرم عبيد ١٨٨٩-١٩٨٩ كلمات ومواقف ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ ، ص ٥٣ ؛ أحمد عبد المعطي حجازي ، رؤية حضارية طبقية في عروبة مصر ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٢٨٣ ؛ "الرأي" ، (صحيفة) ، القاهرة ، العدد ١١٨٢٨ ، ١٩ تشرين الثاني ٢٠١١ .
- (١٨) مقابلة تلفزيونية ، أجريت مع فؤاد سراج الدين ، بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٩٩ .
- (١٩) حسنين كروم ، ذكرياتي السياسية فؤاد سراج الدين ، دار التعاون للطبع ، ٢٠٠٤ ، ص ١٥١ .
- (٢٠) ولد في الخامس عشر من حزيران عام ١٨٧٩ في بلدة سنمود التابعة لمديرية الغربية وكان والده الشيخ محمد النحاس يعمل بتجارة الخشب ، وقد اشتهر بالتقوى والورع ، وقد الحقه والده بالكتاب فحفظ القرآن الكريم وهو في الحادية عشرة من عمره ثم الحقه والده بمكتب التلغراف المحلي بالبلدة ، ثم التحق مصطفى النحاس بالمدرسة النصرية الابتدائية بالقاهرة ، وفي عام ١٨٩٢ التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية ، وفي أثناء مدة دراسته رفض مصطفى النحاس الالتحاق بالمدرسة الحربية عندما عرض اللورد كرومر المعتمد السامي البريطاني في عام ١٨٩٦ التطوع بخدمة العسكرية ، والتحق في العام نفسه بمدرسة الحقوق بالقاهرة وفي عام ١٩٠٠ حصل على شهادة الحقوق وفي عام ١٩٠٤ عرض عليه عبد الخالق ثروت وظيفة قاضي محكمة قنا ، وفي عام ١٩١٨ كان عضو في الحزب الوطني ثم أصبح عضو في حزب الوفد نفي مع سعد زغلول عام ١٩٢١ إلى جزيرة سيشل وفي عام ١٩٢٤ أصبح في اب عام ١٩٢٧ رئيساً لحزب الوفد ، وفي عام ١٩٣٥ تزوج من زينب الوكيل توفي عام ١٩٦٥ . ينظر : مختار احمد نور ، مصطفى النحاس رئيساً للوفد (١٩٢٧-١٩٥٣) ، مطبعة دار الكتب ، الوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص ١٥ ؛ "موسوعة أعلام العرب" ، ج ١ ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص ٥٦٣ ؛ باجرات سيرانيان ، الوفد والإخوان المسلمين ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٤٠-٤١ ؛ "المصري اليوم" ، (صحيفة) ، العدد ١٨٨٥ ، ١١ آب ٢٠٠٠ ؛ "الوفد" ، العدد ١٧ ، كانون الأول ، ٢٠١٢ .
- (٢١) حسنين كروم ، المصدر السابق ، ص ١٥١ .
- (٢٢) ضياء الدين الريس ، الدستور والاستقلال والثورة الوطنية ١٩٣٥ ، ج ٢ ، مطبعة الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٨٥ .
- (٢٣) حين يكون سن عضو مجلس الشيوخ لا يقل عن أربعين عاماً ، وان يكون تعيين خمس عدد أعضاء مجلس الشيوخ من صلاحيات الملك والثلاثة أخماس الباقيين ينتخبون من الشعب . ينظر : محمود متولي ، مصر والحياة النيابية قبل سنة ١٩٥٢ "دراسة وثائقية" ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٨٣ .
- (٢٤) محمد عبد الرحيم عنبر ، المصدر السابق ، ص ٩٠ .
- (٢٥) إنشاء بمديرية الغربية مركز بلقاس ويتكون من ثلاث عشرة بلدة . محمد رمزي ، المصدر السابق ، ص ١٣ .

- (٢٦) محمد عبد القدوس ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .
- (٢٧) المصدر نفسه ، ص ١١٣ .
- (٢٨) تم كتابة الوصية في الحادي والعشرين من حزيران عام ١٩٢٢ ، وكان عدد الأوصياء ثلاثة حددهم الملك فؤاد وهم كل من عديلي يكن ومحمود فخري وتوفيق نسيم ، وبما أن عديلي يكن كان احد الأوصياء قد توفي فلم يبق سوى توفيق نسيم ومحمد فخري ، فقد ارادت الاحزاب السياسيه تغير الاوصياء ، بينما ارادت بريطانيا خفض العدد من ثلاثة الى واحد ، ولكن استقر رأي على تعيين محمد علي وصياً ، وعبد العزيز عزت وشريف صبري (شقيق الملكة نازلي والدة الملك فاروق) ليكونون اوصياء على العرش . للمزيد ينظر : د . ك . و ، ملفات البلاط الملكي ، تسلسل الملف ٣١١/٧٢٦ ، رقم الملف ٥/٦٥٩ ، تقرير أسبوعي، ١٦ أياره ١٩٣٠ ، و ٢٨ ، ص ١٢٣؛ علاء الحديدي، مصطفى النحاس دراسة في الزعامة السياسية المصرية، دار الهلال ، ١٩٩٣ ، ص ٣١٣ .
- (٢٩) محمود عزمي ، الأيام المئة على هامش التاريخ المصري الحديث ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ص ١٣٢ .
- (٣٠) ولد عام ١٨٨١ في سوهاج عُيِّن قاضياً بالسودان ثم مفتشاً بالأوقاف ، ثم رئيساً للمحكمة الشرعية ، عين شيخاً للجامع الأزهر عام ١٩٢٨ ، وبعدها استقال عام ١٩٣٠ لخلاف مع الملك فؤاد وفي عهده وضع مشروع قانون الأزهر وتطويره ، ولقد كان من قبل رئيساً للجنة إصلاح الأزهر فجعل الدراسة أربع مراحل ، ثم عاد مصطفى المراغي إلى المشيخة للمرة الثانية عام ١٩٣٥ ، وعقب استقالة الشيخ الظواهري، وظل شيخاً للأزهر حتى عام ١٩٤٥ ، وله مؤلفات في تفسير بعض سور القرآن الكريم . ينظر : احمد محمد عوف ، الأزهر في الف عام، مطبعة الأزهر ، ١٩٧٠ ، ص ١٢٩ ؛ خير الدين الزركلي، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٠٣ .
- (٣١) محمود عزمي ، المصدر السابق ، ص ١١٨-١١٩ .
- (٣٢) شذى كريم حمد حسين ، التطورات الداخلية في مصر (١٩٣٩-١٩٤٥) ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٦ .
- (٣٣) فؤاد كرم ، النظارات والوزارات المصرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٩٤ ، ص ٣٥٦؛ عامر العقاد ، صفحات من معارك العقاد السياسية ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٢٨٦ .
- (٣٤) يونان لبيب رزق ، تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨-١٩٥٣ ، مطابع الاهرام ، القاهرة، ١٩٧٥ ، ص ٤٠١ ؛ سامي أبو النور ، دور القصر في الحياة السياسية في مصر ١٩٣٧-١٩٥٢ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٨٥ .
- (٣٥) يُعدّ محمد بلال صاحب فكرة تأسيس هذه الجماعة عندما كان طالباً بكلية الطب ، فقام بتكليف بعض ضباط الجيش المتقاعدين بتدريب أعضاء هذه الفرقة واتخذت لباس خاص بها وهو القميص الأزرق يرمز للوحدة والمساواة بين الشباب غنياً كان أم فقير ، متعلم أو غير متعلم. ويتسلح جندي هذه الفرقة بعصاة صغيرة معلقة لجانبه ترمز للجندية فضلاً عن خنجر يستخدم في أعمال المعسكر والرحلات ، كانت تهدف الجماعة للنهوض بالروح الرياضية بين الشباب ثم

- اصطبغت بالصبغة السياسية الحزبية وخرجت عن مبادئها وأصبحت أداة سياسية لإرهاب خصوم الوفد والقضاء على جمعية مصر الفتاة التي لا يرتاح الوفد لوجودها، وأخذت تتعدى على اجتماعات المعارضين وفي الثامن من آذار عام ١٩٣٨ صدر مرسوم بحظر الجمعيات والجماعات ذات التشكيلات الشبه عسكرية فتم حلها . للمزيد ينظر : د . ك . و ، ملفات البلاط الملكي ، تسلسل الملف ٣١١/٧٢٦ ، رقم الملف ١/٣/٢ ، تقرير شهر كانون الأول ١٩٣٥ عن الحالة السياسية والاقتصادية في مصر ، ١٦ كانون الثاني ١٩٣٦ ، و ٢٠ ، ص ٦٢ ؛ يونان لبيب رزق ، أصحاب القمصان الملونة في مصر (١٩٣٣-١٩٣٧) ، "المجلة التاريخية، القاهرة ، المجلد الحادي والعشرين ، ص ٢٠٧ ؛ "الأهرام" ، العدد ٤٣٢٩١ ، ١٦ حزيران ، ٢٠٠٥ .
- James p . Jankwshi , Egyptian Blue shirts and the Egyptian Wafd (1935-1938) Middle Eastern studies , London, Vol.11, No.3 1970 , p . 15 ؛
- (٣٦) يونان لبيب رزق ، أصحاب القمصان الملونة ، ص ٢٣٨-٢٣٩ .
- (٣٧) فؤاد كرم ، المصدر السابق ، ص ٣٦٢ ؛
- Tom Little , Modern Egypt , London , 1961 , p . 88 .
- (٣٨) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ١٩٣٧-١٩٤٨ ، ج ٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩ ، ص ١٠٨ .
- (٣٩) جمال سليم ، قراءة جديدة لحادث ٤ فبراير ، مؤسسة دار الشعب ، ١٩٧٥ ، ص ٢٩ .
- (٤٠) رئيس حزب الأحرار الدستوريين ، أكمل دراسته في جامعة اكسفورد عين مفتشاً للمالية ثم مديراً للمالية اشترك في تأليف الوفد المصري عام ١٩١٩ ، والف وزارته الأولى عام ١٩٢٨ . للمزيد ينظر : محمد شفيق غريال ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ، ص ١٦٦٢ .
- (٤١) مارسيل كولومب ، تطور مصر (١٩٢٤-١٩٥٠) ، ترجمة: زهير الشايب ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، د . ت ، ص ١٠٨ ؛ صلاح عيسى ، المصدر السابق ، ص ٨٧-٨٨ .
- (٤٢) محمد عبد القدوس ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .
- (٤٣) محمد عبد القدوس ، المصدر السابق ، ص ١٣-١٤ .
- (٤٤) فؤاد كرم ، المصدر السابق ، ص ٤١٦ .
- (٤٥) محمد فهمي أمين ، المصدر السابق ، ص ٩٥ ؛ Donald M. Rrid, Op. Cit, p. 125 .
- (٤٦) Alun Jeffry Toobin, Egyptian poliotcmaroo the Arab World (1955-1958) , London, 1967, p. 3
- (٤٧) د . ك . و ، ملفات البلاط الملكي ، تسلسل الملف ٧٢٤ / ٣١١ ، رقم الملف ١٤/٣٦٩ / ٢٦٢٧ ، تعديل الوزارة ، ٥ حزيران ١٩٤٣ ، و ٦ ، ص ٢٩ ؛ مركز الاهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات، قسم الملفات الوثائقية ، ملف فؤاد سراج الدين ، و ٣٢ ؛ يونان لبيب رزق ، تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٤٥٣ ؛ عبد الرحمن الرفاعي ، في أعقاب الثورة المصرية ، ج ٣ ، ص ١١٥ .
- (٤٨) "الأهرام" ، العدد ٢١٠٤١ ، ٣ حزيران ١٩٤٣ .
- (٤٩) "الأهرام" العدد ٢١٠٤٨ ، ١٠ حزيران ١٩٤٣ .
- (٥٠) عبد الوهاب بكر ، البوليس المصري ١٩٢٢-١٩٥٢ ، ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٢٦٢-٢٦٣ .

(٥١) وهي القوة التي يعتمد عليها في حفظ الأمن والنظام والقبض على الجناة والمفسدين والقيام بالأعمال الإدارية التي تكفل سلامة الجمهور وطمأنينتهم . كلمة البوليس استخدمت الكلمة لأول مرة في مصر عام ١٨٦٣ عندما استدعى الخديوي إسماعيل الضابطين الإيطاليين كارلسيمو والمركز نجري عندما أوكل إليهما تشكيل قوة نظامية تحل محل الأتراك غير النظامين . لمزيد ينظر : ناصر الأنصاري ، تاريخ أنظمة الشرطة في مصر ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ٦

(٥٢) عبد الوهاب بكر ، المصدر السابق ، ص ٢٦٣-٢٦٤ .

(٥٣) صالح عيسى السوداني ، الأسرار المصرية لإبطال الثورة المصرية آراء الدكتور محبوب ثابت ، شركة فن الطباعة ، القاهرة ، د. ت ، ص ١٦٩ ؛ محمود متولي ، حادث ٤ فبراير في التاريخ المصري المعاصر ، ص ١٢٢-١٢٣ ؛ عبد العظيم رمضان ، المصدر السابق ، ص ٢٧٤ .

(٥٤) منظمة سياسية دينية أسسها حسن البنا في الحادي عشر من نيسان عام ١٩٢٩ في الإسماعلية ، وتعد من أقوى القوى السياسية إذ نجحت بما فشلت فيه الكثير من الأحزاب على الرغم من عدم منحها شرعية العمل السياسي إلا أنها تمتلك شعبية على صعيد الشارع المصري ، أصدرت جريدة الإخوان المسلمين لسان حالها عام ١٩٣٣ ثم جريدة النذير ثم الشهاب وتوسعت الحركة وأصبح عدد أتباعها ما يعادل النصف مليون شخص ، وفي عام ١٩٣٥ أصبح لها أكثر من خمسين شعبة ، وأصبحت الدعوة عام ١٩٣٨ متكاملة العناصر مستوفية المنهج ، واتضحت معالم نشاطها بصورة أكبر وتجلت أطرها الفكرية وتبلورت استراتيجية التغيير الاجتماعي والسياسي لديها . للمزيد ينظر : ملف العالم العربي ، الدار العربية للوثائق م - ١١٠٩/١ ، وثيقة رقم ٩٠ ، بيروت ، ٢٨ كانون الثاني ١٩٧٥ ؛ محمد مورو ، الحركة الإسلامية في مصر رؤية من قرب من ١٩٢٨-١٩٩٣ ، الدار المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ٦٥ ؛ هيفاء محمد أحمد ، " دور مؤسسات المجتمع المدني المصرية في الحياة السياسية " ، (مجلة التربية للبنات) ، بغداد ، مجلد ٢٠ ، ٢٠٠٩ ، ص ١٣ .

(٥٥) هو حسن أحمد البنا الساعاتي ولد عام ١٩٠٦ في بلدة المحمودية محافظة البحيرة ، قضى أربع سنوات في مدرسة الرشاد الدينية ، وفي عام ١٩٢٠ التحق بمدرسة المعلمين بدمههور إذ تعلم مبادئ التصوف وفي عام ١٩٢٣ التحق البنا بمدرسة العلوم العليا بالقاهرة وحصل على دبلوم عام ١٩٢٧ وعين في إحدى المدارس الابتدائية بالإسماعيلية ، إنشاء عام ١٩٢٨ جماعة الإخوان المسلمين بمدينة الإسماعيلية وامتد نشاطها إلى مدن القناة ، وفي عام ١٩٣٣ انتقل إلى القاهرة فواصل دعوته وجعل شعارها "الله غابتنا والرسول زعيمنا والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا" ، واتخذت الجماعة طابعها سياسياً ، واختلفت مع الوزارات المتعاقبة خلال الحرب العالمية الثانية ، وتزعم حركة اشتراك المتطوعين في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، اغتيل البنا في الثاني من شباط عام ١٩٤٩ . لمزيد ينظر : خالد عزب ، الاغتيالات السياسية في مصر ١٩١٠-١٩٨١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د. ت ، ص ٤١٠ ؛ محمد حامد محمد ، موسوعة ١٨٧ شخصية ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص ١٥٥ ؛ محمد الباز ، " اخطر تحقيق جنائي عن اغتيال حسن البنا " ، "مجلة الفجر" ، القاهرة ، السنة الخامسة ، العدد ٢٦٩ ، ٦ أيلول ، ٢٠١٠ ، ص ٧ .

- (٥٦) رفعت السعيد، الارهاب المتأسلم لماذا ومتى واين، ج٢، دار أخبار اليوم، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢٢٦.
- (٥٧) زكريا سليمان بيومي ، الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية المصرية ١٩٢٨-١٩٤٨، مكتبة وهبة ، القاهرة، ١٩٧٨ ، ص ٢٢٦ .
- (٥٨) رفعت السعيد ، المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .
- (٥٩) حسنين كروم ، المصدر السابق ، ص ٨٥ .
- (٦٠) زهير مارديني ، اللودان الوفد والإخوان ، ط ٢ ، دار أقرأ ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ٢٤٥ .
- (٦١) حسنين كروم ، المصدر السابق ، ص ٨٩-٩١ .
- (٦٢) ملف فؤاد سراج الدين، و ٤٦ .
- (٦٣) مما يعني أن عدد سكان مصر آنذاك كان يبلغ ٤٨ . جمال فيصل حمد، التطورات الاجتماعية في مصر ١٩٤٥-١٩٥٢ ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٤ ، ص ١٠٠ .
- (٦٤) "الأهرام" ، العدد ٢١٢٠٦ ، ١٥ تشرين الثاني ١٩٤٣ .
- (٦٥) اسم مركب من يوز بمعنى مائة في التركية وياش بمعنى رأس والمراد به رأس مائة . للمزيد ينظر : أحمد تيمور ، الرتب والألقاب المصرية في الجيش والهيئات العلمية ، مطابع الكاتب العربي ، القاهرة، ١٩٥٠ ، ص ٥٧-٥٨ .
- (٦٦) ، و ٤٧ .
- (٦٧) عبد الوهاب بكر ، المصدر السابق ، ص ٢٦٤ .
- (٦٨) فؤاد سراج الدين ، لماذا الحزب الجديد ، دار الشروق ، القاهرة، ١٩٧٧ ، ص ٤١-٤٤ .
- (٦٩) صلاح الشاهد ، ذكرياتي في عهدي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ٤٤ .
- (٧٠) محمد عبد القدوس ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ .
- (٧١) ولد عام ١٨٨١ ، عين عام ١٩٢٤ في وزارة سعد زغلول وكيلاً لاشغال العمومية وفي عام ١٩٢٧ أصبح وزيراً لاشغال في وزارة عبد الخالق ثروت الثانية ، اهتم بمشروعات الإسكان الشعبي انجز الكثير من المشروعات منها التعلية الثانية لمشروع خزان اسوان أسهمت في توسيع الرقعة الزراعية . لمعي المطيعي، موسوعة نساء ورجال من مصر ، ص ٥١٠ ؛ "الأهرام"، العدد ٣٠٣٨٧ ، ٢ شباط ١٩٧٠ .
- (٧٢) صلاح الشاهد ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .
- (٧٣) ملف فؤاد سراج الدين ، و ٢٠٣٣ .
- (٧٤) المصدر نفسه .
- (٧٥) محمد حسن محمد ، النادي الأهلي في ٦٠ عاماً ، مطابع البلاغ ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ٢٢ .
- (٧٦) ملف فؤاد سراج الدين ، و ٩٩٠ .
- (٧٧) حسين حسني ، سنوات مع الملك فاروق ، دار الشروق ، ٢٠٠١ ، ص ١٧٦ ؛ حسن يوسف ، المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

فؤاد سراج وزيراً للداخلية والشؤون الاجتماعية في الوزارة النحاسية السادسة
(٢ حزيران ١٩٤٣ حتى ٨ تشرين الأول ١٩٤٤).....

- (٧٨) مدحت البسيوني , فاروق والحرس الحديدي اخطر تنظيم سري مسلح قبل ثورة ٢٣ يوليو, دار التعاون , القاهرة, د. ت, ص ١٣ ; مصطفى أمين , " لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد أزمة القصاصين ", الطليعة , السنة الحادية عشر , العدد الأول , كانون الثاني ١٩٧٥ , ص ٦٣ .
- (٧٩) صلاح الشاهد , المصدر السابق , ص ٣٥ .
- (٨٠) محمد عبد القدوس , المصدر السابق , ص ٢٩ .
- (٨١) علي سلامة , ما لا يعرفه الناس عن مصطفى النحاس , مطابع سجل العرب , القاهرة, ١٩٨٣ , ص ١٢٥-١٢٦ .
- (٨٢) علي سلامة , المصدر السابق , ص ١٢٧ .
- (٨٣) محمد عبد القدوس , المصدر السابق , ص ١١٧ ; محمد فهمي امين , المصدر السابق , ص ٢٠٥ .
- (٨٤) ملف فؤاد سراج الدين , و ٧٦ ; "الأهرام", العدد ٢١٣٠١ , ١٨ شباط ١٩٤٤ .
- (٨٥) محمد عبد القدوس , المصدر السابق , ص ١١٧ .
- (٨٦) ملف فؤاد سراج الدين , و ٨٥ .
- (٨٧) أنشئ هذا القسم في عام ١٩٠٣ لرفع مستوى رجال الشرطة وان المتخرجين من هذا القسم يختصون في الأعمال الكتابية والتنظيم الإداري في وزارة الداخلية . لمزيد ينظر : طلعت إسماعيل رمضان , الإدارة المصرية في فترة السيطرة البريطانية , دار المعارف, القاهرة , ١٩٧٧ , ص ٢٦٢ .
- (٨٨) "الأهرام", العدد ٢١٣٩٧ , ٢٥ أيار ١٩٤٤ .
- (٨٩) "البلاغ", العدد ٧٢٧٧ , ١٥ تموز ١٩٤٥ .
- (٩٠) محمد عبد القدوس , المصدر السابق , ص ٦٣ .
- (٩١) انتظار هادي جاسم طلفاح , الحركة النقابية العمالية في مصر ١٩١٩-١٩٥٢ , رسالة ماجستير , كلية التربية للبنات , جامعة بغداد , ٢٠١٤ , ص ١٢٤ .
- (٩٢) محمد حسن منصور , قانون العمل ماهية قانون العمل الفردي , منشورات الحلبي , بيروت , ٢٠١٠ , ص ١٧ .
- (٩٣) سعيد عبد السلام حبيب , مشاكل العمل والعمال , مكتبة النهضة المصرية , القاهرة, ١٩٥١ , ص ٧٤ ; انتظار هادي جاسم طلفاح , المصدر السابق , ص ١٢٥ .
- (٩٤) "الأهرام", العدد ٢١١٢٦ , ٢٧ اب ١٩٤٣ .
- (٩٥) ملف فؤاد سراج الدين, و ٤٠ .
- (٩٦) هشام محمد محمود , قانون العمل عقد العمل الفردي , دار المعرفة , الإسكندرية , د. ت, ص ٦ .
- (٩٧) حسن كيره, أصول قانون العمل عقد العمل, دار المعارف, الإسكندرية, ١٩٧٩ , ص ٧ .
- (٩٨) محمد فهمي أمين , المصدر السابق , ص ٢٠٩ .
- (٩٩) "الأهرام", العدد ٢١٠٧٣ , ٥ أيلول ١٩٤٣ .
- (١٠٠) ملف فؤاد سراج الدين, و ٣٩ .

- (١٠١) محمد فهم أمين ، المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .
- (١٠٢) ملف فؤاد سراج الدين ، و ٤٨ ؛ محمد فريد حشيش ، المصدر السابق ، ص ٨٤ .
- (١٠٣) طه سعيد عثمان ، الطبقة العاملة والعمل السياسي ، العروبة للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٨٤ .
- (١٠٤) "الأهرام" ، العدد ٢١١٢٦ ، ٢٧ آب ١٩٤٣ .
- (١٠٥) نشأة فكرة هذا المشروع أواخر عام ١٩٣١ ، وكان مؤسس جمعية مصر الفتاة ورئيسها أحمد حسين صاحب هذه الفكرة ، وكانت مصر في تلك المدة تعاني أزمة اقتصادية مخيفة وهبطت أسعار القطن ، وأصبحت الأزمة الاقتصادية هي ما تشغل بال كل مصري بما ان مصر تعتمد على الزراعة فادرك ان كل ما تحتاجه مصر وسط الظروف المختلفة هو العمل في إيجاد صناعات لاسيما الصناعات الوطنية ولما كانت الصناعة تحتاج إلى رؤوس أموال رأى ان ما يحقق غايتها أن يساهم الشعب في إنشاء الصناعات القومية ، وان قيام صناعة طرايش من جديد يرجع إلى نهضة الشبان في مشروع القرش ، وكان الغرض منه استخدام المال لبناء أول مصنع للطرايش في مصر . للمزيد ينظر : أحمد حسين ، أيماي ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ٥٠ ؛ عمر طوسون ، مؤلفات الأمير طوسون ، مكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٥ ، ص ١٤٧ .
- (١٠٦) "الأهرام" ، العدد ٢١١٢٠ ، ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٣ .
- (١٠٧) ملف فؤاد سراج الدين ، و ٥٤ .
- (١٠٨) محمد فهم أمين ، المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .
- (١٠٩) طه سعد عثمان ، مذكرات ووثائق من تاريخ عمال مصر ، ج ٢ ، دار المأمون ، القاهرة ، د . ت ، ص ٧٤ ؛ يوسف فخري ، تشريع العمل وتطوره ، د . ط ، ١٩٧١ ، ص ١٤ ؛ محمد حسين منصور ، المصدر السابق ، ص ١٥ ؛ محمد فهم أمين ، المصدر السابق ، ص ٢٩٢ .
- (١١٠) ملف فؤاد سراج الدين ، و ٨٨ .
- (١١١) محمد فهم أمين ، المصدر السابق ، ص ٢١٠ .
- (١١٢) المصدر نفسه ؛ انتظار هادي جاسم طلفاح ، المصدر السابق ، ص ١٢٦ .
- (١١٣) ملف فؤاد سراج الدين ، و ١٢٣ .

**أهمية المياه في العراق القديم وسبل
معالجتها حتى عام ٥٣٩ ق.م**

**أ.م. انتصار ناجي الزنكي
جامعة الكوفة / كلية الآثار**

أهمية المياه في العراق القديم وسبل معالجتها حتى عام ٥٣٩ ق.م.

أ.م. انتصار ناجي الزنكي

تمهيد :

لقد أصبحت الحرب الأسلوب الذي يتبعه ملوك المدن في بلاد وادي الرافدين للسيطرة على المنافس لهم من المدن الأخرى وخصوصاً ما يتعلق منها بالسيطرة على مجاري المياه و الأراضي الزراعية الخصبة و أصبح هذا المبدأ هو الحل للمنافسة من جهة دون جهة أخرى الحاجة الاقتصادية التي تمر بها المدينة أو تلك كانت الدافع وراء هذه (الحروب) لذلك يمكننا ان نضع هذا السبب في مقدمة الأساليب التي دعت لشن الحرب , الدافع الاقتصادي الذي كانت من ركائزه المهمة الزراعة التي لولا المياه لما نشئت من الناحية و ازدهرت في عصر فجر السلالات الذي كان من أهم مايميزه من الناحية السياسية أن القطر كان مجزأً إلى عدة دول مدن مستقلة و منفصلة الواحدة عن الآخر ^(١) , وأن كل مدينة رئيسية أصبحت مركز دولة مستقلة عن غيرها , ولها أجهزتها الخاصة بها من مؤسسات سياسية و دينية و اقتصادية و عسكرية ^(٢) , غالباً ما كان يقوم بين هذه الدويلات المنازعات و الحروب ؛ وذلك بسبب ان السلالات الحاكمة في هذه المدن كانت تسعى دوماً إلى تأمين في أسباب بقاءها و استمرارية هذه الدويلات إلى اطول فترة ممكنة من الزمن ^(٣) , فإذا ما أحست هذه الدولة أن الحيف قد أصابها فيما تحتاج اليه من المياه أو قطعوها عنها قطعاً باتاً , فأن هذا دافعاً إليها لأن تصبح على أهبة الحرب ^(٤) , و كذلك التجاوز على الأراضي و الحقول التابعة لها ^(٥) , وهكذا فأن أول الحروب بدأت للاستيلاء على مساحات واسعة من الاراضي الزراعية التي أصبحت أهم مصدراً للقوة و الثروة ^(٦) , فنظرة خاطفة إلى المصادر التاريخية نلاحظ مراراً عدة صراعات سياسية التي كانت تنتقل في سهول بلاد

وادي الرافدين من دويلة الى اخرى حتى انها كانت تعود الى قسم من هذه الدويلات على اختلاف العصور وفي أثناء عدة سنوات^(٧) .

فيضان الأنهر و القنوات و السيطرة عليها :-

لتحقيق الزراعة نجاحاً في بلاد وادي الرافدين كان لازماً الحقول من مياه الفيضان^(٨) , وقد تمكن الانسان الذي سكن في سهول بلاد وادي الرافدين من السيطرة على كوراث الفيضانات عن طريق حفر قنوات المياه أولاً , وبناء السدود ثانياً^(٩) , إذ كان قيام الري يستدعي شق القنوات , وإنشاء السدود التي تسيطر على كميات المياه عن طريق خزنها , ثم يتم توزيعها في قنوات لسقي الاراضي الزراعية , وقت طغيان المياه , وتستخدم هذه المياه في وقت الشحة ايضاً لسد حاجة النباتات من المياه , وخصوصاً في وقت الصيف و الخريف^(١٠) , وقد استعمل القصب و البردي , و التراب كمواد اساسية في عمل السدود^(١١) .

ولقد اصطلح على السدود مصطلحات مختلفة فبالسومرية اطلق عليها (kum-zi-da) والتي عرفت من خلال مدونات سلالة أور الثالثة , بالإضافة الى الاصطلاحات (durum) و (gis-kes-(ra)^(١٢) , وكذلك في اللغة الاكدية (hiritu)^(١٣) , فضلاً عن هذه الاصطلاحات كان مصطلح (neg-kud) الذي هو تعبير عن مجمعات المياه , عرف من خلال المدونات التي وجدت في مدينة (لكش) في فترة عصر فجر السلالات وحتى سلالة أور الثالثة^(١٤) , كما استعملت للدلالة على السد مصطلح (hirsu)^(١٥) , وكذلك المصطلح (lku) الذي ميز بين { سد القناة (iku)na -a - ru } و { سدة الحقل (iku)eq - li } و { سدة الحدود - (iku) } (te-e)^(١٦) من امثال سدة الحدود التي قام بعملها الملك "انتميما" مع مدينة أوما وهي سدة الحدود في نكرسو^(١٧) .

يبدو من اختلاف المصطلحات التي كانت تشير الى انها استعمل لفترات مختلفة فكل فترة اطلقت اصطلاحاً معيناً على السدود فضلاً عن أهمية هذه السدود للمدينة القريبة منه و الغرض الذي من أجله بني هذا السد .

أهم السدود التي أقيمت في فترة عصر فجر السلالات السد الذي أقامه الملك "" أي أناتم "" (٢٤٥٤-٢٤٢٥ ق.م) ، لتلاقي شحة المياه نتيجة المنافسة عليه من قبل مدينة (أوما) ويعد هذا السد كبيراً بحيث أن المياه التي يحتويها تغطي حاجة الأراضي الزراعية في هذه المدينة ، وقد استعمل الاجر المشوي و القار لمقاومة الرطوبة الناتجة من المياه اذ بلغت كمية القأر فيه ما يقارب "" ٢٥٩٠٠ لتر (١٨) ، وقد أقيم هذا السد على قناة "" لوماجيمدو الحدودية "" (١٩) ، وهو يستوعب ما يقارب (١٧) مليون غالون من الماء (٢٠) ، وقد أتم الملك "" انتيمينا "" (٢٤٠٤-٢٣٧٥ ق.م) المشروع الذي بدأ به الملك "" أي أناتم "" فقد استمر في بناء السدود الحاجة المستمرة للمياه من حيث كمية الطابوق الذي استعمل فيه وبلغ حوالي ثمانية ملايين طابوقة و كمية القير بلغت "" ٢٦٤٩٦٠ لتر (٢١) ، وحدد مكان هذا السد في مدينة اريدو وقد بناه الملك "" انتيمينا "" تيمناً باله المياه انكي (٢٢) ، و الغرض الاساسي الذي كان يدفع لمثل هكذا مشاريع هو الخطر الذي يهدد البلاد سنوياً وهو الفيضان (٢٣) ومن خلال إصلاحات الملك "" اورنمكينا "" (٢٣٥٥ق.م) بينت أن هذا الملك فضلاً عن فتحة قناة المياه فإنه أقام خزاناً من أجل ملئة بالمياه :

((....حفر

من أجل الآلهة ناشئة

نهر ادنادو

جدولها المحبوب

وجعلت خزانات المياه

كالبحر في غزارتها)) (٢٤) .

وقد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أن الملك "" اتو - حيكال ""

(٢١٢٠-٢١١٤ ق.م) قد مات غرقاً وهو يشرف على بناء سد على احد الأنهار (٢٥)

عمل الملك " سوموايل " (١٨٩٤-١٨٦٦ ق.م) ببناء سد على قناة أيسن ^(٢٦) , حيث استعمل في بناءه مليون وثلاثمائة ألف طابوقة تلتها مفخور ^(٢٧) , ويستوعب (١٣٠) ألف متر مكعب من الماء ^(٢٨) .

يمكننا ان نميز أهمية بناء السدود من خلال أسماء بعض سنوات حكم ملوك العراق القديم و التي لم تشر إليها مدونات أخرى , تبين تفاصيل بناء هذه السدود , فنجد أن ملك كيش المدعو " خالتيوم " بني سداً على النهر المسمى (البقرة الكبيرة) وعلى النهر المسمى (القوى الإلهية للإله انليل) ^(٢٩) .

يبدو أن حكام سلالة بابل الأولى (١٨٩٤-١٥٩٥ ق.م) كانوا يسعون للسيطرة على المياه كسعيهم للسيطرة السياسية على البلاد , فمن خلال أسماء سنوات حكم الملك " سوموايل " (١٨٨٠-١٨٤٥ ق.م) نجده سمي السنة الثانية و الثلاثين من حكمه: ((السنة التي فتحت بها سد)) ^(٣٠)

سار الملك " زابوم " (١٨٤٤-١٨٣١) على نفس السياسة في هذا المجال حيث سمي السنة الثانية عشرة على حكمه : ((السنة التي فتح بها سد آبا هي الوفرة)) ^(٣١) .

وخلال حكم " ابل سين " (١٨٣٠-١٨١٣ ق.م) يبدو واضحاً اهتمام هذا الملك بسدود الأنهار من خلال سنة حكمه الثانية عشرة حيث أطلق عليها . ((السنة التي نضم بها سد قناة الفرات)) ^(٣٢) .

اما الملك حمورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق . م) فقد اولى اهتماماً كبيراً ببناء السدود لدرى خطر الفيضان , أو لخرن المياه والاستفادة منها عند شحة المياه وخاصة في فصل الصيف , فخلال سنة حكمه الثانية والاربعين عمل على بناء سدين على نهري الفرات ودجلة , وجاء في احدى كتاباته التذكارية انه بنى سداً كبيراً عند تفرع إحدى القنوات التي شقها جاء فيها:

{ في ذلك الوقت أنا حمورابي الملك القوي محبوب الآلهة العظام بنيت سداً عظيماً على راس القناة بالتراب الكثير وأقمته عالياً مثل الجبل } ^(٣٣) .

كان الملك حمورابي يرسل أوامره بشأن عمليات السقي ، وتعليماته الملكية بشأن فتح او غلق بوابات الأنهر والقنوات عند الحالات الطارئة ، أو يوعز بإنشاء سدود حاجزة لرفع مناسيب مياه شحتها ، وقد أمر أحد حكامه في رسالة بعثها له :

{ إذا كان هناك ماء (كان) في لارسا و أور لاتبنى سداً عند فم النهر الذي أخبرتك عنه ، أما إذا لم يكن هناك ماء في لارسا و أور ، أبني سداً في منابع الأنهار التي أخبرتك عنها ، يجب أن تحصل لارسا و أور على الماء { (٣٤) .

ومن الوسائل الموجه إلى حكامه وجدت رسالة يقول فيها :

{ إذا (وجدت) عند تفتيشك أن السدود لا (تقوى) أمام مياه الفيضان القادم افتح القنوات كما أخبرتك { (٣٥) .

وعمد الملك حمورابي إلى أسلوب آخر لمعالجة نقص المياه أو زيادتها عند الحاجة في اوقات الفيضانات الشديدة بالاستفادة من المنخفضات الطبيعية كالأهوار والمستنقعات المنتشرة في جنوب العراق وعمل على إنشاء خزانات اصطناعية زيادة في الاحتياط وقد ورد في رسالة له موجهة إلى حاكم مدينة لارسا :

(جاء الفيضان مسرعاً ، الماء يزداد بسرعة افتح الخزان المنشئ من أجل الأهواز وأملئ الحقول المجاورة إلى لارسا بالماء) (٣٦) .

لقد عرف عن الملك البابلي " نبوخذ نصر الثاني " (٦٠٤ - ٥٦٢ ق . م) أنه قام ببناء سوراً لمدينة بابل واستثمر المنخفضات الطبيعية القريبة من هذا السور لمئنها بالمياه (٣٧) . ومن متابعة أعمال الملوك في العراق القديم نجد أن هذه الفكرة كانت هي التي دفعت الملك شولكي (٢٠٩٤ - ٢٠٤٧ ق . م) لبناء سوراً لمدينة بابل فمن خلال التحريات الأثرية عرف السور الذي قام ببناؤه وقد وصف هذا السور من قبل الباحثين :

{ على مقربة من مدينة بابل ترتفع حافة عالية من ركام الأرض ، ارتفاعها ١٤ قدم (٤,٢ م) وتستمر لحوالي ٣٠٠ ياردة (٢٧٠ م) عندئذ تشكل زاوية قائمة مع الرشق ، وتأخذ ذلك الاتجاه إلى ان تلتقي بالنهر (نهر دجلة) الطابق الطيني المجفف (

الأجر) مرثياً بوضوح لكن مستوى الأراضي الزراعية الآن مساوي لمستوى النهر , إذ أن أية تصاميم أخرى في الاتجاه المعاكس لا يمكن رؤيتها { (٣٨) , وجدت بعض اثار هذا السور شرق بابل ويمتد باتجاه مدينة " كيش " ربما كان هذا بقايا من سد كان يمتد بين مدينتي بابل وكيش , والملوك الذي خلفوا الملك شولكي قاموا ببناء سوراً لبابل فنقرأ في السنة الثانية من حكم الملك " سومو لا ايل "

((السنة التي بنى بها السور العظيم لبابل)) (٣٩)

ومن اعمال الملك " ابل سين " (١٨٣٠ - ١٨١٣ ق . م) في السنة الثانية من حكمه :

((السنة التي بها سور بابل بنى)) (٤٠).

على هذا الاساس فإن المشروع الذي قام به الملك نبوخذ نصر الثاني كان قد سبقه به العديد من ملوك العراق القديم , كما ورد عن الملك نبوخذ نصر الثاني أنه أتم العمل بهذا السد بغضون (١٥) يوماً وبجهود كبيرة , وقد اختار هذا الملك المكان لهذا السد في نقطة مهمة إذ تبلغ المسافة بين نهري دجلة والفرات تقريباً (٣٠ كم) , يمتد بين نهري دجلة الى الفرات في حين يبلغ ارتفاعه مايقارب عشرة أمتار , وهو يتكون من جدارين يفصل بينهما مسافة ٧,٢٠م فقد كان سمك الجدار الخارجي (٤) م والجدار الداخلي (٦,٥٠) م , وكان الطابوق المستعمل في بناء واجهة هذا السد من النوع المزدوج المفخور لمقاومة الرطوبة (٤١) .

لقد كان لهذا العمل الذي قام به الملك " نبوخذ نصر الثاني " ثلاث خصائص فهو يعمل كحاجز عن الفيضان من نهري دجلة والفرات من جهة , لمنع الاعداء من التقدم باتجاه مدينة بابل من جهة ثانية وأخيراً تستعمل المياه المخزونة به لاستعمال في حال قلة مناسيب المياه (٤٢) , وفي ذلك يقول الملك " نبوخذ نصر الثاني " :

{ حتى لا يقترب العدو , عديم (الرحمة) من بابل أحطت البلاد بمياه غزيرة مثل امتداد البحر , أمواجه مثل امواج البحر الواسع قويت دفاعاتها بمهارة وجعلت مدينة بابل تشبه الحصن { (٤٣) .

يبلغ محيط بحيرة الماء (٢٠٠ كم) وعمقها (٣٦ م) تقريباً ^(٤٤) , وقد قامت عدة دراسات لمسح هذه المنطقة بالإضافة الى ما وجد من اثار لهذا السد أثناء عمليات التحري ^(٤٥) . وبذلك فأن السيطرة على المياه وزيادة مناسيبها كان الدافع لإنجاز السدود التي كانت تؤدي هذا الغرض بالإضافة الى استعمالها لتحسين المدينة ضد الاعتداءات الخارجية .

خلاصة لما ذكر نجد أن اول مشكلة كانت تتمثل بالسيطرة على المياه الناتجة من ارتفاع مناسيب المياه , وهذا قد وجف العراقيين للتفكير بأيجاد وسيلة لمعالجة هذه المشكلة التي كانت تهدد جميع بلاد وادي الرافدين منذ بداية عهوده التاريخية وكانت فكرة اقامة السدود والخزانات واحدة من أهم الأبداعات التي توصل اليها العراقيون في تلك الفترة لحل تلك المشكلة المستديمة وكما اتضح في الصفحات السابقة ومن خلال الأبحاث والدراسات الحديثة ان حكام والملوك تركوا لنا في كتاباتهم ابرز انجازاتهم لحل هذه المشكلة بحيث إن النصوص المسمارية لم تشير الى اقامة السدود فقط بل إنها اشارت وبشكل تفصيلي الى المواد المستخدمة وكمياتها لغرض إنشاء سد أو خزان مياه وبالتالي فأن مثل هذا الجهد قد أعطى للسكان من الاطمئنان النسبي لاستقرار وضع المياه وكمياتها شيء من التكيف بشكل ايجابي مع الحياة الاقتصادية للمجتمع العراقي عبر مراحل تاريخية المتعاقبة .

التشريعات القانونية التي نظمت عملية الري في سهول بلاد وادي الرافدين :-

يعد وادي الرافدين منذ أقدم العصور بلد زراعياً خصبة ومياهه وفيرة و مناخه ملائم لأنواع كثيرة من المحاصيل الزراعية و الأشجار المثمرة إضافة إلى نشاط إنسان بلاد وادي الرافدين الذي عرف كيف يعمل لتسخير الأرض و الطبيعة لخدمته وكان اعتماده في الزراعة على مياه الأمطار إذ كانت الزراعة محدودة في مراحلها المبكرة ^(٤٦) إلا أن استقراره في السهل الرسوبي جعله يعتمد في الزراعة على وسائل الري التي قام هو بتوفير المياه لها ^(٤٧) .

كانت ثروة أهل بلاد وادي الرافدين حياتهم بالذات تتأثر بحسن استعمال الأرض وخصوصاً بريهم المنظم لها ، إذن لأبد من وجود قواعد لأسلوب الاستفادة من مياه الإرواء وعدم الإضرار بحقول وبساتين غيرهم ، و الإهمال في استخدام قنوات الري قدي يجلب الدمار على أراضي أناس آخرين في المجتمع ؛ لذلك كان من الضروري وضع قواعد لأسلوب استخدام قنوات الري وضمان حسن أتباعها وهذا كان الأسباب التي أدت الى ظهور التشريعات القانونية و النظم الإدارية و إيجاد نظام الشرطة البدائي (٤٨) .

وإبان الفترة المحصورة وبعد منتصف الألف الرابع قبل الميلاد وظهر القضاء على حقيقته في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد يبدو أن المشكلات الاقتصادية و الإدارية و الاجتماعية الناجمة عن تطور المجتمع كانت تعالج بصيغ الإصلاحات الاجتماعية لا من خلال سن القوانين ، وخير دليل على المشكلات التي واجهت الملك "" أورنمكينا "" (٢١٤٣-٢١٢٤ ق.م) التي حاول مواجهتها بإصدار وثيقة ترمي الى إصلاح المجتمع نتيجة لما أصابه وهذه الوثيقة تسمى من قبل الباحثين المختصين بالدراسات المسمارية بإصلاحات "" اور نمكينا "" الاجتماعية وقد تضمنت هذه الإصلاحات التي قام بها هذه الملك لتنظيم عملية السقي و ما جاء فيها : -

{... في مدينتها الطاهرة

قد بناه لها

(إلى) الآلهة نانشية

القناة التي تؤدي إلى نينا

قناتها المحبوبة

بالمسحاة حفرها (إلى الآلهة نانشية)

مصبا

تركه حتى منتصف الحبر

يصل {...} (٥٠) .

تلى إصلاحات اور ونمكينا تشريع القوانين :

إذ يجمع الباحثون على إن قانون الملك "" أور نمو "" (٢١١٢-٢٠٩٥ ق.م) , يعد أقدم قانون مدون في تاريخ العراق القديم وفي تاريخ البشرية جمعاء ^(٥١) , ومن المؤسف حقاً لم يعثر على قانون "" أور نمو "" بصيغته الأصلية بل أمكن الكشف عن أجزاء تالفة جزئياً من نسخة ثانية من القانون كانت دونت على ألواح الطين عثر على احد هذه الألواح في مدينة "" نفر "" أمكن قراءة خمس مواد قانونية مع جزء من المقدمة ثم أمكن التعرف على لوح آخر كشف عنه في مدينة (أور) نفسها وهو يحمل أجزاء جديدة من القانون وقد تمكن الباحثين من قراءة اثنتين وعشرين مادة قانونية مدونه عليه وهذين اللوحين هو بقايا نسخة ثانية للقانون كان قد دون أصلاً على مسلة من الحجر ضمت أكثر من ثلاثين مادة وقد عالج هذا القانون مسألة الري فالمادة (٢٨) من القانون نصت على :

{ إذا تسبب رجل في اغراق حقل مزروع يعود لرجل آخر , عليه ان يدفع (لصاحب الحقل) ٣كور من الشعير لكل ايكو من الحقل } ^(٥٢) .

ومن أبرز القوانين في العراق القديم التي عالجت شؤون الري بصورة دقيقة "" شريعة حمورابي "" الذي حكم بابل الاولى (١٨٩٤-١٥٩٥ ق.م) تتكون "" شريعة حمورابي "" من ٢٨٢ مادة وجدت "" شريعة حمورابي "" منقوشة على لوحة حجرية , محببة من حجر الديوريت الاسود ارتفاعها ٢,٢٥متر وقطرها ٦٠ "" سننيمتر وهي على شكل اسطوانة و النسخة الاصلية من "" شريعة حمورابي "" هي الآن كنوز متحف اللوفر في باريس ولوحظ ان محو نصوص الشريعة وتسجيل انتصاراته عليها غير اناه أمسك عن محوها ^(٥٣) .

اهتم الملك "" حمورابي "" بالمساقات ونظمها بدقة فكان يجبر المواطنين على الاهتمام بتنظيم السقاة التي كانت تسقى حقولهم و العمل بكل الوسائل على رفع الرمال الملازمة للاقنية ^(٥٤) فقد نصت المواد ٥٣-٥٦ وهي كالآتي :-

{ إذا سيد نقض يده من تقوية سدة ولم يقو ثم في سده فتحة قد انفتحت وتسببت في أن يكتسح الماء الأرض المزروعة , السيد الذي في سده انفتحت فتحة يعوض الحبوب التي اتلف }^(٥٥) .

المادة ٥٤ : -

{إذا (ذلك السيد) لا يستطيع تعويض الحبوب يبيعونه بالمال مع ملكه و يتقاسم (الثمن) أبناء الأرض المزروعة الذين كسح الماء حبوبهم }^(٥٦) .

المادة ٥٥ :-

{إذا سيد فتح ساقية (ثم) نقض يده فسبب في أن يكتسح الماء حقل جاره (عليه أن) يمد جاره حبوباً كما (كان مقدراً ان ينتج) }^(٥٧) .

المادة ٥٦ :-

{إذا سيد فتح الماء و تسبب في أن يكتسح الأعمال المنجزة لحقل جاره (عليه أن) يمد (جاره بـ) ٣٠٠٠ لتر حبوب (عن) كل ستة هكتارات و نصف , ومن الحقل }^(٥٨)

ومن العصر البابلي الحديث (٦٢٦-٥٣٩ ق.م) عثر على لوح طيني يحتوي على مواد قانونية محفوظة في المتحف البريطاني ثم نشرت ترجمة النص كاملة ١٨٨٩م^(٥٩) , وقد عالجت هذه القوانين مسألة الري حيث نصت :

المادة ٣٨ :

{إذا حفر مستودع مياه للسقي ولم يقو جوانبه وحدث الماء كسرة و اغرق حقل جارة عليه , (أي الذي حفر مستودع المياه) أن يدفع حبوباً إلى صاحب الحقل قياساً على إنتاج حقل جاره الآخر }^(٦٠).

هكذا نظمت القوانين في العراق القديم موضوع الري كموضوع حيوي في حياة الفرد من الجانب الاقتصادي ولكي تضمن حقوق الآخرين ولكي لا يكون هناك تجاوز على المصلحة العامة التي تضر بمصلحة الفرد أولاً و مصلحة أفراد المجتمع ثانياً , فالتجاوز على حصة الآخرين من المياه من حيث المنازعات و الحروب إضافة الى الأزمات الاقتصادية و أن كل هذا ممكن تجاوزه من خلال هذه القوانين التي أعطت

المسار الصحيح الذي يسير عليه الفرد في عملية استخدام المياه من متابعة هذه القوانين يمكننا ان نعرف أنه يكاد أن تكون كل فترة تاريخية عالجت قوانينها شؤون الري

ابرز حروب المياه في العراق القديم حتى عام ٥٣٩ ق.م :-

لعل أهم حروب المياه التي سجلت إحداثها ابان عصر فجر السلالات هي الحرب التي اندلعت بين دولتي (لكش و أوما) وأن أجل ما نعرفه عنهم مستقى بالدرجة الاولى من الأخبار التي ذكرها حكام لكش , لاسيما أحداث النزاع على الاراضي الزراعية وعلى مياه الري من جراء جوراهما المتقارب , فإن أو ما تقع في أعالي مصادر المياه لكلتا الدولتين , فكلتا المدينتين كانتا تجهز بالمياه من فرع يجري من قناة (الايثورونكال) بعد أن يدخل محيط مدينة اوما يتجه فرع منه نحو مدينة لكش^(٦١) كما ان الأراضي التي تقع بين هاتين المدينتين تعتبر من الأرض الخصبة , وتسمى هذه الأراضي بسهول جوادينا(Gu-edena) ^(٦٢) , لذلك فإن هذه العوامل أثرت بشكل تام على العلاقات بين مدينتين (لكش و أوما) حيث اتسمت العلاقات بين هاتين الدولتين بالنزاع على الأراضي الزراعية ومياه الري من جراء وقوعهما موقعاً متجاوزاً^(٦٣) , بالإضافة الى اعتماد مدينة لكش على المياه الآتية من مجرى المياه القادم من مدينة اوما التي كانت تستأثر به هذه المدينة وفي كثير من الاحيان تقلل المياه الجارية نحو مدينة لكش فتسبب المتاعب و تقل المياه في مدينة لكش^(٦٤) .

كانت مدينة (لكش) تضم عدة مدن أهمها ثلاث مدن متجاورة , وهي مدينة (كرسو) ومدينة (نينا) , ومدينة (لكش) وتدل الآثار المكتشفة على ازدهار حضاري و رخاء اقتصادي عاشت في ظله دولة (لكش)^(٦٥) , كان المحفز لهذه الحرب الانتصارات التي حققها الملك "" أي أناتم "" (٢٤٥٤-٢٤٢٥ ق.م) ضد العيلاميين أثناء شنه الحرب ضد مدينة (لكش) , فتحفر حاكم مدينة (أوما) وهجم على مدينة (لكش) , ويخبر يخبرنا الملك "" أي أناتم "" عن نتيجة هذه المعركة وهي أنه بإيعاز من آله البلاد "" ننكر سو "" ردَّ هذا الهجوم و هزم جيش العدو^(٦٦).

وقد خلد الملك "" أي أناتم "" انتصاره هذا في مسلة نحتها لهذا الغرض , وعثر على المسلة في موقع مدينة (لكش) القديمة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي من قبل القنصل الفرنسي الفرنسي في البصرة عندما كان ينقب هناك وقد أعيد تركيب اجزاء المسلة حيث عثر عليها محطمة وهي الآن محفوظة في متحف اللوفر في باريس ^(٦٧) , وقد سماها الباحثون بأسم (مسلة النسور) أو (مسلة العقبان) ^(٦٨) (stela of the vultures) , لأن نسوراً وعقباناً صورت في المسلة وهي تنهش جثث القتلى من جيش مدينة (أوما) , كما مثل الملك "" أي أناتم "" في أحد وجهي المسلة بالنحت البارز وهو في عدته الحربية , مرة واقفاً , ومرة في عربته الحربية قائداً جيشه الذي نظم على هيئة صف وقد تسلح الجنود بالرماح الطويلة , وبالدروع , أما الوجه الثاني من المسلة فقد نحت بمشهد يصور الآلهة (ننكوسو) حامي مدينة (لكش) وقد نشر شبكته العظيمة فاصطاد في داخلها جيش المدينة المعادية ولم يكتف باصطياد المحاربين بل نجده يهشم رؤوسهم الخارجة من الشبكة بدبوسه الحجري ^(٦٩) , حددت (مسلة النسور) أبعاد النزاع بين مدينتي (لكش و أوما) وقد انتهى هذا النزاع الى عقد معاهدة بتحكيم طرف ثالث وهو ""ميسليم"" في حدود (٢٥٠٠ ق.م) حاكم مدينة (كيش) وهو الطرف الثالث في هذه المعاهدة بصفته الملك الذي ارتضى بتحكيمه , كلا الحاكمين بذلك تشير وثيقة أو معاهدة التحكيم :-

{ انليل ملك الأقطار جميعها

والد اللالهة كلها , حدد حدود (ننكر سو) ^(٧٠)

و(شار) ^(٧١) بكلمته الثابته , وقام

(ميسليم) ملك كيش بتحديد أبعادها

وفقاً لكلمة (ساتران) وأقام مسلة

هناك ^(٧٢).

لم تذكر المعاهدة حاكم المدينة (أوما) الذي عقد هذه المعاهدة بل ذكرته بصيغة (رجل أوما) ^(٧٣) بالمقابل أن حاكم مدينة (لكش) ذكر في هذه المعاهدة.

{(أي - أناتم) وضع شبكة (شوشكال)

العائدة للإله (انليل) فوق رجل (أوما)

وأقسم (رجل اوما) له (أي لاي - أناتم){^(٧٤) .

لكن هذا الاتفاق لم يدم طويلاً فبعد وفاة "أي - أناتم" تسلم الحكم أخوه "إين - أناتم" أما في مدينة (أوما) فقام كذلك حاكم جديد يدعى "أرو لوما - Ur lumma" انتهز هذا الملك فرصة انشغال "إين - أناتم" في تشييد المعابد و لا سيما وأنه قد لمس فيه الضعف فاستأثر بمياه القناة التي تمر نحو مدينة (لكش) ثم حطم مسألة الملك "ميسليم" التي كانت منصوبة على الحدود منذ زمن بعيد , فلم يتحمل "ان أناتم" هذه الاعتداءات فبعث برسول إلى حاكم مدينة (أوما) يعترض على هذه الاعمال المعادية , ويخبرنا (اورنمكينا Urunamgina) أحد ملوك لكش عن هذا الحادث بقوله اعترض "ان أناتم" لدى (اور لوما) بسبب نهب هذا الأخير الحبوب و الغلة من الحقول العائدة للاول فرد عليه (اور لوما) بقوله : (إن حدود بلاده تصل إلى الانتاسورا في لكش) ^(٧٥) , هذا الموقف المعادي من مدينة (أوما) كان وراءه أطراف مساندة من قوى أجنبية كما تشير إلى ذلك الوثيقة التي تذكر هذا الحدث .

{ و لأن هذا الشعير لم يدفع - (من جانب ان)

"اور لما" انسي" حرم قناة الحدود

(ننكرسو) وقناة حدود "نانشة" من الماء

واقطلع من الماء مسلات (قناة الحدود)

و احرقها , وهدم مزارات الالهة المكرسة؟)

التي شيدت في "تا منوندا - كيجار"

وحصل على (عون من) الاقطار

الاجنبية , (وأخيراً) عبر قناة حدود

"تنكو سو" - (بسبب كل تلك الأعمال)

دخل "" ان - اناتم "" في حرب معه في

الـ(جانا - اوجيجا) {}^(٧٦) .

تمدنا النصوص المسمارية المكتشفة ولاسيما من زمن الملك ""انتيمينا"" (٢٤٠٤-٢٣٧٥ ق.م) احد حكام مدينة (لكش) بمعلومات عن الحروب و المنازعات و المناوشات الحدودية المستمرة التي كانت بين دولة (لكش) وجارتها مدينة (أوما) و التي استمرت كما يذكر الملك "" انتيمينا "" مدة قرن كامل أي لما يناهز المائة سنة و كانت أسباب الحروب بالدرجة الاولى اقتصادية , وهي الرغبة في السيطرة على المزيد من الأراضي السهلية الواقعة بين الدولتين وقناة المياه التي تفصل بينهما ^(٧٧) .

إن الملك "" انتيمينا "" كان ذا مساع جليلة إذ إنه عندما رأى أن مدينة (لكش) لن تتجح ولن تسلك سبيل الرخاء ما دام اعتمادها في ربيها على صداقة جار طموح ثابت العزم صمم على سحب الماء الى مدينته من نهر دجلة بدلاً من نهر الفرات ^(٧٨) , كان الغرض الأساس من تدوين أخبار الصراع الطويل بين الدولتين والذي أنهى في مرحلته الأولى بعقد معاهدة , وهو تخليد ذكرى إعادة حفر الحدود التي تفصل أراضي مدينة (لكش) عن أراضي مدينة (أوما) والتي كانت تؤلف جزءاً من بنود المعاهدة , وتعد هذه الوثيقة بحق سجلاً تاريخياً متكاملاً حيث أن مدون هذه الوثيقة لم يكتف بتدوين الصراع بين المدينتين في عهده بل عصور أخرى سبقت عصره بعدة أجيال ^(٧٩)

ومن العهد الاكدي نجد أن مسألة الحرب لم تكن بالمستوى الذي كانت عليه في عصر فجر السلالات , بل اتسعت خصوصاً أن البلد في هذه الفترة وحد تحت زعامة واحدة استمرت لأكثر من قرن من الزمان (٢٣٧١-٢٢٣٠ ق.م) تحديد حكم الملك "" سرجون الاكدي "" , إذ واجه الملك الرفض من قبل دويلات المدن السومرية التي كانت تشكل كل واحدة منها مركزاً سياسياً مستقلاً وقد تحالفت هذه الدول فيما بينها محاولة الوقوف ضد هذه المحاولة التي كان يسعى لها هذا الملك ^(٨٠) , فضلاً عن الأهتمام بالسيطرة السياسية من قبل الملك ""سرجون الاكدي"" كانت هناك المصالح الاقتصادية التي يسعى لتحقيقها من خلال الجانب السياسي ^(٨١) , إذا كانت الأراضي

الأكديّة تعتمد كلياً على مياه نهر الفرات لذا فمن الطبيعي أن تؤدي مشاريع الري التي أقامها الأكديون على هذا النهر إلى تقليل الموارد المائية التي تعتمد عليها الحقول السومرية ، ومن المعروف أن فصل الصيف هو فصل الانخفاض في مستوى مياه نهر الفرات ونهر دجلة وتقع الفترة الحرجة في فصل الخريف وفي مثل هذه الاوقات تحتاج الى الزروع الصيفية التي تحترق بحرارة الشمس إلى كميات كبيرة من المياه كما تحتاج أيضاً الأراضي الخالية من الزراعة إلى كميات أخرى منها حتى يمكن اعدادها لزراعة الغلات الشتوية ^(٨٢) ، ويبدو أن هذا التقلب بين مصلحة الأكديين و مصلحة السومريين حول التوسع في استغلال مياه نهر الفرات هو الذي أدى إلى توتر العلاقات بينهما و وضع نهاية لدور العزلة و المسالمة الذي كان قائم بين دويلات المدن السومرية وبين الأكديين وبدأ بذلك دور الصراع بينهما ^(٨٣) ، كما تذكر النصوص المسمارية ^(٨٤) أن سرجون الأكدي سيطر على مدينة "هيت" الواقعة على نهر الفرات .

بعد أن تمت السيطرة لسرجون الأكدي ووطد حكمه الداخلي وجه نشاط إلى الحملات الخارجية إذ قام بإخضاع المدن الواقعة على طول نهر الفرات التي تضم مدينة ماري ^(٨٥) ، و الواضح أن بواعث تلك الحروب و الفتوحات الكثيرة ودوافع إقامة الإمبراطورية و الحفاظ عليها كانت اقتصادية بطبيعتها ^(٨٦) ، إذ ضمن سرجون الأكدي بسيطرته على المدن الواقعة على نهر الفرات مياه السقي لأراضي الإمبراطورية بالإضافة إلى طرق التجارة النهرية التي عن طريقها ترسل المواد الأولية و الأخشاب التي كانت تفتقر إليها بلاد وادي الرافدين ^(٨٧) وفي فترة عصر سلالة أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م) فإن الملك أور نمو (٢١١٢-٢٠٩٥ ق.م) عند توليه السلطة كانت مدينة أور تعاني من مشاكل اقتصادية جمة منها الدمار الاقتصادي الذي لحق بالبلاد نتيجة التسلط الكوتي ^(٨٨) ، إضافة لملوحة التربة و الذي تسبب في فقدان التربة لخصوبتها و زيادة الأراضي التي لم تعد صالحة للزراعة لذلك فإن الملك (أور نمو) ، انشغل في هذه المشاريع و كانت النزاعات قليلة في حكمه و شرع قوانين لتنظيم الحياة الاجتماعية في مدينة أور ^(٨٩) ، إلا ان ذلك لا يعني أن هذه المدينة لم تعاني من

نزاعات بل كانت نزاعاتها مع المدن المحيطة بها من أجل المياه بشكل خاص^(٩٠) , لذلك وضع معاهدة مع مدينة لكش لتنظيم الاستفادة من القناة التي تجهز المدينتين بالمياه وهي قناة (ننا - كوكال)^(٩١) Nanna-Gugal, بالإضافة إلى أنها تمتد بمياه مدينة لارسا^(٩٢) من أجل حل النزاع حول المياه مع هاتين المدينتين.

وشغل الصراع فترة طويلة من حكم ملوك لارسا (٢٠٢٥-١٧٦٣ ق.م) حول المياه و المصالح الاقتصادية الأخرى , فعندما نقرأ مدونات الملوك لسني حكمهم نجد أن ملوك هذه السلالة دأبوا لتوسيع حدود المدينة من أجل الحصول على أراضي زراعية و توفير مياه ري دائمة للمدينة^(٩٣) .

بدأت متاعب سلالة ايسن تبرز تدريجياً في زمن الملك لبت عشتار الملك الخامس (١٩٣٤-١٩٢٤ ق.م) بسبب منافسة سلالة لارسا لها حيث تمكن الملك "كنكونوم"^(٩٤) (١٩٣٢-١٩٠٦ ق.م) الملك الخامس من سلالة لارسا من ان ينتزع من سلالة ايسن مناطق مهمة مثل مدينتي (اور و لكش) و ادعى الملوكية على بلاد سومر و اكد^(٩٤) , كما انه حسن التجارة مع الخليج العربي التي اضمحلت بعد سقوط سلالة أور^(٩٥) , وبذلك فقد نجح "كنكونوم" ملك لارسا في تحقيق شيئين اساسين لمدينة لارسا ؛ هو احياء التجارة النهرية التي تعد من الأمور الهامة للبلاد من الناحية الاقتصادية , والثانية تزويد المياه الأتية من الشمال المياه العذبة للمدينة من جهة اخرى^(٩٦) , واستمر الملك "كنكونوم" بسياسته هذه حتى في زمن الملك "اور - ننورتا"^(٩٦) (١٩٣٢-١٨٩٦ ق.م) الملك السادس من سلالة ايسن حتى ان المصادر تشير الى اشتداد النزاعات في هذه الفترة بين مدينتي (لارسا و ايسن)^(٩٧) .

وأبان فترة التي حكم الملك نورد-ادد (١٨٦٥-١٨٥٠ ق.م) فإنه قام بتدمير السد الذي أقامته مدينة ايسن على مجرى المياه المشترك بين الدولتين وقد اتخذ الملك "سين ادينام " (١٨٤٩-١٨٤٣ ق.م) نتيجة اشتداد النزاع بين المدينتين على إجراء مشابهة لما قام به الملك "انتيمينا"^(٩٨) (٢٤٠٤-٢٣٧٥ ق.م) إذ جلب مياه من نهر دجلة وعمق مجراه لهذا الغرض^(٩٨) , إذ سمى سنة حكمه الثانية بهذا الحدث الكبير :

((السنة التي حفر بها دجلة))^(٩٩)

يبدو ان الملك "سين ادينام" قام بتطهير و تعميق جزء من نهر دجلة الواقع ضمن حدود مدينة (لارسا) .

لم يستمر النزاع بين مدينة (لارسا) ومدينة (ايسن) ففي فترة حكم الملك " ريم سين " (١٨٢٢ - ١٧٦٣ ق . م) حيث حكم لفترة تقارب الستين سنة فخلال السنة (١٨٦٣ ق . م) وهي السنة مايقارب الثلاثين من حكمه هجم الملك " ريم - سين " على مدينة ايسن وبذلك انهى منافس مدينة لارسا وقد احتلت هذه الحادثة اهمية كبيرة لدى هذا الملك أخذت صداها من خلال تسميته لسنوات حكمه الثلاثين الباقية نسبة الى سقوط ايسن بتسلسل زمن خاص به^(١٠٠) , فمنذ السنة الاولى من حكمه الى السنة الثامنة والعشرين من حكمه لم تشهد اي عمل عسكري ضد مدينة ايسن الا في سنة حكمه التاسعة والعشرين والتي سيطر بها على ايسن ففي هذه السنة من حكمه تقرأ:

((القوة العظيمة لانو وانليل وانكي اخذ بها دونوم ورئيس مدينة ايسن في يوم واحد واصبح الموقع العسكري بيده))^(١٠١) .

لم تكون حالة الصراع هذه الا بسبب الحاجة المستمرة للمياه فضلاً عن الحاجة للمزيد من الاراضي الزراعية التي تسببت الملوحة في اخراج قسم منها عن الفائدة مما أدى إلى انخفاض الانتاج الزراعي^(١٠٢) .

خلال فترة العصر البابلي القديم (٢٠٠٤ - ١٥٩٥ ق.م)^(١٠٣) استطاع الملك " حمورابي " بما عرف عنه من مقدرة كبيرة على المناورة السياسية , اذ انه في بداية حكمه كانت من اولوياته تثبيت الوضع الداخلي للملكة وكان يزاحمه في البقاء ويهدد وجود مملكته ملك لارسا " ريم سين " إذ استطاع هذا الملك من القضاء على سلالة ايسن ويضمها إليه قبل أن يتبوأ الملك " حمورابي " العرش بعامين (١٧٩٤ ق . م) ووصل للمناطق القريبة من مدينة بابل فضلاً عن مملكة لارسا كان شاغل هذا الملك السيطرة على نهر الفرات ومحاربة مدينة ماري التي تسيطر عليه^(١٠٤) , شعر

الملك " حمورابي " بقوة الملك " ريم سين " كما انه في هذه الفترة كانت هنالك مخاطر تواجه مملكة بابل منها الدولة الاشورية لذلك دخل الملك حمورابي بمعاهدة دفاعية مع مدينة لارسا بطلب من الملك ريم سين حيث تضمنت الرسالة التي بعث لها الملك " حمورابي "

((إذا داهمك عدو فان جيوشي سوف تأتي لمساعدتك , وإذا داهمني عدو أرسل جيوشك لمساعدتي ...))

وفي موضع آخر من الرسالة ذاتها يذكر " ريم سين " مانصه :
((أن رجالي يتجمعون في بلدي , فدع رجال بلدك يفعلون ذلك , وإذا كان العدو يخطط لمهاجمتك فسوف تنظم قوات رجالي وقواري اليك ..)) (١٠٥) .

بعد أن امن " حمورابي " جبهة لارسا بدأت بفرض سيطرته على المناطق القريبة من بابل تمهيداً لفرض سيطرته على مناطق السهل الرسوبي فكان أهم حدث في سنة حكمه السابعة :

((السنة التي أخذت بها الوركاء وايسن)) (١٠٦)

وبعد أن سيطر على مدينتي (الوركاء وايسن) استعد لمواجهة مدينة (لارسا) وملكها " ريم سين " وفعلاً فرض سيطرته عليه وأصبحت بلاد سومر وأكد تحت سيطرته (١٠٧) . ولأهمية مشاريع الري والسقي بصورة عامة في اقتصاديات الدولة , هجم الملك حمورابي على مدينة ماري لتدمير نظام الري المتطور فيها , والذي أخذ يؤثر على كمية المياه الواصلة إلى بلاد بابل اثناء شحة المياه في فصل الصيف مما هدد اقتصاد المملكة وبالتالي امن وسلامة وتطور البلاد خصوصاً إن الملك " زمرى - لم " (١٧٨٩ - ١٧٥٩ ق . م) قام بتطور نظام الري فيها (١٠٨) , اضطر ذلك الملك " حمورابي " الى احتلال مدينة (ماري) في سنة حكمه الثالثة والثلاثين واعادة الكرة عليها في سنة حكمه الخامسة والثلاثين وكان من بين ما استهدفه في مدينة (ماري) تدمير نظام الري المتطور فيها ليوثر المياه بغزارة الى مدن مملكته (١٠٩) , وكانت هذه احد الأسباب التي دعت الملك حمورابي الى نقض معاهدة الصداقة مع الملك " زمرى "

- لم " التي كان قد عقدها معه في وقت سابق اثناء صراعه مع مدينة لارسا والحلف الذي قادتته مدينة (اشنونا) بتحالفها مع العيلاميين ^(١١٠) , وكان هذا الملك قد قتل في المعركة الثانية التي قام بها الملك " حمورابي " في سنة (١٧٥٧ ق . م) حيث سقطت مدينة (ماري) بأيدي البابليين فدحروا أسوارها واحرقوا قصرها العظيم ^(١١١) , أعقب " حمورابي " في الحكم ابنه المسمى " سمسو - ايلونا " (١٧٤٩ - ١٧١٢ ق . م) الذي في زمنه استطاع الشخص المسمى " ايلوما - ايلو " الذي ادعى انه من احفاد الملك " دامق -اياليشو " (١٨١٦ - ١٧٩٤ ق . م) ملك ايسن , ان يثور ويستقل في المناطق الجنوبية من البلاد , مؤسساً بذلك مايعرف في تاريخ العراق القديم بإسم سلالة " القطر البحري " وعرفت بإسم سلالة بابل الثانية (١٧٤٠ - ١٥٠٠ ق . م) ^(١١٢) وخلفه الملك " ابي اشوح " (١٦٤٧ - ١٦٢٠ ق.م) الذي كرس قسم من سنوات حكمه , بحفره قنوات للري في نهر دجلة إذ استطاع أن يحول مياه نهر دجلة محولا القضاء على سلالة القطر البحري ^(١١٣) , واستمرت هذا النزاعات حتى فترة متأخرة من تاريخ العراق القديم ونظراً لأهمية نهر الفرات في تزويد السهل الرسوبي خاصة بالمياه نجد الملك " نبو خذ نصر الثاني " (٦٠٤ - ٥٦٢ ق . م) بعد توليه العرش يدخل الاراضي التي تحيط بمدينة (ماري) في حملة طويلة لم تكن سوى عرض القوة العسكرية بلا مقاومة ^(١١٤) , وللتاكيد على السيطرة لمناطق نهر الفرات لأهمية في تجهيز المياه إضافة لأهميته في التجارة النهرية ^(١١٥) .

إن المياه باعتبارها الشريان الأساسي لقيام الزراعة التي بالاضافة لكونها العنصر الاساسي في حياة الفرد من حيث الغذاء سواء له او لحيوانات حقله من جهة و أهميتها في مجال التجارة من جهة أخرى على هذا الأساس نشىء الصراع من اجل السيطرة على مصادر المياه ؛ لان التحكم بهذه المصادر يعني بشكل أساسي السيطرة على اقتصاد الدولة و يؤدي بالتالي إلى السيطرة السياسية على هذه المدينة أو تلك .

الاستنتاجات:-

- ١- تعد مصادر المياه (الأنهار , قنوات الري) , احد المصادر المهمة في اقتصاد الدولة , نظراً لأهميتها للزراعة التي هي عماد الاقتصاد العالم القديم , كما تتدرج ضمن هذه الالهمية إن المياه مهمة لحياة الانسان وحيوانات حقله .
- ٢- نظرا لأهمية في حياة الانسان فقد حاول سكان العراق القديم استعمال كافة الوسائل السلمية (المعاهدات) و الحروب للمحافظة على هذه الثروة قدر الإمكان لمدنهم .
- ٣- لم تكن الحروب المبدأ الأخير لتنظيم الاستفادة من المياه , إذ سن العراقيون القدماء قوانين من أجل تنظيم الاستفادة من المياه و الحد من المنازعات العسكرية.
- ٤- استطاع العقل العراقي القديم ابتكار وسائل مهمة من اجل الاستفادة من كمات المياه المتزايدة و تخزينها لأوقات شحة المياه المتمثلة بالسدود و الخزانات .
- ٥- اهتم ملوك العراق القديم بصيانة مشاريع الري (كري , أو حفر قنوات الري , أو كري لأنهر) ولهذا احتلت هذه الاعمال السنوات المهمة من حكمهم وقد تباهاوا في هذه النشاطات الخدمية لأبناء مدنهم .
- ٦- استخدمت مجاري المياه طرقاً للنقل النهرية إذ استعملت (القوارب و السفن و الاكلاك و القفف و القرب) في حركة النقل التجاري و نشاطه آنذاك و إقامة دعائم الاتصال المستمر بين مختلف المراكز الحضرية , ومما سهل من عمليات النقل ونشاطه بين مختلف المراكز والمدن توفر وهو توفر طرق المواصلات البرية و النهرية , إذ شيدت المحطات بين هذه الطرق لتسهيل مهمة تنقل القوافل التي كانت تمر منها .

٧- تزدهر المنطقة الجنوبية من بلاد الرافدين بشبكة من القنوات و الجدوال المائية و الاهوار و المستنقعات مما كان له أثره في قلة استخدام العربات بشكل عام ، غير ان العراقيين القدماء طوروا وسائل النقل النهرية منذ أزمان مبكرة فاستخدموا القوارب و السفن الشراعية بدلاً عنها في نقل البضائع و السلع بأحجامها المختلفة في الأقسام الجنوبية بشكل خاص ، كما استخدموا الأكلاك بأنواعها و القفف فضلاً عن القرب ، وكلها وسائل نقل ظلت في الاستخدام على مدى العصور ، وحتى الوقت الحاضر .

٨- إن النقل النهري كان يشكل بالدرجة الأساس الشريان الرئيس لحركة النقل في العراق القديم ، إذ وفر الرافدان دجلة و الفرات واسطة سهلة و رخيصة التكاليف و كانا يشكلان آنذاك عصب الحياة الاقتصادية و محور الاتصال الحضاري سواء كان ذلك النشاط اقتصادياً أم عسكرياً .

الهوامش :

- (١) الطعان ، عبد الرضا ، الفكر السياسي في العراق القديم ، ج ١ ، (بغداد ، ١٩٨٦) ، ص ٩٤ .
- (٢) مهدي ، علي محمد " الزراعة في وادي الرافدين عبر العصور " ، مجلة النفط و التنمية ، العدد ٨+٧/ ، (بغداد ، ١٩٨١) ، ص ١٨٠ .
- (٣) الشرجبي ، جمال عبدالواسع قاسم ، الجزيريون - هجراتهم و مراكز حضارتهم في بلاد وادي الرافدين حتى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٤ ، ص ٤٥ .
- أيضاً : المتولي ، نواله أحمد " دولة القطر في الألفين الثالث و الثاني قبل الميلاد " وقائع ندوة وحدة حضارة بلاد الرافدين ، (بغداد ، ٢٠٠١) ، ص ٨٣ .
- (٤) مكاي ، دورثي ، مدن العراق القديمة ، ترجمة يوسف يعقوب مسكوني ، (بغداد ، ١٩٦١) ، ص ١٥ .
- (٥) فرانكفورت ، هنري ، فجر الحضارة في الشرق الأدنى ، ترجمة ميخائيل خوري ، (بيروت ، بلا) ، ص ٤١ .
- (٦) سوسة ، أحمد ، حضارة العرب و مراحل تطورها عبر العصور ، (بغداد ، ١٩٧٩) ، ص ٦٦ .
- (٧) مكاي ، دورثي ، مدن العراق ... ، ص ١٥ .
- (٨) هودجز ، هنري ، التقنية في العلم القديم ، ترجمة : رنده قاقيش ، (عمان ، ١٩٩٥) ، ص ٧٥ .
- (٩) كونتينو ، جورج ، الحياة اليومية في بلاد بابل و آشور ، ترجمة : سليم طه التكريتي ، ويرهان عبد التكريتي ، (بغداد ، ١٩٧٩) ، ص ٧٤-٧٥ .
- (10)Welters.S.,Water for Larsa ، (Yale University Press، 1970)، p.73.
- (11) الدباغ،د. تقى، العراق في موكب الحضارة (الأصالة والتأثير) ، ج ١، (بغداد ، ١٩٩٨)، ج ١ ، ص ٧٠
- (12)Stein Kerller ، "Notes on the Irrigation system in third Millennium Southern Babylon"، ICM، part . 1، Vol. 4.p. 74.
- (13)The Assyrian Dictionary of the University of Chicago،(1965)، H، p. 168
- أيضاً: الاحمد،د. سامي سعيد، العراق القديم، ج٢، ص٣٦٥.
- (14)Soldt، W. van، "Irrigation in kassite Babylonian" ،ICM ، Part. I، Vol.4، p.115.

(15)Ibid, pp. 73-75

(16) سليمان، ا.د. عامر ، وآخرون، المعجم الأكدي، (بغداد، ١٩٩٩)، ج١، ص١٩٤.

(17)CAD,PP.66-69.

(18)Jacobsen, Thorkild, "A Survey of the Girsu(Tellon) Regin", Sumer, vol. 25, 1967, p. 106.

(19) الأحمّد ، د. سامي سعيد، "الزراعة والري في العراق القديم" ، ندوة التربة والزراعة عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد للفترة من ٢٧ - ٢٨ / ١ / ١٩٨٨ ، ص١٩ .

(20)RG TC ، vo1.1 ، p.220

(21) الشمس ، ماجد عبد الله ، " الارواء عند العرب - لمحات فس اللغة والتاريخ " ، ندوة الري عند العرب ، (بغداد ، ١٩٨٩) ، ص١٥٨ .

(22) الاحمد ، د.سامي سعيد ، الزراعة والري ... ، ص١٩ .

(23) الفتّيان ، أحمد مالك ، وآخرون ، طرق التقنيات الاثرية ، (بغداد ، ١٩٨٣) ، ص٣٠٥ .

(24) الجزائري ، محمد ، الكتابة على اديم الفرات ، (بغداد ، ١٩٧٥) ، ص١٣ .

(25) باقر ، طه ، " الشرائع التنظيمات القانونية في حضارة وادي الرافدين " ، مجلة المجتمع العلمي العراقي ، م / ٢٧ ، (بغداد ، ١٩٧٦) ، ص١١٤ .

(26) باقر ، طه، مقدمة... ، ج١ ، ط٢ ، ص٣٨١ .

(27)Mercer ، Samuel A.B ، Sumero Babylonian...op...cit ، p.79.

(28) الاحمد ، سامي سعيد ، العراق القديم ، ج٢ ، ص٣٦٤ .

(29) الاحمد ، سامي سعيد ، الزراعة والري ... ، ص١٩ .

(30) رشيد ، فوزي ، نظم الارواء ... ، ص٩٨ .

(31)Mercer ، Samuel A.B ، Sumero Babylonian...op...cit ، p.32.

(32)I bid ، p.33 .

(33)I bid ، p.34.

(34)Pritchard ، james B.، Ancient Near Eastern Texts ، (New Jersey ، 1969) ، p.271 .

(35) الاعظمي ، محمد طه محمد ، حمورابي ... ، ص١٠٦ .

(36) المصدر نفسه ، ص١٠٦ .

- (37) Ungand ، Artur ، Babylonian Letters of the Hammurapi period ، (Philadelphia ، 1915)، pp.30-33.
- (38) سوسة ، احمد ، " مشروع خزان نبوخذ نصر القديم " ، مجلة عالم الغد ، العدد ٤ / ، (بغداد ، ١٩٤٥) ، ص ص ٨ - ١٠ .
- (39) LGN ، pp.20-21
- (40) Mercer ، Samuel A.B ، Sumero – Babylonain...op...cit p .31
- (41) I bid ، p.21
- (42) De camp،L.Sprague ، The ancient Engineers ، (London،1963)،p.73.
- (43) Kellick ،R.G ، "Flood control in Nor thern Badylonia " ، Sumer، Vol .41،p121-122 .
- (44) الاعظمي ، محمد طه ، من المظاهر الحضارية العراقية القديمة اختيار الموضوع المستحكم طبيعياً ، وقائع ندوة وحدة حضارة بلاد الرافدين ، (بغداد ، ٢٠٠١) ، ص ١٩٧ .
- (45) سوسة ، احمد ، وادي الفرات و مشروع سدة الهندية ، ج ٢ ، (بغداد ، ١٩٤٥) ، ص ١٥ .
- (46) نعمان ، بهنام ناصر ، اكتشاف منشآت بابلية محادية لدجلة في جانب الكرخ من بغداد ، سومر ، م/٣٢ ، ١٩٧٦ ، ص ١١٣-١١٩ .
- (47) عن هذه المرحلة ينظر : الشيخ ، عادل ، بدء الزراعة و أولى القرى الزراعية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٥ .
- (48) فتح الله ، مدحت فيصل ، التشريع الزراعي في وادي الرافدين خلال الالف الثاني قبل الميلاد ، ندوة التربة و الزراعة عند العرب أقامها مركز احياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد للفترة ٢٧-٢٨/١٩٨٨ ، ص ٢٧ .
- (49) الدليمي ، كريم عزيز ، الزراعة في العراق القديم ، أطروحة دكتوراة غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٦ ، ص ٩٥ .
- (50) أور - نمكينا (٢١٢٤-٢١٢٤ ق.م) ، عرف عنه أنه رجل كرس حياته لخدمة الآلهة وكان شديد الحرص على إقامة الشعائر و الطقوس الدينية تعتبر اصلاحاته التي عثر عليها مدونة بالخط المسماري و باللغة السومرية على لوح طيني في مدينة لكش و تعتبر اصلاح اجتماعي مدون تناولت معالجة مختلف جوانب الحياة اليومية ورد نص الاصلاحات على اربع نسخ كشفت عنها تقنيات البعثة الفرنسية في لكش عام ١٨٧٨ و ترجم لأول مرة من قبل (Dangin) . ينظر : المتوالي ، نواله احمد محود ، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء

- الوثائق المسمارية ، (المنشورة و غير المنشورة) ، اطروحة دكتوراة غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٤ ، ص ١٢ .
- (٥١) للمزيد عن هذه الاصلاحات وحسب القراءة الحديثة ينظر : رشيد ، فوزي ، في العراق في موكب الحضارة ، ج ١ ، ص ٢٢٤-٢٠٧ .
- (٥٢) الهاشمي ، رضا جواد ، وآخرون ، حضارة العراق ، ج ٢ ، (بغداد، ١٩٨٥) ، ص ٧١ ، سليمان د.د. عامر ، القانون في العراق القديم ، (بغداد، ١٩٨٧) ، ص ١٩١-١٩٣ .
- (٥٣) سليمان ، عامر ، في العراق في موكب الحضارة ، ج ١ ، ص ١٩٧-١٩٨ . وعن قانون الملك أور نمو ، ينظر
- Finkelstein ، J.J. ، "The laws of Ur-Nammu" ، JCS ، vo ؛ 21، 1968، p.66-82.
- ، نيبان ، د.جمال مولود ، تطور فكرة العدل في القوانين العراقية قديمة (دراسة قانونية مقارنة) ، (بغداد، ٢٠٠١) ، ص ٥٣-٦٥ .
- (٥٤) العبودي ، عباس ، شريعة حمورابي (دراسة قانونية مقارنة مع التشريعات الحديثة) ، (الموصل، ١٩٩٠) ، ص ١٤-١٥ .
- (٥٥) المصدر نفسه ، ص ٢٥ .
- (٥٦) حنون ، دنائل ، شريعة حمورابي ، ج ١ ، (دمشق، ٢٠٠٥) ، ص ٣٤٨-٣٥٠ . أيضاً : باقر ، طه ، "الشرائع و التنظيمات القانونية في حضارة وادي الرافدين" ، مجلة المجتمع العلمي العراقي ، ج ٢ ، م/٢٨ ، (بغداد ، ١٩٧٧) ، ص ٦٢ .
- (٥٧) المصدر نفسه ، ص ٣٥١-٣٥٣ .
- (٥٨) المصدر نفسه ، ص ٣٥٤-٣٥٥ .
- (٥٩) المصدر نفسه ، ص ٣٥٦-٣٥٧ . رشيد ، فوزي ، في العراق في موكب الحضارة ، ج ١ ، ص ٢٦٦ . في عام ١٨٨٣م نشر ((بنجس - pinches)) ملخص لرقيم طيني محفوظ في المتحف البريطاني تحتوي على مواد قانونية من فترة العهد البابلي الحديث وفي عام ١٨٨٩م قام ((بايزر - peiser)) بنشر ترجمة النص كاملة ، ينظر : رشيد ، د.فوزي ، الشرائع العراقية ، ص ٢١٧-٢١٨ .
- (٦٠) سليمان ، د.عامر ، وحدة حضارة بلاد الرافدين ، ص ١٢٤ .
- (٦١) باقر ، طه ، مقدمة ، ج ١ ، ط ٢ ، ص ٣١٧ .

- (62)Edzard ، D .O ، and Gerturd ، F . ، and Edmonds ، Repertoire Geographique des Textes Cuneiformes ، (sargonischen Zit ، 1977) vol .I ، p . 220
- برترو ، جين ، وآخرون ، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة ، ترجمة : د. عامر سليمان ، (الموصل ، ١٩٨٦) ، ص ٩١ .
- (٦٣) المياح ، د. علي محمد ، " الموارد الاقتصادية و وحدة حضارة بلاد الرافدين " ، وقائع ندوة وحدة حضارة بلاد وادي الرافدين ، (بغداد ، ٢٠٠١) ، ص ٣١ .
- Reade ، Julian ، Mesopotamia، (Rrithsh Museum press ، 1991) ، p.33 .
- (٦٤) مكاي ، دورثي ، مدن العراق ... ، ص ٧٠ .
- (٦٥) ينظر : سليمان ، عامر ، العراق في التاريخ القديم ، (الموصل ، ١٩٩٢) ، ج ١ ، ص ١٤٤ .
- (٦٦) لمبرت ، موريس " عصر ما قبل سرجون (التاريخ السومري) " ، سومر ، م/١٩٥٢ ، ص ٨٩ .
- (٦٧) محان ، محمد سياب ، المعاهدات السياسية في العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القادسية ، ٢٠٠٢ ، ص ٣٦ .
- (٦٨) ينظر : باور ، اندريه ، سومر فنونها و حضارتها ، ترجمة : سليم طه التكريتي و د. عيسى سلمان ، (بغداد ، ١٩٧٩) ، ص ١٨٥-١٨٧ ، ايضاً : لويد ، سيتون ، فن الشرق الأدنى القديم ، ترجمة : محمد درويس ، (بغداد ، ١٩٨٨) ، ص ٩٦-٩٧ .
- (69)Roux ، Georges ، Ancient Iraq ، (London ، 1964) ، p .120-121 .
- (٧٠) محان ، محمد سياب ، المعاهدات السياسية ... ، ص ٣٧ .
- (٧١) ننكرو آله مدينة لكش ،
- (٧٢) شار آله مدينة أوما .
- يبدو ان النزاع انتهى بعد ان اتفق هذان الالهان على التسوية بين المدينتين ، ينظر : باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج ١ ، ط ٢ ، (بغداد ، ١٩٨٦) ، ص ٣١٩ .
- (٧٣) (رجل أوما) هو حاكم مدينة أوما الملقب أوش او كيش ، C.J ، Cadd ، the cities of ، (Cambridge university press،Bablonia ، 1962) ، p.28.
- (٧٤) محان ، محمد سايب ، المعاهدات السياسية ... ، ص ٣٧ .

(٧٥) لميرت ، موريس " عصر ما قبل سرجون (التاريخ السومري) " سومر ، م/١٠ ، (بغداد ، ١٩٥٣) ، ص ٥٧-٥٨.

(٧٦) جانا - أوجيجا : موقع لا يبعد كثيراً الى الجنوب من خط الحدود أي بالقرب من المنطقة المحايدة بين مدينتين لكش و أوما . ينظر : محان ، محمد سايب ، المعاهدات السياسية ... ، ص ٤٠ .

(٧٧) سليمان ، د. عامر ، العراق في التاريخ ... ، ص ١٤٤.

(٧٨) مكاي ، دروئي ، مدن العراق ... ، ص ٩٦.

(٧٩) محان ، محمد سياب ، المعاهدات السياسية ... ، ص ٤٠ .

(٨٠) المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

(٨١) اوتس ، جون ، بابل تأريخ مصور ، ترجمة : سمير عبد الرحيم الجلي ، (بغداد ، ١٩٩١) ، ص ٤٨ .

(٨٢) شريف ، ابراهيم ، الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تأريخه العام حتى الفتح الاسلامي ، ج ٢+١ ، (بغداد ، بلا) ، ج ٢ - ص ٦٥ .

(٨٣) بوترو ، جين ، وآخرون ، الشرق الأدنى ... ، ص ١١١ .

(٨٤) علي ، فاضل عبد الواحد ، " الاكديون ودورهم في المنطقة " ، مجلة كلية الاداب جامعة بغداد ، عدد/٢٤ (بغداد ، ١٩٧٩) ، ص ١٩٧ .

(٨٥) عباس ، رعد عبد القادر ، العصر الاكدي معطياته الحضارية والفنية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٦ ، ص ٦٠ .

(٨٦) بوترو ، جين ، وآخرون ، الشرق الأدنى ... ، ص ١١٥ .

(٨٧) عباس ، رعد عبد القادر ، العصر الاكدي ... ، ص ٥٣ .

(٨٨) باقر ، مقدمة ... ، ج ١ ، ط ٢ ، ص ٣٨٦ .

(٨٩) الاحمد ، د . سامي سعيد ، العراق القديم ، ج ٢ ، (بغداد ، ١٩٨٣) ، ص ١٤٠ .

(٩٠) بوترو ، جين ، وآخرون ، الشرق الأدنى ... ، ص ١٣٩ .

(٩١) محان ، محمد سياب ، المعاهدات السياسية ... ، ص ٥١ .

(٩٢) RGTC ، vo 1.2 ، p.280.

(٩٣) ينظر :

Sigrist ، Mercer ، Larsa year Names ، (Michigan ، 1990) ، p.7 ، p.62.

(٩٤) رشيد ، د. فوزي ، الملك حمورابي مجدد وحدة البلاد ، (بغداد ، ١٩٩١) ، ص ١٣ .

- (٩٥) اوتس ، جون ، بابل تاريخ ... ، ص ٨٧ .
- (٩٦) ANEH ، P.22 .
- (٩٧) بصمة جي ، فرج ، نبذة في تاريخ العراق القديم ، (بغداد ، ١٩٦٠) ، ص ١٩ .
- (٩٨) اوتس ، جون ، بابل تاريخ ... ، ص ٨٨ .
- (٩٩) Sigrist ، Mercer ، Larsa ... op ... cit ، p.24 .
- (١٠٠) بوترو ، جين ، وآخرون ، الشرق الأدنى ... ، ص ١٩٢ .
- (١٠١) ينظر :
- Mercer ، Samuel A.B ، Sumero – Babylonian year Formule ، (London ، 1946) ، pp.29-30 .
- (١٠٢) بوترو ، جين ، وآخرون ، الشرق الأدنى ... ، ص ١٩٢ .
- (١٠٣) باقر ، طه ، مقدمة ... ، ج ١ ، ط ٢ ، ص ٤٠٦ .
- (١٠٤) المصدر نفسه ، ص ٤٣١ .
- (١٠٥) محان ، محمد سياب ، المعاهدات السياسية ... ، ص ٦٠ .
- (١٠٦) Mercer Samuel A.B ، Sumero – Babylonian...op...cit ، p.35.
- (١٠٧) Ibid ، p.37 .
- (١٠٨) بوترو ، جين ، وآخرون ، الشرق الأدنى ... ، ص ١٨٠ .
- وعن نظام الري في مدينة ماري ينظر :
- Kupper ، J.-R.، "L'Irrigation A Mari " ، in ICM ، Part. 1 ، vo1.4 ، pp .93-103.
- (١٠٩) الاعظمي ، محمد طه محمد ، حمورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق . م) ، (بغداد ، ١٩٩٠) ، ص ١٠٤ .
- (١١٠) المصدر نفسه ، ص ٧٩ . وعن المعاهدة ينظر : محان ، محمد سياب ، المعاهدات السياسية ، ص ٧١-٦٢ .
- (١١١) سوسة ، د. احمد ، حضارة وادي الرافدين بين الساميين و السومريين ، (بغداد ، ١٩٨٠) ، ج ٣ ، ص ٦٥ .
- (١١٢) باقر ، طه ، مقدمة ... ، ج ١ ، ص ٤٣٣ .
- (١١٣) الاحمد ، سامي سعيد ، العراق القديم ، ص ٢١٥ .
- (١١٤) اوتس ، جون ، بابل تاريخ ... ، ص ١٩٦ .
- (١١٥) رشيد ، د.فوزي ، الشرائع العراقية ، ص ١١٤ .